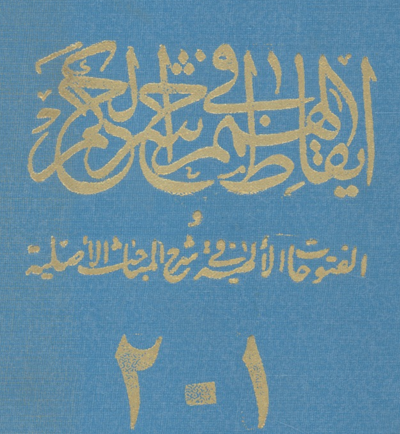

إيقاظ الهمم في شرح الحكم
و
الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية
٢-١



و

الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية

للعارف بالله الصوفى الجليل أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى
نفعنا الله به وبعلومه آمين

الجزء الأول

(الطبعة الأولى)

صححه

فضيلة الأستاذ محمد محيسن
المدرس بالأزهر الشريف

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧



يقول العبد الفقير إلى مولاه الغنى به عما سواه أحمد بن محمد

ابن عجيبة الحسنى لطف الله به وحباه

ان أولى ما عقد عليه الجنان . ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان . وخطت به أقلام البنان . حمد الفتاح العليم الكريم المنان (الحمد لله) الذين ملأ قلوب أوليائه بمحبته . واختص أرواحهم بشهود عظمته . وهيأ أسرارهم لحمل أعباء معرفته . فقلوبهم فى روضات جنات معرفته يحبرون . وأرواحهم فى رياض ملكوته يتنزهون . وأسرارهم فى بحار جبروته يسبحون فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم . ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتائج الفهوم . فسبحان من اصطفاهم لحضرته . واختصهم بمحبته . فهم بين سالك ومجذوب . ومحب ومحبوب . أفناهم فى محبة ذاته . وأبقاهم بشهود آثار صفاته . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا (محمد) منبع العلوم والأنوار . ومعدن المعارف والأسرار ورضى الله تعالى عن أصحابه الأبرار . وأهل بيته الأطهار

(أما بعد) كل شىء وقبله ومعه فعلم التصوف من أجل العلوم قدراً وأعظمها محلا وفخراً . وأسناها شمسا وبدراً وكيف لا وهو لباب الشريعة . ومنهاج الطريقة . ومنه تشرق أنوار الحقيقة . وكان أعظم ما صنف فيه الحكم العطائية . التى هى مواهب لدنية . وأسرار ربانية . نطقت بها أفكار قدوسية . وأسرار جبروتية . ولقد سمعت

الفتوحات الالهية فى شرح المباحث الاصلية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) بجميع المحامد . الأصلية القديمة والفرعية . فهو المحمود وهو الحامد . لاختصاصه بنهاية الاحدية . الغنى الكريم . الماجد القديم . الأزلى بلا بداية ولا أولية . الفرد الصمد الواحد الباقى بلا نهاية ولا آخرية (نحمده) تعالى ونشكره على ما خوله وأولاه من أياديه الابدية (ونستعينه) سبحانه ونستنصره على سلوك طريق حضرته القدسية (ونشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الشريك والغيرية . المقدس عن الحلول والاتحاد وثبوت الثنوية . (ونشهد) أن سيدنا ومولانا (محمداً) رسوله ومصطفاه . المختص بالنزاهة الأصلية . من غير معاناة تخلية ولا تحلية . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعترته وأحزابه . المنزهين عن الأخلاق الدنية . الموصوفين بمحاسن الأخلاق السنية .

(أما بعد) كل شىء وقبله فأعظم الوسائل إلى الله سلوك طريق الأدب والتربية . وأقرب ما يوصل العبد إلى مولاه صحبة العارفين ذوى الهمم العلية والتربية النبوية . والتأدب بين يدى المشايخ أهل النزاهة والتصفية على اختلاف مقاماتهم وأحوالهم من عباد وزهاد وفقراء وصوفية . والبحث عن سيرهم وأحوالهم والتأدب بآدابهم المرضية . والتحقق بأخلاقهم وشيمهم

شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول سمعت الفقيه البنانى يقول كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم أو كما قال ، ولقد طلب ، منى شيخنا العارف الواصل المحقق الكامل سيدى محمد البوزيدى الحسنى أن أضع عليها شرحا متوسطا يبين المعنى ويحقق المبنى معتمداً فى ذلك على حول الله وقوته . وما يفتح الله به من خزائن علمه وحكمته . أو ما كان مناسبا لتلك الحكمة من كلام القوم (فأجبت طلبته) وأسعفت رغبته . رجاء أن يقع به الامتاع ويعم به الانتفاع ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وسميته ، إيقاظ الهمم فى شرح الحكم جعله الله خالصاً لوجهه العظيم بجاه نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولنقدم ، بين يدى الكتاب مقدمتين إحداهما فى حد التصوف وموضوعه وواضعه واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسائله وفضيلته ونسبته وثمرته (والمقدمة الثانية) فى ترجمة الشيخ وذكر محاسنه (أما حده) فقال الجنيد هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وقال أيضا أن تكون مع الله بلا علاقة وقيل الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى وقيل هو أخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم مع قوم كرام وقيل أن لا تملك شيئا ولا يملكك شىء وقيل استرسال النفس مع الله على ما يريده وقيل التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار . والتحقق بالبذل والايثار وترك التدبير والاختيار وقيل الأخذ بالحقائق . والاياس مما فى أيدى الخلائق . وقيل ذكر مع اجتماع . ووجد مع استماع . وعمل مع اتباع وقيل الاناخة على باب الحبيب وإن طرد . وقيل صفوة القرب بعد كدرة البعد . وقيل الجلوس مع الله بلاهم وقيل هو العصمة عن رؤية الكون (والصوفى) الصادق علامته أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة (وعلامة) الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء قاله أبو حمزة البغدادى

(وقال الحسن) بن منصور الصوفى واحد فى الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً وقيل الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه الا كل مليح ويطؤه البر والفاجر وقالوا من أقبح كل قبيح صوفى شحيح وقال الشبلى الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى واصطنعتك لنفسى ثم قال أيضا الصوفية أطفال فى حجر الحق وقيل الصوفى لا تقله الأرض ولا تظله السماء يعنى لا يحصره الكون وقال الشيخ زروق رضى الله عنه قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هى وجوه فيه والله أعلم ثم قال والاختلاف فى الحقيقة الواحدة ان كثر دل على بعد ادراك جملتها ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن

الزكية . وأجل من بحث عن سنتهم الدراسة ومآثرهم السنية . الفقيه الصوفى ابن البنا السرقسطى فى مباحثه الأصلية . فلله دره لقد حرر فيه المعنى . وبين فيه المبنى . فبلغ فيه غاية القصد والمنى بلفظ مختصر بديع . ونظم سلس رائق رفيع بين فيه أصول الطريق . وأظهر فيه معالم التحقيق (فأردت) بعون الله أن أضع عليه شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل . ولا بالقصير المخل . يبين المعنى ويحقق المبنى حملنى عليه أمر شيخنا العارف الواصل المحقق الكامل سيدى محمد بن أحمد البوزيدى الحسنى (فأجبت رغبته) وأسعفت طلبته عسى أن ينتفع به الخاص والعام فيكون معراجاً وسلماً لارتقاء درجة المعرفة على التمام . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وحسبى الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (وسميته) الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية نسئل الله تعالى أن يفتح على من كتبه أو طالعه أو حصله أو سمعه أو اعتقده أو اتعظ بما فيه فتحا مبينا ظاهرا وباطنا بمنه وكرمه وبجاه سيد الخلق سيدنا ومولانا (محمد) نبيه وحبيبه آمين (وهذا) أوان الشروع فى المقصود مستمداً من بحر الكرم والجود صاحب المقام المحمود . والحوض المورود واللواء

جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله واعتبار كل واحد على حسب مثاله علماً وعملا وحالا وذوقا وغير ذلك والإختلاف فى التصوف من ذلك فمن أجل ذلك ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله بغالب أهل حليته عند تحلية كل شخص قولا من أقوالهم يناسب حاله قائلا وقيل إن التصوف كذا فاقتضى أن كل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف وأن تصوف كل أحد صدق توجهه فافهم اه (وقال أيضاً قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ولايصح مشروط بدون شرطه ولايرضى لعباده الكفر فلزم تحقيق الايمان وأن تشكروا يرضه لكم فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف إلا بفقه إذ لانعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولافقه إلا بتصوف إذ لاعمل إلا بصدق توجه ولاهما إلا بايمان إذ لايصح واحد منها بدونه فلزم الجمع لتلازمهما فى الحكم كتلازم الأرواح للأجساد إذ لاوجود لها إلافيها كالا كمال لها أى للأشباح إلا بها ومنه قول مالك رحمه الله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق . ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق . ومن جمع بينهما فقد تحقق (قلت) تزندق الأول لأنه قائل بالجبر الموجب لنفى الحكمة والأحكام وتفسق الثانى لخلو عمله عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الاخلاص المشروط فى الأعمال وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة فى عين تمسكه بالحق فاعرف ذلك إذ لاوجود لها إلا فيها كما لا كمال له إلا به فافهم اه

(وأما موضوعه) فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها اما بالبرهان أو بالشهود والعيان فالأول للطالبين ؛ والثانى للواصلين (وقيل) موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه (وأما) واضع هذا العلم فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحى والالهام فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض أول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصرى وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأبوه مولى زيد بن ثابت توفى الحسن سنة عشر ومائة وأخذه عن الحسن حبيب العجمى وأخذه عن حبيب أبو سليمان داوود الطائى توفى سنة ستين ومائة وأخذه عن داوود أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى رضى الله عنه وأخذه عن معروف الكرخى أبو الحسن سرى بن مغلس السقطى توفى سنة إحدى وخمسين ومائة وأخذه عن السرى امام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم محمد بن الجنيد الخزاز أصله من نهاوند ومنشؤه العراق تفقه على

المعقود سيدنا ومولانا (محمد) المرسل إلى كل موجود منبع العلوم والأنوار ، ومفتاح خزائن المواهب والأسرار . فان وجودك الدنيا وضرتها ، ومن علومك علم اللوح والقلم ، فما فتح على العارفين من المواهب والأسرار ، إلا رشحات من رشحات النبى المختار ، إذ منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأبرار «وبعد هذا» فصاحب الكتاب هو الشيخ الفقيه الصالح الولى الناصح أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبى المعروف بابن البنا السرقسطى بضم القاف نسبة إلى سرقسطة بلدة بتخوم الجزيرة كان أصل نسبه منها ثم تقرر بفاس وبها توفى قال الشيخ زروق رحمه الله لم أقف على تاريخ وفاته غير أن الظن الغالب أنه قريب العهد قال ولم يكن مشهوراً بالعلم مع ماله فيه من القدم الراسخ الذى دل عليه كتابه فعد من عجائب مدينة فاس إذا كان من عامتها وألف كابن أبى زرعة صاحب التاريخ كذا ذكر لى بعض عدول بلدنا عن صاحب له عدل اه قلت وكم من عارف كبير بقى تحت أستار الخمول حتى لقى الله تعالى بل كلما عظم قدر العارف عند الله خفى أمره على الناس لأن الكنوز لاتكون إلا مدفونة فان ظهرت نهبت وتشتت أمرها وذهب سرها وابن البنا هذا

أبو ثور وصحب الشافعي فكان يفتى على مذهب أبي ثور ثم صحب خاله السرى وأبا الحارث المحاسبي وغيرهما وكلامه وحقائقه مدون فى الكتب توفى رضى الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور يزار ثم انتشر التصوف فى أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين (ومن رواية أخرى) أخذه عن سيدنا على رضى الله عنه أول الاقطاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزوانى ثم القطب فتح السعود ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم القطب سيدى أحمد المروانى ثم إبراهيم البصرى ثم زين الدين القزوينى ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين أبو الحسن ثم القطب فخر الدين ثم القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما ثم القطب سيدى عبد الرحمن المدنى ثم القطب الكبير مولاى عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلى ثم خليفته أبو العباس المرسى ثم العارف الكبير سيدى أحمد بن عطاء الله ثم العارف الكبير سيدى داوود الباخلى ثم العارف سيدى محمد بحر الصفا ثم العارف ولده سيدى على ابن وفا ثم الولى الشهير سيدى يحيى القادرى ثم الولى الشهير سيدى أحمد بن عقبة الحضرمى ثم الولى الكبير سيدى أحمد زروق ثم سيدى إبراهيم أفحام ثم سيدى على الصنهاجى المشهور بالدوار ثم العارف الكبير سيدى بن عبد الرحمن المجذوب ثم الولى الشهير سيدى يوسف الفاسى ثم العارف سيدى عبد الرحمن الفاسى ثم العارف سيدى محمد بن عبد الله ثم العارف سيدى قاسم الخصاصى ثم العارف سيدى أحمد بن عبد الله ثم العارف سيدى العربى بن عبد الله ثم العارف الكبير سيدى على بن عبد الرحمن العمرانى الحسنى ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدى ومولاى العربى الدرقاوى الحسنى ثم العارف الكامل المحقق الواصل شيخنا سيدى محمد بن أحمد البوزيدى الحسنى ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى ثم عنه خلق كثير والمنة لله العلى الكبير

(وأما اسمه) فهو علم التصوف واختلف فى اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس (أولها) أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لاتدبير له (الثانى) من صوفة القفا للينها فالصوفى هين لين كهى (الثالث) أنه من الصفة إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة (الرابع) أنه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله فى الصوفى

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا جهلا وظنوا أنه مشتق من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم إلا فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

غير صاحب الحساب فانه ابن البنا الصوفى توفى بمراكش سنة إحدى وعشرين من القرن الثامن كما ذكره صاحب الجذوة ثم ابتدأ صاحب الكتاب كتابه ببسم الله تبركا وامتثالا فقال:

بسم الإله فى الأمور أبدأ إذ هو غاية لها ومبدأ

قلت مازالت أكابر الكتاب والمصنفين يبتدئون فى أول كتبهم ببسم الله اقتداء بالكتاب العزيز فان الصحابة على افتتاح المصحف ببسم الله الرحمن الرحيم على اختلاف بينهم فى كونها آية أو غير آية فذهب بعض الصحابة إلى أنها آية وبه أخذ الشافعى رضى الله عنه ومن تبعه حتى أفتى ببطلان صلاة من تركها وذهب آخرون إلى أنها غير آية وبه أخذ مالك ومن تبعه واحتج الشافعى بأن الصحابة من شدة تحفظهم وتحريهم لايدخلون فى المصحف إلا ما هو منه واحتج مالك بقول كثير من الصحابة ممن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم قال فكان يفتتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم يقل بسم الله الرحمن الرحيم والخلاف مذكور فى كتب الفقه وكان الامام المازرى يقرؤها سرا خروجا من الخلاف وفى الحديث كل

(الخامس) أنه منقول من صفة المسجد النبوى الذى كان منزلا لأهل الصفة لأن الصوفى تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وهو الأصل الذى يرجع اليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رحمه الله .

(وأما استمداده) فهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمس الحاجة اليه فى علم التصوف حررها الغزالى فى الإحياء فى أربعة كتب كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات وهو فيه كمال لا شرط إلا ما لا بد منه فى باب العبادات والله تعالى أعلم .

(وأما) حكم الشارع فيه فقال الغزالى إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام وقال الشاذلى من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يده وإن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبلالى والسنوسى وغيرهما قال الشيخ السنوسى النفس إذا غلبت كالعدو إذا لجأ تجب مجاهدتها والإستعانة عليها وإن خالف الوالدين كما فى العدو إذا برز قاله فى شرح الجزيرى وما أحسن قول القائل .

أخاطر فى محبتكم بروحى ... وأركب بحركم اما واما
وأسلك كل فج فى هواكم ... وأشرب كأسكم لو كان سما
ولا أصغى إلى من قد نهانى ... ولى أذن عن العذال صما
أخاطر بالخواطر فى هواكم ... وأترك فى رضاكم أبا وأما

وأما تصور مسائله فهى معرفة اصطلاحاته والكلمات التى تتداول بين القوم كالإخلاص . والصدق . والتوكل والزهد والورع . والرضى . والتسليم . والمحبة . والفناء . والبقاء . وكالذات . والصفات . والقدرة . والحكمة . والروحانية والبشرية وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك وقد ذكر القشيرى فى أول رسالته جملة شافية وقد كنت جمعت كتابا فيه مائة حقيقة من حقائق التصوف سميته معراج التشوف إلى حقائق التصوف فليطالعه من أراده ليستعين به على فهم كلام القوم ثم قلت بل التحقيق فى مسائل هذا العلم أنها القضايا التى يبحث عنها السالك فى حال سيره ليعمل بمقتضاها

أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وفى رواية فهو أبتر وفى رواية فهو أجذم وحاصلها أنه مقطوع البركة ممحوق من كل خير غير كامل حسا أو معنى وفى رواية بذكر الله فيعم البسملة وغيرها وبهاجرى العمل وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يحيا سعيدا ويموت شهيدا فيقل عند إبتداء كل شىء بسم الله وقوله فى الأمور يتعلق بقوله أبدا بمعنى أشرع وأل عوض من المضاف أى أشرع فى أمورى كلها مستعينا بالله إذا قلنا الإسم عين المسمى أو مقحم أو أشرع فى الأمور التى أحاولها متبركا بسم الله ولا شك أن من استعان بالله كان معانا فى جميع أموره ومن لم يستعن به كان مخذولا فى كل أموره ولله در القائل .

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك فى كل مسلك ... ضللت ولو أن السماك دليل

ومن تبرك باسم الله كانت البركة مصحوبة معه فلا يلحقه نقص ولا خلل وقوله إذ هو غاية لها ومبدأ تعليل لافتتاحه باسم الله أى انما أبتدىء فى أمورى بالله لأنه مظهرها أولا مبطنها ثانيا فظهورها منه وانتهاؤها اليه ومبدؤها منه وغايتها اليه

ككون الاخلاص شرطا فى العمل وكون الزهد ركنا فى الطريق وكون الخلوة والصمت مطلوبين وأمثال هذه القضايا فهى مسائل هذا الفن فينبغى تصورها قبل الشروع فى الخوض فيه علما وعملا والله تعالى أعلم (وأما فضيلته) فقد تقدم أن موضوعه الذات العالية وهى أفضل على الاطلاق فالعلم الذى يتعلق بها أفضل على الاطلاق إذ هو دال بأوله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته وبآخره على معرفته والانقطاع اليه ولذلك قال الجنيد لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه وقال الشيخ الصقلى رضى الله عنه فى كتابه المسمى بأنوار القلوب فى العلم الموهوب (قال) وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لايدرك والبحر الذى لاينزف (وقال) آخر إذا رأيت من فتح له فى التصديق بهذه الطريقة فبشره وإذا رأيت من فتح له فى الفهم فيه فاغبطه وإذا رأيت من فتح له فى النطق فيه فعظمه وإذا رأيت منتقداً عليه ففر منه فرارك من الأسد واهجره وما من علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه فى وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات

(وأما نسبته) من العلوم فهو كلى لها وشرط فيها إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى فالاخلاص شرط فى الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب وأما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة ولذلك قال السيوطى نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو يعنى هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضى الله عنه نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل أن تعبد الله كأنك تراه الحديث إذ لا معنى له سوى ذلك إذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة وإلا لم يقم له وجود ولم يظهر له موجود فافهم اه ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الأثر بالله (وأما فائدته) فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب أو تقول ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق واعلم أن هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو اللقلقة باللسان وإنما هو أذواق ووجدان ولايؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق وليس ينال بالقيل والقال وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق (وأما ترجمة الشيخ)

وإنما قدم الغاية مع تأخرها فى الفعل للوزن ولما اختلفت روايات الحديث المتقدم فبعضها لايبدأ فيه ببسم الله وفى بعضها لايبتدأ فيه بالحمد لله وفى بعضها زيادة ولا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم جمع الشيخ بينها فبدأ بالرواية الثانية فقال

الحمد لله ولى الحمد   هدى إلى الحق ونهج الرشد

الحمد فى اللغة هو الوصف بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل سواء تعلق بالفضائل وهى الأوصاف اللازمة أو بالفواضل وهى الأوصاف المتعدية والأفعال السنية ولابد أن يكون الباعث عليه أمراً اختيارياً وإلا كان مدحا فالحمد يكون على الأوصاف الاختيارية أو فى معناها كالعلم والكرم والشجاعة سواء كان بالاختيار أو غيره والمدح يكون على الأوصاف اللازمة كحسن الخد ورشاقة القد سواء كان باللازمة أو غيرها والحاصل أن السبب على الحمد لا يكون إلا اختياريا والسبب الحامل على المدح لا يكون إلا لازما (وأما) الحمد فى العرف فهو فعل يشعر بتعظيم المنعم كان باللسان أو بالأركان أو بالجنان فورد الحمد فى اللغة خاص وهو اللسان لأن الثناء لايكون إلا باللسان ومتعلقه عام وهو النعمة وغيرها ومورد الحمد فى العرف عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص وهو صدور النعمة من المحمود (وأما) الشكر فى اللغة فهو فعل ينبىء

فهو الشيخ الإمام تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامى نسباً المالكى مذهباً الاسكندرى داراً القرافى مزاراً الصوفى حقيقة الشاذلى طريقة أعجوبة زمانه ونخبة عصره وأوانه المتوفى فى جمادى الآخر سنة تسع بتقديم التاء وسبعمائة قال الشيخ زروق

(وقال) فى الديباج المذهب كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو وأصول وغير ذلك كان رحمه الله متكلما على طريق أهل التصوف واعظا انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه قلت وقد شهد له شيخه أبو العباس المرسى بالتقديم قال فى لطائف المنن قال لى الشيخ إلزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتياً فى المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن (وقال) فيه أيضا والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو إلى الله (وقال) فيه أيضا والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان بحمد الله ما لا أنكره (وله) من التآليف خمسة التنوير فى إسقاط التدبير ولطائف المنن فى مناقب شيخه أبى العباس وشيخه أبى الحسن وتاج العروس وهو مؤلف منهما ومفتاح الفلاح فى الذكر وكيفية السلوك وله أيضاً القول المجرد فى الإسم المفرد والحكم الذى أردنا أن نتكلم عليه ومضمنه من علوم القوم أربعة .

(الأول) علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب وهو لمقام العوام وتستفاد مواده من كتب ابن الجوزى وبعض تأليف المحاسبى وصدور كتب الاحياء والقوت وتحبير القشيرى وما جرى مجراها والله أعلم .

(الثانى) تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال بتحلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة وهذا حظ المتوجهين من الصادقين والمبتدئين من السالكين وقد حاز منها جملة صالحة ومادتها من كتب الغزالى والسهروردى ونحوهما

(الثالث) تحقيق الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق والمنازلات وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين من العارفين وهذا النوع من أكثر ما وقع فيه ومادته من مثل كتب الحاتمى فى المعاملات والبونى فى المنازلات إلى غير ذلك

(الرابع) المعارف والعلوم الإلهامية وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبه ملئت بشرحها لا سيما التنوير ولطائف المنن اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب وبالجملة فهو جامع لما فى كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الالفاظ والمسلك الذى سلك فيه مسلك توحيدى لا يسع أحد إنكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمعتنى به صفة حميدة الا كساه إياه ولا صفة ذميمة إلا أزالها عنه باذن الله كما قال الشيخ ابن عباد فى وصف التنوير وهما إخوان من أب واحد وأم واحدة

بتعظيم المنعم فهو مرادف للحمد العرفى لغة وأما الشكر فى العرف فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلا ما خلق لأجله فهو أخص من الجميع والكلام على الحمد والشكر يطول فلنقتصر على ما ذكرنا إذ ليس للفقير حاجة إلا فى معرفة الشكر وأحسن ما قيل فيه قول إمام الطائفة أن لا يعصى الله بنعه وإذا لم يعص بنعمه فقد صرفها فى طاعته وقوله ولى الحمد أى متوليه وفاعله فهو الذى تولى حمد نفسه بنفسه إذ هو الغنى بذاته عن أن يحتاج إلى من يحمده بل هو الحامد والمحمود إذ لا فاعل سواه وقيل وليه مستحقه وقوله هدى إلى الحق أى هدى خلقه إلى معرفة الحق من الباطل قال تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال) فكما تولى حمد نفسه بنفسه تولى هداية عباده إلى معرفته (أو) تقول كما حمد نفسه بنفسه عرف نفسه بنفسه ولذلك حذف مفعول هدى ليدل على العموم فيصدق بالشريعة والحقيقة أى هدى خلقه إلى الحق على صدقه بالشريعة أو هدى مظاهره وأنواره إلى الحق على صدقه بالحقيقة وهذا كقول الششترى

أنتم دللتم عليكم منكم ولكم ديمومة عبرت عن غامض الأزل

قاله سيدى أحمد زروق فى بعض شروحه (ولما) كان علم التصوف إنما هو نتائج الأعمال الصحيحة وثمرات الأحوال الصافية من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم بدأ بالكلام على العمل فقال (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) الاعتماد على الشىء هو الاستناد عليه والركون إليه والعمل حركة الجسم أو القلب فان تحرك بما يوافق الشريعة سمى طاعة وإن تحرك بما يخالف الشريعة سمى معصية والأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام عمل الشريعه وعمل الطريقة وعمل الحقيقة (أو تقول) عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الأحسان (أو تقول) عمل العبادة وعمل العبودية وعمل العبودة أى الحرية (أو تقول) عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية (فالشريعة) أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده (أو تقول) الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لأصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر ، وإصلاح الجوارح بثلاثة أمور بالتوبة والتقوى والاستقامة ، وإصلاح القلوب بثلاثة أمور بالاخلاص والصدق والطمأنينة ، وإصلاح السرائر بثلاثة أمور بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة (أو تقول) إصلاح الظواهر باجتناب النواهى وأمتثال الأوامر ، وإصلاح الضمائر بالتخلية من الرذائل والتحلية بأنواع الفضائل ، وإصلاح السرائر وهى هنا الأرواح بذلها وانكسارها حتى تتهذب وترتاض بالأدب والتواضع وحسن الخلق ، واعلم أن الكلام هنا إنما هو فى الاعمال التى توجب تصفية الجوارح أو القلوب أو الارواح وهى ما تقدم تعيينها لكل قسم وأما العلوم والمعارف فانما هى ثمرات التصفية والتطهير فاذا تطهرت الأسرار ملئت بالعلوم والمعارف والانوار ولا يصح الانتقال إلى مقام حتى يحقق ماقبله فن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فلا ينتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة وترتاض جوارحه معها بأن يحقق التوبة بشروطها ويحقق التقوى بأركانها ويحقق الاستقامة بأقسامها وهى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله فاذا تزكى الظاهر وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة وهى التصفية من أوصاف البشرية على ما يأتى فاذا تطهر من أوصاف البشرية تحلى بأوصاف الروحانية وهى الأدب مع الله فى تجلياته التى هى مظاهره فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب وما بقى إلا حسن الأدب

(قال) بعض المحققين من بلغ إلى حقيقة الاسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل ومن بلغ إلى حقيقة الايمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله ومن بلغ إلى حقيقة الاحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله اه :

ولا يعتمد المريد فى سلوك هذه المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حوله وقوته وإنما يعتمد على فضل ربه وتوفيقه

(و) النهج والمنهاج هو الطريق الموصل إلى الحق والرشد هو مصادقة الحق والصواب لأن الرشد بالضم والرشد بالفتح هو الصواب والصواب هو مصادقة عين الحق وكأنه قال هدى خلقه إلى معرفته وإلى الطريق الموصلة إليه فقوم هداهم إلى معرفته من غير سلوك طريق وهم المجاذيب سواء رجعوا للسلوك أم لا وهم الذين أشار إليهم بقوله هدى إلى الحق أى هداهم إلى معرفة الحق وقوم هداهم إلى طريق معرفته ثم عرفهم به وهم أهل السلوك أولا ثم الجذب ثانياً وهم المشار اليهم بقوله ونهج الرشد أى هداهم إلى طريق الصواب ثم فتح فى وجوههم الباب فبلغوا منية الألباب والله أعلم بالحق والصواب ثم أشار إلى الراوية الثالثة فى الحديث وهى الامر بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الابتداء فقال

ثم صلاة الله والسلام على النبى ما انجلا الظلام

قلت الصلاة من الله على حبيبه هى محبته وعطفه عليه وتقريبه واجتباؤه اليه والسلام هو طيب تحيه وإكرام ، وتمام إحسان وإنعام ، والناس فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم يصلون على صورته البشرية

وهدايته وتسديده قال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقال تعالى (ولوشاء ربك مافعلوه ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك) (وقال) صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته فالاعتماد على النفوس من علامة الشقاء والبؤس. والاعتماد على الأعمال من عدم التحقق بالزوال، والاعتماد على الكرامة والأحوال، من عدم صحبة الرجال، والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله، وعلامة الاعتماد على الله أنه لا ينقص رجاؤه إذا وقع فى العصيان، ولايزيد رجاؤه إذا صدر منه إحسان (أوتقول) لا يعظم خوفه إذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاؤه إذا وقعت منه يقظة قد استوى خوفه ورجاؤه على الدوام لأن خوفه ناشىء عن شهود الجلال ورجاؤه ناشىء عن شهود الجمال وجلال الحق وجماله لايتغيران بزيادة ولا نقصان فكذا ماينشأ عنهما بخلاف المعتمد على الأعمال إذا قل عمله قل رجاؤه وإذا كثر عمله كثر رجاؤه لشركه مع ربه وتحققه بجهله ولو فنى عن نفسه وبقى بربه لاستراح من تعبه وتحقق بمعرفة ربه ولابد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك إلى راحتك بشهود ربك فالشيخ الكامل هو الذى يريحك من التعب لا الذى يدلك على التعب من دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على الله فقد نصحك كما قال الشيخ بن مشيش رضى الله عنه والدلالة على الله هى الدلالة على نسيان النفس فاذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) أى ماسواه وسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء بشئونها وحظوظها وأما من غاب عنها فلا يلقى إلا الراحة (وأما) قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) أى فى تعب فهو خاص بأهل الحجاب (أو تقول) خاص بأحياء النفوس وأما من مات فقد قال الله تعالى فيه (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) أى فروح لوصال وريحان لجمال وجنة لكمال وقال تعالى (لايمسهم فيها نصب) أى تعب ولكن لاتدرك الراحة إلا بعد التعب ولا يحصل الظفر إلا بالطلب حفت الجنة بالمكاره

أيها العاشق معنى حسننا — مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضنى وروح فى العنا — وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا — وإذا ماشئت أد الثمنا
فافن ان شئت فناء سرمدا — فالفنا يدنى إلى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت إلى — ذلك الحى ففيه قدسنا

وهم أهل الدليل والبرهان فهم يشخصونها فى قلوبهم فى حال الصلاة عليه فاذا أكثروا من الصلاة عليه بالحضور ثبتت الصورة الكريمة فى قلوبهم فيرونه فى المنام كثيرا وربما تتشكل روحه الكريمة على صورة جسده الطيب فيرونه يقظة (و) قسم يصلون على روحه النورانية وهم أهل الشهود من السائرين فهم يصلون على نوره الفائض من الجبروت فيشاهدونه فى غالب أوقاتهم على قدر حضورهم وشهودهم (و) قسم يصلون على نوره الأصلى الذى هو نور الأنوار وهم أهل الرسوخ والتمكين من أهل الشهود والعيان وهؤلاء لايغيب عنهم النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه لو غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسى من المسلمين اشارة إلى رسوخه وتمكنه فى الحضرة ورجوعه إلى البقاء بشهود الواسطة وهؤلاء أفكارهم تجول فى الملكوت وأرواحهم متصلة بالجبروت فقد اجتمع فيهم ما افترق فى غيرهم كما قال عليه السلام كل الصيد فى جوف الفرا والفرا هو حمار الوحش وهو أسمن الصيد فمن ظفر به فكأنما ظفر بالصيد كله وكما قال الشاعر:

وعن الكونين كن متخلعاً　　وأزل ما بيننا من بيننا
وإذا قيل من تهوى فقل　　أنامن أهوى ومن أهوى أنا

وقال فى حل الرموز ثم اعلم أنك لاتصل إلى منازل القربات ، حتى تقطع ست عقبات ، العقبة الأولى فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية ، العقبة الثانية فطم النفس عن المألوفات العادية ، العقبة الثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية ، العقبة الرابعة فطم النفس عن الكدورات الطبيعية ، العقبة الخامسة فطم الروح عن البخورات الحسية ، العقبة السادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية ، فتشرف من العقبة الأولى على ينابيع الحكم القلبية وتطلع من العقبة الثانية على أسرار العلوم اللدنية وتلوح لك فى العقبة الثالثة أعلام المناجات الملكوتية ويلمع لك فى العقبة الرابعة أنوار المنازلات القربية وتطلع لك فى العقبة الخامسة أنوار المشاهدات الحبية وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهنالك تغيب بما تشاهده من من اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا أرادك لخصوصيته الاصطفائية سقاك بكأس محبته شربة تزداد بتلك الشربة ظمأ و بالذوق شوقا و بالقرب طلبا و بالسكر قلقاً اه المراد منه

(تتميم) أشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) مع قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله الحديث والجواب أن الكتاب والسنة ورداً بين شريعة وحقيقة

(أو تقول) بين تشريع وتحقيق فقد يشرعان فى موضع ويحققان فى آخر فى ذلك الشىء بعينه وقد يحققان فى موضع ويشرعان فيه فى آخر وقد يشرع القرآن فى موضع وتحققه السنة وقد تشرع السنة فى موضع ويحققه القرآن فالرسول عليه السلام مبين لما أنزل الله قال تعالى(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) فقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هذا تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله هذا تحقيق لأهل القدرة وهم أهل الحقيقة كما أن قوله تعالى وماتشاؤون إلا أن يشاء الله تحقيق وقوله صلى الله عليه وسلم إذا هم أحدكم بحسنة كتبت له حسنة تشريع (والحاصل) أن القرآن تقيده السنة والسنة يقيدها القرآن فالواجب على الانسان أن تكون له عينان إحداهما تنظر إلى الحقيقة والأخرى تنظر إلى الشريعة فاذا وجد القرآن قد شرع فى موضع فلا بد أن يكون قد حقق فى موضع آخر أو تحققه السنة وإذا وجد السنة قد شرعت فى موضع فلابد أن تكون قد حققت

وليس على الله بمستنكر　　أن يجمع العالم فى واحد

(و) قوله ماانجلا الظلام ما ظرفية أى مدة انجلاء الظلام حسا ومعنى وانجلاؤه إما بظهور النور الحسى على الظلمة الحسية وهذا مستمر إلى يوم القيامة وإما بظهور نور الهدايا على ظلمة الغواية أو نور اليقظة على ظلمة الغفلة أو نور شموس العرفان على ظلمة الأكوان أو نور الترقى فى المواهب والأسرار على ماقبله من المقامات والأنوار وهذا الأخير لاينقطع أبداً وكلام الناظم محتمل والله تعالى أعلم ثم شرع فى المقصود فقال

(يا سائلا عن سنن الفقير　　سألت ما عز عن التحرير)

قلت السنن بالضم جمع سنة وهى الطريقة والسنن بالفتح مفرد بمعنى الطريق ويصحان هنا والفقير فى الاصطلاح هو المتوجه إلى الحق على بساط الصدق وقال سهل رضى الله عنه الفقير الذى لايملك ولا يملك ولا يرى غير الوقت الذى هو فيه وقال السهروردى الفقر أساس التصوف وبه قوامه وقال غيره الفقر صفة مهجورة تنفر منه الطباع وتفر منه النفس،

فى موضع آخر أو حققها القرآن ولا تعارض حينئذ بين الآية والحديث ولا اشكال وهنا جواب آخر وهو ان الله تعالى لما دعا الناس إلى التوحيد والطاعة على انهم لايدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل فلما رسخت اقدامهم فى الاسلام أخرجهم عليه السلام من ذلك الحرف ورقاهم إلى اخلاص العبودية والتحقق بمقام الاخلاص فقال لهم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله والله تعالى أعلم وهنا أجوبة لأهل الظاهر لا تجدى شيئاً ولما كان الانتقال من عمل الظاهر إلى عمل الباطن لابد أن يظهر أثره على الجوارح قال تعالى (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) الآية وظهور الأثر هو التجريد أشار اليه بقوله (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الأسباب من الشهوة الخفية وارادتك الأسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية) قلت التجريد فى اللغة هو التكشيط والازالة تقول جردت الثوب أزلته عنى وتجرد فلان أزال ثوبه وجردت الجلد أزلت شعره وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجرد الظاهر فقط أو الباطن فقط أو هما معا فتجريد الظاهر هو ترك الأسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسمانية والتجريد الباطنى هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معا هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسمانية (أو تقول) تجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو افراد القلب والقالب لله والتجريد الكامل فى الظاهر هو ترك الأسباب وتعرية البدن من معتاد الثياب وفى الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليته بكل وصف كريم وهو أى التجريد الكامل الذى أشار اليه شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب بقوله

اقارئين علم التوحيد　　هنا البحور الى تغنى
هذامقام أهل التجريد　　الواقفين مع ربى

(وأما) من جرد ظاهره دون باطنه فهو كذاب كمن كسى النحاس بالفضة باطنه قبيح وظاهره مليح ومن جرد باطنه دون ظاهره إن تأتى ذلك فهو حسن كمن كسى الفضة بالنحاس وهو قليل إذ الغالب أن من تنشب ظاهره تنشب باطنه ومن اشتغل ظاهره بالحس اشتغل باطنه به والقوة لاتكون فى الجهتين ومن جمع بين تجريدى الظاهر والباطن فهو الصديق الكامل وهو الذهب المشحر الصافى الذى يصلح لخزانة الملوك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه آداب الفقير المتجرد أربعة الحرمة للأكابر والرحمة للاصاغر والانصاف من نفسك وعدم الانتصار لها (وآداب) الفقير المتسبب أربعة (موالاة) الأبرار ومجانبة الفجار وايقاع الصلاة فى الجماعة ومواساة الفقراء والمساكين بما يفتح عليه وينبغى له أيضاً أن

وهو من الاسباب التى تجلس العبد بين يدى الله على بساط الصفا واختلف هل الفقير أبلغ من الصوفى لأن الفقير من لم تبق فيه بقية بخلاف الصوفى أو الصوفى أبلغ لأن الصوفى من صفت أحواله ولم يبق فيه كدر أصلا بخلاف الفقير والتحقيق أن الفقير هو المتوجه إلى الله بأنوار التوجه والصوفى له أنوار المواجهة فالصوفى أبلغ من الفقير لان الصوفى واصل والفقير راحل، الصوفى صفت له الغزول والفقير بين الطلوع والنزول الصوفى لايرى فى الدارين غير الله ولا يشهد مع الحق سواه قد سخر له كل شىء ولم يسخر هو لشىء يأخذ النصيب من كل شىء ولم يأخذ منه النصيب شيئاً إلى غير ذلك مما اشتمل عليه من الاوصاف الكاملة بخلاف الفقير فهو فى طريق المجاهدة فنهاية الفقير بداية الصوفى والله تعالى أعلم وقيل هما شىء واحد وهو ظاهر المصنف فى مواضع من هذا الكتاب وسنن الفقير هى طرقه الى يسلكها وآدابه التى يتأدب بها وفى نسخة فتح السين يكون المعنى ياسائلا عن طريق الفقير التى يسلكها حتى يصل الى ربه ونسخة الضم أحسن ويكون أشار بالسنن إلى شروط الفقير وآدابه لانها من طرقه التى يسلكها ويمر عليها اما شروطه فثمانية (قصد) صحيح (و) صدق

يتأدب بآداب المتجردين إذ هو كال فى حقه ومن آداب المتسبب إقامته فيما أقامه الحق تعالى فيه من فعل الأسباب حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقله منها على لسان شيخه إن كان أو بإشارة واضحة كتعذرها من كل وجه فحينئذ ينتقل للتجريد فارادته التجريد مع إقامته تعالى له فى الأسباب من الشهوة الخفية لأن النفس قد تقصد بذلك الراحة ولم يكن لها من اليقين ما تحمل به مشاق الفاقه فاذا نزلت بها الفاقة تزلزلت واضطربت ورجعت إلى الأسباب فيكون أقبح لها من الإقامة فيها فهذا وجه كونها شهوة وإنما كانت خفية لأنها فى الظاهر أظهرت الانقطاع والتبتل وهو مقام شريف وحال منيف لكونها فى الباطن أخفت حظها من قصد الراحة أو الكرامة أو الولايه أو غير ذلك من الحروف ولم تقصد تحقيق العبودية وتربية اليقين وفاتها أيضاً الادب مع الحق حيث أرادت الخروج بنفسها ولم تصبر حتى يؤذن لها وعلامة إقامتها فيها دوامها له مع حصول النتائج وعدم العوائق القاطعة له عن الدين وحصول الكفاية بحيث إذا تركها حصل له التشوف إلى الخلق والاهتمام بالرزق فاذا انخرمت هذه الشروط انتقل إلى التجريد (قال) فى التنوير والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب

(قال) بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه فتركنى السبب فلم أعد إليه قال ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة التى أنا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير ان اسأله صحبنى إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذا الطريق شيئاً فجاء إلى فقال لى يا سيدى أخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما انت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو لك واصل ثم قال الشيخ ونظر إلى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه . (قال) رضى الله عنه إنما منعه من التجريد لشره نفسه اليه والنفس إذا شرهت للشىء كان خفيفاً عليها والخفيف عليها لا خير فيه وماخف عليها إلا لحظ لها فيه ثم قال فلا يتجرد المريد فى حال القوة حتى تفوت إن أراد أن يستفيد فان جردها فى حال القوة أتاه الضعف فيعقبه الخصمان ويشوشونه ويفتنونه وربما إذا لم يدركه المولى بلطفه سامح فى الخلطة يرجع إلى ماخرج منه حتى يبى ءظنه بأهل

صريح (و) آداب مرضية (و) احوال زكية (و) حفظ الحرمة (و) حسن الخدمة (و) رفع الهمة (و) نفوذ العزيمة (وآدابه) خمسه خلع العذار (و) الذل والانكسار (و) البذل والايثار (و) صحبه العارفين الأبرار (و) بذل المجهود فى الطاعة والأذكار (اما) القصد الصحيح فهو أن يكون مراده بالدخول فى صحبة الشيخ تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية دون كرامات ولا تحصل مقامات ولا إدراك درجات ولا طلب حظوظ نفسانية (وأما) الصدق فالمراد به هنا التصديق بسر الخصوصية عند من يصحبه وهو أساس الطريق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقى فى حوز الشيخ ألف عام فالصدق هو معرفة السر فكل واحد يعرف من سر الشيخ على قدر صدقة فيه وهو ايضاً الثمن الذى ينفق به الفقير على روحه وقلبه وسره فمن لا صدق له فى الشيخ لا ينفق من سره شيئاً واليه اشار الشيخ الشرقى رضى الله عنه بقوله

من لا صـــدق ما عند باش ينفق   من لا حقق ما جاب امارا يابابا

(وأما) الآداب فهى مفتاح الباب فمن لا آداب له لا دخول له ومن أساء الآداب مع الأحباب طرد إلى البـاب

التجريدا ويقول ليسوا على شيء كلنا دخلنا البلد وما رأينا شيئاً والذى يثقل عليه التجريد أولا هو الذى ينبغى له أن يتجرد لأنه ما ثقل عليها الا حيث تحققت أن عنقها تحت السيف مهما حرك يده قطع أوداجها انتهى المقصود منه وأما المتجرد إذا أراد الرجوع إلى الأسباب من غير إذن صريح فهو انحطاط من الهمة العليه إلى الهمة الدنية أو سقوط من الولاية الكبرى إلى الولاية الصغرى قال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه قال لى شيخى سيدى العربى ياولدى لو رأيت شيئا أعلى من التجريد وأقرب وأنفع لأخبرتك به ولكن هو عند أهل هذه الطريقة بمنزلة الأكسير الذى قيراط منه يقلب ما بين الخافقين ذهباً كذلك التجريد فى هذه الطريق اه .

(وسمعت) شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول معرفة المتجرد أفضل وفكرته أنصع لأن الصفا من الصفاء والكدر من الكدر صفاء الباطن من صفاء الظاهر وكدر الباطن من كدر الظاهر وكلما زاد فى الحس نقص فى المعنى (وفى بعض) الأخبار إذ أخذ العالم شيئاً من الدنيا نقصت درجته عند الله وإن كان كريماً على الله وأما من أذن الله له فى السبب فهو كالمتجرد إذا صار حينئذ سببه عبودية والحاصل أن التجريد من غير إذن سبب والسبب مع الاذن تجريد وبالله التوفيق

« تنبيه » هذا الكلام كله مع السائرين وأما الواصلون المتمكنون فلا كلام عليهم إذهم رضى الله عنهم مأخوذون عن أنفسهم يقبضون من الله ويدفعون بالله قد تولى الحق تعالى امورهم وحفظ أسرارهم وحرس قلوبهم بجنود الأنوار فلا تؤثر فيها ظلم الأغيار وعليه يحمل حال الصحابة فى الأسباب رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين .

« واعلم » أن المتسبب والمتجرد عاملان لله إذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه إلى الله تعالى حتى قال بعضهم مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما اعمل وكل وقال للاخر الزم أنت حضرتى وأنا أقوم لك بقسمتى ولكن صدق التوجه فى المتجرد أقوى لقلة عوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم (ولما) كانت همة الفقير المتجرد لا تخطىء فى الغالب لقوله عليه السلام ان لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم فى قسمهم قال شيخنا ولله رجال إذا اهتموا بالشيء كان باذن الله وقال أيضاً عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله خشى الشيخ أن يتوهم أحدان الهمة تخرق سور القدر وتفعل مالم يجر به القضاء والقدر فرفع ذلك بقوله (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) قلت السوابق جمع سابقة وهى المتقدمة والهمم جمع همة والهمة قوة انبعاث القلب فى طلب الشيء والاهتمام به فان كان ذلك الأمر رفيعاً كمعرفة الله وطالب رضاه سميت همة عالية وإن كان أمراً حسيساً كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة دنية وسوابق الهمم من اضافة الموصوف إلى الصفة أى الهمم السوابق لا تخرق أسوار الأقدار أى إذا اهتم العارف أو المريد بشيء وقويت همته

ثم إلى سياسة الدواب (وقد) كان بعض الأولياء يأمر من يريد الدخول معه بصحبة أهل المخزن حتى يتأدب وسيأتى الكلام على الآداب فى محله إن شاء الله فمن لم يتأدب مع الشيوخ والإخوان لاتزيده صحبتهم إلا الحرمان (وأما) الأحوال الزكية فهى أن تكون موافقة للشريعة بحيث لا يؤذى أحدا من الناس فالفقير الذى ليست له أحوال لايبلغ مقامات الرجال أو السير إلى حضرة القدوس إلا بمخالفة النفوس ولولا ميادين النفوس أى محاربتها ما تحقق سير السائرين فالمراد بالأحوال هنا هى خرق عوائد النفس وتخريب ظاهرها يتعاطى ما يسقط جاهها وعزها من الأمور المباحة وهذه هى الأحوال المرضية الصافية وأما الأحوال التى تخالف الشريعة وهى الأحوال الظلمانية فلا يتنور صاحبها بل لاتزيده إلا ظلمة فكما لا يصح دفن الزرع فى الأرض الردية كذلك لا يجوز الخول بحالة غير مرضية فالأحوال الصافية هى التى لاضرر فيها لأحد ولا تخالف أمر الشريعة وأما قصة لص الحمام فهى حال غالبة عليه لا يقاس عليها وأما حفظ الحرمة فتصدق بحرمة الشيخ حاضرا أو غائباً حياً أو ميتاً فلا يجلس فى موضع يذكر فيه بسوء أو ينتقص منه وتصدق بحرمة الإخوان فيتحمل أذاك ويصبر

بذلك فان الله تعالى يكون ذلك بقدرته فى ساعة واحدة حتى يكوّن أمره بامر الله وكان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول المريد الصادق إذا كان فانياً فى الإسم مهما اهتم بالشىء كان وإن كان فانياً فى الذات تكون الشىء الذى يحتاجه قبل أن يهتم به أو كلام هذا معناه وهو صحيح وفى بعض الأخبار يقول الله تعالى عبدى أنا الله الذى أقول للشىء كن فيكون فأطعنى أجعلك تقول للشىء كن فيكون وفى الحديث الصحيح أيضاً فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصرا ويدا ومؤيدا إن سألنى أعطيته الحديث ومع ذلك لا ينفصل بذلك ولا يتكون إلا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه فهمة العارف تتوجه للشىء فإن وجدت القضاء سبق به كان ذلك بإذن الله وإن وجدت سورة القدر مضروباً عليه لا تخرقه بل تتأدب معه وترجع لوصفها وهى العبودية فلا تتأسف ولا تحزن بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها وتحققها بوصفها وقد كان شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول نحن إذا قلنا شيئاً نخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وذلك لتحققه بمعرفة الله .

(قيل) لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بنقض العزائم وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية وإن كان صاحبها ناقصاً كما يقع للعاين والساحر عن خبثهما أو لخاصية جعلها الله فيهما إذا نظرا لشىء بقصد انفعل ذلك بإذن الله وهذا كله أيضاً لا يخرق أسوار الأقدار بل لا يكون إلا ما أراد الواحد القهار قال تعالى : (وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله وقال تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) وقال تعالى تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقال صلى الله عليه وسلم كل شىء بقضا وقدر حتى العجز والكيس أى النشاط للفعل وأشعر قوله سوابق أن الهمم الضعيفة لا ينفعل لها شى وهو كذلك فى الخير والشر وفى استعارته الخرق والأسوار ما يشعر بالقوة فى الجانبين لكن الحاصر قاهر فلا عبرة بقوة العبد القاصر وإذا كانت الهمة لا تخرق أسوار الأقدار فما بالك بالتدبير والاختيار الذى أشار اليه بقوله :

(أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت لنفسك) قلت التدبير فى اللغة هو النظر فى الأمور وأواخرها وفى الاصطلاح هو كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه تقدير شؤون يكون عليها فى المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض فان كان مع تفويض هو أخرى فنية خير أوطبيعى فشهوة أو دنيوى فأمنية اه فاقتضى كلامه أن التدبير على ثلاثة أقسام قسم مذموم وقسم مطلوب وقسم مباح فأما القسم المذموم فهو الذى يصحبه الجزم والتصميم سواء أكان دينياً أو دنيوياً لما فيه من قلة الأدب وما يتعجله لنفسه من التعب إذ ما قام به الحى القيوم عنك لا تقوم به أنت عن نفسك

على جفاهم ويعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم فمن كسره الإخوان لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ قد يجبره الإخوان ويصدق بحرمة جميع المسلمين وخصوصاً العلماء والصالحين فلحومهم سموم وقد قالوا أركان التصوف مجموعة فى أربعة أشياء وهى كف الأذى وحمل الجفا وشهود الصفا ورمى الدنيا بالقفا (وأما) حسن الخدمة فتصدق أيضاً بخدمة الشيخ وخدمة الإخوان (وفى الحديث) سيد القوم خادمهم وتصدق بخدمة الحق وهى المقصود الأعظم (وأما) رفع الهمة فهو أن يكون قصده طلب الدنيا والآخرة بل يكون قصده معرفة مولاه كما تقدم فى القصد الصحيح وربما يغنى عنه (وأما) نفوذ العزيمة فمعناه أن تكون عزيمته دوام السير إلى تحقيق الوصول إلى معرفة مولاه لا قصد التبرك والحرمة وإذا عزم على شىء أنفذه (وأما) خلع العذار فهو خلع الأوصاف المذمومة وإبدالها بالأوصاف المحمودة وقيل هو خلع لباس العز والاستشهار وإبداله بلباس الذل والانكسار وقيل هو خلع الرجل من نعل الكونين فيرجع إلى رفع الهمة والعذار فى اللغة هو مازين به وجه الفرس فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالعبد من العذار الجيد على خد الفرس ذكره التجيبى (وأما) الذل والانكسار

وغالب ما تدبره لنفسك لاتساعده رياح الاقدار ، وتعقبه الهموم والأكدار ولذلك قال أحمد بن مسروق من ترك التدبير فهو فى راحة وقال سهل بن عبد الله ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الروح والراحة فى الرضى واليقين وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تختر من أمرك شيئاً واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شىء إلى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار اه وقال أيضاً إن كان ولا بد من التدبير فدبر أن لا تدبر وقيل من لم يدبر دبر له وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه من أوصاف الولى الكامل أن لا يكون محتاجاً إلا إلى الحال الذى يقيمه مولاه فى الوقت يعنى ماله مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة اه فكلام هؤلاء السادات محمول على ما إذا كان بالنفس مع الجزم وأما ما كان مع التفويض فليس بمذموم مالم يطل (وأما) القسم المطلوب فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات وما ندبت اليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر إلى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله وقال أيضا حاكيا عن الله سبحانه إذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة الحديث وهذا مفهوم قول الشيخ فما قام به غيرك إذ مفهومه إن ما لم يقم به عنك وهو الطاعة لا يضرك تدبيره ولذلك قال إبراهيم الخواص رضى الله عنه العلم كله فى كلمتين (لا تتكلف ما كفيت) ولا تضيع ما استكفيت فقوله لا تتكلف ما كفيت هو القسم الأول المذموم وقوله ولا تضيع ما استكفيت هو القسم الثانى المطلوب وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شىء إنما هو مختار الله لك واسمع وأطلع وهذا محل الفقه الربانى والعلم الالهامى وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى اه وقوله لمن استوى أى كمل عقله وتمت معرفته واستوت حقيقته مع شريعته لكن لا ينبغى الاسترسال معه فيشغله عن الله وأما القسم المباح فهو التدبير فى أمر دنيوى أو طبيعى مع التفويض للمشيئة والنظر لما يبرز من القدرة غير معوّل على شىء من ذلك وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم التدبير نصف العيش بشرط أن لا يردده المرة بعد المرة فالقدر المباح منه هو مروره على القلب كالريح يدخل من طاقة ويخرج من أخرى وهذا هو التدبير بالله وهو شأن العارفين المحققين وعلامة كونه بالله أنه إذا برز من القدرة عكس ما دبر لم ينقبض ولم يضطرب بل يكون كما قال الشاعر :

سلم لسلمى وسر حيث سارت … واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

فهو الخضوع لله ولا يتحقق إلا بالخضوع لعباد الله فلا يتحقق ذل الفقير حتى يظهر بين أبناء جنسه والحاصل أنه لا بد من الذل قلباً وقالباً كما قال ابن الفارض

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل … إذا رضى المحبوب صح لك الوصل

وقال آخر :

وما رمت الدخول عليه حتى … حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها … وصنت النفس عن قال وقيل

(وأما) البذل والايثار فمرجعه إلى سخاوة النفس وهو شرط فى الفقير فقد قالوا من أقبح القبيح ، صوفى شحيح وعلامة خروج الدنيا من القلب بذلها عند الوجد والصبر عنها عند الفقد والزهد عند المحققين إذا وجدوا آثروا وإذا فقدوا شكروا (وأما) صحبة العارفين فهى من الأمور المؤكدة وذكرها مع الشروط أليق فالمرء على دين خليله وفى الحكم لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وليست طريق السلوك بطريق العزلة بل هى طريق الصحبة والاجتماع والاستماع

وقال فى التنوير (فائدة) اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدى اليه فالتدبير المذموم ماشغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو الذى يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله أنظر بقية كلامه فهذا تحرير ما ظهر لى فى شأن التدبير وقد ألف الشيخ رضى الله عنه فيه كتاباً سماه التنوير فى إسقاط التدبير أحسن فيه وأجاد ومرجعه إلى ما ذكرنا والله تعالى أعلم (ولما) كله اطلع عليه الولى الكامل سيدى ياقوت العرشى فلما طالعه قال له جميع ما قلت مجموع فى بيتين وهما هاتان .

ما ثم إلا ما أراد فاترك همومك واطرح
واترك شواغلك التى شغلت بها تسترح

ولما كان الانهماك فى التدبير والاختيار يدل على انطماس البصيرة وتركهما أو فعلهما بالله يدل على فتح البصيرة ذكر علامة أخرى أظهر وأشهر منهما على فتح البصيرة أو طمسها فقال (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك) قلت الاجتهاد فى الشىء استفراغ الجهد والطاقة فى طلبه والتقصير هو التفريط والتضييع والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة لا ترى إلا المعانى والبصر لا يرى إلا المحسوسات (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا اللطيف والبصر لا يرى إلا الكثيف (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا القديم والبصر لا يرى إلا الحادث (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا المكون والبصر لا يرى إلا الكون فاذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله فى الظاهر بخدمته وفى الباطن بمحبته فكلما عظمت المحبة فى الباطن والخدمة فى الظاهر قوى نور البصيرة حتى يستولى على البصر فيغيب نور البصر فى نور البصيرة فلا يرى إلا ما تراه البصيرة من المعانى اللطيفة والأنوار القديمة وهذا معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب :

غيبت نظرى فى نظر وأفنيت عن كل فانى
حققت ما وجدت غير وأمسيت فى الحال هانى

وإذا أراد الله خذلان عبده أشغله فى الظاهر بخدمة الأكوان وفى الباطن بمحبتها فلا يزال كذلك حتى ينطمس نور بصيرته فيستولى نور بصره على نور بصيرته فلا يرى إلا الحس ولا يخدم إلا الحس فيجتهد فى طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ولو كان بدل الاجتهاد استغراقا وبدل التقصير تركا

والاتباع فالجمع رحمة والفرقة عذاب (وفى الحديث يد الله مع الجماعة أى الدالين على الله أو ما يقرب إلى الله .

(وأما) بذل المجهود فى تعمير الأوقات فى الطاعات والأذكار فهذا هو المقصود من الطريق والأهم عند أهل التحقيق فكل ساعة تأتى على الفقير لا يذكر الله فيها كانت عليه حسرة فى الدنيا والآخرة فأوقات الفقير دائرة بين ذكر أومذاكرة أو فكرة أو نظرة أو تقول الفقير ليس له فكرة ولا هدرة إلا فى الحضرة أو ما يوصل للحضرة وما سوى هذا بطالة وفترة وبالله التوفيق .

(وقوله) سألت ماعز أى سألت عما عز أى غلب وامتنع تحريره أى فتحه واستخراج المقصود منه وإنما امتنع تحريره لمادخله من التخليط الذى ألحقه به أهل التوسم فى هذه الأزمنة مع خفاء مراده ومداركه لأن هذا العلم ليس هو قلقلة اللسان وإنما هو أذواق ووجدان فمن سأل تحريره بعبارة اللسان فقد سأل عن شىء عزيز الإتيان ممنوع البيان وسيأتى الكلام عليه عند قوله إياك أن تطمع أن تحوزه من دفتر أو شعر أو أرجوزة ثم بين وجه عزته فقال :

إن الذى سألت عنه مات وصار بعد اعظما رفات

لكان بدل الطمس عمى وهو الكفر والعياذ بالله لأن الدنيا كنهر طالوت ولا ينجو منها الا من يشرب أو اغترف غرفه بيده لا من شرب على قدر عطشه فافهم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه البصيرة كالبصر أدنى شيء يقع فيه يمنع النظر وإن لم ينته إلى العمى فالخطرة من الشيء تشوش النظر وتكدر الفكر والارادة له تذهب بالخير رأساً والعمل به يذهب عن صاحبه سهماً من الاسلام فيما هو فيه ويأتى بضده فاذا استمر على الشر تفلت منه الاسلام فإذا انتهى إلى الوقيعة فى الامة وموالاة الظلمة حبا فى الجاه والمنزلة وحبا للدنيا على الآخرة فقد تفلت منه الاسلام كله ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا فانه لا روح له إذ الاسلام حب الله وحب الصالحين من عباده انتهى ولما كان الاجتهاد فى المضمون كله مذموم كان بالفعل كما تقدم أو بالقول وهو الاستعجال فى تحصيله قبل ابانه بالدعاء أو بغيره أشار إلى ذلك بقوله (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفى الوقت الذى يريد لافى الوقت الذى تريد) قلت الالحاح فى الشيء وهو تكرره من وجه واحد والدعاء طلب مصحوب بأدب فى بساط العبودية لجناب الربوبية والموجب للشيء ما كان أصلا فى وجوده واليأس قطع المطامع

(اعلم) أن من أسمائه تعالى القيوم وهو مبالغة فى القيام فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه وعين لكل مظهر وقتاً محدودا وأجلا معلوما ولكل واحد شكلا معلوماً ورزقا مقسوماً فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فاذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فارجع إلى وعد الله واقنع بعلم الله ولا تحرص فنى الحرص تعب ومذلة

(قال) شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه الناس تقضى حوائجهم بالحرص فيها والجرى عليها ونحن تقضى حوائجنا بالزهد فيها والاشتغال بالله عنها اه .

وإن كان ولا بد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبا للحفظ فان تركت الحظوظ صبت عليك الحظوظ وإن غلب عليك وأراد الطلب وطلبت شيئاً ثم تأخر عنك وقت العطاء فيه فلا تتهم الله فى وعده حيث قال (ادعونى استجب لكم) ولا تيأس من نواله ورفده فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يريد من خير الدنيا وخير الآخرة وقد يمنعك لطفاً بك لكون ذلك المطلب لا يليق بك كما قال الشيخ أبو الحسن اللهم أنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث تعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما نعلم وقد قال بعض المفسرين فى قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخير) ما موصولة أى ويختار الأمر الذى لهم فيه خيريتهم وقد يكون أجابك وعين لذلك وقتا هو أصلح لك وأنفع فيعطيك

فطمست أعلامه تحقيقاً   فلم تجد بعد لها طريقاً

يعنى أن الطريق الذى سأل عنه السائل مات بموت أهله واندرس خبره وصار كأنه شخص مات ورمم وصار عظاما رفاتا (و) فى الحديث أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ولا فرق بين العلم الظاهر والباطن فى كونه يذهب بذهاب أهله .

(وقوله) فطمست أعلامه أى ما يدل عليه ويوصل إلى تحصيله فاعلام الشيء مادل على وجوده منه سمى الكون عالما لدلالته على صانعه فكأن علم التصوف قد طمست طرقه الموصلة إلى تحقيقه فلم تبق له طريق توصل اليه وهذا معنى قوله فلم تجد بعد أى بعد طمس أعلامه لها أى لتلك الأعلام والآثار التى توصل اليه طريقاً لتسلكها حتى تبلغك إلى تحقيق ما سألت عنه ومضمن كلامه أن الصوفية المحققين السالكين على منهاج المتقدمين قد قلوا جدا حتى كأن علومهم ماتت وبليت وصارت رميما وطرقهم قد طمست وأذواقهم قد اندرست ولم يبق على منهاجهم إلا القليل ومثل ما قاله الناظم قاله من قبله ففى كل

ذلك فى الوقت الذى يريد لافى الوقت الذى تريد وقد يؤخر لك ذلك لدار الكرامة والبقاء وهو خير لك وأبقى (وفى الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن داع إلا وهو بين احدى ثلاث إما أن تعجل له طلبته وإما أن يدخر له ثوابها وأما أن يصرف عنه من السوء مثلها الحديث

(وقال) الشيخ عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج ممن قيل له اقضوا حاجته فانى أكره أن أسمع صوته فان كان مع اختيار الحق تعالى لامع اختياره لنفسه كان مجاباً وان لم يعط والأعمال بخواتمها اه ثم حقق لك ما تقدم من انجاز الوعد ونفوذ الموعود ولكن على الوجه الذى يريد وفى الوقت الذى يريد وأمرك فى ذلك بالصدق والتصديق ونهاك عن الشك والترديد ليكمل بذلك فتح بصيرتك وتبتهج أنوار سريرتك فقال (لايشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) التشكيك فى الشيء هو التردد فى الوقوع وعدمه والوعد الأخبار بوقوع الشيء فى محله والموعود المخبر به والقدح فى الشيء التنقيص له والغض من مرتبته والبصيرة القوة المهيئة لادراك المعانى والسريرة القوة المستعدة لتمكن العلم والمعرفة واعلم أن النفس والعقل والروح والسر شيء واحد لكن تختلف النسامى باختلاف المدارك فما كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فمدركه من العقل وما كان مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح وما كان من مدارك التحقيقات والتمكنات فمدركه السر والمحل واحد واخماد الشيء خفاؤه بعد ظهوره قلت إذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحى أو الالهام من نبى أو ولى أو بجل قوى فلا تشك أيها المريد فى ذلك الوعد ان كنت صديقا فان لم يتعين زمنه فالأمر واسع وقد يطول الزمان وقد يقصر فلا تشك فى وقوعه وإن طال زمنه وقد كان بين دعاء سيدنا موسى وهارون على فرعون بقوله (ربنا اطمس على أموالهم) الآية أربعون سنة على ماقيل وإن تعين زمنه ولم يقع ذلك عند حلوله فلا تشك فى صدق ذلك الوعد فقد يكون ذلك مترتباً على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى عن ذلك النبى أو الولى لتظهر قهريته عزته وحكمته وتأمل قضية سيدنا يونس عليه السلام حيث أخبر قومه بالعذاب لما أخبر به وفرعنهم وكان ذلك متوقفاً على عدم اسلامهم فلما أسلموا تأخر عنهم العذاب وكذلك قضية سيدنا نوح عليه السلام حيث قال إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق فوقف مع ظاهر العموم فقال له تعالى (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) ونحن إنما وعدناك بنجاة الصالح من أهلك وان فهمت العموم فعلمنا

عصر يقول أهله قد ذهب التصوف وذهب أهله لما يرون ما انكب عليه الجاهلون وما استجلته المدعون (قال) الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا الذى تتكلم فيه قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وإنما تتكلم فى حواشيه وكان أيضا يقول قد كنت أجالس قوما سنين يتحاورون فى علوم لاأفهمها ولاأدرى ماهى وما بليت بالانكار قط كنت أتقبلها وأحبها من غير أن أعرفها وكان أيضا يقول كنا نتجارى مع إخواننا قديما فى علوم كثيرة مانعرفها فى وقتنا هذا ولا سألنى عنها أحد وهذا باب كأنه أغلق وردم اه

وقال فى قوت القلوب قال بعض علمائنا أنا أعرف للمتقين سبعين علماً كانوا يتحاورونها ويتعارفونها فى هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد قال وأعرف فى زماننا هذا علوما كثيرة من الأباطيل والغرور والدعاوى قد ظهرت وسميت علوما ثم قال وكان أمامنا سهل يقول بعد سنة ثلاثمائة لايحل أن يتكلم بعلمنا هذا يعنى لقلة أهله لأنه يحدث قوم يستمعون الحلف ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لباسهم ومعبودهم بطونهم وحليتهم كلامهم وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى صدر رسالته اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا من هذه الطائفة

متسع ولهذا السر الخفى كان الرسل عليهم السلام وأكابر الصديقين لايقفون مع ظاهر الوعد فلا يزول اضطرارهم ولا يكون مع غير الله قرارهم بل ينظرون لسعة علمه تعالى ونفوذ قهره ومنه قول سيدنا إبراهيم الخليل (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما) وقول سيدنا شعيب عليه السلام (ومايكون لنا أن نعود فيها) أى فى ملة الكفر إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علماً وقضية نبينا صلى الله عليه وسلم يوم بدر حيث دعا حتى سقط رداؤه وقال اللهم عهدك ووعدك اللهم أن تهلك هذه الصابة لم تعبد بعد اليوم فقال له الصديق حسبك يارسول الله فان الله منجز لك ماوعدك فنظر المصطفى أوسع لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد ووقف الصديق مع الظاهر فكل على صواب والنبى صلى الله عليه وسلم أوسع نظراً وأكمل علما .

(وأما قضية الحديبية) فلم يتعين فيها زمن الوعد لقوله تعالى (فعلم مالم تعلموا) وقد قال عليـــه السلام لعمر حين قال له ألم تخبرنا أنا ندخل مكة فقال له أقلت لك هذا العام فقال لا فقال إنك داخلها ومطوف بها فشد يدك ياأخى على تصديق ما وعدك الله به وحسن ظنك به وبأوليائه ولاسيما شيخك فاياك أن تضمر التكذيب أو الشك فيكون ذلك قدحا فى بصيرتك وقد يكون سببا فى طمسها ويكون أيضا إخماداً اى اخفاء واطفاء لنور سريرتك فترجع من حيث جئت وتهدم كل ما بنيت فانظر أحسن التأويلات والتمس احسن المخارج وقد تقدم قول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه نحن إذا قلنا شيئا فخرج فرحنا مرة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وماذاك إلا لوسع نظره وتمكنه فى معرفة ربه وايضا قد يطلع اولياءه على نزول القضاء ولا يطلعهم على نزول اللطف فينزل ذلك القضاء مصحوبا باللطف فينزل خفيفا سهلا حتى يظن انه لم ينزل وقد شهدنا هذا وما قبله من انفسنا ومن اشياخنا رضى الله عنهم فلم ينقص صدقنا ولم يخمد نور سريرتنا فلله الحمد ربنا .

(تنبيه) كان شيخنا الفقية العلامة سيدى التاودى بن سودة يستشكل هذه الحكمة ويقول كيف يتصور تعيين الزمان ان كان بالوحى فقد انقطع وان كان بالالهام فلا يلزم من الشك فيه القدح فى البصيرة إذ لايجب الايمان به قلنا كلامنا مع المريدين الصديقين السائرين او الواصلين وهم مطالبون بالتصديق للاشياخ فى كل مانطقوا به إذ هم ورثة الانبياء فهم على قدمهم فللانبياء وحى الاحكام وللاولياء وحى الالهام لأن القلوب إذا صفت من الاكدار والاغيار وملئت بالانوار والاسرار لايتجلى فيها إلا الحق فاذا نطقوا بشىء من وعد اووعيد يجب على المريد تصديقه فاذا دخله تشكيك أو ترددفيما وعده الله على لسان نبيه او شيخه قدح ذلك فى نور بصيرته واخمد سريرته فاذا لم يعين

إلا اثرهم وفى معناه قيل :

لا والذى حجت قريش بيته   مستقبلين الركنى من بطحائها
ما ابصرت عينى خيام قبيلة   إلا بكيت احبتى بفنائها
اما الخيام فانها كخيامهم   وارى نساء الحى غير نسائها

قال ابن العربى الحاتمى رضى الله عنه قال هذا فى زمانه حيث ادرك من تزيا بزى القوم وخالفهم فى باطنه واما اليوم فلا خيام ولا نساء ثم قال الأستاذ رحمه الله حصلت الفترة فى الطريقة لابل قد اندرست الطريقة بالحقيقة مضت الشيوخ الذين كان لهم اهتداء وظل الشباب الذين لااهم بسمتهم وسيرتهم اقتداء زال الورع وطوى بساطه وقوى الطمع واشتد رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدو قلة المبالات اوثق ذريعة رفضوا التميز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا باداء العبادة واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا فى ميادين الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات

زمنه انتظر وقوعه وان طال و إن عين زمنه ولم يقع تأول فيه ماتقدم فى حق الرسل من توقفه على أسباب وشروط خفية وبهذا فرقوا بين الصديق والصادق لأن الصديق لايتردد ولايتعجب والصادق يتردد ثم يجزم وان رأى خرق عادة تعجب واستغرب والله تعالى أعلم

(ولما) كانت التعرفات القهرية ظاهرها جلال وباطنها جمال لما يعقبها من أوصاف الكمال وربما يشك المريد فيما وعد الحق عبيها من الخيرات وما رتب عليها من الفتوحات نبه الشيخ على ذلك فقال (إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك فانه مافتحها عليك إلا وهو يريد أن يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه وأين ماتهديه اليه مما هو مورده عليك) فتح هنا بمعنى هيأ ويسر والغالب استعماله فى الخير فأشعر الاتيان به هنا أن جهة التعريف من الامور الجميلة والوجهة هى الجهة والمراد هنا الباب والمدخل والتعرف طلب المعرفة تقول تعرف لى فلان إذا طلب منى معرفته والمعرفة تمكن حقيقة العلم بالمعروف من القلب حتى لا يمكن الانفكاك عنه بحال والمبالاة التهمم بفوات الشىء (قلت) إذا تجلى لك الحق تعالى باسمه الجليل أو باسمه القهار وفتح لك منها بابا ووجهة لتعرفه منها فاعلم ان الله تعالى قد أعتنى بك وأراد أن يجتبيك لقربه ويصطفيك لحضرته فالتزم الأدب معه بالرضى والتسليم وقابله بالفرح والسرور ولاتبال بما يفوتك بها معها من الاعمال البدنية فانها هى وسيلة للاعمال القلبية فانه مافتح هذا الباب إلا وهو يريد أن يرفع بينك وبينه الحجاب ألم تعلم أن التعرفات الجلالية هو الذى أوردها عليك لتكون عليه وارداً والأعمال البدنية أنت مهديها اليه لتكون اليه بها واصلا وفرق كبير بين ماتهديه أنت من الاعمال المدخولة والاحوال المعلولة وبين ما يورده عليك الحق تعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم اللدنية فطب نفسا أيها المريد بما ينزل عليك من هذه التعرفات الجلالية والنوازل القهرية ومثل ذلك كالأمراض والاوجاع والشدائد والاهوال وكل ما يثقل على النفس ويؤلمها كالفقر والذل وأذية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس فكل ماينزل بك من هذه الأمور فهى نعم كبيرة ومواهب غزيرة تدل على قوة صدقك إذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف أشدكم بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل و(الصدق متبوع) وإذا أراد الله أن يطوى مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء حتى إذا تخلص وتشحر صلح للحضرة كما تصفى الفضة والذهب بالنار لتصلح لخزانة الملك ومازالت الشيوخ العارفون يفرحون بهذه النوازل ويستعدون لها فى كسب المواهب وكان شيخ شيوخنا سيدى على العمرانى رضى الله عنه يسميها ليلة القدر ويقول ليلة الحيرة هى ليلة

وقة المبالات إلى آخر كلامه وكذلك قال أبو مدين فى رائيته رضى الله عنه

واعلم بأن طريق القوم دارسة   وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

وكذلك قال شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه من تونس إلى واد نون لاتجد من يتكلم فى هذا العلم إلا رجلا أو رجلين كناية عن قلة وجود المحققين ولا يدل هذا على أنقطاعهم فنى كل زمان رجال يرحم الله بهم عباده فالعدد المعلوم لاينقطع حتى ينقطع الدين قال فى لطائف المنن سئل بعض العارفين عن أولياء العدد أينقصون فى زمن فقال لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الارض نباتها وفساد الوقت لايكون بذهاب أعدادهم ولا ينقص أمدادهم ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فاذا كان أهل الزمان معرضين عن الله عز وجل مؤثرين لما سوى الله لاتنجع أى لاتنجح فيهم الموعظة ولا تميلهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أهلا لظهور أولياء الله فيهم ولذلك قالوا أولياء الله عرائس ولايرى العرائس المجرمون ثم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا رأيت شحا مطاعا

القدر التى هى خير من ألف شهر لأجل مايجتنبه العبد منها من أعمال القلوب التى الذرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وقد قلت فى ذلك بيتين وهما .

إذا طرقت بابى من الدهر فاقة فتحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها أهلا وسهلا ومرحبا فوقتك عندى احظى من ليلة القدر

واعلم أن هذه التعرفات الجلالية هى اختبار من الحق ومعيار للناس وبها تعرف الفضة والذهب من النحاس فكثير من المدعين يظهرون على ألسنتهم المعرفة واليقين فاذا وردت عليهم عواصف رياح الاقدار ألقتهم فى مهاوى القنط والانكار من ادعى ماليس فيه فضحته شواهد الامتحان وكان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول العجب كل العجب ممن يطلب معرفة الله ويحرص عليها فاذا تعرف له الحق تعالى هرب منه وأنكره وقال شيخنا البزيدى رضى الله عنه هذه التعرفات الجلالية على ثلاثة أقسام قسم عقوبة وطرد وقسم تأديب وتنبيه وقسم زيادة وترق (أما) الذى هو عقوبة وطرد فهو الذى يسىء الأدب فيعاقبه الحق تعالى ويجهل فيها فيسخط ويقنط وينكر فيزداد من الله طردا وبعداً (وأما) القسم الذى هو تأديب فهو الذى يسىء الأدب فيؤدبه الحق تعالى فيعرفه فيها وينتبه لسوء أدبه وينهض من غفلته فهى فى حقه نعمة فى مظهر النقمة (وأما) الذى هى فى حقه زيادة وترق فهو الذى تنزل به هذه التعرفات من غير سبب فيعرف فيها ويتأدب معها ويترقى بها إلى مقام الرسوخ والتمكين اه بالمعنى :

(قلت) ولذلك قال بعضهم بقدر الامتحان يكون الامتكان وقال أيضاً اختبار الباقى يقطع التباقى

(فائدة) إذا أردت أن يسهل عليك الجلال فقابله بضده وهو الجمال فإنه ينقلب جمالا فى ساعته وكيفية ذلك أنه إذا تجلى باسمه القابض فى الظاهر فقابله أنت بالبسط فى الباطن فانه ينقلب بسطا وإذا تجلى لك باسمه القوى فقابله أنت بالضعف أو تجلى باسمه العزيز فقابله بالذل فى الباطن وهكذا يقابل الشىء بضده قياما بالقدرة والحكمة وكان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول ماهى إلا حقيقة واحدة أن شربتها عسلا وجدتها عسلا وإن شربتها لبنا وجدتها لبنا وإن شربتها حنظلات وجدتها حنظلات فاشرب ياأخى المليح ولا تشرب القبيح اه ومعنى كلامه رضى الله عنه هو كما تقدم كما تقابله يقابلك والله تعالى أعلم .

(ولما) تكلم على الأعمال وثمراتها وهو الأدب ومرجعه إلى السكون تحت مجارى الأقدار من غير تدبير ولا اختيار ولا تعجيل لما تأخر ولا تأخر لما تعجل بل يكون محط نظره إلى مايبرز من عنصر القدرة فيتلقاه بالمعرفة تكلم على تنويعها

وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك فسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فآثروا الخفا بل آثره الله لهم مع انه لابد ان يكون منهم فى الوقت أئمة ظاهرون قائمون بالحجة سالكون المحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من ناواهم إلى قيام الساعة وقد قال على كرم الله وجهه فى مخاطبته لكحيل بن زياد اللهم لاتخل الأرض من قائم لك بحجتك اولئك الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدراً قلوبهم معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله فى عباده وبلاده آه آه واشوقاه إلى رؤيتهم اه (وروى) الإمام الربانى محمد بن على الترمذى يرفعه إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره (وروى) أيضا يرفعه إلى ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتى أولها وآخرها وفى وسطها الكدر اه قلت وقد ظهرت هذه الطائفة أعنى الصوفية المحققين فى زماننا هذا وانتشرت معى والحمد لله انتشارا كثيرا منذ قدم شيخ شيخنا مع شيخه إلى بنى زروال ففاض بحرهما ثم انتشر فى البلاد فلا تجد مدينة ولا قبيلة إلا وفيها عارفون

وتهذيبها بتهذيب عاملها فقال (تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال) تنويع الشيء تكثيره والأعمال هنا عبارة عن حركة الجسم والواردات والأحوال عبارة عن حركة القلب فالخاطر والوارد والحال محلها واحد وهو القلب لكن مادام القلب تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية سمى ما يخطر فيه خاطراً وان انقعت عنه الخواطر الظلمانية سمى ما يخطر فيه وارداً أو حالا فاضافة أحدهما إلى الآخر اضافة بيانية وكلاهما يتحولان فان دام ذلك سمى مقاما (قلت)قد تنوعت أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة (أو تقول) أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فان ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون وان ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة وان ورد على القلب زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو ترك واحجام أى تأخر وان ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على الجوارح أثره وهو كد وتعب وان ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح أثره وهو شطح ورقص وان ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثره وهو راحة وركود الى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ عنها من الاعمال وقد تختلف هذه الاحوال على قلب واحد فيتلون الظاهر فى أعماله وقد يغلب على قلب واحد حال واحد فيظهر عليه أثره واحد فقد يغلب على الشخص القبض فيكون مقبوضا فى الغالب وقد يغلب عليه البسط كذلك الى غير ذلك من الاحوال والله تعالى أعلم

(وفى الحديث) ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب (قلت) ولاجل هذا المعنى اختلفت أحوال الصوفية فنهم عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون قال الشيخ زروق رضى الله عنه فى قواعده

(قاعدة) النسك الاخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك فان رام التحقيق فى ذلك اى النسك فهو العابد وان مال للأخذ بالاحوال فهو الورع وان آثر جانب الترك طالبا للسلام فهو الزاهد وان أرسل نفسه فى مراد الحق فهو العارف وان اخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد اه المراد منه (وقال) فى قاعدة اخرى لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقاصد بل يكون متحدا مع اختلاف مسالكه كالعبادة والزهادة والمعرفة مسالك لقرب الحق على سبيل الكرامة وكلها متداخلة فلا بد للعارف من عبادة والا فلا عبرة بمعرفته إذ لم يعبد معروفه ولا بد له من زهادة وإلا فلا حقيقة عنده إذ لم يعرض عما سواه ولا بد للعابد منهما إذ لا عبادة إلا بمعرفة اى فى الجملة والافراغ للعبادة إلا بزهد والزاهد كذلك إذ لا زهد الا بمعرفة أى فى الجملة ولا زهد الا بعبادة والاعاد بطالة نعم من

واولياء محققون الا قليلا ممن بعد منهم قد جدد الطريق بعد دروسها واشرقت على يديهما شموس الحقيقة بعد خمودها وكثر اللهج بذكر الله وانقلب كل العباد إلى الله فجزاهما عن المسلمين خيراً فقد صدق الله بهذه الطائفة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتى اولها وآخرها (وفى حديث) آخر مثل امتى مثل حديقة قد قام عليها صاحبها فاجتلب راكبها وهيأ مسالكها وحلق سعفها فاطعمته عاما فوجا ثم عاما فوجا فلعل آخرها طعما يكون اجودها قنوانا واطولها شمراخا والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم من أمتى خلفاً من حواريه قلت قال شيخ شيوخنا المجذوب على ماتنا تقوم الساعة وذكر سيدى على فى كتابه ان رجلا سأل شيخه سيدى العربى بن عبد الله فقال له ياسيدى طريقكم هذه لا نعرفها فأى طريق هى فقال له يا ولدى طريقنا هذه هى التى كان عليها رسول الله صلى الله وسلم واصحابه الزهد فى الدنيا والانقطاع الى الله وعليها تقوم الساعة اه فتحقق انها هى التى يجد عيسى بن مريم منها خلفا من حواريه والله أعلم ثم بين الشيخ ما بقى من طريق القوم بعد اندراسها فقال الا رسوما ربما لم تعف : وذاك ماتتبعه ونقف

غلب عليه العمل فعابد أو الترك فزاهدأو النظر لتصريف الحق فعارف والكل صوفية والله أعلم اه ولما كان الاخلاص شرطاً فى كل عمل ذكره بأثره فقال (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) الاعمال هنا عبارة عن الحركة الجسمانية أوالقلبية والصورجمع صورة وهو مايتشخص فى الذهن من الكيفيات والروح السر المودع فى الحيوانات وهو هنا عبارة عما يقع به الكمال المعتبر فى الأعمال والاخلاص أفراد القلب لعبادة الرب وسره لبه وهو الصدق المعبر عنه بالتبرى من الحول والقوة إذ لا يتم إلا به وإن صح دونه إذ الاخلاص نفى الرياء والشرك الخفى وسره نفى العجب وملاحظة النفس والرياء قادحة فى صحة العمل والعجب قادح فى كماله فقط (قلت) الأعمال كلها أشباح وأجساد وأرواحها وجود الاخلاص فيها فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح وإلا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الإخلاص فيها وإلا كانت صورا قائمة وأشباحا خاوية لا عبرة بها قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقال تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء من أشرك معى غيرى تركته وشريكه وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الخفى وهو الرياء (وفى رواية)اتقوا هذا الشرك الخفى فانه يدب دبيب النمل قيل وما الشرك الخفى قال الرياء اه بالمعنى لطول العهد به (وفى) حديث مسلسل إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الاخلاص فقال حتى أسأل جبريل فلما سأله قال حتى أسأل رب العزة فلما سأله قال له هو سر من اسرارى أودعه قلب من أحببت من عبادى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده قال بعضهم هو مقام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه والاخلاص على ثلاث درجات درجة العوام والخواص وخواص الخواص ، فاخلاص العوام هو اخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور ، وإخلاص الخواص طلب الحظوظ الاخروية دون الدنيوية وإخلاص خواص الخواص اخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم تحقق العبودية والقيام بوظائف الربوبية أو محبة وشوقا الى رؤيته كما قال ابن الفارض :

ليس سؤلى من الجنان نعيما ... غير أنى أحبها لأراكا

وقال آخر : كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظاً جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا ... فى رياض ويشربوا السلسبيلا

وهبك أن تظفر بالاوطان ... ما السر والمعنى سوى القطان

قلت الرسوم والحدود هى أمارات وعلامات تدل على حقائق الأشياء ومعانيها وعفا المكان اندرس وتعطل وعفا الشىء ذهب وقد يطلق على الزيادة والكثرة كقوله تعالى (حتى عفوا) ومعنى نقفو نتبع وهب هنا بمعنى أجعل وقدر فهى للتعبير والاوطان محل السكنى والقطان بضم القاف جمع قاطن بمعنى ساكن والمعنى أن علم التصوف ومعانيه وأذواقه قد ذهب بذهاب أهله واندرس وخفى وما بقى الا رسوم وعلامات فى كتبهم تدل على سيرهم وأخلاقهم فربما لم تعف ولم تذهب وهذه الرسوم التى لم تعف هى ما كانوا عليه من المجاهدة والمكابدة والمشاهدة وما اتصفوا به من محاسن الاخلاق ومكارم الشيم وما شاهدوه من الكرامات والخوارق وما نطقوا به من جواهر الحكم وما استخرجته أفكارهم من يواقيت العلوم ومخازن الفهوم فهذه الامور قد دونت فى الكتب فلما ماتوا بقيت فى أيدى الناس فهى التى يتبعها الناس ويسلكون على طريقها وليس السر فى مشاهدة سيرهم ومحاسنهم ولا فى سماع كلامهم وعلومهم وانما السر ما كان فى بواطنهم وما

ليس لى فى الجنان والنار رأى أنا لا أبتغى بحبى بديلا

قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه الإخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الحق وأول الخلق النفس والإخلاص عند المحبين أن لا يعملوا عملا لاجل النفس وإلا دخل عليها مطالعة العوض أو الميل إلى حظ النفس والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم فى الأفعال وعدم السكون والاستراحة اليهم فى الأحوال وقال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح إخلاصك بالتبرى من الحول والقوة اه كلامه وقال بعض العارفين لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ولذلك قال آخر كلما سقطت من عين الخلق عظمت فى عين الحق وكلما عظمت فى عين الخلق سقطت من عين الحق يعنى مع ملاحظتهم ومراقبتهم وسمعت شيخنا يقول ما دام العبد يراقب الناس ويهابهم لا يتحقق اخلاصه أبدا وقال أيضاً لا تجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق أبدا إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه اه والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبدا والله تعالى أعلم .

(ولما) كان الخمول من مضامن الإخلاص بل لا يتحقق فى الغالب إلا به إذ لا حظ فيه للنفس ذكره بعده قال (أدفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) الدفن هو التغطية والستر والخمول سقوط المنزلة عند الناس ونتاج الشجرة ثمرتها استعير هنا للحكم والمواهب والعلوم التى يجتنيها العبد من المعرفة بالله وذلك عند موت نفسه وحياة روحه (قلت) استر نفسك أيها المريد وادفنها فى أرض الخمول حتى تستأنس به وتستحليه ويكون عندها أحلى من العسل ويصير الظهور عندها أمر من الحنظل فاذا دفنتها فى أرض الخمول وامتدت عروقها فيه فحينئذ تجنى ثمرتها ويتم لك نتاجها وهو سر الاخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص وأما إذا لم تدفنها فى أرض الخمول وتركتها على ظهر الشهرة تجول ماتت شجرتها أو أسقطت ثمرتها فاذا جنى العارفون ماغرسوه من جنات معارفهم من العلوم وما دفنوه من كنوز الحكم ومخازن الفهوم بقيت أنت فقيرا سائلا أو سارقا صائلا .

(قال) سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه أين تنبت الحبة قالوا فى الأرض قال كذلك الحكمة لا تنبت إلا فى القلب كالأرض اه .

وقال بعض العارفين كلما دفنت نفسك أرضا أرضاً سما قلبك سماء سماء (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين تنبوا عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره فى قسمه) وكان عليه الصلاة والسلام جالسا مع الأقرع بن حابس كبير بنى تميم فمر عليه رجل من فقراء المسلمين فقال عليه السلام للأقرع بن حابس ماتقول فى هذا فقال هذا يارسول الله من فقراء

اشتملت عليه قلوبهم وأسرارهم فلا يؤخذ إلا منهم فى حال حياتهم فلو كان التصوف يؤخذ من الكتب لاختص به أرباب الأموال والعلماء أهل الظاهر ولكن التصوف انما هو أذواق لا يؤخذ إلا من أهل الأذواق وهبك أى صير نفسك وقدرها انها ظفرت بالأوطان وهى محاسنهم ومآثرهم التى كانوا عليها وسكنوا فيها ثم رحلوا عنها وتركوها ماالسر والمعنى إلا فى صحبتهم والاخذ عنهم واقتباس النور الذى كان فى باطنهم وقد ذهب ذلك بذهابهم ألا من أسعده الله بلقاء من أخذ ذلك منهم فى حياتهم وهذا قد ظفر بالاوطان والسكان ولا تخلو الارض من هذا النوع كما تقدم بخلاف من طمع أن يأخذ ذلك من كتبهم فانه ظفر بالاوطان وفاته صحبة السكان وما زالت العامة تقول السر فى الساكن أى دون المسكن وقال الشاعر

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

المسلمين حقيق ان خطب أن لايزوج وان استأذن أن لايؤذن له وإن قال أن لايسمع له ثم مر بهما رجل من المترفين فقال له عليه السلام وما تقول فى هذا فقال هذا حقيق ان خطب أن يزوج وان استأذن أن يؤذن له وان قال أن يسمع له فقال ﷺ هذا يعنى الفقير خير من ملء الأرض من هذا وفى مدح الخمول أحاديث كثيرة وفضائل مشهورة ولو لم يكن فيه الا الراحة وفراغ القلب لكان كافيا وأنشد بعضهم وهو الحضرمى

عش خامل الذكر بين الناس وارض به فذاك أسلم للدنيا وللدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

وقال بعض الحكماء الخمول نعمة والنفس تأباه والظهور نقمة والنفس تهواه وقال آخر طريقتنا هذه لا تصلح الا بقوم كنست بأرواحهم المزابل

(قلت) ويجب على من ابتلى بالجاه والرياسة أن يستعمل من الخراب مايسقط به جاهه وان كان مكروها دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء كالسؤال فى الحوانيت أو الديار والأكل فى السوق وحيث يراه الناس وكالرقاد فيه وكالسقى بالقربة وحمل الزبل على الرأس بوقاية وكالمشى بالحفا واظهار الحرص والبخل والشح وكلبس المرقعة وتعليق السبحة الكبيرة وكل ما يثقل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام قال الشيخ زروق رضى الله عنه وكما لا يصلح دفن الزرع فى أرض رديئة لايجوز الخمول بحالة غير مرضية وقياس ذلك بالغصة لا يصح لان فوت الحياة الحسية مانع من كل خير واجبا ومندوبا وتفويتها مع امكان ابقائها محرم اجماعا لقوله تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة) بخلاف الخمول لايفوت به شيء من ذلك انما يفوت به الكمال وهو نفى الجاه والمنزلة وأصله الاباحة اه (وأجاب) بعضهم بأنه إذا جاز لفوت الحياة الفانية فأولى أن يجوز لفوت الحياة الدائمة وهى المعرفة فتأمله (وقصة) لص الحمام تشهد له والله تعالى أعلم (ولقد) سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول الفقير الصديق يقتل نفسه بأدنى شيء من المباح والفقير الكذاب يقع فى المحرم ولا يقتلها وكان كثيراً ما ينهى عن الأحوال الظلمانية ويقول عندنا من المباح ما يغنينا عن المحرم والمكروه (وأما السؤال) فانما هو مكروه أو حرام لقصد قوت الأشباح مع الكفاية وأما لقصد قوت الأرواح فليس بحرام وقد ذكر القسطلانى فى شرح البخارى عن ابن العربى الفقير انه واجب على الفقير فى بدايته فانظره وقد ذكره فى المباحث الأصلية مستوفى فانظره وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله عند قوله لاتمدن يدك الى الأخذ من الخلائق الخ (فان قلت) هذا الخراب

وقال آخر :

فما المنازل لولا أن تحل بها وما الديار وما الاطلال والخيم
لولاك ما شاقنى ربع ولاطلل ولاسعت بى الى نحو الحمى قدم

وقال آخر : وإنما يتأنس بالأوطان ، من لاعشق عنده فى السكان أو لم يظفر بصحبة القطان ، فلا يتأنس بكتب القوم ويقنع بذلك إلا من لم يذق شيئا من أذواقهم ولا نهض للالتحاق بهم والله تعالى أعلم ثم ذكر استصعاب ما سئل عنه من سنن الفقير لغرابتها فى زمنه فقال

وهذه مسئلة معتاصة لم يجد الحبر لها خلاصة
لأنها مسئلة غريبة حقيقة الجواب عنها ريبة
وقل ما تلقى لها مساعدا ؛ بل منكراً أو ناقداً أو جاحدا

قلت الاعتياص من العصيان واعتاص الشيء إذا عصي ولم ينقد والحبر بكسر الحاء وفتحها هو العالم النحرير وخلاصة

الذى ذكرت فيه شهرة أيضا إذ الخمول هو الخفاء عن أعين الناس وهذا فيه ظهور كبير (قلت) الخمول هو اسقاط المنزلة عند الناس وكتمان سر الولاية وكل ما يسقط المنزلة عندهم وينفى تهمة الولاية فهو خمول وإن كان فى الحس ظهوراً ولذلك كان شيخنا رضى الله عنه يقول طريقتنا منها الخمول فى الظهور والظهور فى الخمول (وقال) النجيبى فى الانالة ما نصه ومن يقل من الصوفية ان المرقعة شهرة فجوابه ان سلمان الفارسى سافر فى زيادة أبى الدرداء من العراق إلى الشام راجلا وعليه كساء غليظ غير مضموم فقيل له أشهرت نفسك فقال الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فاذا أعتقت لبست حلة لاتبلى حواشيها اه

ومن ذلك قصة الغزالى رضى الله عنه من حمله جلد الثور على ظهره حين ملاقاة شيخه الخراز وكنسه السوق واستعماله القربة ليسقى الناس كذا سمعتها من الشيخ مرارا ولم أقف عليها عند أحد ممن عرف به وأنظر ما جرى له مع ابن العربى عند قوله رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده وكذلك قصة الششترى رضى الله عنه مع شيخه ابن سبعين لان الششترى كان وزيرا وعالما وأبوه كان أميرا فلما أراد الدخول فى طريق القوم قال له شيخه لاتنال منها شيئا حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديرا وتدخل السوق ففعل جميع ذلك فقال له ما نقول فى السوق فقال قل بدأت بذكر الحبيب فدخل السوق يضرب بنديره ويقول بدأت بذكر الحبيب فبقى ثلاثة أيام وخرقت له الحجب فجعل يغنى فى الأسواق بعلوم الاذواق ومن كلامه رضى الله عنه

شويخ من أرض مكناس في وسط الاسواق يغنى اش على من الناس واش على الناس منى

ثم قال :

اش جد من حد افهموا ذى الإشاره وانظروا كبر سنى والعصا والغراره
هكذا عشت بفاس وكدهان هونى آش على من الناس وآش على الناس منى
وما أحسن كلامه إذا يخطر فى الأسواق وترى أهل الحوانت تلتفت لو بالاعناق
بالغرارة فى عنقو بعكيكز وبغراف شيخ ينى على ساس كانشاء الله ينى
اش على من الناس واش على الناس منى

وكذا قصة الرجل الذى كان مع أبو يزيد البسطامى بقى معه ثلاثين سنة فكان لاينقطع عن مجلسه ولايفارقه فقال له يوما يا أستاذى أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى شيئا من هذا الذى تذكر البتة وأنا

الشىء تخليصه وتحريره والريبة والريب هو الشك يعنى ان هذه المسئلة وهى طريق الصوفية الذوقية مسألة معتاصة أى عويصة التحرير يصعب تخليصها على العالم النحرير لأنه ان عبر عنها بعبارة اللسان فانه الذوق والوجدان وان أشار اليها بالتلويح لايفهمها أهل التصريح فصعب أمرها على كل حال الا على من أسعده الله بصحبة الرجال أهل الهمة والتربية والحال فيعبرون عنها بالمقال ثم ينهضون اليها بالذوق والحال وأما من لم يصحب الرجال فلا يطمع أن ينالها بالمقال لأنها مسئلة غريبة وأهلها غرباء فلا يأوى الغريب الا الى الغريب ولايفهم حال الغريب الا مثله وإذا كانت مسئلة غريبة فتحقق الجواب عنها ريبة أى فيه شك وريبة لمن عبر عنها من غير ذوق ولا وجدان وأيضا حقيقتها بعيدة عن مدارك العقول القياسية والنقول العلمية ولله در ابن الفارض حيث يقول :

ولا تك ممن طيشته طروسه بحيث استقلت عقله واستقرت
فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

أو من بكل ما تقول وأصدقه فقال له أبو يزيد رضى الله عنه لو صليت ثلاثمائة سنة . أنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة قال فلم يا أستاذ قال لانك محجوب بنفسك قال أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل قال بل اقبل وأعمل ما تقول قال له أبو يزيد اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزا وأجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك ياصبيان من يصفعنى صفعة اعطه جوزة وادخل سوقك الذى تعظم فيه وأنت على هذه الحالة حتى ينظر اليك كل من عرفك فقال يا أبا يزيد سبحان الله أيقال لمثلى هذا وتحسب أنى أفعله فقال له قولك سبحان الله شرك فقال له وكيف فقال أبو يزيد لانك عظمت نفسك فسبحتها قال يا أبا يزيد لست أقدر على هذا ولا أفعله ولكن دلنى على غير هذا حتى أفعله فقال له أبو يزيد ابدأ بهذا قبل كل شىء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك بما يصلح لك قال لا أطيق هذا قال انك قد قلت انك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق له العوائد وتظهر له الفوائد اه

وكذلك قصة أبى عمران البردعى مع شيخه أبى عبد الله التاودى بفاس من حلق رأسه ولبسه جلابية وأخذه خبزة ينادى عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب من أكله التين عند أشجار الناس وغنائه بالاسواق وخرابه بالقصر مشهور حتى طوف بها مرارا وكذلك قصة سيدى على العمرانى تخرابه بفاس مشهور كنار على علم سكن السفليات حتى مات رضى الله عنه وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاى العربى من لبسه الغرارة وسقيه بالقربة وغير ذلك مما هو معلوم فهذه الحكايات تدل على ان الخمول ليس هو ما يفهمه العوام من لزوم البيوت والفرار الى الجبال فذلك هو عين الظهور عند المحققين وانما الخمول هو كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه تحقق النفس بوصفها الادنى وشعورها به أبدا ووصفها الأدنى هو الذل وكل ما يثقل عليها فرجعه للتحقيق بوصف التواضع وفائدته تحصيل العمل وكمال الحقيقة اه

(فان قلت) فى فعل هذه الاحوال التعرض لكلام الناس وإيقاعهم فى الغيبة (قلت) هذا مبنى على القصد والنية وكل من فعل شيئاً من ذلك فانما قصده قتل نفسه وتحقيق اخلاصه ودواء قلبه وهم مساحون لمن قال فيهم عاذرون له قال سيدى على فى كتابه نحن نعذر من عذرنا ونعذر من لم يعذرنا وقال الشيخ زروق فى قواعده (قاعدة) حكم الفقه عام فى العموم لأن مقصوده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلماته وحكم التصوف خاص فى الخصوص لأنه معاملة بين العبد

تلقيته منى وعنى أخذته ونفسى كانت من عطاى ممدتى

وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله قال بعضهم هى أسرار الله يبديها الى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى من الاسرار التى لم يطلع عليها الا الخواص فاذا سمعها العوام أنكروها ومن جهل شيئاً عاداه ومن يكن ذافم مريض يجد مرارة الماء الزلال ويرحم الله البوصيرى حيث يقول :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال مشايخ الطريقة المنكر علينا كالعنين ينكر شهوة الجماع والمزكوم ينكر رائحة المسك الاذفر والمحموم ينكر حلاوة السكر وفى مثلهم قال الشاعر :

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حسبك ما فاتا

وربه من غير زائد على ذلك فمن ثم صح انكار الفقيه على الصوفى ولم يصح انكار الصوفى على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف الى الفقه فى الاحكام لافى الحقائق اه (تنبيه) هذه الادوية التى ذكرنا انما هى فى حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء أظهره أو أخفاه وفى هذا قال أبو العباس المرسى رضى الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه أظهره ام أخفاه اه

ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون فى الغالب الا بالفكرة ولا تتم الفكرة الا بالعزلة ذكرها فقال (ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) النفع ايصال الفائدة والقلب القوة المستعدة لقبول العلم والعزلة انفراد القلب بالله وقد يراد بها الخلوة التى هى انفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا اذ لا ينفرد القلب فى الغالب الا اذا انفرد القالب وميدان بالفتح والكسر فى الميم مجال الخيل استعير هنا للافكار اذ ترددها فى مواقعها كتردد الخيل فى مجالها والفكرة سير القلب الى حضرة الرب وهى على قسمين فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان على ما يأتى (قلت) لا شىء أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء فلا ينفع الدواء من غير حمية ولا فائدة فى الحمية من غير دواء فلا خير فى عزلة لا فكرة فيها ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها اذ المقصود من العزلة هو تفرغ القلب والمقصود من التفرغ هو جولان القلب واشتغال الفكرة والمقصود من اشتغال الفكرة تحصيل العلم وتمكنه من القلب وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه وغاية صحته وهو الذى سماه الله القلب السليم قال الله تعالى فى شأن القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أى صحيح وقد قالوا إن القلب كالمعدة اذا قويت عليها الاخلاط مرضت ولا ينفعها الا الحمية وهى قلة موادها ومنعها من كثرة الإخلاط

(وفى الحديث) المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وكذلك القلب اذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحس مرض وربما مات ولا ينفعه الا الحمية منها والفرار من مواطنها وهى الخلطة فاذا اعتزل عن الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه واستقام قلبه والابقى سقيما حتى يلقى الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة نسأل الله العافية (قال الجنيد) رضى الله عنه أشرف المجالس الجلوس مع الفكرة فى ميدان التوحيد وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة وهى أربعة كشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق فى الكلمة قال الله تعالى (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له) الآية اه (واعلم) أن فى الخلوة عشر فوائد (الاولى) السلامة من آفات اللسان فان من كان وحده

وأيضاً هذه المسئلة اذا نظرت اليها من حيث العلم والتحقيق احتاجت إلى وجود البحث والتدقيق واذا نظرت اليها من حيث الحال وجدتها مبنية على التسليم والتصديق فان أخذت بالاول ظهر لك من وجوه الانكار ما لا خفاء فيه مع ابتنائه على أصل لا تعرفه وان نظرت الى الآخر ظهر لك من موجبات التسليم ما يقتضى لك عدم الكلام بالكلية فلا وجه لاستخلاص الخلاصة الا بمعرفة مبدأ الامور ومنتهاها قد ذكر منه جملة فيما يأتى واما كونها مسئلة غريبة فانها غير مألوفة للنفوس ولا متداولة بين الناس ولا معروفة الحقيقة فى الجملة فلذلك اعتقدها المعتقد من غير معرفة أصل وأقبل المنتسب اليها على أى وجه كان وانتقدها المنتقد وشأنها ولم يعرف ما انتقد وشأن فادعاها من ليس من أهلها وأخل عليها ما ليس من شأنها كل ذلك بسبب الجهل بها والحرص على الانتساب اليها وعظمت فى النفوس لما تقرر من جلالتها والله تعالى اعلم

قال الشيخ زروق رضى الله عنه وانما كان الجواب عنها ريبة لان المقام قد يعبر عنه المستشرف عليه والواصل اليه ولا يفرق بينهما الا ذو بصيرة فهذه المسئلة قد يعبر عنها من وصل اليها وذاقها وقد يعبر عنها من استشرف عليها بالعلم فلا يخلو الجواب

لا يجد معه من يتكلم وقد قال عليه السلام رحم الله عبداً سكت فسلم أو تكلم فغنم ولا يسلم فى الغالب من آفاته إلا من آثر الخلوة على الاجتماع وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه إذا رأيت الفقير يؤثر الخلوة على الاجتماع والصمت على الكلام والصيام على الشبع فاعلم أن حبجبه قد عسل وإذا رأيته يؤثر الخلطة والكلام والشبع على ضدها فاعلم أن حبجبه خاوى وقال فى القوت وفى كثرة الكلام قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب ونشر الكتاب وكثرة الطالبين وتعلق المظلومين بالظالمين وكثرة الاشهاد من الكرام الكاتبين ودوام الاعراض عن الملك الكريم لأن الكلام مفتاح كبائر اللسان وفيه الكذب وفيه الغيبة والنميمة والزور والبهتان ثم قال وفى الخبر أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه وأكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى مالا يعنى اه

(الفائدة الثانية) حفظ البصر والسلامة من آفات النظر فان من كان معتزلا عن الناس سلم من النظر اليهم وإلى ماهم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها قال تعالى (ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) فتمنع بذلك النفس من التطلع إليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه إياك وفضول النظر فانها تؤدى إلى فضول الشهوة وقال بعض الأدباء من كثرة لحظاته دامت حسراته وقالوا إن العين سبب الحين أى الهلاك ومن ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر بالبصر إلى الأشياء يوجب تفرقة القلب اه

(الفائدة الثالثة) حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنه وغيرهما من الأمراض (قال) بعض الحكماء من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقال بعض الصوفية قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله كيف الطريق إلى التحقيق قال لا تنظر إلى الخلق فان النظر اليهم ظلمة

(قلت) لابد لى قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة (قلت) لابد لى قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت أنا بين أظهرهم لابد لى من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله يكون (قال) يا هذا تنظر إلى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن إلى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله هيهات هذا لايكون أبداً ثم غاب عنى (وقال) القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدة إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات أى من الدنيا قال وهذا أصل كبير لهم فى المجاهدات فى أحوال الرياضة (الفائدة الرابعة) حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها وفى ذلك شرف العبد وكماله وسبب محبته عند مولاه لقوله صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله ازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس اه ولاشك أن من انفرد

من ريبة هل صدر من صاحب ذوق وصاحب حال لكن كلام العارف لايخفى على أهل الفن أبداً ولاتخلو الأرض من قائم لله بحجته فما قاله الناظم ليس على عمومه فقد يتحقق الجواب عنها من العارفين ولا ريبة فيه ولا شبهة والله تعالى أعلم ولما كان من كتم العلم مذموماً وبلجام من النار ملجوماً خاف الشيخ أن ينخرط فى سلك من كتم علماً فأجاب السائل بما هو فى ذوقه حاصل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولذلك قال

وإذا تهديت إلى الصواب ولم يكن بد من الجواب

فهو على الجملة والتفصيل منحصر فى خمسة فصول

قلت تهديت إلى كذا واهتديت اليه واحد ومعناه سلكت الطريق إلى الوصول اليه ومنه قوله تعالى (أمن لايهدى) على قراءة ورش والصواب الحق المبين والبد الفرار والهروب ويقال لابد أن تفعل أى لافرار لك ولاهروب من الفعل أولا محالة منه قاله فى القاموس بمعناه والجملة ما كان مجموعاً والتفصيل ما كان مفرقاً والفصول جمع فصل وهو القطعة من

عن الناس ولم ينظر إلى ماهم فيه من الرغبة فى الدنيا والانكباب عليها يسلم من متابعتهم فى ذلك ويسلم من متابعة الطباع الرديئة والأخلاق الدنيئة وقل من يخالطهم أن يسلم من ماهم فيه وقد روى عن عيسى عليه السلام لاتجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا من الموتى ياروح الله قال المحبون فى الدنيا الراغبون فيها (الفائدة) الخامسة السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال وفى مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم ففى بعض الأخبار مثل الجليس السوء كمثل الكير إذا لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وقال سيدى عبد الرحمن المجذوب رضى الله عنه الجلسة مع غير الأخيار ترذل ولو تكون صافياً

(أوحى الله) تعالى إلى داوود عليه السلام ياداوود مالى أراك منتبذا وحدانياً فقال إلهى قليت الخلق من أجلك فقال يا داوود كن يقظان وارتد لنفسك إخوانا وكل أخ لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى اه فان أردت الصحبة فعليك بصحبة الصوفية فإن صحبتهم كنز لا نفاد له قال الجنيد رضى الله عنه إذا أراد الله بعبد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء

(وقال) آخر والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح (الفائدة) السادسة التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه وانجمع عليها بجوارحه وقلبه لقلة من يشغله عن ذلك قال فى القوت وأما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بالخالق وتقوى العزم على الثبات الخ كلامه

(الفائدة) السابعة وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجاة لفراغ سره وهذا مجرب صحيح قال أبو طالب ولا يكون المريد صادقا حتى يجد فى الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة مالا يجده فى العلانية وحتى يكون أنسه فى الوحدة وروحه فى الخلوة وأحسن أعماله فى السر اه

(الفائدة) الثامنة راحة القلب والبدن فإن فى مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالاهتمام بأمرهم وتعب البدن بالسعى فى أغراضهم وتكميل مرادهم وإن كان فى ذلك الثواب فقد يفوته ماهو أعظم وأهم وهـــو جمع القلب فى حضرة الرب

(الفائدة) التاسعة صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التى توجبها الخلطة فان للنفس تولعاً وتسارعا للخوض فى مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها وللشافعى رضى الله عنه :

ومن يذق الدنيا فانى طعمتها ... وسيق إلى عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا ... كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها

الكلام وهو فى كلام الناظم بدل من خمسة بالتنوين لامضاف لإخلاله بالوزن يقول رحمه الله وأنت أيها السائل حين اهتديت إلى الصواب بتوجهك إلى طلب الوصول إلى رب الأرباب فسألت عن تبيين الطريق والوصول إلى عين التحقيق لزمنى أن أجيبك ولم يكن لى بد ولا مهرب من الجواب لأن الله تعالى أخذ على العلماء أن لا يكتموا العلم فقال تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا) الآية وقال تعالى (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ولقوله عليه السلام من سئل عن علم نافع فكتمه ألجمه الله بلجام من النار وهذا لمن كتمه مع توفر الشروط وهو استحقاق ذلك وأهليته فان لم تتوفر الشروط فلا يجب إظهاره لاسيما علم السر وقد اختلف المشايخ هل لا يبذل علمهم إلا لأهله وهو مذهب أبى الحسن النورى أو يبذل لأهله ولغير أهله والعلم أحمى جانب من أن يصل إلى غير أهله وهذا مذهب إمام الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه إذ قيل له كم تنادى على الله بين يدى العامة فقال له لكننى أنادى على العامة بين يدى الله تعالى اه قلت وفى كلامه رضى الله عنه الغاز وتستر ومعناه لكننى أنادى على عامة من حضرنى من مظاهر الحق بين يدى الله قلت وممن سلك مذهب الجنيد شيخ أشياخنا سيدى على

وما هى إلا جيفة مستحيلة   عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها عشت سلما هلها   وان تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطأت قعر بيتها   مغلقة الأبواب مرخى حجابها

(الفائدة) العاشرة التمكن من عبادة التفكر والاعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة وفى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول طوبى لمن كان كلامه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر من التفكر وكان إفضل عبادة أبى الدرداء التفكر وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبيين الحق من الباطل ويطلع بها أيضا على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها.

(قال) الحسن رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك ويطلع بها أيضا على عظمة الله وجلاله إذا تفكر فى آياته ونعمائه ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه قال الشيخ ابن عباد رضى الله عنه فهذه ثمرات عزلة أهل البداية وأما أهل النهاية فعزلتهم مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق لأنهم أقوياء رضى الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق وبالمعنى عن الحسن استوى عندهم الخلوة والخلطة لأنهم يأخذون النصيب من كل شىء ولا يأخذ النصيب منهم شيئا وفى هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

الخلق نوار وأنا أرعيت فيهم   هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

فان أضاف المريد إلى العزلة والصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وانمحت من مرآة قلبه صور الاغيار وقد أشار الشيخ إلى بعض ذلك متعجبا من ضده فقال (كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته) يشرق بضم الياء أى يستنير ويضىء وصور الأكوان أشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية والأكوان أنواع المخلوقات دقت أو جلت ومنطبعة أى ثابتة وانطبع الشىء فى الشىء ظهر أثره فيه والمرآة بكسر الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فكلما قوى صقلها قوى ظهور ما يقابلها فيها واستعيرت هنا للبصيرة التى هى عين القلب التى تتجلى فيها الاشياء حسنها وقبيحها (قلت) جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها وليس لها إلا وجهة واحدة فإذا أراد الله عنايته بعبد شغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته ولم يعلق قلبه بمحبة شىء من

العمرانى رضى الله عنه حتى كان يسمى فى زمانه المبذر ولذلك تجد أهل فاس كثيرا منهم يخوض فى علم الحقيقة من غير عمل ولا ذوق وأخذ الجمهور بمذهب أبى الحسن النورى فكانوا لا يتكلمون فى الحقيقة وعلم السر إلا مع أهله فى موضع خال وربما سدوا الأبواب غيرة منهم على سر الربوبية أن يبتدل وينادى عليه بلسان الاشتهار وفى الحكم عباراتهم وأما الفيضان وجد أو قصد هداية مريد فالأول معذور لغلبة وجده والثانى مأمور لهدايته من هو أهله والله تعالى أعلم ثم ذكر برنامج الكتاب وانه محصور فى خمسة فصول فبينها بقوله

أولها فى أصله والثانى   فى فضله على مدى الازمان
وثالث الفصول فى أحكامه   وحين يستوى على أقدامه
والرابع الرد على من رده   وليس يدرى شأنه وقصده
والخامس يعلم كيف صيرا   حتى غدا بين الأنام منكرا

الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية فانطبعت فى مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان وإلى ذلك أشار الششترى فى بعض أزجاله بقوله ، اغمض الطرف ترى ، وتلوح أخبارك ، وافن عن ذى الورى ، تبدو لك أسرارك ، وبصقل المرى، به يزول انكارك ، ثم قال : الفلك فيك يدور ، ويضىء ويلمع، والشموس والبدور فيك تغيب وتطلع ، أى وبصقل مرآة قلبك يزول إنكارك للحق فتعرفه فى كل شىء فيصير قلبك قطب فلك الأنوار فيه تبدو أقمار التوحيد وشموس العرفان

وإذا أراد الله تعالى خذلان عبد بعدله وحكمته أشغل فكرته بالأكوان الظلمانية والشهوات الجسمانية فانطبعت تلك الأكوان فى مرآة قلبه فانحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية عن اشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان فكلما تراكمت فيها صور الأشياء انطمس نورها واشتد حجابها فلا ترى إلا الحس ولا تتفكر إلا فى الحس فمنها مايشتد حجابها وينطمس نورها بالكلية فتنكر وجود النور من أصله وهو مقام الكفر والعياذ بالله ومنها مايقل صداها ويرق حجابها فتقر بالنور ولا تشاهده وهو مقام عوام المسلمين وهم متفاوتون فى القرب والبعد وقوة الدليل وضعفه كل على قدر يقينه وقلة تعلقاته الدنيوية وعوائقه الشهوانية وخيالاته الوهمية (وفى الحديث) إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وأن الإيمان يخلق أى يبلى كما يخلق الثوب الجديد الحديث (وفى حديث) آخر لكل شىء مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقلت وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكره الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أو كما قال عليه السلام وإذا علمت أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة إذا قابلها النور أشرقت وإذا قابلتها الظلمة أظلمت ولا تجتمع الظلمة والنور أبدا علمت وجه تعجب الشيخ بقوله كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان وصور الأكوان الظلمانية منطبعة فى مرآة قلبه فالضدان لا يجتمعان قال الله تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) فمالك أيها الفقير إلا قلب واحد إذا أقبلت على الخلق أدبرت عن الحق وإذا أقبلت على الحق أدبرت عن الخلق فترحل من عالم الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت وما دمت مقيداً فى هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك وإلى ذلك أشار بقوله (أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته) الرحيل هو النهوض والانتقال من وطن إلى وطن وهو هنا من نظر الكون إلى شهود المكون

قلت أصل الشىء قاعدته وأساسه التى بنى عليها ومدى الشىء غايته ونهايته يقول رحمه الله قد ذكرت فى هذا الكتاب من مبادىء علم التصوف أربعة أمور وهى موضوعه وواضعه وفضيلته وفائدته أما الموضوع والواضع فيؤخذان من ذكر أصله وأما فضيلته وثمرته فتؤخذ من ذكر فضله فان فضيلة الشىء لا تكمل إلا بحصول ثمرته وبقى من المبادىء ستة بمجموعها عشرة وهى جارية فى كل فن من فنون العلم فالحذاق من أهل العلم يقدمون ذكرها قبل الشروع فى ذلك الفن وقد نظمها بعضهم فقال

الحد والموضوع ثم الواضع   والاسم الاستمداد حكم الشارع
تصور المسائل الفضيلة   ونسبة فائدة جليلة
حق على طالب علم أن يحيط   بفهم ذى العشرة مبزها ينيط
يعلمها قبل الشروع فى الطلب   لكى يكون مبصراً بما طلب

وقد ذكرتها بتمامها فى أول شرحنا على الحكم فلينظره من أرادها والمراد بالأحكام مايلزم المريد من الآداب فى

أو من الملك إلى الملكوت أو من الوقوف مع الأسباب إلى رؤية مسبب الأسباب أو من وطن الغفلة إلى اليقظة أو من حظوظ النفس إلى حقوق الله أو من عالم الأكدار إلى عالم الصفا أو من رؤية الحس إلى شهود المعنى أو من الجهل إلى المعرفة أو من علم اليقين إلى عين اليقين أو من عين اليقين إلى حق اليقين أو من المراقبة إلى المشاهدة أو من مقام السائرين إلى وطن المتمكنين والمكبل هو المقيد والمراد بالشهوات كل ما تشتهيه النفس وتميل إليه (قلت) الرحيل مع التكبيل لا يجتمعان فما دام القلب محبوساً بالميل إلى شيء من هذا العرض الفاني ولو كان مباحا فى الشرع فهو متقيد به ومكبل فى وطنه فلا يرحل إلى الملكوت ولا تشرق عليه أنوار الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانع له من النهوض إلى الله لاشتغاله بالالتفات اليها وعلى تقدير النهوض معها تكون مثبطة له عن الإسراع بالميل اليها وعلى تقدير الاسراع فلا يأمن العثار معها لأنس النفس بها ولذلك ترك الأكابر لذتها حتى قال بعضهم لدغ الزنابير على الأجسام المقرحة أيسر من لدغ الشهوات على القلوب المتوجهة اه

قال الشيخ زروق رضى الله عنه (قلت) هذا ان تعلق القلب بطلبها قبل حصولها وإلا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم فى حقيقة التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضى الله عنه يقول إن شئتم أن نقسم لكم لا يدخل عالم الملكوت من فى قلبه علقة اه فاقطع عنك ياأخى عروق العلائق وفر من وطن العوائق تشرق عليك أنوار الحقائق ولهذا كانت السياحة والهجرة من الأمور المؤكدة على المريد إذ الاقامة فى وطنه الحسى لايخلو معها من التعلقات الحسية وقد قالوا الفقير كالماء إذا طال فى موطن واحد تغير وإذا جرى عذب وبقدرما يسير فى الحس يسير فى المعنى وبقدر مايسير القالب يسير القلب والهجرة سنة نبوية ومنذ هاجر النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن له راحة إلا فى السفر للجهاد حتى فتح الله عليه البلاد وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقر فى وطنه إلا القليل منهم حتى فتح الله على أيديهم سائر البلاد وهدى الله بهم العباد نفعنا الله ببركاتهم آمين وإذا رحل القلب من وطن شهواته وتطهر من لوث غفلاته وصل إلى حضرة ربه وتنعم بشهود قربه ولذلك أشار بقوله (أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) الحضرة هى حضور القلب مع الرب وهى على ثلاثة أقسام حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار فحضرة القلوب للسائرين وحضرة الأرواح للمستشرفين وحضرة الأسرار للمتمكنين (أو تقول) حضرة القلوب لأهل المراقبة وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة الأسرار لأهل المكالمة وسر ذلك أن الروح مادامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت فى حضرة

معاملته وتصرفاته وقد حصرها فى تسعة على ما يأتى إن شاء الله (وقوله) وحين يستوى على أقدامه معناه انه ذكر فى ذلك الفصل أحكام التصوف وآدابه من أوله إلى نهايته فاذا عرف ذلك فقد علم التصوف ونهض على أقدامه كناية عن معرفته وقوله (وخامس) الخ يعنى إنه ذكر فى الفصل الخامس كيف تغير علم التصوف حتى صار منكراً بين الناس بعد أن كان معروفا مشهورا وباقى الكلام واضح بقوله والله تعالى أعلم ثم ذكر تسمية الكتاب لأنها من مقدماته ومن الأمور المهمة فقال

وبعد ما فصلته فصولا   وغاد بت حبلها موصولا
سميتها المباحث الأصلية   عن جملة الطريقة الصوفية

قلت البت بالمثناة القطع وفى الحديث المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى أى المنقطع وهو هنا استعارة لتفرق المسائل قبل جمعها فى هذا الكتاب ويؤخذ منه أن تسمية الكتاب مؤخرة عن كمال التأليف أو يكون جمعها فى ذهنه وعزم على تأليفها والمباحث جمع مبحث وهو مايبحث عنه أو فيه فهو اسم مكان لأن كتابه جعله محلا للبحث والتفتيش عن أحوال

القلوب فاذا استراحت بالوصال سميت روحا وكانت فى حضرة الأرواح وإذا تمكنت وتصف وصارت سراً من أسرار الله سميت سراً وكانت فى حضرة الأسرار والله تعالى أعلم

(قلت) الحضرة مقدسة منزهة مرفعة لايدخلها إلا المطهرون فحرام على القلب الجنب أن يدخل مسجد الحضرة وجنابة القلب غفلته عن ربه قال تعالى « ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا » أى لاتقربوا صلاة الحضرة وأنتم سكارى بحب الدنيا وشهود السوى حتى تتيقظوا وتتدبروا ما تقولون فى حضرة الملك ولاجنباً من جماع الغفلة وشهود السوى حتى تتطهروا بماء الغيب الذى أشار اليه الحاتمى رضى الله عنه كما فى الطبقات الشعرانية فى ترجمة أبى المواهب بقوله

توضأ بماء الغيب إن كنت ذاسر   وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماما كنت أنت إمامه   وصل صلاة الظهر فى أول العصر
فهذى صلاة العارفين بربهم   فان كنت منهم فانضح البر بالبحر

يعنى تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك أو تطهر من شهود الحس بشهود المعنى أو تطهر من شهود عالم الشهادة بماء شهود عالم الغيب أو تطهر من شهود السوى بماء العلم بالله فانه يغيب عنك كل ماسواه وإذا تطهرت من شهود السوى تطهرت من العيوب كلها وإلى ذلك أشار الششترى رضى الله عنه بقوله

طهر العين بالمدامع سكباً   من شهود السوى تزل كل علة

وهذا الماء الذى هو ماء الغيب هو النازل من صفاء بحار الجبروت إلى حياض رياض الملكوت فتعرقه سحائب الرحمة وتثيره رياح الهداية فتسوقه إلى أرض النفوس الطيبة فتملأ منه أودية القلوب المنورة وخلجان الأرواح المطهرة واليه الإشارة بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً) الآية شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من السماء فكما أن المطر تعمر منه الأودية والغدران وتجرى منه العيون والأنهار كل على قدر سعته وكبره كذلك العلم النافع نزل من سماء عالم الغيب إلى أرض عالم الشهادة فسالت به أودية القلوب كل على قدر طاقته وحسب استعداده وكما أن المطر يطهر الأرض من الأوساخ وهو معنى قوله تعالى فاحتمل السيل زبداً رابيا أى مرتفعا على وجه الماء كذلك العلم النافع يطهر النفوس من الأدناس والقلوب من الاغيار والأرواح من الأكدار والأسرار من لوث الأنوار وهذا الماء

الصوفية وسيرهم (يقول) رحمه الله وبعد مافصلت هذا الكتاب فصولا خمسة وصار حبل تلك الفصول بعد قطعه وصولا بحيث نظمت جواهره فى سلك عقده فصارت جواهره فصوله ويواقيت تراجمه موصولة فى سلك واحد سميته حينئذ المباحث الأصلية لأنها تبحث عن أصول الطريقة وتحقق مبناها وهذه الطريقة هى طريقة الصوفية وهى الموضوعة لكيفية تهذيب القلوب وتصفيتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل لتتهيأ بفعلك لمعرفة الحق تعالى المعرفة الحقيقية التى هى معرفة العيان بطريق الذوق والوجدان واختلف فى اشتقاق التصوف على أقوال كثيرة أحسنها أنه من الصفا لأن مداره على التصفية واليه أشار بعضهم بقوله

تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا   وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى   صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

قال أبو حمزة البغدادى علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى

هو الذى أشار بقوله توضأ بماء الغيب ان كنت ذا سر أى كنت صاحب سر والشهود شهود الوحدة ونفى الكثرة أو شهود العظمة بالعظمة ومن لم يتحقق بهذا فلا يمكنه التطهير بماء الغيب بالكلية لفقده ذلك الماء أو لعدم قدرته عليه فينتقل للتيمم الذى هو رخصة للضعفاء وطهارة المرضى وإلى ذلك أشار بقوله وإلا تيمم بالصعيد أو بالصخر أى وإن لم تقدر على الطهارة الأصلية وهى الغيبة عن السوى لمرض قلبك مع عدم صدقك فانتقل للطهارة الفرعية التى هى العبادة الظاهرية .

(أو تقول) وإن لم تقدر على الطهارة الحقيقية التى هى الطهارة الباطنية فانتقل للطهارة المجازية التى هى الطهارة الظاهرية .

(أو تقول) وإن لم تقدر على طهارة المقربين فانتقل لطهارة أهل اليمين .

(أو تقول) وان لم تقدر على طهارة أهل المحبة فانتقل لطهارة أهل الخدمة قوم أقامهم الله لخدمته وقوم اختصهم بمحبته (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة وطهارة أهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة بين عبادة ظاهرة كصلاة وصيام وذكر وتلاوة وتعليم وغير ذلك وبين عبادة خفية كخوف ورجاء وزهد وصبر وورع ورضى وتسليم ورحمة وشفقة وغير ذلك مما لا يظهر للعيان وهذا هو تصوف أهل الظاهر وأما تصوف أهل الباطن فهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكون أو الغيبة عن الخلق بشهود الملك الحق وهو الذى عبر عنه الناظم بماء الغيب فكل من لم يدرك تصوف أهل الباطن فهو من أهل التيمم فإن كان مشغولا بالعمل الظاهر كالصلاة والصيام ونحوهما فهو كالمتيمم بالصعيد لظهورها كظهور أثر التراب على الجوارح وإن كان مشغولا بالعبادة الخفية كالزهد والورع ونحوهما فهو كالمتيمم بالصخر لعدم ظهورها فى الغالب كعدم ظهور أثر الصخر ولما أمرك بالغيبة عن السوى خاف عليك انكار الواسطة وإسقاط الحكمة فتقع فى الزندقة فقال وقدم إماما كنت أنت إمامه والمراد بالإمام هو النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه ممن جمع بين الحقيقة والشريعة فأمرك باتباع الشريعة المحمدية فى حال غيبتك عن السوى فيكون ظاهرك سلوكا وباطنك جذباً ظاهرك مع الحكمة وباطنك مع القدرة ولا بد أن تقتدى بإمام كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل يعلمك كيفية العمل بالشريعة ويدلك على الحقيقة وإلا بقيت مريضاً على الدوام تستعمل طهارة المرضى على الدوام وانظر قول القرافى رضى الله عنه لما سقط على شيخ التربية قال تيممت بالصعيد زماناً والآن سقطت على الماء إذ لا تجد ماء الغيب ولا تقدر على استعماله إلا بصحبة أهل هذا الماء الذين شربوه وسكروا به ثم صحوا من سكرتهم وسلكوا من جذبتهم فتملكهم زمام أمرك وتنقاد إليهم بكليتك بعد أن أطلعك الله على خصوصيتهم وكشف

الكذاب أن يستغنى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفا (وقال) بعضهم لا بد للصوفى أن يتحقق بمعانى حروفه فالصاد صفاؤه والواو وفاؤه والفاء فناؤه والياء يقينه وكذلك الفقير يتحقق بمعانى حروفه فالفاء فناؤه والقاف قربه والياء يقينه والراء رحمته ورأفته وبالله التوفيق ثم دعا لمن قرأ كتابه أو طالعه أو شرحه أو اعتقد كاله فقال :

لحى يارب امرأ حياها ۝ وزكه يوماً متى زكاها

قلت التحية فى الأصل دعاء بطول الحياة كانت العرب إذا لقوا كبيرا قالوا أطال الله حياتك وأبقاك الله أو أطال عمرك ثم انتقل إلى السلام وهى تحية أهل الاسلام وهو أيضاً تحية أهل الجنة والتزكية التطهير أو التنمية والترفيع (يقول) رحمه الله اللهم حى أى سلم امرأ حيا كتابنا بالقبول والتعظيم والترفيع وطهره من دنس الذنوب ودرن العيوب وغبش الحس وغين الأغيار وظلمة الأكوان بتجدد ذلك التطهير متى ما زكى كتابنا بقوله أو العمل بما فيه أو الثناء عليه أو البحث عن معانيه (و) قد كان الشيخ التباع يربى أصحابه بهذا الكتاب (و) كان الغزوانى يربى أصحابه بالشريشية يعنى الرائية

لك عن أسرارهم فشهدت لهم روحك بالتقديم وسرك بالتعظيم فتقدمهم أمامك بعد أن كنت أنت امامهم وهم يطلبونك للحضرة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس إلى الله وهم فارون أمامه فلما عرفوا الحق قدموه أمامهم وهذا معنى قوله كنت انت امامه وقوله وصل صلاة الفجر فى أول العصر وفى بعض النسخ وصل صلاة الظهر فى أول العصر أى اجمع ظهر الشريعة لعصر الحقيقة وفى أكثر النسخ وصل صلاة الفجر فى أول العصر أى ارجع إلى البقاء بعد كمال الفناء أو إلى السلوك بعد الجذب إذ الغالب على المريد أن يتقدمه السلوك ثم يأتيه الجذب فأوله سلوك وآخره جذب كما أن أول النهار صلاة الفجر وآخره صلاة العصر أى ارجع إلى صلاة الفجر التى كانت فى أول نهارك فصلها فى آخر نهارك فارجع إلى السلوك الذى كان فى أول أمرك فاجعله فى آخر أمرك وهو معنى قولهم منتهى الكمال مبدأ الشرائع وقالوا أيضاً نهاية السالكين بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين بداية السالكين وقالوا أيضاً علامة النهاية الرجوع إلى البداية وسيأتى الكلام على هذا فى محله إن شاء الله وقوله فهذى صلاة العارفين بربهم لأنهم تطهروا الطهارة الأصلية وصلوا الصلاة الدائمة قال الله تعالى « الذين هم على صلاتهم دائمون » فالعوام حد صلاتهم وأوقاتهم والعارفون فى الصلاة على الدوام قيل لبعضهم هل للقلوب صلاة فقال نعم إذ سجد لا يرفع رأسه ابداً أى إذا سجدت الروح لهيبة الجلال والجمال لا ترفع رأسها أبداً وإليه أشار الششترى بقوله فاسجد لهيبة الجلال عند التدانى ، ولتقرأ آية الكمال سبع المثانى ، وقوله فان كنت منهم فانضح البر بالبحر أى فإن كنت من العارفين المحققين فانضح بر شريعتك ببحر حقيقتك بحيث ترش على شريعتك من بحر حقيقتك حتى تعمرها وتغطيها فتصير الشريعة عين الحقيقة والحقيقة عين الشريعة حتى يصير عملك كله بالله والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإذا دخل القلب حضرة القدس ومحل الأنس فهم دقائق الأسرار وملىء بالمواهب والأنوار وإلى ذلك أشار بقوله (أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته) الرجاء تمنى الشىء مع السعى فى أسبابه وإلا فهو أمنية والفهم حصول العلم بالمطلوب ودقائق الأسرار غوامض التوحيد والتوبة الرجوع عن كل وصف ذميم إلى كل وصف حميد وهذه توبة الخواص والهفوات جمع هفوة وهى الزلة والسقطة (قلت) فهم دقائق الأسرار لا يكون أبدا مع وجود الأصرار (أو تقول) فهم غوامض التوحيد لا يكون إلا بقلب فريد فمن لم يتب من هفواته ويتحرر من رق شهواته فلا يطمع فى فهم غوامض التوحيد ولا يذوق أسرار أهل التفريد (قال) أحمد بن

ولكن المباحث أفيد لأهل القلوب والله تعالى أعلم ثم شرع فى المقصود فقال رحمه الله (الفصل الأول فى أصله) قلت ذكر أصله من جهتين من جهة الذوق والوجدان ومن جهة دليل الشرع والبرهان حتى لا يجد المنكر له مقالا ولا الطاعن فيه مساغا وقدم الأول فقال :

واعلم بأن هذه الطريقة بحث عن التحقيق للحقيقة

قلت البحث هو التفتيش يقال بحث عن كذا فحص عنه وبحث فى الأرض أخرج ترابها والتحقيق إدراك الشىء من أصله والحقيقة ذات الشىء وأصله وحقيقة الإنسان ماهيته ومادته (وأما) فى اصطلاح الصوفية فهى كشف رداء الصون عن مظهر الكون فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وهى عندهم نتيجة التصفية التى هى الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة فالشريعة هى اصلاح الجوارح الظاهرة وهى تدفع إلى الطريقة التى هى اصلاح السرائر الباطنة وهى أيضاً تدفع إلى الحقيقة التى هى كشف الحجاب ومشاهدة الأحباب من داخل الحجاب فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده (يقول) رضى الله عنه واعلم بأن هذه الطريقة التى سألت عنها وهى طريقة الصوفية هى بحث وتفتيش عن تحقيق الحقيقة

أبي الحوارى وسمعت شيخى أبا سليمان الدرانى رضى الله عنه يقول إذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت فى الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما قال أحمد بن حنبل صدقت يا أحمد وصدق شيخك ما سمعت فى الإسلام بحكاية أعجب إلى من هذه من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وقيل للجنيد رضى الله عنه كيف الطريق إلى التحقيق قال بتوبة تزيل الأصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس فقربها من الأجل وبعدها من الأمل فقيل له بماذا يصل إلى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد اه فاذا انفرد القلب بالله وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد وغوامضه التى لا يمكن التعبير عنها وإنما هى رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تفشى إلا لهم وقيل ماهم ومن أفشى شيئاً من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه وتعرض لقتل نفسه كما قال أبو مدين رضى الله عنه .

وفى السر أسرار دقاق لطيفية   تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

(وقال آخر)

ولى حبيب عزيز لا أبوح به   أخشى فضيحة وجهى يوم ألقاه

وهذه الأسرار هى أسرار الذات وأنوار الصفات التى تجلى الحق بها فى مظهر الأكوان وإلى ذلك أشار بقوله (الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه) الكون ما كونته القدرة وأظهرته للعيان والظلمة ضد النور وهى عدمية والنور وجودى وأناره أى صيره نورا وظهور الحق تجليه :

(قلت) الكون من حيث كونيته وظهور حسه كله ظلمة لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ولأنه سحاب يغطى شمس المعانى لمن وقف مع ظاهر حس الأوانى واليه أشار الششترى بقوله لا تنظر إلى الأوانى ، وخض بحر المعانى لعلك ترانى ، فصار الكون بهذا الاعتبار كله ظلمة وإنما أناره تجلى الحق به وظهوره فيه فمن نظر إلى ظاهر حسه رآه حسا ظلمانياً ومن نفذ إلى باطنه رآه نورا ملكوتياً قال تعالى (الله نور السموات والأرض) فتحصل أن قول الشيخ الكون كله ظلمة انما هو فى حق أهل الحجاب لانطباع ظاهر صور الأكوان فى مرآة قلوبهم وأما أهل العرفان فقد نفذت بصيرتهم إلى شهود الحق فرأوا الكون نوراً فائضاً من بحر الجبروت فصار الكون عندهم كله نورا قال الله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) أى من نور ملكوته وأسرار جبروته أو من أسرار المعانى القائمة بالأوانى (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض وإن أهل الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم وأنه

وادراكها ذوقا وحالا واللام فى الحقيقة لام التعدية كقوله هذا تحقيق لهذا أى تحقيقه فى الحقيقة وها أنا أقدم لك مقدمة يسهل بها فهم ما يذكره الناظم فى هذا الأصل فنقول وبالله التوفيق ومن الله الأمداد والتسديد (اعلم) أن الحق جل جلاله واحد فى ملكه لاشريك معه ولاضد له ولا ند له كان ولاشىء معه وهو الآن على ما كان عليه كان فى أزل أزليته لطيفا خفيا حكيما قديرا لطيفا لا يدرك خفياً لا يعرف قائما بذاته متصفا بمعانى أسمائه وصفاته فأراد سبحانه أن يعرف بذاته وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته فأظهر قبضة من نوره اللطيف فتكثفت بقدرته ليتهيأ بها التعريف ثم تنوعت على عدد أسمائه وصفاته فلما ظهرت تلك القبضة النورية تجلى فيها باسمه الباطن فبطنت فى ظهورها وكمنت فى مظاهرها فالأشياء كلها مظاهر للحق لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب فنسجت تلك الخمرة اللطيفة الأزلية بقدرتها رداء واكتست بحكمتها إزارا فقالت العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته ثم اختلفت تلك الحكمة فى نسجها وغزلها فمنها مارق غزله ولطف نسجه فكان فيه النور قريباً من الظهور ومنها ما غلظ غزله وكثف نسجه فخفى النور لاجل غلظ الستور ثم أن الذى

ما حل فى شىء ولا غاب عن شى اه وهذه المعانى إنما هى أذواق لاتدرك بالعقل ولا بنقل الأوراق وإنما تدرك بصحبة أهل الأذواق فسلم ولا تنتدق ، إن لم ترى الهلال فسلم ، لأناس رواه بالأبصار ، ثم قسم الناس فى شهود الحق على ثلاثة أقسام عموم وخصوص الخصوص فقال (فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد اعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار) فأهل مقام البقاء يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الاثر بالله ولا يشهدون بسواه إلا أنهم لكمالهم يثبتون الواسطة والموسوطة فهم يشهدون الحق بمجرد شهود الواسطة أو عندها بلا تقديم ولا تأخير ولا ظرفية ولا مظروف

مذ عرفت الاله لم أر غيرا ‌ ‌ وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال الشيخ مولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه لأبى الحسن رضى الله عنه يا أبا الحسن حدد بصر الايمان تجد الله فى كل شىء وعند كل شىء ومع كل شىء وقبل كل شىء وبعد كل شىء وفوق كل شىء وتحت كل شىء وقريباً من كل شىء ومحيطاً بكل شىء بقرب هو وصفه وبحيطة هى نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وأمحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان اه وقال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه ولم أره حديثا وإنما هو من قول بعض العارفين فأهل السير من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده وبأثره فيمتحق الكون من نظرهم بمجرد نظرهم إليه وهذا حال المستشرفين وأهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق بمعنى أنهم لا يرون الخلق أصلا إذ لا ثبوت له عندهم لانهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة فانون عن الحكمة غرقى فى بحر الانوار مطموس عليهم الآثار وفى هذا المقام قال بعضهم ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان إنما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده انما يستدلون على وجوده بوجود الكون وهذا لعامة المسلمين من أهل اليمين قد أعوزهم أى فاتهم وجود الأنوار ومنعوا منها وحجبت عنهم شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها واشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ولله در القائل .

وما احتجبت إلا برفع حجابها ‌ ‌ ومن عجب أن الظهور تستر

وقال آخر

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ‌ ‌ الا على أكمه لا يبصر القمرا

رق عزله ولطف نسجه منه ما هو نور محض وهم الملائكة ومنه ما هو نور وظلمة وغلب عليه النور وهم بنو آدم ومنه ماهو نور وظلمة وغلب عليه ظهور الظلمة وهى الجمادات وما لا يعقل من الحيوانات ونعنى بالنور المعنى وبالظلمة الحس فالكون كله باطنه نور وظاهره ظلمة باطنه قدرة وظاهره حكمة باطنه لطيف وظاهره كثيف واليه اشار صاحب العينية بقوله

وما الكون فى التمثال إلا كثلجة ‌ ‌ وأنت لها الماء الذى هو نابع

ثم إن الحق سبحانه خص مظهر هذا الآدمى بخصائص لم تكن لغيره منها أن جعل روحه اللطيفة النورانية فى قالب كثيف ليتأتى له منه غاية التصريف (ومنها) أن جعل ذلك القالب فى أحسن تقويم وأبدع فيه من بدائع حكمته وعجائب صنعته ما يليق بقدرة السميع العليم (ومنها) أنه جعله حاكما على المظاهر كلها مالكا لها بأسرها خليفة عن الله فيها ثم فتح له من فنون العلوم ومخازن الفهوم ما لم يفتحه على غيره مما هو معلوم وقال تعالى (إنى جاعل فى الأرض خليفة) وقال فى تلك الخليفة (وعلم آدم الأسماء كلها) (ومنها) أن أعطاه سبحانه سبعاً من الصفات تشبه صفات المعانى الأزلية الا أنها ضعفت باحاطة

لـكن بطنت بما أظهرت محتجبا   وكيف يعرف من بالعزة استترا

ثم احتجابه تعالى فى حال ظهوره مما يدلك على وجود قهره كما أشار اليه بقوله (مما يدلك على وجود قهره سبحانه إن حجبك عنه بما ليس بموجود معه) قلت من أسمائه تعالى القهار ومن مظاهر قهره احتجابه فى ظهوره وظهوره فى بطونه وبطونه فى ظهوره ومما يدلك أيضا على وجود قهره إن احتجب بلا حجاب وقرب بلا اقتراب بعيد فى قربه قريب فى بعده إحتجب عن خلقه فى حال ظهوره لهم وظهر لهم فى حال احتجابه عنهم فاحتجب عنهم بشىء ليس بموجود وهو الوهم والوهم أمر عدمى مفقود فما حجبه إلا شدة ظهوره ومامنع الأبصار من رؤيته إلا قهارية نوره فتحصل انفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود قال تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) واسم الفاعل حقيقة فى الحال وقال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وقال تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) وقال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وقال تعالى (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) وقال تعالى (وما رميت إذ رميت ولـكن الله رمى) وقال تعالى (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله) الآية وقال صلى الله عليه وسلم أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد، ألا كل شىء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لامحالة زائل ؛ وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى ياعبدى مرضت فلم تعدنى فيقول يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول الله أما انه مرض عبدى فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتنى عنده ثم يقول يا عبدى إستطعمتك فلم تطعمنى ثم يقول استسقيتك فلم تسقنى الحديث فدل الحديث على ان هذه الهياكل والأشخاص خيالات لاحقيقة لها فهى أشبه شىء بالظلال قال الششترى رضى الله عنه

الخلق خلقكم والامر أمركم   فأى شىء أنا لـكنت من ظلل
ماللحجاب مكان فى وجودكم   إلا بسر حروف أنظر إلى الجبل
أنتم دللتم عليكم منكم ولـكم   ديمومة عبرت عنها غامض الأزل
عرفتم بكم هذا الخبير بكم   أنتم هم يا حياة القلب يا أملى

قوله الخلق خلقكم الخ المراد بالخلق صور الأشباح وبالأمر سر الأرواح أى الأشباح حكمتكم والارواح سر من أسراركم فأنا لا وجود لى أصلا فأى شىء قدرت نفسى وجدتها لـكم ومظهرا من مظاهركم وإنما أنا ظلل من ظلل وجودكم ثم قال ما للحجاب مكان فى وجودكم أى لا موضع للحجاب الحسى فى وجودكم اذ لو كان للحجاب مكان فى وجودكم لكان

القهرية وهى القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فحصل له بهذا انموذج وشبه بالصمدانية الربانية (ومنها) أنه سبحانه جعله نسخة الوجود يحاكى بصورته كل موجود فإن عرف الحق كان الوجود نسخة منه والى بعض هذه المعانى أشار بقوله

وهذه حقيقة الانسان حيث لها أنموذج ربانى

قلت حقيقة الانسان هى روحانيته وهى لطيفة نورانية لاهوتية جبروتية ثم احتجبت ببشرية كثيفة ناسوتية فسبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بأظهار الربوبية فى مظاهر العبودية والانموذج قال فى القاموس النموذج بالفتح الشبه وبالهمز لحن وفى نسخ الناظم كلها بالهمز فانظره مع ماقال فى القاموس وفى بعض النسخ اذ كان فى المندرج الربانى وسيأتى معناه فالنموذج هو الشبه وهذا الشبه الذى حازه الإنسان دون غيره هو اتصافه بشبه أوصاف الحق سبحانه حيث جعل الله فيه قدرة وإرادة وعلما وحياة وسمعا وبصرا وكلاما وجعله نسخة من الوجود بأسره وخليفة عن الله فى حكمه يتصرف فى الأشياء باختياره فى ظاهر أمره ولذلك ورد فى الحديث أن الله خلق آدم على صورته وفى رواية على

أقرب الينا منكم وهو محال لأنك قلت (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله إلا بسر حروف الخ الاستثناء منقطع أى لا موضع للحجاب الحسى بيننا وبينكم لكن حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذى منع الأبصار من رؤية نوركم الأصلى الجبروتى إذ لو ظهر ذلك النور لاضمحلت المكونات ولا احترقت من نور السبحات ولهذا السر أمر الله سيدنا موسى عليه السلام حين طلب الرؤية بالنظر إلى الجبل لما أراد الله تعالى أن يتجلى له بشىء من ذلك النور فلما لم يثبت الجبل لشىء قليل منه علمنا أنه لاطاقة للعبد الضعيف فى هذه الدار على رؤية الواحد القهار إلا بواسطة الاكوان الكثيفة بعد أن نشر عليها الأردية المعنوية وهذا معنى قوله إلا بسر حروف انظر إلى الجبل أى الا بحجاب القهرية المفهوم من سر قوله تعالى انظر إلى الجبل أو إلا حجاباً ملتبسا بسر الحكمة المفهوم من قوله تعالى انظر إلى الجبل وكأنه تعالى يقول ياموسى لن تقدر أن ترانى من غير حجاب الحكمة ولكن انظر إلى الجبل فان أطاق ذلك فسوف ترانى أنت فلما تجلى له الحق تعالى من غير واسطة الحس جعله دكاء والله تعالى أعلم وقال أيضاً فى هذا المعنى

لقد أنا شىء عجيب لمن رآنى أنا المحب والحبيب ليس ثم ثانى
يا قاصداً عين الخبر غطاه اينك الخمر منك والخبر والسر عندك
ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك

فقوله ياقاصداً عين الخبر أى عين خبر التحقيق وقوله غطاه اينك أى مكان وجودك الوهمى إذ لو غبت عن وجودك لوقعت على عين التحقيق وقوله الخمر منك أى شربة خمرة المحبة منك وهذا كما قال، منى على دارت كؤسى، وقوله والخبر أى والخبر عن عين التحقيق منك أيضا وسر الربوبية عندك لأنك كنز مطلسم فاذا أردت أن تعرفه فارجع لذاتك واعتبر تجد الوجود كله واحداً وأنت ذلك الواحد قال الشاعر

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرا وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وقال أيضاً رضى الله عنه، لقد فشى سرى بلا مقال، وقد ظهر عنى فى ذا المثال، ترى وجود غيرى من المحال، وكلما دونى خيال فى، متحد فى كل شىء، أنا هو المحبوب وأنا الحبيب، والحب لى منى شىء عجيب، وحدى أنا فافهم سرى غريب، فمن نظر ذاتى رآنى شىء، وفى حلا ذات طوانى طى، صفاتى لا تخفى لمن نظر، وذاتى معلومة تلك الصور

سورة الرحمن ومعناه خلق آدم واعطاه من الصفات ما يشبه صفات الرحمن وهى صفات المعانى والمعنوية وخصه أيضاً فجعله خزانة لسائر أسمائه ففى الآدمى تسعة وتسعون اسما كلها كامنة فى سره ثم يظهر على ظاهره ماسبق له فى علم الغيب فالبعض يظهر عليه اسمه الكريم والبعض اسمه الرحيم والبعض اسمه الحليم والبعض اسمه المنتقم والبعض اسمه المتكبر والبعض اسمه القهار والبعض اسمه القابض والبعض اسمه الباسط وقد يتعاقب عليه اسماء كثيرة فى وقت واحد وإذا فنى عن حسه وغاب عن نفسه ظهرت عليه أنوار الألوهية فينطق بالأنانية غلبة ووجدا وبها قتل الحلاج (و) قد ورد الترغيب فى التخلق بأخلاق الرحمن قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الرحمن ورغب فى الصيام لما فيه من شبه الصمدانية وقد رغب أيضاً فى التقرب اليه سبحانه حتى يكون سمعه وبصره ورجله ومعناه تغيبه عن صفة الحدوث بشهود أنوار القدم وفى ذلك يتحقق له هذا الانموذج الصمدانى (و) فى الحكم وصولك الى الله وصولك إلى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل بشىء أو يتصل به شىء وسيأتى الكلام إن شاء الله على هذا المعنى عند قول الشيخ

افن عن الإحساس ترى عبر ، فى السر والمعنى خفيت كى ؛ لأنه من ستر على ، وقد اتفقت على هذا المعنى وهو سر الوحدة مقالات العارفين ومواجيد المحبين وأشعارهم كل على قدر ذوقه وشربه جزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً ولا يفهم هذه العبارات إلا أهل الأذواق والاشارات وحسب من لم يبلغ لمافهمه ولم يحط بها علمه أن يسلم ويكل فهمها إلى أربابها وليعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه لأن هذه المعانى أذواق لا تنال إلا بصحبة أهل الأذواق ثم استدل على بطلان وجود الحجاب فى حقه تعالى بعشرة أمور متعجباً من كل واحد لظهوره مع خفائه أى لشدة ظهوره عند العارفين وشدة خفائه عند الغافلين الجاهلين فأشار إلى الأول بقوله (كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء) والظاهر هو الباطن ما بطن فى عالم الغيب هو الذى ظهر فى عالم الشهادة لحياض الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت ، انظر جمالى شاهداً فى كل إنسان ، الماء يجرى نافذاً ، فى أس الأغصان ؛ تجده ماء واحداً والزهر ألوان ، يا عجبا كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ، عجبت لمن يبغى عليك شهادة ، وأنت الذى أشهدته كل شاهد ، ثم ذكر الثانى فقال (كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر بكل شىء) بياء الجر أى تجلى بكل شىء فلا وجود لشىء مع وجوده فكيف يحجبه شىء والغرض أن لا شىء قال صاحب العينية رضى الله عنه

تجليت فى الأشياء حين خلقتها   فها هى ميطت عنك فيها البراقع

ثم ذكر الثالث فقال (كيف يتصور أن يحجبه وهو الذى ظهر فى كل شىء) بقدرته وحكمته القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وقد تقدم قول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه أى بقدرته وحكمته فلولا ظهور أنوار الصفات ما عرفت الذات ولا الحس ما قبضت المعنى ولولا الكثيف ما عرفت اللطيف وللششترى رحمه الله ، محبوبى قد عم الوجود وقد ظهر فى بيض وسود وفى النصارى مع اليهود ، وفى الخنازير مع القرود ، وفى الحروف مع النقط أفهمنى قط أفهمنى قط ، ثم قال : عرفته طول الزمان ؛ ظهر لى فى كل أوان وفى المياه والدلوان ؛ وفى الطلوع وفى الهبوط ؛ أفهمنى قط ؛ أفهمنى قط ؛ ثم ذكر الرابع فقال (كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر لكل شىء) بلام الجر أى المتجلى لكل شىء بأسرار ذاته وأنوار صفاته ولما تجلى لكل شىء وعرفه فى الباطن كل شىء وسبح بحمده كل شىء فلم يحجبه شىء عن شىء قال الله تعالى « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » يقول بلسان حاله سبحان المتجلى لكل شىء الظاهر بكل شىء

متى ارتقيت عن قبيل الحس   أدركت نفسك معنى النفس
يا من على القشر غداً يحوم   حتى عن اللب متى تصوم

إلى آخر الأبيات وعلى النسخة الثانية فالمندرج الربانى هو السر المكنون الذى برزت منه الروح ونفخت فى هذا الجسم وهى الخمرة الصافية أى هذه حقيقة الانسان حين كان فى جملة السر الربانى المندرج فى الخمرة الأزلية وفى بعض أدعية الشاذلى وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك وأفعالى تحت أفعالك درج السلامة واسقاط الملامة والله تعالى أعلم .

ثم بين أن حقيقة الانسان وسره سر من أسرار الله لا يجوز أن يوضع فى الكتب على وجه التصريح وإنما يذكر على وجه الاشارة والتلويح وعلمنا كله إشارة فقال :

ووضعه فى الكتب لا يجوز   بل هو كنز فى النهى مكنوز
إياك أن تطمع أن تحوزه   من دفتر أو شعر أو أرجوزة

يفقهه العارفون ويجهله الغافلون ثم ذكر الخامس، فقال (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) فكل ماظهر فمنه وإليه فكان فى أزله ظاهراً بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه فهو الغنى بذاته عن أن يظهر بغيره أو يحتاج إلى من يعرفه غيره فالكون كله مجموع والغير عندنا ممنوع ثم ذكر السادس فقال (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء) إذلاوجود للأشياءمع وجوده ولاظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها فلولا ظهوره فى الأشياء ماوقع عليها أبصار

من لا وجود لذاته من ذاته　　فوجوده لولاه عين محال

فالعبد فى حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضروريا ووجود الحق تعالى عنده نظرياً فاذا عرف الحق وفنى عن نفسه وتحقق بزوالها صار عنده وجود الحق ضروريا ووجود نفسه نظرياً بل محال ضررى قال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إنا لننظر إلى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا عن الدليل والبرهان وأنا لانرى أحداً من الخلق فهل فى الوجود أحد سوى الملك الحق وإن كان ولا بد فكالهباء فى الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً اه زاد فى لطائف المنن ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إلى اللهفليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أوهل لها من الوضوح ماليس له حتى تكون هى المظهرة له وإن كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير إلهيته ولكن الحكيم هو واضع الأسباب وهى لمن وقف معهاولاينفذ إلى قدرته عين الحجاب فظهور الحق أجلى من كل ماظهر إذا هو السبب فى ظهور كل ما ظهر وما اختفى إلا من شدة ماظهر ومن شدة الظهور الخفاء وإلى هذا المعنى أشار الرفاعى بقوله :

يا من تعاظم حتى رق معناه　　ولا تردى رداء الكبر إلا هو

أى يا من تعاظم فى ظهوره حتى خفى معناه ثم ذكر السابع فقال (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذى ليس معه شيء) لتحقق وحدانيته أزلا وأبدا كان الله ولاشيء معه وهو الآن على ما عليه كان أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أفى الله شك فكل ما ظهر للعيان فإنما هو مظاهر الرحمن قال صاحب العينية رضى الله عنه :

تجلى حبيبى فى مرائى جماله　　ففى كل مراء للحبيب طلائع

قلت النهى جمع نهية وهو اسم للعقل والدفتر اسم للكتاب وقال فى القاموس الدفتر وقد تكسر الدال جماعة الصحف المضمومة والجمع دفاتر والشعر كلام موزون والأرجوزة بمعنى القصيدة وهى ذات أبيات (يقول) رضى الله عنه وضع هذا السر وهو النموذج الربانى الذى اختص به الانسان فى الكتب لا يجوز إذا كان ذلك على وجه التصريح وإنما منع وضعه فى الكتب لأمرين أحدهما أن العبارة لاتقوم به لأن علم الاشارة مهما صار عبارة خفى وقد يؤدى التعبير عنه لتكفير القائل وتبديعه وتفسيقه وربما أدى لتلفه كما قال بعضهم :

فمن فهم الاشارة فليصنها　　وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت　　له شمس الحقيقة بالتدانى

وقال زين العابدين رضى الله عنه :

يارب جوهر علم لو أبوح به　　لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا

فلما تجلى حسنه متنوعا　　تسمى بأسماء فهن مطالع

فالحق تعالى واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله فلا شىء قبله ولا شىء بعده ولا شىء معه ثم ذكر الثامن فقال (كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب إليك من كل شىء) قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون) وقال تعالى (وكان الله على كل شىء رقيباً وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وقربه تعالى قرب علم وإحاطة وشهود لا قرب مسافة إذ لامسافة بينك وبينه وتقدم فى الحديث وان الله ماحل فى شىء ولا غاب عن شىء وقال سيدنا على كرم الله وجهه الحق تعالى ليس من شىء ولا فى شىء ولا فوق شىء ولا تحت شىء إذ لو كان من شىء لكان مخلوقا ولو كان فوق شىء لكان محمولا ولو كان فى شىء لكان محصوراً ولو كان تحت شىء لكان مقهورا اه وقيل له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا أو هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم أين الله سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان اه وقال أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه قيل لى ياعلى بى قل وعلى دل وأنا الكل اه هذا كما فى حديث البخارى يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وتفسيره مافى الحديث قبله والله تعالى أعلم ثم ذكر التاسع فقال (كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه لما ظهر وجود كل شىء) قال الله تعالى (وخلق كل شىء فقدره تقديراً) وقال تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) فكل ماظهر فى عالم الشهادة فهو فائض من عالم الغيب وكل مابرز فى عالم الملكوت فهو فائض من بحر الجبروت فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة لها معه إذ هى عدم محض وعلى توهم وجودها فهى حادثة فانية ولا نسبة للعدم مع الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب الشيخ من اجتماعهما فقال (ياعجبا كيف يظهر الوجود فى العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) قلت وهذا هو العاشر فالوجود والعدم ضدان لايجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر أن الحق واجب الوجود وكل ماسواه عدم على التحقيق فاذا ظهر الوجود انتفى ضده وهو العدم فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم فالحق لايحجبه الباطل قال تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال) فلا وجود للأشياء مع وجوده فانتفى القول بالحلول إذ الحلول يقتضى وجود السوى حتى يحل فيه

ولا استحل رجال مسلمون دمى　　يرون أقبح ما يأتونه حسناً

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه

وفى السر أسرار دقاق لطيفة　　تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

(الأمر) الثانى ان وضع ذلك فى الكتب يؤدى لابتذاله وإظهاره مع عدم استيفاء المراد منه فيكون قطعا للمريد عن التحقق به وموجباً لوجود الحيرة فيه ولا يفهمه فى الحقيقة إلا من أطلع عليه وعرف معناه كحال الطرب فى السماع لا يتأثر به إلا من عنده ذوق وخمرة ثم ذكر أن هذا السر كنز مدفون فى صدف مكنون لايمسه إلا المطهرون بقوله بل هو كنز مكنوز أى مدفون فى النهى أى العقول الكاملة والقلوب الصافية ومن كمالها وحريتها كتمها للأسرار كما قال بعضهم قلوب الأحرار قبور الأسرار

وقال آخر

لايكتم السر إلا من به ثقة　　فالسر عند خيار الناس مكتوم

معنى الربوبية والفرض أن السوى عدم محض فلا يتصور الحلول وإلى هذا أشار فى العينية بقوله

ونزهه فى حكم الحلول فما له   سوى وإلى توحيده الأمر راجع

والقديم والحادث لايلتقيان فإذا قرن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقى القديم قال رجل بين يدى الجنيد رضى الله عنه الحمد لله ولم يقل رب العالمين فقال له الجنيد كمله يا أخى فقال له الرجل وأى قدر للعالمين حتى يذكروا معه فقال الجنيد قله يا أخى فان الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقى القديم اه فقد تقرر أن الأشياء كلها فى حيز العدم إذ لايثبت الحادث مع من له وصف القدم فانتفى القول بالاتحاد إذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث فيتحدان حتى يكونا شيئاً واحدا وهو محال إذهو مبنى أيضاً على وجود السوى ولا سوى وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة كقول ابن الفارض

وهامت بها روحى بحيث تمازجا   اتحاداً ولا جرم تخلله جرم

فأطلق الاتحاد على اتصال الروح بأصلها بعد صفائها ولذلك قال بعده ولا جرم تخلله الخ فتحصل أن الحق سبحانه واحد فى ملكه قديم أزلى باق أبدى منزه عن الحلول والاتحاد مقدس عن الشركاء والأضداد كان ولا أين ولامكان وهو الآن على ماعليه كان ومما ينسب لسيدنا على كرم الله وجهه

رأيت ربى بعين قلبى   فقلت لاشك أنت أنت
أنت الذى حزت كل أين   بحيث لا أين ثم أنت
فليس للأين منك أين   فيعلم الأين أين أنت
وليس للوهم فيك وهم   فيعلم الوهم كيف أنت
أحطت علماً بكل شىء   فكل شىء أراه أنت
وفى فنائى فنـــآ فنائى   وفى فنائى وجدت أنت

وسئل أبو الحسن النورى رضى الله عنه أين الله من مخلوقاته فقال كان الله ولا أين والمخلوقات فى عدم فكان حيث هو وهو الآن حيث كان إذلا أين ولا مكان فقال له السائل وهو على بن ثور القاضى فى قصة محنـــة الصوفية فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة فقال عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لاهى متصلة به ولا منفصلة عنه

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

ادفن سرك ودكوا   فى الأرض سبعين قاما
وخل الخلائق يشكوا   إلى يوم القياما

ثم حذرك من أن تطمع أن تحوز هذا السر من كتب القوم أو من أشعارهم أو من قصائدهم لأنه أذواق لايؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من صحبة أهل الأذواق بل لاتزيده مطالعة الأوراق إلا تفتيراً وتعطيلا علم الأذواق لا يؤخذ من الأوراق قالوا وحقائق المعارف منطبعة فى الأرواح من يوم الميثاق فلذلك قامت بها الحجة فيما لا يزال فوصول العبد إلى ماعنده منها بواسطة إمداد التجلى لا لأمر زائد على ذلك (قال) بعض المشايخ إياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر إلى المعارج واطلب الحق من ذاتك لذاتك تجد الحق أقرب إليك من ذاتك وقال فى الحكم نور مستودع فى القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب (و) قال فى موضع آخر أشهدك من قبل أن أستشهدك فنطقت بإلهيته الظواهر وتحققت

فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لايحتاج إليها قال له صدقت فاخبرنى ماذا أراد الله بخلقها قال ظهور عزته وملكه وسلطانه قال صدقت فاخبرنى ما مراده من خلقه قال ماهم عليه قال أو يريد من الكفرة الكفر قال أفيكفرون به وهو كاره ثم قال أخبرنى ماذا أراد الله باختلاف الشيع وتفريق الملل قال أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور عدله وإحسانه اه المراد منه وفيه إشارة إلى أن تجليات الحق على ثلاثة أقسام قسم أظهرهم ليظهر فيهم كرمه وإحسانه وهم أهل الطاعة والإحسان وقسم أظهرهم ليظهر فيهم عفوه وحلمه وهم أهل العصيان من أهل الإيمان وقسم أظهرهم ليظهر فيهم نقمته وغضبه وهم أهل الكفر والطغيان فهذا سر تجليه تعالى فى الجملة والله تعالى أعلم (فلذلك) حصل ما اشتمل عليه هذا الباب من أول الكتاب ثلاثة أمور عمل الشريعة والطريقة والحقيقة (أو تقول) عمل الإسلام والإيمان والإحسان وهى البداية والوسط والنهاية ومن علامة النجاح فى النهاية الرجوع إلى الله فى البداية فأمرك بالرجوع إليه والاعتماد عليه دون الاعتماد على العمل مع وجود العمل ثم دلك على الأدب فى حال التجريد والأسباب ثم نهاك فى حالة المسير عن شغل باطنك بكد التدبير فانه سبب التكدير ثم أنهضك إلى الاجتهاد فى الأعمال المطلوبة منك مع التقصير فيما هو مضمون لك ليكون سبباً فى فتح بصيرتك ومن جملة ماهو مضمون ماتطلبه بدعائك فلا تستعجل ماتأخر عن وقته ولا تيأس من رحمته وإذا وعدك بشىء فلا تشك فى وعده ولا تتهمه فيما ينزل بك من تعرفاته وقهره فهذه أعمال أهل البدايات اختلفت أجناسها باختلاف أحوالهم فقوله من علامة الاعتماد على العمل إلى قوله الأعمال صور قائمة كله من عمل الشريعة الذى هو مقام الإسلام وقوله الأعمال صور قائمة إلى قوله الكون كله ظلمة هو من عمل الطريقة الذى هو مقام الإيمان ومداره على تخليص الباطن وتهذيبه فأمرك بالإخلاص والصدق وهو سر الإخلاص والخمول لأنه محله ومظهره والعزلة لتتمكن من الفكرة وتصفية مرآة القلب من صور الأكوان لتتهيأ لإشراق شموس العرفان ثم فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب وقال لك ها أنت وربك وهو قوله الكون كله ظلمة إلى آخر الباب فقد قطع لك توهم الحجاب من جميع الوجوه فجزاه الله أحسن جزائه ومتعه برضوانه مع أنبيائه وأحبائه وخرطنا فى سلكهم مع كافة الأحباب آمين

ولما أدخلك الحضرة دلك على آدابها فقال فى أول الباب الثانى مترجما عنها من بعض التلامذة بقوله (وقال رضى الله عنه) وجملة أبوابه خمسة وعشرون باباً وثلاث رسائل وجواب ثم مناجاة

فلما فرغ من الباب الأول أشار إلى الباب الثانى فقال (وقال رضى الله عنه) ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن

بأحديته القلوب والسرائر وما هو إلا كما قال الحق سبحانه فى شأن الإخلاص هو سر من أسرارى أودعته قلب من أحببت من عبادى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده وكذلك سر الربوبية الذى أودعه الله فى الانسان لايعلم حقيقته على الكمال إلا هو سبحانه وإذا كان كذلك فالتعليم والتعلم لايفيده وإنما يفيده التعرض لنفحات الحق بشواهد الصدق قولاوعملاوحالامن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وكان علمه من ربه لقلبه وهو أتم العلوم وأجلهافافهم واطلب الشىء منك إليك منى على دارت كؤسى قال بعضهم علمنا لايؤخذ بالقياس ولا بالفهم وقوة الذكاء والاقتباس بل هو نكتة من الحق يكشف عن القلب قناعه ونور منه ينبسط فى عوالم الحقيقة شعاعه حتى يصير الغيب فى معد العيان ولا يفتقر المشكل لشىء من البيان بل لو كشف الغطاء ماازداد صاحبه يقيناً وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لم يفتكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشىء وقر فى صدره ومع هذا فالشىء الموقور فى صدره معلوم الأصل الذى هو التحقيق فى اليقين والإيمان إلى حد المواجهة والعيان قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ثم بين قدر مايعرفه الإنسان من السر بالوصف فقال

يظهر فى الوقت غير ما أظهره الله فيه) الجهل هو ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود وهو على قسمين بسيط ومركب فالبسيط أن يجهل ويعلم أنه جاهل والمركب أن يجهل جهله وأقبح الجهل الجهل بالله وإنكاره بعد طلب معرفته (قلت) من آداب العارف الحقيق أن يقر الأشياء فى محلها ويسير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان فهو فى غاية الكمال والاتقان وفى ذلك قال صاحب العينية رضى الله عنه .

وكل قبيح إن نسبت لحسنه　　أتتك معانى الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله　　فما ثم نقصان ولا ثم باشع

وقال أبو الحسن النورى رضى الله عنه مراد لله من خلقه ماهم عليه فاذا أقام الله عبدا فى مقام من المقامات فالواجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائنا ما كان فان كان لا تسلمه الشريعة رغبة فى الخروج عنه بالسياسة وينظر مايفعل الله قال بعضهم من عامل الخلق بالشريعة طال خصمه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم والواجب أن يعاملهم فى الظاهر بالشريعة فيذكرهم وفى الباطن بالحقيقة فيعذرهم ، ومن أراد أن يظهر فى الوقت غير ما أظهره الله تعالى فى نفسه أو فى غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئاً حيث عارض القدر ونازع القادر وقد قال تعالى(إن ربك فعال لما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (وفى بعض) الأخبار يقول الله تبارك وتعالى من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى وليتخذ رباً سواى وقال عبد الله ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشىء كان ليته لم يكن أو لشىء لم يكن ليته كان وقال أبو عثمان رضى الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطته وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه من عرف أهل حقائق الظاهر ولم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظفر بما فى أيديهم ولا يمنع خيرهم قطعاً ومن عرف أهل حقائق الباطن ولم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظفر بمافى أيديهم على كل حال ولا يمنع خيرهم قطعاً والعارف بالله يجمع بين خير الفرقتين يصطحب معهما جميعاوكل فرقة يتلون على لونها كشيخ شيوخنا رضى الله عنهم سيدى أحمد اليمانى نفعنا الله به كان رضى عنه ممن لا ينكر حالا من أحوال الخلق أهل الظاهر يتلذذ فى ظواهرهم ويدفعهم اليها ويقرهم فيها وأهل البواطن يتلذذ فى بواطنهم ويدفعهم اليها

وإنما تعرف منه وصفا　　لست تراه وهو ليس يخفى

قلت لما نفى معرفة النموذج الربانى الذى خصَّ به الإنسان من الكتب ذكر هنا مقدار ما تعرفه بالنعت من الكتب فقال وإنما تعرف من ذلك النموذج وهو سر الربوبية المندرج فى الخمرة الأزلية وصفا ظاهراً يقال باللسان ولا يرى بالعيان لأنه إنما يدرك بالبصيرة فان كنت من أهل البصيرة أدركته بالذوق والوجدان وإن لم تكن من أهل البصيرة فخطر أسلك لأهل البصيرة حتى تذوق ماذاقوا أو تموت فالمعرفة التى تكتسبها من الدفاتر أو الأشعار أو الأراجيز لذلك الوصف لست تراها بعينك فاذا قال لك الشاعر مثلا الا كل شىء ما خلا الله باطل أو مافى الكون غيركم لا تعرف ذلك ولا تدركه بعقلك مع كونه ظاهراً لا يخفى لكن لايدركه إلا أهل الأذواق أهل البصائر النافذة لا أهل العقول المقيدة بالخيالات الوهمية فان هذا أمر خارج عن مدارك العقول ولا يحيطه بكنهه العلم المنقول (قوله) لست تراه وهو ليس يخفى أى لست تراه ببصرك الحسى لما كساه من رداء العزة وحجاب الحكمة وهو ليس يخفى على أهل البصيرة النافذة فلست تراه لأنه باطن وهو ليس

ويقرهم فيها لحصل له خير الفرقتين بما رزقه الله من المعرفة والحكمة قيل أن الولى الكامل يتطور بجميع الأطوار يقضى جميع الأوطار اه

(قلت) ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد العارفين وقدوة المربين فكان يقر الناس على ما أقامهم الله فى حكمتهم ويرغبهم فيها فلذلك تجد الأحاديث متعارضة ولا تعارض فى الحقيقة فاذا نظرت فى أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا نظرت فى أحاديث الجهاد قلت لا أفضل منه وإذا نظرت فى أحاديث فضل العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت فى أحاديث الزهد والتجريد من أسباب الدنيا قلت لا أفضل منه وإذا نظرت فى أحاديث الكسب والخدمة على العيال كذلك فكل حكمة رغب النبي صلى الله عليه وسلم فيها حتى تقول لا أفضل منها تطييبا لخاطر أهلها ليكونوا فيها على بينة من ربهم ولم يأمرهم عليه السلام بالانتقال عنها إذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة فأقرهم عليه السلام عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع أحاديثها أنه لا أفضل منها وهو كذلك إذ لا أفضل منها فى حق أهلها (والحاصل) أن العارف لا ينكر شيئاً ولا يجهل شيئاً وقد قال بعض العارفين ليس فى الامكان أبدع مما كان وتأويله ان ماسبق فى علم الله يكون لا يمكن غيره فلا أبدع منه وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله والله تعالى أعلم

ثم ذكر الأدب الثانى من آداب الحضرة القدسية وهى ترك الرعونات البشرية فقال (احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس) الاحالة على الشيء هو تسليطه واغراؤه عليه والمراد هنا توقف الأمر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده والفراغ من الشيء خلوه منه وفراغ القلب خلوه مما يشغله وفراغ الجوارح خلوها من الأشغال والرعونة نوع من الحمق (قلت) من آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن ومن علامة العقل انتهاز الفرصة فى العمل ومبادرة العمل من غير تسويف ولا أمل أذ مافات منه لا عوض له وما حصل لا قيمة له وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا وإن من علامة العقل التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور (وقال) صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى اه والكيس هو العاقل ودان نفسه حاسبها (وفى صحف) ابراهيم عليه السلام وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة

يخفى لأنه ظاهر فاسمه الباطن يقتضى أن لا تدركه الأبصار واسمه الظاهر يقتضى انطواء ماسواه من الأغيار وانفراده بالوجود وظهور الأنوار وفى ذلك قال بعض العارفين

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يبصر القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجباً ... وكيف يعرف من بالعزة استترا

وفى الحكم أظهر كل شيء بأنه الباطن وطوى وجود كل شيء بأنه الظاهر فاسمه الباطن يقتضى ظهور الأشياء ليكون باطنا بالنسبة إلى ظهورها (و) اسمه الظاهر يقتضى بطون الأشياء وانطواءها اذ لا ظاهر سواه لما يقتضيه الحصر الذى فى الآية الكريمة وهذا من عجائب الربوبية التى بهرت العقول وحيرت الأذهان بحيث صار ظاهرا فى حال بطونه باطنا فى حال ظهوره ظاهرا باعتبار قدرته باطنا باعتبار حكمته والله تعالى أعلم ثم ذكر المصنف أنه شرح لك من ذلك الوصف البعض بقدر ما يفهمه عقلك فقال

وها أنا أشرح منه البعض ... بقدر ما تفهمه فلترض

من غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلا على شأنه حافظاً للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه اه فاحالتك الأعمال وتأخيرها إلى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب أو القالب من علامة الرعونة والحمق وهو غرور ومن أين لك أن تصل إلى ذلك الوقت والموت هاجم عليك من حيث لاتشعر وعلى تقدير وصولك اليه لا تأمن من شغل آخر يعرض لك وفراغ الأشغال من حيث هو نادر لقوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أى كثير من الناس فقدوهما وغبنوا فيهما إذ كثير منهم لاتجده إلا مشغولا بدنياً أو مفتوناً بهوى أو مريضا مبتلى . ومفهوم الكثير أن القليل من الناس رزقهم الله الصحة والفراغ فان عمروهما بطاعة مولاهم فقد شكروا وربحوا ربحاً عظيما وان ضيعوهما فقد خسروا خسرانا مبينا وكفروا بهاتين النعمتين فجدير أن تسلبا عنهم وهو أيضا من علامة الخذلان وسيأتى من كلام الشيخ الخذلان كل الخذلان أن تقل عوائقك ثم لاتقبل عليه فالواجب على الإنسان أن يقطع علائقه وعوائقه ويخالف هواه ويبادر إلى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتاً آخر إذ الفقير ابن وقته فلا تجده مشغولا إلا بفكرة أو نظرة أو ذكر أو مذاكرة أو خدمة شيخ يوصله إلى مولاه وقد قلت لبعض الإخوان الفقير الصديق ليس له فكرة ولا هدرة إلا فى الحضرة أو مايوصله للحضرة والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الثالث وهو إقامته حيث أقامه الله فقال (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج) قلت من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله والاستغناء به عما سواه فإذا اقامه الله تعالى فى حالة من الأحوال فلا يستحقرها ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى فلو أراد الحق تعالى أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها من غير أن يطلب منه أن يخرجه بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذى يتولى إخراجه كما تولى ادخاله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق فالمدخل الصدق هو أن تدخل فيه بالله والمخرج الصدق هو أن تخرج منه بالله وهذا هو الفهم عن الله وهو من علامة تحقيق المعرفة بالله فالعارف بالله إذا كان أعزب لايتمنى التزويج وإذا كان متزوجاً لايتمنى الفراق وإذا كان فقيراً لايتمنى الغنى وإذا كان غنياً لايتمنى الفقر وإذا كان صحيحاً لايتمنى المرض وإذا كان مريضاً لايتمنى الصحة وإذا كان عزيزا لايتمنى الذل وإذا كان ذليلا لايتمنى العز وإذا كان مقبوضاً لايتمنى البسط وإذا كان مبسوطاً لايتمنى القبض وإذا كان قويا لايتمنى الضعف وإذا كان ضعيفاً لايتمنى القوة وإذا كان مقيما لايتمنى السفر وإذا كان مسافرا لايتمنى الاقامة وهكذا

أى تنبيه لما أقول لك بعد فأنا أشرح لك بعض ذلك السر بقدر ما تفهمه ويدركه عقلك فتقنع بذلك ولترض به إذ لا يمكن شرح الكل لأنه السر المكنون الذى لايحيط به إلا علام الغيوب وأيضاً إذا عبرت لك عن كنه السر تعرضت للهلاك وقد قال تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » ثم ذكر ذلك البعض الذى وعد به فقال

فهذه الحقيقة النفسية موصولة بالحضرة القدسية
وإنما يعوقها الموضوع ومن هنا يبتدأ الطلوع

قلت المراد بالحقيقة النفسية هى الروح اللطيفة السارية فى الأشباح الكثيفة القائمة بها والحضرة القدسية هى العظمة الأزلية القديمة اللطيفة الخفية المعبر عنها بعالم الجبروت وهى التى فسرها ابن الفارض فى خمريته حيث قال رضى الله عنه وأرضاه

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولاماء ولطف ولاهوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

باقى الأحوال ينظر ما يفعل الله به ولا ينظر مايفعل بنفسه لتحقيق زواله بل يكون كالميت بين يدى الغاسل أو كالقلم بين الأصابع كما قال صاحب العينية رضى الله عنه :

أرانى كالآلات وهو محركى انا قلم والاقتدار أصابع

قال تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار وما كان لهم الخيرة وقال تعالى وماتشاؤون إلا أن يشاء الله وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لى ما أريد أتيتك بما تريد وإن لم تسلم لى ماأريد أتعبتك فيما تريد ولايكون إلا ماأريد (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة جف القلم بما أنت لاق وفى حديث آخر جفت الأقلام وطويت الصحف (وقال) شيخ شيوخنا سيدى أحمد اليمانى رضى الله عنه حين سأله أصحاب عن حقيقة الولاية فقال لهم حقيقة الولاية هو إذا كان صاحبها جالساً فى الظل لاتشتهى نفسه الجلوس فى الشمس وإذا كان جالساً فى الشمس لا تشتهى نفسه الجلوس فى الظل اه وهذا كله مع الاختيار دون الأمر الضرورى وقد تقدم قول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه من أوصاف الولى الكامل أن لايكون محتاجا إلا على الحال الذى يقيمه مولاه فيه فى الوقت يعنى ماله مراد إلا مايبرز من عنصر القدرة لاتشتهى غيره اه .

(قلت) فاذا تجلى فى العارف شىء من هذه الأمور أعنى الانتقال من حال إلى حال فليتأن وليصبر حتى يفهم أنه من الله باشارة ظاهرة أو باطنة أو هاتف حسى أو معنوى ولينصت إلى الهواتف فان الله تعالى يخاطبه بما يفعل وهذا أمر مجرب صحيح عند العارفين حتى أنهم لا يتصرفون إلا باذن من الله ورسوله إذ لافرق عند أهل الجمع جعلنا الله منهم آمين وهذا كله إذا كان الحال الذى هو فيه موافقا للشريعة وإلا فليطلب الخروج منه بما يمكن.ثم ذكر الأدب الرابع وهو رفع الهمة عن الأكوان ودوام الترقى فى مقامات العرفان فقال (ماأردت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكنونات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر) همةمسالك هى القوة الباعثة له على السير ووقوفها مع الشىء هو أعتقادها أن ماوصلت اليه الغاية أو فيه كفاية وهواتف الحقيقة هى لسان حال الكشف عن عين التحقيق وتبرج الشىء ظهوره فى حال الزينة لقصد الإمالة وظواهر المكونات هو ما كساها من الحسن والحكمة وتزيينها هو خرق عوائدها له وانقيادها لحكمه وحقائقها نورها الباطنى وهو تجلى المعنى فيها :

(قلت) السالك هو الذى يشهد الأثر فان كان يشهد فى نفسه فهو سالك فقط وهو فى حالة السير وان كان يشهد بالله

تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم
وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم

فالأشياء التى قامت بالخمرة الأزلية هى الموضوعات التى تكشفت وظهرت فقد وضعها الله أوانى حاملة للمعانى ومنها أشباح بنى آدم فانها موضوعات للسر الربانى الذى هو الروح والروح متصلة بتلك الخمرة الأزلية وإنما يعوقها ويمنعها من اللحوق بأصلها هذا الموضوع الذى وضعه الله لها وأسكنها فيه فهو كثيف وهى لطيفة فمن غلبت كثافته على لطافته أو تقول بشريته على روحانيته بقى دائما مسجوناً بمحيطاته محصوراً فى هيكل ذاته ومن غلبت لطافته على كثافته أو تقول روحانيته على بشريته اتصلت روحه بالحضرة القدسية ورجعت إلى أصلها فلم يحجبها عن أصلها أرض ولاسماء ولاعرش ولا كرسى حتى قال بعضهم العرش والكرسى مندقان فى ترسى وقال آخر لو أن العرش فى زاوية من زوايا قلب العارف ماأحس به وفى الحكم العطائية الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطات محصور فى هيكل ذاته مفهومه اذا فتحت

فهو سالك مجذوب والمقامات التى يقطعها ثلاث فناء فى الافعال وفناء فى الصفات وفناء فى الذات (أو تقول) فناء فى الأسم وفناء فى الذات والفناء وهو مقام البقاء ثم الترقى مالانهاية له فإذا كشف للسالك عن سر توحيد الأفعال وذاق حلاوته وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء فى الصفات التى تطلب أمامك وإذا ترقى إلى مقام الفناء فى الصفات وكشف له عن سر توحيد الصفات واستشرف على الفناء فى الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء فى الذات الذى تطلب أمامك وإذا ترقى إلى الفناء فى الذات وكشف له عن سر توحيد الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة فناء الفناء أو حقيقة البقاء الذى تطلب أمامك وإذا وصل إلى البقاء نادته هواتف العلوم الغيبية وقل رب زدنى علماً وقد قال عليه السلام لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

(أو تقول) إذا كشف للمريد عن الفناء فى الاسم وذاق حلاوة العمل والذكر وأرادت همته أن تقف معها نادته هواتف حقائق الفناء فى الذات الذى تطلب أمامك فاذا ترقى إلى مقام الفناء فى الذات وذاق حلاوته ولم يتمكن وقنع بذلك وأرادت همته أن تقف مع ذلك نادته هواتف حقيقة التمكين الذى تطلب أمامك وإذا تمكن ولم يطلب زيادة الترقى نادته هواتف الترقى الذى تطلب أمامك وهكذا كل مقام ينادى على ماقبله ياأهل يثرب لامقام لكم وإذا تبرجت أى ظهرت بزينتها وحللها للسالك أو للعارف ظواهر المكونات بخرق عوائدها وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشى على الماء والطيران فى الهواء ونبع الماء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية وأرادت همة السالك أن تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة حسنها نادته هواتف المعانى الباطنه إنما نحن فتنة لك نختبرك هل تقنع بها دون معرفة مالكها ومنشيها المتجلى فيها أو تعرض عنها وتنفذ إلى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها فلا تكفر وتجحد المتجلى بها فتكره فتكون من الجاهلين (وقد) ضرب الساحلى فى البغية مثلا لهذه المقامات والسير فيها فقال مثل ذلك كملك ظهر بالمشرق مثلا وأرسل لنا رسلا بكتاب من عنده فقرؤا علينا كتاب الملك وشوقنا اليه غاية التشويق بذكرى كرمه ومحاسنه فمن الناس من أعرض عن طاعته والانقياد اليه وهم الكفار ومن الناس من قبل وآمن ولم يقدر على النهوض إلى حضرة الملك وهم عوام المسلمين ضعفاء المحبة واليقين ومن الناس من تشوق للملك ونهض إلى حضرته فقالت له الرسل نحن نسيرك ونعرفك الطريق فتقدموا أمامهم يسيرون بهم ثم أن الملك بنى ديارا ومنازل ينزلونها كل النزل أعظم من الذى قبله هكذا

له ميادين الغيوب لم يحصره هيكل ولا كون بل يترقى إلى فضاء الشهود وتتصل روحه بالملك المعبود اتصالا يعرفه أهل الأذواق وينكره أهل الأوراق وقد ضرب عز بن عبد السلام مثلا ربما يزيل ذلك الأشكار ويوضح لك المثال إن لم تذق ماذاقت الرجال (قال فى حل رموزه) وفتح كنوزه فاعلم أن القلب غيب والرب غيب فاطلع الغيب على الغيب فكان اطلاعه نزولا لا حلولا واعلم أن لطيفة ذلك أن القلب خلق كامل الوصف فله وجهان ظاهر وباطن فظاهره ترابى أرضى مظلم طبيعى جثمانى وباطنه سماوى علوى نورانى روحانى فكثافة ظاهره لمباشرة القوى الطبيعية البشرية ولطافة باطنه لمواجهة الملكوتيات العلوية الربانية الروحانية فعلى قدر مواجهته لها ومقابلته إياها انعكست عليه أشعة أنوارها وتجلت لأسراره بأسرارها فشاهدها بالأنوار التى فاضت عليه وأدركها بالأسرار التى أبدتها اليه وهذا معنى العكس والمقابلة فهو يشهد جمالية محبوبه فى مرآة قلبه من غير حصر ولاتحيز ولا حلول ولا نفصال ولا اتصال فهو فى المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم وباطنها لطيف مضيء فلو قابلها من الكائنات ماقبلها من صغير أو كبير أرته ممثلا فيها مع صغر جرمها وكبر المرئى

إلى حضرته فاذا نزلوا أول المنازل ورأو حسنه وبهجته أرادوا أن يقيموا فيه فتقول لهم الرسل الذين جاؤوا من عند الملك الذى تطلبون أمامكم فينهضونهم من ذلك المنزل فاذا نزلوا الثانى وجدوه أعظم من الأول فيريدون أن يقيموا فيه فترحلهم الرسل إلى ما بعده هكذا يقطعون بهم المنازل منزلا منزلا حتى يوقفونهم على الملك فيقولون لهم ها أنتم وربكم فيستريحون من تعب ويتمتعون بالمجالسة والنظر والمراد بالرسل هنا الأنبياء الذين بعثهم الله وخلفاؤهم ممن كان على قدمهم ممن جمع بين الحقيقة والشريعة وهذه المنازل هى المقامات التى يقطعها المريد اه بالمعنى مع الاختصار لطول العهد به وقد أشار الششترى إلى التنبيه على عدم الوقوف مع هذه المقامات والكرامات فقال

فلا تلتفت فى السير غيرا وكل ما ... سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه ... حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

واعلم أن هذه الآداب التى ذكرها الشيخ فى هذا الباب قد تكون خاصة بالعارف وقد يشاركه فيها غيره فلذلك يعبر بعبارة واسعة لتكون عامة لأن المريد قد يترقى إلى مقام وقد بقيت عليه بقية مما قبله فيكملها فيه والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الخامس وهو ترك الطلب من حيث هو قال فيما يأتى ربما دلهم الأدب على ترك الطلب فقال (طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منك وطلبك من غيره لوجود بعدك منه)قلت طلبك منه يكون بالتضرع والابتهال وطلبك له يكون بالبحث والاستبدال وطلبك لغيره يكون بالتعرف والاقبال وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال وحاصلها أربعة طلب الحق ومنه طلب الباطل ومنه وكلها مدخولة عند المحققين أما طلبك منه فلوجود تهمتك له لأنك إنما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك فإنما ينبه من يجوز منه الاغفاء وانما يذكر من يمكن منه الإهمال وما الله بغافل عما تعملون أليس الله بكاف عبده وقال صلى الله عليه وسلم من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فالسكون تحت مجارى الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والابتهال وكان شيخ شيوخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول : الفقير الصادق لم تبق له حالة يطلبها وإن كان ولا بد من الطلب فليطلب المعرفة اه (قلت) وإذا ورد منهم الدعاء فانما

فيها ولو كان جملا أو جبلا أرته بكل أجزائه فيها من غير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز فى شىء منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين قلبه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا تحيز ولا اتصال ولا انفصال وأوضح من هذا المثال ما أشرحه فى هذه الأبيات

ولما تجلى من أحب تكرما ... واشهدنى ذاك الجناب المعظما
تعرف لى حتى تيقنت أننى ... أراه بعينى جهرة لا توهما
وفى كل حال أجتليه ولم يزل ... على طور قلبى حيث كنت مكلما
وما هو فى وصلى بمتصل ولا ... بمنفصل عنى وحاشاه منهما
وما قدر مثلى أن يحيط بمثله ... وأين الثرى من طلعة البدر إنما
أشاهده فى صفو سرى فأجتلى ... كمالا تعالى عزة أن يقسما

هو عبودية وحكمة لا طلبا للقسمة إذ ما قسم لك واصل اليك ولو سألته أن يمنعكه ما أجابك (وفى) المسألة خلاف بين الصوفية هل السكوت أولى أو الدعاء والتحقيق أن ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه (وأما) طلبك له فهو دليل على غيبتك عنه بوجود نفسك فلو حضر قلبك ووهمك لما وجدت غيره

أراك تسأل عن نجد وأنت بها   وعن تهامة هذ فعل متهم

وقال ابن المرحل السبتى رضى الله عنه

ومن عجب أنى أحن اليهم   واسأل شوقا عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم بسوادها   ويشكو النوى قلبى وهم بين أضعى

وللرفاعى رضى الله عنه

قالوا أتنسى الذى تهوى فقلت لهم   ياقوم من هو روحى كيف أنساه
وكيف أنساه والاشياء به حسنت   من العجائب ينسى العبد مولاه
ما غاب عنى ولكن لست أبصره   إلا وقلت جهارا قل هو الله

(وأما) طلبك لغيره أى لمعرفة غيره فلقلة حيائك منه وعدم أنسك به أما وجه قلة حيائك منه فلأنه يناديك إلى الحضرة وأنت تفر منه إلى الغفلة ومثال ذلك كمن كان فى حضرة الملك والملك مقبل عليه ثم يجعل هو يريد الخروج منها ويلتفت إلى غيره فهذا يدل على قلة حيائه وعدم اعتنائه بالملك فهو حقيق بأن يطرد إلى الباب أو إلى سياسة الدواب وقد قالوا انكر من تعرف ولا تتعرف لمن لا تعرف (وأما وجه) عدم أنسك به فلأنك لو أنست به لاستوحشت من خلقه فلا يتصور منك طلب معرفتهم وأنت تفر منهم فاذا آنسك به أوحشك من خلقه وبالعكس والاستئناس بالناس من علامة الافلاس إقبالك على الحق ادبارك عن الخلق وإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق وقد عدوا من أصول الطريق الإعراض عن الخلق فى الاقبال والادبار (وأما) طلبك من غيره فلوجود بعدك عنه إذ لو تحققت بقربه منك وهو كريم مااحتجت إلى سؤال غيره وهو لئيم وسيأتى فى المناجاة أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما تطعت عادة الامتنان (وفى بعض) الكتب المنزلة يقول الله تبارك وتعالى إذا أنزلت بعبدى حاجة فرفعها إلى أعلم ذلك من نيته لو كادته السموات السبع والأرضون

ان بدر التم يظهر وجهه   بصفو غدير وهو فى أفق السما

واعلم أن هذه الخصوصية إنما هى لابن آدم دون الملك وإنما كان كذلك لما ذكرنا أن الآدمى مخلوق من العالمين اللطيف والكثيف فينزل القلب فيه بمنزلة المرآة فى لطفها وكثافتها فلذلك انطبع فيها ما يقابلها من المرئيات ولا كذلك للملك فانه مخلوق من لطيف فقط وهو كله نور يشف ظاهره وباطنه فهو كالزجاجة الشفافة نورها خارق فلا يتمثل فيها ما يقابلها لعدم التكثيف الذى يعكس ما يقابلها إليها فهذا سر العكس والمقابلة اه كلامه رضى الله عنه ومن هنا يبتدا الطلوع (وحاصله) ان الآدمى كالمرآة التى من خلفها الطلا وهو الدهن الذى يجعل فيه والملائكة كالمرآة التى لا طلاء خلفها لكن الملائكة فيهم الخواص والعوام وفيهم العارفون وغيرهم والله تعالى أعلم (و) قوله ومن هنا يبتدأ الطلوع الاشارة تعود إلى الموضوع الذى جعله الله محلا الروح ومستقرا لها فى هذا العالم السفلى أى ومن هذا المحل السفلى الذى تقررت فيه الروح يبتدأ طلوعها وعروجها الى محلها الأصلى الذى هو عالم الملكوت أو الجبروت وطلوعها بقدر تخليها عن هذا الموطن وغيبتها عنه فبقدر ما تغيب عن

البيع لجعلت من أمره فرجاً ومخرجاً وإذا أنزلت بعبدى حاجة فرفعها إلى غيرى أضحت الأرض من تحته وأسقطت السماء من فوقه وقطعت الاسباب فيما بيني وبينه أوكما قال لطول العهد به فتحصل ان الادب هو الاكتفاء بعلم الله والتحقق بمعرفة الله والاستغناء به عما سواه والله تعالى اعلم ثم ذكر الادب السادس وهو التسليم والرضى بما يجرى به القدر والقضاء فقال (ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه) قلت النفس بفتح الفاء عبارة عن دقيقة من الزمان قدر ما يخرج النفس ويرجع وهو أوسع من الطرفة والطرفة أوسع من اللحظة وهى رمق البصر ورده والقدر هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر وهو أعلم أوقاتها وأماكنها ومقاديرها وعدد أفرادها وما يعرض لها من الكيفيات وما ينزل بها من الآفات فاذا علمت أيها الانسان أن أنفاسك قد عمها القدر ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمه وجرى به قلمه لزمك أن ترضى بكل ما يجرى به القضاء فأنفاسك معدودة وطرفاتك ولحظاتك محصورة فاذا انتهى آخر أنفاسك رحلت إلى آخرتك وإذا كانت الأنفاس معدودة فما بالك بالخطوات والخطرات وغير ذلك من التصرفات ولله در القائل :

مشينا خطى كتبت علينا ـ ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن قسمت منيته بأرض فليس يموت فى أرض سواها

وحقيقة الرضى هو تلقى المهالك بوجه ضاحك وحقيقة التسليم استواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار فى أيهما يقيم وهذا هو مقام أهل الكمال الذين تحققوا بالزوال نفعنا الله بذكرهم وخرطنا فى سلكهم أمين ثم ذكر الادب السابع وهو دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة فقال (لا تترقب فراغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو متيمك فيه) الترقب هو الانتظار والاغيار بكسر الغين وهو ما يغير القلب عن حاله والغالب استعماله فيما يغيره من حالة الكمال إلى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها فهو غير والمراقبة هى العسة على القلب لئلا يخرج من حضرة الرب والمراد بها فى كلام الشيخ مطلق العسة فتصدق بمراقبة القلب كما تقدم وتصدق بمراقبة الروح وهى عسها على دوام الشهود وبمراقبة السر وهى عسته على دوام الترقى والادب

(قلت) إذا أقامك الحق تعالى فى حال يغلب فيها وجود الاغيار لغلبة الحس فيها كما إذا أقامك فى شغل دنيوى فى الظاهر لا محيد لك عنه فجاهد قلبك فى العسة عليه فى الحضور لئلا تسرقك الغفلة أو جاهد روحك فى العسة عليها فى دوام الشهود لئلا يسرقك الحس أو جاهد سرك فى استمداد المواهب والعلوم لئلا يحصل ذلك فتور ولا تترقب

موضوعها تفارقه وتعرج عنه إلى أصلها وبقدر ما تتعلق به وترتهن دعه تستقر فيه وتسجن فى هيكله (قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أيها الشائق إلى سبيل نجاته التائق إلى حضرة حياته أقلل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لا سرار ملكوت ربك (وفى بعض) الكتب المنزلة يقول الله تعالى عبدى إنما منحتك صفاتى لتعرفنى بها فان أدعيتها سلبتك الولاية ولم أسلبك صفاتى ياعبدى أنت صفتى فارجع إلى أرجع اليك ياعبدى فيك للعلوم باب مفتاحه أنا وفيك للجهل باب مفتاحه أنت فاقصد أى البابين شئت ياعبدى قربى منك بقدر بعدك عن نفسك وبعدى عنك بقدر قربك من نفسك فقد عرفك الطريق فاترك نفسك تصل الى فى خطوة واحدة يا عبدى كل ما جمعك على فهو منى وكل ما فرقك عنى فهو منك فجاهد نفسك تصل الى وانى لغنى عن العالمين ثم قال ياعبدى ان منحتنى نفسك رددتها اليك راضية وان تركتها عندك فهو أعظم بلية فهى أعدى الأعادى اليك فجاهدها تعد بالفوائد اليك وكان شيخنا رضى الله عنه يقول ان شئتم أن أقسم لكم انه لا يدخل عالم الملكوت من قلبه علاقة (و) قال الششترى رضى الله عنه ليس يدرك وصالى كل

أى تنظر فراغ شغل يدك من تلك الاغيار فتؤخر حضور قلبك إلى تمام شغل يدك فيفوتك وجود المراقبة فى تلك الحال التى أقامك الحق فيها فيكون فى حقك سوء أدب وفيه أيضاً تضييع ذلك الوقت وخلوه من معاملة الحق وصرف الاوقات لا يمكن قضاؤها .

(ولقد) بلغنى أن شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه كان إذا رأى أصحابه فى شغل وخاف عليهم أن يسرقهم الحس نادى عليهم بأعلى صوته أنت أنت تنبيهاً لهم وإيقاظاً من شهود الحس وقد ذكر الشعرانى فى العهود عن بعض أشياخه أنه كان لا يغيب عن الله ولو فى حالة الجماع وهذا شأن أهل الاعتناء من العارفين وهذا هو جمع الجمع والله تعالى أعلم .

(تنبيه) ليس هذا تكراراً مع ما تقدم فى قوله احالتك الاعمال على وجود الفرغ الخ لأن ذلك فى عمل الجوارح وهذا فى عمل القلوب يدلك على ذلك تعبيره هنا بالمراقبة وتعبيره ثم بالاعمال والافادة خير من الاعادة وبالله التوفيق وإذا حصلت لك المراقبة أو المشاهدة فى حال الاغيار فلا تستغرب ما تراه من الاكدار لئلا يحصل لك الانكار وإلى هذا أشار بقوله (لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت فى هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) الاستغراب تصيير الشيء غريبا حتى يتعجب منه والاكدار كل ما يكدر على النفس ويؤلمها ومستحق وصفها ما تستحق أن توصف به وواجب نعتها ما يجب أن تنعت به قال بعضهم الوصف يكون بالامور اللازمة و(النعت يكون) بالعوارض الطارئة فالأمور اللازمة كالبياض والسواد والطول والقصر والعوارض كالمرض والصحة والفرح والحزن وغير ذلك والمراد هنا بالاوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والأمراض وما يقع كثيراً وبالنعوت ما يقل وقوعه فى العادة كالفتن والهرج والزلازل لأنهم يقولون الاوصاف لوازم والنعوت عوارض وقيل شيء واحد وهو الاصح (قلت) من آداب العارف أن لا يستغرب شيئاً من تجليات الحق ولا يتعجب من شيء منها كائنة ما كانت جلالية أو جمالية فإن نزلت به نوازل قهرية أو وقعت فى هذه الدار أكدار وأغيار جلالية فلا يستغرب وقوع ذلك لأن تجليات هذه الدار جلها جلالية لأنها دار أهوال ومنزل فرقة وانتقال (وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فى بعض خطبه أيها الناس إن هذه الدار دار التواء أى هلال لا دار استواء ومنزل ترح أى حزن لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخائها ولم يحزن لشقائها الا وان الله خلق الدنيا دار بلوى دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطى ويبتلى ليجزى وانها لسريعة التوى وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة رضاعها المرارة

من فيه بقيا . وقد أوضح الناظم هذا المعنى فيما يأتى حيث قال :

لم يتصل بالعالم الروحانى   من عمره على الفضول عانى

ليس يرى من المعانى دان   من قلبه فى عالم الأبدان

والبيت الآخر تفسير لما ذكره هنا بقوله ومن هنا يبتدأ الطلوع ويأتى زيادة بيان وتوضيح عند شرحها إن شاء الله والله تعالى أعلم ثم بين كيف كان اتصال الروح بالحضرة فقال :

فلم تزل كل نفوس الاحيا   علامة دراكة للأشيا

وإنما تعوقها الابدان   والانفس النزغ والشيطان

فكل من أذاقهم جهاده   أظهر للقاعد خرق العاده

النزغ هو النخس والتحريك نزعه الشيطان أى نخسه وحركه والانفس النزغ هى التى تحرك صاحبها للمعاصى والشهوات

فطاعها واهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها ولا تسعوا فى عمران دار قد قضى الله خرابها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين (وقال) الجنيدى رضى الله عنه ليس استبشع ما يرد على من العالم لانى أصلت أصلا وهو أن الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أنه يتلقانى بكل ما أكره فان تلقانى بما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول وفى ذلك قيل

يمثل ذو اللب فى لبه … شدائد قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه … لما كان فى نفسه مثلا
رأى الأمر يفضى إلى آخر … فصير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه … وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزما … ن ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم من نفسه … لعلمه الصبر عند البلا

قال أبو سليمان الدارنى لأحمد بن أبى الحوارى يا أحمد جوع قليل وعرى قليل وذل قليل واصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا اه فلا تستغرب أيها العارف ما يقع بك أو لغيرك من الاكدار مادمت مقيما فى هذه الدار لأنها ما برز فيها من التجليات الجلالية الا ما هو مستحق أن تتصف به وواجب أن تنعت به فلا تستغرب شيئاً ولا تتعجب من شىء بل الواجب عليك أن تعرف الله فى الجلال والجمال والحلوة والمرة وأما ان كنت لا تعرفه الا فى الجمال فهذا هو مقام العوام والمعرفة فى الجلال هو السكون والأدب والرضى والتسليم فينبغى للفقير أن يكون كعشب السمار إذا جاءت حملة الوادى حتى رأسه وإذا ذهبت رفع رأسه وكما لا تستغرب وقوع الاكدار بحيث لاتحزن ولا تخف ولاتجزع كذلك لا تتعجب من وقوع المسار وهو الجمال بحيث لا تفرح ولا تبطر فان الجلال مقرون بالجمال والجمال مقرون بالجلال يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والعارف يتلون مع كل واحد منهما لا يستغرب شيئا ولا يتعجب من شىء اذ كل ما يبرز من عنصر القدرة كله واحد وبهذا وقع التفريق بين الصادق والصديق لأن الصديق لايتعجب من شىء ولا يتردد فى شىء وعد به بخلاف الصادق فقط فانه مهما رأى شيئا مستغربا تعجب منه وإذا وعد بشىء قد يتردد فى امتثاله وقد وصف الله تعالى السيدة مريم بالصديقية ولم يصف السيدة سارة بها لأنها لما بشرت بالولد على وجه

والنفس والعقل والقلب والروح والسر شىء واحد عند محققى الصوفية وما ثم الا اللطيفة الربانية حين اشتبكت بهذا البدن وسجنت فى هذا الهيكل اختلفت تسميتها باعتبار تطورها وترقيها فما دامت مظلمة بالشهوات والمعاصى سميت نفسا فاذا أنزجرت وانعقلت عن المعاصى سميت عقلا فاذا سكنت الى الطاعة لكنها تتقلب فى التدبير والاختيار والاهتمام بأمر البدن سميت قلبا فاذا اطمأنت بالله وسكنت اليه وفتحت بصيرتها بشهود نور أصلها سميت روحا فاذا اتصفت من الحس وصارت معنى محضا سميت سرا وهذا كان أصلها سرا من أسرار الله قال تعالى « قل الروح من أمر ربى » أى سر من أسراره فكانت فى الاصل علامة لما كان وما يكون دراكة دقائق الاشياء على ما هى عليه ولما أدخلها الحق فى هذا الهيكل الكثيف اظهارا لحكمته واعلاما بعظمة قدرته واشعارا بقهريته انحجبت عن أصلها وغاب عنها ذلك العلم والادراك ونسيت معاهدها ومعالمها اشتغالا بتدبير هذا الهيكل الطينى فهو يميل بها إلى أصله ويخلد بها إلى أرض الشهوات التى نشأ بالحكمة منها وهى تتعشق إلى أصلها وتحن الى وكرها فاذا طارت ورفرفت الى وكرها وجدت قفر البدن محيطا بها فربما شطحت ورقصت من وراء

خرق العادة استغربت وقالت إن هذا لشيء عجيب فلذلك قالت لها الملائكة أتعجبين من أمر الله بخلاف مريم فلم تتعجب وإنما سألت سؤال استفهام فقط أو سألت عن وقت ذلك أو كيفيته هل بالتزوج أو بغيره والله تعالى أعلم ، ثم ذكر الأدب الثامن وهو أن يكون تصرفه بالله ولله ومن الله وإلى الله وهو مقام الصدق الذى هو لب الإخلاص وإخلاص خواص الخواص فقال (ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) التوقف الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاؤه والتيسر التسهيل .

(قلت) إذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة وأردت أن تقضى لك سريعا فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك فإنك إذا طلبتها بالله تيسر أمرها وسهل قضاؤها وإن طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتعسر أمرها ولا يتوقف ويحبس أمر طلبته بربك ولا يتيسر ويسهل أمر طلبته بنفسك قال تعالى حاكيا عن سيدنا موسى عليه السلام وقال موسى لقومه « استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فكل من استعان بالله وصبر فى طلب حاجته كانت العاقبة له وكان من المتقين ، وقال تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى كافيه كل ما أهمه وقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه وهو سويد بن غفلة لا تطلب الامارة فإنك إن طلبتها وكلت إليها وإن اتتك من غير مسأله أعنت عليها وعلامة الطلب بالله هو الزهد فى ذلك الأمر والاشتغال بالله عنه فإذا جاء وقته تكون بإذن الله وعلامة الطلب بالنفس هو الحرص والبطش إليه فإذا تعذر عليه انقبض وتغير عليه فهذا ميزان من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه فمن طلب حوائجه بالله قضيت معنى وإن لم تقض حسا ومن طلب حوائجه بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وإن قضيت نهمته وحاجته (وها هنا) ضابط يعرف به أهل العناية من أهل الخذلان وأهل الولاية من أهل الخسران ذكره الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فقال (إذا أكرم الله) عبداً فى حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب فى عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جرى ماقدر له ولا يلتفت إليها كأنه فى معزل عنها وإذا أهان الله عبداً فى حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب فى شهواته وعبودية الله عنه بمعزل وإن كان يجرى عليه شيء منها فى الظاهر قال وهذا باب من الولاية والاهانة

(وأما) الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوى البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويتركاه نقله الشيخ زروق فى بعض شروحه (والحاصل) أن تصرفات العارف كلها بالله وتصرفات غيره كلها بالنفس ولو كانت

أردية العز والكبرياء وفى ذلك يقول الشيخ أبو مدين رضى الله عنه

يحركنا ذكر الأحاديث عنكم ... ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا
فقل للذى ينهى عن الوجد أهله ... إذا لم تذق معنا شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقا ... نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يا فتى ... إذا ذكر الاوطان حن إلى المغنى
يفرج بالتغريد ما بفؤاده ... فيطرب أرباب العقول إذا غنى
ويرقص فى الاقفاص شوقا إلى اللقا ... فتضطرب الاعضاء فى الحس والمعنى
كذلك أرواح المحبين يا فتى ... تهزها الاشواق للعالم الاسنا
أنلزمها بالصبر وهى مشوقة ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى

بالله فالعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة العمل بالله صاحبه داخل الحجاب فى مشاهدة الأحباب والعمل لله يوجب الثواب من وراء الباب العمل بالله من أهل التحقيق والعمل لله من أهل التشريع العمل لله من أهل قوله تعالى (إياك نعبد) والعمل بالله من أهل قوله تعالى (وإياك نستعين) وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه بين العمل بالله والعمل لله ما بين الدينار والدرهم اه وبالله التوفيق ومن كان عمله بالله كان راجعاً إليه فى كل شىء ومتعمداً عليه فى كل حال وإليه أشار بقوله (من علامة النجح فى النهايات الرجوع إلى الله فى البدايات) النجح فى الشىء هو بلوغ القصد والمراد فيه ونجحت مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب ونهاية الشىء تمامه وبدايته أوله

(قلت) إذا توجهت همتك أيها المريد إلى طلب شىء أى شىء كان وأردت أن ينجح أمره وتبلغ مرادك فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة فارجع إلى الله فى بداية طلبه وانسلخ من حولك وقوتك وقل كما قال عليه السلام إن يكن من عند الله يمضه فلا تحرص عليه ولا تهتم بشأنه فما شاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن فلو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوك بشىء لم يقدره الله لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يقدره الله عليك لم يقدروا على ذلك جفت الأقلام وطويت الصحف كما فى الحديث فإذا طلبت شيئاً وكنت فيه معتمداً على الله ومفوضاً أمرك إلى الله تنظر ما سبق فى علم الله كان ذلك علامة نجح نهايتك وحصول مطلبك قضيت فى الحس أو لم تقض لأن مرادك مع مراد الله لا مع مراد نفسك قد انقلبت حظوظك حقوقا لا تشتهى إلا ما قضى الله ولا تنظر إلا ما يبرز من عند الله قد فنيت عن حظوظك وشهواتك وإن طلبت شيئاً بنفسك معتمداً على حولك وقوتك حريصاً على قضائها جاهداً فى طلبها كان ذلك علامة على عدم قضائها وخيبة الرجاء فيها وعدم نجح نهايتها وإن قضيت فى الحس وكلت إليها فتعبت بسببها ولم تعن على شؤونها ومآربها وهذا كله مجرب صحيح عند العام والخاص وهذه الحكمة تتميم لما قبلها وشرح لها والله تعالى أعلم :

ثم كمل هذه المسئلة بقاعدة كلية تصدق بما تقدم وبغيره فقال (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) قلت إشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله والاعتماد فيها على الله مع السعى فى أسبابها والاعتناء فى طلبها قياماً بحق الحكمة وأدباً مع القدرة ويعظم السعى فى السبب بقدر عظمة المطلب فبقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب رضى الله عنه لا تحسبوها رخيصة ، رآدوا أكل المعشوق غالى ،

أنلزمها بالصبر وهى معشوقة وهل يستطيع للصبر من شاهد المعنى الخ كلامه ثم اعلم أن تطورات الروح من النفس والعقل والقلب والروح والسر كل طور له حد ينتهى إليه فى العلم والادراك

أما النفس فحد علمها وإدراكها زينة ظاهر الكون اغترارا بمتعة ظاهره وغفلة عن عبرة باطنه واشتغالا بحظوظها وهواها وأما العقل فحد علمه وإدراكه افتقار الصنعة إلى صانعها فهو يقرر الصنعة ويردها إلى صانعها معقولا عن غير ذلك وأما القلب فحد علمه وإدراكه التوجه إلى خالقه بترك الأغيار وطلب الأنوار فقد انطلق من العقال وشد فى طلب مولاه الرحال (وأما) الروح فحد علمها وأدراكها مواجهة أنوار الملكوت طالبة أسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير لكنها لم تتمكن من السر (وأما) السر فحد إدراكه أسرار الجبروت قد نفذت البصيرة من الوقوف مع أنوار الملكوت وهذا منتهى السير قال تعالى (وإن إلى ربك المنتهى وفى هذا المقام قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه

ولو عاينت عيناك يوم تزلزلت　　أرض النفوس ودكت الاجبال

ما تنحصد صابت الصيف ، إلا ببرد الليالى ، فمن رأيناه فى بدايته جادا فى طلب الحق معرضاً عن الإنس بالخلق مستغرقاً فى خدمة مولاه ناسياً لحظوظه وهواه علمنا أن نهايته مشرقة وعاقبته محمودة ومآربه مقضية ومن رأيناه مقصرا فى طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه علمنا أنه كاذب فى دعواه فنهايته الحرمان وعاقبته الخذلان إلا أن يتداركه الكريم المنان هذا فى طريق الوصول إلى حضرة الحق

(وأما) إشراق البداية فى طلب حوائج الدنيا أو المقامات أو المراتب أو الخصوصية مثلا فهو بالزهد فيها والاعراض عنها والاشتغال بالله عنها قال بعضهم لا تدرك المراتب إلا بالزهد فيها قال الشيخ أبو الحسن كنت أنا وصاحب لى نعبد الله فى مغارة ونقول فى هذا الشهر يفتح الله علينا فى هذه الجمعة يفتح الله علينا فوقف على باب المغارة رجل عليه سماء الخير فقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام وقلنا له كيف أنت فنهض علينا وقال كيف يكون حال من يقول فى هذا الشهر يفتح الله فى هذه الجمعة يفتح الله لا فتح ولا فلاح هلا عبدنا الله كما أمرنا ثم غاب عنا ففهمنا من أين أخذنا فرجعنا على أنفسنا باللوم ففتح الله علينا اه بالمعنى ذكره فى التنوير فمن طلب الخصوصية كان عبد الخصوصية وفاته حظه من الله حتى يتوب ومن كان عبد الله نال حظه من العبودية وأدركته الخصوصية من غير التفات إليها ولا طلب والله تعالى أعلم

ثم إن هذه الأمور التى تشرق بها البداية وتكون علامة على إشراق النهاية هى أمور باطنية كالاعتماد على الله والرجوع إليه أو كثرة الشوق والاشتياق إليه ولكن لا بد من ظهور أثرها على الظاهر وإليه أشار بقوله (ما استودع من غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر) استودع أى وضع فالاستيداع هو وضع الشىء فى محل ليحفظ وغيب السرائر هو باطنها والمراد بالسرائر هو القلوب والأرواح وشهادة الظواهر هى ظاهر الجوارح (قلت) ما استودع الله سبحانه فى القلوب وجعله فيها من خير أو شر من نور أو ظلمة من علم أو جهل من رحمة أو قسوة من بخل أو شح أو كرم وسخاء وقبض وبسط ويقظة أو غفلة ومعرفة أو نكران أوغير ذلك من الأخلاق المحمودة أو المذمومة لا بد أن يظهر آثار ذلك على الجوارح من أدب وتهذيب وسكون وطمأنينة ورزانة وبذل وعفو أو طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الأحوال القلبية والأعمال القالبية قال تعالى « تعرفهم بسيماهم » وقال « سيماهم فى وجوههم » وقال صلى الله عليه وسلم من سر سريرة كساه الله رداءها فأفعال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فمن أودع فى سر غيبه معرفة مولاه لم يطلب من سواه ومن أودع فى سر غيبه الجهل بمولاه تعلق بما سواه وهكذا أحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن كما تقدم فى قوله تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال

لرأيت شمس الحق يسطع نورها   يوم التزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجبال جبال العقل اه أى لو غبت عن نفسك ولم تقف مع عقلك لرأيت أنوار ربك (قوله) وإنما تعوقها الأبدان أى إنما يمنعها من الرجوع إلى أصلها فتكون علامة دراكة للأشياء كما كانت فى أصلها الأبدان التى هى كالأقفاز لها حصرا وكالقمص والأردية لها استرا وإنما منعها البدن من الرجوع إلى أصلها لأنه ظلمانى طينى صلصالى لا يميل بطبعه إلا لأصله من الشهوات الجسمانية مأكلا ومشربا وملبسا وكلما تعمق فى ذلك تكثفت بشريته وقويت دائرة حسه فعظم حجاب الروح وتوغلت فى هذا القفص وكذلك النفس النزاعة المحركة إلى الحظوظ الذميمة كحب العلو والجاه والمدح والثناء وحب الدنيا والنساء وغير ذلك مما يستتبع هذا من الكبر والحسد والبغض والغضب والقلق والحقد وخوف الفقر وهم الرزق وحب الأغنياء طمعا وحرصا واحتقارا للفقراء وغير ذلك من عيوبها فهى التى حجبت الروح ومنعتها من العروج إلى وطنها ولدواء هذه الأمراض وضع علم التصوف وكذلك الشيطان بوسوسته ونزغه وتزيينه لأنه حسود دفين لها الكفر

فالأسرة تدل على السريرة والكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك وكل إناء بالذى فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره والله تعالى أعلم وأعظم ما استودع فى غيب السرائر معرفة الله وهى على قسمين معرفة البرهان ومعرفة العيان أشار إلى الفرق بينهما فقال (شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه وإلا فتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) شتان بمعنى بعد وافترق ولا تكون إلا فى افتراق المعانى دون الحسيات (قلت) اعلم أن الحق سبحانه لما أراد أن يتجلى بأسرار ذاته وأنوار صفاته أظهر بقدرته قبضة من نوره الأزلى فاقتضت القدرة ظهور آثارها وشهود أنوارها واقتضت الحكمة استدال حجابها وإظهار أستارها فلما عرفت القدرة نورها فى مظاهر الكون استدلت عليها الحكمة رداء الصون فصارت الأكوان كلها نورا فى حجاب مستور ثم ان الحق سبحانه قسم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته وقسم أقامهم لخدمته وجعلهم من أهل حكمته أسدل عليهم حجاب الوهم وغيب عنهم نور العلم والفهم فوقفوا مع ظواهر القشور ولم يشهدوا بواطن النور مع شدة الظهور فسبحان من أخفى سره بحكمته وأظهر نوره بقدرته فأما أهل المحبة وهم أهل الولاية والعرفان من أهل الشهود والعيان فهم يستدلون بالنور على وجود الستور فلا يرون إلا النور وبالحق على وجود الخلق فلا يجدون إلا الحق وبقدرته على حكمته فوجدوا قدرته عين حكمته وحكمته عين قدرته فغابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه.

(وأما) أهل الخدمة من أهل الحكمة فهم يستدلون بظهور الستور على وجود النور وبالخلق على وجود الحق غابوا عنه فى حال حضوره وحجبوا عنه بشدة ظهوره (قال) بعض العارفين أثبت الله تعالى للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق وأثبت للخاصة نفسه فأثبتوا به المخلوق اه فشتان أى فرق كبير بين من يستدل به على ظهور أثره وبين من يستدل بظهور أثره على وجوده لأن من يستدل به عرف الحق وهو الوجود الحقيق من وجود أصله وهو الجبروت الأصلى القديم الأزلى يعنى أن من عرف الله حتى صار عنده ضرورياً عرف الوجود إنما هو لله وانتفى عنه وجود ماسواه وأثبت القدم لأوله ومنتهاه.

(أو تقول) عرف الحق وهو الوجود الأصلى لأهله وهو الله تعالى وأثبت الأمر وهو الوجود الفرعى من وجود

ثم المعاصى ثم التثبط عن الطاعات ثم إدخال الرياء فيها ثم العجب فاذا تخلصت من هذه العوائق رجعت إلى أصلها من علم الحقائق وإلى ذلك أشار بقوله:

فكل من أذاقهم جهاده أظهر للقاعد خرق العاده

فجهاد البدن يقطع مواده من تقليل الطعام والشراب واللباس والمنام فلا يأكل ولا يشرب إلا ليتقوى على طاعة الله ولا يلبس إلا ما يحفظ به البدن لأنه معرفة سر الله ولا ينام إلا ما يرد به العقل والنشاط لطاعة الله وكذلك لا ينقل قدميه إلا حيث يرجو ثواب الله ولا يجلس إلا حيث يأمن غالباً من معصية الله ولا يصحب إلا من يستعين به على طاعة الله ولا يتبع إلا من يتحقق وصلته بالله فيكون على كل حال عاملا لله بالله وجهاد النفس بقطع مألوفاتها وخرق عوائدها بتحميلها ما تكره وإبعادها ما تحب وأعظمها ثلاث حب الجاه وحب الدنيا وحب النساء وجهاد الشيطان بالاشتغال بالله والغيبة عنه فعداوة العدو حقاً هى اشتغالك بمحبة الحبيب حقاً (قال) تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا يعنى وأنا لكم حبيب

أصله أى الحقة بأصله فاذا التحق الفرع بالأصل صار الجميع جبروتياً أصلياً ويحتمل أن يكون معناهما واحداً ويكون التقدير عرف الوجود الحقيق لأهله وأثبت ذلك الأمر من أصله كقولك عرفت هذا الحكم وأثبت به من أصله والله تعالى أعلم.

(وأما) من يستدل عليه فلبعده عنه فى حال قربه منه ولغيبته عنه فى حال حضوره معه بعده الوهم وغيبه عدم الفهم وإلا فتى غاب حتى يستدل عليه إذ هو أقرب اليك من حبل الوريد ومتى بعد حتى تكون الآثار الوهمية هى التى توصل اليه وهو معكم أينما كنتم إذ أثر القدرة هو عينها فالصفة لا تفارق الموصوف إذ لا قيام لها إلا به ولا ظهور لها إلا منه وسيأتى له فى المناجاة إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك والله تعالى أعلم، ولما كان المستدلون بالله قد وسع عليهم دائرة العلوم وفتحت لهم مخازن الفهوم بخلاف المستدلين عليه قد قتر الله عليهم أرزاق العلم بوجود حجاب الوهم أشار إلى ذلك بقوله (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) السعة هى الغنى وقدر عليه ضيق عليه (قلت) أما الواصلون اليه فلأنهم لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى فضاء الشهود والعيان:

(أو تقول) لما عرجت أرواحهم من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح أو من عالم الملك إلى عالم الملكوت اتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم وفتحت لها مخازن الفهوم فأنفقوا من سعة غناهم جواهر العلم المكنون ومن مخازن كنوزهم يواقت السر المصون فاتسع لهم ميدان المجال وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة المقال فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية ان لله رجالا من نظر اليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وهم أهل السر والحال أما السائرون إلى إلى الله فلأنهم باقون فى ضيق الأكوان وفى عالم الأشباح مسجونون فى سجن الوهم لم يفتح لهم شىء من مخازن الفهم مشغولون بجهاد نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم فى العلوم ومقتر عليهم فى سائق الفهوم فان جدوا فى السير وصلوا وانتقلوا من ضيق الأكوان ورحلوا وتبختروا فى رياض العلوم ورفلوا فظفروا بما أملوا واستغنوا بعدما أن ملوا وان رجعوا من الطريق أو قصروا فقد خابوا وخسروا (تنبيه) إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فاقطع عنك مادة الاوراق فما دمت متكلا على كنز غيرك لا تحفر على كنزك أبدا فاقطع عنك المادة وافتقر الى الله تفيض عليك المواهب من الله إنما الصدقات للفقراء والمساكين ان أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك وقد قال الدباس لتلميذه

فاتخذونى حبيباً أكفكم عداوة عدوكم (وبق) من العوائق الناس فانهم أكبر العوائق وأقبح القواطع لمن وقف معهم واشتغل بمقابلتهم وأما من غاب عن حسهم وغرق فيهم فقد صاروا له عوناً على الترقى الى معرفة خالقهم وإلى هذا المعنى أشار شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه بقوله .

الخلق نوار وانا أرعيت فيهم   هم الحجب الاكبر والمدخل رآه فيهم

وقال فى الحكم إنما أجرى الاذى عليهم كى لا تكون ساكناً اليهم أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لا تكون ساكناً إلى شىء وقال فى شأن الشيطان والنفس إذ علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده إنما جعله لك عدوا ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه (فتحصل) أن هذه العوائق الاربعة انما هى عوائق لمن وقف معها وحجب بها وأما من لم يقف معها فانما هى فى حقه معونات وموصلات حركتهم إلى الله ودفعتهم إلى حضرته وبها ثبتت خصوصيتهم وتحقق سيرهم لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فسبحان من جمع بين الضدين شىء

ميمونة حين تأخر عنه الفتح فرصده فوجده يطالع رسالة القشيرى اطرح كتابك واحفر فى أرض نفسك يخرج لك ينبوع وإلا فاذهب عنى اهـ وبالله التوفيق ثم ذكر سبب اتساع العلوم على الواصلين دون السائرين وهو أن الواصلين لم يقفوا مع شهود الأنوار بل نفذوا إلى نور الأنوار بخلاف السائرين فإنهم واقفون مع الأنوار مفتقرون إليها مملوكون فى يدها فقال (اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا لشىء دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) قلت أنوار التوجيه هى أنوار الإسلام والإيمان وأنوار المواجهة هى أنوار الإحسان (أو تقول) أنوار التوجيه أنوار الطاعة الظاهرة والباطنة وأنوار المواجهة هى أنوار الفكرة والنظرة (أو تقول) أنوار التوجه أنوار الشريعة والطريقة وأنوار المواجهة أنوار الحقيقة (أو تقول) أنوار التوجه أنوار المجاهدة والمكابدة وأنوار المواجهة هى أنوار المشاهدة والمكالمة وبيان ذلك أن الحق سبحانه إذا أراد أن يوصل عبده إليه توجه إليه أولا بنور حلاوة العمل الظاهر وهو مقام الإسلام فيهتدى إلى العمل ويغنى فيه ويذوق حلاوته ثم يتوجه إليه بنور حلاوة العمل الباطن وهو مقام الإيمان من الإخلاص والصدق والطمأنينة والانس بالله والتوحش مما سواه فيهتدى إليه ويفنى فيه ويذوق حلاوته ويتمكن من المراقبة وهذا النور أعظم من الأول وأكمل ثم يتوجه إليه بنور حلاوة المشاهدة وهو عمل الروح وهو أول نور المواجهة فتأخذه الدهشة والحيرة والسكرة فإذا أفاق من سكرته وصحا من جذبته وتمكن من الشهود وعرف الملك المعبود ورجع إلى البقاء كان لله وبالله فاستغنى عن النور بمشاهدة نور النور لأنه صار عين النور فصار مالكا للأنوار بعد أن كانت مالكة له لافتقاره لها قبل وصوله إلى أصلها فلما وصل صار عبدا لله حرا مما سواه ظاهره عبودية وباطنه حرية (والحاصل) ان المريد مادام فى السير فهو يهتدى بأنوار التوجيه مفتقرا إليها لسيره بها فإذا وصل إلى مقام المشاهدة حصلت له أنوار المواجهة فلم يفتقر إلى شىء لأنه لله لا لشىء دونه فالراحلون وهم السائرون للأنوار لافتقارهم إليها وفرحهم بها وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لاستغنائهم عنها بالله فهم لله وبالله لا لشىء دونه ثم تلى الشيخ هذه الآية على طريق أهل الإشارة قل الله بقلبك وروحك وغب عما سواه ثم ذر الناس أى اتركهم فى خوضهم يلعبون أى يخوضون فى السوى لاعبين فى الهوى وقد اعترض بعض المفسرين على الصوفية استشهادهم بهذه الآية ولم يفهم مرادهم قد علم كل أناس مشربهم وكان الشيخ ابن عباد يقول لا تجعلوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن اهـ أى لأن أهل الباطن نظرهم دقيق وغزلهم

واحد حبيب من وجه عدو من وجه وفى الحقيقة ما ثم الا الحبيب أوقف على بابه حراسا ليظهر الصادق من الكاذب فيها والله عليم حكيم (و) قوله أظهر للقاعد خرق القاعدة يعنى أن من نهض إلى مجاهدة هذه الثلاث أو الأربع قد يكرمه الله بظهور الكرامات وخرق العادات اما حسية أو معنوية فيظهر عليه بحسب كل مقام خارق يليق به على قدر حاله فمن مجاهدة البدن تظهر الكرامات الحسية أما من جهة العبادة الحسية كحلاوة الطاعات ولذيذ المناجاة لقوله صلى الله عليه وسلم من غض بصره لله رزقه عبادة يجد لذتها وأما من جهة خرق العادة الحسية كالمشى على الماء والطيران فى الهواء وطى الأرض وتسخير السباع وجلب الطعام والماء من الغيب وغير ذلك (و) من مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية من فهم العلوم واتساع الفهوم وتحقيق اليقين وشهود رب العالمين وتسخير النفوس وقهرها وظهور الجلالة والمهابة إلى الخلق لحديث إنما يرحم الله من عباده الرحماء وقوله عليه السلام من خاف من الله خافه كل شىء الحديث ونحو ذلك (و) من مجاهدة النفس الشيطان تظهر الكرامات الحقيقية بالكفاية والهداية والحفظ من الضلال والغواية لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم

رقيق لا يفهم اشاراتهم غيرهم نفعنا الله بهم وخرطنا فى سلكهم آمين (هذا) آخر الباب الثانى وحاصلها آداب المعارف وعلاماته فالآداب ثمانية والعلامات أربع الرجوع اليه فى كل شىء والإعتماد عليه فى كل حال والغيبة فيه عن كل شىء والاستدلال به على كل شىء واتساع أرزاق العلوم وفتح مخازن الفهوم والوصل إلى مواجهة الأنوار والغيبة عنها بشهود الواحد القهار ثم افتتح الباب الثالث بذكر التخلية والتحلية فقال (وقال رضى الله عنه تشوفك إلى مابطن فيك من العيوب خير من تشوفك لى ما حجب عنك من الغيوب) التشوف إلى الشىء الاهتمام به والتطلع له

(قلت) تشوفك أيها الإنسان إلى ما بطن فيك من العيوب كالحسد والكبر وحب الجاه والرياسة وهم الرزق وخوف الفقر وطلب الخصوصية وغير ذلك من العيوب والبحث عنها السعى فى التخلص منها أفضل من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد وما يأتى به القدر من الوقائع المستقبلة وكالاطلاع على أسرار غوامض التوحيد قبل الاهلية له لأن تشوفك إلى ما بطن من العيوب سبب فى حياة قلبك وحياة قلبك سبب فى الحياة الدائمة والنعيم المقيم والاطلاع على الغيوب إنما هو فضول وقد يكون سبباً فى هلاك النفس كاتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس وسيأتى للشيخ من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال عليه .

(واعلم) أن العيوب ثلاثة عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح فعيوب النفس تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وشبه ذلك (وعيوب) القلب تعليقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والعز والكبر والحسد والحقد وحب المنزلة والخصوصية وشبه ذلك مما يأتى إن شاء الله فى أوصاف البشرية (وعيوب) الروح تعلها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والقصور والحور وغير ذلك من الحروف فتشوف المريد إلى شىء من ذلك كله قادح فى عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته فاشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية والرحانية وسعيه فى التطهير من جميع ذلك أولى من تشوفه إلى ما حجب عنه من علم الغيوب كما تقدم وبالله التوفيق ولما ذكر التخلية ذكر ثمرتها وهى التحلية بالمعرفة إذ ما منع منها الا تشوف النفس أو القلب أو الروح إلى حظوظها الوهمية فقال (الحق ليس بمحجوب عنك انما المحجوب أنت عن النظر اليه إذ لو حجبه شىء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشىء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) قلت الحق تعالى محال فى حقه الحجاب فلا يحجبه شىء لأنه ظهر بكل شىء وقبل كل شىء وبعد كل شىء فلا ظاهر معه ولا موجود

سلطان وقوله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ثم بين أهل هذه الخوارق فقال :

وهى من النفوس فى كمون ... كما يكون الحب فى الغصون

قلت الكمون هو الخفاء والتستر والضمير فى هى يعود على ما تضمنه قوله خرق العادة من العلوم والادراكات والخوارق والكرامات يعنى أن العلوم والادراكات والاقتدار على خرق العادات هى كامنة خفية فى النفوس أى الأرواح لأن الأرواح أصلها قبضة من نور الجبروت فهى عالمة قادره مريدة سميعة بصيرة متكلمة فحيث سجنت فى هذه الهياكل الكثيفة كن فيها ذلك السر وخنى ولم يظهر منه الا نموذج ضعيف فسمع العبد وبصره وكلامه وعلمه وقدرته وارادته وحياته بقية من تلك الصفات ظهرت على العبد واستتر أصلها فى النفوس كاستتار الحب والثمار فى الغصون حين تكون عارية من الثمار فاذا نزل المطر وأرعد الرعد أخرجت أوراقها وأزهارها وثمارها وإلى هذا أشار بقوله

حتى إذا أرعدت الرعود ... وانسكب الغيث ولان العود

سواء فهو ليس بمحجوب عنك وإنما المحجوب أنت عن النظر اليه لاعتقادك الغيرية وتعلق قلبك بالأمور الحسية فلو تعلق قلبك بطلب المولى وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى لنظرت إلى نور الحق ساطعاً فى مظاهر الأكوان وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم فى معد الشهود والعيان ولله در القائل :

لقد تجلى ما كان يخفي والكون كله طويت طى
منى على دارت كؤسى من بعد موتى ترانى حى

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم فى البحر ولا يشعرون وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله الا الوهم والوهم أمر عدمى لا حقيقة له اه وسيأتى للشيخ ما حجبك عن الحق وجود مود معه إذ لا شىء معه وإنما حجبك عنه توهم موجود معه اه اذلو حجبه تعالى شىء حسى لستره ذلك الحجاب ولو كان له ساتر حسى لكان لوجوده حاصر اذ محال أن يستره من جميع الوجوه ولا يحصره وكل حاصر لشىء فهو له قاهر كيف والله تعالى يقول وهو القاهر فوق عباده أى لأنهم فى قبضته وتحت تصريف قدرته وتخصيص ارادته ومشيئته والفوقية عبارة عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان كما يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده والمالك فوق المملوك وغير ذلك مما يثبت الكبرياء وينفى سمات الحدوث والله تعالى أعلم (ولما) كان حجاب الروح عن المعرفة أمراً وهمياً عدمياً لا حقيقة له وهو مرضها بأوصاف البشرية فلو صحت لعرفت أشار الى ذلك بقوله (اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريباً) قلت أوصاف البشرية هى الأخلاق التى تناقض خلوص العبودية ومرجعها إلى أمرين الأول تعلق القلب بأخلاق البهائم وهى شهوة البطن والفرج وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث الآية (الثانى) تخلقه بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد والحقد والغضب والحدة وهى القلق والبطر وهى خفة العقل والاشر وهو التكبر وحب الجاه والرياسة والمدح والقسوة والعطاو الفظاظة والغلظة وتعظيم الأغنياء واحتقار الفقراء وكخوف الفقر وهم الرزق والبخل والشح والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصى حتى قال بعضهم للنفس من النقائص ما لله من الكمالات وقد الف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى كتابا فى عيوب النفس وأدويتها ونظمه الشيخ زروق فى نحو ثمانمائة

وجال فى أغصانها الرياح فعندها يرتقب اللقاح

قلت السكب هو الصب يقال انسكبت الدموع والمطر انصب والالقاح هو حمل الاشجار بالثمار وألقحت النخل ثمارها إذا حملت به واللقاح بالفتح كساب ما يعلق على النخل من طلع الذكر والمناسب فى البيت أن يكون الالقاح بالهمز مصدرا وهو الحمل بالثمر وماذكره هنا كله استعارة فالمراد بالرعود مجاهدة الجوارح الظاهرة فى خدمة الشريعة ككثرة الذكر والصلاة والصيام والسهر والجوع وغير ذلك من مجاهدة الحس وأوكدها بالذكر والصمت والعزلة (ولقد) سمعت شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول بقيت أربع سنين فانيا فى الاسم لا أفتر عنه لاليلا ولا نهاراً حتى كان البدن كله يهتز به وحده فاذا قبضت على احدى رجلى اهتزت الاخرى فهكذا ينبغى ذكر الله والفناء فيه والمراد بانسكاب الغيث نزول الاحوال والواردت على القلوب من شوق مقلق أو مزعج ووصول أثرها إلى الباطن من الشفقة والرحمة والحلم والصبر والزهد والورع والتوكل والرضى والتسليم والمحبة والطمأنينة والمراقبة والكرم والسخاء وغير ذلك من الاخلاق المحمودة التى تلين الطباع

بيت ومن ألقاه الله الى شيخ التربية فلا يحتاج إلى شيء سرى الاستماع والاتباع فإذا خرج المريد من أخلاق البهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة والغنى بالله والأنس به وإذا خرج من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة كالتواضع وسلامة الصدور والحلم والسكينة والرزانة والطمأنينة والسهولة والليونة والخمول والاكتفاء بعلم الله والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين وأهل النسبة وجميع الأمة والكرم والسخاء والجود والاخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فاذا تخلق العبد بهذه الأخلاق وتحقق بها ذوقا بعد أن تخلص من أضدادها كان عبداً خالصاً لمولاه حراً مما سواه وكان لندائه مجيباً ومن حضرته قريباً فاذا قال له ربه يا عبدى قال له يارب فكان صادقا فى إجابته لصدق عبوديته بخلاف ما إذا كان منهمكا فى شهواته الظاهرة والباطنة كان عبدا لنفسه وشهواته فاذا قال يارب كان كاذبا إذ من أحب شيئا فهو عبد له وهو لايحب أن تكون عبداً لغيره وإذا تخلص من رق الشهوات والحظوظ كان أيضا قريبا من حضرة الحق بل عاكفا فيها إذ ما أخرجنا عن الحضرة الا حب هذه الخيالات الوهمية فاذا تحررنا منها وتحققنا بالعبودية وجدنا أنفسنا فى الحضرة

(واعلم) أن هذه الأوصاف البشرية التى احتجبت بها الحضرة انما جعلها الله منديلا لمسح أقذار القدر كالنفس والشيطان والدنيا فجعل الله النفس والشيطان منديلا للأفعال المذمومة وجعل البشرية منديلا للأخلاق الدنيئة وما ثم الا مظاهر الحق وتجليات الحق وما ثم سواه ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم ان هذه العيوب سبب بقائها فى الانسان باعتبار الحكمة هى الغفلة عن البحث عنها وسبب الغفلة عن البحث عنها هو الرضا عن النفس اذ لو أساء ظنه بها لبحث عن مساويها فاستخرجها وتطهر منها فلذلك قال (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس قلت اذ كل من رضى عن نفسه استحسن أحوالها وغطى مساويها لقول الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كليلة (وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها)

قلت لأن من اتهم نفسه وأساء ظنه بها ونظر اليها بعين السخط بحث عن عيوبها واستخرج مساويها لقول الشاعر، ولكن عين السخط تبدى المساويا، فابحث أيها المريد عن مساويك واتهم نفسك ولا تستحسن شيئاً من أحوالها فانك إذا رضيت عنها واستحسنت أحوالها لدغتك وأنت لا تشعر وحجبتك عن الحضرة وأنت تنظر قال أبو حفص الحداد من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجرها الى مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر الى نفسه باستحسان شىء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن

وتحسن الأخلاق وهو المراد بقوله ولان العود فكما أن العود يلين بسريان الماء فيه كذلك القلب يلين بسريان الحال الناشىء عن العمل الناشىء عن العلم (و) المراد بجولان الرياح النفحات التى تهب على القلوب من حضرة علام الغيوب بصحبة العارفين والحلك معهم وفى حكمة لقمان عليه السلام كان يقول لولده ياولدى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فان الله ينبت الحكمة فى القلوب بصحبتهم كما تنبت الحبة فى الأرض الطيبة والمراد بالعلماء العلماء بالله فان صحبتهم تلقح العلوم والمعارف والأسرار فى القلوب كما تلقح الرياح الثمار فى الأشجار قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح قيل تلقح الأشجار وقيل تلقح الامطار فى السحاب ثم تصبه حيث أراد الكريم الوهاب وهذا معنى قوله هنالك ينتظر الالقاح أى القاح العلوم والمعارف فى القلوب ولاجل هذا المعنى قال بعض العارفين والله ما أفلح من أفلح الا بصحبة من أفلح (و) قال الشيخ زروق رضى الله عنه المراد بالرعود المواعظ المذكرات ونزول غيث الواردات الملينة لافنان شجر القلب وجولان رياح الاحوال المتوجهة منها فى نواحى القلب حتى يسرى ذلك للجوارح فتتأثر به قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين

الكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى اه وفى معنى ذلك أنشدوا

توق نفسك لا تأمن غوائلها   فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وقال السرى السقطى من عرف الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش ، والأحمق يروح ويغدو فى لاش والعاقل عن عيوبه فتاش اه فابحث يا أخى عن عيوبك ان أردت نصح نفسك فاذا بحثت عن عيوبها وفضحت عوراتها تخلصت وتحررت وتحققت ودخلت الحضرة واتسعت لك النظرة واشتكت لك الفكرة وكان شيخ شيخنا يقول لعنة الله على من ظهرت له عورة نفسه فلم يفضحها وكان أيضاً كثيراً مايوصى بعدم المراقبة للناس وعدم المبالاة بهم إذ لا يتخلص من دقائق الرياء إلا باسقاطهم من عينه وسقوطه هو من عينهم ومن أراد أن يتخلص فيصحب من تخلص ولذلك قال (ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه) قلت إذ صحبة من لا يرضى عن نفسه خير محض لتحققه بالاخلاص فيسرى ذلك فى الصاحب حتى يتحلى بالاخلاص ويصير من جملة الخواص وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض ولو كان أعلم أهل الأرض لأن الطباع تسرق الطباع إذ الجهل الذى يقرب للحضرة أحسن من العلم الذى يبعد عن الحضرة ولذلك قال بعض العارفين أشد الناس حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لوقوفهم مع علمهم وعبادتهم وزهدهم والجهل الذى يوصل إلى الله علم على الحقيقة والعلم الذى يحجب عن الله جهل على الحقيقة ولذلك قال (فأى علم لعالم يرضى عن نفسه) قلت لأنه صار حجاباً له عن ربه (وأى جهل لجاهل يرضى عن نفسه) قلت إذ بعدم الرضى عن نفسه بحث عنها وتخلص من رقها فصار عبداً حقيقة لله فحينئذ أجبه سيده واصطفاه لحضرته واجتباه لمحبته وأطلعه على مكنون علمه فكان أعلم خلقه والله تعالى أعلم وإذا تخلص العبد من حظوظه وأوصاف بشريته قرب من حضرة ربه لصحة قلبه وإشراقه بنور ربه ثم امتحى وجوده فى وجود محبوبه وشهوده فى شهود معبوده وإلى ذلك أشار بقوله (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ماعليه كان)قلت البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة ترى المعانى اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة باعتبار إدراك نور المعانى اللطيفة على خمسة أقسام قسم فسد ناظرها فعميت فأنكرت نور الحق من أصله قال سيدى البوصيرى

جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء (و) ماشرحت به أنسب لطريق التربية والله تعالى أعلم (وقد ضرب فى القوت مثلا لهذا السر الكامن فى النفوس بالزبد الكامن فى اللبن فاذا ضرب بالمخض خرج زبده ثم إذا ذوب صار سمناً صافياً) ثم بين الناظم مايكون بعد الالقاح من بدايته الى نهايته فقال

فعند ماأزهرت الأغصان   واعتدل الربيع والزمان
يكون اذ ذاك أوان العقد   وانتظم الأغصان نظم عقد
حتى اذا أينع للعيان   وأمنت جوائح الزمان
باكرها زارعها والغارس   يقطفها والغير منها آيس

قلت العقد الأول بفتح العين وهو عقد الثمار من الأزهار والعقد الثانى بكسر العين وهو سلك الجوهر المنظوم (يقول) رضى الله عنه فاذا جالت رياح الهداية وهب نسيم الولاية وجال فى أغصان الأبدان ثم سرى الى سويداء الجنان القحت

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وهذه بصيرة الكفار قال تعالى فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقسم صح ناظرها لكنها مسدودة لضعف ناظرها لمرض أصابه فهي تقر بالنور لكنها لاتقوى على مشاهدته ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها وهي لعامة المسلمين وقسم صح ناظرها وقوى شيئاً ما حتى قرب أن يفتح عينه لكن لشدة الشعاع لم يطق أن يفتح عينه فأدرك شعاع النور قريباً منه وهو لعامة المتوجهين ويسمى هذا المقام شعاع البصيرة (وقسم) قوى ناظرها ففتح عين بصيرته فأدرك النور محيطاً به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا لخاصة المتوجهين ويسمى هذا المقام عين البصيرة (وقسم) صحت بصيرته واشتد نورها فاتصل نورها بنور أصلها فلم تر إلا النور الأصلي وأنكرت أن يكون ثم شيء زائد على نور الأصل كان الله ولا شيء وهو الآن على ماعليه كان ويسمى هذا حق البصيرة ووجه تسميته بشعاع البصيرة أن صاحبها لما كان يرى وجود الأكوان انطبعت في مرآة بصيرته فحجبته عن شهود النور من أصله لكن لما رقت كثائفها وتنورت دلائلها رأى شعاع النور من ورائها قريباً منه فأدرك الشعاع ولم يدرك النور وهذا هو نور الإيمان وهو مقام علم اليقين (ووجه) تسمية عين البصيرة ان البصيرة لما صحت وقويت انفتحت عينها فرأت النور محيطاً ومتصلا بها فسميت عين البصيرة لانفتاحها وإدراكها ماخفي على غيرها وهذا مقام عين اليقين (ووجه) تسمية حق البصيرة ان البصيرة لما أدركت الحق من أصله وغابت عن نور الفروع بنور الأصول سميت حق البصيرة لما أدركته من الحق وغابت عن شهود الخلق وهذا مقام حق اليقين فشعاع البصيرة هو نور الإيمان لأهل المراقبة وعين البصيرة هو نور الإحسان لأهل المشاهدة وحق البصيرة هو نور الرسوخ والتمكين لأهل المكالمة (أو تقول) شعاع البصيرة نور علم اليقين وعين البصيرة هو نور عين اليقين وحق البصيرة هو نور حق اليقين (فعلم) اليقين لأهل الدليل والبرهان وعين اليقين لأهل الكشف والبيان وحق اليقين لأهل الشهود والعيان مثال ذلك كمن سمع بمكة مثلا ولم يرها فهذا عنده علم اليقين فاذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فهو عين اليقين فاذا دخلها وتمكن فيها فهو حق اليقين وكذلك طالب الحق فما زال من وراء الحجاب فانياً في الأعمال فهو في علم اليقين فاذا استشرف على الفناء في الذات ولم يتمكن من الفناء فهو عين اليقين فاذا رسخ وتمكن فهو في حق اليقين (أو تقول) شعاع البصيرة لأهل عالم الملك وعين البصيرة لأهل عالم الملكوت وحق البصيرة لأهل عالم الجبروت (أو تقول) شعاع البصيرة

فيه أزهار الحكم وفنوناً من أنوار العلوم وفتقت أكمام الفهوم مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد فعند ما أزهرت أغصان الجوارح الظاهرة بالأعمال والعوالم الباطنية بالأحوال واعتدل ربيع الشريعة باظهار زهر جماله في رياض الملكوت مع زمان هيجان بحر الحقيقة في حياض الجبروت مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان فعند ذلك يكمل عقد معرفة الشهود والعيان وتنتظم استقامة الجوارح في مقام الإسلام والإيمان نزولا إلى بستان سماء الحقوق أو أرض الحظوظ بعد الاذن والتمكين وبالعناية لذلك العارف ملحوظ فحينئذ يتحقق بكمال العبودية ويقوم بوظائف الربوبية لايحجبه فرقه عن جمعه ولا جمعه عن فرقه قد اعتدل فيه الميزان يعطي كل ذي حق حقه ويوفي كل ذي قسط قسطه فاذا ظهرت عليه آثار العناية ولاحت له أسرار الولاية تعجبت الناس من أحواله وما خصه الله به من عظيم نواله فمن معتقد وناقد ومن مسلم وحاسد يريد أن يشاركه في مقامه بدعوى اللسان ومن ادعى بما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان كما أبان ذلك كله الناظم حيث قال :

فأي من مر بها مساء ... وأبصر الظلال والافياء

لأهل الفناء فى الأعمال وعين البصيرة لأهل الفناء فى الذات وحق البصيرة لأهل الفناء فى الفناء (فشعاع) البصيرة يشهدك قرب الحق منك أى يوجب لك شهود قرب نور الحق منك قال تعالى (ولقدخلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وعين البصيرة يشهدك عدمك أى زوالك بزوال وهمك لوجوده أى وجدد الحق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه فإذا زال عنك الوهم وفنيت عن وجودك شهدت ربك بربك وهو علامة فتح البصيرة سيدى وعلاج السريرة كما قال شيخ شيوخنا عبد الرحمن المجذوب :

من رأى المكون بالكون عزه فى عمى البصيرة
ومن رأى الكون بالمكون صادف علاج السريرة

فظاهره أن عامة المسلمين عميت بصيرتهم والتحقيق هو ما تقدم من التفصيل وأنها مسدودة فقط مع صحة ناظرها بخلاف بصيرة الكفار فإنها عمياء وحق البصيرة يشهدك وجود الحق وحده لا وجودك لأنك مفقود من أصلك ولا عدمك إذ لا يعدم إلا ما ثبت له وجود ولم يكن مع الله موجود كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان وهذه الزيادة وإن لم تكن فى الحديث لكن معناها صحيح إذ التغير عليه تعالى محال قال محي الدين بن محمد بن على بن العربى الحاتمى رضى الله عنه من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل اه (قلت) ومن شهدهم بعين العدم فقد تمكن وصاله وأنشدوا

من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود تراه رتقا بلا ابتعاد ولا اقتراب
فلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الخطاب

والله تعالى أعلم ثم إذا تقرر انفراد الحق بالوجود فلا تتعد همتك إلى غيره إذ هو مفقود وإلى ذلك أشار بقوله فى أول الباب الرابع (وقال رضى الله عنه لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) قلت لا تتعد أى لا تتجاوز ونية الهمة قصدها الذى تتوجه به والهمة القوة المنبعثة فى طلب المقاصد والآمال قصود القاصدين ومعنى لا تتخطاه أى لا تتجاوز إلى غيره (قلت) إذا تعلقت همتك أيها المريد بشىء تريد تحصيله فردها إلى الله ولا تتعلق بشىء سواه لأنه سبحانه كريم

ونزه الأبصار والعيونا حيث رأى الأنهار والعيونا
واشتم منها الروح والريحانا وظل فى بهجتها حيرانا
فقال ها نحن إذا سواء فعندها يجمعنا المساء

قلت المساء هو آخر النهار من الزوال إلى الغروب والفىء الظل إذا أخذ فى الزيادة فهو باعتبار ما قبله من عطف الخاص على العام والروح قال فى القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح اه والمناسب هنا هو الأخير وقال فى تفسير الريحان نبت طيب الرائحة أو كل نبت كذلك أو أطرافه أو ورقه والولد والرزق اه والمناسب هو النبت على حذف مضاف أى واشتم من تلك الأغصان نسيم طيباً ورائحة تلك الرياحين (يقول رحمه الله ورضى الله عنه فأى شخص من البطالين مر فى بساتين العارفين ورياض الواصلين فى وقت زوالهم واعتدالهم وعند زيادة ظلال أنوارهم وعلومهم فأبصر ظلال أنوارهم قد ظهرت على وجوههم من أثر خشوعهم أو بهجة سرورهم كما قال

على الدوام ونعمه سحاء على مر الليالى والأيام والكريم لا تتخطاه الآمال وهو يحب أن يسئل فيجب السؤال وقد قالوا فى تفسير اسمه تعالى الكريم هو الذى إذا سئل أعطى ولا يبالى كم أعطى ولا لمن أعطى وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جنى عفا وإذا عاتب ما استقصى فهذا من كمال كرمه وتمام إحسانه وإنعامه وفى ذلك يقول سيدى إبراهيم التازى فى قصيدة له :

كمال الله أكمل كل حسن فلله الكمال ولا تمارى
وحب الله أشرف كل أنس فلا تنس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جرح وأنفع من زلال للأوار
ولا موجود إلا الله حقاً فدع عنك التعلق بالفشار

وإذا علمت كرمه وجوده وكماله وإحسانه فلا ترفع إلى غيره ما هو مورده عليك كما قال (لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك) قلت قد علمت أن ما سوى الحق خيال وهمى لا حقيقة لوجوده فإذا أنزل الله بك حاجة كفاقة أو شدة أو غير ذلك من العوارض فانزلها بالله واجعلها تحت مشيئة الله وغب عنها فى ذكر الله ولا تلتفت إلى ما سواه تعلقاً ولا تملقاً ففى الحديث من لم يسئل الله يغضب عليه وقال أبو على الدقاق من علامة المعرفة أن لا تسأل حوائجك كلها إلا من الله قلت أو جلت مثل موسى عليه السلام اشتاق إلى رؤيته فقال رب أرنى أنظر إليك واحتاج يوماً إلى رغيف فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير اه ثم تعجب ممن رفع أحكام الحق إلى غيره مع عجزه وضعفه فقال (فكيف يرفع إلى غيره ما كان هو له واضعاً) قلت من قلة حياء الإنسان أن يرفع إلى غيره ما أنزله عليه الحق تعالى من أحكام قهره مع علمه تعالى بإحسانه وبره وعدم انفكاك لطفه عن قدره قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وقال بعض العارفين من المكاشفين رضى الله عنهم قيل لى فى نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم (لا تبدين) فاقة فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك إلى حد عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع إلى منها وتتضرع بها لدى وتتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير بها ذهبا خالصا فلا تزيغن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسى بالغنى فإن وصلتها بى وصلتك بالغنى وإن وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت أسبابك من أسبابى طرداً لك عن بابى فمن وكلته إلى ملك ومن وكلته إليه هلك اه ثم بين وجه التعجب فقال (من لا يستطيع

ان عرفان ذى الجلال لعز وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء وعليهم من المحبة نور
فهنيئا لمن عرفك إلهى هو والله دهره مسرور

ونزه أبصاره فى أنهار علومهم الزاخرة وفى عيون حكمهم الفاخرة واشتم منها نسيم القرب والوصال حين قرب من جنة الجمال وريحان الكمال فبقى سائر نهاره فى بهجة زهرتها ونضرتها حيران فاستغرب ما أتحفهم به مولاهم المنان بعد ما كانوا مثله فى النقصان وغاية الجهالة والخذلان فلما علم بأحوالهم وتحقق بعظيم نوالهم ترامى بالدعوى على مقامهم فقال ها نحن معكم سواء فنشترك معكم فى تلك البساتين عند المساء فما دام نهار البسط والجمال استووا جميعا بلسان المقال فإذا جن ليل القبض والجمال ظهرت الجبناء من الأبطال وتميزت الشمايت من الرجال :

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً) قلت من عجز عن إصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره ضعف الطالب و المطلوب قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شىء سواه وهو الدائم القديم الذى لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد إلا على من يدوم لك منه العطاء والفضل اه ثم ان الاعتماد على الله ورفع الحوائج إليه والرجوع فى كل النوازل إليه سببه حسن الظن به كما أشار إليه بقوله (ان لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لأجل معاملته معك فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا) قلت الناس فى حسن الظن بالله على قسمين خواص وعوام أما الخواص فحسن ظنهم بالله تعالى ناشىء عن شهود جماله ورؤية كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله لأن اتصافه تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود لا ينقطع فاذا تجلى لهم بجلاله أو قهريته علموا ما فى طى ذلك من تمام نعمته وشمول رحمته فغلب عليهم شهود الرحمة والجمال فدام حسن ظنهم على كل حال (وأما) العوام فحسن ظنهم بالله ناشىء عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتنانه فاذا نزلت بهم قهرية أو شدة نظروا إلى سالف إحسانه وحسن ما أسدى إليهم من حسن لطفه وامتنانه فقاسوا ما يأتى على ما مضى فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضى وقد يضعف هذا الظن بضعف النظر والتفكر ويقوى بقوتهما بخلاف الأول فانه ناشىء عن شهود الوصف والوصف لا يتخلف والثانى ناشىء عن شهود الفعل وهو يتخلف فان لم تقدر أيها المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرأفة والرحمة التى لا تتخلف فحسن ظنك به لوجود معاملته معك بلطفه ومنه فهل عودك الحق تعالى إلا براً حسناً ولطفاً جميلا وهل أسدى اليك أى أوصل اليك إلا مننا كبيرة ونعما غزيرة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمة وأحبونى بحب الله وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إنا لا نحب إلا الله فقال رجل أبى ذلك جدك ياسيدى بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال الشيخ أبو الحسن أنا لما لم نر محسناً غير الله لم نحب سواه اه وقال أيضاً رضى الله عنه قرأت ليلة قل أعوذ برب الناس إلى أن بلغت فيها من شر الوسواس فقيل لى شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفعالك السيئة وينسيك أفعالك الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذروا هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد اه وقال رضى الله عنه أيضاً العارف من عرف شدائد الزمان

وفى الأمثال بلسان الحال أن شجرة القرع تصاعدت مع النخلة وقالت انى شجرة مثلك فقالت النخلة ستعلم الشجرة منا عند هبوب رياح الخريف (و) كذلك المدعون للخصوصية بالتشبه بأهل الطريق اذا اختبرهم الحق تعالى وعبرهم بمحك التحقيق فأرسل عليهم قاصفاً من رياح الفتن وضربهم بزلازل المحن أما فى المال أو فى البدن نكصوا على أعقابهم مدبرين وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (قال) فى التنوير وانما يفتضح المدعون بزوال الأحوال وعزولهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك الأستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته أو بنوره أو بفتحه وكم من مدع العز بالله وانما عزه بنسبته وصولته على الخلق معتمداً على ماثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلة فكما كان لك رباً ولا علة فكن عبد الله ولا علة لتكون له كما كان لك ثم تمم حال المدعين وما آل اليه أمرهم حين ظهر عوارهم وانكسفت أنوارهم واشتدت عليهم ظلمة أغيارهم فقال :

حتى اذا هجمه الظلام واحتوشته الوحش والهوام

فى الألطاف الجارية من الله عليه وعرف إساءته فى إحسان الله إليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون اه وإذا كان الحق تعالى ماعودك إلا الإحسان وماأسدى إليك إلا الامتنان فمن العجب أن تتركه وتطلب ما سواه وإلى ذلك أشار بقوله (العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) قلت ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره فمن أعجب العجائب أن يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب لما سواه مع أنه لا انفكاك له منه ولا محيد له عنه إذ لا وجود له إلا منه ولا قيام له إلا به فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته وبالتقرب به بامتثال أمره واجتناب نهيه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التى ان لم تزل عنها فى الحياة زالت عنك بالممات فاطلب ما يبقى دون ما يفنى ولله در القائل

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى زوال
وما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

(أو تقول) من العجب كل العجب أن يهرب العبد مما لا انفكاك له عن قدر الله وقضائه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ تدبيره واختياره إذ كل ما تدبره وأبرمه فسخه القضاء وهدمه :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وهذا كله من عدم فتح البصيرة أو عماها ولذلك قال فإنها لا تعمى الأبصار عن إدراك الحس لأنها أدركته وحجبت به ولكن تعمى القلوب عن إدراك المعنى فلا ترى إلا الحس ولا تحب إلا إياه ولا تطلب شيئا سواه نسأل الله عافيته وهداه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عمى البصيرة فى ثلاث ارسال الجوارح فى معاصى الله والطمع فى خلق الله والتصنع بطاعة الله اه ثم إذا طلبت الحق الذى لا انفكاك لك عنه ورحلت إليه فاطلب معرفة ذاته لا زخارف جناته إذ هى كون من مكوناته ولذلك قال (لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل عنه ولكن أرحل من الأكوان إلى المكون (وإن إلى ربك المنتهى) (قلت الرحيل من الكون إلى الكون هو الرحيل من السوى إلى طلب السوى وذلك كمن زهد فى الدنيا وانقطع إلى الله يطلب بذلك راحة بدنه وإقبال الدنيا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ولقوله أيضا من كانت الآخرة

ولم يجد للفوز من أسباب أقام حيرانا أمام الباب
فقيل من بالباب قال طارق فقيل كلا لاولكن سارق

(قلت) هجم عليه هجوما دخل بغتة قاله فى القاموس وضمنه الناظم معنى جن أى جنه وغطاه ولذلك عداه بنفسه واحتوش القوم الصيد نفروه ومعناه هنا خوفته وأفزعته والوحش حيوان البر والهوام بشد الميم حشرات الأرض والطارق الآتى بالليل وكلا حرف زجر وردع (يقول) رضى الله عنه إن ذلك المدعى الذى ترامى على مراتب الرجال بمجرد التشدق والمقال وادعى الوصول إلى مقام الراحة والجمال قبل أن يتأدب بصدمات الجلال لما هجم عليه ليل القبض والجلال وغربت عنه شمس نهار البسط والجمال افتضح وتبين أنه دجال فأفزعته وحوش الشكوك والخواطر وأحاطت به هوام جرائمه الصغائر والكبائر فهى تلدغه وتلسعه كلسع العقارب والزنابير فلما لم يجد منها مسلكا ولا مهربا التجأ إلى باب الأكابر فاقام خلف الباب حيران يريد أن يضموه معهم إلى حصون ما شيدوه خلف بساتين العرفان من غير أن يحط رأسه إلى تقبيل أقدام

نيته جمع الله عليه امره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى صاغرة وكن زهد فيها يطلب الخصوصية كإقبال الخلق والعز وتربية المهابة فى قلوب الناس أو زهد فيها يطلب الكرامة وخوارق العادات أو زهد فيها يطلب القصور والحور فهذا كله رحيل من كون إلى كون فمثله كحمار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو فى موضعه فالذى ارتحل منه هو الذى ارتحل إليه فمن كانت همته الحظوظ النفسانية فحاله حال حمار الساقية فى السير دائم وهو فى موضعه قائم يظن أنه قطع مسافة مما طلب وما زاد إلا نقصاً مع تعب ، قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قف بباب واحد لا لتفتح لك الأبواب تفتح لك الأبواب واخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب تنخضع لك الرقاب قال تعالى (وان من شىء إلا عندنا خزائنه) اه فينبغى لك أيها المريد أن ترفع همتك إلى الملك المجيد فترحل من رؤية الأكوان إلى طلب شهود الملك الديان أو ترحل من الدليل والبرهان إلى رتبة الشهود والعيان وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى وإن إلى ربك المنتهى ولا ترحل من كون إلى كون بأن تترك حظاً من حظوظ نفسك طلباً لحظاً آخر فتكون كحمار الرحى الذى سار منه هو الذى عاد إليه وتشبيهه بالحمار دليل على بلادته وقلة فهمه إذ لو فهم عن الله لرحل عن حظوظ نفسه وهواه قاصداً الوصول إلى حضرة مولاه فلا ترحل أيها المريد من كون مخلوق إلى كون مخلوق مثلك ولكن ارحل من الكون إلى المكون وإن إلى ربك المنتهى والرحيل إلى المكون يكون بثلاثة أمور

(الأول) قصر همتك عليه دون ماسواه حتى يطلع على قلبك فلا يجده محباً لسواه

(الثانى) الرجعى إليه باقامة الحقوق والفرار من الحظوظ

(الثالث) دوام اللجاء إليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غنى عن كل شىء (المحبة) لله والغنا بالله والصدق واليقين الصدق فى العبودية واليقين فى أحكام الربوبية ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون اه قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ثم استدل على طلب رفع الهمة إلى الله مع الأعراض عما سواه بحديث الهجرة الذى فى الصحيح فقال (وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه فافهم قوله عليه السلام فهجرته إلى ماهاجر إليه وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام) قلت الهجرة هى الانتقال من وطن إلى وطن آخر بحيث يهجر الوطن الذى خرج منه ويسكن الوطن الذى انتقل إليه وهى هنا من ثلاثة أمور من وطن المعصية إلى وطن الطاعة ومن وطن الغفلة إلى وطن اليقظة ومن وطن عالم الأشباح إلى

الرجال ولا أن يسمح بنفسه فى عز ولا جاه ولا مال فنادوه بأفصح لسان الحال أيها الطارق لباب الرجال ماذا تريد وأنت على هذا الحال فقال هذا طارق يريد الدخول إلى حضرة المحبة والوصول فقالوا له كلا ليس حالك حال الطارق ولكنك متطفل سارق فاذا انكسر وذل نفسه نال مطلبه وحصل أنسه وإن بقى على ماهو عليه كان عاقبته الحرمان (أو يقول) حتى إذا هجم هذا المدعى المتكبر ظلام الجهل والغفلة واحتوشته وحوش المساوى والعيوب وأحاطت به هوام المعاصى والذنوب لم يجد للفوز والخلاص منهما سبباً أقام خلف باب العارفين ، يستمطر الرحمة والعفو من رب العالمين ، فى حال الدهش والحيرة ينتظر من سعة كرمهم لحظة أو نظرة ، مع ماهو عليه من زى أهل الغفلة والفترة ، فقالوا له من هذا الذى وقف بالباب يريد الدخول مع الأحباب ؛ من غير أن يعفر خده بالتراب ، فقال طارق يريد الوصول فقالوا لاسبيل للسارق ، إلى الدخول وإنما سمى المدعى سارقا لأنه يسرق كلام القوم وينسبه لنفسه أو يدعيه حالا ومقاما وليس له فى ذلك إلا التطفل عليهم دون ذوق ولا وجدان فاذا أراد الله به خيراً ألقى فى قلبه الصدق والتصديق وذل وانكسر لأهل التحقيق فوقف

وطن عالم الأرواح (أو تقول) من وطن الملك إلى وطن الملكوت أو من وطن الحس إلى وطن المعنى أو من وطن علم اليقين إلى وطن علم اليقين أو حق اليقين فمن هاجر من هذه المواطن قاصدا بهجرته الوصول إلى رضى الله ورسوله أو الوصول إلى معرفة الله ورسوله فهجرته موصلة له إلى الله ورسوله على حسب قصده وهمته ومن كانت هجرته إلى حظوظ نفسه وهواه فقد خاب قصده ومسعاه وغاية هجرته ما هاجر إليه وكانت هجرته زيادة فى جر الوبال إليه فافهم أيها السامع قوله عليه السلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتدبره وأعرضه على قلبك ونفسك وانظر هل فيك بقية من الالتفات إلى ما هاجرت منه أو فيك حظ سوى ما هاجرت إليه من رضوان الله ورسوله أو معرفة الله ورسوله فإن الله غيور لا يحب لمن طلبه أن يطلب معه سواه ولن يوصل إليه من بقى فيه بقية من حظه وهواه قال الششترى

ان ترد وصلنا فموتك شرط　　لا ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضا　　ليس يدرك وصالى كل من فيه بقيا

(وسمعت) شيخنا البزيدى رضى الله عنه يقول إن أردتم أن تعرفوا هل رحلت أنفسكم من هذا العالم إلى عالم الملكوت أو لم ترحل فاعرضوا عليها الأمور التى كانت تشتهيها وتميل إليها واحدا بعد واحد فإن وجدتموها رحلت عنها وخرجت محبتها من قلبها ولم تركن إلى واحد منها فاستبشروا فقد رحلت أرواحكم إلى عالم الملكوت وإن وجدتموها ركنت أو مالت بالمحبة إلى شىء من هذا العالم فجاهدوها وأخرجوها عنه بالكلية حتى ترحل إلى ربها اه بالمعنى وختم هذا الباب بالسلام لما اشتملت عليه من الرحيل والمقام فكلها تدل على سفر القلب من شهود الخلق إلى شهود الخالق فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر السلامة ولما كان السفر لا بد فيه من دليل وإلا ضل عن سواء السبيل افتتح الباب الخامس بذكر الصحبة وشروط المصحوب وآدابها فقال (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) قلت الذى ينهضك حاله هو الذى إذا رأيته ذكرت الله فقد كنت فى حال الغفلة فلما رأيته نهض حالك إلى اليقظة أو كنت فى حالة الرغبة فلما رأيته نهض حالك إلى الزهد أو كنت فى حالة الاشتغال بالمعصية فلما رأيته نهض حالك إلى التوبة أو كنت فى حالة الجهل بمولاك فنهضت إلى معرفة من تولاك وهكذا والذى يدلك على الله مقاله هو الذى يتكلم بالله ويدل على الله ويغيب عما سواه إذا تكلم أخذ بمجامع القلوب وإذا سكت أنهضك حاله إلى علام الغيوب لحاله يصدق مقاله ومقاله موافق لعلمه فصحبة

يابهم منكسرا وإلى ما عندهم من المعارف والأنوار مفتقرا لأنهم باب الله الأعظم كما نبه على ذلك الناظم رحمه الله حيث قال

فقال مهلا صاحب الجنات　　لحائر قد ضل فى الفلات
فقيل هلا كنت ذا بستان　　فقال كنت قاعدا ووان
فقال يا قوم ألا تشرون　　قالوا جهلت ثمن المثمون

قلت المهل هو التأخر والتأنى وهو مصدر حذف عامله أى أمهلنى مهلا وضل تلف والفلات هو الموضع القفر الخالى من العمارة والوانى هو المتأخر والمتهمل (يقول) رضى الله عنه ان ذلك المدعى المتطفل لما عرف الحق وأهله ، وتحقق عيبه وجهله ، أقر بكمال أهل الكمال ، وعرف مقالات الرجال ، فحين طرق الباب ، وطرد من ذلك الجناب ، تهمة له انه لم يلق السلاح ، ولم ينزع عن فعاله القباح ، قال لهم مهلا على يا أصحاب الجنات ، هنيئا لكم بما أسلفتم فى الأيام الخاليات ، ألا ترقوا لحائر قد ضل فى الفلات ، واستوحشته هوام الذنوب والسيئات ، ولسعته حيات الحظوظ والشهوات ولدغته

مثل هذا اكسير يقلب الأعيان وهو مفهوم من قول الشيخ لاتصحب من لاينهضك حاله الخ أى بل اصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله والصحبة فى طريق التصوف أمر كبير فى السير إلى الله تعالى حسبما جرت به عادة الله تعالى وحكمته حتى قال بعضهم من لاشيخ له فالشيطان شيخه وقال آخر الانسان كالشجرة النابتة فى الخلاء فان لم تقع وتلقم كانت دكارة وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل من لاشيخ له فى هذا الشأن لايفرح به (ومن شروط) الشيخ أربعة علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية فالعلم الصحيح هو مايتقن به فرضه ولابد أن يكون عالماً بالمقامات والمنازل التى يقطعها المريد وبغرور النفس ومكايدها قد سلك ذلك على يد شيخ كامل وذاق ذلك ذوقا لا تقليدا وهو المراد بالذوق الصريح (والهمة) العالية هى المتعلقة بالله دون ما سواه (والحالة) المرضية هى الاستقامة بقدر الاستطاعة ولا بد أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة وبين جذب وسلوك فيجذبه بجذب القلوب وبسلوكه يخرجها من حالة الجذب إلى البقاء فالسالك فقط ظاهرى لا يجذب ولا يحقق والمجذوب فقط لا يسير ولا يوصل وفساد صحبته أكثر من نفعها قال فى أصول الطريقة ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين واسقاط حرمة المسلمين ودخول ما لا يعنى واتباع الهوى فى كل شىء وسوء الخلق من غير مبالات اه فصحبة مثل هذا ضرر محض واليه أشار بقوله .

(ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك) قلت رب هنا للتكثير وصحبتك فاعل بأراك والاحسان مفعول مقدم والتقدير ربما تكون مسيئاً فى حالك مقصراً فى عملك فاذا صحبت من هو أسوأ حالا منك أراك أى ابصرتك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك الاحسان منك لما ترى مايصدر منها من الاحسان ومن المصحوب من التقصير والنقصان فتعتقد المزية عليه لأن النفس مجبولة على رؤية الفضل لها ومشاهدة التقصير من غيرها علما أو عملا أو حالا بخلاف ما إذ صحبت من هو أحسن حالا منها فانها لاترى من نفسها إلا التقصير وفى ذلك خير كثير

(قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى أوصانى حبيبى فقال لاتنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولاتجلس الا حيث تأمن غالبا من معصية الله ولاتصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا وقليل ماهم (وقال) له أيضا لاتصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم واصحب من إذا ذكر ذكر الله فالله يغنى به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب اه وحاصله لا تصحب من تتكلف له فوق جهدك ولا من يتكلف لك

عقارب الشكوك والخطرات ، فقالوا له أين كنت وقت ريح السموم وبرد الليالى ؛ حين غرست الرجال أشجار المعارف فجنت ثمار المعانى ، قال كنت عند كانون الكسل ونار البطالة قاعدا ووانى ، فقالوا له لا تظن أن بساتين المعارف رخيصة كل معشوق عالى ؛ ما جنيت ثمار المعارف إلا ببرد الليالى ؛ فقال يا قوم أهل الكرم والجود ، ألا تبيعوا لى شيئا من ثماركم المنضود ، وتأوونى إلى سعة ظلكم الممدود ، قالوا له جملت ثمن ثمارنا المحمود ، فلا تناله ولو بذلت فيه نفس المجهود فليس ينال بالدراهم والفلوس ، وانما ينال ببذل الأرواح والنفوس كما نبه عليه الناظم بقوله .

فهذه فواكه المعارف لم تشر بالتالد أو بالطارف
ما نالها ذو العين والفلوس وإنما تباع بالنفوس

قلت التالد هو المال الذى نتج عندك وطال فى ملكك قال فى القاموس التالد كصاحب والتلد بالفتح والضم والتحريك والتلاد والتليد والاتلاد والتلد ما ولد عندك من مالك والطارف الحادث من المال أى الذى تجدد ملكه ضد التالد يقول

كذلك وخير الأمور أوساطها وهذا والله أعلم فى صحبة الأخوة وأما صحبة الشيوخة فكل ما أمر به الشيخ أو أشار اليه أو فهمت انه يحب ذلك فلا بد أن تبادر اليه بقدر الامكان ولو كان محالا عادة لأخذت فى التهيء للفعل قال شيخ شيوخنا سيدى العربى بن أحمد ابن عبد الله الفقير الصديق هو الذى إذا قال له شيخه ادخل فى عين الخياط لا يتردد ويقوم يبادر فى امتثال ما أمر ولو كان لا يتأتى منه ذلك (وقال أيضا صاحبى الذى نفتله بشعرة) اه

(وقال) سيدى على رضى رضى الله عنه فى كتابه اعلم انه لا يقرب طالب الله إلى الله شىء مثل جلوسه مع عارف بالله ان كوجده وان لم يجده فعليه بذكر الله ليلا ونهارا قائما وقاعدا مع العزلة عن أبناء الدنيا بعد الجلوس معهم وعدم الكلام بذلك وعدم النظر فيهم لأنهم سم خارق ولا يبعد من الله شىء مثل جلوسه مع فقير جاهل الفقير الجاهل أقبح من العامى الغافل بألف ضعف الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين (والجلوس مع العامى الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل) لا شىء فى الوجود يسود قلب المريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل كما ان العارف بالله يجمع بين العبد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما اتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فما فوقها يرحم الله المجذوب حيث يقول فى بعض كلامه ، الجلسة مع غير الأخيار ، ترذل ولو تكون صافى اه

وقال سهل بن عبدالله رضى الله عنه (احذر) صحبة ثلاث من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين اه وزاد الشيخ زروق علماء الظاهر قال لأن نفوسهم غالية عليهم اه (قلت) الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاميا غافلا وفقيراً جاهلا لأنهم لا يعرفون الا ظاهر الشريعة ويرون أن من خالفهم فى هذا الظاهر خاطىء أو ضال فيجهدون فى رد من خالفهم يعتقدون انهم ينصحون وهم يغشون فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم ما استطاع فان توقف فى مسئلة ولم يجد من يسئل عنها من أهل الباطل فليسأله على حذر ويكون معه كالجالس مع العقرب والحية والله ما رأيت أحداً قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبدا فى طريق الخصوص ويرحم الله أبا ذر الغفارى رضى الله عنه حيث قال والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين اه (قال) هذا فى علماء الصحابة الأخيار رضى الله عنهم فما بالك اليوم حين اشتغلوا بجمع الدنيا وتزين الملابس وتكبير العمائم وتحسين المآكل والمساكن والمراكب ورأوا ذلك سنة نبوية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه يقول لعلماء وقته (يامعشر) العلماء دياركم هامانية ومراكبكم قارونية واطعمتكم

رضى الله عنه فواكه المعارف واذواق الواجدان وأنوار الراحلين والواصلين لا تنال ولا تشترى بالاموال القديمة ولا الحادثة ولا بالكسب والاكتساب ؛ وإنما هى فضل من الكريم الوهاب يخص بها من يشاء بأسباب وبغير أسباب ، وفاعل السبب هو فاعل المسبب من تمام نعمته عليك ان خلق فيك ونسب اليك فثبوت الخصوصية ، انما هو منح إلاهية ومواهب اختصاصية ما نالها صاحب الدراهم والفلوس ؛ انما تنال ببذل المهج والنفوس يغيب أولا عن فلسه وجنسه ، ثم يفنى عن وجوده ونفسه ثم يفنى عن فنائه ويبقى ببقائه ومائم فى ذلك كله الا فضل ربه وعظيم عطائه وأنشدوا .

قدكنت أحسب ان وصلك يشترى ... بنفائس الاموال والارباح
وظننت جهلا أن حبك هين ... تفنى عليه كرائم الارواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من ... تختاره بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة ... فلويت رأسى تحت طى جناحى

فرعونية وولائمكم جالوتية ومواسمكم جاهلية وقد صيرتم مذاهبكم شيطانية فأين الملة المحمدية ومما يتأكد النظر إليه فى المصحوب الزهد فى الدنيا ورفع الهمة عنها ولو قل عمله فى الظاهر وإلى ذلك أشار بقوله (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب) قلت الزهد فى الشىء هو خروج محبته من القلب وبرودته منه وعند القوم بغض كل ما يشغل عن الله ويحبس عن حضرة الله ويكون أولا فى المال وعلامته أن يستوى عنده الذهب والتراب والفضة والحجر والغنى والفقر والمنع والعطاء ويكون ثانياً فى الجاه والمراتب وعلامته أن يستوى عنده العز والذل والظهور والخمول والمدح والذم والرفعة والسقوط (وتكون) ثالثاً فى المقامات والكرامات والخصوصيات وعلامته أن يستوى عنده الرجاء والخوف والقوة والضعف والبسط والقبض يسير بهذا كما يسير بهذا أو يعرف فى هذا كما يعرف فى هذا ثم يكون الزهد فى الكون بأسره بشهود المكون وأمره فاذا تحقق المريد بهذه المقامات فى الزهد أو جلها كان عمله كله عظيما كبيراً فى المعنى عند الله وإن كان قليلا فى الحس عند الناس وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة وأى بدعة أعظم ولا أشنع من حب الدنيا والانكباب عليها بالقلب والقالب الذى لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن الصحابة حتى ظهرت الفراعنة فبنوا وشيدوا وزخرفوا فهذه هى البدعة الحقيقية فعمل هؤلاء قليل فى المعنى وإن كان كثيراً فى الحس إذ لاعبرة بحركة الأشباح وإنما العبرة بخضوع الأرواح عبادة الزاهد بالله لله وعبادة الراغب بالنفس للنفس عبادة الزاهد حية باقية وعبادة الراغب ميتة فانية عبادة الزاهد متصلة على الدوام وعبادة الراغب منقطعة بلا تمام عبادة الزاهد فى مساجد الحضرة التى أذن الله أن ترفع وعبادة الراغب فى مزابل القذرات التى أذن الله أن توضع ولذلك قال بعضهم عبادة الغنى كالمصلى على المزبلة وما مثل عبادة الزاهد مع قلتها فى الحس وكثرتها فى المعنى وعبادة الراغب مع كثرتها فى الحس وقلتها فى المعنى إلا كرجلين أهديا للملك أحدهما أهدى ياقوتة صافية صغيرة قيمتها ستون قنطاراً والآخر أهدى ستين صندوقا خاوية فارغة فلا شك أن الملك يقبل الياقوتة ويكرم صاحبها ويرد الصناديق ويهين صاحبها ويغضب عليه لكونه استهزأ بالملك حيث أهدى له خشباً خاوية شهرتها أعظم من منفعتها وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول الراغب فى الدنيا عاقل ولو كان يقول الله الله بلسانه على الدوام إذ لاعبرة باللسان والزاهد فى الدنيا ذكر على الدوام ولو قل ذكره باللسان اه.

(قلت) وبهذا فسر بعضهم قوله تعالى لا يذكرون الله إلا قليلا أى مع الغفلة والرغبة ولو كثر فى الحس اه.

وجعلت فى عش الغرام إقامتى ... فيـــه غدوى دائماً ورواحى

ومعنى بيع النفوس هو أن لايبقى لها حظ ولا لحظ إذ المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً ويشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً وذلك لايكون مع وجود النقيض مع التوخر والتشمير وكمال البقاء فى عين الفناء المطلق وقد تضمن ذلك قوله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » الآية إذ المبيع لا يبقى لبائعه حق فيه ولا حظ ولا تدبير مع مشتريه ولا نسبة له فى وجوده مع مالكه وإنما جاء سياق الآية بذلك إظهار الرحمة وتبييناً للكرامة وتتميما للنعمة إذ لا رحمة ولا نعمة أعظم من إكرام السيد عبده باظهار النسبة له فى وجوده بوجوده مع عزله عن وجوده وموجوده بطريق الرحمة والكرامة لا بطريق القهر والقوة والله تعالى أعلم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (و) لما كانت جنة الزخارف مشتملة على بساتين وأنهار وعيون وقصور وحور شبهت الصوفية بما جنته المعارف فجعلوا فيها بساتين الأسرار والأنوار التى هى محل نزهة الأرواح وجعلوا فيها أنهار العلوم وعيون الحكم وقصور الحضرة وحور سكنى المعرفة

(وقال) سيدنا على كرم الله وجهه كونوا لقبول العمل أشد منكم اهتماما للعمل فإنه لم يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل اه .

(وقال) ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد عالم خير وأحب عند الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً .

(وقال) بعض السلف لم يفتكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صيام إلا أنهم كانوا أزهد فى الدنيا اه (وفى بعض) الأخبار أن سيدنا عيسى عليه السلام مر برجل نائم والناس يتعبدون فقال له عيسى عليه السلام قم تعبد مع الناس فقال تعبدت يا روح الله فقال له وما عبادتك قال تركت الدنيا لأهلها فقال له نم نعمت العبادة هذه أو كما قال عليه السلام (وقال) رجل للشيخ أبى الحسن رضى الله عنه مالى أرى الناس يعظمونك ولم أر لك كبير عمل فقال بسنة واحدة افترضها الله على رسوله تمسكت بها فقال له وماهى قال الإعراض عنكم وعن دنياكم اه (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وإنما كانت للزهاد هذه الفضيلة الثلاثة أوجه (أحدها) مافيه من فراغ القلب عن الشواغل والشواغب (الثانى) لأنه شاهد بوجود الصدق فى المحبة إذ الدنيا محبوبة لا تترك إلا بما هو أحب (قال) عليه السلام الصدقة برهان قيل على حب العبد ربه (الثالث) لأنه دليل على المعرفة بالله والثقة به لأن بذل الموجود من الثقة بالمعبود ومنع الموجود من سوء الظن بالمعبود اه ولما كان حسن العمل الظاهر وإتقانه الذى يكون به كماله ونقصانه إنما هو نتائج حسن الباطن وأحواله أشار إلى ذلك بقوله (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق فى مقامات الإنزال) قلت الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة والأحوال حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب بالطمأنينة مثال ذلك مقام الزهد مثلا فانه يكون أولا عمله مجاهدة بترك الدنيا وأسبابها ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالا ثم يسكن القلب ويذوق حلاوته فيصير مقاماً وكذلك التوكل يكون مجاهدة بترك الأسباب ثم يكون مكابدة بالصبر على مرارة تصرفات الأقدار ثم يصير حالا ثم يسكن القلب فيه ويذوقه فيصير مقاماً وكذلك المعرفة تكون مجاهدة بالعمل فى الظاهر كخرق العوائد من نفسه ثم تكون مكابدة بالمعرفة والإقرار عند التعرفات ثم تصير حالا فاذا سكنت الروح فى الشهود وتمكنت صارت مقاماً فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب يعنى أن الأحوال مواهب من الله جزاء لثواب الأعمال فاذا دام العمل واتصل الحال صار مقاماً فالأحوال تتحول وتذهب وتجىء فاذا سكن القلب فى ذلك المعنى صار مقاماً وهو مكتسب من دوام العمل .

(واعلم) أن المقام والحال لكل واحد علم وعمل فالمقام يتعلق به العلم أولا ثم يسعى فى عمله حتى يكون حالا ثم يصير مقاماً

وبحائر تفكه البسط والجمال واجتناء فواكه الأحوال وطرق مقامات الانزال فقد ذكر الناظم مايتعلق بالبساتين والأنهار والعيون وتكلم على مابقى من القصور والبحار فقال :

وقيل ليست هذه المقاصر ... مأوى لكل قاعد وقاصر
وقيل ليست هذه البحائر ... لحائر ضل فظل حائر

قلت المقاصر جمع مقصورة والمقصورة هى الدار الواسعة المحيطة قاله فى القاموس والبحائر جمع بحيرة وهى المقتات (يقول) رضى الله عنه ليس السكنى فى قصور الحضرة والاقامة فى دار المعرفة حاصل لكل قاعد بطال، ولا لكل مقصر كسلان ولا ليس التفكه من بحائر البسط والجمال ، لمن كان فى حيرة وضلال ، وأقام فى تلفه راضياً بذلك الحال ، إنما نالها أهل الجد والاجتهاد ، وبصحبة الأفراد السالكين على منهاج الحق والسداد ، وفى ذلك قيل :

الانس بالله لايحويه بطال ... ولا يحوزه فى الحال محتال

وكذلك الحال يتعلق به العلم أولا ثم العمل ثم يصير مقاما حالا والله تعالى أعلم فعلامة التحقق بمقامات الانزال هو حسن الحال وعلامة حسن الحال هو حسن العمل فاتقان الأعمال وحسنها هو ثمرة ونتيجة حسن الأحوال وحسن الاحوال إتقانها هو نتيجة التحقق بمقامات الانزال أى التحقق بالانزال فى المقامات (أو تقول) حسن الأحوال دليل على التحقق بالمقامات التى ينزل الله عبده فيها وحسن الأعمال دليل على حسن الأحوال والتحقق بالحال والسكون فى المقام أمر باطنى ويظهر أثره فى عمل الجوارح (والحاصل) أن حركة القالب تدل على صلاح القلب أو فساده لقوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فاذا تحقق القلب بالزهد مثلا وصار له حالا أو مقاما ظهر ذلك على جوارحه من الثقة بالله والاعتمد عليه وقلة الحركة عند الاسباب المحركة لقوله عليه السلام ليس الزهد بتحريم الحال ولا باضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما فى يد الله أوثق بما فى يدك (وقال) الصديق رضى الله عنه قال الحسن الشاذلى فى اليوم علامة خروج حب الدنيا من القلب بدلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد، وعلامة التحقق بالانزال فى مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الاسباب وعلامة التحقق بالانزال فى مقام المعرفة هو الادب ظاهراً وباطنا وحسن الخلق مع كل مخلوق ولذلك قال أبو حفص الحداد رضى الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فان النبى ﷺ قال لو خشع قلب هـــذا لخشعت جوارحه اه وراجع ما تقدم من شرح قوله تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال ففيه زيادة شرح على هذا المحل والله تعالى أعلم وأفضل الأعمال التى يقطع بها المريد المقامات وأقربها هو ذكر الله ولذلك ذكره بأثره فقال (لاتترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عن ما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) قلت الذكر ركن قوى فى طريق القوم وهو أفضل الأعمال قال الله تعالى اذكرونى أذكركم وقال تعالى *يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً* والذكر الكثير أن لا ينساه أبدا قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتا مخصوصا وعذر العباد فى غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتاً مخصوصاً قال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيراً وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال رجل يارسول الله كثرت على شعائر

والآنسون رجال كلهم نجب   وكلهم صفوة لله عمال

ولا يمكن السكنى فى قصور المعارف والتفكه من بحائر الازواق ، إلا بأفراد الوجهة للواحد الخلاق فيجعل الهموم هما واحدا والقصد قصدا واحدا والمحبة محبة واحدة والقلب مفردا لله فبذلك ينال القرب من الله ويسكن فى حضرة الله (و) فى الحديث من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه .

(قلت) وجعل جنة المعارف مأواه . وفى حضرة القدس منقلبه ومثواه وقيل للجنيد رضى الله عنه كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى قال بتوبة تزيل الأصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل قيل له بم يصل العبد إلى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد (قال) الشيخ زروق وهذا الأمر لا سبيل اليه سوى الضراعة *لمن بيده القلوب وعنده مفاتح الأمور ثم نبه على أن ما تقدم من العبارة ليس المقصود منها ظاهرها وإنما هو اشارة* كما قال بعضهم علمنا كله إشارة فقال :

فافهم فتحت هذه العبارة   إشارة   وأيما   إشارة

الإسلام فأوصني بأمر أدرك به مافاتني وأوجز فقال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وقال عليه السلام لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذاك يارسول الله قال ذكر الله (وعن علي) كرم الله وجهه قلت يارسول الله أي الطرق أقرب إلى الله وأسهلها على عباد الله وأفضلها عند الله تعالى فقال يا علي بمداومة ذكر الله فقال علي كل الناس يذكرون الله فقال صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله فقال له علي كيف أذكر يارسول الله؟ فقال له صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل مثلها وأنا أسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه ثم قالها علي كذلك ثم لقنها علي للحسن البصري ثم الحسن لحبيب العجمي ثم حبيب لداوود الطائي ثم داوود لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري للجنيد ثم انتقلت إلى أرباب التربية فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته ويبذل فيه جهده فان الذكر منشور الولاية ولابد منه في البداية والنهاية فمن أعطى الذكر فقد أعطى المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وأنشدوا :

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حراسا

فبقدر مايفنى في الاسم يفنى في الذات وبقدر مايفتر في الفناء في الاسم يكون متفترا في الفناء في الذات فليلتزم المريد الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه بل يذكره بلسانه ولو كان غافلا بقلبه فان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره لأن غفلتك عن ذكره اعتراض عنه بالكلية وفي وجود ذكره اقبال بوجه ما وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله وفي فقده تعرض لاشتغالها بالمعصية قيل لبعضهم ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل فقال أشكر الله على ما وفق من ذكر اللسان ولو أشغله بالغيبة ماكنت تفعل فليلزم الانسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان فعسى أن ينقلك الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة أي انتباه لمعاني الذكر عند الاشتغال به ومن ذكر مع يقظة إلى ذكر مع وجود حضور المذكور وارتسامه في الخيال حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضراً بقلبه مع دوام ذكره وهذا هو ذكر الخواص والأول ذكر العوام فان دمت على ذكر

قلت فليس المقصود من ذكر الرعود والغيث وزهر الأغصان واعتدال الزمان ولا من ذكر الظلال والافياء والانهار والعيون والروح والريحان والطارق والسارق والبستان ما يفهم من ظاهر العبارة وإنما ذلك الغاز وإشارة فتحت كل عبارة إشارة دقيقة ومعان رقيقة وقد تقدم التنبيه على ذلك كله في محله وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم ذكر أصل التصوف من جهة دليل الشرع فقال .

ولنرجع الآن لباقي الفصل ... اذ في تمامه ثبوت الأصـــل

قلت الفصل معقود لثبوت أصل التصوف فذكر أصله من جهة الذوق والوجدان وبقي ثبوته من طريق الشرع وبه تمام ثبوت أصله على الكمال فأشار اليه بقوله :

فقادة الصوفي أهل الصفة ... في زمن الرسول فاعلم وصفه
وهم ضياف الله والاسلام ... وجلساء سيـــد الانام

لحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عما سوى المذكور لما يغمر قلبك من النور وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق فى النور حتى يغيب عما سوى المذكور حتى يصير الذاكر مذكورا والطالب مطلوبا والواصل موصولا وما ذلك على الله بعزيز أى بممتنع فقد يرفع فى أعلى الدرجات من كان فى أسفل الدركات وها هنا يسكت اللسان وينتقل الذكر للجنان فيصير ذكرا للسان غفلة فى حق أهل هذا المقام كما قال الشاعر :

ما إن ذكرتك الا هم يلعننى ... سوى وقلبى وروحى عند ذكراك
حتى كان رقيبا منك يهتف بى ... اياك ويحك والتذكار اياك
أماترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا إلى هذا المقام الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه اه يعنى أن الذاكرين الله بالقلوب هم فى حال ذكرهم لله بلسانهم أكثر غفلة من التاركين لذكره لأن ذكره باللسان وتكلفه يقتضى وجود النفس وهو شرك والشرك أقبح من الغفلة هذا معنى قوله لأن ذكره سواه أى لأن ذكر اللسان يقتضى استقلال الذاكر والفرض أن الذاكر محو فى مقام العيان (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر إلى المذكور وعن كل شىء سواه لقوله واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا (وقال) القشيرى رضى الله عنه الذاكر اندراج الذاكر فى مذكوره واستظلام السر عند ظهوره وفى معنى ذلك أنشدوا :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة ... وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وصرت بلاوجد أهيم من الهوى ... وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى ... شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... وشاهدت موجودا بغير عيان

وفى هذا المقام يتحقق المريد بعبادة الفكرة أو النظرة وفكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة ولذلك قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه أو فاتنا كلها ليلة القدر أى عبادتنا كلها مضاعفة مع خفائها وتحقيق الإخلاص فيها اذلا يطلع عليها ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسد وفى ذلك قال بعضهم قيل هو الحلاج

قلت القادة والقدوة مااقتديت به واتبعت طريقته (يقول) رضى الله عنه فتتبع الصوفية وقدوتهم فى طريق التجريد وترك الأسباب والانقطاع الى رب الأرباب هم أهل الصفة موضع بناه عليه السلام فى طرف مسجده لفقراء أصحابه كانوا يجتمعون فيه إذا كثروا بلغوا أربعمائة وإذا قلوا كانوا ثمانين أو سبعين وبه سمو الصوفية على قول وكانوا يعرفون بضياف الله وبضياف الإسلام آثروا التجريد للعبادة ومجالسة سيد المرسلين وفيهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى كما يأتى فاقرهم عليه السلام على التجريد وترك الأسباب حيث علم منهم عدم التشوف للاسباب والرضى بما قسم الله لهم وبما يواجههم به سبحانه من سعة أو ضيق ومن تشوق منهم أمره بالأسباب مثل حكيم بن حزام رضى الله عنه فانه سأله فاعطاه ثم سأله فأعطاه ثم سأله فأعطاه ثم قال له يا حكيم أن هـذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ثم قال له لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه الحديث فدله عليه السلام على التسبب لما تشوفت نفسه للأسباب بدلا عن المسئلة إذ هى آخر كسب المؤمن بخلاف غيره إذ لم يتشوف ولذلك قال الخواص رضى الله عنه

قلوب العارفين لها عيون　　ترى مالا يرى للناظرين
والسنة بأسرار تناجى　　تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش　　إلى ملكوت رب العالمين

وقد ذيلتها ببيتين فقلت :

وأفئدة تهيم بعشق وجد　　إلى جبروت ذى حق يقينا
فان تردن تبا كر ذى المعانى　　فبذل الروح منك يقل فينا

ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفى الحديث مثل الذى يذكر ربه والذى لايذكر ربه كمثل الحى والميت ذكر علامة حياته وموته فى أول البيت السابق فقال وقال رضى الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلت من وجود الزلات) قلت موت القلب سببه ثلاثة أشياء حب الدنيا والغفلة عن ذكر الله وإرسال الجوارح فى معاصى الله وسبب حياته ثلاثة أشياء الزهد فى الدنيا والاشتغال بذكر الله وصحبة أولياء الله وعلامة موته ثلاثة أشياء عدم الحزن على مافات من الطاعات وترك الندم على ما فعلت من الزلات وصحبتك للغافلين الأموات وذلك لأن صدور الطاعة من العبد عنوان السعادة وصدور المعصية علامة الشقاوة فان كان القلب حياً بالمعرفة والإيمان آلمه ما يوجب شقاوته وأفرحه مايوجب سعادته (أو تقول) صدور الطاعة من العبد علامة على رضا مولاه وصدور المعصية علامة على غضبه فالقلب الحى يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح وما يسخطه عليه فيحزن والقلب الميت لا يحس بشىء قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية لايفرح بطاعة وموافقة ولايحزن على زلة ولامعصية كما هو شأن الميت فى الحس وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن وقال عبد الله بن مسعود المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فأطاره اه لكن لا ينبغى للعبد أن يغلب النظر إلى جانب الذباب فيقل رجاؤه ويسىء الظن بسيده كما أشار اليه بقوله (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله) قلت الناس فى الخوف والرجاء على ثلاثة أقسام أهل البداية ينبغى لهم تغليب جانب الخوف وأهل الوسط ينبغى لهم أن يعتدل خوفهم ورجاؤهم وأهل النهاية يغلبون جانب

مادامت الأسباب فى النفس قائمة فالنسب أولى والأكل بكسب أحل له لأن العقود عن المكاسب لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف ثم وصف حالهم ليقتدى بهم فقال :

كانوا على التجريد عاملين　　وعن سوى الرحمن معرضين

قلت التجريد هو التعرية عن الشىء يقال فلان جرد ثوبه أزاله وجردت الجلد أزلت شعره هذا باعتبار اللغة وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجريد الظاهر فقط أو الباطن فقط أوهما معاً فتجريد الظاهر هو ترك الأسباب الدنيوية وخرق العوائد النفسانية الجسمانية والتجريد الباطنى هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معاً هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسمانية أو تقول تجريد الظاهر هو ترك كل مايشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل مايشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو أفراد القالب والقلب لله والتجريد الكامل فى الظاهر هو ترك الأسباب وتعرية البدن من معتاد الثياب وفى الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليته بكل وصف كريم فأشار الناظم إلى الأول

الرجاء أما أهل البداية فلانهم اذا غلبوا جانب الخوف جدوا فى العمل وانكفوا عن الزلل فبذلك تشرق نهايتهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما أهل الوسط فلانهم قد انتقلت عبادتهم الى تصفية بواطنهم فعبادتهم قلبية فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا الى عبادة الجوارح والمطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم وأما الواصلون فلا يرون لانفسهم فعلا ولا تركا فهم ينظرون الى تصريف الحق وما يجرى به سابق القدر فيتلقونه بالقبول والرضاء فان كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله وان كان معصية اعتذروا وتأدبوا ولم يقفوا مع أنفسهم اذ لا وجود لها عندهم وانما ينظرون الى ما يبرز من عنصر القدرة فنظرهم الى حلمه وعفوه واحسانه وبره أكثر من نظرهم الى بطشه وقهره ويرحم الله الشافعى حيث قال

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا جود وفضل ومنة ... تجود وتعفو منه وتكرما
فياليت شعرى هل أصير لجنة ... أهنا وإما للعسير فأندما

قال تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وتأمل قضية الذى قتل تسعا وتسعين نفسا ثم سأل راهبا فقال له هل لى من توبة فقال له لاتوبة لك فكمل به المائة ثم أتى عالما فسأله فقال له من يحول بينك وبينها ولكن اذهب إلى قرية كذا فيها قوم يعبدون الله فكن فيهم حتى تموت فلما توسط الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله اليهم أن قيسوا القرية التى خرج اليها والقرية التى خرج منها فالى أيهما كان اقرب فهو من أهلها فأوحى الله الى القرية التى يريد أن تقاربى ولى القرية التى خرج منها أن تباعدى فوجد أقرب إلى القرية التى يريد بشبر فأخذته ملائكة الرحمة والحديث فى الصحيحين نقلته بالمعنى وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه العامة اذا خوفوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال فى لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خافوا خافوا إذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم وما

وهو تجريد الظاهر بقوله كانوا أى أهل الصفة على التجريد الظاهر عاملين ورفعوا همتهم الى رب العالمين فقنعوا بما تيسر من القوت وما يستر العورة من الثياب منها ماتبلغ الركبة ومنها دون ذلك كانوا يقولون للنساء فى الصلاة لا ترفعن رؤسكن حتى يستوى الرجال قعودا خشية أن يرين عورة أهل الصفة من قصر الثياب ومنهم من لبس اهاب كبش أى جلده وهو مصعب بن عمير فلما رآه عليه السلام بكى وقال انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه فقد رأيته فى بمكة بين أبويه يختال فى حلة قد اشتريت له أو اشتراها بمائتى درهم فما زال به حب الله ورسوله حتى صيره الى ماترون رواه البيهقى فى المنذرى ورواه فى كتاب الزهد عن الترمذى أيضا فهذه كانت أحوال أهل الصفة خيار هذه الامة وهذه كانت سمة نبينا صلى الله عليه وسلم (فقد) دخل سيدنا عمر رضى الله عنه عليه وسلم فرأى الشريط قد أثر فى جنبه صلى الله عليه وسلم فبكى عمر رضى الله عنه لما رأى كما فى البخارى ومات عليه السلام ودرعه مرهونة عند يهودى واليوم صار هذا بدعة عند الناس وصار التأنق فى اللباس وتكبير العمائم وجمع المال سنة فانا لله وأنا اليه راجعون ويرحم الله القائل

خوفوا به أوصاف المرجو الذى لاينبغى أن يقنط من رحمته ولا أن ييئس من منته فاحتالوا على أوصاف كرمه علما منهم ما خوفهم إلا ليجمعهم وليردهم بذلك اليه وإذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما ظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع الرجاء أو تنفذ إلى مابطن فى مشيئته فلذلك أثار الرجاء خوفهم اه

(ودخل) الجنيد رضى الله عنه على شيخه السرى فوجده مقبوضا فقال له مالك أيها الشيخ مقبوضا فقال دخل على شاب فقال لى ماحقيقة التوبة فقلت له ماأن لاتنسى ذنبك فقال الشاب بل التوبة أن تنسى ذنبك ثم خرج عنى قال الجنيد فقلت الصواب ما قاله الشاب لأنى إذ كنت فى حالة الجفاء ثم نقلنى إلى شهود الصفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء اه قلت (نظر السرى إلى أهل البدايه و نظر الجنيد إلى أهل النهاية والكل صواب والله تعالى أعلم ثم ذكر موجب تصغير الذنب فقال (فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه) قلت بل من عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لفنائه عن نفسه بشهود ربه فان صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة قال تعالى نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم وأما قوله تعالى وان عذابى هو العذاب الأليم فانما هو لمن لم يتب وقال رسول الله ﷺ عليه لو أذنبتم حتى تبلغ خطايا كم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ولو أن العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم ثم جاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم والله أفرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد ومن العقيم الوالد ومن الضال الواجد لكن لاينبغى أن يصغر ذنبه حتى يغتر بحلم الله (وقد) أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود قل لعبادى الصديقين لايغتروا فانى ان أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى المذنبين لايقنطوا فانه لايعظم على ذنب أغفره لهم اه (وقال) الجنيد رضى الله عنه إذا بدت عين من الكريم ألحقت المسيء بالمحسن وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه فى حزبه إلهى معصيتك نادتنى بالطاعة وطاعتك نادتنى بالمعصية ففى أيهما أخاف وفى أيهما أرجو ان قلت بالمعصية قابلتنى بفضلك فلم تدع لى خوفا وان قلت بالطاعة قابلتنى بعدلك فلم تدع لى رجاء فيت شعرى كيف أرى احسانى مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك اه ومعنى كلام الشيخ رضى الله عنه ان العبد إذا كان فى المعصية شهد قهرية الحق وعظمته وضعف نفسه وعجزه اكتسب من المعصية انكسارا وذلا لنفسه وتعظيما وإجلالا لربه وهذا افضل الطاعات فقد نادته معصيته التى هو فيها بالطاعة التى يجتنيها منها وإذا كان فى الطاعة ربما شهد فيها نفسه وقصد متعته وحظه فأشرك بربه وأخل بأدبه وهذه معصية فاذا كان

يا حسبى الله ما للناس أكثرهم قد أنكروا الزهد والتجريد والورعا

سموا طريق أولى التوفيق صعلكة وسنة لقبوا الأهواء والبدعا

وسنة مفعول مقدم بلقبوا (و) قول الناظم وعن سوى الرحمن معرضين أى وكانوا عن سوى الرحمن معرضين لايلتفتون إليه ولا يتعلقون به اكتفاء بالله واستغناء بعلمه رضى الله عنهم ونفعنا بهم ثم أشار إلى الثانى وهو التجريد الباطنى فقال :

تخلقوا بخلق النبى يدعون بالغداة وبالعشى

قلت تخلق بكذا تطبع به والخلق بضمتين السجية والطبع (يقول) رضى الله عنه ان أهل الصفة رضى الله عنهم تخلقوا بخلق النبى صلى الله عليه وسلم يعنى قاربوا من خلقه عليه السلام وإلا فلا يمكن التخلق بخلقه عليه السلام على الوفاء والتمام كيف والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم فقد حاز عليه السلام مراتب الكمال على الوفاء والتمام حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن واحتشمت أن تقول كان خلقه خلق الرحمن أدبا مع الحضرة ووقوفا مع الحكمة وذكرت

فى الطاعة نادته بهذه المعصية التى يجتنبها منها فلا يدرى من أيهما يخاف وأيهما يرجو وقوله وإن قلت بالمعصية الخ أى إن نظرت إلى صورة المعصية قابلتنى بفضلك فامتحى اسمها واندرس رسمها وإن نظرت إلى صورة الطاعة قابلتنى بعدلك فاضمحلت وامتحنت وبقى محض الرجاء من الكريم الوهاب الذى يعطى بلا سبب ويغطى بحلمه المناقشة والعتاب والله تعالى أعلم فتحصل أن العارف لايقف مع معصية وإن جلت ولا مع طاعة وإن عظمت وهو معنى قوله (لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله) قلت الصغيرة هى الجريمة التى لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث والكبيرة هى التى توعد عليها بالعذاب أو الحد فى القرآن أو فى السنة وقيل غير ذلك هذا كله بالنظر لظاهر الأمر وأما باعتبار ماعند الله من أمر غيبة وبالنظر إلى حلمه وعدله فقد يبرز خلاف ما يظن قال تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فمن سبقت له العناية لاتضره الجناية فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وإن كانت الأعمال علامات فقد تختلف فى بعض المقامات فوجب استواء الرجاء والخوف فى بعض المقامات والتسليم لله فى كل الأوقات إذ قد تمت كلمات ربك صدقاً وعدلا لامبدل لكلماته فاذا قابلك الحق سبحانه وتعالى بعدله وجلاله لم تبق لك صغيرة وعادت صغائرك كبائر وإذا واجهك الحق تعالى بفضله وكرمه وإحسانه وجماله لم تبق لك كبيرة وعادت كبائرك صغائر قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله عنه إذا أنالهم فضله لم تبق لهم سيئة وإذا وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة اه وقيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه مارجح أحدهما على الآخر بل المؤمن كالطائر بين جناحين أو كما قيل قاله الشيخ زروق رضى الله عنه :

(قلت) وحديث الرجل تمد له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم تخرج له بطاقة قدر الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله فتطيش تلك السجلات يدل على عظيم حلمه ورحمته وشمول كرمه ومنته ولما ذكر رضى الله عنه علامة موت القلب ذكر الأعمال التى توجب حياته فقال (لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويتحقر عندك وجوده) قلت هكذا هى نسخة الشيخ بلفظ القلوب وهى أوفق بالسياق اذ الكلام كله فى موت القلوب وحياتها يعنى أنه لا عمل أرجى لحياة القلوب من عمل يكون بالله ولله غائباً فيه عما سواه غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه متبرئاً فيه من حوله وقواه فاذا أظهرته عليه القدرة غاب عن شهوده وصغر فى عينه صورة وجوده لما تجلى فى قلبه من عظمة مولاه فصغر عنده كل ماسواه فمثل هذا العمل تحيى به القلوب وتحظى بمشاهدة علام الغيوب وهو روح اليقين وهو حياة قلوب العارفين فاذا أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل وصغره فى عينه فلا يزال جاداً فى عمل الجوارح حتى ينقله

مايليق بآداب العبودية واحتشمت من أخلاق الربوبية فقد أعطى عليه السلام الغاية من الزهد والورع والخوف والرجا والصبر والتوكل والرضاء والتسليم والمحبة والرحمة والشفقة والحلم والكرم والشجاعة وكمال العقل وتمام المعرفة الى مالا يحصى وكان أهل الصفة أشبه الناس به فى هذه الأخلاق (وقوله) يدعون ربهم أشار به الى قوله تعالى فى حقهم لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم وسبب نزول الآية أن الكفار قالوا لانرضى أن نجالسك مع هؤلاء فأراد عليه السلام أن يجعل لهم مجلساً يخصهم به ثم يجالس الفقراء بعد ذلك فنزلت الآية .

(قال) بعضهم هو امر ارشاد وتزكية ونهى تنبيه وترقية ليكون محجة لقوم وحجة على قوم وهذا كنهى البار عن العقوق وأمره بالبر ليكون اثبت وأوفى وأتم فى الحجة واظهاراً لتشريف قدر هذه الجماعة وماهم عليه من محامد الخلال والا فهو عليه السلام لايعمل الا ذلك قبل الأمر وبعده ثم ماوصفهم به مولاهم من الدعاء بالغدوة والعشى غير معلل بعلة سوى ارادة وجهه الكريم أى معرفة ذاته المقدسة لايعرجون على ثواب ولا جزاء ولا قصور ولا حور وبهذا

إلى عمل القلوب فتستريح الجوارح من التعب ولا يبقى إلا شهود العظمة مع الأدب قال النهرجورى رحمه الله من علامات من تولاه الله فى أحواله أن يشهد التقصير فى إخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهدته وقلة المراعات فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله فى قصده وسيره حتى يغنى عن كل شىء دونه اه وإذا حيى القلب بمعرفة الله كان محلا لتجلى الواردات الإلهية وإلى ذلك أشار بقوله (إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً) قلت الوارد نور إلهى يقذفه الله فى قلب من أحب من عباده وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية (أو تقول) على حسب الطالبين والسائرين والواصلين .

(القسم الأول) وارد الانتباه وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة وهو لأهل البداية من الطالبين فإذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالباً لربه فيقبل عليه بقلبه وبقالبه وينجمع عليه بكليته .

(القسم الثانى) وارد الاقبال وهو نور يقذفه الله فى قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه فلا يزال مشتغلا بذكره غائباً عن غيره حتى يمتلأ القلب بالنور ويغيب عما سوى المذكور فلا يرى إلا النور فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار .

(القسم الثالث) وارد الوصال وهو نور يستولى على قلب العبد ثم يستولى على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه وقد أشار إلى القسم الأول وهو وارد الانتباه بقوله إنما أورد عليك الخ أى إنما أشرق عليك نور اليقظة والانتباه وهو الوارد فتكون بسببه وارداً عليه وسائراً إليه ولولم يورد عليك هذا الوارد لبقيت فى وطن غفلتك نائماً فى سكرتك دائماً فى حسرتك ثم أشار إلى القسم الثانى وهو وارد الإقبال فقال (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار) أى إنما أورد عليك وارد الإقبال ليؤنسك بذكر الكبير المتعال فإذا اشتغلت بذكره وغبت عن غيره تسلمك أى أنقذك من يد لصوص الأغيار بعد أن شدوا أوثاقك بحبل هواك وسجنوك فى سجن حظوظك ومناك وليحررك ويعتقك أيضاً من رق الآثار بعد أن ملكتك بما أظهرته لك من زخرف الاغترار فإذا تسلمت من يد الأغيار أفضيت إلى شهود الأنوار وإذا تحررت من رق الآثار ترقيت إلى شهود الأسرار فالأنوار أنوار الصفات والأسرار أسرار الذات فالأنوار لأهل الفناء فى الصفات والأسرار لأهل الفناء فى الذات ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك) أى أورد عليك وارد الوصال بعد أن أهب عليك نفحات الاقبال

كله تحققت الصوفية رضى الله عنهم كما فهموا ذلك من أخلاق نبيهم صلى الله عليه وسلم وما كان يدل عليه وإلى ذلك أشار بقوله :

قد فهموا مقتضيات الشرع فصيروا الفرق لعين الجمع

قلت مقتضى الشىء مطلوبه واقتضى دينه طلبه والشرع الشرعة بالكسر ماشرعه الله لعباده من الأحكام والفرق عند الصوفية هو شهود خلق بلا حق والجمع هو شهود حق بلا خلق وجمع الجمع هو شهود خلق بحق ، الفرق شريعة والجمع حقيقة ، الفرق شهود الحكمة والجمع شهود القدرة وجمع الجمع حكمة وقدرة (يقول) رضى الله عنه فى وصف أهل الصفة أنهم تركوا الدنيا لأهلها وانقطعوا إلى الله بالكلية وقد فهموا ذلك من مطلوبات الشرع ومقتضياته إذ قد سمعوا كلام ربهم وأحاديث نبيهم صلى الله عليه وسلم فى ذم الدنيا والاشتغال بها ومدح التفرغ للعبادة والاجتهاد فيها وما أعد الله فيها للزاهدين وللقانتين فتركوا الأسباب التى هى شريعة الضعفاء وتمسكوا بالتجريد الذى هو شريعة الأقوياء وحقيقة الأصفياء فصيروا الفرق الذى هو الاشتغال بالأسباب لعين الجمع الذى هو الاشتغال بمسبب الأسباب فالنظر للأسباب فرق والنظر لمسبب

ليخرجك من سجن رؤية وجودك إلى فضاء أى اتساع شهودك لربك فرؤيتك وجودك مانعة لك من شهود ربك إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وأنشد الجنيد

وجودى أن أغيب عن الوجود   بما يبدو على من الشهود

فالفناء عن النفس وزوالها أصعب من الفناء عن الكون وهدمه فمهما زالت النفس وهدمت انهدم الكون ولم يبق له أثر وقد يهدم الكون وتبقى فى النفس بقية فلذلك قدم الشيخ رق الاكوان على سجن وجود الانسان والله تعالى أعلم ثم فسر تلك الواردات فقال (الأنوار مطايا القلوب والاسرار) قلت النور نكتة تقع فى قلب العبد من معنى اسم أو صفة يسرى معناها فى كليته حتى يبصر الحق والباطل أبصارا لا يمكنه التخلف معه عن موجبه قاله الشيخ زروق والمطايا جمع مطية وهى الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهو الحقيقة القابلة للمفهومات والأسرار جمع سروهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر أدق وأصفى من القلب والكل اسم للروح فإن الروح ما دامت متظلمة بالمعاصى والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفساً فإذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سميت عقلا فما زالت تتقلب فى الغفلة والحضور سميت قلباً فإذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحاً فإذا اتصفت من غبش الحس سميت سرا لكونها صارت سرا من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها وهو سر الجبروت فإذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده إلى حضرة قدسه ويحمله إلى محل أنسه أمده بواردات الأنوار كالمطايا فيحمل عليها فى محفة العناية مروحاً عليه بنسيم الهداية محفوفاً بنصرة الرعاية فترحل الروح من عوالم البشرية إلى عوالم الروحانية حتى تصير سرا من أسرار الله لا يعلمها إلا الله قل الروح من أمر ربى فالأنوار التى هى الواردات مطايا القلوب تحملها إلى حضرة علام الغيوب وهى أيضاً مطايا الأسرار تحملها إلى جبروت العزيز الجبار فالسلوك هداية والجذب عناية فوارد الانتباه والاقبال حمله سلوك ووارد الوصال حمله جذب فالأنوار التى هى مطايا القلوب تحملهم على جهة السلوك الا أنهم محمولون فيه بحلاوة نور الانتباه والاقبال فصار سلوكهم كأنه جذب وأما الأنوار التى تحملهم على مطايا الأسرار فإنها تحملهم على جهة الجذب ممزوجاً بسلوك فيكونون بين جذب وسلوك وهذا الحمل أعظم والله تعالى أعلم

ثم بين كيفية السير على هذه المطايا وما يعوقها عن السير فقال (النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار) قلت الظلمة نكتة تقع من الهوى فى النفس عن عوارض

الأسباب جمع وهذا كقول الشيخ أبى العباس رضى الله عنه للناس أسباب وسببنا الإيمان والتقوى قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فمقتضى الشرع للعبد أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة اعنى شريعة الخواص التى هى لب الشريعة لا شريعة العوام التى هى القشر وإذا كان جامعاً فيكون فى ظاهره ممتثلا لأمره وفى باطنه مستسلما لقهره يدعونه لكونه لا يرى الأمر إلا منه وله ويقوم بواجبات وقته لكونه مطلوبا بوظائف حكمته عاملا بقوله إياك نعبد وإياك نستعين فإياك نعبد فرق وإياك نستعين جمع وشهود الجمع فى عين الفرق هو جمع الجمع وهو الصراط المستقيم الذى طلب الهداية إليه وبالله التوفيق فهو الهادى إلى سواء الطريق ولما ذكر ان أهل الصفة صيروا الفرق عين الجمع ذكر ما يترتب عليه من الخروج عن كل شيء والغنى بالله فى كل شيء فقال

قد خرجوا لله عما اكتسبوا   فكل صوفى إليهم ينسب

قلت لا شك أن أهل الصفة رضى الله عنهم كانت لهم أموال وعبيد وإماء وديار وعقار وأهل وعيال فلما هاجروا

الوهم فتوجب العمى عن الحق لتمكن الباطل من الحقيقة فيأتى العبد ويذر على غير بصيرة قاله الشيخ زروق (قلت) قد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية النورانية المودعة فى هذا القالب الجسمانى الظلمانى وانما اختلفت أسماؤها باختلاف أحوالها وتنقل أطوارها ومثال ذلك كالمطر النازل فى أصل الشجر ثم يصعد فى فروعها فيظهر ورقا ثم نوراً وأزهاراً ثم ينعقد ثمرة ثم ينمو حتى يكمل فالماء واحد واختلفت أسماؤه باختلاف أطواره هكذا قال الساحلى فى بغيته وقد نظمت فى ذلك قصيدة ذكرت فى غير هذا الكتاب فعلى هذا يكون تقابل القلب مع النفس بالمحاربة كناية عن صعوبة انتقال الروح من وطن الظلمة التى هى محل النفس الى وطن النور الذى هو القلب وما بعده فالقلب يحاربها لينقلها إلى أصلها وهى تتقاعد وتسقط إلى أرض البشرية وشهواتها فالقلب له أنوار الواردات تقويه وتنصره حتى يترقى إلى الحضرة التى هى أصله وفيها كان وطنه وكأنها جنود له من حيث أنه يتقوى بها وينتصر على ظلمة النفس وهذه الأنوار هى الواردات المتقدمة والنفس لما ركنت إلى الشهوات واستحلتها صارت كأنها جنود لها وهى ظلمة من حيث انها حجبتها عن الحق ومنعتها من شهود شموس العرفان فاذا هاجت النفس بجنود ظلماتها وشهواتها إلى معصية أو شهوة رحل اليها القلب بجنود أنواره فيلتحم بينهما القتال فاذا أراد الله عناية عبده ونصره أمد قلبه بجنود الأنوار وقطع عنه من جهة النفس مدد الأغيار فيستولى النور على الظلمة وتولى النفس منهزمة وإذا أراد الله خذلان عبده أمد نفسه بالأغيار وقطع عن قلبه شوارق الأنوار فيأتى المنصور بالأمر على وجهه والمخذول بالشىء على عكسه

(قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وأمداد الأنوار ثلاثة أولها يقين لا يخالطه شك ولا ريب الثانى علم تصحبه بصيرة وبيان الثالث الهام يجرى مجرى العيان (وإمداد) الظلم ثلاثة أولها ضعف اليقين الثانى غلبة الجهل على النفس الثالث الشفقة على النفس وذلك كله أصله الرضى عن النفس وعدمه ومظهره الثلاث المرتبة عليه وهى المعاصى والشهوات والغفلات وأضدادها المتقدمة فى الباب الثالث فافهم اه

(ولما) كان النور هو جند القلب لأنه يكشف عن حقائق الأشياء فيتميز الحق من الباطل فيحق الحق ويبطل الباطل فينتصر القلب قباله على الحق على بينة واضحة وتنهزم النفس بانهزام جند ظلماتها اذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النور كما أشار إلى ذلك بقوله (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) قلت النور من حيث هو من شأنه أن يكشف الأمور ويوضحها حتى يظهر حسنها من قبيحها ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح

إلى الله ورسوله خرجوا عن ذلك كله وتركوه لله فانتقلوا إلى المدينه ليس معهم شىء فبنى لهم عليه السلام صفة فى طرف المسجد فنزلوا فيها يصلون بالليل ويصومون بالنهار ويجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الجيش فقتل أكثرهم فى الجهاد ومن بقى منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته الدنيا فمنهم من لم يقبلها ولم يأخذ منها شيئاً كأبى ذر وأبى الدرداء وابى عبيدة ومعاذ وغيرهم ممن لا يحصى (ومنهم) من أخذها بالله ودفعها لله فكان فيها كالأمين ينظر العزل من مولاه يقوم فيها بواجب الحقوق دون تقصير ولا تعريج على مخلوق وكذلك كانت الصوفية المحققون لا يملكون مع سيدهم شيئاً ولا يملكهم شىء (وقد) سأل بعض الفقهاء أبا بكر الشبلى رحمه الله اختباراً له فى العلم فقال يا أبا بكر كم فى خمس من الإبل فقال أما الواجب فشاة وأما عندنا فكلها لله قال وما دليلك على ذلك قال أبو بكر حين خرج عن ماله كله لله ورسوله فمن خرج عن ماله كله فأمامه أبو بكر ومن خرج عن بعض وترك بعضاً فأمامه عمر رضى الله عنه ومن أعطى لله ومنع لله كان إمامه عثمان رضى الله عنه ومن ترك الدنيا لأهلها فأمامه على رضى الله عنه وكل علم لا يدل على ترك الدنيا فليس بعلم اه

بقبحه والقلب يقبل على ما يثبت حسنه ويدبر عن ما يثبت قبحه (أو تقول) يقبل على ما فيه نفعه ويدبر عما فيه ضرره ومثال ذلك رجل دخل بيتا مظلما فيه عقارب وحيات وفيه سبائك ذهب وفضة فلا يدرى ما يأخذ ولا ما يذر ولا ما فيه نفع ولا ضرر فإذا أدخل فيه مصباحا رأى ما ينفعه وما يضره وما يأمنه ولا يحذره كذلك قلب المؤمن العاصى لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة فإذا استضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه وفرق بين الحق والباطل قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) أى نورا يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس) وقال تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) وهذا النور الذى يكشف الأمور هو نور الواردات المتقدمة الذى هو مطايا القلوب إلى علام الغيوب أولها نور وارد الانتباه ومن شأنه أن يكشف ظلمة الغفلة ويظهر نور اليقظة فتحكم البصيرة بقبح الغفلة وحسن اليقظة فيقبل القلب حينئذ على ذكر ربه ويدبر عما يغفله عن ربه وهذا هو نور الطالبين

(الثانى) نور وارد الإقبال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الاغيار ويظهر بهجة المعارف والاسرار فتحكم البصيرة بضرر الاغيار وحسن الاسرار فيقبل القلب على بهجة الاسرار ويدبر عن ظلمة الاغيار وهذا هو نور السائرين

(الثالث) نور وارد الوصال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الكون ورداء الصون ويظهر نور تجليات المكون فيقبل القلب على مشاهدة مولاه ويدبر عن الالتفات إلى ما سواه وهذا هو نور الواصلين وهو نور المواجهة ونور ما قبله نور التوجه وإن (شئت) قلت هو نور الاسلام والايمان والاحسان فنور الاسلام يكشف ظلمة الكفر والعصيان ويظهر نور الانقياد والاذعان فتحكم البصيرة بقبح الكفر والعصيان وحسن نور الاسلام والاذعان فيقبل القلب على طاعة ربه ويعرض عما يبعده من ربه ونور الايمان يكشف ظلمات الشرك الخفى ويظهر بهجة الاخلاص والصدق الوفى فتحكم البصيرة بقبح الشرك وضرره وحسن الاخلاص وخيره فيقبل القلب على توحيد ربه ويعرض عن الشرك وشره ونور الاحسان يكشف ظلمة السوى ويظهر نور وجود المولى فتحكم البصيرة بقبح ظلمة الاثر وحسن نور المؤثر فيقبل القلب على معرفة مولاه ويغيب بالكلية عما سواه (وإن شئت) قلت هذا النور هو نور الشريعة والطريقة والحقيقة فنور الشريعة يكشف ظلمة البطالة والتقصير ويظهر نور المجاهدة والتشمير فتحكم البصيرة بقبح البطالة وحسن المجاهدة فيقبل القلب على مجاهدة الجوارح فى طاعة مولاه ويدبر عن متابعة حظوظه وهواه ونور الطريقة يكشف ظلمة المساوى والعيوب ويظهر بهجة الصفاء وما يثمره من علم الغيوب فتحكم البصيرة بقبح العيوب وحسن الصفا وعلم الغيوب فيقبل القلب على ما يوجب التصفية ويدبر عما يمنعه

(و) قوله فكل صوفى إليهم ينسب يعنى ان كل من اتصف بأوصافهم من الخروج عما كسب لله وأخذه بالله وأعطاه لله فهو منسوب إليهم فيقال له صوفى اما نسبة إلى الصفة على غير قياس واما لأنه صفت أحواله كما تقدم فى الاشتقاق (و) قال الشيخ زروق رضى الله عنه كل من اتصف بأوصافهم فهو منسوب إليهم سواء كان غنيا أو فقيرا لأن الله عز وجل لم يمدحهم بالعدم وإنما مدحهم بكونهم يدعونه بالغدوة والعشى يريدون وجهه فمن اتصف بهذا كان على طريقتهم غنيا كان أو فقيرا ودليل ذلك أنه كان منهم بعد ذلك الأمير والفقير والمتسبب والمتجرد ولم ينقل ذلك وصفهم عما كانوا موصوفين به ولا نقصهم عما هم فيه من العمل بالحق والحقيقة بل شكروا على الدنيا حين وجدت كما صبروا عنها حين فقدت فكانوا لمولاهم فى الحالتين ومن كان بهذه الصفة فهو تابع لهم فاعرف ذلك وإذا كان أمر التصوف فى حال أهل الصفة فهو أمر ثابت عن الشارع بتقريره ولم يبق البحث إلا فى التسمية وهو أمر اصطلاحى لامدخل للإنكار فيه إذ هى من عوارض الألفاظ والله تعالى أعلم اهـ

(و) قوله انه هو يشير إلى أن القياس أن يقال فيه الصفى بالشد لكن كثيرا ما يأتى النسب على غير قياس وهذا منه ثم

من التخلية والتحلية ونور الحقيقة يكشف ظلمة الحجاب ويظهر له محاسن الأحباب (أو تقول) نور الحقيقة يكشف له ظلمة الأكوان ويظهر نور الشهود والعيان فيقبل القلب على مُشاهدة الأحباب داخل الحجاب ويدبر عما يقطعه عن الأدب مع الأحباب جعلنا الله معهم على الدوام فى هذه الدار وفى دار السلام آمين ولما كان أصل كل نور وسر وخير هو طاعة الله وأصل كل ظلمة وحجاب وبعد هو معصية الله ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور المعصية نبهك الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التى هى سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قلت قد تقدم فى الحديث من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن والناس فى الفرح بالطاعة على ثلاثة أقسام قسم فرحوا بها لما يرجون عليها من النعيم ويدفعون بها من عذابه الأليم فهم يرون صدورها من أنفسهم لأنفسهم لم يتبرأوا فيها من حولهم وقوتهم وهم من أهل قوله تعالى إياك نعبد (وقسم) فرحوا بها من حيث انها عنوان الرضى والقبول وسبب فى القرب والوصول فهى هدايا من الملك الكريم ومطايا تحملهم إلى حضرة النعيم لا يرون لأنفسهم تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حول يرون أنهم محمولون بالقدرة الأزلية مصرفون عن المشيئة الأصلية وهم من أهل قوله تعالى إياك نستعين فأهل القسم الأول عبادتهم لله وأهل القسم الثانى عبادتهم بالله وبقدرة الله وبينهما فرق كبير (وقسم) ثالث فرحهم بالله دون شىء سواه فانون عن أنفسهم باقون بربهم فان ظهرت منهم طاعة فالمنة لله وان ظهرت منهم معصية اعتذروا لله أدباً مع الله لاينقص فرحهم ان ظهرت منهم زلة ولا يزيد ان ظهرت منهم طاعة أو يقظة لأنهم بالله ولله من أهل لاحول ولا قوة إلا بالله وهم العارفون بالله فان ظهرت منك أيها المريد طاعة أو إحسان فلا تفرح بها من حيث أنها برزت منك فتكون مشركا بربك فان الله تعالى غنى عنك وعن طاعتك وغنى عن أن يحتاج إلى من يطيعه سواه قال الله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله غنى عن العالمين وقال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد مازاد ذلك فى ملكى شيئاً الحديث وافرح بها من حيث أنها هدية من الله اليك تدل على أنك من مظاهر كرمه وفضله وإحسانه فالفرح إنما هو بفضل الله وبرحمته قال تعالى — قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ففضل الله هو هدايته وتوفيقه ورحمتـــه هو اجتباؤه وتقريبه وقيل فضل الله الإسلام

بين أن طريق التصوف ليس محدثا بل هو مقرر من الشارع فقال :

إذن فشأن القوم ليس محدثا   بل كان أحوى فوجدناه غثا

قلت الأحوى النبات الضارب للسواد من شدة الخضرة قاله فى القاموس والغثاء هو النبات اليابس الهشيم (يقول) رضى الله عنه إذا تقرر ماتقدم من حال أهل الصفة وما كانوا عليه من التجريد وقد أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ماكانوا عليه فليس شأن الصوفية محدثاً بله هو أمر شرعى إذ لايقرر عليه السلام إلاماهو مباح أو مطلوب وكيف يكون محدثاً ومدار الشريعة عليه إذ هو لبها وصفاؤها إذ مقصود التصوف تصفية البواطن حتى يكون العبد على حالة يرضاها الله ورسوله ظاهراً وباطناً وإذا كان أمره هكذا فكل علم يتوقف عليه اما من باب الشرط أو الكمال إذ مداره على صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى فكل علم لايصحبه صدق التوجه إلى الله فليس بشىء إذ الإخلاص شرط فى الجميع وأيضاً مقام التصوف هو مقام الاحسان الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه

ورحمته القرآن وقيل فضل الله هداية الدين ورحمته جنة النعيم وقيل فضل الله توحيد الدليل والبرهان ورحمته توحيد الشهود والعيان وقيل غير ذلك والله أعلم : ولما كان الفرح بالطاعة قد يتوهم أنه فرع رؤيتها والنظر إليها رفع ذلك بقوله) قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) قلت قطع هنا بمعنى غيب ولو عبر به لكان أظهر وأسهل لما فى التعبير بالقطع من الشؤمة وفى عبارته شيء من النقص فلو قال غيب السائرين له عن رؤية أعمالهم وأحوالهم الواصلين إليه عن رؤية وجودهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا فيها الصدق مع الله وأما الواصلون فلأنهم لم يشهدوا مع الله سواه يعنى أن الحق تعالى غيب السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة وشهود أحوالهم الباطنية أما السائرون فلأنهم تهمون أنفسهم على الدوام فمهما صدر منهم إحسان ولاح لهم يقظة أو وجدان رأوها فى غاية الخلل والنقصان فاستحيوا من الله أن يعتمدوا عليها أو يعتدوا بها فغابوا عن أعمالهم وأحوالهم واعتمدوا على فضل ربهم فالصدق هو لب الإخلاص وسره أى لم يتحققوا بسر الإخلاص فيها فلم يروها ولم يركنوا إليها سئل بعض العارفين ماعلامة قبول العمل قال نسيانك إياه وإنقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطلب والعمل الصالح يرفعه وقال زين العابدين رضى الله عنه كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لم يقبل لأن المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول :

(وأما) الواصلون فلأنهم فانون عن أنفسهم غائبون فى شهود معبودهم فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومن الله وإلى الله إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه فان ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم إحسان شهدوا فى ذلك الواحد المنان

(حكى) عن الواسطى رحمه الله أنه لما دخل نيسابور سال أصحاب أبى عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها اهـ قال القصيرى أراد صيانتهم عن الاعجاب ودلالتهم على الآداب اهـ فضمير قطع يعود إلى الحق سبحانه وتعالى والسائرين والواصلين مفعول به :

(واعلم) أن السائرين فى كلام الشيخ هم القسم الثانى الذين فرحهم بالطاعة من حيث أنها عنوان القبول ولا يلزم من الفرح بها رؤيتها إذ قد يفرح بها من حيث أنها منة من الله ويقطع رؤيته عنها من حيث أعتماده على الله والواصلون هنا هم القسم الثالث الذين هم فرحهم بالله دون شيء سواه والله تعالى أعلم (هذا) آخر الباب السادس

فان لم تكن تراه فانه يراك وذلك لايصح بدون ماتقع به العبودية والتعبد من عقائد الإيمان وأعمال الاسلام فهماظاهره وهو باطنهما فلا قيام لهما إلا به ولا صحة له بدونهما فهو كالروح وهما كالجسد فالروح لاتقوم بغير جسد والجسد لايقوم بغير روح ولذلك قال مالك رضى الله عنه (من تفقه) ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه وتصوف فقد تحقق فالفقه من غير تصوف جسد بلا روح والميت لاعبرة به والتصوف من غير فقه مايلزم الانسان فى نفسه لا يصح إذ لايدخل للحقيقة إلا من باب الشريعة وإلا فهى زندقة فالمتكلم فى أحكام الاسلام يسمى فقيهاً والمتكلم فى أحكام الإيمان يسمى أصولياً والمتكلم فى أحكام الاحسان يسمى صوفياً ويسمى علمه تصوفاً فغاية التصوف ومداره تفسير مقام الاحسان لأنه دال بأوله على خشية الله وبأوسطه على معاملته وبآخره على معرفته (أو تقول) مدار على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة وهو مقام الاحسان (و) أما إنكاره بعض الناس هذا اللفظ بأنه لم يسمع فى صدر الصحابة والتابعين فهو مردود إذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم ينكر كالنحو واللغة والمنطق

وبه انتهى (ربع الكتاب) وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها واستمداد أنوارها واتصال وارداتها حتى تغيب عن شهود أعمالها وأحوالها وتفنى عن دائرة حسها باتساع فضاء شهودها وفى ذلك شرفها وعزها وفى ضد ذلك وهو رؤية المخلوق والركون إليه ذلها وهوانها وبذلك افتتح الباب السابع فقال (وقال رضى الله عنه ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع) قلت البسوق هو الطول قال تعالى «والنخل باسقات» أى طويلات والبذر الذريعة والطمع تعلق القلب بما فى أيدى الخلق وتشوف القلب إلى غير الرب وهو أصل شجرة الذل فما بسقت أغصان شجرة الذل إلا على ذريعة الطمع ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق وإنما كان الطمع هو أصل الذل لأن صاحب الطمع ترك رباً عزيزاً وتعلق بعبد حقير فاحتقر مثله ترك رباً كريماً وتعلق بعبد فقير فافتقر مثله ترك رفع همته إلى الغنى الكريم وأسقط همته إلى الدنى اللئيم إن الله يرزق العبد على قدر همته وأيضاً كان عبد الله حراً مما سواه صار عبداً للمخلوق وعبداً لنفسه وهواه لأنك مهما أحببت شيئاً وطمعت فيه إلا كنت عبداً له ومهما أيست من شىء ورفعت همتك عنه إلا كنت حراً منه وفى ذلك يقول الشاعر

أبت المطامع أن تهشمنى ... إنى لمعولها صفا صلد
العبد حر ما عصى طمعا ... والحر مهما طاعه عبد

قال فى التنوير وكن أيها العبد إبراهيمياً فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وكل ماسوى الله آفل إما وجوداً وإما امكانا وقد قال سبحانه ملة أبيكم إبراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ومن ملة إبراهيم رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى قال فاسئله قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فانظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه همته عن الخلق ووجهها إلى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى الحق سبحانه أقرب إليه من جبريل ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وأفضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة إبراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالود إلى الله لقوله تعالى «فإنهم عدو لى الا رب العالمين» والغنى ان أردت الدلالة عليه فهو فى اليأس وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أيست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى

وأيضاً قد ذكر التجيبى أنه سمع فى صدر السلف فقد قال الحسن البصرى رضى الله عنه لقيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا ولم يقبله والحسن من كبار التابعين أدرك كثيرا من الصحابة فهو حجة على استعمال هذا الاسم فى زمانه والله تعالى أعلم (و) قوله بل كان أحوى فوجدناه غثا يعنى أن التصوف كان فى الصدر الأول غضاً طريا جديداً لقربه من نور النبى صلى الله عليه وسلم فكان أقل شىء منه ينهض صاحبه. ثم طال أمره وقل وجوده فوجدناه غثاء يابسا متهشما لكنه يصلح للرعى كالأول مع أفضلية الأول يعنى أن حقائقه لم تتغير وإن تغيرت أعيانه فالعمل به لم ينقطع لكنه صار غريبا وأهله غرباء وقد قال عليه السلام طوبى للغرباء وإذا تقرر أن حقائقه لم تتغير وجب العمل به كما أبان ذلك بقوله:

فاسلك طريق القوم تلق يمنه ... إذ الكتاب قيده والسنة

قلت اليمن هو البركة والخير (يشير) الى أن طريق القوم ميمونة مباركة فكل من سلكها بالصدق والمحبة والجد والاجتهاد وجد بركتها ويمنها وبركتها هى ثمرتها وثمرتها ما ينتج منها من مكارم الأخلاق ومعرفة الخلاق وقيل ثمرتها سخاوة النفوس

لما وجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى وهذا هو الكيمياء والإكسير الذى من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لاذل معه وإنفاق لانفاذ له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه صحبنى إنسان كان ثقيلا على فباسطته فانبسط وقلت يا ولدى ما حاجتك ولم صحبتنى قال يا سيدى قيل لى انك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن أخالك أى أظنك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لايستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم ثم تعلقت بالأحبـــاء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعونى بشىء لم يردنى الله به فقطعت يأسى منهم وتعلقت بالله فقيل لى أنك لاتصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا أن نعطيك غير ما قسمنا لك فى الأزل .

(وقال) مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء قال أخرج الخلق من قلبك وأقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ماقسم لك وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على ورده إنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرزه من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكوا الأحوال قال تعالى إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا فحسن الأعمال إنما هو الفهم عن الله والفهم هو ماذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله وتفقدوجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ماسواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ماطهره إلا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم على رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى وجد الحسن البصرى فقال يافتى إنى سائلك عن أمر فإن أجبت عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتاً وهدياً فقال الحسن سل عما شئت فقال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس .

(قال) وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء أمرى بالاسكندرية فجئت إلى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم فقلت فى نفسى لعله لا يأخذه منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لايشبع أبداً ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فى شأن الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ماقال

وسلامة الصدور وحسن الخلق (و) قوله إذ الكتاب قيده والسنة أشار به إلى قول الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء ويأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد من اتبعه (و) قال سهل بن عبد الله بنيت أصولنا على ستة أشياء كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق وقال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة اه وقال أبو القاسم النصراباذى رضى الله عنه أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات قلت (حرر) أبو اسحاق الشاطبى هذه المسئلة حسبما نقله فى العدة فرأينا نقله بطوله لما فيه من الفوائد (فقال) رضى الله عنه كل ما عمل به المتصوفة المعتبرون فى هذا الشأن يعنى كالجنيد وأمثاله لايخلو اما أن يكون مما ثبت له أصل فى الشريعة فهل خلفاؤه كما أن من الصحابة والتابعين خلفاء بذلك وان لم يكن له أصل فى الشريعة فلا عمل عليه لأن السنة حجة على

بعض المشايخ أيها الرجل ماقدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل اه وقال أبو الحسن الوراق رحمه من أشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقدقتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شيء ذل له وبذله هلك وقال أبو بكر الوراق لو قيل للطمع (من أبوك) لقال الشك فى المقدور فلو قيل له ماحرفتك لقال اكتساب الذل فلو قيل له ماغايتك لقال الحرمان اه وفى معنى هذا أنشدوا :

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بعز فان العز فى الياس

واستغن عن كل ذى قريب وذى رحم ... إن الغنى من استغنى عن الناس

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوهم والجزع ذكره بأثره فقال (ما قادك شيء مثل الوهم) قلت يقال قاد الشيء يقود جره اليه وقدت البهيمة جررتها اليك والوهم أول الخاطر وهو أضعف من الشك والمراد هنا ما خالف اليقين فيصدق بالظن والشك يقول رضى الله عنه ما جرك شيء وقادك إلى الطمع فى الخلق والتملق لهم والتذلل لما فى أيديهم شيء مثل الوهم يعنى أنك لما توهمت أن بيدهم نفعاً أو ضراً أو عطاء أو منعاً طمعت فيهم وتذللت لهم واعتمدت عليهم وخفت منهم ولو حصل لك اليقين أن أمرهم بيد الله وأنفسهم فى قبضة الله عاجزين عن نفع أنفسهم فكيف يقدرون على نفع غيرهم لقطعت يأسك منهم ولرفعت همتك عنهم ولتعلقت همتك برب الأرباب ولنبذت الأصحاب والأحباب .

(أو تقول) ماقادك شيء عن حضرة الشهود والعيان إلا توهمك وجود الأكوان ولو انهتك عنك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولو أشرق نور الإيقان لغطى وجود الأكوان (قال) فى التنوير وإنما منع العباد من السبق إلى الله جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله جذبها ذلك التعلق إلى مابه تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته (قال) بعض العارفين لاتظن أن تدخل الحضرة الإلهيـــة وشيء من ورائك يجذبك وافهم هنا قوله سبحانه يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذى لاتعلق له بشيء دون الله وقوله تعالى ولقد جئتمونا فراداً كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضاً أنه لايصح مجيئك إلى الله بالوصول اليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه وقوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى يفهم أنه لايأويك اليه إلا إذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر أى يحب القلب الذى لايشفع بثنوية الآثار ثم قال وقال بعضهم لو كلفت أن أرى

جميع الأئمة وليس عمل أحد حجة على السنة لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم وسائر الأئمة لم تثبت لهم عصمة أصلا إلا مع اجتماعهم خاصة وإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلا شرعياً فالصوفية كغيرهم ممن لم يثبت لهم العصمة ويجوز عليهم الخطأ والنسيان والمعصية كبيرها وصغيرها والبدعة محرمها ومكروهها وكذلك قال العلماء كل كلام منه مقبول ومردود إلا ما كان من النبى عليه الصلاة والسلام (قال) وقد قرر القشيرى رحمه الله ذلك أحسن تقرير قال هل يكون الولى معصوماً قال أما وجوباً كما يكون فى الأنبياء فلا وأما أن يكون محفوظاً حتى لايصر على الذنوب وإن حصلت منه هفوات أو زلات أو آفات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم قال وقد قيل للجنيد العارف يزنى فأطرق رأسه ملياً ثم رفع رأسه وقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً قال فهذا كلام المصنف فكما يجوز على غيرهم من المعاصى والابتداع وغيره كذلك يجوز عليهم البدع فالواجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ ونقف عن الاقتداء بمن يجوز عليه إذا ظهر فى الاقتداء به إشكال بل يعرض ما جاء عن الأئمة على الكتاب والسنة فما قبلاه قبلناه ومالم يقبلاه تركناه وماعلينا إذا قام لنا الدليل على أقوال اتباع الصوفية

غيره لم أستطع فانه لاغير معهحتى أشهده معه اه فتحصل أله يلوهم حجب عن اللهالعوام والخواص وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء أما العوام فقادهم إلى التعلق بالخلق ومنعهم عن السير إلى الملك الحق فأشتغلوا بمراقبة الأحباب وعداوة منعاداهم من الأصحاب ففاتهم محبة الحبيب ومراقبة الرقيبوأما الخواص فقادهم إلى ثبوت الآثار والوقوف مع الأنوار فقنعوا بذلك ولم يتشوفوا إلى ما وراء ذلك فالقناعة من الله حرمان وليس الخير كالعيان (وسمعت) شيخنا رضى الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم والوهم أمر عدمى لا حقيقة له اه وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء قطعوا حجاب الوهم وحصل لهم من الله العلم والفهم فلم يتعلقوا بشيء ولم يحجبهم عن الله شيء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه

(ولما) كان الوهم ينشأ عنه الطمع والطمع ينشأ عنه الذل والعبودية واليقين ينشأ عنه الورع والورع ينشأ عنه العز والحرية نبه عليه بقوله (أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت فيه طامع) قلت انما كان الانسان حرا مما أيس منه لأنه لما أيس من ذلك الشيء رفع همته عنه وعلقها بالملك الحق فلما علق همته بالملك الحق سخر الحقله تعالىله سائر الخلق فكانت الأشياء كلها عبيداً له ومسخرة لأمره أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانتالأكوان معك فمن كان عبداً لله كان حراً مما سواه وإنما كان الإنسان عبداً لما طمع فيه لأن الطمع فى الشيء يقتضى المحبةلهوالخضوع والانقياد اليه فيكون عند أمره ونهيه لأنك حبك الشيء يعمى ويصم وهذه حقيقة العبودية وفى هذا المعنى قيل العبد حر ما قنع ، والحر عبد ماطمع ، وما أقبح الانسان الذى يريد سيده منه أن يكون ملكا وهو يريد أن يكون مملوكا يريد سيده أن يجعله حراً وهو يريد أن يكون عبدا خلق له سيده الكون بأسره خادما له عند نهيه وأمره فجعل هو يخدم الكون بنفسه ويتعبد لأقل شيء وأخسه (يقول) المصنف فى التنوير فى مناجاة الحق تعالى على ألسنة الهواتف (انا) أجللنا قدرك أيها العبد أن تشغلك بأمر نفسك فلا تضعن قدرك يامن رفعناه ولا تذلن بحوالتك على غيرى يامن أعززناه وبحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتى خلقتك واليها طلبتك وبجواذب عنايتى لها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وإن اتبعت هواها طردتك وان أخرجت عنها قربتك وان تو ددت لى باعراضك عما سواى أحببتك اه فتحصل أن محبة الأشياءوالطمع فيها هو سبب الذلوالهوان والتعبد لسائر الأكوان وان الاياس من الأشياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز والحرية والتيه على الاقران ولله در القائل حيث قال

وأعمالهم إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة وبذلك وصى شيوخهم وإن ماجاء به صاحب الوجد والذوق من العلوم والأحوال والفهوم يعرض على الكتاب والسنة فان قبلاه وإلا لم يصح ثم قال إذانظرت فى رسومهم التى حدوهاوأعمالهم التى امتازوا بها عن غيرهم بحسب تحسين الظن والتماس أحسن المخارج ولم تعرف له مخرجا فالواجب التوقف عن الاقتداء والعمل وإن كانوا من جنس من يقتدى بهم لاردا له ولا اعتراضا عليه بل لأنا لم نفهم وجه رجوعه إلى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره

ثم قال بعد كلام فوجب بحسب الجريان على رأيهم فى السلوك أن لانعمل بما رسموه ربما فيه معارضة لا دلة الشرع ونكون فى ذلك متبعين لآثارهم ومهتدين بأنوارهم خلافا لمن يعرض عن الأدلة ويصمم على تقليدهم فيمالا يصح تقليدهم فيه على مذهبهم فالأدلة الشرعية والانظار الفقهية ورسوم الصوفية تذمه وترده وتحمد من تحرى واحتاط وتوقف عن الاشتباه واستبرأ لدينهوعرضه انتهى كلامه (هذا) آخر فصل أصله عقلاً ونقلا وموضوع هذاالعلم الذات العلية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتهاذاتاًوصفاتوأسماءتعلقاوتخلقا وتحققاً (و) واضعه الرسول صلى الله عليه وسلم وحياو إلهاما (و) حده صدق

رأيت القناعة رأس الغنى ‍ ‍ فصرت بأذيالها ممتسك
فألبسنى عزها حـــلة ‍ ‍ يمر الزمان ولا تنهتك
فصرت غنيا بلا درهم ‍ ‍ أتيه على الناس تيه الملك

قلت وهذا هو الغنى الأكبر والاكسير عند الاكياس ويسمى فى اصطلاح الصوفية الورع أعنى الورع الخاص وهو رفع الهمة عن السوى قال فى لطائف المنن واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الخوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون إلى أنوار التجليات (ومن) ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لى ياعثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فهانحن لك وقسطك من الدارين يأتيك

قال الشيخ عبد الرحمن المغربى وكان مقيم بشرقى الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الاسكندرية فاذا النداء على أنك العام القابل عندنا فقلت فى نفسى إذا كنت العام القابل هاهنا فلا أعود إلى الاسكندرية فخطر على الذهاب إلى اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوما على ساحلها أمشى وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت فى نفسى لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقال من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال أبو الحسن الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله القول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لايدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يفترون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى (وأما أدنى الأدنى) فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه

التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى (و) استمداده من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين واسمه التصوف وتقدم اشتقاقه واستعماله وثمرته تصفية البواطن بالتخلية والتحلية تهيأ لواردات الأنوار الإلهية والفتوحات الربانية وقد وقع فى بعض نسخ الناظم هنا زيادة أبيات تضمنت هذه المعانى لكن لم توجد فى جل النسخ وليس عليها رونق ولاطلاوة مثل ما للناظم ولا أظنها إلا زيادة من بعض الكتاب والله تعالى أعلم وأما فضيلته فأشار اليها فى هذا الفصل بقوله

(الفصل الثانى فى فضله)

اعلم أن شرف الشيء وفضيلته اما أن تثبت أو بالعقل أو بالنقل أو بظهور ثمرته فى الخارج وقد اجتمعت هذه الأمور فى علم التصوف على الكمال (وأما) ثبوت شرفه بالعقل فلا شك أن الشيء يشرف بشرف موضوعه وواضعه وقد تقدم أن موضوع هذا العلم الذات العلية وهى أشرف وأفضل على الاطلاق وواضعه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أفضل الخلق بالإجماع وأيضا العقل السليم يستحسن الكمالات ولا شك فى التصوف ما وضع الا لتحقق الكمالات علما وعملا وحالا

وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعينون بالله منه ومن لم يزور بعلمه وعمله افتقارا لربه واحتقارا لنفسه وتواضعاً لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجودهم فاستعذ بالله انه هو السميع البصير اه فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع الذى ذكره هذا الشيخ رضى الله عنه هل كان فهمك يصل إلى هذا النوع من الورع ألا ترى قوله قد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لاورع المتنطعين الذى ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم اه (قلت) هذا الورع الذى ذكره الشيخ هو ورع الخواص أو خواص الخواص وهو الذى يقابل الطمع كما تقدم فى قول الحسن البصرى صلاح الدين الورع وفساد الدين الطمع لا ورع العوام الذى هو ترك المتشابه والحرام فانه لايقابل الطمع كل المقابلة وحاصله صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به حتى لايكون له ركون إلى شىء من السوى فهذا هو الورع الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد (قال) يحى بن معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع فى الظاهر وهو ألا تتحرك إلا لله وورع فى الباطن هو أن لايدخل قلبك إلا الله ذكر أن بعضهم كان حريصا على أن يرى أحدا ممن هذا صفته فجعل يجتهد فى طلبه ويحتال على التوصل اليه بأن يأخذ الشى بعد الشىء من ماله إلى أن ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لأحدهم خذ لا لك فقال له آخذه لا منك فان كان للعبد استشراف إلى الخلق أو سبقية نظر اليهم قبل مجىء الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب فى حق الأدب ألا ينيل نفسه شيئاً مما يأتيه على هذا الحال عقوبة لنفسه فى نظره إلى أبناء جنسه كقصة أيوب الحمال مع أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وهى معروفة وكما روى عن الشيخ أبى مدين رضى الله عنه أنه أتاه حمال بقمح فنازعه نفسه وقالت ياترى من أين هذا فقال أنا أعرف من أين هو ياعدوة الله وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل ان أحل الحلال مالم يخطر على بال ولا سألت فيه أحد من النساء والرجال (قال)

فهو موضوع لتكميل العقائد وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق (وأما) ثبوت شرفه بالنقل فلا شك أن الكتاب والسنة واجماع الأمة وردت بمدح جزئياته ومسائله كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والطمأنينة والزهد والورع والتوكل والرضى والتسليم والمحبة والمراقبة والمشاهدة وغير ذلك من مسائله (وقال) الجنيد رضى الله عنه لو تعلم ان تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى تتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه ما تبلغ اليه المطى وفى رواية ولو حبوا (و) قال الشيخ الصقلى رضى الله عنه فى كتابه المسمى بأنوار القلوب فى العلم الموهوب كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه النجم الذى لايدرك والبحر الذى لا يترق اه وما من علم إلا وقد يستغنى عنه فى وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد فى وقت من الأوقات (وأما) شرفه باعتبار ظهور ثمراته فهو الذى تكلم عليه الناظم فى هذا الفصل وحصره فى ستة أمور

(الأول) ما ظهر على أهله من شدة الاقتداء وقوة الاتباع

(الثانى) ما ظهر عليهم من وفاق مذهبهم وحسم الخلاف والنزاع بينهم

(الثالث) ما ظهر عليهم من الكرامات الحسيه والمعنوية

الشيخ عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه الورع ألا تتحرك ولا تسكن إلا وترى الله فى الحركات والسكون فإذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال مارأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه فإذا رأيت الله ذهبت

(وقال) أيضاً أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ماأخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذامقام التوكل ولهذاقال بعضهم الحلال هو الذى لاينسى الله فيه اه على نقل ابن عباد رضى الله عنه وإذا أراد الله تعالى أن يعز عبده ويرفعه إلى هذا المقام قطع عنه زمام الوهم والجزع وحرره من رق الطمع فقاده إليه بملاطفة الإحسان أو بسلاسل الامتحان كما أشار إلى ذلك بقوله (من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان) قلت قد قسم الله تعالى عباده ثلاثة أقسام أهل الشمال وأهل اليمين والسابقون أما أهل الشمال فلا كلام عليهم إذ لاأقبال لهم على الله أصلا وأما أهل اليمن فلهم أقبال بوجه ما لكن لاخصوصية لهم لأنهم قنعوا بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة ووقفوا مع الدليل والبرهان ولم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان ولا كلام معهم أيضاً وأما السابقون فقد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم فى ذلك على قسمين قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقياماً بشكر انعامه وامتنانه وهم أهل مقام الشكر (وقسم) أقبل على الله بسلاسل الامتحان وضروب البلايا والمحن وهم اهل مقام الصبر أهل المقام الاول فأقبلوا على الله طوعا وأهل المقام الثانى أقبلوا على الله كرها قال تعالى ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها قال أبو مدين رضى الله عنه سنة الله استدعاء العباد لطاعته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لأن مراده عز وجل رجوع العباد اليه طوعا وكرها اه فقوم بسط الله عليهم النعم وصرف عنهم البلايا والنقم ورزقهم الصحة وأمدهم بالأموال والعافية فأدوا حقها وقاموا بشكرها وتشوقوا إلى معرفة المنعم بها فكانت مطية لهم على السير اليه ومعونة لهم على القدوم عليه أخرجوها من قلوبهم وجعلوها فى أيديهم وقليل ماهم قال تعالى وقليل من عبادى الشكور وفى مثل هؤلاء ورد الحديث نعمت الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أوكما قال عليه السلام قال بعض أصحابنا جعل عليه السلام الدنيا مطية للمؤمن حاملة له ولم يجعل المؤمن مطية لها حتى يتكلف حملها فهذا يدل على أنها فى يده يستعين بها على السير إلى ربه لأنها فى قلبه حتى يرتكب المشقة فى طلبها والله تعالى أعلم (وقوم) أمدهم الله بالنعم وبسط لهم فى المال والعافية وصرف عنهم النقم فشغلهم ذلك عن النهوض اليه ومنعهم من المسير إلى

(الرابع) ماظهر عليهم من تطهير جوارحهم من الذنوب ونفوسهم من العيوب فى الغالب

(الخامس) ماظهر عليهم من تحقيق عقائد الإيمان وترقيهم فيها إلى مقام الإحسان مع صحة اليقين والثقة برب العالمين :

(السادس) ماكوشفوا به من العالم الروحانى وما ترقوا اليه من عالم الملكوت وحضرة الجبروت وهذا مضمن هذا الفصل فأشار إلى الأول بقوله :

حجة من يرجع الصوفية على سواهم حجة قوية

(قلت) وإنما كانت حجة من يرجع الصوفية على غيرهم حجة قوية لأنهم أحرزوا الكمالات عقدا وعملا وحالا أما اعتقادهم فترقوا فيه إلى الشهود والعيان وأما عملهم فهم يأخذون بالأحسن والاحوط فهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأما) حالهم فهى ربانية ذوقية فهم على بينة من ربهم ثم ذكر ترجيحهم وشرفهم باعتبار ماظهر عليهم من ثمرات علمهم وهى ستة كما تقدم فأشار إلى الأول وهى شدة الاقتداء والمتابعة فقال :

هم أتبع الناس لخير الناس من سائر الأنام والأناس

حضرته فسلب ذلك عنهم وضربهم بالبلايا والمحن فأقبلوا على الله بسلاسل الامتحان عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وقد مدح الله الغنى الشاكر والفقير الصابر بمدح واحد فقال تعالى فى حق سليمان عليه السلام ؛ ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد انه أواب وقال فى حق أيوب عليه السلام «إنا وجدناه صابرا ، نعم العبد إنه أواب وقال بعضهم لأن أعطى فاشكر أحب إلى من أن أبتلى فاصبر وكان الشيخ أبو العباس المرسى يرجح الغنى الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء ومذهب أبي عبد الله الترمذى الحكيم ويقول الشكر صفة أهل الجنة والفقر ليس كذلك قاله فى لطائف المنن والتحقيق أن الفقير الصابر هو الغنى الشاكر وبالعكس لأن الغنى إنما هو بالله فاذا استغنى القلب بالله فصاحبه هو الغنى الشاكر ولا عبرة بما فى اليد فقد تكون اليد معمورة والقلب فقير وقد يكون القلب غنيا بالله واليد فقيرة وقد تكون اليد معمورة والقلب مع الله غنياً به عما سواه قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين فى الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الزاهد إذا دخلت على بلدة كذا فاذهب إلى أخى فلان فاقرئه منى السلام واطلب منه الدعاء فانه ولى من أولياء الله تعالى قال فسافرت حتى قدمت تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته قيل لى هو عند السلطان فازداد تعجبى فبعد ساعة وإذا هو قد أتى فى أفخر مركب وملبس وكأنما هو ملك فى مركبه قال فازداد تعجبى أكثر من الأولين فهممت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت لا يمكننى مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لى . فلما رأيت دخلت ماهالنى من العبيد والخدم والشارة الحسنة فقلت له أخوك فلان يسلم عليك قال لى جئت من عنده قلت نعم قال إذا رجعت اليه فقل له الى كم اشتغالك بالدنيا والى كم اقبالك عليها والى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت والله هذا أعجب من الأولى

فلما رجعت الى الشيخ قال اجتمعت بأخى فلان قلت نعم قال فما الذى قال لك قلت لا شىء قال لابد أن تقول لى فأعدت عليه ما قال فبكى طويلا وقال صدق أخى فلان وهو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها فى يده وعلى ظاهره وأنا أخذها من يدى ولى اليها بقايا التطلع اه من لطائف المنن للمؤلف رحمه الله ورضى الله عنه فأحوال الأولياء لا تنضبط بفقر ولا غنى لان الولاية أمر قلبى لا يعلمها الا من خصهم بها وبالله التوفيق ومن أقبل على الله بملاطفة احسانه وجب عليه شكر ما أسدى اليه من لطائف كرمه وامتنانه والا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه والى ذلك أشار بقوله :

قلت الانام والاناس شىء واحد وهم الناس سموا الانام لغلبة النوم لهم وسموا الناس لأنس بعضهم ببعض (يقول) رضى الله عنه هم أى الصوفية اتبع الناس وأكثرهم اقتداء بسيد الناس صلى الله عليه وسلم فدل ذلك أنهم أحب الخلق الى الله قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وعلامة المحبة الاتباع (و) قال بعضهم التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع ثم ذكر وجه كونهم أشد الناس اتباعا فقال :

تبعه العالم فى الاقوال   والعابد الناسك فى الأفعال
وفيهما الصوفى فى الساق   لكنه قد زاد بالأخلاق

قلت الناس ثلاثة عالم وعابد وعارف صوفى وكلهم قد أخذوا حظا من الوراثة النبوية فالعالم ورث أقواله عليه السلام تعلما وتعليما بشرط إخلاصه والا خرج من الوراثة بالكلية اذ الاعمال بلا اخلاص أشباح بلا أرواح ومن ورث من أبيه

(من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) قلت اتفقت مقالات الحكماء على هذا المعنى وان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا أيضا من أعطى ولم يشكر سلب منها ولم يشعر فمن شكر النعمة فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أى أن الله لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الشكر وتغييرهم الشكر هو اشتغالهم بالمعاصى والكفر ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه الشكر أن لا يعصى الله بنعمه وقيل الشكر فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح فتنبسط بالأوامر وتنكف عن الزواجر وقال فى لطائف المنن الشكر على ثلاثة أقسام شكر اللسان وشكر الاركان وشكر الجنان فشكر اللسان التحدث بنعم الله قال تعالى «وأما بنعمة ربك فحدث» وشكر الاركان العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى «اعملوا آل داود شكراً» وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هى من الله تعالى قال الله تعالى «وما بكم من نعمة فمن الله» ومن القسم الأول قول النبى صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ومن الثانى انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا اهـ

(وسئل) أبو حازم رضى الله عنه ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيرا أعلنته وإذا رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا وعيته وإذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علماً قال فما شكر الفرج قال قال الله تعالى «والذين هم لفروجهم حافظون» إلى قوله غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيئاً أغبطته استعملتهما وإن رأيت شيئاً مقته كففتهما اهـ

(واعلم) أن الناس فى الشكر على ثلاث درجات عوام وخواص وخواص الخواص فشكر العوام على النعم فقط وشكر الخواص على النعم والنقم وشكر خواص الخواص الغيبة فى المنعم عن شهود النعم والنقم، والنعم التى يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام دنيوية كالصحة والعافية والمال الحلال ودينية كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة وأخروية كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل وأجل النعم الدينية التى يتأكد الشكر عليها نعمة الإسلام والإيمان والمعرفة وشكرها هو اعتقاد أنها منة من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة قال الله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ثم قال (فضلا من الله ونعمة) قال أبو طالب المكى رضى الله عنه بعد كلام فلو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما

جارية ميتة فليس بوارث والعابد ورث أفعاله عليه السلام من صيام وقيام ومجاهدة ظاهرة فقد قام عليه السلام حتى تورمت قدماه وكان يصوم كثيراً ويفطر كذلك والصوفى العارف ورث الجميع فأخذ فى بدايته ما يحتاج اليه من العلم وقد يتبحر فيه ثم ينتقل إلى العمل على أكمل حال ثم زاد عليهما بوراثة الاخلاق التى كان عليها باطنه صلى الله عليه وسلم من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحلم وكرم وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة وغير ذلك مما يطول ذكره ولذلك قال سهل رضى الله عنه الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله دون البشر واستوى عنده المال والمدر وقد خص الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصائص لم يشاركه أحد فيها فكان له القوة فى الوجهين فمن نظر فى عبادته وجده لا يطاق ومن نظر فى أخلاقه الباطنة وجده لا يدرك ومن نظر فى معرفته وحده لا يلحق ولا يقرب أحد حول حماه فكان عليه السلام على مقام لا يدرك ولا يلحق ولا يعرف (و) انظر قول الشيخ القطب ابن مشيش رضى الله عنه وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ولن ينال أحد من العلماء والعباد

يقلب نياتنا فى الأعمال أى شيء كنا نصنع وعلى أى شيء نعول وبأى شيء كنا نطمئن ونرجوا فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان توجب العقوبة وادعاء الإيمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لأنه بدل شكر نعمة الايمان كفراً اه فان غفل العبد عن شكر هذه النعم ثم دامت صورتها عنده فلا يغتر فقد يكون ذلك استدراجا كما أشار إلى ذلك بقوله (خف من وجود إحسانه اليك ودوام إساءتك معه) أن يكون ذلك استدراجا (سنستدرجهم من حيث لايعلمون) الاستدراج هو كون المحنة فى عين المنة وهو مأخوذ من درج الصبي أى أخذ فى المشى شيئاً بعد شيء ومنه الدرج الذى يرتقى عليه إلى العلو كذلك المستدرج هو الذى تؤخذ منه النعمة شيئاً بعد شيء وهو لايشعر قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون أى نأخذهم بالنعم حتى نجرهم إلى النقم وهم لايشعرون قاله الشيخ زروق رضى الله عنه خف أيها المريد من دوام إحسان الحق اليك بالصحة والفراغ وسعة الأرزاق ودوام الامداد الحسية أو المعنوية مع دوام إساءتك معه بالغفلة والتقصير وعدم شكرك للملك الكبير أن يكون ذلك استدراجا منه تعالى قال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء رضى الله عنه كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة ونسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ثم قال الحق تعالى وأملى لهم أى نمدهم بالعوافى والنعم حتى نأخذهم بغتة قال تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى فلما غفلوا عما ذكروا به من العقوبة والعذاب فتحنا عليهم أبواب النعم وبسطنا عليهم الأرزاق الحسية حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم وتمكنوا امنها أخذناهم بالهلاك بغتة أى فجأة فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير وهكذا عادة الله فى خلقه أن يرسل اليهم من يذكرهم بالله ويدلهم على الله فاذا أعرضوا عنه وردوا عليه قوله بسط عليهم النعم الحسية حتى إذا اطمأنوا وفرحوا بها دمرهم الله وأخذهم بغتة ليكون ذلك أشد فى العقوبة قال الشاعر :

وأعظم شيء حين يفجؤك البغت

وقال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين فالواجب على الإنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة وباطنة حسية أو معنوية أن يعرف حقها ويبادر إلى شكرها نطقاً واعتقاداً وعملا فالنطق الحمد والشكر باللسان والاعتقاد شهود المنعم فى النعمة وإسنادها اليه والغيبة عن الواسطة بالقلب مع شكرها باللسان

والصوفية من علمه عليه السلام أو عمله أو خلقه الارشفة أو رشة ولله در البوصيرى فى بردة المدح حيث يقول

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ثم ذكر الأمر الثانى وهو اتفاق مذهبهم واتحاد غاية طريقهم والأمر الثالث وهو ماظهر عليهم من الكرامات فقال

ثم بشيئين تقوم الحجة وانهم قطعاً على المحجه
مذاهب الناس على اختلاف ومذهب القوم على ائتلاف
وما أتوا فيه يخرق العاده إذا لم تكن لمن سواهم عاده

قلت الحجة هى الدليل والبرهان والمحجة هى الطريق المستقيم والائتلاف هو الاتفاق (يقول) رضى الله عنه ثم تقوم الحجة الدالة على أنهم على المحجة والطريق المستقيم أحدهما بشيئين ان مذاهب الناس على اختلاف كثير فقد كانت مذاهب الفقهاء

من لم يشكر الناس لم يشكر الله أشكركم للناس أشكركم لله فاذا قال له جزاك الله خيراً فقد أدى شكرها والشكر بالعمل صرفها فى طاعة الله كما تقدم فان لم يقم بهذا الوجب خيف عليه السلب والاستدراج وهو أقبح .

(والحاصل) أن الشكر هو الأدب مع المنعم ومن جاءت على يديه فان أساء الأدب أدب وقد يؤدب فى الباطن وهو لايشعر كما أشار إلى ذلك بقوله (من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لايشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد تقام مقام البعد وأنت لاتدرى ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد) قلت من الامور المؤكدة على المريد الصادق أن يراعى الادب مع الله فى كل شيء ويلتزم التعظيم لكل شيء ويحفظ الحرمة فى كل شيء فان أخل بشيء من هذه الامور وأساء الادب مع ربه فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار فان أخر التوبة إلى وقت آخر انقطعت عنه الامداد واستوجب الطرد والبعاد وقد لايشعر بذلك فى الحين فيحتج لنفسه ويقول لو كان هذا سوء أدب لانقطع عنى المدد وهذا منه جهل قبيح يفضى إلى العطب إن لم تدركه العناية من رب الارباب وإنما كان هذا جهلا من المريد لانتصاره لنفسه وقت سوء أدبه وعدم شعوره بنقصان قلبه إذ لو كان عالماً بمخادع النفس لاتهمها وما انتصر لها ولو كان عارفاً بربه لشعر بنقصان قلبه فقد جمع بين جهالة وجهل فالجهالة هى سوء الادب الذى صدر منه والجهل هو مخاصمته عن نفسه وإنكاره أن يكون ماصدر منه سوء أدب وما احتج به من كونه لم يحس بالعقوبة ولو كان ذلك سوء أدب لأحس بقطع الامداد ولأوجب الطرد والبعاد لاينهض فقد يقطع عنه المدد وهو لايشعر ومثال ذلك الاشجار التى على الماء فاذا قطع عنها الماء لايظهر أثر العطش عليها إلا بعد حين فاذا طال الامر يبست شيئاً فشيئاً كذلك قلب المريد قد لايحس بقطع المدد فى القرب حتى يغرق فى الوهم ويحترق بالحس فان كانت له سابقة خير تاب وأصلح ما أفسد فيرجع اليه المدد وإن لم تكن له سابقة رجع إلى وطنه وأقام فى بعده نسأل الله السلامة من سلب نعمته بعد عطائه ولو لم يكن من العقوبة إلا منع المزيد من السير أو الترقى لكان كافياً لان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ومن كان يومه شر آمن أمسه فهو فى الخسران وقوله فى الاحتجاج أيضا لو كان هذا سوء أدب لأوجب البعاد فقد يقام مقام البعد وهو يظن أنه فى محل القرب لان مراتب القرب والبعد لانهاية لها ومامن مقام فى القرب إلا ومابعده أعظم منه حتى يكون ذلك القرب بالنسبة إلى ما بعده بعداً ولو لم يكن ذلك البعد إلا أن يتركك مع ماتريد

فى الفروع اثنى عشر مذهبا ثم تقررت فى أربعة (و) كانت مذاهب القراء خمسة وعشرين رواية ثم تقررت فى عشرة وكانت مذاهب النحاة على مذهبين بصرى وكوفى بخلاف مذهب الصوفية فهى متفقة فى المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك فهى راجعة إلى صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى وعبارة كل واحد على قدر مما نال منه إذ كل عبارة فيه إنما هى مخبرة عن صدق توجه صاحبها وكل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف إذا كان توجهه يرضاه الحق ومن حيث يرضاه وإلا فهو زنديق واسم التصوف عليه لاحقيقة له فلذلك قيل من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقـــد تحقق وإنما تزندق الاول لرفضه الحكمة والاحكام وتفسق الثانى لخلوه من صدق التوجه فيما هو فيه وتحقق الثالث لقيامه بكل فى محله فرجع كلام الصوفية فى كل باب لاحوالهم وإلا فلا تنافى بين أقوالهم لمن تأملها وذلك خلاف مذهب غيرهم والوجه فيه أن الحق واحد وطريقة واحدة وان اختلفت مسالكها فالنهاية واحدة والذوق واحد وفى معنى ذلك قال قائلهم

لكان كافيا فى الطرد والبعد إذا ترك العبد مع هواه وشهواته من علامة الإهمال وإخراج العبد عن هواه وما تركن إليه نفسه من علامة الاعتناء والاقبال فإذا اعتنى الله تعالى بعبد وأراد أن يوصله إلى حضرته شوش عليه كل ماتركن إليه نفسه وأزعجه طوعا أو كرهاً حتى يوئسه من هذا العالم ولم يبق له ركون إلى شيء منه فحينئذ يصطفيه لحضرته ويجتبيه لمحبته فليس له حينئذ عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وأصل ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام لما علم الله تعالى محبته لعصاه وركونه اليها قال له الحق تعالى « وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » أى حوائج أخر قال له ألقها ياموسى فألقاها فإذا هى حية تسعى فلما فر عنها وقطع يأسه منها قال له خذها ولاتخف لاتضرك حيث رجعت اليها بالله ويقال للفقير وما تلك بيمينك أيها الفقير فيقول هى دنياى أعتمد عليها وأقضى بها مآربى فيقال له ألقها من يدك فاذا هى حية تسعى كانت تلدغه وهو لايشعر فاذا أيس منها وأستأنس بالله واطمأن به قيل له خذها ولاتخف لأنك تأخذها بالله لابنفسك والله تعالى أعلم ومواطن الآداب التى بها يخلى المريد فيعاقب عليها ثلاثة آداب مع الله ورسوله وآداب مع الشيخ وآداب مع الاخوان (فأما) الآداب مع الله باعتبار العوام فبامتثال أمره واجتناب نهيه ومع رسوله باتباع السنة ومجانبة أهل البدعة فاذا قصروا فى الأمر وخالفوا فى النهى عوقبوا عاجلا فى الحس أو آجلا فى المعنى الحس وباعتبار الخواص مع الله بالإكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته زاد الشيخ زروق وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى بالموجود وبدل الطاقه والمجهود اهو مع رسوله صلى الله عليه وسلم بايثار محبته والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه فاذا قصروا فى ذكره أو جالت قلوبهم فى غير حضرته أو مالت محبتهم إلى شيء سواه أو قصروا فى شيء مما تقدم أو حلوا عقدة عقدوها مع الله عوقبوا فى الحس بالضرب أو السجن أو الاذاية باللسان أو فى المعنى وهو أشد كقطع المدد وإيجاب الطرد والاقامة مقام البعد وباعتبار خواص الخواص وهم الواصلون يكون مع الله بالتواضع معه فى كل شيء والتعظيم لكل شيء ودوام معرفته فى تجليات الجلال والجمال أو مع اختلاف الآثار وتنقلات الاطوار ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحقق بحسبه وتعظيم أمته وشهود نوزه كما قال أبو العباس المرسى لى ثلاثون سنه ماغاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولو غاب عنى ماأعددت نفسى من المسلمين فإذا قصر العارف فيما تقدم فى حقه أوفى حق غيره من الآداب عوقب فى الحس أو فى المعنى والغالب تيقظه فى الحين فيستدرك مافات إن الذين اتقوا إذا مسهم

الطرق شتى وطريق الحق مفردة   والسالكون طريق الحق أفراد
لايعرفون ولاتسلك مقاصدهم   فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراد بهم   فجلهم عن طريق الحق حياد

(فان قلت) قد ورد مدح الاختلاف وذم الائتلاف فقد ورد فى بعض الآثار اختلاف أمتى رحمة وقال بعضهم مادامت الصوفية بخير ماتنافروا فاذا اتفقوا فلا خير فيهم (قلت) أما مدح الاختلاف فهو محمول على الاختلاف فى الفروع كاختلاف الأئمة فى المذاهب فإن فى ذلك توسعة على الامة إذ كل من تمسك بمذهب فهو ناج مالم يتبع الرخص وكذلك اختلاف الروايات فى القراءة فهى توسعة أيضاً على القارىء بخلاف الاختلاف فى الاصول فهو مذموم كاختلاف القدرية والجبرية والحشوية وغير ذلك من الاختلاف فى التوحيد ومذهب الصوفية هو الاتفاق فى الأصول ، والفروع (أما) الاصول فنهايتهم الشهود والعيان وهم متفقون فيه لأنه أمر ذوقى لايختلف (وأما) الفروع فهم يأخذون بالاحوط والاكابر منهم

طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فهذه جملة الآداب التى تكون مع الله من العوام والخواص وخواص الخواص (أو تقول) من الطالبين والسائرين والواصلين والله تعالى اعلم (وأما) الآداب التى تكون مع الشيخ فرجعها إلى ثمانية أمور أربعة ظاهرة وأربعة باطنة (فأما) الظاهرة فأولها امتثال أمره وان ظهر له خلافه واجتناب نهيه وإن كان فيه حتفه فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد (وثانيها) السكينة والوقار فى الجلوس بين يديه فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته عليه ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام أو يفهم عنه بقرائن الاحوال كحال المذاكرة بخفض صوت ورفق ولين ولا يأكل معه ولا بين يديه ولا ينام معه أو قريباً منه قال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يأكل معه ولا ينام معه ولا يضحك بين يديه ولا ينام فى فراشه ولا يجلس فى موضع جلوسه ولا يتكلم فى مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة والكلام فيه سوء الأدب أكثر من كل شىء وكل ما يشبه هذه الأوصاف يؤدى لعدم التعظيم والازدراء بجانب الشيخ وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد الإقبال قالوا اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً وقال الشاعر ، أدب العبد تذلل ؛ والعبد لا يدع الأدب ؛ فاذا تكامل ذله ؛ نال المودة واقترب ؛ (وثالثها) المبادرة إلى خدمته بقدر الأمكان بنفسه أو بماله أو بقوله ؛ فخدمة الرجال سبب الوصال ؛ لمولى الموالى ، وقال سيدى عبد الله الهبطى الزجلى رضى الله عنه فى منظومة له فى السلوك

إن الخديم ظنه جميل دل على فلاحه دليل
أهل نفسه لخدمة الرجال لكى ينال من حبيبه الوصال
ذل المحب فى طلب القرب عز عزيز عند أهل الحب
أبن بيوت القرب من أبوابها ففتحت له إذا بأسرها
طوبى له بشرى له أستفاد ونال خير قربه وساد

(ثم قال)

مقامك أعرف أيها الخديم فانه مفخم عظيم
أمسيت للمخدوم فى جواره مشاكا كذلك فى أسراره
لا تغتبط سوى مقامك الرفيع فالخير كله لديك مجتمع

يخرجون عن التقليد ويتمسكون بالكتاب والسنة فى نفسه وإن كان جلهم قلدوا فى الفروع فكان الجنيد على مذهب أبى ثور والشبلى مالكيا والجيلانى حنبلياً إلى غير ذلك(واما)قول من قال مادامت الصوفية بخير مااختلفوا فمراده اختلاف تنبيه وارشاد فكل واحد يرشد صاحبه وينبهه إذا رأى فيه نقصاً وعيبا فإذا اتفقوا وسكتوا على عيوبهم فلاخير فيهم وقد يحمل ذلك على حال مذاكرتهم فى العلوم فقد قالوا فهم ألسنتهم حادة وقلوبهم سالمة ولا شك أن حال المذاكرة لا ينبغى فيها التسليم فى كل شىء إذا لاتخرج العلوم إلا بالحك والبحث والتفتيش (قال) بعضهم نحن فى حال المذاكرة بحال من قال حك لى ندر بل لك لا بحال من قال سفج لى نسفج لك هكذا سمعتها من شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه وكان يقول لى لاتسلم لنا فى حال المذاكرة وكان أيضاً يقول المستحى والمتكبر والخواف لا يأخذ من طريقتنا شيئاً والله تعالى أعلم (وأما) الأمر الثانى الذى تقوم به الحجه فهى خرق العادة التى ظهرت على أيديهم وتسمى الكرامة وقدتقدم تنويعها إلى حسية ومعنوية أو أن المعتبر هى الكرامة المعنوية وهى الاستقامة وأما الكرامة الحسية فإن صحبتها الاستقامة فهى كرامة

(ورابعها) دوام حضور مجلسه فإن لم يكن فتكرير الوصول إليه إذ بقدر تكرير الوصول إليه يقرب الوصول فمدد الشيخ جارٌ كالساقية أو القادوس فإذا غفل عن الساقية أو القادوس تحرم وانقطع الماء إلى غيره وأيضاً تكرير الوصول يدل على شدة المحبة تكون الشربة وفى هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

لا محبة الا بأصول ولا وصول الاغالى
ولا شراب إلا مختوم ولا مقام الاعالى

وقال شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه فى كتابه اعلم أنه لا يقرب طالب الوصول إلى الله تعالى شيء مثل جلوسه مع عارف بالله ان وجده ثم قال الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العامى الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل كما إن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما أتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فما فوقها يرحم الله سيدى المجذوب حيث يقول : الجلسة مع الاخيار ، ترذل ولو تكون صافى اه المراد منه

(وأما الآداب الباطنية) فأولها اعتقاد كماله وانه أهل للشيخوخة والتربية لجمعه بين شريعة وحقيقة وبين جذب وسلوك وانه على قدم النبي ﷺ (وثانيها) تعظيمه وحفظ حرمته غائبا وحاضرا وتربية محبته فى قلبه وهو دليل صدقه وبقدر التصديق يكون التحقيق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقى مع الشيخ ألف سنة ويرحم الله سيدى محمد الشرقى حيث قال من لاصدق ماعند باش ينفق من لاحقق ماجاب ابما رأيابابا (وثالثها) انعزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلى رضى الله عنه ملاقاته بشيخه فهى سنة فى طريقه فكل من أتى شيخه فى هذه الطريقة الشاذلية فلابد أن يغتسل من علمه وعمله قبل أن يصل إلى شيخه لينال الشراب الصافى من بحر مدده الوافى (ورابعها) عند الانتقال عنه إلى غيره وهذا عندهم من أقبح كل قبيح وأشنع كل شنيع وهو سبب تسويس بذرة الارادة فتفسد شجرة الارادة لفساد أصلها وهذا كله مع شيوخ التربية كما تقدم وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن ان وجدهم ولا يحتاج إلى إذن والله تعالى أعلم

(وأما الآداب) مع الاخوان فأربعة أولها حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يعتاب أحدا ولا ينقص أحدا فلا يقول أصحاب سيدى فلان كمال وأصحاب سيدى فلان نقص أو فلان عارف أو فلان ليس

شاهدة على صدق صاحبها مع الله وإن لم تصحبها استقامة فهى استدراج ومكر (قال) بعضهم خرق العادة كرامة للمبتدع والمبتدع هو المغروق فى الدنيا وأشغالها إلى عنقه ولو كثرت صلاته وصيامه (و)قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على السنة والمتابعة وترك الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو مفتر كذاب أو ذو خطاء فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على الرضى ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى وكرامة الأولياء قد بلغت مبلغ التواتر فلا تحتاج إلى دليل والله تعالى أعلم ثم أشار إلى الأمر الرابع وهو تطهير جوارحهم من الذنوب وقلوبهم من العيوب فقال

قد رفضوا الآثام والعيوب وطهروا الأبدان والقلوب

قلت لاشك أن الصوفية رضى الله عنهم قد رفضوا الذنوب أى نبذوها وراء ظهورهم ورفضوا العيوب أى طهروا قلوبهم منها وسبب تطهيرهم من الذنوب والعيوب تطهيرهم من أصلها ورأسها أما أصلها فالخلطة مع الغافلين الجاهلين فمن خالط

بعارف أو فلان ضعيف وفلان قوى أو غير ذلك فهذه عين الغيبة وهى حرام بالإجماع لاسيما فى حق الأولياء فإن لحومهم مسموم قاتلة كلحوم العلماء والصالحين فليحذر المريد جهده من هذه الخصلة الذميمة وليفر من هذا طبعه فراره من الأسد فمن أولع بهذا فلا يفلح أبدا فالأولياء كالأنبياء فمن فرق بينهم حرم خيرهم وكفر نعمتهم وقد قال بعض الصوفية من كسره الفقراء لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ فقد يجبره الفقراء وهو صحيح مجرب لأن إذاية ولى واحد ليس كإذاية أولياء كثيرة ومن كسره الشيخ يشفع فيه الاخوان فيجبر قلب الشيخ بخلاف قلوب الفقراء إذا تغيرت قل ان تنفق على الجبر والله تعالى أعلم (وثانيها) نصيحتهم بتعليم جاهلهم وارشاد ضالهم وتقوية ضعيفهم ولو بالسفر إليه فإن فيهم أهل بدايات ونهايات والقوى والضعيف فكل واحد يذكره بما يليق بمقامه خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون كما فى الحديث (وثالثها) التواضع لهم والاستنصاف من نفسك معهم وخدمتهم بقدر الامكان فخديم القوم سيدهم فمن عرض له شغل لاينفك عنه فالواجب اعانته ليتفرغ منه إلى ذكر الله إن كان خفيفا قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فكل ما يشغل قلب الفقير فدفعه جهاد وبر (ورابعها) شهود الصفا فيهم واعتقاد كمالهم فلا ينتقص أحدا ولو رأى منه مايوجب النقص فى الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذر فليلتمس له سبعين عذرا فإن لم يزل عنه موجب نقصه فليشهده فى نفسه فالمؤمن مرآة أخيه ما كان فى الناظر يظهر فيه فأهل الصفا لايشهدون إلا الصفا وأهل التخليط لا يشهدون إلا التخليط أهل الكمال لايشهدون إلا الكمال وأهل النقص لا يشهدون إلا النقص وتقدم فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وبالله التوفيق فهذه من جملة الآداب التى يجب على الفقير مراعاتها والتحفظ عليها سواء كان طالبا أو سائرا أو واصلا وقد تقدمت فى أول الباب الأول ثمانية آداب بعضها فى حق العارف وبعضها فى حق السائر فليراجعها وليعمل بمقتضاها فإن الطريق كلها آداب حتى قال بعضهم اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال أبو حفص رضى الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت آداب ولكل حال آداب ولكل مقام آداب فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يظن القبول .

(وقال) بعضهم إلزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب فى الظاهر وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب فى الباطن وقال فى المباحث الأصلية

العوام وظن أنه ينجو من الآثام فقد رام المحال كمن خلط الحطب مع النار وظن أنه ينجو من الاحتراق وأما رأسهما فحب الدنيا الساكن فى القلوب (فى الحديث) حب الدنيا رأس كل خطيئة ورآه البيهقى فى الشعب من مراسيل الحسن وقيل هو من كلام مالك بن دينار وقيل من كلام سيدنا عيسى عليه السلام وقيل من كلام على كرم الله وجهه وعده بعضهم فى الموضوعات ورده ابن حجر فالله تعالى أعلم وعلى كل حال فهو كلام صحيح فى المعنى مجرب مذوق فمن طهر قلبه من حب الدنيا ورياستها ومالها واعتزل عن الناس فالغالب سلامة قلبه من العيوب وطهارة جوارحه من الذنوب وما تشعبت عيوب القلوب إلا منها إذ عليها يقع البخل والشح والجبن وغير ذلك من العيوب وكذلك الذنوب كالكذب والايمان الفاجرة وسوء الخلق ذلك ويرحم الله الامام الشافعى رضى الله عنه حيث قال :

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتها وسيق إلى عذبها وعذابها

والأدب الظاهر للعيان   دلالة الباطن فى الانسان
وهو أيضاً للفقير سند   وللغنى زينة وسؤدد
وقيل من يحرم الأدب   فهو بعيد ماتدانى واقترب
وقيل من تحبسه الانساب   فانما تطلقه الآداب
فالقوم بالآداب حقاً سادوا   منه استفاد القوم مااستفادوا

وقال أبو حفص السراج رحمه الله والناس فى الآداب على ثلاثة طبقات أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى البلاغة وأخبار الملوك وأشعار العرب ، وأما أهل الدين فأكثر آدابهم حفظ العلوم ورياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة إلى الخيرات ، وأما أهل الخصوصية من أهل الدين فآدابهم حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية ، فالمريدون يتفاضلون بالعلم ، والمتوسطون بالآداب ، والعارفون بالهمم اه

ثم ماذكره الشيخ من لزوم الجهل للمريد مقيد بما ذكره من احتجاجه لنفسه ومدافعته عنها لأنه فى هذه الحالة صاحب جدل لتركيبه المقدمة والنتيجة وعليه يفهم قولهم ما ألهم قوم الجدل إلا حرموا العمل وأما لو اعترف باساءته وأنصف من نفسه لم يكن ذلك فى حقه جهلا ولا جهالة وقد قالوا عدم الأدب أن كان يجر الأدب فهو أدب والله تعالى أعلم ومن جملة الآداب ألا يستحقر مقاماً أقام الحق تعالى فيه عبداً من عباده كائناً ما كان كما أشار اليه بقوله :

(إذا رأيت عبداً أقامه الله بوجود الأوراد ، وأدامه عليها مع طول الامداد ، فلا تستحقرن مامنحه مولاه ، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحبين ، فلولا وارد ما كان ورد) قلت ماذكره الشيخ هنا من مؤكدات هذه الباب كلها فى الآداب وهو أن لايستحقر شيئاً من تجليات الحق على أى حال كانت فلا ينبغى أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكيم فاذا رأيت عبداً أقامه الحق تعالى بوجود الأوراد ككثرة صلاة وصيام وذكر وتلاوة واجتهاد وأدامه عليها مع طول الامداد بكسر الهمزة أى استمراره معه وهو تقويته فى الباطن وصرف الشواغل والشواغب فى الظاهر لكنه لم يفتح عليه علم الأذواق وعمل القلوب فلا تستحقرن حاله وما منحه مولاه لأجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من السكينة والطمأنينة وراحة الجوارح والقلب بسبب نسيم الرضى والتسليم على أرواحهم وقال الشيخ زروق

فلم أرها إلا غروراً وباطلا   كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى إلا جيفة مستحيلة   عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها عشت سلماً لأهلها   وان تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطنت قعر بيتها   مغلقة الأبواب مرخى حجابها

وقوله وطهروا الأبدان والقلوب تفسير لما قبله على طريق اللفظ والمعنى وطهروا الأبدان من الآثام والذنوب وطهروا القلوب من المساوى والعيوب فلما حصل لهم هذا التطهير الجيد لاح لهم قمر التوحيد فأسلموا الأمر إلى مولاهم ورجعوا إلى من قد تولاهم عملا بقوله تعالى ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى عاقبة الامور فلما تحققوا بذلك وقفوا فى رياض الاحسان وأشرقت عليهم شموس العرفان وأضاءت لهم أنوار المواجهة والعيان هذه المنازل الثلاث هى التى تنزلها المريد ويرتحل عنها منزل الاسلام وهو محل تطهير الجوارح الظاهرة من الذنوب وتحليتها بطاعة

سيما العارفين ثلاث (أولها) الاعراض عما سوى معروفهم بكل حال وعلى كل وجه (الثانى) الاقبال عليه بترك الحظوظ وإقامة الحقوق (الثالث) الرضى عنه فى مجارى أقداره اه ولا تستحقر حاله أيضا لأجل إنك لم تر عليه بهجة المحبين وهى الفرح بمحبوبه والاكثار من ذكره والقيام بشكره والاغتباط بمحبته والمسارعة إلى محابه وطلب مرضاته والخضوع لعظمته والتذلل لقهره وعزته .

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل　　إذا رضى المحبوب صح لك الوصل

تذلل له تحظى برؤيا جماله　　ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل

فكيف تستحقر من دامت خدمته واتصلت أوراده فلولا وجود الوارد الإلهى فى باطنه ما قدر على إدامة أوراده فلولا وارد ما كان ورد فالوارد مامنه إليك فلولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا يحبهم ويحبونه ثم تاب عليهم ليتوبوا فالعناية سابقة والهداية لاحقة والأمر كله بيده وفى التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله

(قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لاتقذرا لهم، وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فالمنتسب لجانب الحق يتعين إكرامه ، مراعاة لنسبته ، ثم إن كان كاذبا فالأمر بينه وبين من انتسب إليه ، فإن أمرنا بإقامة حقه عليه بحيث يتعين عليه كنا معه كعبد السيد يضرب ولد سيده بإذنه يؤدبه ولا يحتقره ولأبى الحسن الحرانى رحمه الله :

إرحم بنى جميع الخلق كلهم　　وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة

وقر كبيرهم وارحم صغيرهم　　وراع فى كل خلق حق من خلقه

ثم إن الاقامة على دوام الاوراد وهى خدمة الجوارح من شأن أهل الخدمة وهم العباد والزهاد والانتقال منها إلى عمد القلوب من شأن أهل المحبة والمعرفة وهم العارفون وكلهم عباد الله ومن أهل عنايته فلا يستحقرهم إلا جاهل أو مطرود كما بين ذلك بقوله : (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) قلت العباد المخصوصون بالعناية على قسمين : قسم وجههم الحق لخدمته وأقامهم فيها وهم أنواع فمنهم من انقطع فى الفيافى والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم العباد والزهاد ، ومنهم من وجهه الحق لإقامة الدين وحفظ شرائع المسلمين وهم العلماء والصلحاء ومنهم : من أقامه الحق لنصرة الدين وإعلاء كلماته وهم المجاهدون فى سبيل رب العالمين ، ومنهم من أقامه

علام الغيوب ، ومنزل الايمان ، وهو محل تطهير القلوب من المساوى والعيوب وتحليتها بمقامات اليقين لتتهيأ لحمل معرفة رب العالمين ، ومنزل الاحسان وهو محل الشهود والعيان ، قال بعض العارفين رضى الله عنه من بلغ إلى حقيقة الاسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل (و) من بلغ إلى حقيقة الايمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل (ومن) بلغ إلى حقيقة الاحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله تعالى ، وإلى هذه المراتب أشار بقوله :

وبلغوا حقيقة الايمان　　وانتهجوا مناهج الاحسان

قلت وهذا هو الامر الخامس الذى ظهر به شرف أهل التصوف وفضيلتهم وانهم بلغوا إلى حقيقة الايمان وصريحه بتحقيق دعائمه واركانه . التى من جملتها الايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، فقد استوى عندهم وقت الخير ووقت الشر ووقت الحلو مع وقت المر ، قد استوى عندهم الذل والعز ، والذم والمدح والمنع والعطاء والقبض والبسط وغير ذلك من اختلاف الآثار وتنقلات الاطوار وذلك لأجل ما حصل لهم من مقام الرضى والتسليم وكمال المعرفة وخلوص اليقين (و) قوله وانتهجوا

الحق لتمهيد البلاد وتسكين العباد وهم الأمراء والسلاطين وقسم أقامهم الحق لمحبته واختصهم بمعرفته وهم العارفون الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق وبينهما فرق كبير لأن أهل الخدمه طالبون الأجور وأهل المحبة رفعت عنهم الستور أهل الخدمة يأخذون أجورهم وراء الباب وأهل المحبة فى مناجاة الأحباب أهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب أهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ وأهل المحبة تصب عليهم الحظوظ أهل الخدمة محبتهم مقسومة وأهل المحبة محبتهم مجموعة فلذلك دام أهل الخدمة فى خدمتهم ونفذ المحبون إلى شهود محبوبهم فلو تركوا الحظوظ وحصروا محبتهم فى محبوب واحد لنفذوا إلى محبوبهم وشهدوه ببصر إيقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم ولكن حكمة الحكيم أقامتهم فى خدمتهم فوجب تعظيمهم فى الجملة ولا يلزم منه عدم تفضيل أهل المعرفة والمحبة عليهم أنظر كيف قال تعالى بعد ذلك ، أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فدل على تفضيل بعضهم على بعض لكن عبيد الملك كلهم معظمون فى الجملة ولا يحب الملك أن يحقر له عبداً من عباده وإن كانوا متفاوتين عنده والله تعالى أعلم .

(وقال) ابو يزيد رضى الله عنه اطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة وقال أبو العباس الدينورى رضى الله عنه إن لله عباداً لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمحبته وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة اه يعنى أن الزاهد اصطاده الله من الدنيا فقبضه وأدخله الجنة والعارف اصطاده الحق من الجنة فأدخله الحضرة اصطاده من جنة الحس وجعله فى جنة المعنى وهى جنة المعارف وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه ، سبحان من هيأ أقواماً لخدمته وأقامهم فيها ، وهيأ أقواماً لمحبته وأقامهم فيها أهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا مستوحشين من الخلق قلوبهم شاخصة لما يرد عليها من حضرة الحق قد نحلت أجسادهم واصفرت ألوانهم وخمصت بطونهم وبالشوق ذابت أكبادهم وقطعوا الدياجى بالبكاء والنحيب واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة فى الدين ورغبوا فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وأهل المحبة تجلى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بخمر لذيذ القربة شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العباد ولا من الزهاد اشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله فحجبوا عن كل ظاهر وباطن زهدوا فى التنعم

مناهج الإحسان أى سلكوا طريق الاحسان الموصلة إلى الشهود والعيان ولذلك افتقروا إلى دليل يكون عارفا بالمنازل والمناهل قد سلك الطريق وعرفها حتى يوصلهم إلى مطلوبهم ويقول لهم ها أنتم وربكم وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله ثم أشار إلى الأمر السادس وهو ترقيهم من عالم الملك إلى عالم الملكوت أو تقول من عالم الأشباح إلى عالم الارواح فقال :

وعلموا مراتب الوجود ... كالأم والوالد والمولود
واستشعروا شيئاً سوى الابدان ... يدعونه بالعالم الروحانى

قلت مراتب الوجود هى العوالم الثلاثة الملك والملكوت والجبروت وذلك أن الوجود له ثلاثة اعتبارات وجود أصلى أزلى وهو الذى لم يدخل عالم التكوين ويسمى عالم الامر وعالم الغيب وهو المسمى بعالم الجبروت ووجود فرعى وهو النور المتدفق من بحر الجبروت وهو كل مادخل عالم التكوين لطيفاً كان أو كثيفاً ويسمى عالم الشهادة وعالم الخلق وهو المسمى بعالم الملكوت لما غرق فيه وجمعه بأصله ووجود وهمى وهو محل ظهور التصرفات الالهية ومقتضى الاسماء الجلالية والجمالية

والانعام واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام اه كلامه رضى الله عنه (هذا آخر الباب السابع) وحاصلها رفع الهمة وشكر النعمة وحسن الأدب فى الخدمة و نفوذ العزيمة بالانتقال من دوام الخدمة إلى المحبة و المعرفة وإذا أراد الله أن يصطفى عبداً لحمل معرفته وينقله من تعب خدمته قوى عليه الواردات الالهية لجذبته إلى الحضرة الربانية وهى مواهب لامكاسب تنال بأعمال ولا بحيل وقل أن تأتى إلا بغتة كما أشار إلى ذلك فى أول الباب الثامن فقال (وقال رضى الله عنه قلما تأتى الواردات الالهية إلا بغتة صيانة لها أن يدعيها العباد بوجوب الاستعداد) قال القشيرى الوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون للعبد فيه تحمل والواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو ما تضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك من المعانى وهو قريب من الحال وسئل الشيخ عبد القادر الجيلانى نفعنا الله بذكره عن صفات الواردات الالهية والطوارق الشيطانية فقال الوارد الالهى لا يأتى باستعداده ولا يذهب بسبب ولا يأتى على نمط واحد ، والطوارق الشيطانية بخلاف ذلك غالباً اه .

(قلت) والمراد به هنا نوع خاص وهو نفحات إلهية يهب نسيمها على القلوب والأرواح أو الأسرار فتغيب القلوب فى حضرة علام الغيوب وتغيب الأرواح والأسرار فى جبروت العزيز الجبار فتطيش فرحاً وسروراً وترقص شوقاً وحبوراً . إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا ، ترقصت الاشباح ياجاهل المعنى ، وقل ما تكون هذه الواردات الالهية إلا بغتة لأنها لا تنال باكتساب وإنما هى فتح من الكريم الوهاب ولو كانت تنال بجد واجتهاد لادعاها العباد والزهاد بوجوب التأهب والاستعداد فنصير حينئذ مكاسب والاحوال والواردات إنما هى مواهب ، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ونسخة الشيخ زروق العباد بالتخفيف جمع عبد وهى أعم قال والحكمة فى إتيانها بغتة ثلاثة أمور أحدها ليعرف منة الله فيها الثانى ليقدرها ويعظم الفرح بها الثالث الغيرة عليها وتعزيزها لأن ما كان من العزيز لا يكون إلا عزيزاً اهـ ثم ان هذه الواردات الإلهية والمواهب الاختصاصية أسرار من الحكيم الغفار لا يمنحها إلا لأهل الصيانة والامانة لا لأهل الافشاء والخيانة كما أشار إلى ذلك بقوله (من رأيته مجيباً عن كل ما يسئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) قلت أما وجه جهله فى كونه مجيباً عن كل ما سئل فلما يقتضيه حاله من الاحاطة بالعلوم وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فأى جهل أعظم ممن يعارض كلام الله ولما فيه أيضاً من التكلف وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً وما أنا من المتكلفين وقال عليه الصلاة والسلام أنا وأتقياء أمتى برآء

ويسمى عالم الملكوت وهو عالم الملك (وقال) بعضهم العوالم أربعة عالم الشهادة وعالم الغيب وعالم الملكوت وعالم الجبروت (فا)لأول كالكثائف المحسوسة والثانى كالطائف الغيبة كالجن والملائكة والأرواح وهذا كله داخل فى عالم الملكوت والثالث وهو عالم الملكوت هو جمع لهذه الاشياء وضمها إلى أصلها وتحقيق الشهود فيها والرابع الذى هو الجبروت هو العظمة الأصلية اللطيفة الأزلية قبل ظهورها وفى هذه المراتب يقع الترقى للسائرين فيترقون من عالم الملك الذى هو وهمى ظلمانى حسى إلى عالم الملكوت الذى هو نورانى ملكوتى ثم يترقون إلى عالم الجبروت الذى هو أصلى أزلى فإذا ضموا الأصول إلى الفروع صار الجميع جبروتاً وهذا هو العالم الروحانى الذى أشار إليه بقوله واستشعروا شيئاً سوى الأبدان (و)قوله كالام الخ يعنى أنهم عرفوا مراتب الوجود الثلاث وفرقوا بين الملك والملكوت والجبروت تفريقاً ضرورياً كما يفرق الرجل بين ولده وأمه وأبيه ويحتمل أن يكون التشبيه من حيث الايجاد والظهور فإن عالم الجبروت سبب فى ظهور عالم الملكوت فهو أشبه شىء بالوالد وعالم الملكوت هو محل استقرار الصفات كالقدرة والارادة والعلم والحياة التى هى سبب فى إظهار آثارها العالم الملك فهو أشبه

من التكلف ولا يخلو صاحب التكلف من التصنع والتزين وهو من شأن الجهل بالله اذ لو كان عالما به لاكتفى بعلمه وعرف قدره ففى بعض الاخبار (عاش من عرف قدره) وسئل بعضهم عن العلم النافع فقال ان تعرف قدرك ولا تتعدى طورك وقال بعض المحققين اذا قال العالم لا أدرى أصيبت مقاتله وقال فى الاحياء كان السلف الصالح يسئل أحدهم عن المسئلة الواحدة فيدفع السائل الى غيره ثم يدفعه الثانى الى آخره ثم كذلك حتى يرجع الى الاول وكان بعضهم اذا سئل عن مسئلة يقول للسائل اذهب بها إلى القاضى فقلدها فى عنقه (وقد سئل مالك) رحمه الله عن اثنتين وثلاثين مسئلة فأجاب عن ثلاث وقال فى الباقى لا أدرى فقال له السائل وما نقول للناس فقال قل لهم قال مالك أدرى وأيضا اجابة كل سائل جهل وضرر إذ قد يكون السائل متعنتا لا يستحق جوابا وقد تكون المسئلة التى سأل عنها لا تليق به لأنه لا يفهمها ولا يطيق معرفتها فتوقعه فى الحيرة أو الانكار وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وفى ذلك يقول الشاعر :

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ولا أنثر الدر النفيس على البهم
فان قدرك الله الكريم بلطفه ولاقيت أهلا للعلوم وللحكم
بذلت علومى واستفدت علومهم والا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم .

وقال على كرم الله وجهه حدث الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقد قيل للجنيد رضى الله عنه يسألك الرجلان فتجيب هذا بخلاف ما تجيب به هذا فقال الجواب على قدر السائل قال عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم اه وقال رجل لبعض العلماء وقد سأله فلم يجبه أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا ألجم يوم القيامة بلجام من النار فقال له العالم اترك اللجام واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمنى به اه

(وأما) وجه جهله فى كونه معبرا عن كل ما شهد من الكرامات وما وصل اليه من المقامات وما ذاقه من الأنوار والأسرار فلأن هذه الأمور أذواق باطنية وأسرار ربانية لا يفهمها الا أربابها فذكرها لمن لا يفهمها ولا يذوقها جهل بقدرها وأيضا هى أمانات وسر من أسرار الملك وسر الملك لا يحل أفشاؤه فمن افشاه كان خائنا واستحق الطرد والعقوبة

بالأم فى تربية الولد قبل الظهور وبعده وعالم الملك هو محل ظهور التصرفات الإلهية وآثار القدرة الأزلية فهو أشبه شىء بالولد لظهوره بينهما وربما يلوح حديث الخلق عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله رواه أبو يعلى والبزار عن أنس ولفظه الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله وأنفعهم لعياله والله تعالى أعلم بالصواب (و) قوله واستشعروا شيئا سوى الابدان الخ اعلم أن عالم الاشباح هو عالم الملك وعالم الأرواح هو عالم الملكوت ومحلهما واحد اذ ليس لنا الاوجود واحد لكن النظرة تختلف باختلاف الترقى فى المعرفة فما دام العبد مسجونا بمحيطات حسه محصورا فى هيكل نفسه فهو مقيم فى عالم الاشباح محصور فى عالم الملك لم تفتح له ميادين الغيوب لم يفرق بين روحانية وبشرية ولا بين حسه ومعناه فاذا فتح الله بصيرته وغاب عن حسه ونفسه وفلسه وجنسه رأى نورا الملكوت قد فاض من بحر الجبروت فحجب شهود ذلك النور عن ظلمة الحس وعن رؤية الكون بشهود المكون فالكون أصله كله نور وإنما حجبه ظهور الحكمة فيه فمن رأى الكون ولم يشهد النور فيه أو قبله أو معه فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بحسب الآثار فاذا ضم النور إلى أصله صار الجميع

ولا يصلح أن يكون أميناً بعد ذلك ، فكتم الأسرار من شأن الأخيار ؛ وهتك الأسرار من شأن الأشرار ؛ وقد قالوا قلوب الأحرارقبور الأسرار وقال الشاعر :

لايكتم السر إلا كل ذى ثقة   فالسر عندخيار الناس مكتوم

وفى إفشائها قلة عملها ونفعها فى الباطن ففائدة هذه الأحوال والواردات الالهية هى محو الحسى وإظهار المعنى أو محو الشك وتقوية اليقين فاذا أفشاها ضعف أعمالها وقلت نتيجتها والخير كله فى الكتمان فى الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها أو كما قال عليه السلام وينخرط فى سلك الأحوال التى يجب كتمانها خرق عوائد النفوس فمن خرق عادة فى نفسه فلا يفشى ذلك لغيره فان فى ذلك دسيسة لها لأنها تحب أن تذكر بالقوة والنجدة فيكون كلما قتل منها أحياه فى ساعته وفيه أيضا نقص الأخلاق وإدخال الرياء وهو سبب الهلاك والعياذ بالله (وأما) وجه جهله فى كونه ذكر الكل ماعلم من الحقائق والعلوم والمعارف فلأنه جهل قدرها واستخف شأنها فلو كانت عنده رفيعة عزيزة ما أفشاها لغيره إذ صاحب الكنز لايبوح به وإلا سلبه من ساعته وانظر قول شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

احفر لسرك ودكو   فى الأرض سبعين قامه
وخل الخلائق يشكو   إلى   يوم   القيامة

واذا كان الله تعالى يقول ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فكيف بالعلم الذى هو لؤلؤ مكنون قال عليه الصلاة والسلام ان من العلم كهيئة المكنون لايعرفه الا العلماء بالله فاذا أظهروه أنكره أهل الغرة بالله اه وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من علم أما أحدهما فبثثته فى الناس وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اه ولله در زين العابدين سيدنا على بن الحسين بن على كرم الله وجهه حيث يقول :

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمى   يرون أقبح ما يأتونه حسنا
انى لأكتم من علمى جواهره   كى لايرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقال الروذبادى رحمه الله علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفى وقال الإمام الغزالى قد تضر الحقائق أقوام كما يتضرر

نورا واحدا وهو نور الجبروت أو سر اللاهوت فقد علمت أن الملك والملكوت والجبروت محلها واحد وكذلك عالم الأشباح وعالم الارواح محلهما واحد فأهل الحجاب لايرون الا عالم الاشباح وأهل العرفان وهم أهل مقام الاحسان لايرون الا عالم الارواح مع أن المحل واحد لكن لما رق حجابهم وتلطفت بشريتهم استشعروا شيئاً زائدا على عالم الاشباح وهو عالم الارواح ويسمى عالم المعانى والعالم الروحانى وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله عند قوله لم يتصل بالعالم الروحانى من عمره على الفضول عانى ، وعند قوله ، مهما تعديت عن الاجسام أبصرت نور الحق ذا ابتسام ، والله تعالى أعلم ثم أشار الى أن هذه المعانى لاتدرك بالعقول وانما هى أذواق يلغز اليها بإشارات المقول فقال :

ثم أمام العالم المعقول   معارف تلغز فى المنقول

قلت اعلم أن النفس والعقل والروح والسر كل واحد منها له حد ينتهى اليه فى العلم والادراك على ما يأتى بيانه ان شاء الله عند قوله ، يا جاهلا أقصى الكمال وقفاً ، على عقول وهمها لا يخفى فشهود أنوار الملكوت وأسرار الجبروت وهى علوم

الجعل بالورد والمسك (قلت) قد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق مع من لايعرفها بعبارة رقيقة ، وإشارة لطيفة ، وغزل رقيق بحيث لايأخذ السامع منها شيئاً فقد كان الجنيد رضى الله عنه يلقى الحقائق على رؤوس الأشهاد فقيل له فى ذلك فقال جانب العلم أحمى من أن يأخذه غير أهله أوعلمنا محفوظ من أن يأخذ غير أهله والله تعالى أعلم .

ثم أن الإجابة عن كل ماسئل والتعبير عن كل ما شهد وذكر كل ماعلم يوجب إقبال الخلق عليهم وتعظيمهم وإكرامهم فى هذه الدار لأن من ظهرت مرتبته وجبت خدمته ، ومن شأن العامة تعظيم صاحب الكرامة فيجنى ثمرة علمه وعمله فى هذه الدار الباقية وتفوته درجات الصديقين فى تلك الدار الباقية فأمره بكتمها ويقنع بعلم الله ويدخل الجزاء عليها ليوم لقاء الله وعلى ذلك نبه بقوله : (إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عبادة المؤمنين لأن هذه الدار لاتسع مايريد أن يعطيهم ، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لابقاء لها) قلت لاشك أن الله تعالى وسم هذه الدار بدار الغرور وحكم عليها بالهلاك والثبور ، فهى دار دنية دانية زائلة فانية فلذلك سميت الدنيا إما لدنوها وإما لدناءتها فهى ضيقة الزمان والمكان ووسم الآخرة بدار القرار ، ومحل ظهور الأنوار ، وانكشاف الأسرار محل النظرة والحبور ودوام النعمة والسرور ، محل شهود الأحباب ورفع الحجاب نعيمها دائم ووجودها على الدوام قائم فلذلك جعلها الحق تعالى محلا لجزاء عبادة المؤمنين ، ومقعد صدق للنبيين والصديقين ولم يرض سبحانه أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها ضيقة الزمان والمكان ومحل الأكدار والغيار والذل والهوان ، لأنها ضيقة لاتسع مايريد أن يعطيهم أى لايسع فيها مايريد أن يكرمهم به تعالى زماناً ولا مكاناً لأن أدنى أهل الجنة يملك قدر الدنيا عشر مرات فكيف بأعلاهم قال تعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . وقال صلى الله عليه وسلم بقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولأنه جل وعلا أى عظم أقدار عباده المؤمنين والمقربين أن يجازيهم فى دار لابقاء لها فعمارتها خراب ووجودها سراب ففى بعض الأخبار لوكانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لاختار العاقل الذى يبقى على الذى لايبقى اهـ لاسيما بالعكس فالآخرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى فلا يختارها إلا من حكم الله عليه بالشقاء والعناء والخزف بالخاء والزين والفاء المحركات الطين المصنوع للبناء وهو الآجر (وفى حديث آخر) الأوان السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية لاينفك عذابها وقدم لما يقدم عليه مما هو الآن فى يده قبل أن يخلفه لمن يسعد بانفاقه وقد شقى وهو بجمعه واحتكاره اهـ (وعن) أبى أيوب الانصارى

المعارف أمر خارج عن مدارك العقول فهو أمام العالم المعقول أى وراءه وقدامه لا مطمع له فى إدراكه وقد تقدم قول ابن العارض :

فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة

وقال أبو العباس رضى الله عنه :

فلو عاينت عيناك تزلزت ... أرض النفوس ودكت الأجبال

لرأيت شمس الحق يستطيع نورها ... يوم التزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجبال جبال العقل (و) قال بعضهم فى تفسير قوله تعالى فلماتجلى ربه للجبل جعله دكا أى تجلى لجبل معقل جعله دكا أى مضمحلا وخر موسى صعقاً أى زال وجوده بوجود خالقه والمتجلى فيه (و) الحاصل أن شموس العرفان لاتدرك بعقل ولاحدس ولا برهان وإنما تدرك ببيع النفوس وبذل الأرواح وبالخروج عما تعهده

رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة واجعلوا آخرتكم لأنفسكم وسعيكم لمستقركم واعلموا أنكم عن قليل راحلون وإلى الله سائرون ولا يغنى عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب جزيتموه انكم إنما تقدمون على ماقدمتم وتجازون على ما أسلفتم فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية فكأن قد كشف القناع وارتفع الارتياب ولاقى كل امرء مستقره وعرف مثواه ومنقلبه اهـ ثم ان الجزاء فى تلك الدار إنما يكون على العمل فى هذه الدار بشرط كونه مقبولا وقبوله مغيب لكن له علامات يعرف بها هنا أشار إليها بقوله (من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول) قلت ثمرة العمل هى لذيذ الطاعة وحلاوة المناجاة وأنس القلب بالمراقبة وفرح الروح بالمشاهدة والسر بالمكالمة قد علم كل أناس مشربهم ودليل وجود هذه الثمرة النشاط فى النهوض إليها والاغتباط بها والمداومة عليها وزيادة المدد فيها وهى علامة حلول الهداية فى القلب قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وللبوصيرى فى همزيته :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

فمن رأيناه فى زيادة الأعمال والترقى فى الأحوال علمنا أنه وجد لعمله ثمرة فهى بشارة له على قبولها ومن رأيناه انقطع عن عمله أو نقص من أحواله خفنا عليه عدم قبول أعماله ومن ثمرة العمل أيضاً الاستيحاش من الخلق والانس بالملك الحق ومن ثمرة العمل أيضاً الاكتفاء بعلم الله والاستغناء به عما سواه زاد الشيخ زروق رضى الله عنه الحياة الطيبة ونفوذ الكلمة وانتفاء الحزن للفرح بالمنة اهـ فدليل الأول قوله تعالى ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قيل هى القناعة وقيل هى الرضى والتسليم (والتحقيق) انها المعرفة ودليل الثانى وهو نفوذ الكلمة قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض فنفوذ الكلمة هى الخلافة وقال أيضاً وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وأما الثالث وهو انتفاء الحزن فدليله فى نفسه لان حلاوة العمل تنسى الحزن والغم لانها شبيهة بنعم الجنة قال تعالى فى شأن أهل الجنة وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والله تعالى أعلم وسيأتى التحذير من الوقوف مع حلاوة الطاعة وانها سموم قاتلة ولما ذكر ميزان مقادير الاعمال ذكر ميزان مقادير الرجال (أو تقول) لما ذكر ميزان العمل المقبول من المردود ذكر ميزان العامل المحبوب من المطرود فقال (ان أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك) قلت جعل الله تعالى بحكمته

النفوس وتحيط به العقول فاذا صح منك هذا البيع وتحقق منك هذا الخروج أدركت أنوار الملكوت متصلة ببحر الجبروت وصرت لا يحجبك عن الله أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسى ولا أفلاك ولا أملاك وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت خليفة الله فى أرضه ونقطة دائرة كونه والله ذو الفضل العظيم وإلى هذه المعارف أشار بقوله ثم امام العالم المعقول ، معارف تلغز فى المنقول ، وأشار بقوله تلغز الخ أن هذه المعانى ليست صريحة فى كلام الله وإنما هى من باب الاشارة واللغز وكذلك قيل فى قوله تعالى إذا زلزلت الارض أى أرض النفوس وأخرجت الارض أثقالها أى مافيها من العلوم والحكم والاسرار وقال الانسان متعجباً من حال تلك النفس مالها يومئذ تحدث أخبارها تظهر أسرارها ومواهبها وهذه كلها إشارات وألغاز وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى تفسير الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن وقف بعضهم هنا وجعل تراه جواباً أى فان تحقق زوالك ولم تكن شيئاً تره وهذه الامور كلها الغازات وإشارات لا يسلمها أهل الظاهر وإنما يذوقها أهل الباطن ويلغزون بينهم بها وقد قالوا علمنا كله إشارة فاذا صار عبارة خفى ثم ان هذه الامور إنما هى كشوفات تشرق على الارواح والاسرار تكون لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم يتصل الشروق ويدوم النور حتى يقع الرسوخ والتمكين

خلقه على قسمين أشقياء وسعداء وجعل السعداء قسمين أهل قرب وأهل بعد (أو تقول) أهل يمين ومقربين وهم السابقون فان أردت أن تعرف نفسك هل أنت من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة فانظر فى قلبك فان كنت تصدق بوجود ربك وتوحده فى ملكه وتنقاد لمن عرفك به وهو رسوله عليه السلام فأنت ممن سبقت له الحسنى وإن كنت تنكر أو تشك فى ربك أو تشرك به غيره فى اعتقادك أو لم تذعن لمن عرفك به فأنت من أهل الشقاء ثم إن وجدت نفسك من أهل السعادة وأردت أن تعرف هل أنت من أهل القرب أو من أهل البعد فانظر فان كنت ممن يستدل بأثره عليه فأنت من أهل البعد من اصحاب اليمين وإن كنت ممن يستدل به على غيره فأنت من أهل القرب من المقربين ثم إن عرفت أنك من أهل اليمين وأردت أن تعرف قدرك عنده هل أنت من المكرمين أو من المهانين فانظر فإن كنت تمتثل أمره وتجتنب نهيه وتسارع فى مرضاته وتجيب إلى أوليائه وأحبائه فأنت من المكرمين المعظمين وإن كنت تتهاون فى أمره وتتساهل فى نواهيه وتتكاسل عن طاعته وتهتك حرماته وتعادى أوليائه فأنت والله عنده من المهانين المحرومين المطرودين إلا أن تتداركك عناية من رب العالمين وإن تحققت أنك من القرب وأنك بلغت مقام الشهود تستدل به على غيره فلا ترى سواه فان كنت تقر بالواسطة وتثبت الحكمة وتعطى كل ذى حق حقه فأنت من المقربين الكاملين وإن كنت تنكر الحكمة وتغيب عن الواسطة فان كنت مجذوبا مغلوباً فأنت فى هذا المحل ناقص وإن كنت صاحياً فأنت ساقط إلا أن يأخذ بيدك شيخ واصل أو عارف كامل وهنا ميزان آخر تعرف به نفسك فى القرب والبعد فإن وجدت شيخاً مربياً كشف الله لك عن أنواره وأطلعك على خصائص أسراره فأنت قطعاً من أهل القرب بالفعل أو بالامكان لقول الشيخ رضى الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه وإن لم تجد شيخاً مربياً وغرك قول من قال إنه انقطع وجوده فأنت قطعاً من أهل اليمين من عوام المسلمين هذا الغالب والنادر لاحكم له والله تعالى أعلم .

(وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى أنا الله لاإله إلا أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يده وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يده وفى حديث آخر من أراد أن يعلم ماله عند الله فلينظر مالله عنده وفى رواية من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى

وإلى ذلك أشار بقوله :

وعلموا أن لهم تمكينا يرقى بهم فى المكاشفينا

قلت قد علموا أن داوم السير قطعاً يؤدى إلى الوصول وحال التلوين لابد يوصل إلى التمكين فإذا ترقوا إلى مقام التمكين فقد وصلوا إلى مقام لو كشف الغطاء ماازدادوا يقينا قد انكشف الغطاء لكن مراتب الكشف لانهاية لها وقل رب زدنى علما ولما علموا بمقام التمكن علموا أن لهم موانع تمنعهم من الوصول إليه كما أشار إلى ذلك بقوله :

ثم رأوا أن دون ذلك مانع كدفتر نيط عليه طابع
فالقوم حين علموا بذلك وميزوا القطاع والاشراك
سلوا من العزم لهم قواضب فأنبت كل قاطع وحاجب
فاحتزموا للطعن والنزال وابتدروا ميادين القتال

وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية والله تعالى أعلم ثم ذكر ميزانا آخر تعرف به المقربين والأغنياء الشاكرين فقال (متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة)

قلت الطاعة فى الظاهر هى رسوم الشريعة والغنى به فى الباطن هو شواهد الحقيقة فاذا جمع لك بين الطاعة فى جوارحك والغنى به عنها فى باطنك فقد أسبغ عليك أى أكمل وأطال عليك نعمه ظاهرة وباطنة وهذه سيما العارفين المقربين الأغنياء بالله الفقراء مما سواه استغنوا بمعبودهم عن رؤية عبادتهم وبمعلومهم عن علمهم وبمصلحهم عن صلاحهم

قال الشيخ أبو الحسن فى حزبه الكبير نسألك الفقر مما سواك ، والغنى بك حتى لانشهد إلا إياك ، فهؤلاء الأغنياء بالله الغائبون فيه عما سواه عبادتهم بالله ولله ومن الله قياما بشكر النعمة وإتماما لوظائف الحكمة وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أحب العباد الى الله الأغنياء الأخفياء الانقياء أو كما قال عليه الصلاة والسلام وفى حديث آخر ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغنى غنى النفس اه وهو الغنى بالله وهذه هى النعمة الحقيقية فالنعم الظاهرة هى تزيين الجوارح بالشريعة والنعم الباطنة هى اشراق الأسرار بالحقيقة وقيل النعم الظاهرة هى الكفاية والعافية والنعم الباطنة هى الهداية والمعرفة وقيل النعم الظاهرة راحة البدن من مخالفة أمره والباطنة سلامته من منازعة حكمه وحقيقة النعمة من حيث هى ما لايوجب ألما ولا يعقب ندما وقيل النعمة العظمى الخروج من رؤية النفس وقيل النعمة ما وصلك بالحقائق وطهرك من العلائق وقطعك عن الخلائق وبالله التوفيق (هذا) آخر الباب الثامن وحاصلها تحقيق الآداب مع الواردات الإلهية لأنها مواهب اختصاصية فمن أراد مدد أنوارها فعليه بكتمان أسرارها وليؤخر جزاء ثوابها لدار يدوم بقاؤها فحينئذ يتحقق اخلاصه ويظهر اختصاصه فيذوق حلاوة الطاعة والايمان ويعظم قدره عند الملك الديان فيغيبه به عما سواه ويسبغ عليه منه ومهما أغناك به استغنيت به عن طلبه وان كان ولابد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك كما أشار إليه فى أول الباب التاسع فقال (وقال رضى الله عنه خير ماتطلبه منه ماهو طالبه منك) قلت والذى طالبه منا هى الاستقامة ظاهراً وباطنا ومرجعها الى تحقيق العبودية فى الظاهر وكمال المعرفة فى الباطن (أو تقول) الذى هو طالبه منا اصلاح الجوارح الظاهرة بالشريعة قياما برسم الحكمة واصلاح القلوب والاسرار الباطنة بالحقيقة قياما بوظائف القدرة (أو تقول) الذى طلبه منا امتثال أمره واجتناب نهيه والاكثار من ذكره والاستسلام لقهره فالأكمل فى حق العارف أن يستغنى بعلم الله ويكتفى بسؤال الحال عن طلب المقال فان تجلى فيه وراد الطلب فخير مايطلبه من سيده ما هو طالبه

قلت الدفتر الكتاب وأراد هنا الحرز والتميمة ونيط أى لف وغشى الطابع بفتح الباء كالقالب والكاغد والخاتم والعالم والنابل والطابق وألفاظ أخر تبلغ خمسة وعشرين كلمة كلها بفتح عين الكلمة نظمها ابن مالك والاشراك جمع شرك وهى الشبكة والقواضب جمع قاضب وهو السيف الصارم والنزال هى شدة الحرب وذلك أن العرب اذا اشتد بينهم الحرب نزلوا عن خيولهم ليقاتلوا بالسيوف والميادين مجال الخيل استعير هنا لمجاهدة النفوس ومحاربتها (يقول) رضى الله عنه ان القوم لما شعروا بالحقيقة كامنة فى نفوسهم وكوشفوا بها علموا أنهم تمكنوا من الوصول اليها والرسوخ فيها حصل لهم كشف الغطاء وارتفعت الحجب عن قلوبهم فكانوا على بينة من ربهم ثم رأوا أن مقام التمكين دونه موانع وقواطع تمنعهم من الوصول الى ذلك المقام وهذه الموانع هى التى غطت القلوب غلفتها وحجبت الارواح عن الكشف عن اصلها فصار القلب والروح كحرز مكتوب لف عليه غشاء وطبع عليه طابع فلا يظهر مافى باطنه حتى يخرق ذلك الطابع والغشاء الذى غشى عليه وهذا الطابع الذى جعله الله بحكمه وعدله حاجبا للقلوب عن أسرار الغيوب هو عالم الطبيعة وهى شهوات النفوس وعوائدها التى امتزجت

منه وهو ماتقدم ذكره (فى بعض الاحاديث) ان الله لايسئل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه قلت لأن الأمر والنهى فى كسبه ومكلف به ومعرفة الذات والصفات والرضى والتسليم إنما هى مواهب جزاء الأعمال ونتائج الامتثال فاذا فعل ماأمره به سيده رزقه المعرفة به المعرفة العامة وهى معرفة الدليل فاذا اشتدعطشه قيض له من يأخذ بيده حتى يعرفه به المعرفة الخاصة وقال بعضهم إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله يعنى من غير طلب ما لم يكن لك فيها حظ فتحجب عن الله اه قال تعالى ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ، وفضله هو الغنى به ومن دعاء الجنيد رضى الله عنه اللهم وكل سؤال فعن أمرك لى بالسؤال فاجعل سؤالى لك سؤال محابك ولا تجعلنى ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل بسئل القيام بواجب حقك ثم إذا طلبت منه فاطلب منه ماطلبه منك وهو الطاعة والاستقامة ولم تساعفك الاقدار ومنعت منها قبل أن تسئل فان لم تنهض اليها بقلبك وتأسفت عليها بنفسك فذلك علامة الاغترار كما أشار إلى ذلك بقوله (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار) قلت الحزن هو التحسر على فان لم تحصله وندمت على تحصله أو التوجع على شيء منعت منه ولم تقدر على تحصيله فان كان حزنك على شيء منعت منه ونهضت إلى أسبابه الموصلة اليه فهو حزن الصادقين .

وفيه قال أبو على الدقاق يقطع صاحب الحزن فى شهر مالا يقطعه غيره فى سنين وان لم تنهض إلى أسبابه فهو حزن الكاذبين وان كان على مافات ونهضت إلى استدراك مايمكن استدراكه فهو حزن الصادقين وان لم تنهض إلى استدراكه فهو حزن الكاذبين وقدسمعت رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت له قل واقلة حزناه فلو كان حزنك صادقاً لم يتهيأ لك أن تتنفس اه وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ليس البكاء بتعصير العيون إنما البكاء أن تترك الأمر الذى تبكى عليه وقيل لايغرنك بكاء الرجل فان إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون وقد فعلوا مافعلوا اه فالحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إلى استدراك مافات منها أو تحصيل ماحضر منها من علامة الاغترار أى الغرور وهو الركون إلى مالا حقيقة له فالاغترار قبول الغار والانقياد إلى غروره وخدعه فالحزن ينقسم ثلاثة أقسام حزن الكاذبين والصادقين والصديقين السائرين فحزن الكاذبين هو ماتقدم من عدم النهوض والاستدراك لمافات . وحزن الصادقين هو الحزن المصحوب بالجد والاجتهاد والتوسط فى العمل والاقتصاد مع اغتنام مابقى من الأوقات لاستدراك ما

معها وعجنت بطينتها فى أصل النشأة وهى التى ذكرها الله تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية فاشتغلت الروح بتدبير هذا البدن لجهلها فصرفت همتها لمأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ومنكحه وما يتبع ذلك من الشواغل والشواغب فيعقت عن أصلها ومنعت من شهود أنوار ربها إلا من أسعده الله بولايته وسبقت له سابقة عنايته فلما علم القوم بهذه القواطع التى قطعتهم عن الوصول إلى ربهم وميزوا هذه القطاع والشباكات التى حبستهم فى قيودها وهى علائق الدنيا وعوائقها سلوا من هممهم العالية سيوفاً وعزموا على قطع تلك العلائق ورفضوا تلك الشهوات فلما علقوا همتهم بالله وانقطعوا بكليتهم اليه انقطعت تلك العلائق وارتفعت تلك الحجب فاحتزموا وشمروا للطعن فى تلك العلائق ونزلوا لمحاربة النفوس، وردها إلى حضرة الملك القدوس ، حتى ألقت السلاح ، وأذعنت لطاعة الكريم الفتاح (قال) بعضهم انتهى سير الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فان ظفروا بها وصلوا وهذه مسايرة كلام الناظم وفيه تقديم وتأخير فان قطع العلائق ورفع الحجب مؤخر ان عن محاربة النفوس فقول الناظم فأنبت كل قاطع وحاجب مرتب على مابعده من الطعن والنزال وابتدار ميادين القتال

فات ، وحزن الصديقين من السائرين هو الحزن على فوات الأوقات أو حصول شيء من الغفلات أو وقوع ميل أو ركون إلى الحظوظ والشهوات إلا أن حزنهم لا يدوم إذ لا يقفون مع شيء ولا يقبضهم شيء وأما الواصلون فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، إذ الحزن إنما يكون على فقد شيء أو فوات غرض ماذا فقد من وجد الله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وفى هذا المقام ينقطع البكاء إذ لا بكاء فى الجنة (وقد رأى الصديق) قوماً يقرؤن ويبكون فقال كذلك كنا ثم قست القلوب فعبر بالقسوة عن التمكين أدباً وتستراً لأن القلب فى بدايته رطب يتأثر بالمواعظ وتحركه الأحوال فإذا استمر معها وتصلب لم يتأثر بشيء ويكون كالجبل الراسى ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب

(تنبيه) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من تطاوعه نفسه على النهوض إلى الطاعات وأخلدت إلى أرض الشهوات فدواؤه فى حرفين الأول أن يعلم منة الله عليه بالهداية للإسلام ومحبة الايمان فيشكر الله عليها ليحصن بقائها عنده (الثانى) دوام تضرعه وابتهاله فى مظان الاجابة قائلا يارب سلم وإن أهمل هذين الأمرين فالشقاوة لازمة له اه بالمعنى وبالله التوفيق ثم إذا أعطاك ما طلبت من كمال الاستقامة ونهضت اليه نادماً على مافاتك من الطاعة كانت نهايتك الوصول إلى الحبيب ومناجاة القريب هناك تكل الألسن عن العبارة وتنقطع الاشارة كما أبان ذلك بقوله (ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب اليه من إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) قلت الاشارة أرق وأدق من العبارة والرمز أدق من الاشارة فالأمور ثلاثة عبارات وإشارات ورموز وكل واحدة أدق مما قبلها فالعبارة توضح والاشارة تلوح والرمز يفرح أى يفرح القلوب بإقبال المحبوب وقالوا علمنا كله إشارة فاذا صار عبارة خفى أى خفى سره أى فاذا صار عبارة بافصاح اللسان لم يظهر سره على الجنان فاشارة الصوفية هى تغزلاتهم وتلويحاتهم بالمحبوب كذكر سلمى وليلى وذكر الخمرة والكيسان والنديم وغير ذلك مما هو مذكور فى أشعارهم وتغزلاتهم وكذكر الأقمار والنجوم والشموس والبدور واللوائح والطوالع وكذكر البحار والأغراق وغير ذلك مما هو مذكور فى اصلاحاتهم (وأما الرموز) فهى إيماء واسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهما غيرهم ومنها فى القرآن فواتح السور ومنها فى الحديث كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أن أدعوك لأمر قال وما هو يارسول الله قال هو ذاك فرمز لأمر بينهما لا يعرفه غيرهما وقال له أيضاً ياأبا بكر أتعلم يوم يوم بتكرير لفظ يوم قال نعم يارسول الله سألتنى عن يوم المقادير فهذه رموز

والأمر قريب ولو قال لكل قاطع وحاجب بلام التعليل كان أحسن والله تعالى أعلم ثم بين بعض تلك القواطع فقال :

وعلموا أن ليس شيء قاطع   كبدن كاس وبطن شابع

قلت يعنى أنهم تحققوا أن أعظم القواطع هو الاشتغال بهم الظهر والبطن فمن أراد الله تعالى أن يتركه محجوباً لنفسه يشغل قلبه بتزين الملابس وتحسين المآكل وهذا هو الذى حجب جل الناس فمن قنع من اللباس بما يستر العورة من خشين اللباس وقنع من الطعام بما يسد الجوع من مطلق الطعام كان قلبه مجموعاً مع الله إن توجه بهمته إلى الله ومن همه إما يدخل بطنه كان قيمته ما يخرج منها وفى الحديث من ترك ثوب جمال وهو قادر عليه ألبسه الله حلة الكرامة يوم القيامة (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع والمقصود من ذلك كله صرف الشواغل والشواغب التى تحجب عن الله سواء كانت من قبل اللباس أو الطعام أو غيرهما ولذلك عم الناظم فى البيت الذى بعد هذا حيث قال .

بين الصديق وحبيبه قال الشيخ زروق رضى الله عنه فى شرح الحزب الكبير وقد حارت العقول فى رموز الحكماء فكيف بالعلماء فكيف بالأنبياء فكيف بالمرسلين يطمع فى حقائق رب العالمين اه (وأما الإشارات) فيدركها أربابها من أهل الفن والناس فى إدراكها وعدمه على أقسام (فمنهم) من لا يفهم منها شيئاً ولا يعرف إلا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس (ومنهم) من يفهم المقصود ويجد الحق بعد الاشارة أى بعد سماع الاشارة وهم أهل البداية من السائرين (ومنهم) من يفهم الاشارة ويجد المشار اليه وهو الحق أقرب اليه من إشارته وهم أهل الفناء فى الذات قبل التمكين ولهذا تجدهم يتواجدون عند السماع ويتحركون وتطيب أوقاتهم وتهيم أرواحهم أكثر مما يتواجدون عند الذكر لأن الاشارة تهيج أكثر من العبارة بخلاف المتمكنين قد رسخت أقدامهم واطمأنت قلوبهم وتحقق وصولهم فاستغنوا عن الاشارة والمشير ولذلك قيل للجنيد مالك كنت تتحرك عند السماع وتتواجد واليوم لا نراك تتحرك بشىء قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اه وهذا هو العارف الذى لا اشارة له لفنائه فى وجود الحق وانطوائه فى مشهوده (أو تقول) لتحقق وصوله وتمكنه فى شهوده فصار المشير عين المشار اليه لفناء وجوده فى وجود محبوبه وانطواء ذات مشهوده (أو تقول) لزوال همه وثبوت علمه فتحققت الوحدة وامتحت الغيرة

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

فالأقداح أشباح والخمور أرواح (أو تقول) لذهاب حسه وانطماس رسمه فانكسرت الأوانى وسطت المعانى

وطاح مقامى فى الرواسم كلها   فلست أرى فى الوقت قرباً ولا بعداً
فنيت به عنى فبان به غيبى   فهذا ظهور الحق عند الفنا قصداً
أحاط بنا التعظيم من كل جانب   وعادت صفات الحق مما يلى العبدا

قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ان لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما تعجز عنه الأولياء وقال القطب الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه ونفعنا ببركاته (وشراب المحبة) مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال اه وأطلق المزج

ونظروا الحجاب فى البواطن   فوجدوه فى النفوس كامن
فعملوا على جهاد النفس   حتى أزالوا ما بها من لبس

(قلت) هذا الحجاب هو الذى كامن فى النفوس هو حب الهوى ومرجعه إلى حب السوى فمنه ما يكون متعلقاً بالظواهر كحب المال وتزيين الملابس والمآكل والمراكب والمناكح ومنه ما يكون متعلقاً بالبواطن كحب الخصوصيه وطلب الكرامة وحب المدح والثناء وحب الرياسة والظهور وما ينشأ عن ذلك من الحسد والكبر والغل والغش والغضب والقلق والحرص والطمع وغير ذلك من العيوب الباطنية فكل من جاهد نفسه فى التخلية من هذه المساوى والتحلية باضدادها من التواضع والخمول وسلامة الصدر وسخاوة النفس والحلم والتأنى والصبر والرضى والتسليم وغير ذلك من الأخلاق الحميدة زال عن نفسه حجاب النفس والتخليط واكتسى لباس الصفا والوفا فكان من المقربين الذين يشربون من عين التسنيم المختوم ويمزج لغيره من أهل اللبس والتخليط فمن صفا صفى له ومن خلط كدر عليه فمن شرب اليوم كاس محبة المولى صافيا من

على التبديل مناسبة للشراب وقال إمام الطريقة أبو قاسم الجنيد رضى الله عنه فى وصف العارف عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقه ناظر اليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هدايته وصفا شرابه من كأس وده تجلى له الجبار عن أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن سكت فمن الله وإن تحرق فبأذن الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله ومن الله وإلى الله اه فهذه صفات العارف الحقيق الراسخ المتمكن قد كل لسانه عن التعبير واستغنى عن الإشارة والمشير فاذا صدرت منه إشارة أو تعبير فانما ذلك لفيضان وجد أو هداية فقير وقد صدرت إشارات من المتمكنين فتحمل على هذا القصد كقول الشيخ أبي العباس رضى الله عنه

أعندك عن ليلى حديث محرر ... بايراده يحيي الرميم وينشر
فعهدى بها العهد القديم وأننى ... على كل حال فى هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورنى ... ولما يزر ما باله يتعذر
وهل بخلت حتى بطيف خيالها ... أم اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة الشمس تستضى ... وفى الشمس أبصار الورى يتحير
وما احتجبت إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

هكذا وجدت بخط الشيخ وكان كثيراً ما يتمثل بها قاله المصنف فى لطائف المنن فقول الشيخ ما العارف الخ أى ليس العارف الكامل وهو الراسخ المتمكن وأما السائر فيحتاج إلى الإشارة ويجد الحق أقرب اليه من الإشارة أو معها وهى إعادة له وقوته كالعبارة للمتوجهين وسيأتى العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل وقول من إذا أشار أى أشير له وقوله بل العارف من لا إشارة له أى لا يحتاج اليها فى نفسه وقد يشير لأجل غيره كما تقدم وإنما استغنى عن الإشارة لأن الإشارة والعبارة قوت الجائع وهو قد شبع واستغنى (أو تقول) لأن الإشارة تقتضى البينونة والفرق وهو مجموع فى فرقه ولذلك قال الشيخ أبو يزيد رضى الله عنه أبعدهم من الله أكثرهم إشارة اليه (وقال) ابن العريف فى محاسنه الاشارة نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة اه أى تصريح بعين علته وهى بعده وقاله الروذبادى الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه وفى الحقيقة الاشارة يصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق وقال الشبلى رضى الله عنه كل إشارة أشار بها

الهوى شرب عين التسنيم صافياً ومن مزج محبته اليوم بمحبة الهوى شرب مع العوام من السلسبيل ولا حظوة له عند الملك الجليل

(قال) أبو طالب المكى رضى الله عنه وأضر ما ابتلى به العبد فى دينه وأشد ما يحجبه ضعف يقينه لما وعد بالغيب أو توعد عليه قال وقوة اليقين أصل كل عمل صالح (وقد) أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجاهدة النفوس وتصفيتها بقوله عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه وهواه وقال أيضا عليه السلام ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وفى معناه قيل :

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته ... يوم الزحام ونار الحرب تشتعل
لكن من غض طرفاً أو ثنى قدما ... عن المحارم ذاك الفارس البطل

وفى الخبر جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعنى جهاد النفس (قال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه

والبينونة بدليل قوله حتى يشيروا إلى الحق بالحق وإنما نفى الطريق إلى ذلك لاستغناء الحق عن الإشارة والمشير والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بالإشارة إشارة القلب أو الفكرة إلى الوجود فإن القلب إذا أشار إلى الكون بأسره فنى وتلاشى ووجد الحق أقرب اليه إشارته لكونه كان فانياً قبل إشارته وهذا حال السائرين

(وأما) الواصل فلا يحتاج إلى إشارة لكونه قد تحقق فنائه وانطوى وجوده فى وجود محبوبه فلم يحتج إلى إشارة لتمكن حاله وتحقق مقامه والله تعالى أعلم (وسئل أبو سعيد بن الأعرابى عن الفناء قال هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق فى التعظيم اه (ولما) كان المطلوب من العبد القيام بوظائف العبودية ومعرفة عظمة الربوبية تشوقت القلوب إلى نيلها وطمعوا فى إدراكها ورجوا بلوغ أمالهم فيها فبين الشيخ علامة الرجاء الصادق من الكاذب فقال (الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية) قال بعض العلماء الرجاء تعلق القلب بمطموع يحصل فى المستقبل مع الأخذ فى العمل المحصل له وأقرب منه طمع يصحبه عمل فى سبب المطموع فيه لاجل تحصيله اه والأمنية اشتهاء وتمنى لا يصحبه عمل فان كان مع الحكم والجزم فهو تدبير وهو أتم قبحاً قاله الشيخ زروق.

(قلت) فمن رجا أن يدرك النعيم الحسى كالقصور والحور فعليه بالجد والطاعة والمسارعة إلى نوافل الخيرات وإلا كان رجاؤه حمقاً وغروراً وقد قال معروف الكرخى رضى الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقيل من زعم أن الرجاء مع الاصرار صحيح فكذلك فليزعم أن الربح مع الفقر ووقد النار من البحر صحيح ومن كان رجاؤه تحقيق العلوم وفتح مخازن الفهوم فعليه بالمدارسة والمطالعة ومجالسة أهل العلم المحققين العاملين مع تحليته بالتقوى والورع قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فإن فعل هذا كان طالباً صادقا وإلى ما رجا واصلا وإلا كان باطلا وبقى جاهلا وقد قال بعض المحققين من أعطى كليته فى العلم أخذ كليته ومن لم يعط كليته لم يأخذ بعضه ولا كليته (وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته ومن يتق الشر يوقه اه والذى تفيده التقوى إنما هو فهم يوافق الأصل ويشرح الصدور ويوسع المعقول ومن كان رجاؤه الوصول إلى إدراك المقامات وتحقيق المنزلات ومواجيد المحبين وأذواق العارفين فعليه بصحبة الفحول من الرجال أهل السر والحال بحط رأسه وذبح نفسه والأخذ فيما كافوه به من الأعمال مع الذل والافتقار الخضوع والانكسار فإن زعم أنه لم يجدهم فليصدق فى الطلب فسر الله كله صدق الطلب وليستغرق أوقاته فى ذكر الله وليلتزم

فى شأن النفس هى التى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها (و) فى الحكم لو كنت لا تصل اليه إلا بعد محو مساويك وترك دعاويك لا تصل اليه أبداً ولكن إذا أردت أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك بما منه اليك لا بما منك اليه ثم أشار لاختلاف الفرق فى المجاهدة فقال :

والقوم فى هذا على فرقتين   وحكمهم فيه على ضربين
ففرقة طريقهم مبنيه   على العقائد وحسن النيه
قالوا فإن النفس كالمرآت   ينطبع الماضى بها والآت
وإنما يعوقها أشياء   ترك المحاذاة أو الصداء
قالوا وإن العين قد تغور   وإنما يخرجها الحفير

قلت أشار إلى الناس فى الوصول إلى الله على فرقتين الفرقة الأولى نظروا إلى أصل الروح وما كانت عليه من الصفا

الصمت والعزلة وليحسن ظنه بالله وبعباد الله فان الله يقبض له من يأخذ بيده ، إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم (قال) فى القواعد قاعدة طلب الشىء من وجهه وقصده أقرب لتحصيله وقد ثبت أن حقائق علوم الصوفية منح إلهية ومواهب اختصاصية لاتنال بمعتاد الطب فلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاث :

(أولها) العمل بما علم قدر الاستطاعة

(والثانى) اللجاء إلى الله على قدر الهمة .

(الثالث) اطلاق النظر فى المعانى حال الرجوع لأصل السنة فيجرى الفهم وينتفى الخطأ وبتيسر الفتح وقد أشار الجنيد رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال إنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال أوكما قال (وفى الخبر) عنه عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف العلوم من غير أن يؤدى اليها عالم علماً اه فمن رجا أن يدرك هذه الأمور المتقدمة وشرع فى أسبابها وتحصيل مباديها كان علامة على نجح مطلبه وكان رجاؤه صادقاً ومن طمع فيها من غير أن يأخذ بالجد فى أسباب تحصيلها كان أمنية أى غرورا وحمقاً وكان الحسن رضى الله عنه يقول ياعباد الله اتقوا هذه الأمانى فانها أودية النوكى يحلون فيها فوالله ما أتى عبدا بأمنية خيرا فى الدنيا والآخرة اه والنوكى بفتح النون جمع أنوك وهو الأحمق .

(ولما) كان من رجا شيئاً وطمع فيه الغالب أنه يطلبه بين الشيخ خير ما يطلبه العبد ويرجوه فقال (مطلب العارفين من الله الصدق فى العبودية والقيام بالحقوق الربوبية) قلت المطلب مصدر بمعنى المفعول أو اسم مكان أى مطلوب العارفين ومقصودهم أو محل قصدهم ومحل نظرهم انما هو تحقق الصدق فى العبودية بحيث لا تبقى فيهم بقية اذ المكاتب عبد ما بقى عليه درهم فما دام العبد مسجونا بمحيطاته محصورا فى هيكل ذاته لاتنفك عنه الحظوظ اما دنيوية أو أخروية فلا تتحقق عبوديته لله وفيه عبودية لحظوظه وهواه فلا يكون صادقاً فى عبوديته وهو مملوك لحظ نفسه فاذا قال أنا عبدالله نازعته حظوظه وهواه فلا تتحقق عبوديته حتى يتحرر من رق الأكوان ويتحقق بمقام الأحرار من أهل العرفان فحينئذ يكون سالماً لله حرا مما سواه قال الله تعالى ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون أى متخاصمون ورجلا سلماً لرجل هل يستويان مثلا أى لا يستويان أبدا اذ العبد الخالص لسيد واحد يكون أحظى وأعز وأقرب من العبد المشترك وكذلك العبد الخالص لله أحظى بمحبة مولاه .

والجلاء كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل مايقابلها من الماضى والآتى لكن لما اتصلت بهذا البدن انطبع فيها صور الأكوان وغبش الحس فحجبت عن أصلها فانه عاقها عن أصلها أمران أحدهما ترك المحاذاة أى القرب والاتصال بالحضرة باشتغالها بالغفلة يعنى أن الروح لما تركت القرب إلى الله ولم تصرف وجهتها بالكلية اليه تدنست وحجبت عن أصلها فلو اشتغلت بذكر الله على الدوام وفنيت عن غيره على التمام لانصقلت مرآتها وتجلت فيها حقائق الأشياء ماضية وآتية (وفى الحديث) ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وان الإيمان يخلق أى يبلى كما يخلق الثوب الجديد (وفى حديث) آخر لكل شىء مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله وهذا الذكر الذى يصقل القلوب لابد أن يكون ذكرا واحدا بقلب واحد وهم إلا فلا يجدى شيئاً (الأمر الثانى) الذى يعوق الروح عن أصلها الصداء الذى ينطبع فيها وهى صور الاكوان التى تنطبع فى القلب حزن يتعلق بها اعتقاداً أو استناداً أو اهتماما (وفى) الحكم كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم

(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس أى خاب وخسر عبد الدينار والدرهم والخميصة إذا أعطى رضى وإذا لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش أى إذا أصابته شوكة فالله لا يخرجها منه بالنقش عليها وهو دعاء على من حظه هواه بالتنكيس وعدم الخروج مما يقع فيه وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه شتان بين من همه الحور والقصور وبين من همه الحضور ورفع الستور اه ولاجل هذا كان مطلب العارفين إنما هو التحقق بالعبودية لمولاهم بالتحرر من رق هواهم والقيام بوظائف الربوبية بالأدب والتعظيم والاجلال لمولاهم وهما متلازمان فمهما تحقق الصدق فى العبودية الاحصل القيام بوظائف الربوبية فان النفس إذا ماتت بترك حظوظها حييت الروح وإذا حييت الروح عرفت وإذا عرفت أذعنت وخضعت لهيبة الجلال وهذا هو القيام بحقوق الربوبية وهو مراد العارفين ومقصود السائرين ومحط نظر القاصدين والطالبين قيل لبعضهم ما مراد العارف قال مراده معروفه اه أى لا يريد الا ما أراد سيده ولا يتمنى الا ما يقضيه مولاه (وقيل) لبعضهم ما تشتهى قال ما يقضى الله فهذا يتحقق العارف فناؤه ويتحقق فنائه بقاؤه وأنشدوا

لو قيل ما تمنى والعبد يعطى مناه   لقلت منية قلبى فى بقاه

أى بقائه مع مولاه والله تعالى أعلم فاذا طلب العبد من مولاه ماهو طالبه منه من استقامة ظاهره بالنهوض إلى كمال الطاعات والحزن على ماسلف من الغفلات واستقامة باطنه بمعرفة معبوده والفناء فى شهوده فيكون ظاهره قائماً بوظائف العبودية وباطنه متحققاً بحقوق الربوبية ثم إذا أحس باجابة المطلب وحصول المنى والمرغب فرح قلبه وانبسطت روحه حيث شمت نسيم الاقبال وروح الوصال فربما يقبضها البسط عن شهود مولاها فيخرجها منه إلى القبض ثم برحلها عنهما اليه كما أشار الشيخ إلى ذلك بقوله (بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشىء دونه) قلت البسط فرح يعترى القلوب أو الأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجلى ذاته لهم بغير سبب والقبض حزن وضيق يعترى القلب إما بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب أو بغير سبب وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار فالعوام إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا وإذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الأحوال لأنهم بالله ولله لا لشىء سواه فالأولون ملكتهم

دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته (وقال) بعض الحكماء لا تطمع أن تصفو وبك عيب ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب (وقالوا) أيضاً ان الشر الذى منا كان فى النفوس هو كماء العيون إذا غفل عن تخميلها وتجريتها غار وتغطى بالتراب فلا يخرجه إلا الحفير عليه بالفؤس كذلك سر الحقيقة كان ظاهراً فى الارواح حين كانت طاهرة من دنس الحس أرأيت يوم الميثاق كما عرفت الحق وأقرت به فلما اتصلت بهذا القالب الحس الكثيف وتراكمت عليها ظلمة الغفلات والشهوات والعوائد وألفت هذا العالم الحسى وركنت اليه حجبت عن ذلك السر فلا يخرجه إلا الحفير عليه بفؤس المجاهدة والرياضة وانجماع القلب بالله والمؤانسة به ذكرا أو فكرة أو نظرة والاغار السر وغاب وذهب كالسراب (قيل) للجنيد كيف الطريق إلى الحقيقة قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة بقربها من الاجل وبعدها من الأمل فقيل له بماذا يصل إلى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد ثم بين كيفية العلاج فى ردها إلى أصلها فقال

واجمعوا أن علاج الأصل   أقرب للبر معا والنيل

الأحوال وخواص الخواص مالكون الأحوال فمن لطفه بك أيها السالك أخرجك من الاغيار ودفعك إلى حضرة الأسرار فإذا أخذك القبض وتمكن منك الخوف وسكنت تحت قهره وأنست بأمره أخرجك إلى البسط لئلا يحترق قلبك ويذوب جسمك فاذا حبسك البسط وفرحت به وأنست بجماله قبضك لئلا يتركك مع البسط فتنسى الأدب وتجر إلى العطب إذ لا يقف مع الادب فى البسط إلا القليل هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله فاذا شهدت أثر وصف الجلال انقبضت وإذا شهدت أثر وصف الجمال انبسطت ثم يفتح لك الباب ويرفع بينك الحجاب فتتنزه فى كمال الذات وشهود الصفات فتغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال فلا جلاله يحجبك عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحبسك عن صفاته ولا صفاته تحبسك عن ذاته تشهد جماله فى جلاله وجلاله فى جماله وتشهد ذاته فى صفاته وصفاته فى ذاته أخرجك عن شهود أثر الجلال والجمال لتكون عبد الله فى كل حال أخرجك عن شىء لتكون حرا من كل شىء وعبدا له فى كل شىء وأنشدوا :

حرام على من وحد الله ربه وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا
فياصاحبي قف بي على الحق وقفة أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدا

قال فارس رضى الله عنه القبض أولا ثم البسط ثانيا ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط لمعان فى الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا اه واعلم أن القبض والبسط لهما آداب فاذا أساء فيهما الأدب طرد إلى الباب أو إلى سياسة الدواب فمن آداب القبض الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجارى الأقدار والرجوع إلى الواحد القهار فان القبض شبيه الليل والبسط شبيه بالنهار ومن شان الليل الرقاد والهدو والسكون والحنو فاصبر أيها المريد واسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليك شموس نهار البسط إذ لابد لليل من تعاقب النهار ولابد للنهار من تعاقب الليل (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل هذا آداب القبض الذى لا تعرف له سببا (وأما) ان عرفت له سببا فارجع فيه إلى مسبب الأسباب ولذا بجانب الكريم الوهاب فهل عودك إلا حسنا وهل أسدى اليك إلا منا فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك لحسن الاختيار فالذى أنزل الداء هو الذى بيده الشفاء يا مهموم بنفسه لو ألقيتها إلى الله لا سترحت فما تجده القلوب من الأحزان

فما اليه أبدا نشير هو علاج النفس والتطهير

* قلت العلاج محاولة الداء بالدواء لتذهب العلة ولا ينجح فى الغالب إلا بعد معرفة العلة وسببها والمراد بالأصل هو علاج الروح والنيل هو التحصيل (يقول) رضى الله عنه أجمع الصوفية أن علاج الروح ونيل شفائها من مرضها أقرب من علاج البدن وشفاؤه إذا تمكن منه الداء قلت وهو كذلك بلا شك فلقد رأيت كثيرا من المرضى أعنى مرض البشرية يدفع أموالا عريضة ويحتمى أزمنة طويلة ولا تنقطع علته ولقد رأيت كثيرا ممن كان مريض الروح بالمعاصى والذنوب والشكوك والخواطر حين ألقاه الله إلى الطبيب شفاه الله فى أقرب مدة وأقل حمية (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وأصل كل داء جسمانى إنما هو فساد المزاج إلى أن يصير فعله وانفعاله على غير المجرى الطبيعى وأصل كل داء قلبى إنما هو فساد القصد الذى عنوانه الرضى عن النفس حتى يصير فعلها وانفعالها على غير المجرى الشرعى والتحقيقى بل على وفق الهوى والأوهام الباطلة التى شأنها ضعف اليقين ورقة الديانة وتفصيل ذلك يطول وسيأتى منه إن شاء الله تعالى فى باب التربية (و) قوله فما

فلأجل مامنعته من الشهود والعيان والحاصل أن سبب القبض إنما هو النظر للسوى والغفلة عن المولى وأما أهل الصفا فلا يشهدون إلا الصفا ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول من أصابه هم أو غم فليقل (الله الله لاأشرك به شيئاً)فان الله يذهب همه وغمه أوكما قال عليه السلام والحديث صحيح فانظر كيف دل عليه الصلاة والسلام المقبوض إلى الدواء وهو شهود التوحيدوالغيبة عن الشرك فدلنا صلى الله عليه وسلم على القول والمراد منه المعنى فكأنه قال اعرفوا الله وحده ينقلب قبضكم بسطاً ونقمتكم نعمة وكذلك فى حديث آخر قال ماقال أحد اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله همه وغمه وأبدل مكان همه فرحا وسروراً فدلهم أولا فى الحديث الأول على شهود الربوبية وفى الحديث الثانى على القيام بوظائف العبودية وهو الصبر والرضى إذ من شأن العبد أن يصبر على أحكام سيده ويسلم ويرضى لما يجريه عليه من أوصاف قهره (ومن) آداب البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصاً جارحة اللسان فان النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فربما تنطق بكلمة لاتأتى لها بالا فتسقط فى مهاوى القطيعة بسبب سوء أدبها ولذلك كان يبسط مزلة أقدام فاذا أحس المريد بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحلية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلتزم بيته فمثل الفقير فى حالة البسط والقوة كقدر غلى وفار فان تركه يغلى إهراق ادامه وبقى شاحتاً وان كفه وأخمد ناره بقى إدامه تاما كذلك الفقير فى حالة القوة والبسط يكون نوره قوياً وقلبه مجموعا فإذا تحرك وبطش وتتبع قوته برد ورجع لضعفه وما ذلك إلا لسوء أدبه والله تعالى أعلم ولأجل هذا كان العارفون يخافون من البسط أكثر من القبض كما نبه عليه بقوله (العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا) قلت كل من فتح عليه فى شهود المعانى فهو عارف فإن تمكن من شهود المعنى على الدوام فهو واصل متمكن وإلا فهو سائر وإنما كان العارف إذا انبسط أخوف منه إذا انقبض لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها ومن شأنه أيضاً السكون والسكون كله أدب ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها فربما تبطش لما فيه حظها فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة آدابها ولذلك قال (ولا يقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل) قلت وهم أهل الطمأنينة والتمكين لأنهم كالجبال الرواسى لايحركهم قبض ولا بسط فهم مالكون الأحوال لايخرجهم القبض

إليه أبداً نشير هو تصريح بعلاج الأصل المتقدم يعنى أن العلاج الذى نشير اليه علاج هو النفس من غفلاتها وشكوكها وخواطرها واهتمامها بالرزق وأمر الخلق وتدبيرها واختيارها وإنكارها وجهلها وسوء أدبها فإذا برئت من هذه الأمراض وتطهرت من هذه الأخلاق صلحت للحضرة ومتعت بالنظرة فى سرور ونضرة ثم ذكر استمرار هذه الطريقة إلى انقراض الدين فقال

وهذه طريقة الاشراق كانت وتبقى ما الوجود باقى

قلت ذكر أن هذه الطريقة التى ذكرها فى هذه الأبيات تسمى طريق الاشراق وتسمى أيضاً طريق الجلاء والتصفية لأنها مبنية على تصفية القلوب والسرائر بتخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل فإذا تخلت من الأغيار والأكدار أشرقت عليها شموس المعارف والاسرار فرغ قلبك من الأغيار تملاه بالمعارف والاسرار ثم ذكر أن هذه الطريقة لاتنقطع مادام الوجود باقياً لقوله عليه السلام لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون والتحقيق أن هذه الطائفة هى مؤلفة من العارفين بالله والعلماء العاملين الناصحين والمجاهدين فى سبيل رب العالمين فلا تخلو الأرض من قائم

ولا البسط عن حالة الاعتدال بخلاف السائرين وإن كانوا عارفين فانهم ربما تؤثر فيهم الواردات فيرد عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الأدب وقد قيل قف على البساط وإياك والانبساط وقال رجل لأبى محمد الحريرى رضى الله عنه كنت على بساط الأنس وفتح على طريق البساط فزللت زلة فحجبت عن مقامى فكيف السبيل اليه دلنى على الوصول إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال ياأخى الكل فى قهر هذه الخطه لكنى أنشد أبياتاً لبعضهم وأنشد يقول :

قف بالديار فهذه آثارهم   تبكى الأحبة حسرة وتشوقاً
كم قد وقفت بربعها مستخبراً   عن أهلها أو سائلا أو مشفقاً
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها   فارقت من تهوى فعز الملتقا

ثم علل عدم الوقوف على حدود الأدب فى البسط فقال (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لاحظ للنفس فيه) قلت لأن البسط جمال والقبض جلال ومن شأن الجمال أن يأتى بكل جمال وأين هو الجمال ثم هو عين الجلال أين هو حبيبك ثم هو عدوك أين الربح ثم هو الخسارة ومعنى ذلك أن الموضع الذى يلائم النفس ويليق بها ثم هو خسارة القلب وحجاب الروح لأن الموضع الذى تحيى به النفس يموت فيه القلب والموضع الذى تموت فيه النفس يحيى به القلب والروح ولذلك قال ابن الفارض رضى الله عنه

الموت فيه حياتى   وفى حياتى قتلى

وقال الششترى رضى الله عنه

إن ترد وصلنا فموتك شرط   لاينال الوصال من فيه فضله

وكتب يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله إلى الجنيد رضى الله عنه لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لاتذق بعدها خيراً أبداً اه وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه القبض حق الحق منك والبسط حظك منه ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك اه وهذا كله فى حق السائرين وأما الواصلون المتمكنون فلا يؤثر فيهم جلال ولا جمال ولا يحركهم قبض ولا بسط كما تقدم لأنهم بالله ولله ومن الله وإلى الله بالله تصرفهم ولله عبوديتهم ومن الله ورودهم وإلى الله صدورهم لأنهم لله لا لشىء دونه قال الجنيد رضى الله عنه الخوف يقبضنى والرجاء يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق

بحجة الله ظاهرة وباطنة (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فى قوله كانت وتبقى يعنى أنها لاترتفع أبداً لكنها تارة تجرى باصطلاح الخلوات والتربيات ونحوها وتارة بحفظ الأصول فقط وتارة بحفظ الحرمة وتارة بعلو الهمة وقوة الحزم والعزم وتارة بمجرد اللقى والالقاء وهذه الامور لا تزول أبد الآبدين غير أن الاصطلاح قد انقرض فى هذه الازمنة وارتفع انتاجه حسبما دلت عليه العلامات ويشهد به الاستقراء (قال) بعض مشايخنا رضى الله عنه ارتفعت التربية بالاصطلاح فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ولم تبق إلا الإفادة بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان يعنى الجادة مع التزام الصدق وبالله التوفيق (قلت) وبعض مشايخه الذى ذكر هو الحضرمى (وفيما) قاله نظر من وجهين أحدهما ان الاستقراء الذى ذكره متعذر فى جميع أقطار الارض وشيوخ التربية الغالب عليهم الخفاء لانهم كنوز لايظفر بهم إلا من أسعده الله (والثانى) أن دائرة الاولياء الله لاتنقطع أبداً من أقطاب وأبدال وأوتاد حسبما ذكره غير واحد وبلوغه إلى مقام القطبانية لا يكون من غير تربية ابدا (فان) قلت يكفى فيه الهمة و الحال قلنا لانسلم ذلك لان تربية الهمة والحال دون

يفرقنى إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى وإذا بسطنى بالرجاء ردنى على وإذا أجمعنى بالحقيقة أحضرنى وإذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فى كل ذلك محركى غير مسكنى وموحشى غير مؤنسى بحضورى لذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى اه قوله رضى الله عنه الخوف يقبضنى لأن العبد فى حالة الخوف يشهد مامنه إلى الله من الاساءة فينفتح له باب الحزن وفى حالة الرجاء يشهد مامن الله إليه من الإحسان فينفتح له باب الرجاء والبسط وقوله والحقيقة تجمعنى أن تغنينى عن نفسى وتجمعنى به فلا تشهد إلا مامن الله إلى الله فلا قبض ولا بسط وقوله والحق يفرقنى المراد بالحق الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض إليها إلا بشهود نوع من الفرق وإن كان نهوضه بالله وقوله إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى أى إذا تجلى لى باسمه الجليل ذاب جسمى من هيبة المتجلى وإذا بسطنى بالرجاء بان تجلى لى باسمه الجميل أو الرحيم رد نفسى ووجودى على وإذا جمعنى إليه بشهود الحقيقة أحضرنى معه بزوال وهمى وإذا فرقنى بالحق الذى أوجبه على للقيام بوظائف حكمته أشهدنى غيرى حتى يظهر الادب منى معه وقد يقوى الشهود فلا يشهد الادب إلامنه إليه

(وقوله) فغطانى عنه لأن العبد فى حالة النزول إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ قد يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم وسيأتى للمؤلف بل نزلوا فى ذلك بالله ومن الله وإلى الله فعلى هذا لاتغطية للعبد فى حالة النزول للحق أصلا :

(وقوله) فهو فى كل ذلك محركى غير مسكنى يعنى أن الحق تعالى حين يقبضه بالخوف أو يبسطه بالرجاء أو يجمعه بالحقيقة أو يفرقه بالحق هو محرك له ليسيره اليه ويحوشه اليه غير مسكن له فى مقام واحد وموحشه عن عالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالمه البشرية فيذوق طعم وجودها فإذا غيبه عنه عرف قدر مامن به عليه ولذلك قال فليته أفنانى عنى أى عن رؤية وجودى فمتعنى بشهوده أو غيبنى عن حسى فيروحنى من الحقوق التى تفرقنى عنه باسقاطها عنى فى حالة الغيبة وكأنه مال الى طلب السلامة خوفا من الوقوع فيما يجب الملامة وإن كان الكمال هو الجمع بين العبودية وشهود الربوبية والله تعالى أعلم

ثم ذكر أسباب القبض والبسط وهو العطاء والمنع فى الغالب فقال (ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك) قلت على النفس الأمارة واللوامة أن تنبسط بالعطاء وتنقبض بالمنع لأن فى العطاء متعتها وشهوتها فلا جرم أنها تنبسط بذلك وفى المنع قطع موادها وترك حظوظها ولا شك أنها تنقبض بذلك وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها فلو فهمت عن الله لعلمت أن المنع عين العطاء والعطاء عين المنع كما يأتى فافهم أيها الفقير عن مولاك ولا تتهمه فيما به أولاك فربما أعطاك ماتشتهيه النفوس فمنعك

اصطلاح المقال لايترقى صاحبها من مقام إلى مقام ولا من حال إلى حال فلا يخرج من السلوك إلى الفناء ولا من الفناء إلى البقاء إلا بتربية المقال وهى الاصطلاح وإن أراد بالاصطلاح الخلوة وترتيب الاوراد فلا نسلم أيضاً أنه انقطع إذ من بلغ إلى درجة التربية يربى كيف شاء فمن تصلح به الخلوة رباه بها ومن تصلح به الخالطة رباه بها فشيخ التربية لاينقطع أبداً تربية الهمة والحال والمقال والاصطلاح وإذا كان الحضرمى تكلم على ماظهر له فى زمانه فلا يلزم عمومه فيما بعده قال الله تعالى ويخلق مالا تعلمون (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه فى قوله تعالى ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (قال) ماذهب ولى نأت بخير منه أو مثله وكلامه عام فى زمان وعصر وقال عليه السلام أمتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره وقال خير أمتى أولها وآخرها وفيما بينهما الكدر وفى حديث آخر قال عليه السلام لأصحابه الكرام إذا لقيتم إخوانى فاقرؤهم منى السلام قيل من اخوانك يارسول الله نحن اخوانك فقال أنتم أنصارى وأصحابى أخوانى قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى للعامل منهم أجر سبعين قالوا يارسول الله أجر سبعين منهم قالوا بل أجر سبعين منكم

بذلك حضرة القدوس وربما منعك ماتشتهيه نفسك فيتم بذلك حضور وأنسك ربما أعطاك متعة الدنيا وزهرتها فمنعك جمال الحضرة وبهجتها وربما منك زينة الدنيا وبهجتها فأعطاك شهود الحضرة ونظرتها ربما أعطاك قوت الاشباح فمنعك قوت الارواح وربما منعك من قوت الاشباح فمنعك بقوت الارواح (ربما) أعطاك إقبال الخلق فمنعك من إقبال الحق وربما منعك من إقبال الخلق فأعطاك الأنس بالملك الحق (ربما) أعطاك العلوم وفتح لك مخازن الفهوم فحجبك بذلك عن شهود المعلوم ومعرفة الحي القيوم وربما منعك من كثرة العلوم وأعطاك الانس بالحي القيوم فأحطت بكل مجهول ومعلوم (ربما) أعطاك عز الدنيا ومنعك عز الآخرة وربما منعك من عز الدنيا وأعطاك عز الآخرة (ربما) أعطاك التعزز بالخلق ومنعك من التعزز بالحق وربما منعك من التعزز بالخلق وأعطاك التعزز بالملك الحق (ربما) أعطاك خدمة الكون فمنعك من شهود المكون وربما منعك من خدمة الكون وأعطاك شهود المكون (ربما) أعطاك التصرف فى الملك ومنعك دخول الملكوت وربما منعك من التصرف فى الملك ومنحك شهود الملكوت (ربما) أعطاك أنوار الملكوت ومنعك الترقى إلى بحر الجبروت وربما حجب عنك أنوار الملكوت فأعطاك الدخول إلى حضرة الجبروت (ربما) أعطاك القطبانية ومنعك التمتع بشهود الفردانية وربما منعك القطبانية ومنعك بشهود سر الوحدانية إلى غير ذلك مما لا يحصيه إلا علام الغيوب قال ابن العربي الحاتمي رضى الله عنه إذا منعت فذلك عطاؤه وإذا أعطيت فذاك منعه فاختر الترك على الأخذ اهـ وشاهده قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم الآية فاذا فهمت هذا علمت أن المنع هو العطاء كما بينه بقوله (متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع هو عين العطاء)

قلت إذا فهمت أيها العبد عن الله بعد تحققك برحمته ورأفته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته وإحاطة علمه علمت أنك إذا سألته شيئاً وهممت بشيء أو احتجبت إلى شيء فمنعك منه فانما منعك ذلك رحمة ربك وإحساناً اليك إذ لم يمنعك من بخل ولا عجز ولا جهل ولا غفلة وإنما ذلك حسن نظر اليك وإتمام لنعمته عليك لكونه أتم نظر وأحمد عاقبة فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون فربما دبرنا أمراً ظننا أنه لنا فكان علينا وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد وربما كمنت المنن فى المحن والمحن فى المنن وربما انتفعنا على أيدى الأعداء وأوذينا على أيدى الاحباء (وربما) تأتى المسار من حيث المضار وقد تأتى المضار من حيث المسار ولأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى حزبه (اللهم) أنا قد عجزنا عن دفع الضر عنا

قيل لماذا يارسول الله قال أنكم وجدتم على الخير أعواناً وهم لايجدون عليه أعواناً والحاصل أن نور النبوة فى الزيادة لافى النقصان وقد وجد بعد الحضرمى وفى زمانه رجال اتفق الناس على تربيتهم كالغزوانى والتلدى والهبطى والمجذوب والشرقى (وسيدى يوسف) الفاسى وسيدى عبد الرحمن الفاسى وسيدى محمد بن عبد الله وغيرهم ممن لاتحصى فانكار كمال هؤلاء وتربيتهم مكابرة وخذلان والعياذ بالله من الطعن فى أولياء الله وقد أدركنا والحمد لله فى زماننا هذا رجالا قد توفر فيهم شروط التربية على الكمال ذوو همة وحال مقال عارفين راسخين كاملين تخرج على أيديهم خلق كثير وانتفع بهم جم غفير ولكن من كان خفاشاً لا يستطيع أن يبصر شعاع النور ويرحم الله البوصيرى حيث قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

(وقال آخر)

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها ... فقال له الحرمان حسبك مافات

ثم ذكر الطريق الثانية فقال .

أنفسنا من حيث نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لانعلم بما لا نعلم فتى فتح لك أيها المريد باب الفهم عنه فى المنع وعلمت مافيه من الشر والخير وحسن النظر لك عاد المنع فى حقك هو عين العلماء (ومثال ذلك) كصبي رأى طعاما حسنا أو حلواء أو عسلا وفيه سم وأبوه عالم بما فيه فكلما بطش الصبي لذلك الطعام رده أبوه فالصبي يبكى عليه لعدم علمه وأبوه يرده بالقهر لوجود علمه فلو عقل الصبي مافيه ما بطش اليه ولعلم نصح أبيه وشدة رأفته به ومثال آخر كرجل صنع طعاما جيدا وعمل فيه بصاقا ومخاطا أو قذرا وأتى به لمن يعرفه فكل من رآه ولم يعرف مافيه بطشت نفسه اليه فلو علم ما فيه ما بطشت نفسه فاذا نهاه عنه من علم ما فيه اتهمه لعدم فهمه كذلك العبد يبطش للدنيا أو الرياسة أو غير ذلك مما فيه ضرره فيمنعه الحق تعالى منه رحمة وشفقة عليه واعتناء به فاذا فهم عن الله سلم الأمر إلى مولاه ولم يتهمه فيما أبرمه وقضاه وإذا لم يفهم عن الله تحسر وربما سخط فإذا انكشف له سر ذلك بعد علم ما كان فى ذلك من الخير لكن فاتته درجة الصبر لقوله عليه السلام انما الصبر عند الصدمة الأولى وانظر قضية الرجل الذى كان يسكن فى البادية وكان من العارفين فاتفق له ذات يوم أن مات حماره وكلبه وديكه فأتى اليه أهله فقالوا له حين مات الحمار مات حمارنا فقال خير ثم قالوا مات الكلب فقال خير ثم قالوا له مات الديك فقال خير فغضب أهل الدار وقالوا أى خير فى هذا متاعنا ذهب ونحن ننظر فاتفق أن بعض العرب ضربوا على ذلك الحى فى تلك الليلة فاحتاجوا كل مافيه وكانوا يستدلون على الخيام بنهيق الحمار ونباح الكلاب وصراخ الديكة فأصبحت خيمته سالمة اذلم يكن بقى من يفضحها فانظر كيف كان حسن نظر الحق لاوليائه وحسن تدبيره لهم وكيف فهم الرجل العارف مافى ذلك من السر فى أول مرة فهذا هو الفهم عن الله رزقنا الله من ذلك الحظ الاوفر آمين (قال) الشبلى الصوفية أطفال فى حجر الحق تعالى اه يعنى انه يتولى حفظهم وتدبيرهم على مافيه صلاحهم ولا يكلهم إلى أنفسهم والله تعالى أعلم وسبب عدم الفهم عن الله هو الوقوف مع ظواهر الأشياء دون النظر إلى بواطنها كما بان ذلك بقوله (الاكوان ظاهرة غرة وباطنها عبرة) قلت الغرة بكسر الغين وقوع الغرور وإنما كانت الاكوان ظاهرها غرة لوجهين أحدهما ماجعل الله سبحانه على ظاهر حسها من البهجة وحسن المنظر وماتشتهيه النفوس من أنواع المآكل والمشارب والملابس والمراكب وشهوة الناكح والمساكن والبساتين والرياضات وكثرة الأموال والبنين وكثرة الاصحاب والعشائر والاجناد والعساكر وغير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها فانكب جل الناس على الإشتغال بجمعها وتحصيلها والجرى

وفرقة قالت بأن العلما من خارج بالاكتساب اسما
وشرطوا العلوم فى اصطلاحه إذ لا غنى للباب عن مفتاحه
فليس للطامع فيه مطمع ما لم تكن فيه علوم أربع
وهى علوم الذات والصفا والفقه والحديث والحالات
وهذه طريقة البرهان وهى لكل حازم يقظان

(قلت) حاصل هذه الطريقة إنها شرطت اصلاح الظاهر أولا وعلاجه قبل علاج الباطن فقالت ان كتساب العلم من خارج أسمى أعم أرفع وأعظم لأنه دواء وشفاء للعلل الظاهرة لقوله عليه السلام العلم امام والعمل تابعه وأول الحديث (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فإن تعلمه خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الانيس فى الوحشة والصاحب فى

عليها الليل والنهار والشهور والأعوام حتى هجم عليهم هاذم اللذات فأعقبهم الندم والحسرات ولم ينفع الندم وقد جف القلم سافروا بلا زاد، وقدموا على الملك بلا تأهب ولا استعداد، فاستوجبوا من الله الطرد والبعاد ولأجل هذا حذر الله سبحانه وتعالى من غرورها وزخرفها والوقوف مع ظاهرها قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ثم قال قل أأنبؤكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد وقال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا أى لنختبرهم أيهم أزهد فيها وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم أى أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه .

(وسئل) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فقال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم وتركوا منها ماعلموا أن سيتركهم فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه خلقت الدنيا فى قلوبهم فلم يجددوها وخربت بنيانهم فما يعمرونها وماتت فى صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها ليشتروا بها ما يبقى لهم ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المثلات فما يرون أمانا دون مايرجون ولاخوفا دون مايحذرون اه وقال على كرم الله وجهه فيما كتبه إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة مايصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه اه فقد جعل الحق سبحانه هذه الأكوان وهى الدنيا وما اشتملت عليه ظاهرها فتنة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان مغرورا ومن نفذ إلى باطنها كان عندالله مبرورا فأهل الغفلة والبطالة وقفوا مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها فغرتهم بزخرفها وخدعتهم بغرورها حتى أخذتهم بغتة وأهل اليقظة والحزم نفذوا إلى باطنها فعرفوا سرعة ذهابها وقلة بقائها فاشتغلوا بجمع الزاد وتأهبوا ليوم المعاد أولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وكان السلف الصالح إذا أقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبته وإذا أقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين (الوجه) الثانى إنما جعل الله سبحانه الأكوان ظاهرها غرة تغطية لسره وإظهارا لحكمته وذلك أن الحق سبحانه لما تجلى فى مظاهر خلقه غطى سره بظهور حكمته (أو تقول) الاكوان ظاهرها ظلمة وباطنها نور فمن وقف مع الظلمة كان محجوبا

الغربة والمحدث فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقص آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتهم تمسحهم يستغفر لهم كل رطيب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة والتفكر فيه بعد الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه ذكره المنذرى (فشرطت) هذه الفرقة الثانيه تحصيل العلم الظاهر لأنه مفتاح العلم الباطن لأن الشريعة باب والحقيقة بيت ولا مدخل للبيت الا من بابه قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها فعلم الشريعة مفتاح لعلم الحقيقة ومن أتى الباب بلا مفتاح لايطمع فى دخوله فلا يطمع أحد فى علم الحقيقة والاطلاع على السر الا بعد تحصيل أربعة علوم علم الذات العالية ويكفيه أن يعتقد فيها إنها موجودة قديمة باقية منزهة عن النقائص متصفة بصفات الكمالات (وعلم) الصفات ويكفيه أن يعتقد أن الذات العالية متصفة بالقدرة

ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفا محبوباً (أو تقول) الأكوان ظاهرها حس وباطنها معنى فمن وقف مع الحس كان جاهلا ومن نفذ إلى المعنى كان عارفا (أو تقول) الأكوان ظاهرها ملك وباطنها ملكوت فمن وقف مع الملك كان من عوام أهل اليمين ومن نفذ إلى شهود الملكوت كان من خواص المقربين وقد أشرت إلى ذلك فى قصيدتى التائيه حيث قلت :

إذا حبست نفس فى سجن الهوى الذى ... تقيد به العقل فى قهر قبضة
واشغلها علم الصوان لحكمه ... فلم تر إلا الكون فى كل وجهة
فذلك عين الملك وهم ثبوته ... وناظره محجوب فى سجن ظلمة
وإن نفذت روح المقدس سره ... إلى درك الحق فاض بقدرة
فذا ملكوت الله يسمى لوسعه ... وعارفه يحظى بفتح بصيرة

والله تعالى أعلم ثم بين الشيخ الواقف مع الظواهر والنافذ الى البواطن فقال (فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها) قلت إنما كانت النفس تنظر عبرتها إلى ظاهر غرتها لما فيها من متعة شهوتها وحظوظها فلا يخرجها عن ذلك إلا شوق مقلق أو خوف مزعج أوعناية ربانية اما بواسطة شيخ كامل له اكسير يقلب به الأعيان أو بغير واسطة والله ذو الفضل العظيم وانما كان القلب ينظر الى باطن عبرتها لما فيه من نور العرفان الذى يفرق بين الحق والباطل ويميز بين النافع والضار وهو ثمرة التقوى والتصفية .

(أو تقول) لما فيه من عين البصيرة التى لاترى إلا المعانى بخلاف عين البصر لاترى إلا الحس فتحصل أن أهل النفوس وقفوا مع ظواهر الأشياء واغتروا بعاجلها ولم يهتموا بآجلها فحجبوا عن العمل وغرهم الأمانى وطول الأمل وفى مثلهم ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام كان يقول ويلكم علماء السوء مثلكم كمثل قناة حش ظاهرها وباطنها نتن اه والحش هو بيت الخلاء وأهل القلوب لم يقفوا مع ظواهر الأشياء بل نفذوا إلى بواطنها واهتموا بآجلها ولم يغتروا بعاجلها فاشتغلوا بالجد والاجتهاد وأخذوا فى الأهبة والاستعداد وهم العباد والزهاد وأهل الأرواح والأسرار لم يقفوا مع الأكوان لاظاهرها العاجل ولا باطنها الآجل بل نفذوا إلى نور الملكوت فاشتغلوا بتطهير القلوب والتأهب لحضرة علام الغيوب حتى صلحوا للحضرة وتنزهوا فى رياض الفكرة والنظرة ، أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون أولئك المقربون فى جنات النعيم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وهؤلاء ومن تعلق بهم هم الأعزاء عند الله تعززوا بطاعة

والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وإن زاد براهينها من الكتاب والسنة فهو كال وان أسعده الله بلقاء شيخ كامل رقاه الى علم الأذواق وصار توحيده فى معد الشهود والعيان (العلم) الثالث علم الفقه ويكفيه ما يتقن به طاعته وصلاته وصيامه وان كان له مال تعلم ما يجب عليه فيه ولا يقدم على مأمر حتى يعلم حكم الله فيه (العلم) الرابع علم الأحوال والمقامات والمنازلات ومخادع النفوس ومكايدها وما يجرى مجرى ذلك من آداب ومعاملات وهذا هو الذى يختص به أهل هذا الفن والناس فيه طريقان طريق رؤية الحق من أول قدم العمل على ذلك بالانحياش اليه وهو طريق الشاذلية ومن نحا نحوهم وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهى طريق الغزالى ومن جرى مجراه وكل منهما مستنده لحديث أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فتمسكت الشاذلية بصدر الحديث والغزالية بآخره (و) قوله فهذه طريقة البرهان يعنى أن هذه الطريقة تسمى طريقة البرهان لأنه طريقة الترقية لأنها أو لا تستدل بالأثر على المؤثر ثم ترتقى الى معرفة العيان بخلاف الطريقة الأولى انما اشتغلت بتصفية الروح فاذا تصفت وتطهرت زال عنها الحجاب (قلت) وطريق

العزيز فعزهم العزيز كما أشار إلى ذلك بقوله (إن أردت أن يكون لك عز لايفنى فلا تستعزز بعز يفنى) قلت العز الذى لا يفنى هو العز بالله والغنى بطاعة الله أو بالقرب بمن تحقق عزه بالله فالعز بالله يكون بتعظيمه وإجلاله وهيبته ومحبته ومعرفته وحسن الأدب معه فى كل شىء وعلى كل حال ويكون بالرضى بأحكامه والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه وبالحياء والخوف منه ويكون بالذل والانكسار كما قال الشاعر :

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة ... فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ... ذليلا له فاقر السلام على الوصل

وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه والله مارأيت العز إلا في الذل وقال شيخ شيخنا مولاى العربى وأنا أقول والله ما رأيت الذل إلا فى الفقر يعنى أن الشيخ فسر الذل بالفقر إذ لا يتحقق ذل الإنسان إلا بالفقر فهو ذل الذل لأن النفس تموت بالفقر ولا يبقى لها عرق أصلا والله أعلم (وأما) العز بطاعة الله فهو بالمبادرة لامتثال أمره واجتناب نهيه والإكثار من ذكره وبذل المجهود فى تحصيل بره (وأما) العز بالقرب بمن تحقق عزه بالله فيكون بصحبتهم وتعظيمهم وخدمتهم وحسن الأدب معهم وهذا فى التحقق يرجع إلى التعزز بالله لكونه وسيلة اليه فاذا تحقق عزه بالله استغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل هذا العز وتحقق به فقد تعزز بعز لايفنى أبداً ينسحب عليه وعلى أولاده وأولاد أولاده إلى يوم القيامة قال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً وقال تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون والمراد بالذين آمنوا هم الأولياء أهل الإيمان الكامل وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون وقال سيدنا على كرم الله وجهه من أراد الغنى بغير مال والكثر بغير عشيرة فلينتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة اه فمن تحقق عزه بالله لم يقدر أحد أن يذله (وانظر) قضية الرجل الذى أمر هارون الرشيد بالمعروف فحنق عليه فقال اربطوه مع بغلة سيئة الخلق لتقتله فلم تقض فيه شيئاً ثم قال اسجنوه وطينوا عليه البيت ففعلوا فرؤى فى بستان فأتى به فقال له من أخرجك من السجن فقال الذى أدخلنى البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذى أخرجنى من السجن فعلم هارون أنه لم يقدر على ذله فأمر هارون أن يركب على دابة وينادى عليه ألا ان هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر اه (وأما) التعزز بالعز الذى يفنى فهو التعزز بالمخلوق كتعزز ملوك الجور

الشاذلية الحقيقة من تأملها وجدها جمعت بين الطريقين طريق الإشراق وطريق البرهان لأن أشياخها الكمل يدلون أولا على إتقان الشريعة والفناء فى العمل بها ثم على إتقان علم الطريقة على الحقيقة (قلت) وأنا عبد الله كنت إذا لقنت أحداً الورد علمته مايلزمه من إتقان طهارته الصغرى والكبرى وعلمته التيمم وإتقان الصلاة واذا كان أميا علمته مايلزمه من عقائد التوحيد إجمالا فأصحابنا كلهم والحمد لله على بصيرة فى دينهم مع مازادهم الله تعالى من التنوير والأذواق وهى طريق الإرشاد فأصغرهم يناظر نجباء طلبة العلم الظاهر حسبما استقريناه من أحوالهم وما أطلعنا عليه من أسرارهم والحمد لله رب العالمين .

(قوله) وهى لكل حازم يقظان يعنى أن هذه الطريقة التى جمعت بين العلم الظاهر والباطن لكل حازم مشمر فى تحصيل دينه يقظان أى منتبه من غفلاته قد أتى البيت من بابه وحصل الأمر بشروطه وأسبابه فليس لأحد فيه مطعن ولا لاخلال له فيه مدخل لكن لايدرك هذه الطريقة على الكمال إلا فحول الرجال وبالله التوفيق ثم وصف الصوفى وحاله وشأنه فقال :

ومن انتسب إليهم بكثرة الاتباع والاجناد وبالعصى والقهر وكالتعزز بالأموال والجاه فى غير محله والرياسة وغير ذلك مما ينقطع ويبيد فمن تعزز بهذا مات عزه واتصل ذله فان التعزز بالمخلوق قطعاً يعقبه الذل عاجلا وآجلا (وانظر) قضية الرجل الذى تكبر فى الحرم فصار بعد ذلك يتكفف الناس وقال انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع ترتفع فيه الناس ذكر القضيتين فى التنبيه ويقال لمن تعزز بالمخلوق أنظر إلى إلهك الذى ظللت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ودخل عارف على رجل يبكى فقال له ومايبكيك فقال له مات أستاذى فقال له ولم جعلت أستاذك من يموت فنبهه على رفع همته وإنفاذ بصيرته وقد مات شيخه قبل أن يرشد والله تعالى أعلم فان أردت أيها المريد أن يكون لك عز لايفنى فاستعز بالله وبطاعة الله وبالقرب من أولياء الله ولا تستعزن بعز مخلوق يفنى فان من تعزز بمن يموت مات عزه قال الله تعالى أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً وقال أبو العباس المرسى رضى الله عنه والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق

(تنبيه وإرشاد) اعلم أن سبب العز الذى يعطيه الله لأوليائه هو حبه لهم فالعز نتيجة الحب ففى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله عبداً نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السموات ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبوه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض فيحبه أهل الأرض وفى رواية يلقى له القبول فى الماء فيشرب به الناس فيحبونه جميعا أو كما قال عليه السلام وسبب حب الله للعبد هو زهده فى الدنيا ففى حديث الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما أيدى الناس يحبك الناس ثم اعلم أن هذا العز الذى يعطيه الله لأوليائه لايكون فى بدايتهم ولا فى أول أمرهم لئلا يفتنهم الخلق عن الوصول إلى الحق بل من لطف الله بهم واغارته عليهم أن ينفر الخلق أو يسلط عليهم حتى يتخلصوا من رق الأشياء ويتحققوا بالوصول والتمكين فحينئذ ان شاء أظهر عزهم لينفع بهم عباده ويهدى بهم من شاء من خلقه وان شاء أخفاهم واستأثر بعزهم حتى يقدموا عليه فينشر عزهم ويظهر مكانتهم فى دار لافناء لها وسيأتى الكلام على هذا فى محله ان شاء الله ثم ذكر الشيخ سبب العز الذى لايفنى وهو الزهد فى الدنيا كما ذكرنا فقال (الطى الحقيقى أن يطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) قلت الطى هو اللف والضم بحيث يصير الطويل قصيراً والكبير صغيراً يقال طويت الثوب أى ضممته وينقسم عند الصوفية إلى أربعة أقسام طى الزمان وطى المكان وطى الدنيا وطى النفوس فأما طى الزمان

ونسبوا الصوفى للكمال وضربوا معناه فى المثال
فهو كالهواء فى العلو ثم كمثل الأرض فى الدنو
ثم كمثل النار فى الضياء ثم كمثل الماء فى الارواء
فهو إذا للكائنات حاصر إذ صار فى معناه كالعناصر

قلت لاشك أن الصوفى المحقق قد حاز مراتب الكمال على التمام فما من مرتبة إلا حاز أكملها وأشرفها فأخذ من مقام الإسلام كمال التقوى والاستقامة على التمام وأخذ من مقام الإيمان تمام الطمأنينة وكمال الايقان وأخذ من مقام الاحسان أعلى المراتب وهى الشهود والعيان (وقد) قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان وأخذ أهل الظاهر من الأعمال أعمال الجوارح الظاهرة وأخذ الصوفى أعمال القلوب الباطنة والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح كما قاله الشيخ ابن عباد وغيره (و) فى الحديث تفكر ساعة خير من عبادة

فهو أن يقصر فى موضع ويطول فى موضع آخر كمن مر عليه سنون فى موضع وفى موضع آخر ساعة أو يوم كالرجل الذى خرج يغتسل فى الفرات يوم الجمعة قرب الزوال فلما فرغ من غسله لم يجد ثيابه فسلك طريقاً حتى دخل مصر فتزوج فيها وولد له أولاد وبقى سبع سنين ثم ذهب يغتسل يوم الجمعة بنيل مصر فلما فرغ فاذا ثيابه الأولى فسلك طريقاً فاذا هو ببغداد قبل صلاة الجمعة من ذلك اليوم الذى خرج فيه والحكاية مطولة للفرغانى فى شرح التائية .

(وأما) طى المكان فمثاله أن يكون بمكة مثلا فاذا هو بغيرها من البلدان وهذا مشهور لأولياء الله قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه والله ماصار الأولياء من قاف إلى قاف حتى يلقوا رجلا مثلنا فاذا لاقوه كان بغيتهم .

(وأما) طى الدنيا فهو أن تطوى عنك مسافتها بالزهد فيها والغيبة عنها وحصول اليقين التام فى قلبك حتى يكون الآتى عندك واقعاً أو كالواقع وسيأتى للشيخ لو أشرق نور اليقين فى قلبك لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل اليها ولرأيت الدنيا وكسفة الفناء ظاهرة عليها وسيأتى تتمة الكلام على هذه الحكمة ثم إن شاء الله .

(وأما) طى النفوس فهو بالغيبة فى الله عنها ولذلك يتحقق الزوال وتمام الوصال وقد ذكره الشيخ بقوله فيما يأتى ليس الشأن أن تطوى لك الأرض فاذا أنت بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن أن تطوى عنك أوصاف نفسك فاذا أنت عند ربك اه وهذا هو الطى الحقيقى المعتبر عند المحققين لاطى الزمان أو المكان إذ قد يكون استدراجا أو مكراً أو تخيلا وسحراً فالطى الحقيقى هو أن تطوى عنك مسافة الدنيا كلها حتى يكون الموت أقرب اليك من نفسك التى بين جنبيك وكما قال الصديق رضى الله عنه .

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وحتى ترحل عنها بالكلية فلا تبقى فيك منها بقية هنالك ترحل إلى عالم الملكوت وتكشف لك أسرار الجبروت وقد قيل فى قوله عليه السلام الدنيا خطوة مؤمن بمعنى أنه يتخطاها بالزهد فيها وقال بعضهم لاتتعجبوا ممن يدخل يده فى جيبه فيخرج مايريد ولكن تعجبوا ممن يضع يده فى جيبه ولم يجد شيئاً ولم يتغير (وقيل) لأبى محمد المرتعش أن فلانا يمشى على الماء قال عندى من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء وفى الهواء اه ومخالفة الهوى إنما تكون بالزهد فى كل شىء والغيبة عن كل شىء وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول لاتفرحوا للفقير إذا رأيتموه يصلى كثيراً أو يذكر كثيراً أو يصوم كثيراً أو يعتزل كثيراً حتى تروه زهد فى الدنيا ورحل عنها ولم يبق له التفات اليها فحينئذ يفرح

سبعين سنة وعبادة القلوب هى الفكرة والنظرة والرضى بما يبرز من عنصر القدرة فعبادة العارفين كلها مضعفة إما بسبعين أو بألف أو بأكثر ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقاتنا كلها ليلة القدر يعنى كلها خير من ألف شهر من عبادة العامة وفى ذلك قال الشاعر :

كل وقت من حبيبى قدره كألف حجة

أى سنة (وفى الحكم) ماقل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ركعتان من عالم زاهد خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً وهذه المراتب موجودة فى الصوفى الكامل على التمام (وقد) ضربوا له المثال بالعناصر الأربعة التى قامت بها الموجودات الحسية باعتبار العادة وهى الهواء والثرى أى التراب والماء والنار وتسمى الطبائع الأربعة وقد نظمها ابن سينا الحكيم فقال :

وقول بقراط بها صحيح نار وماء وثرى وريح

به ولو قلت صلاته وصيامه وذكره وعزلته (قلت) ومثل هذا تقدم فى قوله ماقل عمل برز من قلب زاهد وكذلك قال فى التنوير لا تدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على ورده وانما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحلية بحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال اه فما قاله شيخ شيخنا صحيح لكن لا يفهمه الا أهل الفن من اهل الذوق إذ لا تجتمع مجاهدة ومشاهدة وانما تكون المجاهدة أولا فاذا حصلت المشاهدة فى الباطن ركدت الجوارح فى الظاهر وما بقى إلا فكرة أو نظرة والادب مع الحضرة وربما يعترض على الشيخ من لم يعرف مقصوده من جهلة علم الطريق وبالله التوفيق وانما يتحقق طى مسافة الدنيا بتحقق الزهد فيها ولا يتحقق الزهد فيها إلا برفع الهمة عن الخلق والتعلق بالملك الحق وبالاياس مما فى أيدى الناس كما أبان ذلك بقوله (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) قلت إنما كان العطاء من الخلق حرمانا لثلاثة أوجه (أحدها) ما فى ذلك من حظها وفرحها والتوصل إلى شهواتها وحظوظها وفى ذلك موت القلب وقسوته (الوجه) الثانى ما فى ذلك من نقص الدرجات والغض عن كمال المراتب والمقامات ولذلك ترك الاكابر التمتع بالشهوات لقوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وقد يتعرض المريد للسؤال لأجل موت نفسه وحياة روحه فاذا كثر عليه العطاء من الخلق فرحت النفس وأنست فلا تموت به سريعا بخلاف ما إذا واجهه المنع فانها تموت سريعا إذ لا حظ لها فيه فالجهاد الذى لا غنيمة فيه أعظم من الجهاد الذى فيه الغنيمة (فقد ورد) فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال إذا خرجت طائفة للغزو فجاهدوا وغنموا فقد تعجلوا الثلثى أجرهم وإذا لم يغنموا رجعوا بأجرهم كاملا أو كما قال صلى الله عليه وسلم (الوجه) الثالث ما فى ذلك من الركون اليهم وميل القلب بالمحبة لهم إذ النفس مجبولة على حب من أحسن اليها فتسترق لهم وتكون أسيرة فى أيديهم (وفى وصية) سيدنا على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما وعد نعمة غيره عليك مغرما وأنشد رضى الله عنه:

لعمرك من أوليته منك نعمة ... ومد لها كفا فأنت أميره
ومن كنت محتاجاً اليـــه فانه ... أميرك تحقيقاً وأنت أسيره
ومن كنت عنه ذا غنى وهو مالك ... أزمة أهل الدهر أنت نظيره
فعش قانعاً ان القناعة للفتى ... غناء وهـذا مقتضى ما أشيره

وأراد بالريح الهواء فالصوفى قد اجتمعت فيه العناصر الاربعة فهو كالهواء فى رفع الهمة وعلو القدر وأيضاً الهواء حار رطب فهو معتدل محيط بالابدان به يقع كمالها ونقصها والصوفى معتدل فى حركاته من غير أفراط ولا تفريط بل متوسط فى كل شىء وخير الامور أوسطها وبحسب هذا جميع الوجود يأنس به ويرجع اليه ويقع له منه الفعل والانفعال باذن الله سبحانه مع ارتفاعه عن ابناء جنسه فى عين مجانسته لهم كما ارتفع الهواء عن التراب والماء مع مخالطته لهما وهو أيضاً كالارض فى الدنو والتواضع والسهولة يناله البر والفاجر والصغير والكبير كما أن الارض يطأها البر والفاجر والصغير والكبير وقال بعض أشياخنا نحن كالزقاق أى الطرق يمر علينا البر والفاجر والطائع والعاصى ولا نفرق بينهم وأيضاً طبع الارض بارد يابس فبرودتها يقع لها الملابسة إذ لو كانت حارة والهواء حار لاحترق ما عليها وبسبب يبوستها يقع لها المماسة والصوفى كذلك لبرودة حركاته وليونتها يلابسه الخلق وينتفعون به ولوقوفه مع الحق وصلابته فيه صح له الصدق فيكون له قلب مثل الارض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه الا كل مليح وكلما زيد فى زبلها زيد فى خيرها وكذلك الصوفى كلما

وقال آخر :

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسى ولا أملك الدنيا وغيرك واهبى

وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقنا بعد نبينا مولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه لأبى الحسن رضى الله عنه يا أبا الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولان تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك اه

(وقال) بعضهم عز النزاهة أكمل من سرور الفائدة ولأجل هذا المعنى قال عليه السلام إذا أسدى إليكم أحد معروفاً فكافئوه أى لتسقطوا منته عليكم وتقطعوا رقبته لكم والله تعالى أعلم وإنما كان المنع من الله إحساناً لوجهين (أحدهما) ما تقدم من أن الله سبحانه مامنعك بخلا ولا عجزا وإنما هو حسن نظر لك إذ لعل ماطلبته لا يليق بحالك فى الوقت وأخره لوقت هو أولى لك وأحسن أو ادخر لك ذلك ليوم فقرك (الثانى) ما فى ذلك من دوام الوقوف ببابه واللياذ بجنابه وفى ذلك غاية شرفك ورفع لقدرك وفى الحديث إذا دعا العبد الصالح يقول الله تعالى للملائكة اخرجوا حاجته فانى أحب أن أسمع صوته وإذا دعا الفاجر قال للملائكة أقضوا حاجته فانى أكره صوته أو كما قال عليه السلام لطول العهد به (تنبيه) ماذكره الشيخ من كون العطاء من الخلق حرمانا إنما هو باعتبار السائرين أو باعتبار الزهاد والعباد وأما الواصلون إلى الله المتمكنون مع الله فقد تولاهم الحق وغيبهم عن شهود الخلق فهم يتصرفون بالله يأخذون من الله ويدفعون بالله ولا يرون فى الوجود إلا الله

مذ عرفت الإله لم أر غيرا وكذلك الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً فانا اليوم واصل مجموع

فلا يرون العطاء إلا من الله ولا يرون الخلق البتة إلا ما يشهدون فيهم من واسطة الحكمة كما قال القائل

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله (هذا) آخر الباب التاسع وحاصلها علامة كمال العارف وآدابه فى الطلب وفى البسط والقبض وفى المنع والعطاء ومن جملة العطاء ما يعطيه الحق سبحانه عباده من الخيرات فى مقابلة أعمالهم الصالحات كما أشار إلى ذلك فى أول الباب العاشر بقوله (وقال رضى الله عنه جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) قلت

زدت فى البحث معه زادك فائدة وحكمة وقد قال سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه أين تنبت الحبة قالوا فى الأرض قال فكذلك الحكمة لا تنبت إلا فى قلب كالأرض وقال سهل رضى الله عنه طريقتنا هذه لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل وهو أيضاً كالنار فى احراق الاوصاف الخبيثة الذميمة وفى اقتباس الأنوار واشتعال مصابيح القلوب وأيضاً طبع النار حار يابس مضىء محرق كذلك الصوفى لا تفارقه الحرارة الباطنية وهى قوته وسخانته الناشئة عن شهود حريته الباطنية ويحرق كل ما والاه من أوصاف نفسه ويرى ما وراءه من المعارف وحقائق الوجود وهو أيضاً كالماء فى الارواء وإزالة عطش الجهل وحرارة التعب الناشئة عن وجود الحجاب وأيضاً طبع الماء باردرطب والصوفى كذلك فمن برودته لا ينتصر لنفسه ومن رطوبته لا يتكبر على غيره مع ارواثه من احتاج إليه وهذه العناصر الاربع هى التى اجتمع منها وجود العالم باعتبار الحكمة وهى أركانه فالصوفى كلتة العالم بمعانيه ومبانيه ولذلك قال فيه بعضهم الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سواه قد سخر له كل شىء ولم يسخر هو لشىء وسلط على كل شىء ولم يسلط عليه

النقد ما كان معجلا والنسيئة ما كان مؤخراً ومن شأن الكريم إذا اشترى شيئاً أن ينجز نقده ويزيد احسانه ورفده وقد اشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فعوضنا بها الجنة فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلمها اليه عوضه الله جنة المعارف عاجلا وزاده جنة الزخارف آجلا مع مايتحفه به من أنواع النعيم ودوام الشهود والنظر إلى وجهه الكريم فجل ربنا أى تنزه وترفع أن يعامله العبد نقدا أى معجلا فيجازيه نسيئة أى مؤخرا بل لابد ان يعجل له ما يليق به فى هذه الدار ويدخر له مايليق به فى تلك الدار والذى عجل له سبحانه فى هذه الدار (أمور) منها ما يدفع عنه من المضار ويجلب له من المنافع والمسار لقوله تعالى وهو يتولى الصالحين وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقد يتعدى ذلك إلى عقبه كما تقدم (ومنها) مايشرق عليه من الأنوار ويكشف لقلبه من الأسرار وهى أنوار التوجه وأنوار المواجهة قال تعالى ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً وهو نور يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الايمان ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ومن ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة ومن ظلمة الحس إلى نور المعنى أو من ظلمة الكون إلى نور المكون (ومنها) التوفيق والهداية لما قبل عملها حتى جعلك أهلا للوقوف بين يديه وهو الذى أبانه بقوله (كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) قلت لأن الملك لا يدعو لخدمته إلا من يريد أن يكرمه ولا يدخل لحضرته إلا من يريد أن يعظمه ولا ينسب له إلا أهل الفضل والتكرمة ، فلولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ، فالتوفيق لها أعظم منة وأكبر جزاء على وجودها لأنها تحقق للعبد ثلاثاً أولها تصحيح النسبة لمولاه بوجه ما الثانى وجود الاقبال عليه بصورة ما الثالث اقامة رسم العبودية فى الجملة والله أعلم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (ومنها) مايرد على قلبه حال عملها من المؤانسة به والقرب له وهو الذى ذكره بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته) قلت والذى فتحه على قلوبهم فى حالة العمل ثلاث محاضرة أو مراقبة أو مشاهدة فالمحاضرة للطالبين والمراقبة للسائرين والمشاهدة للواصلين فالمحاضرة للعموم والمراقبة للخصوص والمشاهدة لخصوص الخصوص والكل يسمى خشوعا قال بعضهم الخشوع اطراق السر على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت سلطان الكشف والامحاء عند غلبات التجلى اه ويختص المقام الثالث بقرة العين وقال الشيخ زروق مايجده فى حالة الطاعة ثلاث

شىء فأخذ النصيب من كل شىء ولم يأخذ النصيب منه شىء يصفو به كدر كل شىء ولايكدر صفوه شىء قد شغله واحد عن كل شىء وكفاه واحد من كل شىء ثم كمل مابقى من فضله اجمالا فقال

وفضله أشهر من أن يجهله   وقد ذكرنا منه نزرا مجملا
وفى بيان أصله دليل   يعلم من الشان والتفضيل

قلت أشار رحمه الله إلى أن فضل التصوف مشهور وشهرته أعظم من أن يجهله أحد وقد ذكر من فضله نزرا أى شيئاً قليلا مجملا غير مفصل اذ تفصيله يؤدى الى التطويل الممل وفى بيان أصله الذى ذكره فى الفصل الأول دليل على تعظيم شأنه وتفضيله على سائر العلوم

(قلت) ولم نسمع أحدا قط طعن فى علم التصوف أو عابه أو نقصه بل القلوب كلها مجبولة على حبه ومدحه وإنما وقع الانكار على أهله والمنتسبين اليه إما غيرة عليه أن لايدخل فيه من ليس منه وهذا معذور وإما حسدا لأهله وهذا هالك مثبور والأول على خطر فان المنكر على المنتسبين كمن يدخل يده فى الغيران فيدخل يده فى الغار الأول

أولها وجود الانس به فيها بروح إقباله ومنه ما يقع من الرقة والخشوع ، الثانى وجود التملق بين يديه وله حلاوة ينسى بها كل شىء ، الثالث حصول الفهم والفوائد العلمية والإلهامات اللدنية التى بها يترك كل شىء قال بعضهم فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شىء ولم يستوحش أبدا قيل وما هى قال معرفة الله وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا ما يشبه لغيم الجنة إلا مايجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وكان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب فى الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهره الله فى الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روحاً لقلوبهم اه.

(ومنها) ما يجدهمن الثمرات بعد عملها وهو الذى أشار اليه بقوله (وما هو مورده عليهممن وجود مؤانسة) قلت هذه المؤانسة التى يجدها العامل بعد العمل على ثلاثة أقسام مؤانسة ذكر وهو لأهل الفناء فى الأفعال ومؤانسة قرب وهو لأهل الفناء فى الصفات وهم أهل الاستيشراف ، ومؤانسة شهود وهو لأهل الفناء فى الذات فالأول لأهل السلام والثانى لأهل الإيمان والثالث لأهل الإحسان ، فؤانسة الأول توجب له الفرار من الناس والوحشة منهم ومؤانسة الثانى توجب القرب لهم على حذر منهم ومؤانسة الثالث توجب الصحبة لهم ومخالطتهم لأنه يأخذ منهم ولا يأخذون منه فالأول لاتليق به إلا العزلة لضعفه والثانى تليق به الصحبة مع العسة ليتعلم القوة فهو يشرب منهم ولا يشربون منه لبعده منهم بقلبه والثالث لاتليق به إلا الصحبة لتحققه بالقوة فهو يأخذ النصيب من كل شىء ولا يأخذ النصيب منه شىء يصفو به كدر كل شىء ولا يكدر صفوه شىء ومؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل مؤانسة الشهود فمن صعد عقبه أفضت به إلى راحة ما بعدها قال بعض العارفين ليس شىء من الطاعات إلاودونه عقبة كؤود يحتاج فيها إلى الصبر فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هى مجاهدة النفس ومخالفة الهوى ثم والله مكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم أى ثم تكون لذة الطاعة وتتم المعرفة ثم ينبغى لك أيها المريد ألا تقصد شيئاً هو من هذه الامور التى يجازيك الحق تعالى بها كانت معجلة أو مؤجلة فإن ذلك نقص فى إخلاصك و ناقض لصدق عبوديتك كما أشار اليه بقوله (من عبده لشىء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) قلت الناس فى عبادة الله باعتبار إخلاصهم على ثلاثة أقسام (فنهم) من يعبد الله خوفاً من عقوبته معجلة أو مؤجلة أو طمعاً فى رحمته وحفظه عاجلا وآجلا وهم عوام المسلمين وفيهم قال عليه السلام لولا النار ماسجدلله ساجد (ومنهم) من يعبد الله محبة فى ذاته وشوقاً

والثانى فقول لاشىء ثم يدخل يده فى غار آخر فيصادف حية تاسعه فيهلك من ساعته وإذا فاتته بركة الاعتقاد فأقل أحواله ترك الانتقاد ولذلك قال الشاذلى تسليم طريقتنا ولاية واعتقادها عناية (و) قالوا أيضا التسليم ولاية والاعتقاد عناية والانتقاد جناية وقد يكون الانكار من عدم الفهم وقلة الادراك ويرحم الله القائل :

وكم من عائب قولا صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم

وسيأتى بقية الكلام فى الفصل الرابع إن شاء الله فى الرد على من أنكره ثم ذكر الناظم هنا أحكامه فقال :

(الفصل الثالث فى أحكامه وهى تسعة)

قلت المراد بأحكامه مايحكم به على المريدوما يلزمهمن الآداب ومايكون عليه أمره من أعماله وأحوال وحصرها فى تسعة (الاول) فى حكم الشيخ ومايترتب عليه (الثانى) فى حكم الاجتماع (الثالث) فى حكم اللباس (الرابع) فى حكم الأكل (الخامس) فى آداب الاجتماع (السادس) فى حكم السماع (السابع) فى حكم السفر وآدابه (الثامن) فى حكم السؤال وأسبابه (التاسع) فى

إلى لقائه لا طمعاً فى جنته وحفظه ولا خوفا من ناره ونكاله وهم المحبون العاشقون من السائرين (ومنهم) من يعبد الله قياما بوظائف العبودية وأدبا مع عظمة الربوبية (أو تقول) صدقا فى العبودية وقياما بوظائف الربوبية وهم المحبون العارفون فالقسم الأول عبادته بنفسه لنفسه والثانى عبادته بنفسه لله والثالث عبادته بالله لله ومن الله إلى الله فمن عبد الله تعالى لشىء يرجوه منه فى الدنيا أو فى الآخرة أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة فى الدنيا أو فى الآخرة فما قام بحق أوصاف الربوبية التى هى العظمة والكبرياء والعزة والغنى وجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال إذ نعوت الربوبية من العظمه والجلال تقتضى خضوع العبودية بالانكسار والاذلال أرأيت ان لم تكن جنة ولا نار ألم يكن أهلا لأن يعبد الواحد القهار أرأيت من أنعم بنعمة الايجاد والامداد أليس أهلا لأن يشكره جميع العباد فمن كان عبداً مملوكا لسيده لا يخدمه فى مقابلة نواله ورفده بل يخدمه لأجل عبوديته ورقه وسيده لا محالة يقوم بمؤونته ورزقه أيبرزك لوجوده ويمنعك من جوده أيدخلك داره ويمنعك إبراره لقد أسأت الظن بالرب الكريم ان اعتقدت أنك ان لم تعبده منعك من جوده العظيم لقد أجرى عليك منته ورزقه وأنت فى ظلمة الاحشاء ثم حين أظهرك لوجوده وبسط لك من جوده جعلك تتصرف فيه كيف تشاء وتصنع به ماتشاء ومما وجد مكتوباً بقلم القدرة فى حجر فى الكعبة

تذكر جميلى فيك إذ كنت نطفة ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وكن واثقاً بى فى أمورك كلها سأكفيك منها ما يخاف ويختشى
وسلم إلى الأمر واعلم بأننى أصرف أحكامى وأفعل ما أشا

فاستحى من الله أيها الانسان أن تطلب أجراً على عبادة أجراها عليك الواحد المنان واذكر قوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا وقوله تعالى وربك يخلق مايشاء ويختار وقوله تعالى وما تشاءون إلا أن يشاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط الأجرة لم يعمل وقال سيدنا عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وقال وهب بن منبه فى زبور داود عليه السلام يقول الله تعالى ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلا ان أطاع اهـ وفى أخبار داود أيضا عليه السلام ان الله أوحى اليه ان أود الأوداء إلى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها اهـ ثم ان

حكم التربية وتدريج المريد إلى أوان ترشيده (و) اعلم أن مذهب الصوفية الأخذ بالأحسن فى كل شىء عملا بقوله تعالى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (و) أحسن المذاهب فى الاعتقاد مذهب السلف من اعتقاد التنزيه ونفى التشبيه وتفويض المتشابه والوقوف مع ماورد كما ورد مالم يحتج إلى تقييد فيقيد بما ينفى شبهته من غير زائد وبهذا تمسكت الصوفية فى بدايتهم (و) قد يطلعهم الله تعالى على أسرار من مكنون علمه فتتسع لهم دائرة العلوم وتنحل عنهم قيود المتشابه فيطلعون على أسرار تنكشف بها غوامض المتشابه ولذلك قال ابن السبكى رحمه الله المتشابه ما استأثر الله بعلمه وقد يطلع عليه بعض أصفيائه وهم الراسخون فى العلم يقولون أولا آمنا به كل من عند ربنا ثم يطلعهم الله على أسرار غيبه ومكنون علمه ولهذا توسعوا فى العبارة حتى أنكرت عليهم فوجب التحفظ فلا يتكلم بهذا العلم إلا مع أهله شفقة على الضعفاء وحماية سوء الظن بأهله ولما فى بعضه من سقوط الحرمة فوجب تجنبه أبداً وإن فهم على الصواب مع حسن الظن بقائله لأن أصل المذهب حسن الظن حتى يأتى المناقض وحرمة الشريعة واجبة الحفظ فى الاقوال كوجوبها فى المعانى والافعال (و) أحسن

رفعت همتك عن طلب الحظوظ صبت عليك الحظوظ فقد ورد فى بعض الأخبار ان الله يحفظ الأولاد وأولاد الأولاد بطاعة الأجداد لقوله تعالى ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ فقد حفظ الحق تعالى كنزهما بصلاح أبيهما فقد صبت الحظوظ على الأولاد وهو حفظهم بترك الآباء الحظوظ وكان سعيد بن المسيب يقول لولده أنى لأطيل الصلاة من أجلك اه ومعناه أنى أعبده مخلصاً لعله يحفظك ثم ان مدد الحق وهو لطفه وإبراره جار على الطائعين فى كل وقت وحين سواء أعطاهم فى الحس أو منعهم وسواء بسطهم أو قبضهم وهو ظاهر لمن يفهم عن الله كما أشار اليه بقوله (متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) قلت من أسمائه تعالى اللطيف والرحيم فهو تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه فى كل وقت وعلى كل حال سواء أعطاهم أو منعهم وسواء بسطهم أو قبضهم فان أعطاهم أو بسطهم أشهدهم بره وإحسانه فعرفوا أنه سبحانه بار بعباده لطيف بخلقه رحيم كريم جواد محسن فتعظم محبتهم فيه ويكثر شوقهم واشتياقهم اليه ويكثر شكرهم فيزداد نعيمهم وفى هذا ما لا مزيد عليه من البر والإحسان والجود والامتنان وإن منعهم أو قبضهم أشهدهم قهره وكبرياءه فعلموا أنه تعالى قهار كبير عظيم جليل فخافوا من سطوته وذابوا من خشيته وخضعوا تحت قهره فدامت عبادتهم وقلت ذنوبهم ومحيت مساويهم واضمحلت خطيئتهم فوردوا يوم القيامة خفافا مطهرين فرحين مبهجين إذ لا يجمع الله على عبده خوفين ولا أمنين فمن أخافه فى الدنيا أمنه يوم القيامة ومن أمنه فى الدنيا فاغتر، أخافه يوم القيمة كما فى الحديث فلا تتهم ربك أيها العبد فى المنع ولا فى العطاء فإنه متى أعطاك أشهدك بره ورحمته وكرمه فعرفت بذلك أنه بر كريم رؤوف رحيم فتتعلق بكرمه وجوده دون غيره فتتحرر من رق الطمع ويذهب عنك الغم والجزع وتتخلق أيضاً بوصف الكرم والرحمة والاحسان فان الله يحب أن يتخلق عبده بخلقه وفى الحديث تخلقوا بأخلاق الرحمن وقالت عائشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والقرآن فيه أوصاف الرحمن فكأنها قالت كان خلقه خلق الرحمن إلا أنها احتشمت الحضرة وتأدبت مع الربوبية ومتى منعك أو قبضك أشهدك قهره وكبرياءه فعرفت أنه قهار جبار فيعظم خوفك وتشتد هيبتك وحياؤك منه فلا جرم أن الله يعظمك ويكرمك ويحفظك ويستحيي منك كما استحييت منه فان الله ينزل عبده على قدر منزلته منه وإنما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به وخوفه منه فهو سبحانه وتعالى فى كل ذلك من إعطاء ومنع وقبض وبسط متعرف اليك أى طالب منك أن تعرفه بصفاته وأسمائه وما من اسم من أسمائه تعالى إلا اقتضى ظهور ما يطلبه فاسمه الكريم اقتضى الاعطاء والاحسان وهو

المذاهب فى الأحكام مذهب الفقهاء المرجوع إليهم كالأئمة الأربعة فالتقييد بمذهب واحد أجمع للحقيقة وأقرب للتبصر وادعى للتحقيق وأسهل تناولا وعلى هذا درج سلفنا وأشياخنا فكان الجنيد ثوريا والشبلى مالكيا والمحاسبى شافعيا والجريرى حنفيا والجيلانى حنبليا والشاذلى وشيخه مالكيين لكن لا ينبغى لمن تجرع فى العلم من الصوفية الا يرضى برقبة التقليد ويتجمد على قول إمامه من غير أن يعرف أصله بل ينبغى له أن يأخذ الأحكام من أصولها ويعلم مأخذها وعللها (وقد) قال بعضهم قف حيث وقفوا ثم سر (وقال) آخر من أخذ علمه عن خصوص كان نوره وفتحه منهم ومن أخذه عن نصوص الكتاب والسنة كان نوره وفتحه منهما على وقدرهما (وقال) فى القواعد التقليد أخذ القول من غير استناد لعلامة فى القائل ولا وجه فى المقول وهو مذموم مطلقا لاستهزاء صاحبه بدينه (والاقتداء) الاستناد فى أخذ القول لديانة صاحبه وعلمه وهذه رتبة أهل المذهب مع أئمتها وإطلاق التقليد عليها مجاز (والتبصر) أخذ القول بدليله الخاص من غير استبداد بالنظر والأعمال للقول أى ولا اختراع لقول من نفسك وهى رتبة مشايخ المذهب وأجاويد طلبة العلم (والاجتهاد) اقتراح الأحكام من أدلتها دون

ظاهر فى خلقه واسمه المانع اقتضى ظهور المنع فظهر فى عباده أيضاً واسمه المنتقم اقتضى ظهوره فى قوم وجههم لمخالفته واسمه القهار اقتضى ظهوره فى قوم لقهرهم على ما يريد من منع أو غيره وظهر قهره أيضاً فى عبادة بالموت فهو من مقتضى اسمه القهار وهكذا كل اسم يقتضى ظهوره فى الوجود وكلها فى بنى آدم فاذا تحققت هذا فى حالة الاعطاء والمنع علمت أيضاً أنه تعالى مقبل بوجود لطفه وابراره عليك إذ هو متعرف اليك فى كل شىء ومقبل عليك فى كل وجه فاطلب أيضا أنت معرفته فى كل حال واعرف منته عليك فى الجمال والجلال وأقبل عليه بكليتك واستسلم لقهره بروحك وبشريتك تكن عبده حقاً وهو ربك حقاً وصدقا والله تعالى أعلم ويؤخذ من هذه الحكمة أن المدار إنما هو على قوة الروحانية التى هى المعرفة فى الجلال والجمال لا على قوة البشرية لأن بمنعه يحصل للعبد الكمال وبالله التوفيق ثم هذا كله إنما يذوقه من يفهم عن الله كما تقدم واليه أشار بقوله (إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) قلت لأن الفهم عن الله يقتضى وجود المعرفة به ولا تكون المعرفة كاملة حتى يكون صاحبها يعرفه فى الجلال والجمال والمنع والعطاء والقبض والبسط وأما إن كان لا يعرفه إلا فى الجمال فهذه معرفة العوام الذين هم عبيد أنفسهم فان أعطوا رضوا وإن لم يعطوا اذا هم يسخطون وأيضاً من ثمرات المعرفة التسليم والرضى لما يجرى به القضاء ومن ثمرات المحبة والهوى الصبر عند الشدائد والبلوى .

تدعى مذهب الهوى ثم تشكو أى دعواك فى الهوى قل لى أينا
لو وجدناك صابراً لهوانا لأعطيناك كل ما تتمنى

فلا يكون المحب صادقا فى محبته ولا العارف صادقا فى معرفته حتى يستوى عنده المنع والعطاء والقبض والبسط والفقر والغنى والعز والذل والمدح والفقد والوجد والحزن والفرح فيعرف محبوبه فى الجميع كما قال القائل حبيبى ومحبوبى على كل حالة ويرضى ويسلم له فى الجميع فإن لم يجد ذلك عنده سواء فلا يدعى مرتبة العشق والهوى فيعرف قدره ولا يتعدى طوره ولا يتراءى على مراتب الرجال من ادعى ماليس فيه فضحته شواهد الامتحان ولابن الفارض رضى الله عنه :

فان شئت أن تحيا سعيداً فمت به شهيداً والا فالغرام له أهل

وقال إبراهيم الخواص رضى الله عنه لايصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان إحداهما الثقة بالله والأخرى الشكر لله فيما ورى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا وقيل لبعضهم ما الزهد عندكم قال إذا وجدنا شكرنا وإذا فقدنا صبرنا فقال

مبالات بقائل ثم إن لم يعتبر أصل المتقدم فطلق وإلا فمقيد (وأحسن) المذاهب فى فضائل الأعمال مذهب المحدثين إذلا يأخذون إلا بما صح أوقارب الصحيح فلا يأخذون بموضوع ولا بما قوى ضعفه وقد حذروا من تتبع الفضائل وتتبع الرغائب كصلاة الايام والليالى وغير ذلك (قلت) وحسب المريد الصادق من النوافل مايحفظ فرضه من الخلل فان قوى جمع قلبه حتى أمن من الخواطر كفته الصلوات الخمس مع عمارة وقته بذكر مفرد أو فكرة أو نظرة أو مذاكرة أو مايلزمه من ضروريته فهذه عبادة العارفين والصديقين من المريدين مع الزهد التام والتفرغ التام والله تعالى أعلم ثم ذكر ما بدأ به من التسعة الأحكام فقال (الأول فى حكم الشيخ والمشيخة ومعنى الشيخ) قلت جعل هذه الثلاثة فى حكم واحد لقرب بعضها من بعض فالأول فى حكم الشيخ يعنى هل هو شروط صحة أو شرط كمال (و) الثانى فى حكم المشيخة أى حكمه الشيخوخة وما يراد بها (و) الثالث فى معنى الشيخ يعنى المعنى التى يكون بها شيخا ويصح الاقتداء به وهو أن يكون جامعا بين حقيقة وشريعة بين جذب وسلوك ماهراً بعلل النفوس ومخادعها والله تعالى أعلم ثم شرع فى شرح الأمر وهو حكم الشيخ فقال

حالة الكلاب عندنا يلبخ فقال وما الزهد عندكم أنتم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا فهذا هو الفهم عن الله حيث شكر حين الفقد فقد عد الفقد نعمة والفاقة غنى لما يجدا فيها من المواهب والاسرار ولما يترقب بعدها من ورود الواردات والانواراولو لم يكن إلا التفرغ من الشواغل والاغيار وبهذا تزكوا الاحوال وتعظم الاعمال ويتأهل صاحبها للقبول والاقبال وإلا فلا عبرة بصورة وجودها مع عدم قبولها كما نبه على ذلك بقوله (ربما فتح لك باب الطاعة ومافتح لك باب القبول) قلت لا عبرة بالطاعة إذا لم يصحبها قبول كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأمول إذ الطاعة إنما هى وسيلة لمحبة المطاع وإقباله على المطيع بحيث يفتح فى وجهه الباب ويرفع عن قلبه وجود الحجاب ويجلسه على بساط الأحباب فإذا فتح لك باب العمل وبلغت فى تحصيله غاية الأمل غير أنك لم تجد له ثمرة ولم تذق له حلاوة من الأنس بالله والوحشة مما سواه ومن الغنى به والانحياش اليه والاكتفاء بعلمه والقناعة بقسمته فلا تغتر بذلك أيها المريد فربما فتح لك باب طاعته وأنهضك إلى خدمته ولم يفتح لك باب القبول ومنعك بها من الوصول حيث اعتمدت عليها وركنت اليها وأنست بها وأشغلتك حلاوتها عن الترقى إلى حلاوة شهود المنعم بها ولذلك قال بعضهم احذروا حلاوة الطاعات فإنها سموم قاتلة لأنها تقبض صاحبها فى مقام الخدمة ويحرم من مقام المحبة وفرق كبير بين من شغله بخدمته وبين من اصطفاه لمحبته واجتباه لحضرته فإجراء الذنب على العبد أحسن من مثل هذه الطاعة التى تكون سبب الحجاب كما نبه عليه بقوله (وقضى عليك الذنب فكان سببا فى الوصول) قلت وذلك أن العبد إذا كان سائراً لمولاه قاصداً لوصول حضرة حبيبه ورضاه قد يحصل له كلل أو يصيبه ملل أو يركبه كسل فسلط الحق عليه ذنباً أو تغلبه نفسه فيسقط فاذا قام من سقطته جد فى سيره ونهض من غفلته ونشط من كسله فلا يزال جاداً فى طلب مولاه غائباً عما سواه حتى يدخل حضرته ويشاهد طلعته وهى الحضرة التى هى تجليات الحق وأسرار ذاته ومثال ذلك رجل مسافر أصابه فى الطريق نوم أو كسل فيسقط فيضربه حجر فاذا قام ذهب كسله وجد فى سيره وفى الحديث رب ذنب أدخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال لا يزال تائباً فاراً منه خائفاً من ربه حتى يموت فيدخله الجنة أو كما قال عليه الصلاة والسلام وفى حديث آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولم تذنبوا الذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اهو قال صلى الله عليه وسلم فى شأن الطاعة التى لم تقبل رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع وقائم ليس له من قيامه إلا السهر فمثل هذه الطاعة

وإنما القوم مسافرون لحضرة الحق وظاعنون
فافتقروا فيه إلى دليل ذى بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

(قلت) السفر الى الله مجاز عبارة عن قطع العلائق وعن الخروج عن الشهوات والعوائد ليتصل بالانوار والحقائق وهى المعبر عنها بحضرة الحق وان شئت قلت السفر هنا عبارة عن الانتقال عن المقامات والانزال فى أخرى كالانتقال من مقام الاسلام الى الايمان ثم من مقام الايمان الى الاحسان (أو) عبارة عن الانتقال من شهود عالم الملك الى عالم الملكوت ومن الملكوت الى الجبروت أو من عالم الحس الى عالم المعنى أو من شهود الكون الى شهود المكون أو من عالم الشهادة الى عالم الغيب أو من السلوك الى الجذب ثم من الجذب الى السلوك أو من توحيد الأفعال إلى توحيد الصفات ثم الى توحيد الذات ولا يتحقق السفر ولا يظهر السير الا بمحاربة النفوس ومخالفتها فى عوائدها وقبيح مألوفاتها وشهواتها فلولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين

المعصية التي يصحبها الانكسار أحسن منها بكثير أبان ذلك بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) قلت إنما كانت المعصية التي توجب الانكسار أفضل من الطاعة التي توجب الاستكبار لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانقياد والتذلل والانكسار أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فإذا خلت الطاعة من هذه المعاني واتصفت بأضدادها فالمعصية التي توجب هذه المعاني وتجلب هذه المحاسن أفضل منها إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية وإنما العبرة بما ينتج عنهما ان الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم فثمرة الطاعة هي الذل والانكسار وثمرة المعصية هي القسوة والاستكبار فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق صارت الطاعة معصية والمعصية طاعة ولذلك قال المحاسبي رضى الله عنه إنما مراد الله سبحانه من عباده قلوبهم فإذا تكبر العالم أو العابد وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبة لله عز وجل وخوفا منه فهو أطوع لله عز وجل من العالم والعابد بقلبه اه وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل إساءة أدب تثمر أدباً فليست بإساءة أدب وكان رضى الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان رضى الله عنه يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله حتى انه يدخل عليه مطيع فلا يبالى به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله وناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكثرة معصيته وذلته ومخالفته قاله المصنف فى لطائفه وقال أبو يزيد رضى الله عنه نوديت فى سرى خزائنى مملوءة بالخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أشد من ذلك العجب كذا فى الصحيحين وقال عليه السلام لولا أن الذنب خير من العجب ماخلا الله بين مؤمن وذنب أبداً وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع وقال شيخ شيوخنا رضى الله عنه معصية بالله خير من ألف طاعة بالنفس اه ومعنى كلام الشيخ أن العبد إذا أجريت عليه زلة لم يقصدها بقلبه وإنما جرته القدرة إليها رغما على أنفه ثم ندم وانكسر فهى فى حقه خير من ألف طاعة يشهد فيها نفسه ويتبجح بها على عباد الله ولله در صاحب العينية حيث يقول :

وأسلمت نفسى حيث أسلمنى الهوى ... ومالى عن حكم الحبيب تنازع
فطورا ترانى فى المساجد راكعا ... وانى طورا فى الكنائس راتع
أرانى كالآلات وهو محركى ... أنا قلم والاقتدار أصابع

إذ لا سير ولا سلوك إلا فيها ولا جذب ولا أخذ إلا عنها ولذلك قال بعض المحققين لا يصح أن يقال فى الأنبياء عليهم السلام سالكون ولا مجذوبون لأن الجذب لا يكون إلا عن نفس والسلوك لا يكون إلا فى قطع عقباتها وهم عليهم الصلاة والسلام مطهرون من آثار النفوس بأول قدم فهم مقيمون فى بساط الحضرة قديما وحديثا وقوله لحضرة الحق يعنى دائرة ولايته وهى عكوف القلب فى شهود الرب بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل (أو تقول) الحضرة عبارة عن كشف رداء الصون عن أصل نور الكون فتلوح أنوار القدم على صفحات العدم فيتلاشى الحادث ويبقى القديم والظاعن هو المرتحل وهو المسافر (وقد) ضرب الساحلى مثلا للسفر المعنوى الذى يوصل إلى الحضرة وحاصله باختصار أن مثل الحضرة كملك كبير ظهر بالمشرق مثلا وأرسل رسلا يعرفون به ويشوقون الناس إلى حضرته بذكر محاسنه ومكارمه فمن الناس من أعرض عن طاعته وهم الكفار مثلا ومن الناس من أذعن وأطاع وعجز عن السير إليه اما لثقله أو لضعف محبته وهم عوام المسلمين الذين يؤمنون بالغيب ومن الناس من تشوق إلى السير إليه وبذل مهجته وروحه فى الوصول إليه فقالت له الرسل

ولست بجبرى ولكن مشاهد فعال مريد ماله من يدافع
فآونة يقضى على بطاعة وحيناً بما عنه نهتنا الشرائع
لذاك ترانى كنت أترك أمر وآتى الذى أنهاه والجفن دامع
ولى نكتة غراء سوف أقولها وحق لها أن ترعويها المسامع
هى الفرق ما بين الولى وفاسق تنبه لها فالأمر فيه فظائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه يخبر قلبى بالذى هو واقع
فأجنى الذى يقضيه فى مرادها وعينى له قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الارادة قبل ما أرى الفعل منى والأسير مطاوع
فأنى الذى تهواه نفسى ومهجتى لذلك فى نار حوتها الأضالع
إذ كنت فى حكم الشريعة عاصياً فانى فى علم الحقيقة طائع

فأشار إلى الفرق بين معصية الولى ومعصية الفاسق وذلك من ثلاثة أوجه الولى لايقصدها ولا يفرح بها ولا يصر عليها والفاسق بالعكس فى الجميع وقيل للجنيد أيزنى العارف فقال وكان أمر الله قدراً مقدورا لكن معصية الولى حدها الظاهر ولذلك قال ابن عطاء الله ليت شعرى لو قيل له أتتعلق همة العارف بغير الله لقال لا اه ولما كانت النعم تقتضى من العبد شكرها وشكرها هو العمل بطاعة الله فيها قال الجنيد الشكر ألا يعصى الله بنعمه بين الشيخ أصول النعم وفروعها فقال (نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) قلت أما نعمة الايجاد فهى الاظهار من عالم الغيب إلى عالم الشهادة أو من عالم الأمر إلى عالم الخلق أو من عالم الأرواح إلى عالم الاشباح أو من عالم القدرة إلى عالم الحكمة أو من عالم التقدير إلى عالم التكوين وأما نعمة الامداد فهى قيامه تعالى بالأشياء بعد وجودها وإمداده إياها بما تقوم به بنيتها وهاتان النعمتان عامتان واختص الإنسان بما اجتمع فيه من الضدين وهما النور والظلمة واللطافة والكثافة فلو بقيت أيها الانسان على ما كنت عليه من العدم فى عالم القدم لم تتمتع بنعمتين بنعمة الاشباح ونعمة الارواح ولو تجلى فيك بوجهة واحدة لكنت ناقصاً فى شهود المعرفة لأن مزية الآدمى فى المعرفة أعظم إذ بقدر المجاهدة يكون

أو من ناب عنهم هانحن نسير بك ونعرفك الطريق ثم ان الملك بنى ديارا فى الطريق ينزلونها وجعل فيها مياهاً ورياضا وأزهارا وكل منزل ما بعده أعظم منه فاذا سارت الرسل أو نوابهم بالناس ونزلوا فى بعض تلك المنازل أراد بعضهم أن يسكن فيها ويقيم ثم فيقول له الرسول المطلوب امامك فما زالوا يرحلون بهم من مرحل إلى مرحل ومن مقام إلى مقام حتى يشرفون بهم على الملك فاذا شاهدوا الملك على نعت الرضى والتكريم كان ذلك مقامهم ومسكنهم انتهى ذكرته بالمعنى لطول العهد به (وقال) ابن عطاء الله فى الحكم فى هذا المعنى فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره فصدف عن هذه الدار مغضياً وأعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا ولا جعلها مسكنا بل أنهض الهمة عنها إلى الله وصار به مستعينا فى القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها دائما بتسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس فى محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون الخ (و) قوله فافتقروا فيه إلى دليل يعنى أن من تشوف إلى الحضرة لابد له من دليل.

الترقى فى المشاهدة لما فيه من الكثافة واللطافة فكلما لطف من كثافة ترقى فى مشاهدة ربه ولما فيه من النور والظلمة فكلما اتقشعت الظلمة قوى النور بخلاف غيره من الجن والملائكة غير المقربين قال الله تعالى فى حق الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم فما مثل الآدمى الا كياقوتة سوداء وهى أعظم اليواقيت كلما صقلتها أشرقت وزاد نورها وجمالها ومثل الملائكة كالزجاج إذا صقل مرة كفاه ولا يزيد نوره على أصله فلو بقيت أيها الإنسان على ما كنت عليه من العدم أو من اللطافة بعد قبضة القدم لم يكن لك مزية على غيرك ومما يدلك على أن تجلى الآدمى أعظم اختصاصه بالجنة والنظر قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش والكلام إنما هو مع الخواص فخواص الآدمى أعنى الأنبياء أعظم من خواص الملائكة وخواص الملائكة أعنى المقربين أعظم من خواص الآدمى أعنى العارفين والعارفون أعظم من عوام الملائكة وعوام الملائكة أعظم من عوام بنى آدم والله تعالى أعلم فأنعم الحق سبحانه عليك أيها الإنسان أو بنعمة الإيجاد وأصحبك الرأفة والوداد لتظهر مزيتك وتكمل نعمتك ثم أنعم عليك ثانيا بنعمة الامداد حسية ومعنوية .

(أما المدد) الحسى فغذاء البشرية من أول النشأة إلى منتهاها (وأما المدد) المعنوى فغذاء الروح من قوت اليقين والعلوم والمعارف والأسرار ثم ان هذا المدد المعنوى من حيث هو ينقسم على ثلاثة أقسام منه مالا يزيد ولا ينقص وهو مدد الملائكة قال تعالى فيهم وما منا إلا له مقام معلوم ومنه ما يزيد وينقص وهو مدد عوام بنى آدم ومنه ما يزيد ولا ينقص وهو مدد خواصهم كالرسل والأنبياء وأكابر الأولياء ومن تعلق بهم ممن دخل تحت حضانتهم ولزم عشهم من الفقراء والمريدين السائرين فمددهم فى الزيادة على الدوام وهذا المدد ثابت للروح قبل اتصالها بالبشرية فلذلك أقرت بالربوبية فى عالم الذر قال فى التنوير اعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك فى كل ذلك بوجود ابرارك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم الست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه جعلك نطفة مستودعة فى الأصلاب تولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا لما أنت فيه موصلا لك المدد بواسطة ما أنت فيه من الآباء إلى أبيك آدم ثم قذفك فى رحم الأم فتولاك بحسن التدبير وجعل الرحم قابلة لك أرضاً يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما ينبت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيئة لما يريد سبحانه أن ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه فى المضغة صورتك وأقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك

يدله عليها ويسلك به طريقها (قال) فى شرح الشريشية اعلم أن سلوك الطريق وخصوصاً لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد لأن الطريق عويص وأدنى زوال يقع عن الحجة يؤدى إلى مواضع فى غاية البعد عن المقصود (قال) الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه ولا بد أن يتحكم لمن يأمره وينهاه ويبصره فان الطريق عويص قليل خطاره كثير قطاعه وقد يظن السالك أنه على جادته وهو قد ولى ظهره لموضع توجهه منه فانه إذا خرج منه أنملة فقد خرج وانقطع وانصرف سيره على أشعة تلك الأنملة فانه طريق دقيق ونفس متصرفة فى البدن وهى الراحلة عنه وعادة مألوفة وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله (قال) أبو عمرو الزجاجى رضى الله عنه لو أن رجلا كشف له عن الغيب ولا يكون له أستاذ لا يجىء منه شىء (وقال) إبراهيم بن شيبان رضى الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه عن آمر له يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات (وقال) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ أدبه

بدم الحيض فى رحم الأم فأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ثم أبقاك فى رحم الأم حتى قويت أعضاؤك واشتدت أركانك ليهيئك إلى البروز إلى ماقسم لك أو عليك وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليك ثم لما أنزلك إلى الأرض علم سبحانه أنك لاتستطيع أن تتناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحى تستعين بها على ماأنت طاعم فاجرى الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحث الرحمة التى جعلها فى قلب الأم فكلما وقف اللبن على البروز استحثته الرحمة التى جعلها لك فى الأم مستحثاً لا يفتر ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والرحمة والنظر بين المودة منهما إليك وما هى إلا رأفته ساقها للعباد فى مظاهر الآباء والأمهات تعريفاً بالوداد وفى حقيقة الامر ما كفلتك إلا ربوبيته وما حضنتك الا ألوهيته ثم ألزم الاب القيام بك الى حين البلوغ ووأجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تكمل الافهام وذلك عند الاحتلام ثم إلى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ثم إذا قدمت عليه ثم حشرت إليه ثم اذا أقامك بين يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا أدخلك دار ثوابه ثم اذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجالس أوليائه وأحبابه قال سبحانه ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فلأى احسانه تشكر ولأى أياديه تذكر واسمع قوله سبحانه ، وما بكم من نعمة فمن الله :

تعلم انك لم تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه اه كلامه فى التنوير وهو شرح لهذه الحكمة لاشتماله على النعمتين ايجادا وامدادا ومن نعمة الامداد المعنوى نعمة الاسلام والاحسان وحفظ ذلك وادامته علينا فى كل وقت وحين وزيادة الترقى فى المعرفة واليقين الى يوم الدين فالحمد لله رب العالمين ثم المقصود بالنظر الى هاتين النعمتين هو الانسان وان كانتا عامتين فى جميع الاكوان اذ هو المطلوب بشكرها والتحدث بذكرها ولذلك خصه بالخطاب (أنعم عليك أولا بالايجاد وثانياً بتوالى الإمداد)

قلت توالى الامداد هو تتابعه واتصاله سواء كان حسياً أو معنوياً فى كل ساعة ولحظة أنت مفتقر الى أمداده قلبا وقالبا كما أبان ذلك بقوله (فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرة لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لاترفعها العوارض) قلت الفاقة الذاتية هى الأصلية الحقيقة والأسباب المحركة لها هى العوارض الجلالية وهى كل ما يقهر النفس ويزعجها عن حظوظها وتصرفاتها العادية وانما كانت فاقتنا ذاتية لا تفارقنا ساعة واحدة لأن نشأتنا مركبة من حس ومعنى ولا يقوم الحس الا

من المتأدبين أفسد من يتبعه (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل من لايكون له فى هذا الطريق شيخ لا يفرح به ولو كان وافر العقل منقاد النفس واقتصر على ما يلقى اليه شيخ التعليم فقط لا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب عظيمة الاشراك فلا بد من بقاء من الرعانات فيها ولا يزول عنها ذلك بالكلية الا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر حسبما ذكر الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه (و) كذلك لو كان سبقت له من الله عناية وأخذه الحق إليه وجذبه الى حضرته لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ (وقال) فى لطائف المنن من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له دعى لا نسب له فان يكن له نور فالغالب غلبة الحال عليه والغالب عليه وقوفه مع مايرد من الله اليه لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب ولم يقده زمام التربية والتدريب (وقال) الشيخ أبو عثمان الفرغانى رحمه الله المجذوب المتدارك الراجع من عالم الحق الى عالم الخلق لا يكمل ولا يصلح للاقتداء إذا لم يكن له مرشد يهديه إلى دقائق المقامات وان كان على بينة من ربه وبصيرة فى سلوكه فان فى المقامات الاسلامية

بالمعنى والمعنى هو أسرار الربوبية القائمة بالأشياء فأشباحنا مفتقرة فى كل لحظة إلى نعمة الامداد بعد نعمة الايجاد ولا الحكمة إلا بالقدرة ولا البشرية الا بالروحانية والروح سر من أسرار الله قال الله تعالى قل الروح من أمر ربى فالبدن قائم بالروح والروح أمر من الله وكل شيء قائم بأمر الله فافتقار البشرية للروحانية حاصل على الدوام قال تعالى فى نعمة الايجاد يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ، فهذا هو الافتقار الى نعمة الايجاد ثم قال فى نعمة الامداد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو افتقارنا الى الامداد وقال تعالى فى افتقار بقية العالم ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا فالكون كله قائم بأمر الربوبية مظهر من مظاهرها لا قيام له بدونها قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الحق مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الجود فاذا انقطعت المادة أى مادة المعنى انهد الوجود اه والمراد بالوجود ظهور الحس وعين الجود هو المعانى اللطيفة القديمة يعنى أن الحق تعالى مستبد أى قائم بنفسه وظهور تجلياته مستمدة من باطن صفاته ومادة الاشياء كلها من عين الجود وهى نعمة الإيجاد والامداد فاذا انقطعت المادة أى مادة المعنى من الحس اضمحل الحس واضمحلت الأكوان فلو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ففاقتك أى افتقارك أيها الانسان لك ذاتية أى أصلية حقيقية لكنها خفية وورده الأسباب المحركة لظهر تلك الفاقة وهى الشدة والحيرة وكل مايلجئك إلى مولاك مذكرة لك ما خفى عنك منها يعنى أن فاقتك لا تفارقك إذ كل لحظة تفتقر إلى من يمدك بالوجود فى الساعة الثانية الا أنها خفية لا تذكرها حتى يتحرك عليك أسباب ظهورها كالفتن والمرض وغيرهما والفاقة الأصلية الذاتية لا ترفعها العوارض وهى الصحة والعافيه فما دام العبد فى العافية ففاقته خفية لا يتفطن لها الا العارفون لانه لا يزول اضطرارهم فاذا قام عليه جلال أو محرك ظهر افتقاره وتحقق اضطراره مع أنه دائم الفاقة حسه ومعناه والله تعالى أعلم ثم ان رجوع الشيء الى أصله مرغب فيه وخروجه عن أصله لاخير فيه وأصلك أيها الانسان هو الفاقة والاضطرار والذلة والانكسار فكل ما يردك الى أصلك فهو لك فى غاية الحسن والاختيار كما أبان ذلك بقوله)خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك)قلت انما كان شهود الفاقة هو خير أوقاتك لوجهين أحدهما ما فى ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شأن الربوبية وفى ذلك شرف العبد وكماله اذ بقدر تحقيق العبودية فى الظاهر يعظم شهود الربوبية فى الباطن .

(أو تقول) بقدر العبودية فى الظاهر تكون الحرية فى الباطن

(أو تقول) بقدر الذل فى الظاهر يكون العز فى الباطن .

الايمانية دقائق لا تدرك الا من حيث الخلقية والاطلاع عليها متوقف على اطلاع من اطلع عليها بنظر خليقته فلا يكتفى بالبينة الحقيقية التى للمجذوب فكان محتاجا الى المرشد (وكلام الشيخ فى الحض على اتخاذ الشيخ الربانى والتحذير من ضده كثير (وروى) عن أبى يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فامامه شيطان (و قال الشيخ أبو على الدقاق الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر (قال) القشيرى وهو كما قال يجوز أن تثمر كالأشجار التى فى الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع لآخر يكون أحسن وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه ثم قال وسمعت من المشايخ يقول من لم ير مفلحا لا يفلح وقد وقعت مشاجرة ومناظرة فى آخر المائة الثامنة بين فقراء الاندلس حتى تضاربوا بالنعال وذلك هل يكتفى بمشاهدة الرسوم ومطالعة الكتب فى طريق الصوفية أهل التوحيد الذوقى والمعرفة الحقيقية الوجدانية أم لابد من الشيخ فكتبوا للبلاد فأجاب فيها كل أحد على قدر نظره كالشيخ أبى عبدالله ابن عباد رضى الله عنه وكالشيخ أبى عبد الله بن خلدون رحمه الله وأفرد لهذه المسئلة تأليفا وقد ذكر حاصل ذلك الشيخ

(أو تقول) بقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن من تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره وانظر أشرف خلق الله وهم الأنبياء بماذا خاطبهم الله تعالى فما خاطبهم إلا بالعبودية قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب واذكر عبدنا داود ذا الأيد واذكر عبدنا أيوب وقد اختارها نبينا صلى الله عليه وسلم حين خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فدل على أن أشرف حال الإنسان هو العبودية فبقدر ما يتحقق بها فى الظاهر يعظم قدره فى الباطن ومهما خرج منها فى الظاهر بإظهار الحرية أدبته القدرة وردته القهرية حتى يرجع إلى أصله ويعرف ماله وعليه.

(الوجه الثانى) مافى الفاقة من مزيد المدد وطلب الاستمداد إنما الصدقات للفقراء والمساكين إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك كما يأتى إن شاء الله وقد جعل الله النصر والفتح مقرونين بالفاقة والذلة وتحقيق الضعف والقلة قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وجعل الخذلان وعدم النصر والمعونة فى إظهار الحرية والقوة قال تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك لما وقع من بعض الصحابة الذين كانوا حديثى عهد باسلام فأدبهم الله بإظهار الحرية لكن عمت الفتنة قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا وجه ذكر الآية قبل ذكر القضية والله تعالى أعلم فإذا خير أوقاتك أيها المريد وقت تشهد فيه وجود فاقتك أى ظهورها وإلا فهى كامنة كما تقدم وتسمى عند المتأخرين الحيزة وهى الشدة فهى خير لك من ألف شهر ان عرفت فيها ربك والمعرفة أن تسكن عن التحرك والاضطراب وتقع النظر عن التعلق بالأسباب وترجع فيها إلى مسبب الأسباب وتعلق همتك برب الأرباب وتكتفى بعلم الله الكريم الوهاب ولقد سمعت شيخنا البزيدى رضى الله عنه يقول العجب من الإنسان يرى الخير أو الفتح واصلا اليه وقادما عليه ثم يقوم يبادر بسد الباب فى وجهه وهو أن يرى الفاقة قادمة عليه فيبادر إلى الأسباب التى تقطعها عنه قبل وصولها فقد كان الربح واصلا اليه فقام فرده أو ماهذا معناه وخير أوقاتك أيضا وقت تشهد فيه وجود ذلك كما تقدم لأنه سبب عزك وبصرك اذا الأشياء كامنة فى أضدادها العز فى الذل والغنى فى الفقر والقوة فى الضعف والعلم فى الجهل أى إظهار الجهل إلى غير ذلك. قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وقال تعالى فى حق الصحابة رضى الله عنهم حين كانوا فى حالة الاستضعاف والاذاية تسلية لهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

زروق فى عدته فقال بعد كلام وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخرين فى الاكتفاء بالكتب عن المشايخ فكتبوا للبلاد فكل أجاب على حسب فتحه وجمل الأجوبة دائرة على ثلاثة أولها النظر للمشايخ فشيخ التعليم تكفى عنه الكتب للبيب حاذق يعرف موارد العلم وشيخ التربية تكفى عنه الصحبة لدين عاقل ناصح قال شارح بداية السلوك وقل أن يوجد لغلبة الهوى (وشيخ) الترقية يكفى عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل ذلك من وجه واحد يعنى ان أخذ ذلك عن الشيخ فى الأوجه الثلاثة أتم للنجح وأبلغ للموارد (الثانى) النظر لحال الطالب فالبليد لابد من شيخ يربيه واللبيب تكفى الكتب فى ترقيه لكنه لايسلم من رعونة نفسه وإن وصل لابتلاء العبد برؤية نفسه (الثالث) النظر للمجاهدان فمجاهدة التقوى لاتحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها والاستقامة تحتاج للشيخ فى بيان الأصلح منها وقد يكتفى عنه للبيب بالكتب ومجاهدة الكشف والترقية لابد فيها من شيخ يرجع اليه فى فتوحها كرجوعه عليه السلام فى عرضه على ورقة بن نوفل لعلمه بأخبار النبوة ومبادىء ظهورها حين فاجأه الحق وهذه الطريقة قريبة من الاولى والسنة معها والله تعالى أعلم انتهى (وهذا) الجواب الاخير أقرب للصواب

ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية ومما جرت به العادة الإلهية أن الفرج على قدر الضيق فبقدر الفقر يكون الغنى وبقدر الذل يكون العز وبقدر العسر يكون اليسر والحاصل بقدر الجلال يكون الجمال عاجلا وآجلا قال تعالى « فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا » ، ولن يغلب عسر يسرين كما فى الحديث حيث قال عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا اه ثم إذا صح فقرك إليه وتحققت ذلتك بين يديه أتحفك بأنسه وزج بك فى حضرة قدسه كما أشار إلى ذلك بقوله (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به).

قلت هذه سنة الله تعالى فى خلقه إذا أراد أن يؤنس عبده بذكره ويتحفه بمعرفته أوحشه من خلقه وشغله بخدمته وألهمه ذكره حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار وتمكن من حلاوة الشهود والاستبصار رده إليهم رحمة لهم لأنه حينئذ لقوته يأخذ منهم ولا يأخذون منه ومثاله فى الحس كفتيلة شعلتها فما دامت ضعيفة لا بد أن تحفظها من الريح وتقصد بها المواضع الخفية فاذا اشتد نورها وأشعلتها فى الحطب صعدت بها إلى ظهور الجبال فبقدر ما يصيبها الريح يعظم اشتعالها كذلك الفقير مادام فى البداية لا يليق به إلا الوحشة من الخلق والفرار منهم فاذا تمكن فى الشهود فلا يليق به حينئذ إلا الخلطة معهم لأنهم لا يضرونه فتى أوحشك أيها الفقير من خلقه وعزلك عنهم فى قلبك فاعلم أنه تعالى أراد أن يؤنسك به ويغنيك بمعرفته فقد كان عليه السلام حين قرب أوان النبوة والرسالة حبب إليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشواغل والشواغب لتتهيأ لقبول ما تتحمله من الأسرار والمواهب فاذا تطهر من الأكدار ملىء بالأنوار فأشرقت فيه شموس العرفان وتمكن من حضرة الشهود والعيان فهذه سنة الله فى أوليائه وأصفيائه يفرون أولا من الناس حتى يحصل لهم منهم الاياس ثم يردهم الحق إليهم رغماً على أنفهم لمقام الدلالة والارشاد فينتفع بهم العباد وتحيا بوجودهم البلاد وفى مثلهم قال الشاعر :

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها ... كأنكم فى بقاع الأرض أمطار
وتشتهى العين فيكم منظراً حسناً ... كأنكم فى عيون الناس أزهار
ونوركم يهتدى السارى برؤيته ... كأنكم فى ظلال الليل أقمار
لا أوحش الله ربعاً من زيارتكم ... يامن لهم فى الحشا والقلب تذكار

والله تعالى أعلم (وقوله) ذو بصر بالسير والمقيل أشار به إلى شروط الشيخ وأنه لا بد أن يكون بصيراً بأحوال السير فيسير كل واحد على قدر طاقته وجهده فليس القوى كالضعيف وليس الراكب كالراجل فليس يسير الصديق كالصادق وليس الصادق كالمتردد وليس المتردد كالمنكر فيحمل الصديق من المجاهدة والخراب والاذكار مالا يحمل الصادق ويحمل الصادق من ذلك ما لا يحمل المتردد ويحتال على المنكر بالسياسة حتى يرد له الصدق وهكذا يسير مع كل واحد من القاصدين (قال) بعض المحققين المريد على قسمين مريد حقيقى ومجازى فالمريد الحقيقى هو من كملت فيه أهلية الارادة فصمم عزمه من أول مرة على التلزم بصحبة الشيخ والتحكيم فى نفسه وعمل على معانقة الاهوال وتحمل الأثقال ومفارقة الاشكال ومعالجة الأخلاق وممارسة المشاق وتحمل المصاعب وركوب المتاعب (والمريد) المجازى هو الذى ليس قصده إلا الدخول مع القوم والتزى بزيهم والانتظام فى سلك عقدهم والتكثير لسوادهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وإنما يؤمر بلزوم حدود الشرع ومخالطة الطائفة حتى تشمله بركتهم وينظر إلى أحوالهم وسيرهم فيسلك مسلكهم ويؤهل لما أهلوا له (وقوله) قد سلك الطريق ثم

نفعنا الله بهم وحققنا بمعرفتهم آمين ثم إذا فتح لك باب الانس وتشوقت إلى حضرة القدس ثم أطلق لسانك بطلبها فاعلم أنه يريد أن يفتح لك بابها كما أشار إلى ذلك بقوله (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك) قلت لأن الحق تعالى جعل الطلب سبباً من الأسباب فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له فتح له فيه باب الطلب فاذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذى قسم له فى الأزل إظهاراً لحكمته وإخفاء لقدرته وتغطية لسره فالدعاء من جملة الأسباب العادية كالحرث والدواء والتزوج فى الولد وغير ذلك وكل ذلك سبقت به المشيئة ونفذ به القضاء والقدر فما بقى الدعاء إلا إظهاراً للفاقة وإبقاء لرسم العبودية لا طلباً لحصول ما لم يكن جل حكم الأزل أن يضاف للأسباب والعلل فمتى أطلق لسانك أيها المريد بالطلب لشىء تجلى فى قلبك أو احتجت إليه فاعلم أن الحق تعالى أراد أن يعطيك ماطلبت منه فلا تحرص ولا تستعجل فكل شىء عنده بمقدار فإن أطلق لسانك فى الدعاء من غير سبب فخير ماتطلبه منه ماهو طالبه منك كما تقدم .

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة وقال أيضاً عليه السلام من أذن له فى الدعاء منكم فقد فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً أحب إليه من العفو والعافية وقال الكتانى رضى الله عنه لم يفتح الله لسان المؤمن بالمعذرة إلا وقد فتح له بالمغفرة اه وقال الخفاف رحمه الله وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما منح الدعاء وفى ذلك قيل :

ولو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما علمتنى الطلبا

ثم هذا كله قبل فتح باب المعرفة وإذا فتح لك الباب فلا تحتاج إلى طلب لغناك بسبب الأسباب فيكون دعاؤك إنما هو اظهار للفاقة والاضطرار اللازمتين لك مع كل نفس وفى كل وقت وحال كما أشار إليه بقوله (العارف لايزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) قلت أما وجه كونه لا يزول اضطراره فلتحقق قيومية الحق به إذ الحس لايقوم إلا بالمعنى لحس العبودية لا يقوم إلا بمعنى الربوبية فبقدر تحقق العبد بقيومية الربوبية يشتد اضطراره فى ظاهر العبودية وأيضاً العارف لا يزال فى الترقى فهو متعطش للزيادة على الدوام كما قال النقشبندى رحمه الله

وذو الصبابة لو يسقى على عدد الأنفاس والكون كأس ليس يرويه

وقال آخر سقانى الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب ولا رويت

عاد أشار به إلى أن الشيخ لابد أن يكون سلك طريق السلوك ثم خاض بحار الجذب ثم رجع إلى السلوك فلا يصلح للتربية سالك محض ولا مجذوب محض وإنما يصلح من تقدمه سلوك ثم تداركه الجذب أو تقدمه جذب ثم رجع للسلوك والأول أكمل وقيل الثانى أكمل وكلاهما يصلحان للتربية دون ما قبلهما أما السالك المحض وهو الظاهرى فلأنه لا يخلو من بقية فيه من هذا العالم أعنى عالم الاشباح والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والعبد المملوك لا يمكنه التصرف فى نفسه فكيف يتصرف فى غيره (وأما) المجذوب قبل أن يرجع إلى البقاء أعنى قبل أن يرجع من عالم الحق الذى هو عالم القدرة وارتفاع الوسائط وخرق حجاب الاسباب إلى عالم الخلق الذى هو عالم الحكمة وتحقيق الوسائط والأسباب وإلى الاشتغال بالسلوك والتحقق بالمقامات فهو أيضاً غير مؤهل للمشيخة والاقتداء به لاشتغاله بحاله عن حال غيره وعدم تحققه بالمقامات إلا انه يربى من هو دونه إلى بلوغ مقامه وقد يتمكنان معا ان كان الأول مقتدياً بشيخ يسيره والله تعالى أعلم (وقوله) ليخبر القوم بما استفاد المراد بالقوم هم المريدون يخبرهم بما استفاده من علوم الأذواق وأنوار الشهود ولذلك قالوا لابد للشيخ أن يكون

وقال بعضهم لو شربت فى كل لحظة ألف بحر لاترى ذلك إلا قليــــلا وتشهد شفتيـــــك ذلك يابسة وكل كناية عن عدم النهاية وان المقصود غير منضبط فالعارف لايزال مفتقرا للزياده على الدوام فلايزول اضطراره على الدوام وقد قال الله تعالى لسيد العارفين وقل ربّ زدنى علماً فالاضطرار إلى زيادة العلم لاينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض قال تعالى مخاطباً للكل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا (وأما) وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره فلان قلب العارف رحل إلى الله من الكون بأسره فلم تبق له حاجة إلى غيره فقراره إنما هو شهود الذات الأقدس فان نزل إلى سمـــاء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكن والرسوخ فى اليقين فالعارف ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وأيضاً سابق العناية لايتركه يركن إلى غير مولاه فمهما ركن قلبه إلى شىء شوشته عليه العناية واكتنفته الرعاية فهو محفوظ من الأغيار محفوف من كل جهة بمدد الأنوار إذ كان الله حرس السماء من استراق السمع فكيف لايحدس قلوب أوليائه من الأغيار وما توهم بمحبته حتى حفظهم من شهود غيره فكيف بالركون فكيف بالسكون هيهات هيهات هذا يكون من كان ظاهره محفوفا بالأنوار وباطنه محشوا بالأسرار فكيف يركن إلى شهود الأغيار كما أبان ذلك بقوله (أنار الظواهر بأنوار أثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه) بالكواكب

قلت أنوار الظواهر هى ماظهر على تجليات الأكوان من تأثير قدرته وابداع حكمته كتزيين السماء والقمر والشمس وما فيها من ابداع الصنع وتمام الاتقان وكتزين الأرض بالأزهار والثمار والنبات وسائر الفواكه وكتزين الانسان بالبصر والسمع والكلام وسائر مافيه من عجائب الصنعة قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال تعالى إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها فهذه أنوار الظواهر وأنوار الأوصاف هى علوم والمعارف والأسرار والمراد بالأوصاف أوصاف الربوبية كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكبرياء والكمال وغير ذلك من أوصاف الذات العلية والذات لاتفارق الصفات فاذا أشرقت السرائر بأنوار معرفة الصفات فقد أشرقت بأنوار معرفة الذات للتلازم الذى بين الصفات والذات ثم الناس فى شهود هذه الأنوار الباطنة التى هى أنوار الأوصاف على ثلاثة أقسام قسم يشهدونها على البعد وهم أهل مقام الاسلام وقسم يشهدونها على القرب وهم أهل المراقبة من مقام الايمان وقسم يشهدونها على الاتصال وهم أهل المعرفة من مقام الاحسان فأهل مقام الاسلام أنوارهم ضعيفة كأنوار النجوم وأهل مقام الايمان أنوارهم متوسطة كنور القمر وأهل مقام الاحسان أنوارهم ساطعة كانوار الشمس فتحصل أن أنوار الباطن ثلاثه نجوم الاسلام وقمر التوحيد وشمس المعرفة

له علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية وسيأتى الكلام فى بقية شروطه إن شاء الله ثم تمم أحوال الشيخ ومعارفه فقال

وجاب منها الوهد والآكاما وراض منها الرمل والرغاما

قلت أصل جاب فى اللغة بمعنى نقب وقطع قال تعالى الذين جابوا الصخر بالواد أى نقبوها واتخذوا فيها بيوت وأطلقا الناظم هنا على الدخول والسلوك والوهد المكان المنخفض والآكام المكان المرتفع جمع أكة وهو التل والتل هو جبل صغير وراض المكان اختبره وعرف ما فيه والرمل بالراء معلوم والمراد هنا الرقيق الذى يمنع من سرعة السير والرغام التراب والمراد هنا الصلب اليابس (يقول) رضى الله عنه أن شيخ التربية يكون قد سلك من طريق القوم ما كان منها منخفضاً كالخمول والذل والعزلة والفاقة وذاق حلاوة ذلك ومرارته وعرف منافعه ودسائسه فيسير فيها كما صـــار هو وعرف أيضاً ما كان منها مرتفعاً كالظهور والعز والخلطة والغنى فيكون قد سلك ذلك وعرف ضرره ونفعه وذاق حلاوته ومرارته فيسيرون فيه كما سار هو لكن الناس مختلفون فكم من واحد تأنس بالخمول والعزلة فتركن نفسه لذلك ويشق عليه ظهوره

وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله :

لها البدر كأس وهى شمس يديرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

فالضمير لخمرة المحبة وهى أيضاً شمس المعرفة فاذا مزجت لتشرب ظهر نجم الإسلام وإذا وضعت فى الكأس طلع قمر التوحيد وهو الإيمان وإذا شربت أشرقت شمس المعرفة والذى يديرها على الشاربين هلال الهداية هذا معنى كلامه فى الجملة وتشبيه الأنوار المعنوية بالأنوار الحسية إنما هو تقريب وإلا فأنوار القلوب كلها عظيمة حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق مابين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع (وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه لو كشف عن حقيقة لعبد من دون الله (وقال) فى لطائف المنن ولو كشف الحق عن مشرقات قلوب أنوار أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس والقمر يطرأ عليهما الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه لاكسوف لها ولا غروب ولذلك قال قائلهم .

هذه الشمس قابلتنا بنـــور والشمس واليقين أبهر نوراً

فرأينا بهذه النـــور لكن بهاتيك قد رأينـــا المنيرا

فأنار الحق سبحانه ظواهر الكائنات بأنوار الظواهر وهى النجوم والقمر والشمس فى الحسن وتزيين الخلق وإبداعه وتخصيصه وتقييده عن شكل معلوم فى الأنوار الخفية وتهذيب الجوارح وتطهيرها من الأنوار المعنوية وأنار سبحانه القلوب والسرائر بأنوار أوصافه وهى عظمة الربوبية وأوصافها فاذا أشرقت فى سماء القلوب الصحية والأسرار الصافية غاب العبد عن شهود الأغيار وغرق فى بحر الأنوار فتفنى الأشكال والرسوم ولا يبقى إلا الحى القيوم ثم ذكر الفرق بين أنوار الظواهـــر وأنوار السرائر فقال (لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر) أى لأجل أن أنوار الظواهر إنما هى أنوار الأثر ومن شأن الأثر أن يتأثر ويتغير بالطلوع والغروب فأفلت أى غربت أنوار الظواهر اما بالغروب والمعلوم أو بالعدم المحتوم ولم تأفل أى تغرب أنوار القلوب وهى أنوار السلام والايمان وأنوار السرائر وهى أنوار الاحسان فأنوار الاسلام والايمان هى أنوار التوجه وأنوار الاحسان هى أنوار المواجهة فالنور عبارة عن اليقين الذى يحصل فى القلب يثمر حلاوة العمل فاذا قوى اليقين قوى النور واشتدت الحلاوة حتى يتصل بحلاوة الشهود فيغطى حلاوة العمل فلذلك

وخلطته فالواجب على الشيخ إخراجه من ذلك فيأمره بالخلطة والظهور إذ لاتموت النفس إلا بما يثقل عليها وكم من واحد كان مبتلى بالظهور والعز والغنى والخلطه فالواجب اخراجه من ذلك كله بالأمر بضده (قال) فى شرح الرائية الشريشية وإذا أردت الخروج من العلائق فأولها الخروج من المال فان ذلك الذى يميل به عن الحق فلم يوجد مريد دخل فى هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى مامنه خرج فاذا خرج من المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فان ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لايجيء منه شيء بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس له بعين التعظيم والتبرك به لافلاس الناس من هذا الحديث وهـــو بعد لم يصحح عقده بينه وبين الله تعالى فخروجه من الجاه واجب عليه لأن ذلك سم قاتل له فاذا خرج به من ماله وجاهه فيجب أن يصحح عقده بينه وبين الله تعالى لايخالف شيخه فى كل مايشير به عليه فان الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره اه (قوله) وراض منها الرمل والرغاما يعنى أن الشيخ يكون قد اختبر الطريق صعبها وسهلهـــا

يقل عمل الجوارح عند العارف إذ حلاوة الشهود تغنى عن كل شيء ليس الخبر كالعيان (وفى بعض) الأحاديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال العلم بالله قالوا يا رسول الله سألناك عن العمل قال العلم بالله ثم قال فى الثالثة عمل قليل كاف مع العلم بالله وحقيقة النور فى الاصل كيفية تنبسط من النيرين على سطح الجسم فينكشف ما عليه بواسطة البصر ثم شبه به العلم واليقين والمعرفة لما بينهما من الشبه فى كشف حقيقة الأشياء وتمييزها فالنور الحسى ينقطع بانقطاع أصله والنور المعنوى هو نور القلوب لاينقطع أبدا فلذلك أنشد الشيخ هذا البيت فقاله ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بليل   وشمس القلوب ليست تغيب

وليس هو من عند المؤلف بل هو لغيره وسيأتى فى المناجاة بتمامه إن شاء الله قال الشيخ زروق رضى الله عنه فشمس القلوب لاتغيب أبداً بل هى دائمة لاتنقطع وباقية لاتنصرم لبقاء مددها وهى معانى الأوصاف الربانية ودوام محالها وهى الآفاق الروحانية فالمتعلق بها متعلق بحقيقة لاتنصرم ومن هذا الوجه كان غنى القوم بالله لا بالاسباب وتعلقهم به لابشىء دونه اه (هذا آخر الباب العاشر) وحاصلها ذكر كيفية الجزاء على الأعمال والزجر على طلبه وتحقيق معرفته فى عطائه ومنعه والاعتناء باقباله وقبوله لا بخدمته ودوام الاضطرار بين يديه والافتقار إلى نعمته والاستيحاش من خلقه بدوام أنسه ثم اشراق أنواره على قلوب أوليائه وأسرار أصفيائه جزاء لاقبالهم عليه وانحياشهم اليه فاذا أتحفهم بذلك وهيأهم لما هنالك تلى عليهم قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية كما نبه عليه فى أول الباب الحادى عشر بقوله وقال رضى الله عنه (ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) قلت إذا أصابتك أيها الانسان مصيبة أو نزلت بك بلية فى بدن أو أهل أو مال فاذكر من أنزل ذلك عليك وما هو متصف به من الرحمة والرأفة بك والمحبة والعطف عليك لعلك تفهم مافى طى ذلك من النعم وما يعقبه من سوابغ الفضل والكرم ولو لم يكن إلا تطهيرك من الذنوب وتمحيصك من العيوب وتقريبك من حضرة علام الغيوب فهل تعودت منه إلا الاحسان وهل رأيت منه إلا غاية المبرة والامتنان فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار فالذى واجهتك منه أحكام قهره هو الذى عودك تمام إحسانه وبره فالذى واجهتك منه ظواهر المحن هو الذى أسبغ عليك بواطن المنن فالذى واجهتك من حضرة قهاريته الرزايا هو الذى أتحفك بأنواع الكرامات والهدايا ولله در

فينظر فى حال المريدين فمن كان قويا حمله على الصعبة ليطوى عنه مسافة البعد ومن كان ضعيفا حمله على السهلة لئلا ينفرد فيرجع من حيث جاء فالرمل الرقيق يصعب السير فيه بخلاف الرغام الصلب فانه يسهل فيه السير فكنى به الناظم عن مشاق النفس وما يخف عليها ولا شك أن الطريق إذا كانت قريبة مختصرة لاتجدها إلا صعبة معقبة وإذا كانت طويلة مسلوكة لاتجدها إلا طويلة بعيدة والله تعالى أعلم ثم قال :

وجال فيها رائحا وغاديا   وسار كل فدفد وواديا

قلت الفدفد المكان الغليظ ذو حصباء قاله ابن الانبارى وقال أبو زيد الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع والوادى معلوم وجمعه أودية وهو مواضع المياه (يقول) رضى الله عنه يشترط فى الشيخ أن يكون ماهرا بالطريق قد جال فيها مرارا قد راح فيها آخر النهار وغدا فيها أول النهار وكنى بها عن علم البدايات والنهايات فيكون عالما بما يربى به المريد فى بدايته وفى نهايته فلكل واحد حكم يخصه فعمل البدايات عمل الجوارح وعمل النهايات عمل القلوب ويكون أيضا قد سلك مسالك

صاحب العينية حيث يقول :

تذلى الآلام إذ أنت مسقمى　　وإن تمتحنى فهى عندى صنائع
تحكم بما تهواه فى فاننى　　فقير لسلطان المحبـــة طائع

قال الجنيد رضى الله عنه كنت نائماً بين يدى السرى فأيقظنى وقال لى يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يديه فقال لى ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر فخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معى لاالدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم ولا من النار هربتم فما تريدون قالوا إنك تعلم مانريد فقلت إنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم مالا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون قالوا إن كنت أنت المبتلى فافعل ماشئت هؤلاء عبادى حقاً اه وقال فى التنوير وإنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الأفهام (وإن شئت) قلت وإنما يقويهم على حمل البلايا واردات العطايا (وإن شئت) قلت وإنما يقويهم على حمل أقدره وشهود حسن اختياره (وإن شئت) قلت وإنما يصبرهم على وجود حكمه عليهم بوجود علمه (وإن شئت) قلت إنما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود اجماله(وان شئت) قلت إنما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضى (وان شئت) قلت انما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار(وان شئت) قلت انما صبرهم على أقداره عليهم بما أودع فيها من لطفه وابراره اه وإلى هذا الأخير أشار بقوله (من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قلت من أعظم احسان الله وبره كون لطفه لاينفك عن قدره فما نزل القدر إلا سبقه اللطف وصحبه وبهذا حكم النقل والعقل أما العقل فما من مصيبة تنزل بالعبد الا وفى قدرة الله ماهو أعظم منها وقد وجد ذلك فاذا نزلت بك أيها الإنسان مصيبة فاذكر من هو أعظم منك بلاء فكم من إنسان يتقطع بالأوجاع وكم من انسان مبتلى بالجذام والبرص والجنون والعمى وكم من انسان مطروح فى الفنادق لايجد من يبريه الا من ابتلاه وكم من انسان أعمى أو مقعداً أو محموم الا مالايتناهى نسأل الله عافيته الدائمة فى الدارين (وأما) من جهة النقل فقد ورد فى ثواب الأمراض والأوجاع أحاديث كثيرة وآيات قرآنية فى مدح الصابرين منها قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وبشر الصابرين الآية ان الله مع الصابرين الى غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم مايصيب المؤمن من وصب ولا

الجمال والجلال فالجمال محل العلو والظهور كالفدفد والجلال محل الانخفاض والخنـــو كالأودية وفيه إشارة إلى أن شرب المريد من منهل الجلال أكثر من شربه من محل الجمال لأن الأودية الغالب فيها وجود الماء بخلاف الفدفد والله تعالى أعلم ثم قال :

وعلم المخوف والمأمونا　　وعرف الأنهار والعيونا

قلت يعنى أن الشيخ يكون عالما بالمكان المخوف والمأمون والمكان الجدب الذى لاماء فيه والمكان الذى فيه الماء فيكون عالما بالأمور التى يخاف على المريد فيها فيأمره بالبعد عنها كالركون إلى العز والتعظيم أو الى الدنيا والميل الى شىء منها ومن أسبابها ومخالطة أهلها وسماع حديثها وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول لاتجالسوا الموتى فتموت قلوبكم وكصحبة علماء الفروع المتجمدين على ظاهر الشريعة لأنهم يزعمون أن السنة محصورة فيما علموا منها وكمخالطة القراء المداهنين والمتفقرة الجاهلين فهؤلاء كلهم قطاع يخاف على المريد فى صحبتهم (والموضع) المأمون هو الزهد فى الدنيا والبعد منها ومن أهلها (وفى الحديث) ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وفى حديث آخر الزاهد يريح بدنه وقلبه فى

نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى الهم يهمه إلا كفر به سيئاته (وورد) فى الحمى أحاديث كثيرة وان حمى ساعة تكفر سنة إلى غير ذلك وقد ذكر الشيخ ابن عباد رضى الله عنه منها جملة شافية فليطالعه من أراد تكثير الأجور ورفع الستور والرضى بالمقدور وما ذكرناه كاف ان شاء الله وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول كلام النية قصير وبالله التوفيق فالأمر واضح لمن هو لنفسه ناصح فلا يخاف عليك من الجهل بالحق وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى وجهلة الخلق كما أشار الى ذلك بقوله (لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) قلت لاشك ان الله سبحانه بين لنا طريق الوصول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لنا أعلام الشريعة ومنار الطريقة وأنوار الحقيقة فقرر لنا شرائع الاسلام وقواعد الايمان ومقام الاحسان فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئا يقربنا إلى الله إلا دلنا عليه ولا شيئا يبعدنا عنه إلا حذرنا منه لم يأل جهدا فى ارشاد العباد وإظهار طريق السداد فما رحل إلى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم على طريق بيضاء لايضل عنها إلا من كان أعمى قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً وقال تعالى لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي وقال عليه السلام لقد تركتكم على الحنيفية السمحة وفى رواية على الملة البيضاء نهارها كليلها أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن حضرويه البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والدليل لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى (وسمعت) رابعة العدوية صالحا المرى يقول من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له الباب مفتوح وأنت تفر منه كيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق اليه فى أول قدم اه كلامها رضى الله عنها فلا يخاف عليك أيها المريد أن تلتبس الطرق الموصلة إلى الله تعالى عليك لأنها فى غاية الوضوح وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصمك ويعميك ان الهوى ماتولى يصم أو يصم، فلا يخاف عليك التباس الهدى إنما يخاف عليك اتباع الهوى فلا يخاف عليك التباس الحق وانما يخاف عليك جهلة الخلق وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله فلا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق وانما يخاف عليك قطاع الطريق لايخاف عليك من خفاء أهل الحق انما يخاف عليك من قلة الصدق فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم والله ماحجبهم عنك إلا من عدم صدقك فلو حسنت ظنك بالله وبأوليائه لرفع الله الحجاب بينك وبينهم ووجدتهم أقرب اليك من أن ترحل اليهم فسبحان من سترهم فى حال ظهورهم وأظهرهم فى حال خفائهم

الدنيا والآخرة (وقيل) لأبو الحسن مالى أرى الناس يعظمونك وليس لك كبير عمل قال بسنة واحدة افترضها الله على عباده تمسكت بها (قيل) وما هى قال الاعراض عنكم وعن دنياكم

(و) من المواضع المأمونة صحبة الصوفية من المريدين والعارفين والميل إلى الفاقة والقناعة من الدنيا والعزلة والصمت والموضع الذى لاماء فيه وهو محل الجدب وهو الموطن الذى تكثر فيه الشهوات والعوائد ويجد فيه المريد راحته وجماله ويظهر فيه عزه وجاهه فهذا الموطن ان طال فيه اقامته قحط قلبه ومنع من مدد الزيادة.

(قال) فى الحكم ان أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك ربما تجد من المزيد فى الفاقة مالا تجده فى الصوم والصلاة ولذلك كانت الفاقة أعياد المريدين لأنها سلم ومعراج للرسوخ والتمكين فى مقامات اليقين (و) قد قال بعضهم بقدر الامتحان يكون الامتكان واختبار الباقى يقطع التباقى وكل محنة تزيد مكنة والموضع الذى فيه المياه من عيون وأنهار هو ماقلته آنفا من مواطن الشدة والفاقة وكلما ينغص على النفس ويؤلمها فالأنهار هى علوم الطريقة والعيون هى أسرار الحقيقة (أو تقول) الانهار هى العلوم والعيون هى الاذواق فلا بد للشيخ أن يكون عارفا بالعلوم التى يحتاج اليها ويذوق

كما نبه عليه الشيخ بقوله (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية) قلت الخصوصية هى نور الحق يشرقه الله فى قلوب خواص عباده المقربين بعد تطهيرها من الأكدار وتنزيهها عن المساوى والاغيار يغيبون به عن شهود أنفسهم بشهود محبوبهم وسرها هو ما احتوى عليه ذلك النور من الكمالات العلية والنعوت القدسية والصفات السنية التى تليق بالمتحلى به كالكبرياء والعز والقوة والعظمة والاجلال وكالاتصاف بالقدرة التامة والعلم المحيط وسائر أوصاف الكمال ثم ان الحق سبحانه من عظيم حكمته وباهر قدرته ان ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضدادها التى هى أوصاف العبودية فستر كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد وستر قدرته وإرادته بظهور العجز والقهرية عليه وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية فسبحان من جعل الأشياء كامنة فى أضدادها ستر كمالات الربوبية بنقائص العبودية ولولا ذلك لكان السر غير مصون والكنز غير مدفون وسيأتى قوله ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بالاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار اه ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه لو كشف عن نور الولى لعبد من دون الله وثبت عن الشيخ أبى يزيد رضى الله عنه أنه لما تجلى له هذا النور قال سبحانى ما أعظم شأنى وقال الحلاج رضى الله عنه :

أنا أنت بلا شك سبحانك سبحانى توحيدك توحيدى وعصيانك عصيانى

وقال أيضا :

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وباظهار هذا وأمثاله قتل رضى الله عنه فمن لطف الله تعالى ورحمته ان ستر ذلك السر بظهور نقائصه صونا لذلك السر أن يظهر لغير أهله ومن أفشاه لغير أهله قتل كما فعل بالحلاج وكما ستر سر الخصوصية بظهور أضدادها ظهر بعظمة الربوبية فى مظاهر العبودية قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهر بها الربوبية اه إذ الربوبية تقتضى مربوبا موصوفا بضد ما اتصف به ربه من الكمالات الإلهية والنعوت القدسية فما ظهرت أوصاف الربوبية التى هى الغنى والعز والقدرة وغير ذلك من الكمالات إلا فى أضدادها من الفقر والذل والضعف وغير ذلك فالفقر الحقيقى شامل لسائر

أسرار الأحوال والمقامات والله تعالى أعلم ثم قال :

قد قطع البيداء والمفاوز وارتاد كل حابس وحاجز

قلت البيداء هى الصحراء والمفاوز جمع مفازة وهى المسافة البعيدة وارتاد أى اختبر البلد وعرف مايصلح ومالا يصلح فالرائد هو الذى يتقدم أمام القوم ليختبر لهم البلد الذى يصلح للنزول والحابس هو الذى يحبسك عن بلوغ المراد والحاجز هو الذى يحجز بينك وبين مرادك (يقول) رضى الله عنه ان الشيخ لابد أن يكون قطع مهامه النفوس وجال فى ميدان محاربتها فى قطع شهواتها وعوائدها ومايجنح إليه من رعوناتها ومألوفاتها وقطع أيضا مفاوز البعد الذى بينها وبين خالقها الناشىء عن وهمها وجهلها وذلك بقطع ركونها إلى الكرامات وخوارق العادات أو طلب الخصوصية أو غير ذلك من الحروف القاطعة عن مقام الاخلاص واللحوق بخواص الخواص ويكون أيضا اختبر وعرف كل ما يحبس عن المسير من الوقوف مع المقامات والقناعة بظهور الكرامات (و) فى الحكم ما أرادت همة عارف أن تقف مع ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة

الموجودات والغنى المطلق واجب لمن تجلى فى الأرض والسموات يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد فاذا تقرر هذا علمت أن الاضافة فى سر الخصوصية ليست هى للبيان بل هى للتخصيص فسر الخصوصية غيرها إذ الخصوصية هى النور الذى يقذفه الله سبحانه فى قلوب أوليائه وسرها هو الكمالات التى تلازم ذلك النور كما تقدم (واعلم أن سر الخصوصية) الذى جعله الله فى بواطن أوليائه وستره بظهور وصف بشريتهم قد يظهره عليهم على وجه خرق العادة فقد يظهر على وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ماتحار فيه العقول وتذهل فيه الاذهان لكن لايدوم ذلك لهم بل يكون على الكرامات وخرق العادات يشرق عليهم شموس أوصافه فيتصفون بصفاته ثم يقبض ذلك عنهم فيردهم إلى حدودهم فنور الخصوصية وهى المعرفة ثابت لايزول ساكن لايحول وسرها وهو كمالاته تعالى تارة يشرق على أفق بشريتهم فيستنير بأوصاف الربوبية وتارة ينقبض عنهم فيردون إلى حدودهم وشهود عبوديتهم فالمعرفة ثابتة والواردات مختلفة والله تعالى أعلم (واعلم) أيضاً أن أوصاف البشرية التى ستر الله بها سر الخصوصية إنما هى الأوصاف الذاتية اللازمة للبشر كالأكل والشراب والنوم والنكاح لا الاوصاف المذمومة المناقضة للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب وغير ذلك فان تلك أوصاف ذهبت بظهور نور العناية وسابق الهداية إذ لاتثبت الخصوصية إلا بعد محوها بخلاف الاوصاف الذاتية فانها تجامع الخصوصية كما سيأتى إن شاء الله بل هى حجابها وصوانها وبوجودها وقع الستر والخلفاء لأولياء الله تعالى غيرة عليهم أن يعرفهم من لايعرف قدرهم قال فى لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الايواء فقليل من يعرفهم (وسمعت) الشيخ أبا العباس رضى الله عنه يقول معرفة الولى أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوق مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وإذا أراد الله أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته اه

(تنبيه) هذا النور الذى أشرقه الله فى قلوب أوليائه كان كامنا فى الروح فى أصل بروزها فأصلها نورانية عالمة بأسرار الغيب دراكة للأشياء على حقيقتها وإنما حجبها عن ذلك سجنها فى هذا البدن الطينى واشتغالها بحظوظه وشهواته فمن أدبها وريضها على يد شيخ كامل رجعت إلى أصلها قال فى المباحث

ولم تزل كل نفوس الاحيا علامة دراكة للأشيا
وإنما تعوقها الابدان والانفس النزغ والشيطان

الذى تطلب أمامك ولاتبرجت ظواهر المكونات الا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر وعرف أيضاً ما يحجز ويمنع من الوصل إلى صريح العرفان على وفق المشاهدة والعيان وهو أمران إما الملل من المجاهدة والسير والركون إلى الراحة والكسل وإما الاستغناء عن الشيخ والخروج عنه قبل الترشيد فان ذلك يحجز بينه وبين التحقيق ويخرجه عن سواء الطريق ويرجع إلى مقام العموم نسئل الله السلامة من السلب بعد العطاء آمين ثم قال :

وحل فى منازل المناهل وكل شرب كان فيه ناهل

المناهل جمع منهل وهو الموضع الذى ينزله الركب بشرط أن يكون فيه الماء والآخاذ والناهل هو الشارب (يقول) رضى الله عنه يشترط فى الشيخ أن يكون حل فى منازل السائرين وهى مقامات اليقين بحيث سلكها وعرفها ذوقا وحالا ومقاما كتصحيح التوبة بشروطها وأركانها وتحقيق الورع والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والرضى والتسليم والمحبة والمراقبة والمشاهدة وحصل له الفرق بين الروحانية والبشرية والسلوك والجذب والفناء والبقاء وأحكم أحكام التخلية والتحلية

فكل من أذاقهم جهاده   أظهر للقاعد خرق العاده

فاذا كمل تطهير الروح من الاعيار وأشرقت عليها شموس الأنوار كوشفت بأسرار الذات وأنوار الصفات فغرقت فى بحر التوحيد الذى تكل عنه العبارة ولا تلحقه الاشارة وهو التوحيد الخاص الذى أشار اليه الهروى بقوله :

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته   عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده   ونعت من ينعته لاحد

ومضمنه أن الحق سبحانه تولى توحيد نفسه بنفسه فكل من ادعى أنه وحده بنفسه فهو جاحد لوحدانيته حيث أشرك معه نفسه وكل من ينعته بنفسه فهو لاحد أى مائل عن الصواب والله تعالى أعلم فاذا طلبت ربك فى تطهيرك من وصف البشرية ليكشف لك سر الخصوصية ثم تأخر مطلبك فانما ذلك من سوء أدبك كما نبه عليه بقوله (لاتطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب بتأخر أدبك) قلت هذه قاعدة عامة وإن كانت مناسبتها خاصة فاذا طلبت شيئاً ثم تأخر ظهور ذلك المطلب فانما ذلك لما فاتك من حسن الأدب ولو لم يكن إلا قصد خصوص ذلك الطلب فلا تطالب ربك أن يعجل مطلبك بسبب تأخره عنك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فلو أحسنت الأدب فى الطلب لقضيت حاجتك معنى وإن لم تقض حسا وحسن الأدب هنا هو اكتفاؤك بعلمه ورضاك بحكمه واعتماد على مااختاره لك دون مااخترته لنفسك لقلة علمك فقد ضمن لك الإجابة فيما يريد لافيما تريد وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد ولله در القائل :

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه   فلا زلت لى منى أبر وأرحما
عزمت على ألا أحس بخاطر   على القلب إلا كنت أنت المقدما
وإلا ترانى عند ماقد نهيتنى   لانك فى نفسى كبيرا معظما

قال وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت فى بعض الكتب يا ابن آدم أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك انى عالم بخلقى إنما أكرم من أكرمنى وأهين من هان عليه أمرى ولست بناظر فى حق عبدى حتى ينظر عبدى فى حقى وأعظم الآداب وأكملها امتثال أمره والاستسلام لقهره كما نبه عليه بقوله (متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره وفى الباطن مستسلما

وكل شرب من مشارب القوم وأذواقها كان فيه ناهلا وشاربا فاذا حصل هذه المراتب وذاق هذه الأذواق استحق أن يكون شيخاً مربيا كما أشار اليه بقوله :

فعند ما قام بهـــذا الخطب   قالوا جميعاً أنت شيخ الركب

(قلت) الخطب هو الشأن يعنى فعند ما قام بهذا الخطب الجسيم وتحقق فيه هذا السر العظيم إستحق التقديم للتربية والترقية وقالوا له أنت شيخ الركب حيث سلكت المنازل وعرفت المناهل وحققت الطريق ووصلت إلى معالم التحقيق وعلمت المخوف والمأمون والمجذوب منها وما اشتمل على أنهار وعيون فقد شهدت لك الأرواح بالتقديم والاسرار بالتعظيم وقد أشار الشريشى إلى شروط الشيخ قال :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له   فما هو إلا فى ليالى الهوى يسرى
إذا لم يكن علم لديه بظاهر   ولا باطن فاضرب به لجج البحر

لقهره فقد أعظم المنة عليك) قلت إنما كان من أعظم المنة لأنه شاهد المعرفة التى هى منتهى الهمم وأقصى غاية النعم فامتثال الامر فى الظاهر يدل على كمال الشريعة وتحقيق العبودية والاستسلام للقهر فى الباطن يدل على كمال على الطريقة ونهاية الحقيقة والجمع بينهما هو غاية الكمال إذ منتهى الكمالات الشرائع فمتى جعلك أيها الانسان فى الظاهر ممتثلا لأمره ومجتنباً لنهيه وفى الباطن مستسلماً لقهره فقد أعظم المنة عليك حيث أراح ظاهرك من عنت المخالفة وأراح باطنك من تعب المنازعة (أو تقول) حيث زين ظاهرك بالطاعة وزين باطنك بالمعرفة فالواجب عليك أن تشكر هذه النعمة وتعرف قدرها حتى تعظم محبة الله فى قلبك وذلك أقصى مرادك وقصدك والله ذو الفضل العظيم ومتى أثبت لك هذا الامر فقد خلصك من نفسك وحررك من رق حظك فلا تبال معها ما فاتك من تخصيص الكرامات الحسية لانها أمور وهمية كما أشار إلى ذلك (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) قلت المراد هنا بالتخصيص تخصيصه بالكرامات الحسية والمراد بالتخليص تخليصه من رق الحظوظ ومن بقية السوى فليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات الحسية كمل تخليصه من حظوظه النفسية ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كمل تخليصه من الفوائد والشهوات بل قد يعطى الكرامة الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه النفسية وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور

(أحدها) انهاضه فى العمل لحصول فترة أو وقعة

(الثانى) اختبار له هل يقف معها فيحجب أو يأنف عنها فيقرب

(الثالث) زيادة فى يقينه أو يقين الغير فيه لينتفع به فهى مقصودة بالتكميل على كل حال قال سهل رضى الله عنه لرجل قال انى أتوضأ فأخذ الماء يسقط من يدى قضبان ذهب وفضة فأجابه بقوله أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا خشخاشة يشتغلون بها (قال بعض) العلماء ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدى البله من الصادقين اه قلت الكرامة العظمى هى المعرفة والاستقامة ورفع الحجاب وفتح الباب فلا كرامة أعظم من هذا وسيأتى الكلام على هذا المعنى بعد إن شاء الله ويحتمل أن يريد بالتخصيص تخصيص التقرب والهداية فليس كل من ثبت تخصيصه بالهداية وشروق الأنوار كمل تخليصه من رؤية الاغيار فقد يخصص المجاهدة والمكابدة ولا يتحف بالمعرفة والمشاهدة قوم أقامهم لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كما تقدم فالعباد والزهاد ثبت تخصيصهم فهم من عوام المقربين ولم يكمل تخليصهم من شهود السوى حتى يكونوا من خواص العارفين وبالله التوفيق (هذا آخر الباب) الحادى عشر وحاصلها تحقيق الادب فى التعرفات الجلالية بدوام معرفته وشهود نعمته فى نعمته وجريان لطفه وبره فى حال قضائه وقدره حتى لا يغلبك الهوى فتلتبس

فالعلم الظاهر هو علم الشريعة والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة فاذا لم يحصل شيئاً من هذين العلمين ثم ادعى مرتبه الشيخوخة فأخرجه من سفينة دائرة الشيخوخة وألقه فى لجج بحر النفاق (قال) صاحب العوارف ومن شرائط أهل الولاية أن يكون عالماً بالاوامر الشرعية عاملا بها واقفاً على آداب الطريقة وسالكافيها وكاملا فى عرفا الحقيقة وواصلا اليها ومخلصاً لجمع ذلك حتى يتم له السلوك ويشرف بعالم الوصال فالله الله أيها الطالب الحذر من صحبة اشرار فإنهم قطاع الطرق واعتصموا بحبل القرآن والاحاديث النبوية (وقال) أبو الحسن الششترى رضى الله عنه لا يقتدى فى طريقنا هذه بظاهر ولا بباطن وإنما يقتدى بمن جمع بينهما من الزهد الظاهر والإيثار والورع والعلم بالمنازلات والاحوال والمقامات والخواطر (وقال) الجنيد رضى الله عنه من لا يكتب الحديث ويحفظ القرآن لا يقتدى به فى هذا الامر فيجب على المريد ألا يقتدى إلا بالعلم المتجرد عن الدنيا العامل بما يعلم ثم قال ولا يتخيل لطالب هذا الأمر بذكائه أو ينظر فى كتب لصوفية أو الحكماء ويعمل ويجتهد ويصلى لا والله ما الامر هين (واعلم) أن ما شرطه الشيخ الشريشى فى شيخ التربية

عليك سبل الهدى أو تقف مع ظاهر الأشياء التى هى محل الجلال فتحجب عن البواطن التى هى مستقر الجمال فالذات جلال والصفات جمال فمن وقف مع ظواهر الجلال حجب عن شهود الجمال وحرم من معرفة الرجال وكان محجوباً عن ذى العظمة والجلال فيسىء الادب ويحرم حصول المطلب فاذا استدركته العناية وهبت عليه ريح الهداية شغل ظاهره بوظائف العبودية وباطنه بشهود الربوبية فكان فى الظاهر ممتثلا لامره وفى الباطن مستسلما لقهره فتمت عليه نعمة مولاه وكمل تخليصه من رق حظوظه وهواه فح يعظم ما يعظم مولاه ولا يستحقر شيئاً من أسباب محبته ورضاه كما أبان ذلك فى أول الباب الثانى عشر بقوله وقال رضى الله عنه (لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه)

قلت الورد فى اللغة هو الشراب قال تعالى بئس الورد المورود وفى الاصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الاذكار والعبادات والوارد فى اللغة هو الطارق والقادم يقال ورد علينا فلان أى قدم وفى الاصطلاح ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الالهية فيكسبه قوة محركة وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه ثم ان الورد ينقسم على ثلاثة أقسام ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد أهل السلوك من السائرين وورد أهل الوصول من العارفين

(فأما) ورد المجتهدين فهو استغراق الاوقات فى أنواع العبادات وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وقد ذكر فى الاحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل وعين لكل وقت وردا معلوما

(وأما) ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب ترك العلائق والعوائق وتطهير القلوب من المساوى والعيوب وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل وعبادتهم ذكر واحد وهو ما يعنيه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب (وأما) ورد الواصلين فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف فى الحضرة فكل من أقامه مولاه فى ورد فليلتزمه ولا يتعدى طوره ولا يستحقر غيره إذ العارف لا يستحقر شيئاً بل يصير مع كل واحد فى مقامه ويقرر كل شىء فى محله فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند وكيف يستحقر الورد به ويكون الورود على الملك المعبود الورد يوجد ثوابه وثمرته فى الدار الآخرة والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار قال تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون وجاء فى الاثر أن الله يقول ادخلوا الجنة برحمتى وتقاسموها

من العلم الظاهر والباطن صحيح أما العلم الظاهر فالمطلوب منه تحصيل ما يحتاج اليه فقط ويحتاج اليه المريد فى حال سيره وهو القدر الذى لابد منه أحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها فى السير والسلوك إلى ملك الملوك كالدماء والحدود والطلاق والعتاق وإلا لزم الحط من رتبة كثير من فحول الطريق وأعلام الوجود والتحقيق فقد كان كثير منهم متضلعين بعلوم الشريعة وكثير منهم ليس عنده إلا ما يخصه من الذى لابد منه (قلت) إذا عرفت هذا عرفت بطلان من قال أن شيخ التربية لابد أن يكون جامعاً للعلوم كلها بحيث لو انقطعت العلوم كلها لأحياها كيف وقد وجد كثير ممن اتفق الناس على تربيته وهو أمى (قال) فى العوارف وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه صحبت أبا على المسندى بالسين فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وهو يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا ومن المعلوم أن الشيخ ابن عباد رضى الله عنه لم يفتح له إلا على يد رجل أمى وكذلك الغزالى (ومن) المعلوم أن الغزوانى لم تكن له يد فى العلم الظاهر فكان إذا جاءته فتيا فى علوم القوم أرسل بها لتلميذه الهبطى (و) كذلك شيخ شيخنا سيدنا عبد الرحمن

بأعمالكم وأيضا المراد من الواردات ثمراتها ونتائجها وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينةوالرضىوالتسليم وغير ذلك من المحاسن فاذا أعطتك نتائجها وجنيت ثمراتها فلك فى الله غنى عنها فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا من كان عبد الوارد وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه بل يلزم ما هو مكلف به من الوظائف العبودية قياماً بحق عظمة الربوبيةفهو الذى يدوم وبه يتوصل إلى رضى الحى القيوم وأولى مايعتنى به الإنسان ماينقطع وجوده بانقطاع موته وهووردهفيغتنم وجوده مادام فى هذه الدار فليس فى تلك الدار عمل وإنما هى دار جزاء وحصول أمل فالدنيا دار عمل لاجزاء فيها والآخرة دار جزاء لا عمل فيه فليغتنم الإنسان عمره قبل الفوات فما من زمن يخلو عنه إلا وهو فائت منه (وقد جاء) فى الحديث لاتأتى على العبد ساعة لايذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة اه والذكر متنوع كل بحسب حاله وقال الحسن رضى الله عنه أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم فى دنانيركم ودراهمكم وفى معنى ذلك قيل :

السباق السباق قولا وفعلا   حذر النفس حسرة المسبوق

(وفى بعض الأحاديث) عنه عليه السلام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومهشراً من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان ومن كان فى النقصان فالموت خيرله واولى ما يعتنى به العبد أيضاً ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو الورد دون مايطلبه هو منه وهو الوارد فالورد من وظائف العبودية وهو الذى طلبه منا الحق تعالى والوارد من وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتنعشق اليه وأين ماهوطالبه منا مما هو مطلبنا منه بينهمافرق كبيرقال الشيخ زروق رضى الله عنه بينهما فى القدر ما بينهما فى الوصف قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق اه (فتحصل) أن الاعتناء بالورد أفضل وأكمل من الاعتناء بالوارد لأن الورد من وظائف العبودية وهى لاتنقطع مادام العبد فى هذه الدار كما أن حقوق الربوبية لاتنقطع كذلك حقوق العبودية لاتنقطع (قال) النقشبندى رحمه الله ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكورا فأفاد صلى الله عليه وسلم أن شكر النعمة تمام الخدمة وهو موجب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وهذا سبيل طائفة الجنيد رضى الله عنه لم يترك أوراده فى حال نزاعهفقيل له فى ذلك فقال ومن أولى منى بذلك وهذه صحائفى تطوى فلم يترك الخدمة رضى الله عنه فى مثل هذه الحالة فكيف بسواها قيل له أن جماعة يزعمون أنهم

المجذوب لم يكن له معرفة بالعلم الظاهر وكثير من الأولياء الأكابر كانوا أميين وفى أسرار الولاية راسخين (وأما) العلم الباطن فالمطلوب فيه التبحر التام إذ المقصود بالذات فى الشيخ المصطلح عليه عند القوم هو هذا العلم لأن المريد إنما يطلب الشيخ يسلكه ويعلمه علم الطريقة والحقيقة فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه ومتعلقاتها وأحكامها وتفاصيلها وفوائدها وحكمها وأسرارها وعلم تام بآيات الطريق ومكايد النفس والشيطان وطرق المواجيد وتحقيق المقامات قدحصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان بحيث إذا استخبر عن آفات الطريق وعلاماته وعن حقيقة المقصد يخبر بحقيقة الأمر على ما هو عليه وحصلت له مع ذلك قوة وتمكن من رفع الموانع وقطع العلائق الظاهرة والباطنة وبصيرة نافذة ينظر بها فى قابلية المريدين المسترشدين واستعداداتهم يحمل كل أحد على شاكلة قابليته ويعين له طريقاً قريباً يفضى منها إلى ربه قاله الفاسى (و) قال الساحلى من الشروط التى لابد منها فى الشيخ أن يكون عنده من الكتاب والسنة مايقيم به ما لابد منه من الرسوم الشرعية ومايبنى عليه وظائف سلوكه وإذا انضاف إلى مايفتح به عليه من الحكمة فى باطنه فانه يكون

يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف قال وصلوا ولكن إلى سقر وقال فى كلام آخر هذا كلام من يقول بالإباحة والسرقة والزنى عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقدصدق رضى الله عنه فى قوله هذا فان الزانى والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر ، وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك فقد انسل من الدين كانسلال الشعرة من العجين فعض على هذا الأصل بالنواجذ ياأخى ولاتسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والالحاد وإسقاط الأعمال على حسب فهمه وهواه قال صلى الله عليه وسلم لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالح فى الأقوال والأفعال والأحوال تحز مقامهم وتكن معهم فالمرء مع من أحب اه كلام النقشبندى وهو حسن لأن من أخذ الحقائق من الكتب لاذوق عنده وإنما يترامى على الحقيقة بالعلم فيتبع الرخص ويسقط فى مهاوى الهوى ، وأما من كان من أهل الأذواق فسره مكتوم وأمره مجزوم عبادته أدب وشكر وهو أحق بدوام الشكر وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط (قال) أبو الحسن الدراج رضى الله عنه ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما أتحفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك اه (وقد رأى) رجل الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة فقال له أنت مع شرفك تأخذ فى يدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا إلى ما وصلنا فلا نتركه أبداً اه فالشريعة باب والحقيقة بيت الحضرة قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها ثم قال فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشريعة ولله در سيدى عبد الله الهبطى الزجلى رضى الله عنه حيث يقول فى منظومته

وثالث الفصول فى الشريعة لأنها إلى الهدى ذريعه
فكل باب دونها مسدود ومن أتى من غيرها مردود
قد اصطفاها ربنا عز وجل بفضله وجوده على الملل
طريقة العدنان للرحمن محفوفة بالنور والرضوان
طوبى لمن أتى بها للعرض والويل للذى بها لم يقض
يا أيها المريد إن أردت وصال من بحبه سغفت

له فى ذلك نور يمشى به فى الناس ويهديه إلى فهم خطابات الكتاب و السنة إلى آخر كلامه (و) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه كل شيخ لم يصل إليك الفوائد منه من وراء حجاب فليس بشيخ (قلت) ولعله يشير إلى أن الشيخ الكامل يمد تلميذه ولو كان بعيداً عنه فى الحس وقال أيضا والله إنى لأوصل الرجل إلى الله من نفس واحد (وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه وقد أغنيته (قلت) وقد لقينا والحمد لله فى زماننا هذا من يغنى بالنظر صحبناهم وعرفناهم على قدم الشاذلى والمرسى رضى الله عن جميعهم وخرطنا فى سلكهم آمين ثم إذا توفرت فيه شروط الشيخوخة لزم اتباعه فى طريق الخصوص وإلى ذلك أشار بقوله :

وأحدقوا من حوله يمشون وكلهم اليه يوزعون

قلت أحدق القوم بالشىء داروا به ويوزعون أى يضمون ويحشرون (يقول) رضى الله عنه لما تحقق الناس بوجود شرط الشيخوخة فى هذا الولى واطلعوا على وجود السر عنده أحدقوا به وداروا من خلفه يقتدون به ويهتدون بهديه

فشد منك الكف ياولى على شريعة النبى الأمى
حصل جميع ماله الشرع ارتضى وكن لكل ما سواه رافضاً
ترى الفؤاد صافياً وشارقا وعن سوى المولى إلى المولى ارتقى

(ثم قال)

فبالشريعة الوصال للمنا كالفوز بالبقاء من بعد الفنا
ومن يظن الخير سواه فانه والله ما دارها

قلت وقد رأيت كثيراً من الفقراء قصروا من الشريعة فخرجوا من الطريقة وسلبوا نور الحقيقة ورأيت آخرين طال أمدهم فى صحبة القوم ولم يظهر عليهم بهجة المحبين ولا سيما العارفين وما ذلك الا لعدم التحفظ على مراسم الشريعة وكان شيخنا البزيدى رضى الله عنه يقول كل من ترك الشريعة من غير جذب ولا عذر سلكوط كبير اه قلت والله ما رأينا الخير إلا فيها ومارجنا إلا منها فالله يرزقنا الادب معها إلى يوم الفصل والقضاء آمين ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الالهى اذ بقدر الاستعداد تحصل الامداد ولا استعداد لها الا بدوام الاوراد وتفرغ الفؤاد فقال (وورود الامداد بحسب الاستعداد) قلت المراد بالامداد أنوار التوجه للسائرين وأنوار المواجهة للواصلين فهى تتوالى على قلوب العباد بحسب التأهب والاستعداد فبقدر المجاهدة تكون المشاهدة وبقدر التخلية تكون التحلية وفائدة هذه الامداد تطهير القلوب من الاغيار وتقديس الأسرار من غبش الحس والاكدار والوقوف مع الأنوار فلا تزال أمطار المدد تنزل على أرض النفوس الطيبة والقلوب المطهرة والأرواح المنورة والأسرار المقدسة حتى تملأ بأنوار المعانى فح تنشق لها أسرار الذات وتعلق لها أنوار الصفات فتغيب بشهود الذات عن أثر الصفات ثم ترد إلى شهود الصفات بالذات والذات بالصفات لايحجبها جمعها عن فرقها ولا فرقها عن جمعها تطعى كل ذى حق حقه وتوفى كل ذى قسط قسطه قال شيخ شيوخنا مولاى العربى رضى الله عنه فى بعض رسائله فان قلتم أى وقت نكون كالجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب قلنا اذ زهدتم فى الدنيا بالكلية وقطعتم الاياس من الرجوع اليها بالكلية ثم اعتقدتم فى شيوخكم انهم كمل وأنهم على قدم الأنبياء عليهم السلام من ورثة النبى صلى الله عليه وسلم فوالله العظيم لينزل عليكم المدد الليل والنهار والشهر والعام وفى كل وقت وساعة ولحظة حتى تمتلىء قلوبكم بمعرفة الله وتطمئن قلوبكم بذكر الله وتكونوا كالجبال الراسية هذا معنى كلامه باختصار رضى الله عنه وهو كما قال

ويمشون على سننه وكلهم يضمون اليه ويقربون من حضرته لعل نفحات تهب من ناحيته فان لله رجالا من نظر اليهم سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا وهم العارفون بالله (وقال) فى العوارف ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله مواهب الله تعالى الخاصة فيقع فى قلبه محبة الصادق المريد وينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية ويهبون آثار مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه وتعالى وكما جعل فى بعض الأفاعى من الخاصية إذا نظر إلى الإنسان يهلكه بنظره هو قادر بأن يجعل فى بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا وحياة اه (وقال) فى لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته فألقيت اليه القيادة فسلك بك سبيل الارشاد يعرفك برعونات نفسك وكائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله والفرار مما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله

لأن الزاهد فى الدنيا تفرغ قلبه وتجلى من الأكدار وتهيأ للأنوار فاذا نزل المدد وجد القلب متسعا مطهراً منظفاً فملأه من أنواره وحلاه بحلية أسراره بخلاف ما إذا كان القلب معموراً بأغيار الدنيا لم يجد المدد موضعاً ينزل فيه فيرجع من حيث جاء واعتقادكمال الشيخ هو عين الصدق وبقدر الصدق ينبع المدد ولا يمكن أن ينقطع الوهم أو يذهب الحس إلا بالصدق مع الزهد فبالزهد يتهيأ للمدد وبالصدق يفيض عليه المدد فكلما فاض ماء المدد غسل أوساخ الوهم فإذا لم يبق الوهم أو حصل الغرق فى البحر والله تعالى أعلم ثم فسر الامداد وكيفية الاستعداد فقال : (شروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار قلت شروق أنوار المعارف فى أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الاغيار وغين الأنوار كما قال الشاعر :

إن تلاشى الكون عن عين قلبى   شاهد السر غيبه فى بيان
فاطرح الكون عن عيانك وامح   نقطة الغين إن أردت ترانى

فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام إشراق نورها فإذا انجلى عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الاغيار أشرق فيها نور الفنا فيغيب القلب والروح عن الرسوم ولم يبق إلا الحى القيوم وإذا انجلت عن الأسرار غين الانوار أشرق فيها نور البقاء فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ولصاحب العينية رضى الله عنه :

فنيت بها عنى فمالى أنية   هويه ليلى للأنية قاطع
وكنت كان لم أكن وهو أنه   كما لم يزل فرداً وللكل جامع
فشمسى فى أفق الألوهة مشرق   وبدرى فى شرق الربوبية طالع
فأفنيتها حتى فنت وهى لم تكن   ولكننى بالوهم كنت أطالع

فعلامة شروق هذه الانوار ترك التدبير والاختيار والاكتفاء بنظر الواحد القهار كما أشار اليه بقوله : (الغافل إذا أصبح نظر فى ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) قلت الغافل هو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله ولو قل له ذكر اللسان إذ المعتبر هو ذكر الجنان فالغافل نفسه موجودة وآماله ممدودة إذ أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شؤونه ومآربه بعقله وحدسه فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته فإذا أفسخ القضاء ما أبرمه وهدم له ما أمله غضب وسخط وحزن وقنط فنازع ربه وأساء أدبه فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ويستوجب فى قلبه الوحشة والطرد الا أن

اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الإقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على مر الساعات بين يديه (وقال) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذبك بأخلاقه وأدبك باطراقه وأنار باطنك باشراقه الشيخ من جمعك فى حضوره وحفظك فى مغيبه (وقال) أيضاً فى لطائف المنن ليس شيخك من استمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذى سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك من نهض بك حاله شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت اليه وسار حتى وصلت اليه ولازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك فى نور الحضرة وقال هاأنت وربك هنالك محل الولاية من الله ومواطن الامداد من الله وبساط التلقى من الله ثم ذكر كيفية تسييره للمريدين فقال :

حصل له إياب وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب فحينئذ يلتحق بالأحباب وأما العاقل وهو العارف فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه وانجمع اليه بكلية قلبه فأشرقت فى قلبه شموس العرفان وطوى من نظره وجود الأكوان فليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار تصرفه بالله ومن الله وإلى الله فقد فنى عن نفسه وبقى بربه فلم يرلها تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حول فاذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به فيلتقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة والحبور لما هجم عليه من حق اليقين والغنى برب العالمين (قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أصبحت وما لى سرور إلا مواقع القدر) وقال أبو عثمان رضى الله عنه منذ أربعين سنة ماأقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى إلى غيره فسخطته اه فاذا أراد الفقير أن يكون تصرفه بالله فلينعزل عن حظوظه وهواه فاذا أراد أن يفعل أمراً فليتأن ويصبر ويستمع إلى الهاتف فان الله سبحانه يسمعه ما يريد أن يتوجه إليه فعلا أو تركا وقد جربنا هذا فى سفرنا وإقامتنا فكنا لا نتصرف إلا باذن خاص والحمد لله وصاحب الاعتناء كله هكذا مع التأنى فان التأنى من الله والعجلة من الشيطان وكثيراً ما كان الشيخ المجذوب الولى العارف سيدنا أحمد أبو سلهام ينشدنى هذا البيت :

تأن ولا تعجل لأمر تريده . وكن راحماً بالخلق تبلى براحم

فعليك أيها المريد بالاعتناء بهذا الأمر وافهم عن الله فى أمورك كلها وأنشد على نفسك :

اتبع رياح القضا ودر حيث دارت وسلم لسلمى وسر حيث سارت

واستعن على هذا الأمر بأدعيته عليه السلام فى هذا المقام كقوله اللهم إنى أصبحت لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ولا أتقى إلا ما وقيتنى فوفقنى اللهم لما ترضاه منى من القول والفعل وفى عافية وستر إنك على كل شىء قدير وكقوله أيضا عليه السلام اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ماأرجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلافقير أفقر منى اللهم لاتشمت بى عدوى ولا تسىء بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى إلى غير ذلك من الأدعية التى تكسب الرضى والتسلم والمقصود من دعائه عليه السلام فهم معانيها لا مجرد ألفاظها فالمراد المعانى لا الاوانى والله تعالى أعلم ويجمع هذه المعانى وصية شيخ طريقنا القطب ابن مشيش للرجل الذى قال له وظف على

فرتب القيوم مراتب مابين ماش راجل وراكب

(قلت) ينبغى للشيخ أن يكون ماهراً بالمسير عارفا باحوال السائرين فيرتب القوم على مراتب فمن كان ضعيفا فى السير خاليا من الحال الحاملة له جعله فى وسط الراكب يمشى خلفه من سبقه ويسير من خلفه كان قويا فى سيره محمولا على نجيب حاله قدمه مع المتقدمون ليسير خلفه المتوسطون والمتأخرون (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه الماشى عبارة عن صاحب الأعمال والحركات الجسمانية والركب إشارة إلى المحمول بحال أو اعمل أو ذكر أو فكر توجه له على بساط معرفه وإنما يفعل بهم ذلك لأن قوة النفس معينة لصاحبها على مراده والله تعالى ينفع العبد بنيته على قدر همته فلذلك تجد المسلك واحداً والفتح مختلفا تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل هذا شأن الأشجار النابته فكيف بالحقائق العرفانية وما صحب أحد قط وليا إلا نال منه ماتقضى همته فان وافقت نيته همته حصل الانتظام وإلا وقع الإختلاف (قلت) يعنى أن نية المريد إن وافقت همة شيخه وقع الانتظام فى سلك الشيخ ولحق به وإن كانت نية المريد مخالفة لهمة الشيخ

وظائف وأورادا فغضب وقال له أرسول أنا فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصى مشهورة فكن للفرائض حافظا وللمعاصى رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء ومن الجاه وإيثار الشهوات واقنع فى ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى وهو جماله تعالى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط وهو جلاله فكن عليه صابراً وحب الله قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لجميع الكرامات وحصن ذلك كله أربعة (صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل ومحبة العلم) ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح اه (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه احرص أن تصبح وتمسى مفوضا مستسلماً لعله ينظر إليك فيرحمك اه (وقال) بعضهم من اهتدى إلى الحق لم يهتد إلى نفسه ومن اهتدى إلى نفسه لم يهتد إلى الله أى من رأى الحق غاب عن نفسه ومن رأى نفسه حجب عن الله ثم ان العاقل الذى ينظر مايفعل الله هو العارف كما تقدم لأنه هو الذى يتحقق فيه ذلك ومن علامته أنه لا يستوحش من شىء لمعرفته فى كل شىء وفهمه عن الله فى كل شىء بخلاف غيره من العباد والزهاد وهو الذى أشار إليه بقوله (إنما استوحش العباد والزهاد من كل شىء لغيبتهم عن الله فى كل شىء فلو شهدوه فى كل شىء ما استوحشوا من شىء) قلت العباد هم الذين غلب عليهم الفعل فهم مستغرقون فى العباد الحسية يقومون الليل ويصومون النهار شغلهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا وأهلها ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه وحجبوا عن الله فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ولو عرفوا الله فى كل شىء مااستوحشوا من شىء ولأنسوا بكل شىء وتأدبوا مع كل شىء والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق فحجبوا أولا بالحق عن الخلق وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم ردوا إلى شهود الحق فى الخلق والقدرة فى الحكمة فحين عرفوه فى كل شىء أنسو بكل شىء وتأدبوا مع كل شىء وعظموا كل شىء وفى هذا المقال قال المجذوب رضى الله عنه :

الخلق نوار وأنا رعيت فيهم　　هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

وقال سيدى على رضى الله عنه على قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى شأن الخلق أراهم كالهباء فى الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئا قابل إن فتشتهم وجدتهم شيئا وذلك الشىء ليس كمثله شىء يعنى وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق أنواراً من أنوار الملكوت فائضة من بحر الجبروت كما قال صاحب العينية رضى الله عنه :

بأن تكون نية المريد التبرك فقط أو دخل معه على حروف من الحروف وهمة الشيخ فيه الوصول فانه يقع الاختلاف ولا ينال منه إلا ما نوى إلا أن سبقت له من الله سابقة فلا بد أن تنهضه همة الشيخ إلى ماسبق له والله تعالى أعلم ثم أن دوام السير يوجب الملل فلا بد لاستعمال مايوجب الراحة ليحصل النشاط فقد قال عليه السلام أريحوا القلوب ساعة بساعة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا إليها طرائف الحكمة والى ذلك أشار الناظم بقوله :

وحيث كلت نجب الأبدان　　قال أحدها يا حادى الاظعان

فمن هنا يقلب القوالا　　حاد لأجل حدوه الرجالا

قلت الكلل هو العيا وعبد كل أى ثقيل وكلت الأبدان عيت والنجب جمع نجيب وهى الناقة الجيدة وحدا يحدو حدواً بمعنى غنى بالإبل ليسيرها فهو حاد أى مغن والأظعان جمع ظعينة وهى الناقة المرحلة وتطلق على المرأة الراكبة عليها مجازاً والتقليب هو أحداث اسم يشعر بالمدح أو الذم وقد نهى الله تعالى عن اللقب المشعر بالذم فقال ولا تنابزوا

تجليت فى الأشياء حين خلقتها ... فها هى ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ... ولم يك موصول ولا فصل قاطع

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

طلع النهار على قلبي حتى نظرت بعينيا ... أنت دليلي ياربى أنت أولى منى بيا

والحاصل أن العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق فهم مع الخلق بالأشباح ومع الحق بالأرواح ماتوا وبعثوا وقامت قيامتهم وتبدلت فى حقهم الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فهم يرون الأنوار والناس فى ظلمة الاغيار كشف لهم فى هذه الدار عن أسرار مكنوناته مسدولة عليها قهارية أستاره وسيكشف لهم فى تلك الدار عن أسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التى هى أثر صفاته كما أشار إلى ذلك بقوله (أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته) قلت إنما أمرك فى هذه الدار أن تنظر اليه بواسطة مكوناته لأنك لاتقدر هنا أن تنظر إلى حقيقة ذاته المقدسة فى عظمة الجبروت الأصلى بلا واسطة لضعف نشأتك وان كان ذلك جائزا عقلا ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية أسرار الربوبية بأنوار سبحات الألوهية إذ لابد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب ولو ظهر من غير رداء الكبرياء لوقع الادراك ولم يبق حينئذ ترقى فالترقى فى أسرار الذات انما هو بالنظر إلى أنوار الصفات وهو لاينقطع أبدا فى الدارين فلا تنال الذات من غير مظهر أصلا فالمعنى لاتقبض إلا بالحس هذا مذهب أهل التحقيق من أهل المعانى فان قلت كيف فرق الشيخ بين الرؤيتين باعتبار الدارين والتحقيق انها رؤية واحدة لأن المظهر متحد فالجواب انه لما كان مظهر هذه الدار الحس فيه غالب على المعنى والحكمة ظاهرة والقدرة باطنة ومظهر الدار الآخرة بالعكس المعنى فيه غالب على الحس والقدرة ظاهرة انكشف ثم عن حقيقة الذات أكثر مما انكشف هنا فبهذا المعنى وقع التفريق بين الرؤيتين ومثله قول الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير عز الدنيا بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة اه هذا باعتبار الخواص وأما العوام فلا يرون إلا الحس فى هذه الدار وفى تلك الدار (وأما الرؤية) التى تحصل لهم يوم المزيد فيحتمل أن يظهر لهم نورا من أنوار قدسه ويلهمهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحديث أو يفنيهم عن حسهم فى ذلك الوقت حتى يشهدوا معانى الذات ويتلذذوا برؤيتها

بالالقاب وأطلقه الناظم هنا على مجرد التسمية أو وسموا القول الذى يغنى حاديا لاجل حدوده بالرجال السائرين وحقه أن يقول حاديا منصوب لكنه جرى على لغة من يقدر الاعراب كله فى المنقوص (يقول) رضى الله عنه وحيث دام السير وحصل الملل وكلت الأبدان فى الخدمة أو القلوب فى الفكره أو الأرواح فى النظرة أو الاسرار فى العكوف فى الحضرة وخيف عليها حصول الفترة قال الشيخ أو نائبه لمن يحسن الغناء أحد بهذه القلوب أيها الحادى وذكرها معاهدها الأصلية ومواطنها القدسية فيغنى بما يليق بكل واحد فى محله ولهذا المعنى اتخذوا قوالا فى حلقة الذكر لأنه يهيج وينشط ويحسن أيضاً بعد تمام الذكر خشية أن يكون حصل شىء من الملل فيروح بذلك (والحاصل) أن من سياسة الشيوخ اعانة النفوس بما يقتضيه حالها على ماهو المراد منها ثم ان الطباع مختلفة وأحوال السالكين مفترقة فنهم من تنتعش قواه بالمعارف والعلوم فيذكر له منها مايقوى حاله بوجه يشوق ولايشوش (ومنهم) من ينتعش حاله بالتذكير والوعظ فيكون تذكيره عونا له على سلوكه ورفعا لهمته (ومنهم) من ينتعش قواه بالمذاكرة فى العلوم واستخراج دقائق الفهوم فيكون ذلك منهضاً له فى

ثم يردهم إلى حسهم (والحاصل) أن تجلى الذات على قسمين قسم يكون بوسائط كثيفة ظاهرها ظلمة وباطنها نور ظاهرها حكمة وباطنها قدرة ظاهرها حس وباطنها معنى وهو تجلى هذه الدار (وقسم) يكون بوسائط لطيفة نورانية ظاهرها نور وباطنها نور ظاهرها قدرة وباطنها حكمة ظاهرها معنى وباطنها حس وهو تجلى دار الآخرة فالعارفون لما حصل لهم الشهود والمعرفة فى هذه الدار وفى تلك الدار لايحجبهم عن الله حور ولا قصور بل دائما فى النظرة والسرور والنضرة والحبور وذلك انهم لما عرفهم به هنا لم يحجبهم هنالك يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه بخلاف العامة فانهم لما حجبهم هنا بشهود أنفسهم انحجبوا هناك عن رؤية معبودهم إلا فى وقت مخصوص على وجه مخصوص ولذلك كتب ابن العربى الحاتمى إلى الإمام الرازى (فقال له تعالى) نعرفك بالله اليوم قبل أن تموت فاذا تجلى الله لعباده أنكرته ولم تعرفه (وسئل) الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه عن رجل يدعى أنه يرى الله ببصره فاستدعاه فسأله عن ذلك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول ثم قيل له أمحق هو أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته الى بصره فنفذ فرأى بصره بصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ماشاهدته بصيرته وانما رأى بصره بصيرته فحسب اه والحاصل انه انعكس بصره فى بصيرته فرآه ببصيرته وظن أنه رآه ببصره ومعنى ذلك أن الروح مادامت محجوبة بالبشرية كان النظر انما هو للبصر الحسى فلا يرى الاالحس فاذا استولت الروحانية على البشرية انعكس نظر البصر إلى البصيرة فلا يرى البصر إلا المعانى التى كانت تراها البصيرة وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب

غيبت نظرى فى نظر ... وأفنيت عن كل فانى
حققت ما وجدت غير ... وأمسيت فى الحال هانى

والله تعالى أعلم وانما أمرك فى هذه الدار أن تنظر اليه فى مكوناته تسلية لك عن شهود ذاته والنظر اليه إذ لا صبر للمحب عن محبوبه كما أبان ذلك بقوله (لما علم أنك لاتصبر عنه أشهدك مابرز منه) قلت لما فصل الحق سبحانه هذه الروح التى هى لطيفة نورانية من أصلها وتغربت عن وطنها تعشقت إلى أصلها وتعطشت إلى محبة سيدها فلما علم الحق سبحانه وتعالى لا تصبر عنه ولا تقدر أن تراه على ماهو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله ما دامت فى السجن الذى هو قفص البدن أشهدها الحق تعالى مابرز منه من تجلياته فى مظاهر مكوناته وآثار صفاته لكن لابد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب

حاله فيؤتى كل أحد بما ينعشه واليه تشير الآية الكريمة وهى قوله تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فأهل الصدق يكفى فيهم الدعاء إلى الله بالحكمة وهى الهمة القوية (و) أهل الاعتقاد والتسليم يكفى فيهم الدعاء بالموعظة الحسنة (وأهل) الانتقاد يجادلهم بالتى هى أحسن فان سبقت لهم سابقة نفعهم التذكير وإلافانما أنت نذير (ومن) الناس أيضاً من ينتفع بالحكايات وذكر الكرامات (ومنهم) من يتأثر بالشعر والسماع ومنهم من يتأثر بنغم الأوتار وآلات الطرب ومنهم من يتأثر بسماع الزمارة والكبر ومنهم من يتأثر بسماع الطيور والبندير وغير ذلك من آلات اللهو وفى ذلك يقول الشاذلى رضى الله عنه فيما نسب له :

ومنا من يهيم على سماع ... ببندير وعود ونقر طار
ومنا من يهيم على علوم ... وقرآن وذكر وافتكار

قال بعض الحكماء من سار إلى الله بطبعه كان وصوله أقرب اليه من طبعه ومن سار إلى الله بالبعد من طبعه كان

فبرزت أنوار الجبروت الى رياض الملكوت فغطتها سحائب الحكمة وآثار القدرة فبقيت الروح تتعشق الى أصلها من وراء سحاب الاثر فاذا انقشع السحاب ورفع الحجاب لقى كل حبيب حبيبه وعرف كل انسان مثواه ومستقره فقنعت الروح بشهود المعانى خلف رقة الأوانى واليه أشار الشيخ الغوث أبو مدين رضى الله عنه بقوله

فلولا معانيكم تراها قلوبنا اذانحن ايقاظ وفى النوم ان غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابة ولكن فى المعنى معانيكم معنا

أى فلو لا معانى ذاتكم تراها قلوبنا فى مظاهر صفاتكم لمتنا عشقاً أوفلو لا معانى ربوبيكم تراها قلوبنا فى مظاهر مكوناتكم أو فلولا معانى الجبروت تراها قلوبنا فى عالم الملكوت لمتنا أسى أى حزناً على فراقكم وشوقاً الى لقائكم وقوله ولكن فى المعنى معانيكم معنا أى ولكن معانيكم التى تشاهدها قلوبنا فى المعنى عظيم فاستأنسنا بمشاهدتها وأنست أرواحنا بها فلم تمت عشقاً وشوقا والله تعالى أعلم ومما تستأنس به الروح عن صدمات المحبة اشتغالها بالخدمة كما أشار الى ذلك بقوله (لما علم منك وجود الملل لون لك الطاعات) قلت من كرمه تعالى وحسن اختياره لك أيها العبد انه لما علم انك لا تقدر أن تصبر عنه أشهدك ما برز منه ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقدر أن يشهده فيما برز منه أشغله بخدمته ولما علم منه انه ربما يمل من خدمة واحدة لون له طاعة ستة لأن من شأن النفس أن تمل من تكرر الشيء الواحد وفى ذلك يقول الشاعر

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال

فلون لك طاعته فاذا مللت من الصلاة مثلا انتقلت الى ذكره وإذا مللت من ذكره انتقلت الى قراءة كتابه وهكذا وأنواع الذكر كثيرة والتنقل من موجبات النشاط فالعبادة مع النشاط ولو ثلت أعظم من العبادة مع الكسل وان كثرت ليس العبرة بكثرة الحس وانما العبرة بوجود المعنى (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه فلو نت له الطاعة لثلاثة أوجه أحدها رحمة به ليستريح من لون الى لون الثانى إقامة للحجة عليه إذا لا عذر له فى الترك الثالث ليثبت له النسبة فى العمل بوجود التخيير فى الجملة فتكمل الكرامة وتسهل الطاعة فقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذا وافق الحق الهوى فذلك

وصوله على قدر بعده من طبعه وذلك يقتضى له الاستهلاك قبل الوصول فلا يتنعم برؤية الحق إلا فى آخر نفس من وجوده ان وجد والا فهو بعيد فى دعواه ومحجوب برؤية نفسه (قلت) وطريق الشاذلية ممن سار إلى الله بطبعه فكان وصولها أقرب اليهم من طبعهم لانهم بنوا أصولهم وطريقهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم حسبما استقر من أحوالهم فهم يتنعمون برؤية الحق فى أول قدم ولذلك قال القطب ابن مشيش رضى الله عنه من ذلك على الدنيا فقد غشك ومن ذلك على العمل فقد أتعبك ومن ذلك على الله فقد نصحك فالدلالة على الله هى الفناء فيه والانجياس والغيبة عما سواه وعلى هذا بنت الشاذلية طريقهم حققنا الله بمعرفتهم آمين ثم بين حقيقة هذا السفر فقال

والسفر المذكور بالقلوب والشيخ فى منزلة الطبيب

(قلت) السفر هنا هو القلوب إلى حضرة علام الغيوب وهو من أربعة مواطن إلى أربعة مواطن يسافر أولا من موطن الذنوب والغفلة إلى موطن التوبة واليقظة ويسافر ثانيا من موطن الحرص على الدنيا والانكباب عليها إلى موطن الزهد فيها والغيبة عنها ويسافر ثالثا من موطن مساوى النفوس وعيوب القلوب إلى موطن التخلية منها والتحلية أضدادها كما قال فى الحكم أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته

الشهد بالزبد (ومن سـار إلى الله) بطبعه كان الوصول أقرب اليه من طبعه ومن سار إلى الله بمخالفة طبعه كان الوصول اليه بقدر بعده عن طبعه ومتى يصح بعده عن طبعه والمقصود إنما هو موافقة الحق لا مخالفة النفس وشواهد السنة لا تخفى فافهم ومن دواعى الملل وجود الشره وهو الحرص وموجبه هو الإطلاق فى العمل فلذلك قيدت الطاعة باعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله (وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الأوقات) الشره خفة فى النفس توجب المسارعة للعمل والاسراع فيه وينتج آفات ثلاثاً أولها الترك عند الدوام لتروى النفس وضيقها الثانى الملل وهو التثاقل ان لم يكن ترك الثالث الاخلال بالحقوق لوجود العجلة (والحجر) بالوقت فيه فوائد ثلاث أولها منع الشره إذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس فيها على وجه الشره الثانى نفى التسويف لولا الوقت لكانت تعده من زمن إلى زمن فيؤدى إلى التفريط الثالث التمكين من العمل والتمكين فيـه إذ لولا الوقت لأهمل العمل ولم يحافظ عليه لغلبة الهوى ولم يحفظه استعمال للحظوظ اه

ثم بين وجه التحجير وهو الاتقال والاقامة فقال (ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة) قلت السر فى تحجير الصلاة فى بعض الأوقات لتشتاق النفس اليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين بخلاف ما إذا كانت دائمة فيها فلا تعشق اليها بل تمل فتوقعها على غير تمام والمقصود منك حركة قلبك لا حركة جسمك ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ليس الشأن حركة الاشباح انما الشأن خضوع الارواح فالسر فى تحجر الصلاة عنك فى بعض الاوقات أن يكون همك اقامة الصلاة وهو اتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة من غير اقامة فهى ميتة خاوية فهى الى العقوبة أقرب (قال) الامام القشيرى رضى الله عنه اقامة الصلاة وهو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه أحكام الأمر بما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستقرة فى حقائق الوصلة اه وقال المؤلف رضى الله عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه اه وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان أهم أموركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لمن سواها أضيع اه من الشيخ زروق ثم ذكر وجه

قريباً أو يسافر رابعا من عالم الملك إلى شهود إلى عالم الملكوت ثم إلى شهود الجبروت أو من عالم الحس إلى عالم المعنى أو من عالم الأشباح الى شهود عالم الارواح أو من شهود الكون الى شهود المكون وهذا السفر انما هو معنوى كناية عن مجاهدة النفوس ومحاربتها فى ردها عن عوائدها ومألوفاتها وفى تخليتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل وفى الحكم لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك (و) قال أيضاً كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته الى آخره (و) كما ان الشيخ بمنزلة شيخ الركب فى معرفة الطريق هو أيضاً بمثابة الطبيب للذوات فهو طبيب القلوب بما علم وعرف من أحوالها وعالج من أمراضها وبما شاهد وذاق من أنوارها وأسرارها (وقد) أشار الفضيل رضى الله عنه الى هذا حيث قال العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فإذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فمتى يبرى غيره وأنشدوا :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى طبيب يداوى الناس وهو عليل

وقال آخر : يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ومن الضنى وجواه أنت سقيم

كون المطلوب هو الاقامة دون الوجود من حيث هو فقال (فما كل مصل مقيم) قلت لأن الاقامه فى اللغة هو الاكمال والاتقان يقال أقام فلان داره إذا أكملها وجعل فيها كل مايحتاج إليه فإقامة الصلاة اتقانها كما تقدم وضد الاقامة هو الاخلال والتفريط فليس كل مصل مقيما فكم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب وفى بعض الأحاديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا وفى حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم إذا صلى العبد فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها لفت كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجهه أو كما قال عليه السلام فالمصلون كثير والمقيمون قليل فأهل الأشباح كثير وأهل القلوب قليل (قال أبو بكر) بن العربى المعافرى رحمه الله ولقد رأيت من يحافظ عليها آلافا ألافا أحصيها فأما من يحافظها بالخشوع والاقبال فما استوفى منهم خمسة (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون فى موضع المدح فانما جاء لمن أقام الصلاة أما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب أجعلنى مقيم الصلاة وأقام الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة اه

(واعلم) أن الخشوع فى الصلاة على ثلاث مراتب (المرتبة الأولى) خشوع خوف وانكسار واذلال وهو للعباد والزهاد (المرتبة الثانية) خشوع تعظيم وهيبة واجلال وهو للمريدين السالكين (المرتبة الثالثة) خشوع فرح وسرور وإقبال وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين كما يأتى إن شاء الله .

(ثم اعلم) أن الصلاة التى لا يصحبها خشوع ولا حضور هى باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء وقالوا ليس للعبد من صلاته إلا ما حضر فيها قلبه فقد يكون له ربع صلاته أو نصفها بقدر ما حضر فيها ويعين على الخشوع الزهد فى الدنيا وهذا هو الدواء الكبير إذ محال أن تكون عندك بنت إبليس ولا يزورها أبوها فلا يتأتى الخلوص من الخواطر مادامت فى القلب وقليلها هو كثيرها فمن بقيت فيه بقية منها فانه تأتيه الخواطر على حسبها فمحال أن تكون شجرة الدنيا فى قلبك وتسلم من الخواطر ومثال ذلك كشجرة عندك فى بستان يجتمع عليها الطيور ويهولونك بأصواتهم فكلما شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك أبدا حتى تقطع تلك الشجرة فإذا قطعتها استرحت من أصواتهم فكذلك الدنيا ما دامت فى اليد وهو

وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ان وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ولما كان علم الطب مركبا من علم وعمل هو صنعة العقاقير أشار الناظم إلى بعض ذلك بقوله :

يعلم منها الغث والسمينا ... ويدرك الصلب معاً واللينا

(قلت) الغث اللحم الهزال وهو ضد السمين والصلب هو الشديد اليبوسة وهو ضد اللين (يقول) رضى الله عنه إذا كان الشيخ بمنزلة الطبيب فلا بد أن يكون له اطلاع على القلوب واشتشراف على النفوس يعلم ما كان منها غثا ضعيفا من العلم والعمل والحال خاليا من اليقين خرابا من النور فيعامله معاملة الجائع الهزال فيعطيه من الاذكار ما يقويه على حاله ومن الأعمال ما يغنيه عن أشكاله ويمد باطنه من مدد الهمة ما يسد به فقره ويجبر به كسره (و) يعلم أيضاً ما كان منها سمينا بعلم أول عمل أو حال أو بنور يقين أو معرفة أو غير ذلك فيعامله بالترقية والتربية اللائقة به وإذا كان سمنه مفرطا رده

معمور بها لا يسلم القلب من خواطرها حتى يخرج عنها وحينئذ يستريح من مساويها والله تعالى أعلم و (مما يعين) أيضاً على الخشوع الاكثار من ذكر الله بالقلب والقالب وادمان الطهارة لأن الظاهر له تعلق بالباطن إذا طهر هذا ظهر هذا وبالله التوفيق ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ومرجعها إلى ست كل واحدة توصل إلى ما بعدها وإن إلى ربك المنتهى فأشار إلى الأولى بقوله (الصلاة مطهرة للقلوب) قلت إنما كانت الصلاة طهرة للقلوب من المساوى والعيوب لما فيها من الخضوع والانكسار والذل والافتقار والتذلل والاضطرار فإذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر العلل لأن طلب العلوم والرفعة هو أصل العلل وعنصرها ومن شأن النفس وطبيعتها طلب العلو والاستكبار والتعزز والافتخار لأنها جاءت من عالم العز فلا ترضى إلا بالعز وإلى هذا أشار شيخ شيوخنا المجذوب بقوله :

من أين جئتى ياذى الروح الهايما روحانيا
مقامها بساط العز أحوالها ربانيا

فلما ركبت فى هذا القالب الجسمانى ردتها القهرية إلى العبودية وجعلتها لها بابا للوصول إلى حضرة الربوبية فلا يطمع لها فى الرجوع إلى أصلها إلا بانكسارها وذلها ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها ازدحاما فأتيت باب الذل والانكسار فوجدته خاليا فدخلت منه وقلت هلموا إلى ربكم هكذا سمعته من أشياخنا فإذا انكسرت وذلت رجعت لأصلها ووصلت وإذا تعززت واستكبرت حجبت وطردت وإذا طردت بعدت وكلما بعدت عن الحضرة الربانية استحكمت فيها الشهوات الجسمانية والأخلاق الشيطانية فاتصفت حينئذ بكل خلق دنى وبعدت من كل خلق سنى فإذا اراد الله تعالى أن يرحمها بالقرب من جنابه والوقوف ببابه ألهمها الصلاة وحببها إليها حتى إذا تطهرت من الذنوب ومحيت عنها المساوى والعيوب قربت من حضرة الحبيب ومناجاة القريب فقرعت الباب وطلبت رفع الحجاب وهذا معنى قوله (واستفتاح لباب الغيوب) وهى النتيجة الثانية من نتائج الصلاة قلت المراد بالغيوب أسرار الملكوت وأسرار الجبروت وإنما كانت الصلاة استفتاحا لباب الغيوب لما اشتملت عليه من تطهير الظاهر والباطن قال محمد بن على الترمذى

إلى الوسط فخير الأمور أوسطها (و) قد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص عن صيام الدهر وقيام الليل لكنه غلبت عليه القوة فتمسك بذلك ثم ندم (و) يكون أيضا حال هذا الشيخ الطبيب يدرك القلب الصلب وهو القاسى من كثرة الذنوب والغفلة فيحمله على التوبة ويوقظه من الغفلة ويأمره بما يلين قلبه كالصيام وصحبة الفقراء وقيام آخر الليل وغير ذلك مما يزيل علته وقساوته (و) يدرك القلب اللين بالخشوع والخضوع فيأمره بالترقى إلى مقام الاحسان ويطوى عنه مسافة أعمال الجوارح من أعمال أهل الاسلام والايمان وهكذا يعامل كل قلب بما يناسبه (قال) فى العوارف ينبغى للشيخ أن يتفرس فى المريد ويعامله على حسب صلاحيته واستعداده ثم قال ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الابرار والمقربين نهايات وبدايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له ومن العجب أن الصحراوى يعرف الارضين والغروس ويعلم كل غرس وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعرف قطنها وما يتأتى منه من الغزل دقه وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله

الحكم رضى عنه دعا الله الموحدين إلى هـذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها أنواع الضيافة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه فالأفعال كالأطعمة والاقوال كالأشربة وهى عرش الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته فى كل يوم خمس مرات حتى لايبقى عليهم دنس من الاغيار اه فإذا تطهر الظاهر بالطهارة الحسية والباطن بالطهارة المعنوية استحق الدخول إلى الحضرة القدسية فاول مايتحف به قربه إلى الباب وسماع خطاب الاحباب من وراء حجاب فيتمتع بمناجاة الاحباب ولذذ الخطاب وهو معنى قوله (الصلاة محل المناجاة) وهى النتيجة الثالثة قلت المناجاة هى المساررة والمكالمة مع الاحباب فمناجاة العبد ربه بالتلاوة والاذكار ومناجاة الرب لعبده بالتفهم والفتح ورفع الاستار وفى الحديث الصحيح المصلى يناجى ربه وقال أيضاً عليه السلام يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال تعالى حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدنى عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى فوض إلى عبدى فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هذه بينى وبين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الآية قال الله هذه لعبدى ولعبدى ماسأل الحديث فلا يزال المصلى يناجى ربه ويطلب قربه حتى تتمكن المحبة من القلب والاقبال من الرب فتصفوا المحبة من كدر الجفا ويتصل المحب مع حبيبه فى محل الصفا وهو معنى قوله (ومعدن المصافاة) وهى النتيجة الرابعة قلت المعدن هو محل الذهب والفضة أستعير هنا لصفاء القلوب والارواح لتصفيتها من لوث صلصال الاشباح فالمصافاة خلوص المناجاة من تشويش الحس وكدر الهواجس فهى أرق وأصفى من المناجاة كما قال ابن الفارض رضى الله عنه، وقد خلوت مع الحبيب وبيننا ؛ سر أرق من النسيم إذا سرا، وهـذه مصافاة العبد لربه ومصافاة الرب لعبده بالإقبال عليه حتى لايدعه لغيره وفى الخبر ان العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهوى يصلون بصلاته اه فاذا تمت التصفية وعظمت المحبة وكثر العطش وظهر الدهش استحقت الروح رفع الحجاب وفتح الباب فتدخل إلى حضرة الاحباب ويرتفع وبينهما وبينهم الحجاب فتخرج من ضيق الاشباح إلى فضاء عالم الأرواح أو من ضيق الملك إلى سعة عالم الملكوت وهو معنى

صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح (فنهم) من أمره بالأنفاق (و) منهم من أمره بالامساك (و) منهم من أمره بالكسب (و) منهم من أقره على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس ومايصلح لكل أحد (فأما) فى رتبة الدعوة فكان يعمم الدعوة لأنه مبعوث لاثبات الحجة وإيضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس الهداية دون غيره ثم تمم أوصاف الشيخ الطبيب وهو العلم والعمل فقال .

ويعلم البسيط والمركبا وما بدأ منها عليه واختبا
والطبع والمزاج والتركيبا والكون والتحليل والترطيبا

قلت البسيط هو المفرد الذى لم يتركب من جواهر والمركب ضده وبدا الشىء ظهر واختبا بالباء بمعنى أستتر ومنه الخبء فى قوله تعالى يخرج الخبء فى السموات أى المستتر والمخفى فيها ومطبع ماجبل عليه الإنسان من خوف أو شجاعة أو بخل أو كرم أو غير ذلك (و) المزاج ماركب منه بدنه كالحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وغير ذلك (و) التركيب إضافة الشىء إلى غيره كتركيب العقاقير والأدوية والكون ما كان عليه الجسم من صحة أو مرض (و) التحليل هو تذويب ما

قوله (فيها تتسع ميادين الاسرار) وهى النتيجة الخامسة قلت الميادين جمع ميدان وهو مجال الخيل أستعير هنا لفضاء عالم الملكوت فاذا تنزهت الروح فى عالم الملكوت وجالت بفكرتها فى سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار سنا الجبرت وهو معنى قوله (وتشرف فيها شوارق الانوار) وهى النتيجة السادسة قلت أراد بالاسرار أسرار الذات وهو لأهل الفناء وبالأنوار أنوار الصفات وهو لأهل البقاء والله أعلم وأراد الشيخ بهذه الصلاة التى تنقله من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام صلاة أهل الاعتناء وهم أهل السلوك على يد الشيوخ لا صلاة أهل الغفلة وصلاة أهل المجاهدة من العباد والزهاد فليس لهم هذا السير والله تعالى أعلم (قال أبو طالب) حدثنا أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين فى أقطار الارضين خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال الله أكبر أطلع الملك فى قلبه فإذا ليس فى قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر فى قلبك كما تقول فيتشعشع فى قلبه نور يلحق ملكوت العرش فينكشف له بذلك ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر أطلع الملك فى قلبه فاذا كل شىء فى قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا يزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل ثم ذكر حكمة حصرها فى عدد معلوم وهو خمسة فقال(علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها) وهى خمس بعد أن كانت خمسين فمن لطفه سبحانه بك أيها الإنسان قلل أعدادها مع سعة الزمان فجعل عليك صلاة فى أول نهاره شكراً لما أظهره لك من باهر أنواره وليكون نهوضك إليه فى أول قيامك جبرا لما حصل من غفلتك فى طول منامك وجعل عليك صلاة فى وسط نهاره اخماداً عنك لما أظهره فى ذلك الوقت من وقود ناره وجعل عليك صلاة قرب انصراف النهار ليكون شاهدا لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان وأوجب عليك صلاة فى أول زمان الليل استفتاحا لذلك الزمان بوجود طاعتك كما استفتحت

يجمد كتحليل ما انعقد فى جوف الإنسان من العلل بدواء ونحوه (و) الترطيب تليين ما صلب ويبس (يقول) رضى الله عنه لابد للشيخ أن يكون ماهراً بأحوال القلوب عارفا بعللها عالما بعلاجها يعلم ما كان منها بسيطا أى مفرداً من حب الاشياء ليس فيه إلا قصد واحد وهم واحد ومحبة واحدة وإرادة واحدة وهو الذى أشار إليه الجنيد رضى الله عنه حين قالوا له كيف يصل العبد إلى التحقيق فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد بعد تحصيل أمور ذكرها قبل فهذا القلب سهل العلاج قريب الصحة لأن المرض إذا كان مفردا قرب علاجه وهذا القلب حين سلم من تشعيب الهموم ولم يبق له الاهم واحد لم يبق فيه إلا مرض واحد وهو حجاب الوهم فعلاجه فى ترقيته ورفع حجابه بخلاف القلب الذى تشعبت فيه الهموم فهو أصعب فى العلاج لتركيب أمراضه وتراكم علاجه وهو المراد بالمركب (و) قد قال بعضهم القلب كالمعدة والمعدة بيت الداء فإذا كثرت عليها الاخلاط مرضت وفسدت وعلاجها الحمية من الاخلاط وكذلك القلب إذا كثرت عليه الهموم والخوطر فسدت فكرته وانطمست مرآة بصيرته وإذا قلت منه الهموم والخوطر سلمت فكرته وانصلقت مرآته (وفى) الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم لم يبال به الله فى أى أوديه الدنيا هلك (و) علاج هذا بالعزلة والصمت واخراج الدنيا من يده إلا قدر ضرورته (و) يحتمل أن يريد

أول نهارك واستحفاظاً لما يتوقع من عجائب الليل ثم لما أردت أن تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتمتع بفراشك أمرك أن تودعه بحضورك معه وأن يكون آخر عهدك به وجود طاعتك فهذا كله جذب منه لك لحضرته واستخراج منك لشكر منته عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وحين قلل أعدادها لما علم احتياجك إلى منته كثر امدادها وإليه أشار بقوله (وعلم احتياجك إلى فضله فكثر امدادها) المراد بالامداد الجزاء الذى رتب عليها فجعل كل صلاة بعشر فهى خمس وهى خمسون خمس فى الحس وخمسون فى المعنى أى الثواب وإذا فعلت فى الجماعة كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بعشر فكان عدد صلاة الجماعة مائتين وخمسين فى كل صلاة والله ذو الفضل العظيم وتتفاوت الدرجة أيضاً بكثرة الجماعة وكمالها وبقدر الحضور والخشوع والغيبة ورفع الستور فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وتتفاوت أيضاً بقدر البقع كبيت الله الحرام والمسجد النبوى وبيت المقدس وبقدر رتبة الإمام من صلى خلف مغفور غفر الله له والله تعالى أعلم لكن لا ينبغى لك أيها الفقير أن تلتفت إلى هذا الحظ فإن فضل الله كثير لمن رفع همته إلى العلى الكبير كما أبان ذلك بقوله (متى طلبت عوضاً عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفى المريب وجدان السلامة قلت متى صدر منك عمل من أعمال البر وطلبت الحق سبحانه أن يجازيك عليه طلبك الحق تعالى بوجود الصدق فيه وهو سر الإخلاص ولبه الذى هو التبرى من الحول والقوة وانعزال النفس عن رؤية العمل لها بالكلية بعد تحقيق الحضور والسلامة من الوساوس والخواطر والهواجس حتى تكون صلاتك بالله ولله غائباً فيها عما سواه قد ملأ قلبك عظمة الله فغبت فى الله بالله فإن تحققت فيك هذه الأمور صح لك أن تطلب ما رتب الحق سبحانه على العمل من أنواع الجزاء والأجور وإن لم تحقق من نفسك هذه الأمور فاعلم أن عملك مدخول فاستحى من الله أن تطلب الجزاء على عمل مدخول فيكفيك من الجزاء وحصول المطلب السلامة من الهلاك والعطب يكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله يكفى المريب وهو المتهم وجدان السلامة من العقوبة فيما اتهم فيه من كان عند الملك متهماً وهو محبوس للعقوبة على ما اتهم فيه ثم قيل له إن الملك يمنحك ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفينى فى العطاء وجدان السلامة من عقوبته

بالبسيط والمركب نفس العيوب التى هى مرض القلب فيعلم القلب الذى مرضه بسيط وهو الذى فيه مرض واحد والقلب الذى مرضه مركب وهو الذى كثرت علله وأمراضه فيعالج كل واحد على قدر علله وأمراضه ويدل على هذا الاحتمال قوله وما بدا منها عليه واختبأ فان المراد به المرض الظاهر كمعاصى الجوارح الظاهرة والمرض الخفى كمعاصى القلوب الباطنة وهى أصعب فى العلاج كالرياء والعجب والكبر وحب الجاه والرياسة والمدح وغير ذلك من الأمراض

(و) فى الحكم حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى ومداواة ما يخفى صعب علاجه (و) قال أيضا تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال (وقال) أيضا لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق فمداواة الأمراض الظاهرة التزام التوبة والتقوى والاستقامة فان صعبت عليه فليلزم صحبة الشيخ ومداومة الجلوس بين يديه أو تكرار المجىء إليه فان نظر الشيخ ترياق فان صحبه ولم يشف من مرضه فليعلم أن صدقه ضعيف أو شيخه ضعيف فان الشيخ إذا كان له نور يمشى به فى الناس جامعا بين جذب وسلوك لا يمكن أن يصحبه العليل بالصدق ولم يشف من ساعته (وقد) قالوا سيدى ابن سيدى هو الذى يحل عنى قيودى (وقال) شيخ شيوخنا سيدى العربى بن عبد الله طريقنا كالسكين الماضية يأتينا الرجل مكبل بشهواته فنقطع يده من ساعته فكل من صحب شيخا بالصدق ولم ينفك عنه كبل المعاصى فلينظر شيخاً آخر والله تعالى أعلم .

وأنت أيها الإنسان طولبت بالأعمال والإخلاص فيها وإتقانها وإتمام إقامتها فأتيت بطاعة مشوبة بالخواطر والوساوس وعلى تقدير سلامتها من ذلك فطلبك الجزاء يقتضي رؤية نفسك ووجود الفعل منك وهو شرك تستحق عليه العقوبة فيكفيك من عطائه وجود السلامة من عقابه .

(قال) الواسطي رضي الله عنه العبادة إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعواض اه وقال خير النساج رضي الله عنه ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميراث فضله فإنه أتم وأحسن وقال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومعنى كلامه رضي الله عنه أن جزاء أعمالك ما يليق بأفعالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص فاطلب منه ثمرة فضله فإنه كامل من كل وجه فهو أتم وأكمل والله تعالى أعلم وكيف تطلب الجزاء على عمل لست له فاعلا ولا علمت كون القبول له حاصلا كما أشار اليه بقوله (لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل إن كان له قابلا) قلت قد تقرر عند أهل الحق ان العبد مجبور في قالب مختار فليس له فعل ولا اختيار وإنما الفاعل هو الواحد القهار قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعال وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس أي النشاط وقال عليه السلام كل ميسر لما خلق له فأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى الآية فإذا تقرر هذا فكيف يطلب العبد الأجر على عمل ليس هو فاعله وعلى تقدير نسبته اليه فالجزاء متوقف على القبول فمن أين تدري هل يكون مقبولا أم لا وإذا تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل فهذا يكفيك في جزائك على العمل فلولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول فلولا أن الله سبحانه تفضل على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملا قط إذ تصفية الأعمال كاد أن تكون من المحال قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره أي عظموه حق تعظيمه وقال تعالى كلا لما يقض ما أمره أي لم يقض الإنسان ما امره سيده الوجه الذي أمر به وانظر قوله تعالى أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا ولم يقل الحق تعالى نتقبل منهم لأنه يقتضي أنه كامل بل عداه بعن المفيدة للتجاوز كأنه قال أولئك الذين يتجاوز عنهم في أحسن ما عملوا فنتقبلها منهم ولو لم

والفرق بين الاحتمالين أن الأول جعل البسيط والمركب من صفة القلب والثاني جعله من صفة المرض وهو أليق بما بعده ويعلم أيضا أن الشيخ الطبيب طبع المريد وما جبل عليه من قبض أو بسط أو شح أو كرم أو سخاء أو خوف أو أو شجاعة أو غير ذلك من الطبائع فيعالجه بما يصلح لطبيعته فان كان منقبضا أمره بشيء من البسط وان كان بخيلا أمره بالبذل والإيثار وهكذا يقابل الاشياء بأضدادها ويعلم أيضا مزاج المريد هل هو بارد الهمة قليل الطلب أو هو حار متعطش السخانة غالبة عليه أو هو معتدل فان رآه باردا أمره بصحبة الفقراء والخلطة معهم أودوام صحبته وإن رآه حارا متعطشا أمره بالقصد والتوسط في الخدمة لقوله عليه السلام اكلفوا عن العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال أيضا صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالمنبت أي المنقطع لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وإن رآه معتدلا سيره كذلك ويعلم أيضا كيفية تركيب العقاقير والأغذية فمن رآه يليق به ذكر واحد لقنه له بسيطا ومن رآه يليق به ذكران أوثلاثة لقنه كذلك ومن رآه يصلح للفكرة أمره بها ومن رآه يصلح للفكرة والنظرة ركبها له وكذلك الذكر مع الفكرة يركبهما لمن يقدر عليهما وهكذا ويعلم أيضاً كون القلب هل هو سليم أو سقيم وهل هو أهل للخدمة أو للمحبة فان القلب الذي لا يطيق أنوار المعرفة لا يصلح لصاحبه إلا اشتغاله بالخدمة ويعلم أيضا تحليل العلل الجامدة وتذويبها كمن تمكنت فيه الرياسة

يتجاوز عنهم فيها ما تقبلت منهم ولكن الكريم لاينتقد بل يقبل كل ما يعطاه لعظيم كرمه وغناه فالحمد دائما لله حيث خلق فيه العمل وأعطانا عليه غاية المنى والآمال كما أشار إلى ذلك بقوله (إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب اليك) قلت الحق تعالى فاعل بالمشيئة والاختيار لايسئل عما يفعل وهم يسئلون أى لا يسئل عما يفعل حقيقة وهم يسئلون شريعة ثم وإن الحق سبحانه وتعالى قسم عباده على ثلاثة أقسام قسم أعدهم للانتقام فظهر فيه إسمه المنتقم واسمه القهار أجرى عليهم صورة العصيان بحكمه ونسبها اليهم بعدله وقهره ولو شاء ربك مافعلوه ولو شاء الله ما أشركوا فقامت الحجة عليهم باعتبار النسبة واظهار الحكمة وما ربك بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقسم أعدهم الله للحلم ليظهر فيه اسمه الحليم واسمه الرحيم أجرى عليهم العصيان وحلاهم بالايمان فاستحقوا العقوبة على العصيان ثم ان الحق تعالى حلم عليهم وعفا عنهم وأدخلهم الجنان وقسم أعدهم الله الكرم ليظهر فيه اسمه الكريم واسمه الرحيم خلق فيهم الطاعة والاحسان وحلاهم بالاسلام والايمان وربما زادهم التجلي بالاحسان فأدخلهم فسيح الجنان ومتعهم بالنظر إلى وجه الرحمن فإذا أراد الله تعالى أن يلحقك بهؤلاء السادات هيأك لأنواع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ثم نسب اليك ذلك الفعل فقال ياعبدى فعلت كذا وكذا من الخير فأنا أجازيك عليه أدخل الجنة برحمتي وترق إلى مقامك بعملك فأمامك حيث انتهى عملك (قال تعالى) كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأفضل تفضيلا وقال تعالى أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ثم ينبغى لك أيها الإنسان أن تأدب مع الملك الديان فلا تنسب اليه النقص والعصيان وإنما أغرتك نفسك والشيطان قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أى الشيطان فما كان من الكمال فانسبه إلى الكبير المتعال وما كان من النقصان فامسحه فى منديل النفس والشيطان (قال) سهل بن عبد الله رضى الله عنه إذا عمل العبد حسنة وقال يارب بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله ذلك له وقال ياعبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال (له ياعبدى) أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال ياعبدى

والجاه فلا يحالها الا الخراب الكبير والذل الكبير وكل مايسقط الن أعين الناس وكذلك من تمكن فيه حب الدنيا وجمعها لايحلله الا الزهد الكبير وكذلك من تمكن فيه الشح والبخل لايحله إلا العطاء والبذل وهكذا ويعلم أيضاً ترطيب العلل اليابسة كقسوة وغفلة وجمود العين وقبض النفس فيأمره بما يعالج كل داء على حدته فالقسوة تذهب بالذكر والتلاوة والتدبير والصيام والتضرع آخر الليل وقس على هذا والغفلة تذهب بملازمة الذكر ومراقبة الوقت وجمود العين تنفع فيه المواعظ والزواجر وقبض النفس تنفع فيه مذاكرة ما يقوى الرجاء ويوجب الفرح وهكذا وهو الذى قلته ليس هو عين الدواء وحده انما نبهنا على الأصل المهم وليقس مالم يقل ثم كمل أحوال الشيخ الماهر فقال :

قد أحكم التشريح والمفاصل وصار علم الطب فيه حاصل

قلت علم التشريح هو علم الطب وسمى علم التشريح لأنه يشرح بواطن الحيوانات ويعلم دواخلها وأسباب عللها وصحتها وفسادها ويعرف طبائعها وأمزجتها فهو يشرح ذلك شرحا بالتجربة والاطلاع حتى أن أطبة العجم يشقون على جوف الميت وينظرون علته التى أعضلتهم فيعالجونها بالأمور المحللة حتى تنحل ليعرفوا كيفية علاجها فى غيره وعلم المفاصل هو ما يتعلق بعلاج الجوارح الظاهرة كالوجع الذى يكون فى مفاصل اليدين والرجلين وسائر الجوارح (وقد) قيل ان فى الإنسان ثلاثمائة

بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت . وإذا قال يارب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت اه ثم ان هذه النسبة التى نسب الله لعبده بما خلق فيه بها يستحق المدح والذم فاذا خلق فيه الطاعة ونسبها اليه استحق المدح بلسان الشرع وإذا أجرى عليه المعصية وقضاها عليه استحق الذم بلسان الشرع أيضاً كما أشار اليه بقوله (لا نهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) قلت إذا أراد الله إهانة عبد وإذلاله رده إلى نفسه وهواه فأحيل عليها ووكل اليهافيوليه ما تولى فاذا استولى عليه الهوى أعماه وأصمه وفى مهاوى الردى أسقطه كما قال الشاعر :

ترك يوما نفسك وهواها   سعى لها فى رادها

فالهوى مختصر من الهوان وموجب له كما قال البرعى رحمه الله

لا تتبع النفس فى هواها   ان اتباع الهوى هوان

وإذا أراد الله إعزاز عبد وعنايته أظهر عليه جوده وكرمه فتولاه وحفظه ولم يتركه مع نفسه وهواه طرفة عين ولا أقل من ذلك فلا نهاية لمذامك أيها الإنسان ان ردك إلى نفسك وحكمها فيك وتركك مع هواك لأن ذلك من علامة الاهمال وسقوطك من عين الكبير المتعال والعياذ بالله من كل خسر ووبال ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك فتولاك بحفظه ورعاك بعنايته وحجزك عن نفسك وحال بينك وبين تدبيرك وحدسك ومن دعائه عليه السلام ان تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وانى لا أثق إلا برحمتك والحاصل أنك ان كنت بربك تكمل عزك ولا يتناهى مدحك وان كنت بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهى ذمك قال الشاعر

اذ كنا به تهنا دلالا   على كل الحرائر والعبيد

وإن كنا بنا عدنا الينا   فعطل ذلنا ذل اليهود

وستة وستين مفصلا على عدد السنة كل مفصل قائم بحكمة الله وقدرته ونصفها متحرك نصفها ساكن فاذا سكن المتحرك أو تحرك الساكن ضربه الوجع فيحتاج الى علاج فيكون الطبيب عالماً بما يعالجه وعلم الطب هو العلم بالطبيعات السبعة والضروريات الستة والأمور الجارحة عنها وهى ثلاثة والعلم بخواص العشب وتركيب الأغذية والعقاقير (يقول) رضى الله عنه يشترط فى الشيخ أن يكون قد أحكم علم تشريح القلوب واطلع على أسباب فسادها وصلاحها وصحتها وسقمها عارفا بعلاج أمراضها وعللها عالم ذلك ببصيرة نافذة ومكاشفة غيبية قد عالج نفسه وطهرها وطهر قلبه من صدإ الحس وصفى مرآته من صور الأكوان فاذا كان فعل ذلك فان قلبه يصير كالزجاجة الصافية فينطبع فيه بواطن المريدين فيعالجهم بما يتجلى فيه من أمورهم بإذن الله (وقد) يقع الفشاء بمجرد المواجهة والمقابلة وهذا الذى شهدناه من أشياخنا ولذلك قال بعضهم ان تربية الشاذلية إنما هى بالهمة والحال يعنى أن الغالب فيها نهوض الهمة والحال أكثر من نهوض الاصطلاح والمقال والا فالجميع موجود والحمد لله هذا معنى كلامه والله تعالى أعلم ويشترط فيه أيضاً أن يكون أحكم علم المفاصل ويعنى به ما يتعلق بإصلاح الجوارح الظاهرة فيكون جامعاً بين علم الشريعة وعلم الحقيقة وقد تقدم أنه إنما يحتاج منها لما يلزمه فى خاصة نفسه أو ما يتوقف السير عليه من اتقان ما كلف به الإنسان راجع ما تقدم ويشترط فيه أيضاً أن يكون علم الطب أى طب القلوب صار حالا فيه

أو تقول من اهمله الله وتركه مع نفسه وهواه لانهاية لمذامه وقبائحه فان للنفس من النقائص ماللّه من الكمالات ومن تولاه الله وأظهر جوده عليه ولم يتركه مع نفسه وأزعجه من حظه وحال بينه وبين هواه فلا نهاية لمدائحه إذ كمالات الله لا نهاية لها وماهنا إلا مظاهره فكما لانهاية لجلاله كذلك لانهاية لجماله والله تعالى أعلم

(هذا) آخر الباب الثانى عشر وحاصلها تعظيم الاوراد والتأهب ولورود الامداد وتصفية البواطن من الاكدار لتشرق عليها شموس الانوار وهى شموس العرفان فيفنى العارف عن التدبير والاختيار فكل يوم ينظر مايفعل الواحد القهار فيتأنس حينئذ بكل شيء ويتأدب مع كل شيء ويعظم كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته فى كل شيء فيستأنس فى هذه الدار بالنظر إلى الله فى حجاب صفاته وهى مظاهر مكوناته وسيكشف له فى تلك الدار عن كمال ذاته من غير حجاب صفاته وذلك أنه لما علم أنه لايصبره عنه أشهده مابرز منه ولما علم أن من عباده من لايقدر أن يشهده فى مكوناته أشغله بخدمته وعلم أيضاً أنه ان دام على عمل واحد ربما حصل له الملل لون له الطاعة والعمل وعلم مافى عبده من الشره فحجرها عليه فى بعض الاوقات ليكون همه إقامة الصلاة لاوجود الصلاة ثم ذكر ثمراتها ونتائجها ونهاك عن طلب العوض عليها لكونك لست عاملا لها وانما هو فضل من الله عليك خلق فيك القوة ونسبها إليك فان ردك إلى نفسك وتركك مع هواك لاتتناهى مذامك وان أخذك عن نفسك وتولاك بجوده وفضله لاتفرغ مدائحك حيث صرت وليا من أوليائه وصفياً من أصفيائه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين :

انتهى الجزء الاول والله المستعان على اتمام بجاه نبيه المصطفى
بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله الكرام ويليه
الجزء الثانى فنقول وبالله نستعين

راسخا فى معرفته قد شفا الله على يديه خلقا كثيراً وجما غفيرا وأما من لم يعرف بالتداوى والشفاء ففيه غرور وفى صحبته خطر (قال) الامام أبو حامد رضى الله عنه وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لايعالج العليل مالم يعرف البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله فيعالج بحسبها فلذلك الشيخ المتبوع الذى يطلب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغى أن لايهاجم بالرياضة والتكاليف فى فن مخصوص وطريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة لقتل أكثرهم وأمات قلوبهم (قلت) فينبغى للشيخ أن يتفرس ببصيرته فى حال المريدين فمن رآه يصلح للتجريد لقوة يقينه أوخفة مؤونته جرده ومن رآه لايصلح له تركه فى الاسباب ومن كان أهلا للخرقة ألبسه إياها ومن كان غير أهل لها تركه فى لباسه ومن كان أهلا للعزلة أمره بها ومن كان قد أستأنس بها أمره بالخلطة لقوة حاله ومن كان ذا جاه ورياسة أمره بالجراب والسؤال ونحوه ومن كان خاملا كان أمره بما يليق به وهكذا والله تعالى أعلم ثم تمم أحوال الشيخ

(فقال)

وكان عشابا وصيدلانى قدحا وكحالا ومارستانى

انتهى الجزء الأول من كتاب ايقاظ الهمم فى شرح الحكم
والفتوحات الالهية فى شرح المباحث الأصلية والله المستعان
على التمام بجاه نبيه المصطفى بدر التمام
صلى الله عليه وعلى آله الكرام
ويليه الجزء الثانى فنقول
وبالله نستعين



و

الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية

للعارف بالله الصوفي الجليل أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني
نفعنا الله به وبعلومه آمين

الجزء الثاني

(الطبعة الأولى)

صححه فضيلة الأستاذ محمد محيسن
المدرس بالأزهر الشريف

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ٣٧



(قال المؤلف نفعنا الله به وبعلومه آمين)

فإذا أردت أن يظهر جوده عليك وتبسط مواهبه لديك فتحقق بوصفك وتعلق بوصفه كما أبان ذلك بقوله (وقال رضي الله عنه كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً) قلت أوصاف الربوبية هي العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وغير ذلك من أوصاف الكمالات التي لا نهاية لها وأوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص وكيفية التعلق بأوصاف الحق هو أن تلتجيء في أمورك إليه وتعتمد في حوائجك عليه وترفض كل ما سواه ولا ترى في الوجود إلا إياه فإذا نظرت إلى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به ولم تعزز بغيره وصغر في عينك دونه كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالغنى تعلقت بغناه واستغنيت عما سواه ولم تفتقر إلى شيء واستغنيت به عن كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالقدرة والقوة لم تلتجيء في حال عجزك وضعفك إلا إلى قدرته وقوته واستضعفت كل شيء وإذا نظرت إلى سعة علمه وإحاطته اكتفيت بعلمه واستغنيت عن طلبه وقلت بلسان الحال علمه بحالي يغني عن سؤالي وهكذا في جميع الأوصاف والأسماء فكلها تصلح للتعلق والتخلق والتحقق (وكيفية التخلق) بأوصافه تعالى أن تكون في باطنك عزيزاً قوياً عظيماً كبيراً عنده قوياً في دينه وفي معرفته عالماً به وبأحكامه وهكذا

بسم الله الرحمن الرحيم

(قلت) العشاب هو الذي يعرف أعيان العشب ومنافعها وخواصها وهو شأن الأطبة والصيدلاني هو الذي يعرف أنواع العطرية التي تتركب منها العقاقير منسوب إلى صيدلة وهو العطر قاله في القاموس والقدح هو اخراج الماء الفاسد من العين ويقال للفاعل قداح والكحال هو الذي يعرف أدوية العين ويعالجها بأنواع الكحل والمارستاني هو الذي جمع أنواع الطب فيعالج أنواع المرض في أشخاص مختلفة والمارستان دار كبيرة معدة للمرضى والقائم عليها يسمى المارستاني ولا يكون إلا ماهرا بالطب عالما بأنواعه وقد أخبرني من أثق به أن الروم عندهم مارستان كبير وعليه طبيب ماهر يداوي كل من يأتيه ولهذا المارستان عندهم أحباس عظيمة يقوم بها على المراد هنا هو طب القلوب (يقول) رضي الله عنه يشترط في طبيب القلوب ما يشترط في طبيب الأبدان فيشترط فيه أن يكون عارفا بتركيب أدوية القلوب وأشربتها وأغذية الأرواح وأسقيتها عالما بمنافع الاذكار وأذواقها ونتائج الافكار ومعارفها فالاذكار كالأغذية للقلوب والعلوم كالأشربة لها والمذاكرة كالأغذية للارواح والفكرة والنظرة كالأشربة لها وصحبة العارفين والجلوس بين أيديهم فيه مدد كبير للقلوب والارواح والاسرار هو غذاؤهم وشرابهم وفيه دواؤهم وشفاؤهم كل على قدر صدقه ومحبته وعلى قدر مقامه ومرتبته قد علم كل أناس مشربهم قال محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب والعقاقير عارفا بتركيب الأدوية فانه مهلك للمريض

وحاصلها استعمال الحرية فى الباطن والعبودية فى الظاهر (وكيفية التحقق) بأسماء الله تعالى أن تكون تلك المعانى فيك راسخة متمكنة متحققا فيك وجودها فالتخلق مجاهدة والتحقق مشاهدة أى يكون وجودها غريزيا (وكيفية التخلق) بأوصاف العبودية هو التحقق بالذل فى الظاهر حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تأنف منه بل تستحليه وتغتبط به وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر أوصاف العبودية تتحقق بوجوها فى ظاهرك حتى يكون ذلك شرفا عندك وكان شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول أهل الظاهر يتنافسون فى العلو أيهم يكون أعلى من الآخر وأهل الباطن يتنافسون فى الخنز أيهم يكون أحن من الآخر اه بالمعنى (وقال الشيخ) زروق رضى الله عنه أوصاف الربوبية أربعة تقابلها أربعة هى أوصاف العبودية أولها الغنى ويقابله الفقر الثانى العز ويقابله الذل الثالث القدرة ويقابلها العجز الرابع القوة ويقابلها الضعف وكل هذه متلازمة ان وجد واحدها وجد جميعها ووجود المقابل ملزوم بوجود مقابله فمن استغنى بالله افتقر إليه ومن افتقر إلى الله استغنى به ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ومن شاهد قدرته رأى عجز نفسه ومن رأى عجز نفسه شاهد قدرة مولاه ومن نظر ضعف نفسه رأى قوة مولاه ومن رأى قوته علم ضعف نفسه لكن ان كان انبساط النظر لأوصافك فأنت الفقير إلى الله وإن كان انبساط النظر إلى أوصافه فأنت الغنى بالله وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه آثار الفقر إلى الله فيلتزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفا من صاع وحين غلب عليه الفقر إلى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فافهم اه (قلت) والتحقيق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون فى الباطن والتحقق بأوصاف العبودية يكون فى الظاهر فالحرية فى الباطن على الدوام والعبودية فى الظاهر على الدوام فحرية الباطن هى شهود أوصاف الربوبية وهو معنى التعلق بها لكن ان كان مجاهدة فهو تعلق وإن كان طبيعة وغريزة فهو تحقق (أو تقول) إن كان حالا فهو تعلق وإن كان مقاما فهو تحقق وعبودية الظاهر هى شهود أوصاف العبودية قياما بالحكمة وسترا للقدرة (الحاصل) أن عظمة الربوبية ظهرت فى مظاهر العبودية فمن نظر للعظمة صرفا تحقق بعظمة الربوبية ومن نظر لظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية والكامل ينظرهما معا فيتحقق بعظمة الربوبية فى الباطن ويتحقق

فان العلم من غير العين لا يفيد فلابد من عين اليقين ألا ترى لو كان للعشاب غرض فى اهلاك المريض فاذا وصف الطبيب الدواء من جهة كونه عالما به وهو لا يعرف شخص الدواء وقلد العشاب فى ذلك فاعطاه العشاب ما فيه هلاك العليل وهو يقول هذا مطلوبك ليسقيه الطبيب للمريض فيهلك فإنه لايداوى إلا بما يعرف شخصه وعينه فكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطريق من الكتب لا من أفواه الرجال وقصد يربى المريدين طالبا الرياسة فإنه يهلك من تبعه لأنه لايعرف موردالطالب ولامصدره فلابد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ وقوله قدحا على حذف مضاف أى ذا قدح أو يكون مصدرا بمعنى اسم الفاعل حالا أى قادحا كقولك جاء زيد ركضا أى راكضا والمراد أن الشيخ لا بد أن يكون عارفا بأودية مرض البصيرة فان كانت فاسدة بشك أو كفر أو نفاق قدح عليها وأخرج ما فيها من فساد الايمان وأدلها الطمأنينة وصريح الإيمان وهذا الدواء يكون لأهل النور الكبير والعناية الكبيرة الذين يغنون بالنظرة وإن كانت صحيحة الناظر إلا أنها مسدودة بمرض الحس والوهم أومطموسة بالحرص والجزع والهلع وعلامة ذلك اجتهاد صاحبها فيما ضمن له وتقصيره فيما طلب منه عالجها له بكحل توحيد الافعال حتى يتيقن أن الذى انفرد بالخلق والتصوير هو الذى انفرد بالحكم والتدبير وأن الذى غرس الشجرة هو ساقيها والقائم عليها فيذهب عنه الهم

بأوصاف العبودية فى الظاهر فيعطى كل ذى حق حقه فالجمع فى باطنه مشهود والفرق فى ظاهره موجود والله تعالى اعلم فان أظهر أوصاف الربوبية فقد تعدى ظهوره وجهل قدره فلابد ان تؤديه القدرة وإلى ذلك أشار بقوله (منعك أن تدعى ماليس لك مما هو للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين :

(قلت) الحق تعالى غيور فلا يحب لعبده أن يفشى سر خصوصيته ولا يرضى لعبده أن يشاركه فى أوصاف ربوبيته فمن غيرته تعالى ان ستر الخصوصية بظهور وصف البشرية ولو لا ذلك لكان سر الربوبية مبتذلا ظاهراً وذلك مناقض لحكمته وكيف وهو يقول ان ربك حكيم عليم ومن غيرته تعالى أن اختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن إظهارها والتحلى بها حالا أو مقالا وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر وطلب الرياسة والعلو أو إدعاء ذلك بالمقال فان فعل شيئاً من ذلك استحق من الله الطرد والنكال فى الحديث القدسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما قصمته وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن (وفى البخارى) فى قصة سيدنا موسى عليه السلام أنه خطب على الناس خطبة ذرفت منها العيون فقام إليه رجل فقال له هل تعلم أحداً أعلم منك فقال لا فعتب الله عليه إذا لم يرد إليه العلم فقال له بلى عبدنا خضر هو أعلم منك فكان من شأنهما ماقص الله فى كتابه فانظر كيف أدبه بطلب غيره حتى صار تلميذاً له يأمره وينهاه بقوة وصوله من عظم قدره وجلالة منصبه وما ذلك إلا لإظهار شىء من الحرية فكل من أظهر الحرية رده إلى العبودية بالقهرية وكل من أظهر العبودية حقق له فى باطنه الحرية وملكه الكون بالكلية فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن غيرته تعالى أيضاً أن حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن والفواحش كل مافحش قبحه وعظم جرمه كالزنا والغصب والسرقة والتعدى واكل أموال اليتامى وغير ذلك من حقوق العباد فاذا كان منعك أن تدعى ماليس لك مما هو للمخلوقين من العرض الفانى فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه من العزة والكبرياء وهو رب العالمين فاذا ادعيت ماليس لك سلبك ماملكك وإذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه منحك ما لم يكن عندك وأتاك مالم يؤت أحداً من العالمين فكلمات نزلت بنفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سماء سماء وقد تقدم هذا المعنى فى

والجزع والخوف والهلع والحرص والطمع ويصير قلبه واثقاً بمولاه غنياً عما سواه وإذا فتحت البصيرة وظهر لها شعاع النور حتى أبصرت قرب الحق منها إلا أنها لضعفها لا تستطيع مقاومة شهود النور كحلها بكحل توحيد الصفات فاذا فتحت عينها وقويت على شهود النور المحيط بها لكنها لم يقو نورها حتى تتصل بالنور المحيط بها كحلها بكحل توحيد الذات فيصل نورها بنور الجبروت فلا تشهد إلا النور فحينئذ يكمل شفاؤها وينجح دواؤها وهذا شرح قول ابن عطاء الله شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ماعليه كان (وقوله) وما رستانى أراد أن الشيخ لابد أن يكون جامعاً لعلوم المعاملة عارفا بأدوية الأمراض على اختلاف أنواعها وأصنافها قد قدمه أهل وقته وشهد له بذلك أهل فنه وهذا قد لا يشترط لغلبة الخفاء على أهل هذا الفن والله تعالى اعلم ثم ذكر مابقى من أحوال الشيخ فقال :

أمهر فى الاعراض والاخلاط — من أستاذ جالينوس أو بقراط

قلت التمهر فى الشىء هو التوسع فى علمه والماهر هو الواسع العلم وفى الحديث الماهر القرآن مع السفرة الكرام البررة أى الواسع فى حفظه أو علمه والاعراض جمع عرض وما يعرض للبدن من أسقام وأوجاع وحرارة وبرودة مما يدل على

الخول والله تعالى أعلم (تنبيه) اعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لأوليائه أن الجريم إذا تحققت فى الباطن لابد من رشحات تظهر على الظاهر فكل إناء بالذى فيه يرشح وصاحب الكنز لابد أن يظهر عليه السرور وصاحب الغنى لايخلو من بهجة وحبور وكما قال الشاعر .

ومهما تكن عند أمرىء من خليقة　　وان خالها تخفى على الناس تعلم

ولذلك تجد أهل الباطن رضى الله عنهم جلهم أقوياء فى الظاهر فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى وظهور وليس كذلك وإنما ذلك رشحات من قوة الباطن لاقدرة لهم على إمساكها منها مايكون تحدثاً بالنعم ومنها مايكون نصحاً للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعون بهم فى طريق الارشاد ومن هذا الأمر رفضهم كثيراً من أهل الظاهر والمتعمقون فى العبادة أو المتجمدون على ظاهر الشريعة أو من لم تطل صحبته معهم فى الطريقة وان كان كاملا (ومن ذلك) ماوقع للشيخ زروق رضى الله عنه مع أبى المواهب التونسى رضى الله عنه حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه أكبر من قدمه وليس كذلك فان الشيخ أبا المواهب عظيم الشأن راسخ القدم فى العرفان أخذ عن أبى عثمان المغربى وكان يقول لبست خرقة التصوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شرح حسن على الحكم إلا أنه لم يكمل وله كلام رائق نظما ونثرا ومن نظمه رضى الله عنه :

من فاته منك وصل حظه الندم　　ومن تكن همة تسمو به الهمم
وناظرى فى سوى معناك حق له　　يقتص من جفنه بالدمع وهو دم
والسمع إن جال فيه من يحدثه　　سوى حديثك أمسى وقره الصمم
فى كل جارحة عين أراك بها　　منى وفى كل عضو بالثناء فم
فان تكلمت لم أنطق بغيركم　　وكل قلبى مشغوف بحبكم
اخذتم الروح منى فى ملاطفة　　فلست أعرف غيراً مذ عرفتكم
نسيت كل طريق كنت أعرفها　　إلا طريقاً تؤدينى لربعكم

وجود المرض هذا فى علم الطب وهو عند المتكلمين أعم من هذا والاخلاط مااجتمع فى المعدة من العلل المتضادة الناشئة عن اختلاط الأغذية المختلفة وأسقلا جالينوس بفتح الهمزة وسكون السين وفتح القاف ولام مفتوحة ممدودة وجيم مفتوحة ممدودة ولام مفتوحة وياء ساكنة ثم نون مضمومة ممدودة ثم سين ساكنة اسم حكيم من اليونان وكذلك بقراط بضم الباء وسكون القاف فيلسوف حكيم وكانا ماهرين بعلم الطب وأمهر اسم تفضيل معطوف على خبر كان منصوبا أو بمعنى الواو (يقول) رضى الله عنه يكون هذا الشيخ أمهر فى علم القلوب من هذين الطبيبين الحكيمين وأراد بالاعراض كل مايعرض للمريدين فى حال سلوكه من القواطع والشواغل كميله للرياسة والجاه وتقدمه للمراتب قبل كماله وكميله للدنيا واشتغاله بالأسباب قبل ترشيده وكمال بقائه وغير ذلك مما يقطع عن السير (و) أراد بالأخلاط الخواطر الرديئة والمقاصد الدنيئة فيكون الشيخ عارفا بالخواطر النفسانية والشيطانية والملكية والربانية ويكون أيضاً عارفاً بالمقاصد السنية والدنية والهمم العالية والسفلية فيعالجه من الاخلاط بجمع قلبه على الله والغيبة عما سواه وبالفناء التام وتفرغ القلب على الدوام ويعالجه من المقاصد الدنية كحب الحظوظ وطلب الحروف بالدلالة على تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية الذى هو مطلب العارفين والله تعالى أعلم وإذا تكاملت فى الشيخ هذه الخصال صح أن يقصده الرجال لشفاء مافيهم من العلل كما أبان ذلك بقوله :

في المنازل لولا أن تحل بها ... وما الديار وما الاطلال والخيم
لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ... ولا سعت بي إلى نحو الحمى تقظم

وأطال الشعراني في ترجمته في الطبقات بما يدل على كمال خصوصيته وتمام ولايته وما حمل الشيخ زروقا على مقالته تلك إلا القوة التي صدرت من أبي المواهب مع كونه لم تطل صحبته معه مع ما صدر منه في جانب الشيخ ابن عباد رضي الله عنهم والله تعالى أعلم وهذا الأمر الذي ذكرناه من القوة التي في العارفين لايجهله إلا من لم يبلغ مقامهم وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم وسر هذه القوة التي ظهرت في العارفين هو من جهة الروح وذلك أن الروح جاءت من عالم العز والقوة فلما ركبت في هذا البدن حجبت وقهرت فأرادت الرجوع إلى أصلها فطلبته بالعز الأصلي والقوة الأصلية فمنعت منه وأنت من كوة الذل والافتقار وخرقت عوائد نفسها فانخرقت لها حينئذ الحجب فرجعت إلى أصلها فلما رجعت إلى أصلها اتصفت بالقوة التي كانت لها فأمرت أن تجعل ذلك في باطنها ففعلت لكن ربما رشح شيء من ذلك على الظاهر غلبة ولذلك ذكر الشيخ خرق العوائد بأثر ذكر التحقق بالعبودية فقال (كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) قلب العوائد كل ماتعودته النفس وألفته واستمرت معه حتى صعب خروجها عنه سواء كان ظلمانياً أو نورانيا كتتبع الفضائل وكثرة النوافل وهي على قسمين عوائد ظاهرة حسية وعوائد باطنة معنوية (فمثال) العوائد الحسية كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس وخلطة الناس والدخول في الاسباب وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب والاستغراق في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية وغير ذلك (ومثال) العوائد المعنوية حب الجاه والرياسة وطلب الخصوصية وحب الدنيا والمدح وكالحسد والكبر والعجب والرياء والطمع في الخلق وخوف الفقر وهم الرزق والفظاظة والقسوة وغير ذلك مما تقدم فمن خرق من نفسه عوائدها الحسية بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء ونفوذ الدعوة وغير ذلك من الكرامات الحسية ومن خرق من نفسه عوائدها المعنوية خرقت له العوائد الباطنة كرفع حجب الغفلة وتطهير القلوب وكشف الحجاب وفتح الباب وتحقيق العرفان والترقي إلى مقام الاحسان وهذا هو المعتبر عند الاكياس وهو المطلوب من سائر

فعند ما صح له التحصيل ... يممه السقيم والعليل
فكان يبريهم من الأمراض ... والساخط القلب يعود راض

(قلت) يريد فعند ما صح له تحصيل هذه الخصال على التمام والكمال قصده السقيم وهو الذي خف مرضه والعليل وهو الذي تناهت علته وقيل هما سواء فيكون من عطف التفسير فكان يبريهم من أمراض القلوب وأعظمها هم الرزق وخوف الخلق ثم التدبير والاختيار ثم الغضب والقنط عند نزول الاقدار فيعالجه بهمته ونور بصيرته وبلاحظه بنظرته حتى يمتلىء قلبه بنور اليقين فيستغني بالله عن كل ماسواه وتشرق عليه أنوار التوحيد فيستريح من كد التدبير والاختيار فحينئذ يذوق حلاوة الايمان فيرضى عن الله في كل حال وأوان (وقد) قال عليه السلام ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا (قال) في التنوير فمن رضي بالله رباً استسلم له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا اتبعه ومن رضي بالإسلام دينا عمل به (قلت) ولا شك أن القلب إذا كان عليلا لايذوق حلاوة الايمان ولا يجد للطاعة ولا للمناجاة لذة فهو السقيم لايجد للطعام ولا للشراب لذة فاذا صح القلب ذاق حلاوة الايمان ومن أركانه الايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره فيستحلي ما يبرز من عنصر القدرة كيفما كان إذ كل ذلك من عند الحبيب ولله در القائل حيث قال :

الناس (وأما) خرق العوائد الحسية فقد تكون لمن ليست لهم خصوصية كالسحرة وأرباب الشعوذة نعم من جمع بينهما خرقت له فيهما فكيف تطلب أيها المريد أن تخرق لك عوائد نفسك حتى تدخل حضرة قدسك وأنت لم تخرق عوائد نفسك فما حجب النفس عن الشهود إلا ما نعودته من رؤية هذا الوجود فلو غابت عن رؤية هذا الوجود لتحققت لها أمر الشهود ولا يمكن أن تغيب عنه إلا بخرق عوائد نفسها (وقد تقدمت) حكاية الرجل الذى كان مع أبى يزيد ثلاثين سنة فلم يذق شيئاً فقال له لو صليت ثلاثمائة سنة لم تذق شيئاً لأنك محجوب بنفسك ثم قال له اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزا واجمع حولك صبيانا وقل بأعلى صوتك ياصبيان من يصفعنى صفعة أعطه جوزة وادخل السوق وأنت على هذه الحالة حتى ينظر اليك كل من عرفك ثم قال له فلا مطمع لأحد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق لك العوائد وتظهر لك الفوائد اه (وتقدمت) أيضاً فى باب الخمول قصة الغزالى والششترى والمجذوب وغيرهم ممن خرقوا العوائد فخرقت لهم العوائد وظهرت لهم الفوائد (وأما من بقى) مع عوائد نفسه فلا يطمع أن يتمتع بحضرة قدسه قال الشيخ أبو المواهب رضى الله عنه من ادعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فارفضه فانه دجال ولاجلال أعظم على النفس من خرق عوائدها كتبديل العز بالذل والغنى بالفقر والجاه بالخمول وغير ذلك (وقال الشيخ) أبو الحسن رضى الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فلا مطمع فى نيل العز بالله حتى يتحقق بالذل له ولا نيل الغنى به حتى يتحقق بالفقد عما سواه وقال أبو حمزة البغدادى رضى الله عنه علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهوة اه فهذه الاخبار كلها تدل على أن خرق عوائد النفس شرط فى تحقيق نيل الخصوصية فمن أعادها قبل أن يخرقها فهو كذاب كما تقدم عن أبى المواهب (وكتب) شيخ شيخنا رضى الله عنه إلى بعض الاخوان (أما بعد) فان أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فانها تمنع الفوائد اه وسمعته رضى الله عنه يقول من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل فانه يشتت القلب وانما يلزم المريد ذكرا واحدا وعملا واحدا كل واحد مما يليق به أو كلام

إذا كانت اقدار من مالك الملك ... فسيان عندى ما يسر وما يبك
رضيت بما يقضى الإله فأمره ... يقبل بالاقبال عند ذوى النسك
وان صلى الانسان نار مشقة ... فما الذهب الابريز الأأخو السبك
أخو الصبر لايخشى أمورا وإنما ... يهنأ فى الحالين من غير ماشك

(قوله) والساخط القلب يعود هذا علامة الشفاء فما دام العبد ينقبض عند الجلال والشدة وينبسط عن الجمال والرخا ففيه بقية من مرض القلب واذا استوت عنده الأحوال فذلك علامة الصحة على الكمال ويتصل بمقامات الرجال (سئل) ذو النون المصرى رضى الله عنه عن وصف الابدال فقال سألت عن دياجى الظلام لأكشف لك عنها هم قوم ذكروا الله بقلوبهم ، تعظيما لربهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله تعالى على خلقه ألبسهم الله تعالى النور الساطع من محبته ، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته ، وأقامهم مقام الابطال بارادته ، وأفرغ عليهم من مخافته ، وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل معاملته ، وكساهم حللا من شبح مودته ، ووضع على رؤوسهم تيجان مبرته ، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهى متعلقة بمواصلته ، فهممهم اليه ثائرة ، وأعينهم اليه بالغيب ناظرة ، قد أقامهم على باب النظر من رؤيته ، وأجلسهم على

هذا معناه فخرق العوائد ابدالها بضدها كتبديل كثرة الأكل والنوم بالجوع والسهر وكتبديل كثرة اللباس بالتقلل منه أو ما خشن من الثياب كالمرقعات ونحوها وكتبديل الخلطة بالعزلة والأسباب بالزهد والكلام بالصمت وسوء الخلق بحسن الخلق وكتبديل حب الجاه والرياسة بالذل والخمول وسقوط المنزلة عند الناس وحب الدنيا بالزهد فيها والفرار منها وكاتصافه بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل فاذا تحقق المريد بهذه الأمور وخرقت له العوائد على مايريد حتى يكون بسم الله عنده موافقة لكن من الله فيكون أمره بأمر الله وما ذلك على الله بعزيز ولا بد فى خرق العوائد الباطنية من شيخ كامل جامع بين حقيقة وشريعة يحملك بهمته فاذا رميت يدك فى نفسك حملك الهمة ونصرتك القدرة فقتلها بالمرة وأما إذا لم يكن لك شيخ فكلما قتلتها رجعت أكبر مما كانت ولا تموت النفس الحية إلا مع الأموات كما قال شيخنا رضى الله عنه هذا الأمر مجرب وبالله التوفيق وخرق العوائد الباطنية التى هى رفع الحجب وشهود المحبوب لا تكون بمجرد الطلب دون السعى فى السبب مع تحقق الأدب كما نبه عليه بقوله (ليس الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب) قلت قد تقدم فى أول الكتاب أن الطلب كله مدخول عند المحققين أولى الألباب لما يقتضيه من وجود النفس والوقوف مع الحس إذ العارف المحقق لم تبق له حاجة يطلبها لأنه قد حصل له الغنى الأكبر وفاز من مولاه بالحظ الأوفر وهو معرفة مولاه والغيبة عما سواه ماذا فقد من وجدك فليس الشأن وجود صورة الطلب وإنما الشأن أن تستغنى به عن كل مطلب وترزق معه حسن الأدب والاكتفاء بعلم الله والوقوف مع مراد الله (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه والأدب على ثلاثة أوجه آداب فى الظاهر وذلك باقامة الحقوق وآداب فى الباطن بالاعراض عن كل مخلوق وآداب فيهما وذلك بالانحياش للحق والدوام بين يديه على بساط الصدق وذلك هو جملة الأمر وتفصيله وتفريعه وتأصيله اه فالطلب عند العارفين ليس هو بلسان المقال وإنما هو بلسان الحال وهو الاضطرار وظهور الذلة والافتقار كما نبه عليه بقوله (ماطلب لك شىء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب مثل الذلة والافتقار) قلت إنما كان طلب العارفين بلسان الحال دون المقال لما حققهم به من وجود معرفته حتى شهدوا فى منته فى محنته ونعمته فى نقمته فاذا تجلى لهم بالقوة والجلال تلقوه بالضعف والاذلال فحينئذ يتجلى لهم

كراسى أطباء أهل معرفته ، ثم قال لهم إن إتاكم عليل من فقدى فداووه أو مريض من فراقى فعالجوه ؛ أو خائف منى فانصروه ، آمن منى فحذروه أو راغب فى مواصلتى فمنوه ، أو راحل نحوى فزودوه ، أو جبان فى متاجرتى فشجعوه أو آيس من فضلى فرجوه ، أو راج لاحسانى فبشروه ، أو حسن الظن بى فباسطوه ، أو محب لى فواصلوه أو معظم لقدرى فعظموه ؛ أو مسىء بعد إحسانى فعاتبوه ، أو مسترشد فارشدوه . اه كلامه رضى الله عنه ثم نبه على المقصود بهذا العلم فقال :

وليس هذا طب جالينوس وإنما يختص بالنفوس

(قلت) نبه رحمه الله على أن هذا الطب الذى ذكر ليس هو طب الابدان الذى كان يعرفه جالينوس الحكيم وإنما هو طب النفوس لتصلح لحضرة القدوس وطب القلوب لتصح من الامراض والعيوب وتتهيأ لدخول حضرة علام الغيوب فتنخرط فى سلك من أتى الله بقلب سليم ويكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فى جوار الكريم متعنا الله بالسكنى فى حضرته فى الدنيا والآخرة ثم ذكر قلة هذا الطب فى زمانه فقال :

فهكذا الشيوخ قد ما كانوا ياحسرتى إذ سلفوا وبانوا

(قلت) الاشارة تعود على ما ذكر فى الفصل فى أحكام الشيوخ من معرفتهم بالطرق ومسالكها سهلها ووعرها

باسمه الجميل فيمنحهم كل جميل وإذا تجلى باسمه العزيز أو القهار تلقوه بالذله والافتقار فتتوارد عليهم المواهب الغزار فاذا أردت أيها العارف أن تطلب من مولاك شيئاً جلباً أو دفعاً فعليك بالاضطرار والاضطرار هو أن يكون كالغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر ولايرى لغياثه إلا مولاه ولايرجو لنجاته من هلكته أحداً سوءه فما طلب لك من مولاك شيء مثل اضطرارك اليه والوقوف بين يديه متحلياً بحلية العبيد هنالك تنال كل ماتريد كما قال الشاعر :

أدب العبيد تذلل والعبد لايدع الأدب
فاذا تكامل ذله نال المودة واقترب

وقال آخر :

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبـد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها وصفت النفس عن قال وقيل

إذا أردت ورود المواهب عليك وهى العلوم اللدنية والأسرار الربانية فلا شيء أسرع لك بها مثل الذلة والافتقار بين يدى الحليم الغفار يكون ذلك قلباً وقالباً فينبغى لك حينئذ أن تستعد لكتب المواهب ونيل المراتب قال تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين وقال تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه وقال أيضاً ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال صلى الله عليه وسلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما أظهر عبد فاقة إلى الله فى شى إلا قال الله تعالى للملائكة لولا أنه لايحتمل كلامى لأجبته لبيك لبيك اه فاذا طلبت الدخول مع الأحباب فقف ذليلا حقيراً بالباب حتى يرفع بينك وبينهم الحجاب من دون حيلة منك ولاأسباب وإنما هو فضل من الكريم الوهاب كما أشار إلى ذلك بقوله (لو كنت لاتصل اليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبداً ولكن إذا أراد أن يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه وغطى نعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه) قلت الوصول إلى الله هو العلم به وبإحاطته بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وهذا لايكون إلا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الأرواح وبيع الأشباح لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة أى جنة

ومعرفتهم بطلب القلوب وأنواع الأدوية والعقاقير وعلمهم بعلل النفوس وأمراضها تأسف وتحسر على ذهابهم أى فراقهم دار الدنيا وسكناهم دار البقاء ولكن لاتخلو الأرض من قائم لله بحجته كما قال سيدنا على كرم الله وجهه (وقد) وردت أخبار فى مدح مقام للشيوخ والتنوية بقدرهم عند الله (قال) فى العوارف ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون فى الأرض بالنصيحة وهذا الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ويحبب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة والدعوة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية ونيابة النبوة فى الدعاء إلى الله (فأما) وجه كون الشيخ يحبب عباد الله إلى الله لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح أقتداؤه واتباعه أحبه الله قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (ووجه) كونه يحبب الله تعالى إلى عباده لأنه يسلك بالمريد طريق التزكية و إذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكس فيها نور العظمة الإلهية ولاح فيها جمال التوحيد وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى قد أفلح من زكاها وفلاحها بالظفر بمعرفة الله وأيضاً مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة بنفاستها بكنهها وغايتها

المعارف لأهل الجهاد الأكبر وجنة الزخارف لأهل الجهاد الأصغر ولقوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا ذكره النقشبندى فى شرح الهائية حديثاً وقال فى لطائف المنن لا يدخل على الله إلا من با بين أحدهما الموت الأكبر وهو الموت الحسى والثانى الموت الذى تعنيه هذه الطائفة يعنى موت النفوس وقال الشسترى رضى الله عنه :

إن ترد وصلنا فموتك شرط   لن ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضاً :

ليس يدرك وصالى كل من فيه بقيا

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لا يصل الولى إلى الله تعالى ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته اه وهذه التصفية ليست هى من فعل العبد وكسبه وإنما هى بسابق عناية ربه فلو كان العبد لا يصل إلى الله تعالى إلا بعد فناء مساويه ومحو دعاويه من حيث هو هو لم يصل أبداً لكن الحق تعالى من كرمه وجوده إذا أراد أن يطوى عنه مسافة البعد أظهر له من أنوار قدسه ونعوت وصفة ما يغيب به العبد عن شهود نفسه فحينئذ تفنى المساوى وتمتحق الدعاوى فيحصل الوصول ويبلغ المأمول بما من الله الى العبد من سابق العناية والوداد لا بما من العبد الى الله من الكد والاجتهاد (وان شئت) قلت فناء المساوى هو التطهير من أوصاف البشرية وهى الأخلاق المذمومة من حيث هى ومحو الدعاوى وهو التبرى من الحول والقوة بحيث لا يرى لنفسه فعلا ولا تركا ولا نقصاً ولا كمالا وانما هى غرض لسهام الاقدار تجرى عليها أحكام الواحد القهار فتحقيق هذين الامرين على الكمال مع وجود النفس كاد أن يكون من المحال لكن الحق تعالى لكرمه وجوده اذا رأى منك صدق الطلب وأراد أن يوصلك اليه وصلك الى ولى من أوليائه وأطلعك على خصوصيته واصطفائه فلزمت الادب معه فما زال يسير بك حتى قال لك ها أنت وربك فحينئذ يسير الحق تعالى وصفك الذى هو وصف العبودية بوصفه الذى هو وصف الحرية فتخنس أوصاف البشرية بظهور أوصاف الروحانية ويغطى أيضاً نعتك الذى هو الحدوث بنعته الذى هو القدم أو غطى نعتك الذى هو العدم بنعته الذى هو الوجود وقال الشيخ زروق ستر فقرك بغناه وذلك بعزه وعجزك بقدرته وضعفك بقوته ويصرفك عن شهود ذلك منك واليك بشهود ما منه اليه اه

فينكشف للبصيرة حقيقة وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى به الطالبين ثم قال فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريد ظاهراً وباطناً قال الله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى فاذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لا يسهو إذا سهى الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الابطال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الارض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرفته بهم عنهم انتهى ثم أشار الى الحكم الثانى من أحكام التصوف فقال (الحكم الثانى فى حكم الاجتماع) اعلم أن الاجتماع عند القوم هو أعظم الاركان وأهمها حتى قال بعضهم التصوف مبنى على ثلاثة أركان الاجتماع والاستماع والاتباع فكل من انفرد عن الإخوان واشتغل بنفسه لا يجىء منه شىء والمؤمنون كالشياه فاذا انفردت شاة عن الغنم كانت من سهم الذئاب وقد رغب الله فى الاجتماع قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وقال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة وعن معاوية رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم

(قلت)وهو لازم لما فسرته به من وصف العبودية ونعت الحرية فوصلك حينئذ بما منه عليك من الإحسان واللطف والامتنان لا بما منك اليه من المجاهدة والطاعة والاذعان ومثال النفس كالفحمة كلما غسلتها بالصابون زاد سوادها فاذا اشتعلت فيها النار ونفخ فيها الريح كستها النار ولم يبق للون الفحمة فيها أثر فكذلك أوصاف البشرية إذا كساها نور الروحانية تغطت ظلمة البشرية ولم يبق لها أثر فتنقلب البشرية فى صفة روحانية وفى ذلك يقول الششترى فى بعض أزجاله :

فتى ما يبين لى * زالت البشريا وتحولت غيرى * فى صفا روحانيا

والنار التى تحرق البشرية هى مخالفة الهوى وتحمل النفس ما يثقل عليها كالذل والفقر ونحوهما مع دوام ذكر الاسم المفرد فكلما فنى فيه ذابت بشريته وقويت روحانيته حتى تستولى على بشريته فحينئذ يكون الحكم لها فتغيب فى نور مذكورها وتغرق فى شهود عظمة محبوبها فحينئذ يحصل لوصال ويتحقق الفناء فى ذى العظمة والجلال وللششترى أيضاً رضى الله عنه ، فالتفت الخطاب ، وسمعت من كلى عن كلى غاب ، وأنا عنى مغنى وارتفع لى الحجاب ، شهدت أنى ما بقى لى أثر ؛ غبت عن أثرى ، لم أجد من حضر ، فى الحقيقة غيرى ، وبالله التوفيق (هـذا آخر الباب الثالث عشر) وحاصلها أمرك بالتعلق بأوصاف الربوبية والتحقق بأوصاف العبودية وعدم مشاركتك له فى وصف الحرية وما تعودت به من ذلك فاخرق لها تلك العوائد هنالك حتى تتهذب وتتأدب وتكتفى بعلم الحال عن وجود الطلب فيكون طلبها شاهد حالها من الذلة والانكسار وظهور الفاقة والاضطرار فحينئذ تترادف عليها المواهب وتنال بذلك غاية المطالب ومنتهى الرغائب وهو الوصول إلى حضرة القدس ومحل الأنس من غير حيلة ولا اكتساب وإنما هو منة من الكريم الوهاب من عليها بالوصول وتفضل عليها بالقبول كما أشار إلى ذلك فى أول الباب الرابع عشر فقال وقال رضى الله عنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) قلت لأن العمل الذى يكون أهلا للقبول هو الذى تتوفر فيه شروط القبول وهو سر الاخلاص وغاية الحضور والتبرى فيه من الحول والقوة وهذا فى غاية الندور فلولا أن الله سبحانه تفضل علينا بجميل ستره فغطى مساوينا بجلائل لطفه وبره ما كان عمل أهلا للقبول أصلا ولكن الذى من بوجود الأعمال من بوجود القبول والاقبال

قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال والله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه جاءنى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة (وقال) رسول الله ﷺ ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيآتكم حسنات (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحول وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا وأين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكروا أنفسكم من كان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه (وقوله) عليه السلام وذكروا أنفسكم أى ليذكر بعضكم بعضاً فالمذاكرة هى أعظم من الذكر لأن فيها علماً وذكر الله ومجالس الذكر تصدق بمجلس العلم والذكر والمذاكرة وما زال الأشياخ رضى الله عنهم يوصون أصحابهم بالاجتماع ويحضون عليها وكان شيخنا رضى الله عنه يقول إذا رأيتم أحداً انقطع عنكم فتداركوه قبل أن يموت وموته بروده ورجوعه عن الطريق (وكان) للشاذلى رضى الله عنه تلميذ يحضر مجلسه ثم انقطع عنه فلقيه ذات يوم فقال مالك انقطعت عنا فقال له قد استغنيت بك عنك فقال له رضى الله عنه لو استغنى أحد بأحد لاستغنى الصديق عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حتى مات

قال بعضهم ما هناك إلا فضله ولا نعيش إلا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم (وقال) يحيى ابن معاذ رضى الله عنه مسكين ابن آدم (جسم معيب وقلب معيب) يريد أن يخرج من معيبين عملا بلا عيب اه قلت ولهذا المعنى قال تعالى أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا فعبر بعن التى تدل على التجاوز ولم يقل تتقبل منهم فكأنه قال أولئك الذين تتجاوز عنهم فى أعمالهم فنقبلها منهم والله تعالى أعلم (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال البلاء والهوى والشهوة معجونة بطين آدم اه قيل وهو معنى قوله تعالى انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه أى اخلاط فاختلط به البلاء والهوى والشهوة فركب ابن آدم منها فلزمته الثلاثة مادامت بنيته قائمة وبشريته موجودة فإذا انهدمت البشرية حسا أو معنى لم يبق حكم النطفة الإمشاجية وصار الحكم للروح النورانية والله تعالى أعلم فإذا تقرر أن عملنا مدخول وليس أهلا للقبول لولا جميل ستره المأمول علمت أن افتقارنا إلى علمه وعفوه فى حال الطاعة أعظم من افتقارنا اليه فى حال المعصية كما أبان ذلك بقوله (أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك اليه إذا عصيته) قلت وذلك لأن الطاعة بساط العز والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة ولأن الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم ويبادرون اليه بالخدمة والتكريم وكل ما عظم فى عين الخلق سقط من عين الحق ان كان يفرح بذلك ويقنع به دون الملك الحق بخلاف المعصية فإنما هى بساط الذل والانكسار ومحل السقوط والاحتقار وكل ما سقط من عين الخلق عظم فى عين الحق فكان العبد فى حال طاعته لربه أحوج إلى حلمه وعفوه منه فى حال معصيته لأن الطاعة التى ينشأ عنها العز والاستكبار أقبح من المعصية التى تورث الذل والافتقار بل فى الحقيقة ليست بطاعة لأن الطاعة التى توجب البعد ليست بطاعة والمعصية التى توجب القرب ليست بمعصية (وفى الحديث) يقول الله تبارك وتعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ومن كان الله عنده فهو أعظم من ألف مطيع توجب له طاعته طرده وبعده (أوحى الله تعالى) إلى بعض الأنبياء عليهم السلام قل لعبادى الصديقين لا يغتروا فانى ان أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى الخاطئين لا ييئسوا من رحمتى فانه لا يكبر على ذنب اغفره اه (وقال) الشيخ أبو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى استغفر ثلاثاً

فانقطاع الفقير عن الاجتماع أو عن الشيخ من أعظم القواطع والله تعالى أعلم وذكر الشيخ فى هذا الفصل سبب الاجتماع وآدابه ووقته وأهله وثمرته فأشار إلى الأول بقوله :

فكان إذ ذاك اجتماع القوم ۞ له بعلم عمل عن علم

(قلت) لما كان الاجتماع على الشيخ مرتبا على معرفته والتحقق به استفتح الفصل بالفاء السببية والإشارة تعود على شروط الشيخ المتقدمة أى فكان حين حصل ذلك الأمر المتقدم فى الشيخ وتحقق العلم به بعلامة شواهد اجتماع القوم له وحضورهم مجلسه لتعلم علم العمل أى لتعلم اتقان العمل بالعلم الذى كان عندهم واستفادوه منه (و) الحاصل أن فائدة الشيخ هى تحقيق الاخلاص واتقان العمل إذ العلم عند اناس كثير والعمل به قليل وعلى تقدير وجود العمل لا يخلو من طلب الحظوظ وقصد الحروف وذلك مناف للإخلاص والأعمال صور قائمة وروحها وجرد سر الاخلاص فيها وأيضاً الانسان لا يخلو من رعونات نفسه فتوقعه فى إفراط أو تفريط أو تخرج به لخلاف المقصود فاذا رجع لرأى من هو أعلم منه وانصح له لم تبق فيه بقية تفرقه عن الوصول إلى الحق (و) قوله عن علم راجع للاجتماع أى فكان اجتماعهم عليه بسبب اتقان العمل بالعلم الذى حصلوه على علم ويقين منهم أنه على بينة من ربه وأنه أهل للتربية بحيث شهدت له أرواحهم بالتقديم وسرهم

تعليما للامة فى شهود التقصير وإلا فلا استغفار من طاعة ولا ذنب على المختار صلى الله عليه وسلم (ولما) كانت المعصية بساط الذل والاحتقار كما تقدم وهى أقرب لمقام العبودية والطاعة بساط العز والرفعة فافتقرت إلى حلم الله أكثر صار الناس يطلبون الستر فى المعصية أو عنها خوفاً مما ينشأ عنها كما أبان ذلك بقوله (الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) قلت الستر هو الحفظ والتغطية وهو فى الحس من الآفات والبليات التى توجب هلاكه وفى المعنى من الفضيحة والمقت وسقوط المرتبة وهو باعتبار المعصية على قسمين قسم يقع الستر فيها فلا يفضح صاحبها وقسم يقع الستر عنها فلا يقع فيها ولو طلبها لما شمله من حفظ الله ورعايته فالعامة يطلبون الستر من الله فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق فهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فمحط نظرهم إنما هو شهود الخلق غائبين عن نظر الملك وذلك لضعف إيمانهم وقلة يقينهم وانطماس بصيرتهم (وفى بعض الأخبار) يقول الله تبارك وتعالى ياعبادى إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم اهـ

(وأما الخاصة) فهم يطلبون من الله الستر عنها والعصمة منها خشية أن يسقطوا من عين الحق لأن صدور المعصية من العبد سوء أدب ومن أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب فإذا وقعت منه معصية بادروا إلى الاعتذار وصحبهم الخجل والانكسار ثم جدوا فى سيرهم ولم يقفوا مع نفوسهم إذ لاوجود لها فى نظرهم ولا التفات لهم الى الخلق إذ لم يبق فى نظرهم إلا الملك الحق غابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق أو بشهود المعنى عن رؤية الحس او بشهود الموسوط عن الواسطة .

(وأما خاصة الخاصة) فلا يطلبون شيئاً ولايخافون من شىء صارت الأشياء عندهم شيئاً واحداً واستغنوا بشهود واحد عن كل واحد فهم ينظرون مايبرز من عنصر القدرة فيتلقونه بالقبول والرضى فإن كان طاعة شهدوا فيها المنة وإن كان معصية شهدوا فيها القهرية وتأدبوا مع الله فيها بالتوبة والانكسار قياماً بأدب شريعة النبى المختار صلى الله عليه وسلم وقد وردت أحاديث فى المقامات الثلاثة تعليما للأمة فقد دعا عليه السلام بالستر على المساوى ومنها وهى العصمة والحفظ وطلب مقام

بالتعظيم ولم يكن اجتماعهم عليه على جهل به وتقليد وشك وترديد (ثم) الأليق بالشيخ إذا اختلط الفقراء أهل بدايات ونهايات أن يفرقهم فى المذاكرة على ماقاله الناظم وأشار اليه بقوله :

ولم يكن ذلك عن رويه بل يحضر القوم على سويه

(قلت) الروية والتروى هى المشاورة فى الأمر والاتفاق عليه يعنى أن القوم لم يكن اجتماعهم عن اتفاق وروية على أن تحضروا فى مجلس واحد ووقت واحد ويكون أهل البدايات وأهل النهايات على السوية فى مجلس واحد كما يفعل أهل التدريس للعلم الظاهر بل كانت الشيوخ تذكر كل فرقة على حدتها وتخاطب كل واحد على قدر فهمه فينبغى للشيخ أن يكون له مجلسان مجلس يخص به أهل النهايات ومجلس يعم به أهل البدايات والنهايات وينبغى له أيضا ألا يلتزم مجلساً واحدا لايتعداه بل مهما اتفق اجتماعهم ذكرهم فى أى وقت كان ومهما قدم عليه قوم ذكرهم فقد يكون منهم من يحب الاستعجال فى سفره ومنهم من يريد المقام ولا ينبغى للشيخ أن يحتجب عن الفقراء حتى يتضرروا بانتظاره فقد كان عليه السلام لا يحتجب عن أصحابه ولم يكن له بوابون ولا مشاورون وماذكره الناظم من تفريق المذاكرة إنما يتأتى مع قلة الفقراء وأما مع كثرتهم فيجعل مجلساً لهم واحدا ويذكر فيه البدايات والوسط والنهايات وكل واحد يشرب من منهله قد علم كل أناس مشربهم

الرضا والتسليم لأحكام الله القهرية كل ذلك منشور فى كتب الأحاديث فلا نطيل به ثم إذا ستر الحق تعالى مساويك وذنوبك ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والمجد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانظر من الممدوح فى الحقيقة هل أنت أو من ستر مساويك كما أبان ذلك بقوله (من أكرمك فانما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك وليس الحمد لمن أكرمك وشكرك (قلت إذا كان الحق تعالى تولى حفظك برعايته وستر مساويك بستر عنايته فغطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والتمجيد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانعزل عن شهود نفسك فمن أكرمك فانما أكرم فيك جميل ستره فلولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا فالحمد فى الحقيقة إنما هو لمن سترك لالمن أكرمك إذ لو أظهر للناس ذرة من مساويك لمقتوك وأبغضوك فاشكر الله على ما أسدى إليك من كرم وغطى عليك من المساوى التى توجب أنواع الاذية والنقم (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه إذ لولا ستره عن المعاصى ما كنت مطيعا ولولا ستره فيها لكنت مهانا عند الخلق ومخصوصاً بالمقت بينهم ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين فالخلق كلهم إنما يتعاملون بينهم بستر مولاهم ولو خلا عبده من ستره لأبغضه أحب الناس اليه ولآذاه أشفق الخلق عليه ولأهلكه أرأف الخلق به ولله در القائل :

يظنون بى خيرا ومابى من خير ... ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم ... وألبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبونى وما أنا بالذى ... تحب ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم ... وكن لى يامولاى فى موقف الحشر

ولما بلغت الاذاية كل مبلغ من حبيب الله صلى الله عليه وسلم مازاد على أن قال لاغنى لى عن عافيتك عافيتك أوسع لى الحديث اهـ وسيأتى التقسيم فى شهود الخلق فى حاله النعم وان الناس على ثلاثة أقسام قوم عوام لايشهدون الا الخلق وقوم خواص لايشهدون الا الخالق وقوم خواص الخواص يشهدون الخالق فى الخلق والموسوط فى الواسطة فيعطون كل

هذا ما ادركنا اشياخنا عليه حين كثر الاتباع (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه يجعل مجلسا يتضرع فيه الى الله فى اصلاح شأنه وشأن من تعلق به ليكون ناصحا لهم فى الباطن كما نصح لهم فى الظاهر ولما ذكر سبب الاجتماع وآدبه أشار الى وقته فقال :

ولم يكن أيضا لدى العشاء ... اذ فيه نهى وهو للاغفاء

(قلت) الاغفاء هو النوم يعنى ان اجتماع القوم لم يكن عند وقت العشاء لان ذلك الوقت جعله الله للنوم والراحة قال تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) وذلك ليقوم للصلاة ناشطا ولا سيما عند قصر الليل وقد نهى سيدنا عمر رضى الله عنه عن النوم قبلها والحديث بعدها يعنى العشاء وكذلك أيضا لاينبغى أن يكون عند أوقات الصلاة لان ذلك يؤدى إلى خروج وقتها ولا ينبغى تطويل المجلس فقد قال الزهرى إذا طال المجلس كان فيه حظ الشيطان (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وحق المريد أن يدخل على الشيخ بالهمة ويقعد عنه بالحرمة ويخرج من عنده بالخدمة والعزيمة ثم أشار إلى حكمة الاجتماع فقال :

وافترقوا فيه للائتلاف ... ليعلم المستوفى حال الوافى

قلت الائتلاف هو الاجتماع وتألف القوم اجتمعوا قاله فى القاموس (يقول) رضى الله عنه وافترقوا أيضا للاجتماع

ذى حق حقه كما يأتى مبيناً ان شاء الله وإذا تحققت أن الذى أكرمك هو الذى ستر عيوبك وغطى مساويك بعد اطلاعه على خفاياها وعلمه بخباياها فاتخذه صاحب وكن له مراقبا ودع الناس جانبا كما نبه عليه بقوله (ما صحبك من صحبك وهو بعيبك عليم ليس ذلك إلا مولاك الكريم) قلت وإذا علمت أنه ليس لك صاحب إلا مولاك فاعرف حقيقة صحبته والزم الأدب فى ظاهرك وباطنك واستحى منه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك (وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيي والحمد لله قال لهم الحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وتذكر القبر والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيي من الله حق الحياء اه فالصاحب الذى يدوم لك هو الذى يصحبك وهو عالم بعيبك لأن ذلك داع للسلامة من التكلف والرياء والتصنع وليس ذلك إلا مولاك العالم بخفاياك المطلع على سرك وعلانيتك أن عصيته سترك وان اعتذرت اليه قبل عذرك (وقد قيل) من الحكمة فى قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مع أن الكل ملكه ثلاثة أشياء

(أحدها) البشارة بعدم الرد بالعيب لأن المشترى عالم به

(الثانى) ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره إذ لايتم بيع الا بالتسليم ولا كفالة إلا بعد اقباض

(الثالث) اظهارا لتمام الفضل فى ظهور النسبة لله سبحانه وذكر الصحبة فى جانب الحق وقعت فى حديث أنت الصاحب فى السفر واختلف فى اطلاقه فى غير ذلك المحل والظاهر أن الشيخ يرى ذلك فى محل اشارة الأدب والانحياش وعليه مر أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (وأعلم) أن الأمر الذى يرغب فى الصحبة ويعقد المحبة والمودة أمران أحدهما ماتقدم من كون الصاحب يغطى شينك بحلمه ويستر وصفك بوصفه والثانى كونه يحبك ويطلبك إلى حضرته من غير غرض ولا منفعة له فى صحبتك وإلى الثانى أشار بقوله (خير من تصحب من يطلبك لا شيء يعود منك اليه) قلت ولا يوجد هذا الوصف المجيد الا للغنى الحميد الفعال لما يريد يحب من يشاء بلا علة ولا سبب ويمقت من يشاء بلا ضرر يلحقه ولا تعب يقرب من يشاء بلا عمل ويبعد من يشاء بلا زلل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله لهدى الناس جميعا وكلامنا انما هو مع أهل التحقيق وأما باعتبار الحكمة وأهل التشريع فلايظلم ربك أحدا ولكن

لامور منها معرفة حال الإنسان فى العلم والحال والمقام فان النفس قد تغلط فى نفسها فتظن أنها أدركت مقام الأكابر وهى مقيمة مع الأصاغر فاذا اجتمع مع من هو أنهض منه حال وأكثر منه علما علم حاله وعرف مقامه فيجد فى سيره ويتحقق بقدره (وفى) بعض الأخبار عاش من عرف قدره وكذلك الفقير الكامل إذا رأى من هو دونه فى الحال أو المقام حمد الله وشكره وطلب الزيادة من مولاه وهذا معنى قوله ليعلم المستوفى حال الوافى فالمستوفى الذى هو الناقص تنعشه رؤية الكامل الذى هو الوافى فى العلم والحال لاستشعاره نقصه وقصوره عن رتبة صاحبه الوافى فينهض فى العمل وينافسه فى الحال قال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والوافى يعرف قدر منة الله عليه فيما أدركه فيشكره فيزيده الله تعالى على ماأعطاه ويتشوف إلى مقام أعلى فيوصله الله اليه اذ السير لانهاية (قال) الشيخ أبو هادى رضى الله عنه لاصحابه يوما بم يرتفع المريد إلى رتبة هى أعلى من رتبته فقالوا بفضل الله ورحمته فقال انما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا من عند الشيخ قال يخلق الله له همة هى أعلى من همته فيرتفع بها إلى رتبة أعلى ومنها أى ومن الأمور الداعية للاجتماع حصول النشاط والقوة فان دوام الوحدة تبرد صاحبها والتقوى عليه الحس والكسل ان كان فى محل البدايات (و) قد تحصل له فترة أو وقفة فإذا اجتمع مع الاخوان قوى حاله وزال كسله لذلك قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى (ورغب) عليه

فاعل السبب هو فاعل المسبب من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وللجيلى رحمه الله

إذا كنت فى حكم الشريعة عاصياً فإنى فى حكم الحقيقة طائع

فخير من تصحبه أيها الانســـان مولاك الذى يطلبك لحضرته ويجتبيك لمحبته من غير نفع يعود منك اليه وإنما هو برور وإحسان منه اليك فكيف تتركه وتطلب الأنس بغيره وضرره أقرب من نفعه (قال) بعضهم جرب الناس تجدهم عقارب فاذا طلبت الصحبة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم ويدلك على الله مقالهم ولله در صاحب العينية حيث يقول فى عينيته .

فشمر ولذ بالأولياء فانهم ... لهم من كتاب الحق تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو طالع
بهم يهتدى للعين من ضل فى العمى ... بهم يجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والسؤال والمنى ... واسمهم للصب فى الحب شافع
هم الناس فالزم ان عرفت جنابهم ... ففيهم لضر العالمين منافع

وقال فى التحذير من صحبة غيرهم من الغافلين والعوام

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة ... فما وصل العذال إلا مقاطع
وجانب جناب الأجنبى لو أنه ... لقرب انتساب فى المنام مضاجع
فللنفس من جلاسها كل نسبة ... ومن خلة للقلب تلك الطبائع

والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله فما هى إلا صحبة الله إذ ما ثم سواه والنظر إلى العارف بالله فانما هو نظر إلى الله اذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله فصار نوراً محضاً من نور الله وفيهم قال عليه السلام ان لله رجالا من نظر اليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا اه وهم موجودون لا ينقطعون أبدا ظاهرون ظهور الشمس لا يخفون الا على من أراد الله منه طردا وبعدا والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ومن سوء القضاء وشماتة الاعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة

السلام فى حضور مجالس الذكر كما تقدم قال بعض المتقدمين كنا اذا فترنا نظرنا إلى محمد بن واسع فعملنا عليه أسبوعاً اه أى بقى نشاطنا فنعمل عليه أسبوعاً فمشاهدة الأخيار ترفع الهمة وتقوى العزيمة والمؤمن مرآة اخيه فمافى المحاذى ينطبع فى المحاذى وقد قال أنس رضى الله عنه ما نفضنا أيدينا من التراب من دفنه عليه السلام حتى فقدنا قلوبنا ومنها استفادة العلم والمعرفة أما العلم فمن المذاكرة ، وأما المعرفة فمن المشاهدة (قال) بعض الحكماء فهم سطرين أفضل من حفظ وقرين فضل ومذاكرة اثنين أفضل من هاتين أى أفضل من فهم سطرين وحفظ وقرين والنظر إلى العلماء ومجالسة الحكماء عبادة كبيرة وبالله التوفيق ثم استدل على فضل الاجتماع بالحديث ورواه بالمعنى فقال :

لاخير فيمن لم يكن ألوفا ولم يكن لغيره مألوفا

قلت لفظ الحديث المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (وقال) أيضا عليه الصلاة والسلام ان من خياركم أحسنكم أخلاقا الموطئين أكنافا الذين يألفون ويؤلفون فقوله عليه السلام الموطئين أكنافا معناه المأمون جانبهم بحيث لا يخاف منهم خيانة ولا جناية الذين يألفون الناس ويألفهم وهو معنى قول الناظم لا خير فيمن لم يكن ألوفا بغيره ولم يكن مألوفا لغيره أى يألفه غيره (وفى رواية أخرى ألا أنبئكم بأحبكم إلى وأقربكم مجالس يوم القيمة أحاسنكم أخلاقا

ونجاة النعمة آمين ثم فائدة صحبة العارفين وهو حصول اليقين كما أشار اليه بقوله (لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) قلت اليقين هو العلم الذى لا يزاحمه وهم ولا يخالطه ريب ولا يصحبه اضطراب مشتق من يقن الماء إذا حبس ولم يجر شبه به العلم إذا صحبته الطمأنينة ولم يبق للقلب فيه تحرك ولا اضطراب وإشراق نوره وهو ظهور أثره على الجوارح فيظهر فيها الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخر ويظهر منه الانحياش إلا الله والاشتياق الى حضرة جماله والسكون والخضوع تحت قهر جلاله والمسارعة إلى ابتغاء مرضاته والمبادرة إلى مظان محابه ولهج اللسان بذكره وشغل القلب بالفكرة فى عظمته وهيمان الروح فى حضرة قربه وسكرها من شراب حبه واغتمارها قربه فهذه علامة إشراق نور اليقين فى القلب ومن علامته أيضاً أن يصير الآجل عاجلا والبعيد حاصلا والغيب شهادة فان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ولنا فى هذا المعنى :

فلا ترضى بغير الله حباً　　وكن أبداً بعشق واشتياق
ترى الأمر المغيب ذاعيان　　وتحظى بالوصال وبالتلاق

كنت ذيلت بهما قول القائل

فلا دهش وحام الحى حى　　ولا عطاش وساقى القوم باقى
فما الدنيا بباقية لحى　　وما حى على الدنيا بباق

فلو أشرق نور اليقين فى قلبك لرأيت الآخرة الآتية حاضرة لديك أقرب اليك من أن ترحل اليها اذ هى الراحلة اليك والمدركة لك ولرأيت محاسن الدنيا الوهمية الفانية قد ظهرت كسفة الفناء عليها أى قد انكسف نور وجودها بظهور ظلمة فنائها فصار ما كان ظاهراً باطناً وما كان باطناً صار ظاهراً وما كان كثيفاً صار لطيفاً وما كان لطيفاً صار كثيفاً وما كان غيباً صار شهادة وما صار شهادة صار غيباً وانما بعد ذلك عن الخلق ضعف إيمانهم وقلة نور إيقانهم ولو أشرق نور اليقين فى قلوبهم لرأوا الدنيا مكسوفة أنوارها بادية عوارها كما رآها حارثة رضى الله عنه حين أخبر عن حقيقة إيمانه

الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويألفون (قلت) وينبغى التفصيل فى أحوال الناس أما العارفون الراسخون فلا يليق بهم الا التألف بالناس والتصبر لهم لأنهم يأخذون نصيبهم من كل شىء وقد وجههم الله تعالى لنفع عباده فينبغى لهم أن يألفوا الناس ويألفهم الناس وكذلك الصالحون المتوجهون لاصلاح الناس بالتبرك والدعاء والعلماء المتوجهون لتعليم العباد فلا بد من صبرهم على جفوة المتعلمين والسائلين ومن تعلق بهم من المسلمين وأما المريدون السائرون فلا ينبغى لهم أن يألفوا الناس كلهم فان ذلك يقطعهم عن ربهم وكل فقير مال الرياسة والسياسة وتوجه للناس قبل كماله فلا يجىء منه شىء وانما يألف الفقير من ينهضه حاله ويدله على الله مقاله (وفى) الحديث قالوا من نجالس يا رسول الله قال من ذكركم بالله رؤيته وأزاد فى علمكم منطقه ورغبكم فى الآخرة عمله (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أوصانى حبيبى فقال لا تنقل قدميك الاحيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تأمن غالباً من معصية الله ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقيناً وقليل ماهم وبالله التوفيق والى هذا المعنى أشار بقوله

ومن يكن يصحب غير جنسه　　لجاهل والله قدر نفسه

(قلت) وانما كان من يصحب غير جنسه جاهلا بقدر نفسه لان النفس وهى الروح ياقوتة رفيعة جعلها الله فى صدف

(فقد روى) عن انس رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى إذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمناً بالله حقا فقال له انظر ماتقول فان لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك فقال يارسول الله عرفت نفسى عن الدنيا أى أدبرت وهربت فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها فقال له أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان فى قلبه قال يارسول الله ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر شهيداً فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله قد علمت منزلة حارثة منى فان يكن فى الجنة أصبر وان لم يكن فى الجنة ترى ما أصنع فقال أو هبلت أجنة هى إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول (بخ بخ) يا حارثة اه وكما رآها معاذ بن جبل رضى الله عنه حين دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال له كيف أصبحت يامعاذ قال أصبحت مؤمناً فقال إن لكل قول مصدقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يارسول الله ماأصبحت صباحاً قط إلا ظننت لاأمسى وما أمسيت قط إلا ظننت لاأصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أنى لا أتبعها بأخرى وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها مع نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الأنصاريان أشرق نور الايقان فى قلوبهما وشرح الله به صدورهما فرأوا ما كان آجلا وما كان آتيا واصلا :

(وفى الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن عاصم الانطاكى رحمه الله اليقين نور جعله الله فى قلب العبد حتى يشاهد به أمور آخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها اه (قلت) فاذا تكامل أشراق نور الإيقان غطى وجود الأكوان ووقع العيان على فقد الأعيان ولم يبق إلا نور الملك الديان كما أشار إلى ذلك بقوله (ماحجبك عن الله وجود

بشريتك فاذا صحبت بها من هو أحسن منك فقد صنتها ورفعتها واعتنيت بشأنها لأن صحبة الأبرار تصيرك من الأخيار وإذا صحبت بها من هو أسوأ منك وأخسر منك فقد بخستها وحططت قدرها ورميت بها فى المزابل لأن الطباع تسرق الطباع والمرء على دين خليله وصاحب المرء رقعة من ثوبه فلا يصح أن يكون من غير نوعه ويرحم الله القائل حيث قال :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافا لأرباب الصدور تصدرا
وإياك أن ترضى بصحبة ساقط فتنحط قدراً من علاك وتحقرا

(وقال غيره)

لا تصحب أخا الجهل فإياك وإياه فكم من جاهل أردى حليما حين واخاه
قياس النعل بالنعل إذا ماهو حاذاه يقاس المرء بالمرء إذا ماهو ماشاه
وللشىء من الشىء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

(وقال) سهل بن عبد الله أحذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) يوسف بن الحصين الرازى رحمه الله قلت لذى النون المصرى رضى الله عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك (وقال) حمدون القصار رضى الله عنه اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن

موجود معه إذ لاشيء معه، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) قلت الحق تعالى ظاهر ونوره للبصائر باهر وإنما حجبه مقتضى اسمه الحكيم واسمه القاهر فما حجبك عن شهود الحق وجود شيء معه أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ولكن حجبك عن شهوده توهم وجود موجود معه ولا شيء معه وكما كان ولاشيء بقى ولا شيء هو الأول والآخر والظاهر والباطن واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله فالفعل لا يصدر من غير صفة والصفة لا تفارق الموصوف فالفعل متحد والفاعل واحد والصفة متحدة والمتصف بها واحد وللششترى رضى الله عنه ، صفاتى لاتخفى لمن نظر وذاتى معلومة تلك الصور ، فافن عن الإحساس ترى عبر ، وسبب توهم الغيرية عدم الفكرة وسبب عدم الفكرة حب العاجلة فهى الشاغلة للقلوب عن السير إلى حضرة علام الغيوب وحكمة حب الدنيا ظهور القهرية فمن قهاريته تعالى أن احتجب بلا حجاب وغطى نور شمسه بالاسحاب وأيضاً قوالب العبودية حجبت مظاهر أنوار الربية ووجود الحكمة ستر ظهور القدرة (وقال) بعض العارفين الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لايخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار فى كل شيء ولنوريته ظاهر فى كل شيء ولا طلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق اه ومن كلام ابن وفا رضى الله عنه .

هو الحق المحيط بكل شيء هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو النور المبين بغير شك هو الرب المحجب فى العبيد
هو المشهود فى الأشهاد يبدوا فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب هو المقصود من بيت القصيد
جميع العالمين لهظلال سجود فى القريب وفى البعيد
وهذا القدر فى التحقيق كاف فكف النفس عن طلب المزيد

وقال الشيخ القطب مولاى عبد السلام بن مشيش مخاطباً لوارثه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فى وصية

عندهم كبيرهم إشارة إلى أن العجب بالعمل عندهم منتفى فى صحبتهم (وقال) الجنيد رضى الله عنه إذا أراد الله بالمرء خيراً أوقعه إلى الصوفيه ومعه صحبة القراء (وقال) سيدنا على رضى الله عنه شر الأصدقاء من أحوجك إلى المداراة وألجأك إلى الاعتذار (وقال أيضاً) شر الأصدقاء من تكلف له وأنشدوا .

أحب من الأخوان كل موات وفى غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه ويحفظنى حياً وبعد وفاتى
فمن لى بهذا ليتنى قد وجدته فقاسمته مالى من الحسنات

(وأوحى) الله إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً وكل أخ لا يوافقك على مسرتى فهو لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى (وقال) الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه والحاصل من هذا أن صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين للدين والعلم لأنهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها أحد وسريان ذلك إلى الصاحب من المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد قيل من تحقيق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما

له وقد تقدمت حدد بعض الإيمان تجد الله تعالى فى كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريباً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هى نعمة وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب فى المسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان اه (قال) بعضهم ونبه بقوله وعند الخ على أن ماجرى من كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية لأنها من جملة الاكوان وإنما هى أمور ذوقية فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وسلم ذلك لأهله فانهم على بصيرة فيما رمزوا اليه مما ذاقوه ووجدوه بل هو محض الإيمان وخالص العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفو الايمان وأما قوله وهو الآن على ماهو عليه كان وإن لم يرد فى الحديث الصحيح فهو فى نفسه صحيح إذ لاوجود فى الحقيقة للأشياء معه تعالى وإنما هى كالخيال ووجود الظلال فلا تنسخ أحديته ولا ترفع فردانيته وبالجملة فمن غلب عليه شهود الاحدية وكوشف بسر الوحدانية واستغراق فى الحقيقة العيانية انقطع عن الشعور بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وإن رد إلى الشعور رآه قائما به وظاهراً فيه وبه حكما من أحكامه اه وقال فى لطائف المنن وأشبه شيء بوجود الكائنات إذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم وإذا ثبتت ظلية للآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لأن الشيء إنما يشفع بمثله ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله فان ظلال الأشجار فى الأنهار لاتعوق السفن عن التسيار ومن هنا تبين لك أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب اليك منه ولا شيء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب اه.

(ولما) قرر أمر الوحدة ونفى وجود الغيرية استشعر سائلا يقول له وهذه المكونات الظاهرة فما تقول فيها مع ثبوت الوحدة فأجاب بأنها قائمة به ولولاظهور نوره فيها ما ظهرت كما بين ذلك بقوله (لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) قلت كان الله ولا شيء معه فكانت الخمرة الأزلية القديمة لطيفة

بالك بالصحبة والمؤانسة ثم قال وبصحبة هؤلاء يحصل للمريدين من المزيد ما لا يحصل لهم بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا بذلك إلى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل ولذا قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فتثمر رماناً للوقت فمن صحب هؤلاء الرجال ما يصنع الكيمياء (وقال) أيضا رضى الله عنه والله ما سار الأولياء من قاف إلى قاف إلا حتى يلقوا واحداً مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم (وقال) أيضاً الولى إذا أراد أغنى (وقال) أيضا رضى الله عنه والله ماببنى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته (وقال) فيه شيخه سيدى أبو الحسن رضى الله عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله الى الله ثم أشار لحديث ورد فى الجليس فقال:

أفضل للمرء جلوس وحده ولا يكن جليس سوء عنده

قلت أشار الى قوله عليه الصلاة والسلام الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جلاس السوء والجليس الصالح مثل العطار ان لم تنل من طيبه أصبت من ريحه والجليس السوء مثل الحداد إن لم تصب من شرره أصابك نتنه وفى معنى ذلك قيل:

خفية نورانية رحانية وليس هناك شكل ولا رسم متصفة بصفة بصفات المعانى والعنوية متسمية بأسمائها القديمة منعوتة بنعوت الجلال والجمال فاقتضت الخمرة ظهور حسنها وجمالها واقتضت الصفات ظهور آثارها والأسماء ظهور مطالبها فقبضت الصفات من النور اللطيف قبضة نورانية لمقتضى اسمه الظاهر واسمه القادر فطلبها أيضاً اسمه الباطن واسمه الحكيم فابطنها فى حال ظهورها وغطاها فى حال بروزها فكانت ظاهرة باطنة ثم تفرعت تلك القبضة على تفاريع كثيرة بعدد الصفات وتنوعت على أجناس كثيرة بتنوع الأسماء فالماء واحد والزهر ألوان وفى ذلك يقول صاحب العينية :

وكل الورى طراً مظاهر طلعتى　　مراء بها من حسن وجهى لامع
ظهرت بأوصاف البرية كلها　　أجل لى ذوات الكل نورى ساطع

فبحر الجبروت فياض إلى عالم الملكوت ثم احتجب بالحكمة فصار ظاهرة ظلمة وباطنه نوراً ظاهره حكمة وباطنه قدرة ظاهره ملك وباطنه ملكوت والجميع جبروت فإذا تقرر هذا علمت أن الأكوان لا وجود لها من ذاتها فلولا ظهور الحق بها ما ظهرت ولا وقع عليها ابصار الخلق كما قال القائل :

من لاوجود لذاته من ذاته　　فوجوده لولاه عين محال

(وقال آخر)

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن　　فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى　　بعينى شيئاً غيره إذ أعاين

وظهوره تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير اذ لا يمكن شهوده ومعرفته إلا بواسطة هذه التجليات ولو ظهر بالأوصاف التى كان عليها فى الأزل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلت (وفى الحديث) حجابه النور لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره اه وهذا معنى قوله لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته أى لو ظهرت نعوته الأصلية الأزلية لاضمحلت المكونات الحديثة إذا الكائنات كلها تكثيف الأسرار اللطيفة التى هى نعوت الخمرة الأزلية التى أشار اليها ابن الفارض فى خمريته بقوله :

إذ كنت فى قوم فصاحب خيارهم　　ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه　　فكل قرين بالمقارن يقتدى

(وقال) شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام ولا شيء أضر على المريد من الجلوس مع المتفقرة الجاهلين (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه الجليس السوء هو الذى جمع ثلاث خصال (الأولى) الرضى عن نفسه بحيث يرى له حقاً على الناس ويرى الناس كلهم دونه وهذه صفة الجبابرة الغافلين (الثانية) الاسترسال فى الغيبة وتزكية النفس وتعظيم ذنب الغير واحتقار ذنب نفسه فلا يقبل عثرة ولا يغفر ذلة وهذه صفة القراء المداهنين (الثالثة) وجود الدعاوى والطمع وحب الرياسة والبدع وهذه صفة المتصوفة الجاهلين (وقيل) الإخوان ثلاثة أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الإيمان (و) أخ لدنياك فلا تراع فيه إلا حسن الخلق (و) أخ للناس فلا تراع فيه الا السلامة من شره وهو كلام جامع مفيد اه وبالله التوفيق ثم أشار إلى الاجتماع وتنيجته فقال :

قد يرتجى الشفاء للسقيم　　مهما يكن ملازم الحكيم

(قلت) لاأعظم شفاء لأمراض القلوب وعللها من صحبة العارفين والدخول تحت جناح تربيتهم وملازمة حضانتهم

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم

فلو ظهرت الأسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات الكثيفة إذ لا ظهور للكثيف إذا رجع لطيفاً وما مثال الكون إلا كالثلجة ظاهرها جامد وباطنها مائع فاذا ذوبت الثلجة رجعت إلى أصلها ماء ولم يبق للثلجة أثر فكذلك المكونات الحسية إذا ظهرت أسرارها اللطيفة التى قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة وتلاشت ورجعت لأصلها وإلى هذا المعنى أشار صاحب العينية بقوله :

وما الكون فى التمثال الاكثلجة وأنت لها الماء الذى هو نابع
فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه وغير ان فى حكم دعته الشرائع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع

فمن وقف مع ظاهر الثلجة أنكر الماء الذى فى باطنها وكان جاهلا بحقيقتها ومن نفذ إلى باطنها عرف أصلها وفرعها وكذلك الأكوان ظاهرها غرة لمن وقف مع كثافتها وباطنها عبرة لمن نفذ إلى أصلها وقد مثلوا أيضاً الكون بصورة جبريل حين كان يتصور فى صورة دحية فمن رآه كثيفاً قال دحية وأنكر أن يكون ملكا ومن عرف أصله لم ينكره ولم يقف مع ظاهره فاذا تلطف ورجع إلى أصله ذهبت تلك الصورة واضمحلت فكذلك الكون إنما هو خيال فادام موجوداً فى الحس رأى وظهر فاذا رجع إلى أصله بظهور أسراره التى قام بها اضمحل ولم يبق له أثر وقد أشار إلى هذا صاحب العينية أيضاً بقوله

تجليت بالتحقيق فى كل صورة ففى كل شىء من جمالى لوامع
فما الكون فى التمثال إلا كدحية تصور روحى فيه شكل مخادع

ويسمون هذه الاسرار التى قامت بها الأكون معانى ويسمون الأكوان أوانى حاملة للمعانى ظاهرة فلو ظهرت المعانى لاضمحلت الأوانى ومن وقف مع حس الأوانى حجب عن أسرار المعانى وفى ذلك يقول الششترى رضى الله عنه

لا تنظر إلى الأوانى ٭ وخض بحر المعانى ٭ لعلك ترانى

بالصدق والمحبة والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وكان شيخنا رضى الله عنه يقول من لم يصحب الفحول يبقى فى الوهم موحول وإنما اشترطت الملازمة ودوام الصحبة لأن بذلك يعرف صدقه فى طلب دوائه ويظهر حاله فى وجه الشفاء من دائه لمعرفة وجه العلة وسببها الذى لا يعرف غالباً إلا بالملازمة وأيضا بذلك يقع العطف عليه فينهضه بهمته ودعائه وفى ذلك يقول الشيخ أبو مدين رضى الله عنه

وراقب الشيخ فى أحواله فعسى يرى عليك من استحسانه أثرا
ففى رضاه رضى البارى وطاعته يرضى عليك فكن من تركها حذرا

هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ترك هذا البيت والمراد ياحكيم فى كلام الناظم شيخ التربية لأنه طبيب حكيم كما تقدم ثم رد على من أنكر على الفقراء الاجتماع فقال

ومن ينازع فاطرح نزاعه فالدين مبنى على الجماعة

(قلت) يريد من نازع الفقراء وأنكر عليهم اجتماعهم فلا تسمع لقوله بل انبذه وراء ظهرك فالدين مبنى على الجماعة قال صلى الله عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال عليه السلام يد الله مع الجماعة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من فارق

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

ولطف الأوانى فى الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تسموا

فالأوانى كلها لطيفة فى الحقيقة تابعة للطف المعانى لأنها منها وإنما تكثفت فى حق أهل الحجاب الذين وقفوا مع ظواهر الأشياء واشتغلوا بخدمة الحس قلباً وقالباً فعظم عليهم الحس وقويت دائرة حسهم وغلظ الحجاب فى حقهم فعبادتهم حسية وفكرتهم حسية وذلك لصحبتهم أهل الحس ولو صحبوا أهل المعانى لاشتغلوا بخدمة المعانى حتى تتلطف لهم الأوانى .

(قال) شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه سألت الشيخ يعنى سيدى العربى ابن عبد الله فقلت ياسيدى كنت أظن أنه لايشفى غليل الإنسان إلا الحس يعنى العبادة الحسية ولا ظننت قط أن فعل المعانى يشفى الغليل أبداً والآن وجدت نفسى بالعكس لا يشفى غليلها إلا المعانى فأجابنى بأن قال يا ولدى لما كانت همتك مشورة للحسيات أمدك الله فيها فصرت لا تقنع إلا بالحسيات والآن انعكس الأمر لما وافقت أهل المعانى أثرت معرفتهم فيك بتشوير همتك لبلاد المعانى ولما انقلبت همتك عن بلاد الحس وشورت لبلاد المعانى أمدك الله فيها فصرت تقطع بالمعانى كما كنت تقطع بالحسيات اه مختصراً فكل من صحب أهل المعانى وانقلبت همته لبلاد المعانى حتى صارت عبادته باطنية معنوية تلطفت فى حقه الأوانى ولم ير إلا المعانى (قلت) ومما من الله على بصحبة أهل المعانى انى إذا نظرت إلى الكون بعين بصيرتى من عرشه إلى فرشه ذاب وتلاشى ولم يبق له أثر والله ذو الفضل العظيم (تنبيه) سئل سيدى أحمد بن يوسف المليانى عن ذات الحق تعالى هل معنوية أو حسية فقال هى حسية لا تدرك قال سيدى عبد الله الهبطى وهذا مما يدل على تحقيق معرفته (قلت) ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها الأبصار ولا تكيفها العقول متصفة بصفات المعانى والمعنوية ولو كانت صفة أو معنى كما يزعمه النصارى لم تتصف بصفات المعانى ولا المعنوية لأن الصفة والمعنى لا يقوم بنفسه ولابد أن يقوم بغيره والصفة لاتتصف بصفة أخرى وأما قول بعض المتأخرين المعنى لا يقبض إلا بالحس وقولهم أيضاً لاتنظر إلى الأوانى وخض بحر المعانى وقولهم الأكوان أوانى حاملة للمعانى فاعلم أنه قد تقدم أنهم يطلقون على أسرار الذات وهى الخمرة الأزلية معانى

الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية إلى غير ذلك من الأحاديث المرغبة فى الاجتماع وقد تقدمت فى أول الفصل نبذة صالحة منها (وقد) حرر ابن عرضون فى مقنعه الخلاف فى المسئلة ورجح القول بالاستحباب واستدل بأحاديث ووقائع فطالعه ان شئت وهذا أمر قد تواتر عند الصوفية فلا يحتاج إلى دليل وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق ثم أشار إلى الحكم الثالث وهو اللباس فقال (الحكم الثالث فى حكم اللباس) أى مايختاره القوم من اللباس وما يتركونه ولا يكون ذلك قدحاً فى طريقهم أصلا ولا فعلا (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مبتذل لا يبالى مالبس وهو كلام تام أى كل من يحب الخمول لا يبالى مالبس (وكان) عمر رضى الله عنه يقطع من كميه ما جاوز الأصابع (وقال) بعض المشايخ الفقير الصادق أى شىء لبس يحسن عليه ويكون عليه الملاحة والمهابة والثوب الخلق أى البالى أحب إليهم من الجديد لأنه أكثر بركة ويجتهدون فى النظافة والظرافة (قال) صلى الله عليه وسلم النظافة من الإيمان ورأى على بعض الوفود ثوباً وسخاً فقال صلى الله عليه وسلم أما كان يجد هذا ماء يغسل به وقال هب ان الفقر من الله فما بال الوسخ وقال ان يبغض الوسخ ويكرهون لبس الشهرة من الثياب ويتبركون بثياب المشايخ وقد كانت الصحابة يتبركون بثيابه صلى الله عليه وسلم وبشعره وريقه وعرقه وفضل وضوئه ففيه جواز التبرك بآثار الصالحين ثم ذكر الشيخ بعض أحكام

لخفائها ولطافتها فأشبهت المعاني من هذا الوجه فتحصل أن الحس لاقيام له إلا بالمعنى وهي معاني أسرار الذات فصار قيام الأشياء كلها بالله ولا وجود لها معه وهو الذي أشار اليه بن الفارض بقوله

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم

أي قامت الأشياء كلها بالذات العلية أي بأسرارها اللطيفة الأزلية وقولهم أيضاً الذات عين الصفات والصفات عين الذات فاعلم أنه لما كان ظهور للذات إلا من أنوار الصفات ولاقيام للصفات إلا بالذات والصفات لاتفارق الموصوف صار كأن هذا عين هذا فنطقوا بتلك العبارة تحويشاً للجمع وفراراً من الفرق وهو اصطلاح منهم سموا ما تكثف وظهر للحس صفات وما بطن من سر الربوبية ذاتا ومعنى الصفات لاتفارق الموصوف كما تقول في الثلجة ظاهرها ثلج وباطنها ماء فالثلج صفات والماء ذات الثلج حس والماء معنى للطافته وخفائه صار كأنه معنى قال ابن عباس رضى الله عنه في تفسيره قوله تعالى (سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه) قال في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فانما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطنا بقدرته ظاهراً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالارادة وأظهر الارادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنعة بالذوات فهو باطن في غيبه وظاهر بحكمته وقدرته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اه نقله شارح بداية السلوك هكذا عن ابن عباس رضى الله عنه فقوله حجب الذات بالصفات أي حجب أسرار الذات بأنوار الصفات وهي أثرها (وقوله) وحجب الصفات بالأفعال لأن الأفعال ظروف للصفات لأنها أثر من آثارها ومظهرة لها (وقوله) وكشف العلم بالارادة أي أظهر ماسبق في علمه بارادته المخصصة لوقت اظهاره (قوله) وأظهر الارادة بالحركات أي أظهر ماسبق من إرادته بظهور الحركات الدالة على ماأراد (وقوله) وأخفى الصنع في الصنعة أي أخفى الصانع في صنعته (وقوله) وأظهر الصنعة بالذوات أي أظهر قدرته في الاجرام وسائر الذوات والله تعالى أعلم وقول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه في كتابه في تفسير الذات والصفات إن كل ماهو جلال فهو ذات وكل ماهو جمال فهو صفات فإنما ذلك على وجه التشبيه فإن تجلى الصفات كله جمال لأنه محل

اللباس فقال:

وقد اباحوا سائر الأثواب وتركها أقرب للصواب

(قلت) إنما أباحوا سائر الأثواب لقوله تعالى (يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم) فأطلق فيه وقال تعالى (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (وقد) لبس صلى الله عليه وسلم جميع الألوان الأحمر والأصفر والاخضر والحبر والاسود والابيض والقباء والجبة والكساء والقميص والعمامة والرداء والبردة وغير ذلك واشترى السراويل وذكر البرنسي ولم يرد عنه لباس الازرق ولايكره لجميع الالوان مباحة للباس ويفضلها الاخضر لانه لباس أهل الجنة والابيض لقوله عليه الصلاة والسلام أن من خير ثيابكم البياض ليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها أمواتكم واستحب الصوفية لبس الصوف لمافي الصوف من رقة القلب وخفة المؤنة ولان سيدنا موسى عليه السلام يوم ناجى ربه كانت ثيابه كلها صوفاً وهذا ليس على سبيل التحجير بل على سبيل الزهد فقط ومخالفة النفس واقتداء بأهل الصفة (وفي) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله كساه الله حلة الكرامة وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم (ألا) تسمعون أن البذاذة من الايمان كررها ثلاث مرات قال المنذري والبذاذة بفتح الباء الموحدة وذالين معجمتين هو التواضع في اللباس برثاثة الهيئة (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل الذي لايبالي مالبس رواه البيهقي (وقوله) وتركها

نزهة أرواح العارفين وبه يرتقى أهل الدليل إلى معرفة رب العالمين وهو الذى شبهه الشيخ ابن مشيش بالرياض فى قوله فرياض الملكوت الخ وأيضاً هو الذى تمكن رؤيته وتحصل المعرفة به بخلاف تجلى الذات فإنه جلال محض إذ لو ظهر ذرة من نوره الأصلى بلا واسطة لاحترق الكون من أصله (وفى الحديث) حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره فصار تجلى الصفات كله جمال وتجلى الذات كله جلال فأطلق وجه التشبيه أن كل مايشق على النفس فهو ذات لأنه جلال كتجلى الذات وكل ما يخف على النفس فهو صفات لأنه جمال كتجلى الصفات والله تعالى أعلم وإنما أطلت الكلام فى هذه المسئلة لأنى لم أر من تكلم عليها ولا من شفى فيها الغليل وكنت كثير البحث عنها فلم أجد من يشفينى فيها وهذا وماظهر لى فيها وما أنتجته فيها فكرتى والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ثم استدل على ظهوره فى المكونات بقوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن فأشار إلى تفسير الظاهر والباطن بقوله (أظهر كل شىء بأنه الباطن وطوى وجود كل شىء بأنه الظاهر) قلت مضمنه أن اسمه تعالى الباطن يقتضى ظهور الأشياء حسا ليكون باطنا بسبب ظهور حسها لأن الحس رداء أسرار المعانى واسمه الظاهر يقتضى بطون الأشياء أى هلاكها واضمحلالها ليكون ظاهرا بما ظهر منها هذا معنى قوله أظهر كل شىء بأنه الباطن أى بسبب أنه الباطن ليتحقق بطونه بها وطوى وجود كل شىء بسبب أنه الظاهر ليتحقق انفراده بالظهور فيها والحاصل أن الحصر فى قوله تعالى هو الظاهر يدل على أنه لاظاهر معه فانطوى وجود الأشياء واضمحل لها وقوله هو الباطن يدل على أنه لاباطن سواه فبطنت الأشياء كلها بعد ظهورها فدل كلامه سبحانه أن ماظهر به هو الذى بطن فيه والذى بطن به هو الذى ظهر فيه وإلالم يصح الحصر فإن قلت المتقابلان لايجتمعان كالضدين وكيف جمعتهما فى ذات واحدة قلت لم يتواردا على محل واحد بل ذلك باعتبارين فاسمه الظاهر باعتبار الحس فى عالم الحكمة واسمه الباطن باعتبار المعنى فى عالم القدرة فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة (أو تقول) ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية باطن باعتبار قوالب العبودية أو تقول ظاهر باعتبار التعريف باطن باعتبار التكييف فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير فتحصل أن الحق سبحانه ظاهر فى بطونه باطن فى ظهوره ما ظهر به هو الذى بطن فيه وما بطن به هو

أقرب للصواب يعنى ترك التكثر منها والتأنق فيها لا تركها بالكلية لأن التعرى حرام ثم علل ذلك الترك فقال :

إذ فى لباس حلها الحساب   أيضاً وفى حرامها العقاب

(قلت) فى بعض الأخبار اتقوا الدنيا فإن حلالها حساب وحرامها عقاب لكنى لم أقف على من ذكره غير أن الزهد فى الدنيا مرغب فيه بالاتقان والذى ثبت فى الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لاتزول قدما ابن آدم يوم القيمة حتى يسئل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وماذا عمل فيما علم رواه الترمذى وقال حديث غريب (و) قوله فى لباس حلها الحساب يعنى عن أصلها وقصدها وبحث بعضهم فيه بان ما أبيح لا يكون سببا للحساب ويجاب بان الحساب يقع على قصده بالزيادة على الحاجة هل قصد التجمل او التفاخر أو اظهار نعمة الله (وسئل) أيضاً عن القيام بشكرها فإنه من النعيم الذى يسئل عنه قال تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) (وأما) العقاب على الحرام فظاهر لأنه عصى الله بتناوله ماحرم الله فهو من جملة المعاصى التى يستحق عليها العقاب إلا أن يتفضل الله بعفوه (قال) أبو عبد الله السلمى رضى الله عنه وآدابهم فى ذلك أى اللباس أن يكون مع الوقت يلبسون ما يجدون من غير تكلف ولا اختيار ويقتصرون على مايؤدون به الفرض من ستر العورة ومايدفع به الحر والقر فهى

الذى ظهر فيه أى ماظهر فيه بحكمته هو الذى بطن فيه بقدرته وما بطن فيه بقدرته هو الذى ظهر فيه بحكمته وهو الذى قصده الشاعر بقوله

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد　　إلا على أكمه لا يبصر القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا　　وكيف يعرف من بالعزة استترا

والله تعالى أعلم (تنبيه) قد كنت سألت الشيخين أعنى شيخنا وشيخه عن الحضرة الأزلية قبل تجليها هل تسمى ظاهرة باطنة أو إنما تسمى باطنة فقط للطافتها حينئذ فأجابنى بأن ما كان هو الذى ظهر وليس الذى ظهر غير ما كان فى الأزل كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان يعنى أن الذات العلية كما كانت متصفه بصفاتها وأسمائها فى الأزل بقيت كذلك فيم لا يزال فكان فى الأزل ظاهراً باطنا وبقى بعد التجلى كذلك ظاهرا لنفسه باطنا عن خلقه ماتجلى به ظاهرا هو فيه أيضا باطن (وقال) القاشانى فى شرح تائية ابن الفارض مانصه بعد كلام وأظهر الحق تعالى سر ذاته وصفاته فى مظاهر أفعاله وما كان لخفائه عليه قبل ذلك كما حكاه عن المحبوبة بلسان الجمع فى قوله

مظاهر لى فيها بدوت ولم أكن　　على بخاف قبل موطن برزة

ولكن ليتجلى باسمه الظاهر آخراً كما كان متجليا باسمه الباطن أولا والعجب كل العجب أنه تعالى ما ظهر بشىء من مظاهر أفعاله الا وقد احتجب به كما قال

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر　　على صبغ الأكوان فى كل برزة

اه كلامه رضى الله عنه والتحقيق أن يقال الحق تعالى لم يزل متصفا بأسمائه وصفاته فى الأزل وفيما لا يزال لكن ظهور آثارها وقع فيمالا يزال فكان متصفاً باسمه الظاهر والباطن فى الأزل وظهر بعد ذلك آثارهما فيما لايزال والله تعالى اعلم ثم بين كيفية النظر والاعتبار فى المكونات لتعرف ظهوره تعالى فيها فقال (أباح لك أن تنظر فى المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات والأرض فبقوله انظروا ماذا فى السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) قلت إنما أبرز الله هذه المكونات وأظهر هذه العوالم

مما استثنى النبى صلى الله عليه وسلم من الدنيا وقيل انها ليست من الدنيا ويتبرأون من كثرة اللباس ويواسون بالفضل (قال) صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يكن له خلق أى ثوب بال يبتدل به ورجل لم ينصب له على مستوقد قدران ورجل دعا بشرابه فلم يقل أيهما تريد (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت ما أعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شىء زوجين ثم ذكر فوائد المرقعة فقال

والقوم ما اختاروا المرقعات　　ألا لأوصاف وسوف تات
أولها فيها اطراح الكبر　　ومنعها للبرد ثم الحر
وخفة التكليف ثم فيها　　قلة طمع الطامعين فيها
وذلة النفس وتطويل العمر　　والصبر ثم الاقتداء بعمر
ألا ترى لابسها كالخاشع　　فهى اذن أقرب للتواضع

المرقعات جمع مرقعة وهى الثوب الملفق من رقاع كثيرة ملونة أو غير ملونة كانت من صوف أو شعر أو جلد وإنما اختارها القوم على ماسواها من الثياب لوجوه عشرة (اولها) طرح الكبر ونفيه والتخلق بضده وهو التواضع الا إذا قصد

ليعرف بها ويظهر نوره فيها قال تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق) وقال تعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) قال فى لطائف المنن فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا فى هـــذا المعنى

ما أثبت لك العوالم إلا لتراها بعين من لا يراها
فارق عنهـا رقى من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها

فأباح لك أيها الانسان أن تنظر ماذا فى السموات والأرض من النور اللطيف قامت به الأشياء وما أباح لك أن تقف مع ذوات المكونات تقف مع القشر وتحجب عن اللب وقد تقدم قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان محجوباً ومن نفذ الى باطنها كان عارفا محبوبا ولأجل هذا السر قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات) أى ما فيها من عظمته ومعانى أسرار ذاته وكمال قدرته وارادته وسائر صفاته فقد فتح لك باب الافهام جمع فهم أى فتح لك باب الفهم لتدخل بها من ظاهر القشر إلى باطن اللب حتى تعرفه فى كل شيء وتفهم عنه فى كل شيء ولو قال الحق تعالى (قل انظروا السموات) لذلك على الاجرام وسدك باب الاتهام وكيف يدلك على الاجرام وهى أغيار والاغيار مانعة من الدخول إلى شهود الأنوار ومثال ذلك فى التقريب لو قال لك قائل انظر هذا الثلجة لدلك على ظاهر جرمها ولو قال لك انظر مافى هذه الثلجة لفتح لك باب الفهم إلى نظر مافى باطنها من الماء دون الوقوف مع ظاهر جرمها (واعلم) أن الحق سبحانه ندب عباده إلى معرفة ذاته ودرجهم اليها شيئا فشيئا فمنهم من قصر ومنهم من وصل فدرجهم أولا إلى توحيد الافعال وانه لافاعل سواه فقال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار ان ربك فعال لما يريد والله خلقكم وماتعملون ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد) وقال فى فعل غير الآدمى (مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها) وفى شأن الطير (ما يمسكهن الا الرحمن) وقال تعالى (ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) أى فى قهر قبضتنا مقدر آجالها مقسومة أرزاقها معدودة أنفاسها محفوظة أجسامها معلومة أماكنها ظاهرة أشباحها باطنة أنوارها (وقال) فى توحيد الصفات

بذلك من حيث انها شعار الصالحين فيحرم لباسها حينئذ أو يقصد بذلك التظاهر على من لم يلبسها من الفقراء أو يرى له مزية بها على غيره فينقلب الأمر حينئذ (ثانيها) انها تدفع الحرب من حيث تناسبها وبرودتها لاجتماع أجزائها دون تخليل وتدفع القر أى لكثافتها (وثالثها) خفة مؤنتها فى تحصيلها فانها من الخرق الملقاة على المزابل التى لايضر اعطاؤها من طلبت منه نعم ان كان يختار لها الرقاع الرفيعة قد خرجت عن حقيقتها وزالت ثمرتها لأنها صارت حينئذ من رفيع الثياب فهى وسائر اللباس سواء (ورابعها) قله الطمع فيها للصوص السلابة وغيرهم من حيث ذاتها لا من حيث ما يحتوى عليها من الحرمة فاذا جذبها الفقير اليه واختبروه ولم يكن لهم المام أى توصل بها بل ردوها عليه واستغفروا من حقه كل هو مشاهد معلوم ولبسها للاحترام جائز قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (وخامسها) مافى لبسها من دفع الشرور باعتبار الاحترام لشبه لابسها بأهل الخير وذلك جائز فى الدفع لا فى الجلب لقوله تعالى يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وهذا داخل فى قوله وقة الطامعين فيها (وسادسها) مافيها من ذلة النفس بين أبناء الجنس وفى ذلك موتها وفى موتها حياتها وفى ذلك قال الششترى متكلما عن لسان الحق

ان ترد وصلنا فموتك شرط لا ينال الوصال من فيه فضله

وأنه لاسميع ولا بصير ولاقدير ولا متكلم إلا الله أنه هو السميع البصير أى دون غيره فلاسمع ولا بصر إلا به سبحانه وقال تعالى(أنه هو الحكيم العليم)وقال تعالى(وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) إلى غير ذلك من الآيات (وقال) تعالى فى توحيد الذات(وهو الله فى السموات وفى الأرض الله نور السموات والأرض) على تفسير أهل الإشارة وهم أهل الباطن وقال(فأينما تولوا فثم وجه الله وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)وقال فى محو الواسطة(فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض)أى بالحرث(شقاً)ويحتمل أن تكون منها أو من توحيد الافعال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولكن ألف بينهم وقد يجمع الحق تعالى فى آية واحدة توحيد الصفات ويرقى إلى توحيد الذات كقوله تعالى(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ثم رقاهم إلى الشهود بقوله(أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ألا أنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا أنه بكل شيء محيط)وقال تعالى(أن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) ثم رقاهم من الغيب إلى الشهادة بقوله(وأسروا قولكم أو اجهروا به أنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فتحصل أن الأشياء كلها قائمة بالله أثبتها ليعرف بها ثم محاها بوحدانيته كما أشار إلى ذلك بقوله (الأكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته) قلت الأكوان هى ماظهر فى عالم الشهادة أو تقول مادخل عالم التكوين وهى موجودة بوجود الحق قائمة به ثابتة باثباته ليعرف بها ممحوة بأحدية ذاته لانفراد وجوده فمن أثبتها لنفسها فقد جهله فيها وحجب بها عن شهود موجدها ومن أثبتها بالله فقد عرف فيها وشهد فيها مولاها فالثبوت للأكوان أمر عرضى والحق اللازم وهو وجود أحدية الحق تعالى والأحدية مبالغة فى الوحدة ولا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لايتمكن أن يكون أشد وأكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لاتوجد إذ لو وجدت لم تكن أحدية ولكان فى ذلك متعدداً واثنينية كما قيل :

أرب وعبد ونفى ضد قلت له ليس ذاك عندى
فقال ماعندكم فقلنا وجود فقد وفقد وجد
توحيد حق بترك حق وليس حق سواى وحد

وفى ذل النفس أيضاً اسقاط المنزلة والجاه وهو شرط فى تحقيق مقام الإخلاص وفيه أيضاً حصول الخمول الذى هو راحة لأن صاحبه لايعرف بالتقية ولا يدرى بالأمور العالية بل إذا غاب لاينتظر وإذا حضر لايستشار(و)فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه به أى لايعبأ به لو أقسم على الله لأبره (وسابعها) مافيها من رفع الهمة وقلة المبالاة بالخلق فان المعتقد لايزيده أعتقاد الناس إلا شرا والغالب على صاحبها عدم المبالاة بالخلق قد استوى عنده المعتقد والمنتقد (قال) بعض المشايخ لبعض الشباب إياكم وهذه المرقعات فانكم تكرمون لأجلها فقال الشاب إنما نكرم بها من أجل الله قال نعم قال حبذا من نكرم من أجله أى ماأحبه إلينا فقال له بارك الله فيك وهذا السابع داخل فى ذل النفس (وثامنها) ماقيل فيها من طول العمر ومحمل ذلك على البركة فيه بحيث يدرك فى يسير منه مالايدرك غيره فى سنين متطاولة كما قال ابن عطاء رضى الله عنه من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمان مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الأشارة وعبادة العارفين كلها متضاعفة بأضعاف كثيرة(وقال) أيضاً فى حكمة ماقل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب(و) قيل ان ذلك يكون حقيقية وهو من باب الخاصية وان من لبسها دل على طول عمره والله تعالى أعلم(وتاسعها) مقاساة الصبر وتجرع مخالفة النفس وفى ذلك من الفضل مالا

ومعنى كلام الشاعر الانكار على من أثبت الفرق بأن جعل للعبودية محلا مستقلا منفصلا عن أسرار معانى الربوبية قائماً بنفسه ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق وأنت تقول فى توحيد الحق لا ضد له فقد نقضت كلامك ولذلك قال ونفى ضد فالواو بمعنى مع وهو داخل فى الانكار أى أيوجد رب وعبد مستقل مع نفى الضد للربوبية والعبودية تضاد أوصاف الربوبية والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع فى قوالب الفرق ظهر بعظمة الربوبية فى إظهار قوالب العبودية فلا شىء معه وقوله فى الجواب وجود فقد أى عندنا وجود فقد السوى وفقد وجود النفس وقوله توحيد حق بترك حق أى توحيد حق الحق بترك حق الغير ولا غير ولذلك قال وليس حق موجود سوى وجودى وحدى تكلم على لسان الفناء والله تعالى أعلم وقال آخر :

سرسرى من جناب القدس أفنانى ... لكن بذاك الفنى عنى قد أحيانى
ردنى للبقاء حتى أعبر عن ... جمال حضرته لكل هيمان
وصرت فى ملكوت من عجائبه ... لم ألف غيره وجود ماله ثانى

وأنشد المؤلف لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من أخوانه اسمه حسن :

حسن بأن تدع الوجود بأسره ... حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه ... لاترك إلا للذى هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه ... من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حسب الإله شهوده لوجوده ... والله يعلم مايقول القائل
ولقد أشرت إلى الصريح من الهدى ... دلت عليه أن فهمت دلائل
وحديث كان وليس شىء دونه ... يقضى به الآن اللبيب العاقل
لاغرور إلا نسبة مثبوتة ... ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

يجهل قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال تعالى (وبشر الصابرين وان الله مع الصابرين) (وقال) بعض الصحابة رضوان الله عليهم الصبر من الدين كالرأس من الجسد والصبر مطية الإمامة والأقتداء (قال) تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) (وفيها) أيضاً الوقاية من ارتكاب الكبائر المشهورة إذ يعاب على صاحبها ولا يمكن منها بحال فهى عصمة من عظام الكبائر والصبر عليها كأنه صبر على القبائح كلها (وعاشرها) الاقتداء بأمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قال عليه السلام أقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر فالاقتداء بهما أمتثال لأمره عليه السلام وفيها جمع الخاطر الذى لبسها لأجله عمر رضى الله عنه فانه كانت له مرقعة بين كتفيه ثلاث عشرة رقعة أحداهما من جلد فلما طرحها يوم فتح بيت المقدس باشارة المسلمين ولبس غيرها قال أنكرت نفسى وعاد إليها ولبس عمر رضى الله عنه الرقعة كان اختياراً منه وتواضعاً وليس ذلك ضرورة فقد كانت له أموال خاصة به قبل الخلافة وبعدها وبالله التوفيق (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فائدة ينبغى لمن وسع الله عليه فى الدنيا أن يظهر عليه أثر نعمة الله باستعمالها على وجه مباح لايخل بالحق ولا بالحقيقة بأن يلبس أحسن لباس جنسه أو وسطه ويتخذ مرقعة يجعلها عدته وأصل لباسه فادام غنيا عنها استغنى وإلا فهى المرجع عنده كذا اشار علينا شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزيرى ثم الزواوى رضى الله عنه الحكم

(هذا آخر الباب) الرابع عشر وحاصلها تحويش العباد إلى الله وتحبيبه اليهم بذكر ما اشتمل عليه الحق سبحانه من الكرم والاحسان وغاية اللطف والمبرة والامتنان وذلك أنه سبحانه من علينا أولا بالطاعة وتفضل علينا ثانياً بالقبول مع ما اشتمل عليه عملنا من النقص والخلل ثم إذا وقعت منا معصية أوزلل غطانا بستره وبمغفرته لنا تفضلا وإذا توجهنا اليه بقلوبنا سترنا منها وعصمنا ليعظم قدرنا ويظهر شكرنا فنتخذه صاحباً وندع غيره جانباً فحينئذ تشرق فى قلوبنا أنوار اليقين ونرحل إلى الآخرة فى أقرب حين ثم تشرق علينا أنوار الاحسان ، فتنطوى لنا رؤية الأكوان ، بشهود نور الملك الديان فحينئذ ينشر محاسننا للعباد فيقبلون علينا بالثناء والمحبة والوداد ، كما أبان هذا بقوله فى أول الباب الخامس عشر وقال رضى الله عنه (الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاماً لنفسك بما تعلمه منها) قلت إذا مدحك الناس بشىء ليس هو موجوداً فيك فاعلم أن ذلك هواتف من الحق يهتفون بك ويحشونك إلى الزيادة ويقولون لك الخير أمامك فلا تقنع بذلك ولا تركن إلى ما هنالك بل ارجع نفسك باللوم ولا يغرنك ثناء القوم فإنهم لا يعلمون منك إلا الصوان الظاهر وأنت تعلم من نفسك اللب الباطن (قال) بعضهم من فرح بمدح الناس فقد مكن الشيطان من أن يدخل بطنه وكان بعضهم يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنى بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وإنما قلنا مدائح الناس هواتف الحق إذ ليس فى الوجود إلا الحق ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فأهل الفهم عن الله يستمعون إلى الخطاب فإذا سمعوه مدحهم بشىء نظروا فإذا كان فيهم علموا أنه تنبيه لهم على مقام الشكر وإن لم يجدوه فيهم علموا أنه تنبيه لهم على تحصيل ذلك المقام ولهذا لما سمع أبو حنيفة قوماً يمدحونه بقيام الليل كله وكان لا يقوم الا نصفه جعل يقوم الليل كله وقد ذم الله قوماً أحبوا أن يمدحوا بما لم يفعلوا فقال ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقال المحاسبى رضى الله عنه مثل الذى يفرح بمدح الباطل كمن يقال له العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به اه:

ثم ان ذمك لنفسك اذا توجه الخلق اليك بالمدح إنما هو حياء من ربك حيث ستر عيوبك وأظهر محاسنك وهو الذى نبه عليه بقوله (المؤمن اذا مدح استحى من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) قلت قد تقرر أن التحقيق

الرابع فى الأكل) ذكر فى هذه الترجمة حكم الأكل ومقداره وصفته وآدابه وآداب تحصيل المأكول والعمل فيه بعد حصوله وكيفية العمل فى صرف ما يتصرف منه ومن أولى بصرف ذلك اليه والتنبيه على امور مهمة تتعلق بالأكل ثم بدأ بحكمه عند القوم فقال :

الأكل فيه تركه مشروط   الا اضطرار قدرما يحوط
وان يكن لحسن والا   فتركه عند الجميع أولا

(قلت) الضمير من فيه يعود على طريق القوم والطريق يذكر ويؤنث يعنى أن الأكل فى طريق القوم تركه عندهم شرط أيضاً لأن من كانت همته فى بطنه كانت قيمته مايخرج منها فلذلك لا يأكلون الا اضطرار بقدر مايسد الخلة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإذا كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وحد الاحتياج للطعام أن يشتهى الانسان خبزه المعتاد وحد الاضطرار أن يشتهى كل خبز بل يأكل أى نوع كان (والجوع الكذاب) أن يشتهى مع الخبز شهوة ما قال المشايخ وعلامة أخذ الحاجة من الطعام تغيير طعم الطعام فى الفم والاحتياج فى تسويغه لشرب الماء بوجه لا يمكن دونه والاحساس بالثقل والله تعالى أعلم

ما ثم الا سابقة التوفيق ومن تمام نعمته عليك أن خلق فيك ونسب اليك فاذا أطلق الثناء عليك بشيء لا نسبة لك فيه وانما أنت محل لظهوره فاستحى منه تعالى أن يثنى عليك بشيء تعلمه انه من فعل غيرك أو لم يظهر عليك شيء منه أصلا فان مدحت بشيء زائد على ما ظهر فيك فاطلب منه القوة على المزيد فان ربك فعال لما يريد ولا يضرك مدحك بما تفعل ان لم تقصد التعرض للمدح (فى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون من المؤمن قالوا الله ورسوله أعلم قال الذى لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب ولو أن رجلا عمل بطاعة الله فى جوف بيت الى سبعين بيتاً على كل بيت باب من حديد لألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدون قيل يا رسول الله كيف يزيدون قال المؤمن يحب مازاد فى عمله الحديث (وفى حديث) آخر قيل يا رسول الله الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح فقال عليه السلام له الاجر مرتين أجر العمل وأجر الفرح فان مدح بماليس فيه واغتر بذلك فهو جاهل بربه كما أشار اليه بقوله (أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس) قلت اليقين الذى عنده هو علمه بمساويه وخفايا عيوبه وما انطوت عليه سرائره من النقائص والتقصير وظن ما عند الناس هو ما يرون على ظاهره من الكمالات وأنوار الطاعات التى تصحبها العلل الباطنية والحظوظ النفسانية فيتوجهون اليه بالمدح والثناء فاذا قنع بذلك وفرح بما هنالك فهو أجهل الناس وأحمق الناس اذ قد قنع بعلم الخلق ولم يخف من مقت الحق والمطلوب من الفقير عكس هذا وهو أن ينقبض عند المدح وينبسط عند الذم حتى يستويا عنده هذا ان كان المادح من أهل الدين والخير وأما ان كان جاهلا أو فاسقاً فلا غباوة أعظم من الرضى بمدحهم والفرح به (فقد روى) عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكى وقد مدحك فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى خلقه فلذلك بكيت (وقال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه تزكية الاشرار هجنة لك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فأظهر الوحشية من ذلك وقال لعلهم رأوا منى شيئاً أعجبهم ولا خير فى شيء يعجبهم ويسوءنى اه فينبغى للفقير ان يخفى محاسنه وأعماله التى يمدح عليها ويظهر ما يسقط به من أعينهم مما هو مباح كما تقدم فى الخمول وكان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول فينبغى للفقير ان لا يكون صيته

قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (و) قوله قدر ما يحوط يعنى قدر ما يحفظ القوة ويمسك البدن اذ لا يجوز لأحد أن يجيع نفسه حتى تختل قوته وتفسد فكرته بل خير الامور أوسطها كما أشار اليه البوصيرى رحمه الله بقوله :

واخش الدسائس من جوع ومن شبع   فرب مخمصة شر من التخم

(و) قوله وان يكن أى الاضطرار أى وان حصل الاضطرار فأكله حسن والافتركه أولى عند كافة أهل الطريق (قال) أبو عبد الله السلمى رضى الله عنه سئل بعض المشايخ عن الاكل الذى لا يضر فقال ان يأكل بتنفيذ القدرة لا بشاهد الشهوة أى ان تأكل بسبب تنفيذ القدرة مرادها من بقاء هذا البدن فيكون أكله لحفظ صحة هذا الجسم كما أمرك ربك لا بسبب شهوة بطنك (وروى) أن رجلا تجشى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاك فأكثركم شبعاً فى الدنيا أكثركم جوعاً يوم القيامة (و) قال الحسن كان بلية آدم فى أكلة أكلها وهى بليتكم إلى يوم القيامة (و) قال سهل رضى الله عنه لان أترك من عشائى لقمة أحب الى من قيام ليلة (و) قال يحيى بن معاذ لو كان الجوع يباع فى الاسواق لما أمكن أن يشتروا غيره (و) قال لو تشفعت لنفسك بالملائكة المقربين والانبياء المرسلين فى ترك شهوة لردتهم أجمعين ولو تشفعت اليها بالجوع لانقادت اليك وطاوعتك يعنى لو خوفتها به لتركت تلك الشهوة (و) قال

أكبر من قدمه بل يكون قدمه أكبر من صيته وقدره أكبر من دعواه اه فيكون جلالى الظاهر جمالى الباطن فكل ماتظهره على ظاهرك من الجلال يدخل فى باطنك قدره من الجمال وكل ما تظهره من الجمال يدخل قدره فى باطنك من الجلال فتزيين الظواهر يخرب البواطن وتخريب الظواهر يزين البواطن فبقدر ما تخرب فى الظاهر يكون عمارة فى الباطن وبقدر ما تعمر فى الظواهر يكون خراباً فى الباطن ولله در شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه حيث قال فى شأن الجهال

اتفقوا على الدين تركوه   تعاندوا فى المال والكساوى
الثوب من فوق غسلوه   وخلوا القلب خاوى

فإذا أظهرت الجلال وأخفيت الجمال ثم أطلق الثناء عليك الكبير المتعال بما لست له أهلا فأثن عليه بما هو أهله كما أبان ذلك بقوله (إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو أهله) قلت إذا أطلق الله تعالى الثناء عليك على ألسنة خلقه بما لا تعلمه من نفسك ولست بأهل له فأثن على الله بما هو أهله أى بما يستحقه من التعظيم ليكون ذلك شكراً لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليك وأيضاً فإنه هو الذى ستر عنهم مساويك وأظهر لهم محاسنك ولو أظهر لهم ذرة من مساويك لمقتوك وأبغضوك فإن العبد محل النقائص والحق تعالى محل الكمالات فكل ماظهر عليك من الكمالات فإنما هى رشحة من كمالاته تعالى فالثناء فى الحقيقة إنما هو لله فإذا وقع عليك فرده أنت إلى أصله وفى الحقيقة ماوقع إلا فى أصله ولكن لما اختلف القصد اختلف الحكم أثنى على بعض السادات وهو ساكت فقيل له فى ذلك فقال وماعلى من ذلك ولست أغلط فى نفسى بل لست فى البين والمجرى والمنشى هو الله تعالى اه هذه حالة أهل الجمع وكان بعض السادات يستعمل الفرق إذا سمع الثناء عليه ألقى على رأسه التراب فى خلوته فالناس فى حالة المدح والذم على ثلاثة أقسام قسم يفرحون بالمدح ويكرهون الذم لأن نفوسهم غالبة عليهم ولا شك أنها تفرح بالعز والرفعة وتنقبض بالذم والضعة وهم العوام الغافلون (وقسم) يكرهون المدح ويحبون الذم لأنهم فى مجاهدة نفوسهم فكل مايؤلمها ويقتلها أقبلوا عليه وكل مايحييها ويقويها فروا منه وهم العباد والزهاد والسائرون من المريدين (وقسم) يفرحون بالمدح لشهوده من مولاهم وينقبضون من الذم لشهودهم

مالك بن دينار لا تجعلوا بطونكم جربا للشيطان يوع فيها ما أحب (و) قال صلى الله عليه وسلم من أحس من نفسه نشاطا فليؤدبها بالجوع والعطش يعنى نشاطا للمعصية أو اللهو (و) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالسا فقلت ما أصابك قال الجوع فبكيت فقال لى لا تبك ان شدة القيامة لا تصيب الجائع إذ احتسب ذلك ثم نبه على آدابه فقال :

وأدب القوم لدى الطعام   جم فمنه ترك الاهتمام
وقلة الذكر له ان غاب   لكونه عندهم حجاب
بل أنزلوه منزل الدواء   عند العليل بغية الشفاء

(قلت) أشار إلى أن آداب القوم يعنى الصوفية عند تناول الطعام أو قبله جم أى كثير (فمنها) عدم اهتمامهم به قبل الحاجة إليه لأن الاهتمام به قبل الحاجة دليل الشره والحرص عليه وذلك من قوة الأوصاف البهيمية عليها وقد تقدم قول من قام من كان همه بطنه كانت قيمته ما يخرج منها (وحكى) عن رويم رضى الله عنه أنه قال لم يخطر ذكر الطعام ببالى عشرين سنة حتى احتضر رحمه الله (ومنها) قلة ذكره قبل حضوره لأن ذكره دليل تعلق النفس به وتشوقها إليه ومن

جلال من تولاهم وهم العارفون وقد أشار إلى القسم الثانى والثالث بقوله (الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) قلت أما العباد والزهاد فلأنهم محجوبون برؤية الخلق عن شهود الحق فاذا مدحوا شهدوا ذلك من الخلق وحجبوا عن الجمع بالفرق فانقبضوا وخافوا على نفوسهم أن تغتر بذلك أو تقف هنالك وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم وتحيى به قلوبهم ولا شك أن المدح لها فيه حظ وافر فربما تميل الى ذلك فتعتقد المزية على الغير فيوجب لها التكبر والرضى وهما أصل كل معصية وأما الذم فلا حظ لها فيه وإنما فيه موتها وفى موتها حياتها فلذلك إذا مدحوا انقبضوا وإذا ذموا انبسطوا وسكت عنه الشيخ وكأنه يؤخذ بالمفهوم وأما العارفون الواصلون فلأنهم فانون عن أنفسهم باقون بربهم غائبون عن الخلق بشهود الملك الحق فاذا أثنى عليهم رأوا ألسنة الخلق أقلام الحق وشهدوا الجمع فى عين الفرق ففرحوا بمدح مولاهم وانبسطوا عندمن تولاهم فيزدادون له حباً وشوقا ويفنون فيه شغفاً وعشقاً وفى مثل هؤلاء ورد الحديث (إذا مدح المؤمن ربى الإيمان فى قلبه ربوة) وإذا ذموا انقبضوا سكوناً تحت قهرية الحق وأدباً مع جلاله وليس فى هذا الانقباض دليل على كراهية الذم من حيث نسبته للخلق لأنهم يرون الخلق مصرفين بقدرة الحق وعلامة ذلك أنهم يسمحون لمن أجرى ذلك عليه بل يتعطفون عليه ويتوددون بالمحبة إليه كما قال الشاعر :

رب رام لى بأحجار الأذى لم أجد بدأ من العطف عليه
فعسى يطلع الله على فرح القوم فيدنينى إليه

وفى تعبير آخر الناس فى المدح والذم على أربعة أقسام عوام جهال وعباد زهاد ومريدون سالكون وعارفون واصلون (فأما العوام) فنفوسهم غالبة عليهم ودائرة الحق محيطة بهم محط نظرهم الخلق غافلون عن طلب الحق إذا مدحوا وأقبل عليهم الخلق فرحوا وبطروا لنيل مرادهم وتحصيل أغراضهم والنفس الأمارة مجبولة على حب الامارة وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق انقبضوا وحزنوا لفوات ما أملوا فهؤلاء قلوبهم خربة من النور وأما العباد والزهاد فهم مجتهدون فى العبادة فارون من الخلق طالبون رضى الحق مستوحشون من الناس تحققوا منهم الإياس فإذا أقبلوا عليهم بالمدح والثناء انقبضوا

أحب شيئاً أكثر من ذكره ولان ذكره يهيج الشهوة ويسلط النفس على الطلب فيؤدى للاهتمام أو يكون علامة عليه (قلت) وينبغى للعارف ألا يأكل إلا بإذن من الله بحيث يمهل حتى يتيسر ذلك من غير سؤال فاذا دخل داره مثلا فلا يطلب غذاء حتى يعرض عليه إلا لضرورة فادحة وإنما أهملوا ذكره قبل حصوله اهتماما وسؤالا لأن ذكره حجاب عن الحقائق باشتغال النفس له لولوعها به طلبا وذكرا ولو كانت فانية فى الحق لأشغلها ذلك عن الحظوظ (و) قوله بل أنزلوه منزل الدواء يعنى أن القوم رضى الله عنهم انزلوا الطعام والشراب منزلة الدواء لقيام هذا البدن فلا يتناولون منه إلا قدر شفائه وهو ما به قوامه ولا يذكرونه ولا يهتمون به اصلا اشتغالا عنه بما هو أهم من ذكر أو فكر او شهود أومعاملة ظاهرة وإذا تناولوه قصدوا به التقوى على الطاعة والقيام بحق البشرية التى هى معرفة السر وإليه أشار بقوله بغية الشفاء أى بقصد الشفاء لا بقصد المتعة والشهوة (قال) السلمى رحمه الله قيل لبعض المشايخ كيف يتناول الطعام قال كتناول العليل الدواء يرتجى الشفاء والله تعالى أعلم ثم ذكر ما يتعلق به قبل حصوله فقال :

ولم يكن همهم بجمعه وكسبه وفضله ومنعه

(قلت) يعنى ان القوم لم يكن همهم بالاشتغال بجمع الطعام واكتسابه ولا الاشتغال باعطاء فضله أى ما فضل عن

وخافوا أن يشغلوهم عما هم فيه وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق فرحوا وانبسطوا لتفرغهم حينئذ للعبادة وإقبالهم على ماهم عليه من المجاهدة (وأما المريدون) السالكون فهم عاملون على قتل نفوسهم وحياة قلوبهم فاذا ذموا وأدبر الخلق عنهم فرحوا لما فى ذلك من موت نفوسهم وحياة قلوبهم وإذا مدحوا انقبضوا خوفا على قوة نفوسهم وضعف قلوبهم إذ فى موت النفس حياة القلوب وفى حياة القلوب موت النفوس (وأما العارفون) فقد ظفروا بنفوسهم ووصلوا إلى شهود معبودهم فهم يستأنسون بكل شىء لمعرفتهم فى كل شىء يأخذون النصيب من كل شىء ويفهمون عن الله كل شىء فاذا مدحوا انبسطوا بالله لشهودهم المدح من الله وإلى الله ولا شىء فى الكون سواه وليس أحد أحب اليه المدح من الله كما فى الحديث وإذا ذموا انقبضوا تأدباً مع جلال الله أو شفقة على عباد الله من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب فصار بسطهم بالله وقبضهم بالله واستغنوا به عما سواه وبهذا المعنى وهو الفناء على النفوس صح مدحهم لأنفسهم تحدثاً بما أنعم الله عليهم كالشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه والشاذلى والمرسى والشيخ زروق وأشباههم رضى الله عنهم وذلك مشهور عنهم نظما ونثرا ومن أجل ذلك أيضا أقروا من مدحهم وأظهروا الانبساط عند مدحهم وللمؤلف رحمه الله قصائد فى مدح شيخه أبى العباس وكان يقول له أيدك الله بروح القدس كما كان يقول عليه السلام لحسان بن ثابت رضى الله عنه حين مدحه عليه السلام ومدح الشيوخ من أعظم القربات وأقرب الوسائل إلى الوصول إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذة بيد الداخلين إلى الحضرة فمن مدحهم فقد مدح الله ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ومن ذمهم فقد ذم الله وكذلك مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب عظيم فى الوصول إلى حضرة الكريم فان قلت قوله عليه السلام احثوا التراب فى أوجه المادحين يقتضى العموم فيصدق بمدح العارفين وغيرهم قلت هو محمول على المدح بالكذب على وجه الطمع كما يقع للملوك وأرباب الأموال طمعاً فيما عندهم أو يحمل على من كان باقياً مع نفسه خائفاً عليها كالعباد والزهاد فاذا مدحهم أحد فينبغى أن يزجروه ويحثوا فى وجهه التراب قيل حقيقة وقيل كناية عن الخيبة والرد والنهى والزجر (وأما العارفون) المتحققون فقد عرفوا الممدوح وغابوا عن شهود الواسطة فى المادح والممدوح نفعنا الله بذكرهم وخرطنا فى سلكهم آمين ثم من علامة الكمال تحقيق الاعتدال واستواء الاحوال فى ثمانية خصال المدح والذم والعز والذل

الحاجة ومنه بل أنزلوه منزلة المهمل الذى لاقدوم له عليه إلا عند الضرورة أو مايقرب منها فلا يهتمون بجمعه ولا باعطاء فضله ومنه لاشتغالهم بما هو أهم (قال) السلمى رضى الله عنه فمن آدابهم ترك الاهتمام بالرزق وقلة الاشتغال بطلبه وجمعه ومنه قال الله تعالى (وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) أى لاتدخره (و) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لايدخر شيئاً لغد ومن أشتغل منهم بشىء من الاسباب فانما ذلك قياماً برسم العبودية وان حصل منها شىء كانوا فيه أمناء على وجه أنهم خزان المملكة يترصدون سد الخلل فيمسكون ماأمروا بإمساكه ويرسلون ما أمروا بارساله.

(وقد) سئل الشبلى رضى الله عنه كم فى خمس من فقال أما الواجب فشاة وأما عندنا فكلها لله فقيل له دليلك على ذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه حيث خرج عن ماله كله لله ولرسوله فمن خرج عن شىء فامامه أبو بكر ومن أعطى بعضاً وترك بعضاً فامامه عمر ومن أعطى لله ومنع لله فامامه عثمان ومن ترك الدنيا لأهلها فامامه على وكل علم لايدل على ترك الدنيا فليس بعلم (وكان أبو العباس الحضرمى رضى الله عنه يقول ليس الرجل الذى يعرف كيفية تفريق الدنيا فيفرقها وإنما الرجل الذى يعرف كيفية امساكها فيمسكها) يعنى أنه يعرف كيف يمسكها ولا يشغل قلبه بها بحيث يكون يأخذها بالله ومن الله ويدفعها بالله وإلى الله ولذلك قيل الدنيا كالحية وليس الشأن فى قتل الحية إنما الشأن فى امساكها حية وامساكها حية

والقبض والبسط والمنع والعطاء وقد تقدم بعضها وأشار إلى الأخيرتين بقوله (ومهما كنت إذا أعطيت بسطك العطا وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك) قلت الطفولية والتطفل هو الدخول فى قوم وليس منهم ولم يستأذنهم والطفيلى هو الذى يأتى للوليمة من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل من أهل الكوفة من بنى عبد الله بن غطفان كان يقول له طفيل الأعراس كان يأتى إلى الولائم من غير أن يدعى إليها فشبه المؤلف به من دخل مع القوم ولم يتحقق بما تحققوا به من استواء الأحوال فإذا كنت أيها الفقير إذا أعطيت حظوظك ومنالك واتصلت بعوائدك وهواك من الغنى والعز والجاه والبسط والصحة والعافية وغير ذلك من الحظوظ والشهوات انبسطت وفرحت وإذا منعت من حظوظك وشهواتك وأبدلك الغنى بالفقر والعز بالذل والجاه بالخمول والبسط بالقبض والصحة بالمرض والعافية بالبلية انقبضت وجزعت فاستدل بذلك على ثبوت تطفلك على كلامهم ولا نسبة لك من مقامهم وإنما أنت طفيلى الأعراس ما زلت فى غفلة النعاس واستدل بذلك أيضا على عدم صدقك فى عبوديتك إذ الصدق فى العبودية يقتضى استواء النعمة والبلية كما قال الشاعر :

أحباى أنتم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

قال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه لا يكمل الرجل يستوى فى قلبه أربعة أشياء فى المنع والعطاء والعز والذل اه فإذا كان الفقير يتضعضع عند الجلال وينهزم عند حملة الأبطال فاعلم أنه ضعيف الحال متطفل على مقامات الرجال (قال فى التنوير) وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كتموا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ملايمين لهم موافقين لهم على ملذوذاتهم مدفوعين على أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون باصلاح ظواهرهم غافلين عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق بسمة كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم (فبعد أن كانت نسبته ان لو صدق) مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فخرج من هذه النسبة لعدم صدقه فصار يقال له شيخ الأمير أولئك الكاذبون على الله الصادون العباد عن صحبة أولياء الله لأن ما يشهده العموم منهم

هو إمساكها بالله فانياً عنها وعن طلبها (وقال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلانى نفعنا الله به لما سئل عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك واجعلها فى يدك فانها لا تضرك (وقال الشيخ أبو الدين رضى الله عنه الدنيا جرادة اذا قطع رأسها حلت ورأسها حبها (وقال) بعض أهل المعانى فى تفسير قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى يقال للفقير وما تلك بيمينك أيها الفقير قال هى دنياى أعتمد عليها فى قيام بنيتى وأنفق منها على عيالى ولى فيها مآرب أخرى أتصدق منها وأفعل بها وجوه الخير فيقال له ألقها من يدك أيها الفقير فألقاها فاذا هى حية تسعى كانت تلدغه فى قلبه وتشغله عن شهود ربه فلما فر منها وأيس من نفعها قيل له خدها ولا تخف لأنك غنى بالله عنها فتأخذها بالله لا بنفسك وتدفعها كذلك وبالله التوفيق ثم ذكر آدابه بعد حصوله فقال :

ولا استقلوه ولا عابوه ولم يكن قصداً فيطلبوه

(قلت) آداب القوم عند حصول الطعام ألا يستقلوه أى يصغرونه ولا يحتقرونه بل يعظمونه ويكبرونه ولو كان قليلا فى الحس أو خشيناً أو ردىء الصنعة فمن آدابهم أن يتلقوا القليل من صاحبه الذى أتى على يديه بالبسط والفرح والتعظيم والتكثير والتبريك ويبتدؤن بأكله قبل غيره تطييباً لخاطره ورفعاً لقلبه وكذلك يفعلون فى الطعام الخشين أو الردىء

يسحبونه على كل منتسب لهم صادق فهم وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خاوية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى (ليسئل الصادقين عن صدقهم) أترى إذا سأل الصادقين عن صدقهم أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قوله سبحانه (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فهم فى اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قال القائل

أما الخيام فانهـــا كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها
لا والذى حجت قريش بيته مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عينى خيام قبيلة إلا بكيت أحبتى بفنائها

(هذا آخر الباب) الخامس عشر وحاصلها آداب المريد فى المدح والذم ومرجعها إلى خمسة (الأول) ذم النفس عند مدحها بما ليس فيها (الثانى) استحياؤه من الله أن يمدح بوصف لا يشهده من نفسه (الثالث) أن يرجع إلى يقين ماعنده فيعول عليه ولا يغتر بظن ما عند الناس فيعتمد عليه (الرابع) أن يكثر من الحمد والشكر لمولاه حيث ستر عيوبه وأظهر توفيقه وهداه (الخامس) أن يكون معتدل الحال سليم القلب فلا يحزن عند الذم ولا يفرح عند المدح قال بعض العارفين اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل اه وجاء رجل إلى شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه فجعل يمدحه فى وجهه فقال له ياهذا لا تغرنى بقولك أنا أعرف نفسى حين أكون أفضل الوجود أو أقل الوجود فالوقت الذى تكون فيه ذاكرا لربى أنا أفضل الوجود والوقت الذى لا تذكر الله فيه أنا أقل الوجود أو كلام هذا معناه لكن هذا الأدب الخامس يختلف باختلاف الأحوال فالعباد يغلبون حب الذم على المدح والعارفون يغلبون حب المدح على الذم أو يعتدلون كما يعتدلون فى حال المنع والعطاء والقبض والبسط والذل والعز والفقر والغنى وغير ذلك من اختلاف الآثار وتنقلات الاطوار ومن جملة ذلك الخوف والرجاء بحيث إذا صدرت منهم طاعة

أو ما أشبه ذلك ويتلقون الكثير أو الرفيع ممن يأتى به بالغنى ورفع الهمة عنه شفقة على صاحبه من دخول العجب أو الرياء واظهار الزهد والقناعة ليقتدى بهم غيرهم ومن آدابهم أيضاً ألا يعيبوا طعاما ولا يقبحوه لأن ذلك يدل على الشره له والحرص عليه وقد تقدم وهم غافلون عنه غائبون عن شأنه حتى يأتيهم الله بما قسم لهم وهذا منهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط كان إذا اشتهاه أكله والا تركه

(و) قوله ولم يكن قصدا فيطلبوه يعنى أن الطعام عند القوم لم يكن مقصودا عندهم فلا يهتمون بشـــأنه قبل حصوله حتى يطلبوه بل كانوا غائبين عنه مشغولين بذكر مولاهم لا يلتفتون اليه الا عند الاضطرار فيطلبون ما يتقوون به على عبادة ربهم دون حرص ولا استكثار ولا شهوة ولا اختيار روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام ما بال الأقوياء ومناولة الشهوات إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى أن القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة عنى (وحكى) أن بشر الحافى رئى فى السوق فسئل عن ذلك فقال نفسى تطالبنى بخيارة منذ سنين فمنعتها ورضيت الآن بالنظر اليها فأعطيتها (وقال) بعضهم إنما هى فورة جوع لا أبالى بما سددتها (و) قال آخر ليس لها علينا إلا كفايتها فلا نبالى فيه بطيب ولا ردىء وهذا مالم يكن حراما وسيأتى التنبيه عليه وما لم يكن أيضا مضرا للبدن والاحرام تناوله وليس تركه قادحا فى التوكل وإنما هو

لايزيد رجاؤهم وإذا وقعت منهم زلة لا يعظم خوفهم ولا تنقص استقامتهم كما أشار إلى ذلك فى أول الباب السادس عشر بقوله وقال رضى الله عنه (إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) قلت السائر الصديق أو الواصل إلى التحقيق كالراكب المغير جادا فى المسير كاد من السرعة أن يطير فاذا وقعت منه كبوة أو سقطة أو صدرت منه عثرة أو هفوة استوى على جواده واستمر على اغارته فى طلب مراده فاذا سقط وجعل يتمرغ فى سقطته كان ذلك دليلا على فترته وعدم تحصيل طلبته فاذا وقع منك ايها الفقير ذنب فلا يكن سبباً فى قطعك عن الله أو يؤيسك من الاستقامة مع الله فيتضاعف عليك وبال المعصية وتعظم فى حقك المصيبة والبلية فقد يكون ذلك رحمة بك وتنبيها لك من سنتك كحصول ملل وفترة فاذا سقطت نهضت وإذا قمت جددت وقد يكون ذلك آخر ذنب قدره الله عليك وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا لصوصا فصاروا خصوصاً كابراهيم بن أدهم والفضيل وأبى يعزى وغيرهم ممن لا يحصى فليكن لك بهم أسوة فى حسن الظن بالله قال تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) الآية وقال تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) وقال تعالى (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وقال عليه السلام «ان الله يحب كل مفتن تواب» يعنى كثير الذنب كثير التوبة قال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فهذه الآيات تقوى رجاء العباد وتوجب الاعتدال والسداد وقد بين أصل الرجاء والخوف ومنشأهما فقال (إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك وإذا أردت أن ينفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) (قلت إذا أردت ايها الإنسان أن يتقوى رجاؤك فى الكريم المنان فاشهد ما منه اليك من الاحسان واللطف والمبرة والامتنان فهل عودك إلا حسناً وهل أسدى اليك إلا منا عليك بسط منته ولك هيأ جنته أنعم عليك فى هذه الدار بغاية الانعام وما قنع لك بذلك حتى أعد لك دار السلام باقية مستمرة على الدوام ثم أتحفك بالنظر إلى وجهه الكريم تماما على سابق احسانه القديم (وإذا اردت) أن ينفتح لك باب الحزن والخوف فاشهد ما منك اليه من الاساءة والتقصير فى العبادة أو من موافقة الشهوة والاسترسال مع

من مقتضيات الحكمة وجرى مع سنة الله فى خواص مخلوقاته وما وقع من الحكايات فذلك أمر خارق للعادة وصاحبه محمول على بساط الحال محفوظ فى ذلك الوقت فلا يقتدى به والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابهم فى الادخار فقال :

والقوم لم يدخروا طعاما ... بل تركوا الحلال والحراما
إلا يسيراً قدر ما تيسرا ... إذ الحلال المحض قد تعذرا

(قلت) أخبر رحمه الله القوم لم يكونوا يدخرون شيئاً لوقت آخر وإنما كانوا يأخذون قدر حاجتهم فى الوقت ويتصدقون بالفضلة وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلم فى جل أوقاته (قال) ابن ليون التجيبى فى الانالة واما ترك الادخار فقد صح عنه فى الأحاديث انه عليه السلام يدخر (وقال) أنس كان النبى صلى الله عليه وسلم لايدخر شيئاً لغد (وعن) عائشة رضى الله عنها أنه عليه السلام قال لبلال أطعمنا يابلال قال يارسول الله ماعندى إلا صبر من تمر خبأته لك قال ماتخشى أن يخسف الله به فى نار جهنم أنفق يا بلال ولا تخف من ذى العرش إقلالا والصبر جمع صبرة وهو ماكدس من التمر وغيره من غير وزن ولا كيل وقد نظم الشريشى هذا المعنى فى رائيته فقال :

ولا تك ممن يفارق خبزه ... قديمة جود الحق دائمة القطر

الغفلة فانك ان شهدت ذلك دام حزنك وقوى خوفك وربما كان سببا فى سوء ظنك بربك فتزل قدم بعد ثبوتها (وفى الحديث) لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم فدل الحديث على أن شهود الكرم أفضل عند الله من شهود الانتقام (وخصلتان) ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله كما فى الحديث وبقيت مرتبة ثالثة وهى الغيبة عن الرجاء والخوف بشهود مامن الله إلى الله وهو مقام أهل الشهود فلذلك اعتدل أمرهم فى جميع الاحوال نفعنا الله بذكرهم آمين ثم أن ثمرة الرجاء ونتيجته البسط وثمرة الخوف ونتيجته القبض فلذلك ذكره بعدهما فقال (ربما أفادك فى ليل القبض مالم تستفده فى إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قلت القبض والبسط حالتان يتعاقبان على الانسان كتعاقب الليل والنهار فالليل محل السكون والقرار والنهار محل التحرك والانتشار القبض لاحظ فيه للنفس والبسط تأخذ النفس حظها منه ومالا حظ فيه للناس أقرب للسلامة وأعظم للافادة فالقبض كالليل والليل محل المناجاة والمصافاة وملاقاة الأحباب ورفع الحجاب فربما أفادك فى ليل القبض من انخناس النفس وذهاب الحس ومولاة الأنس مالا يستفيدك فى نهار البسط من تحصيل العلوم وتحقيق الفنون ومجالسة الأخيار ومخالطة الأبرار فالقبض له فوائد والبسط له فوائد والعبد لايدرى أيهما أقرب له نفعا فتعين الوقوف مع مايواجه من جهة الحق فيتلقاه بالقبول والأدب وقد تقدم آداب كل واحد منهما عند قوله بسطك كى لا يتركك مع القبض الخ فلا تطلب البسط ان واجهك بالقبض ولا تطلب القبض ان واجهك بالبسط فقد تستفيد من أحدهما مالا تستفيده من الآخر فلا تدرى أيهما أنفع ولا أيهما أضر ولذلك استدل بالآية التى نزلت فى ميراث الأب من الابن فالبسط كالأب انه ناشىء من شهود ما منه إليك وهو فعل الحق الذى صدر منه كل موجود وهو الأصلى والقبض كابن لأنه ناشىء من شهود ما منك إليه وهو الفرع إذ الفعل كله من القدرة وأما الحكمة فإنما هى تغطية وإذا كان العبد جاهلا بمنفعتهما كجهله بالانفع من الآباء والابناء تعين متابعة الحق باتباع مراده وانتهاجه حاله من غير تحول ولا انتفاع ولا تشوف إلى غير ماهو فيه من ذلك الحال بذلك يتنور قلبه ويتطهر سره ولبه

(قال) سيدى أحمد بن يوسف الفاسى رضى الله عنه فى شرحها يقول والله أعلم فلا تكن أيها المريد من الذين همهم بطنهم الملازمين لخبزهم وغيره من المطبوخات فى كل وقت وأوان بل اقتدى بنبيك صلى الله عليه وسلم فى كونه كان لايدخر لغد وينهى عنه كما اقتدى بذلك فيه أقوياء أمته الذين أردت سلوك طريقهم والاهتداء بهديهم ولا تنحط إلى مانهى عنه فتنحط من العزيمة إلى الرخصة ومن الورع إلى الاباحة ولايجىء منك شىء ولا يدخلنك أيها المريد حين العمل بهذا كونك ترى أنك لا تجد ما تتقوى به إذا أعطيت مايفضل عن غذائك فى الحال لمن يستحقه فإن قطر عطاء الله وجوده وفضله دائم الانصاب والانسكاب قد عمت جميع الخلائق منته :

(قال) فى العوارف ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك أن الصوفى يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطىء بحر والمقيم على شاطىء البحر لايدخر الماء فى قربته وروايته (روى) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن يوم إلا وملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (وروى) أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر لغد شيئا (وروى) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طيور فاطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال له رسول الله ألم أنهك أن تخبأ

فتنكشف عنه الحجب والأستار ويتهيأ لحمل الأنوار والأسرار كما أبان ذلك بقوله (مطالع الأنوار القلوب والأسرار) قلت المطالع جمع مطلع وهو محل طلوع الشمس وغيرها والانوار هنا الواردات والكشوفات التي تكشف الحجب وترفع رداء الصون عن مظاهر الكون وقد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر عند كثير من الصوفية شيء واحد وما هي إلا الروح تتطور بحسب التصفية والترقية فما دامت مشغولة بحظوظها وشهواتها فهي نفس ونورها مكسوف فاذا انزجرت وعقلت بعقال الشرع إلا أنها تميل إلى المعاصي والذنوب فتارة تعصى وتتوب وتارة تحن وتؤوب سميت عقلا ونورها قليل لأنها محبوسة في سجن الاكوان معقولة بالدليل والبرهان فاذا سكنت عن المعاصي إلا أنها تتقلب بين الغفلة واليقظة وبين الاهتمام بالطاعة والمعصية سميت قلباً وهو أول مطالع الانوار فتشرق عليه أنوار التوجه فلا تزال تترادف عليه الواردات وهي أنوار التوجه حتى يسكن إلى الله ويطمئن بذكر الله فحينئذ تسمى روحا وهو أول مطالع أنوار المواجهة فبهذه الانوار ينكشف الحجاب وينفتح الباب وتدخل في حضرة الاحباب فاذا اتصفت من غبش الحس وتطهرت من كدر الاغيار سميت سرا وهو أول مطالع أنوار المشاهدة فاذا تزكت من لوث الانوار وهو الوقوف مع المقامات أو الالتفات إلى الكرامات سميت سر السر وهو أول مطالع أنوار المعاينة والمكالمة ثم لا حال ولا مقام يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا (وأما الترقي) في العلوم والمعارف فلا نهاية له على الابد فالقلوب مطامع ومشارق أنوار التوجه والاسرار مطالع ومشارق أنوار المواجهة والمشاهدة والمعاينة والروح والسر قريب بعضها من بعض في المرتبة فلذلك سكت الشيخ عن الاراوح لاندراجها في الاسرار (والحاصل) أن النفوس والعقول الظلمة غالبة عليهما لانهماكهما في الحس وفنائهما في الغلس والخنس فليستا مطلعاً لشيء من النور لعدم توجههما إلى الكريم الغفور وأما القلب والروح والسر فهي مطالع الانوار أي محل طلوعها واشراقها إلا أن القلب مطلع لأنوار التوجه والروح والسر مطلعان لانوار المواجهة وقد تقدم تفسيرهما عند قوله اهتدى الراحلون الخ وقد سوى الشيخ بينهما ومراده ما ذكرناه والله تعالى أعلم ثم بين ابتداء مطلع هذا النور وهو القلب ثم يشرق على الروح ثم على السر فقال (نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب) قلت النور المستودع في القلوب هو نور اليقين ويكون أولا ضعيفا

شيئاً لغد فان الله يأتي برزق غد (وروى) عن عيسى عليه السلام انه كان يأكل الشجر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئاً لغد فالصوفي كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار (قال) عليه الصلاة والسلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا اه (ثم) قال وورد أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى أم أيمن عن أن تدخر لغد شيئا ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال أنفق يا بلال ولا تخف من ذي العرش إقلالا وقال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ

(وأما) ادخاره صلى الله عليه وسلم فلعياله وتشريعا وتبيينا للضعفاء من أمته كما أن ترك ادخاره يعد تعليما للأقوياء منهم حسبما ذكره الامام أبو حامد رضي الله عنه وقال بعضهم فعله صلى الله عليه وسلم دائر بين الاباحة والورع فادخاره قوت سنة بيان للإباحة وعدم ادخاره ورع وشأن أهل الطريق الاخذ بالعزائم دون الرخص التي لم يندب العمل بها أما ما ندب الأخذ به منها كالقصر في السر ونحوه فانهم يسارعون إليه ويحافظون على تحصيله على ان للعارفين علما يصرفونه بحسب الاحوال والعوارض قد يخفى على من ليس من أهله فقد كان بعضهم لا يقصر في سفره قائلا للناس في ترك قصر الصلاة للفقراء نية حسنة يحبون اغتنام الصلاة خلفهم فلا نحرمهم من نيتهم ثم ان الشبهة تختلف باختلاف المقامات فمن كان من أهل

كنور النجوم وهو نور الإسلام ثم يزال يتقوى ويستمد من النور الوارد من خزائن الغيوب حتى يكون كنوز القمر وهو نور الايمان ثم لايزال ينمو بالطاعة والذكر والصحبة حتى يكون كنوز الشمس وهو نور الإحسان وخزائن الغيوب هي أنوار للصفات وأسرار الذات فمنها تستمد أنوار الإسلام وأنوار الإيمان ثم تشرق انوار الاحسان فيتغطى وجود الاكوان (قال فى التنوير) ولو أنهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولأشرق نور الايقاظ فغطى وجود الأكوان اه.

(واعلم) أن وجه اصطلاح الصوفية رضى الله عنهم فى ترتيب الاسلام أولا ثم الايمان ثم الاحسان ان العبد ما دام مشغولا بالعبادة الظاهرة الحسية سمى ذلك المقام مقام الاسلام فاذا انتقل العمل للقلب وهو اشتغاله بتصفية القلب بالتخلية والتحلية وتحقيق الاخلاص سمى ذلك مقام الايمان فاذا انتقل العمل للروح وللسر وهو الفكرة والنظرة سمى مقام الاحسان بخلاف الفقهاء فانهم يقدمون الايمان على الاسلام فيقولون لا يصح شيء دون الايمان ولا مشاحة فى الاصطلاح قد علم كل أناس مشربهم :

(قال) بعض المحققين اعلم أن لعالم الملك وهو عالم الشهادة أنوار ظاهرة ولعالم الملكوت وهو عالم الغيب أنوار باطنة وأشهر ما فى عالم الملك ثلاثة أنوار نور الشمس ونور القمر ونور النجوم ويقابلها من عالم الملكوت نور المعرفة ونور الفهم ونور العلم فبطلوع نجم العلم فى ليل الجهل تبدو الآخرة والأمور الغيبية وبطلوع قمر الفهم فى أفق التوحيد يشاهد قرب الحق وبطلوع شمس المعرفة فى أفق التفريد يقوى اليقين ويلوح وجه المشاهدة وأول نور يلج فى الصدر نور الاسلام فاذا انشرح القلب به انقذف فيه نور الايمان فاذا تقوى فيه صار شهوداً اه المراد منه (قلت) وبهذا النور وسع القلب معرفة الحق وهو الذى أشار اليه فى الحديث القدسى لن يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر هذا القلب الذى وسع الرب سبحانه ما أعظمه وأجله فتجب يا أخى إلى أرباب هذه القلوب التى وسعت علام الغيوب حتى يوصلوك إلى ماوصلوا اليه من علم الغيوب وبالله التوفيق ثم ذكر ثمرة النور وهى الكشف عن حقائق الأشياء فقال (نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه) قلت أصل النور من حيث هو الكشف فالنور الحسى يكشف عن المحسوسات والنور المعنوى يكشف عن المفهومات (أو تقول) نور الحس يكشف عن الأوانى والنور المعنوى يكشف عن المعانى ولاعبرة برؤية

الحقيقة مثلا وأتى اليه بشيء حلال ثم شاهد الخلق قبل الحق فأهل الظاهر لايفنون إلا بحليته وأهل الباطن يحكمون بشبهته فيقع التورع عنه كما وقع للشيخ أبو مدين رضى الله عنه وكذلك الادخار من أصله وإن كان حلالا من طريق الأحكام لكنه شبهة عند أهل الباطن ذوى النهى والاحكام فى حق من لم يكمل حاله ويستقيم يقينه ويستوى عنده الوجد والفقد (وقال) الشيخ عبدالعزيز المهدوى رضى الله عنه الورع ألا يخطر الرزق ببال ولايكون بينك وبينه نسبة لا فى التحصيل ولا عند المباشرة لأنه لايدرى أيأكله أم لا (وقال) الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ويقال من اهتم برزق غد فهى خطيئة تكتب عليه سيئة (وقال) سفيان الثورى رضى الله عنه الصائم اذا اهتم فى أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة (وكان) سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال أعرف بالبصرة مقبرة عظيمة يغدى على موتاهم برزقهم من الجنة بكرة وعشية يرون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب مالو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل ولما قال كانوا اذا تغدوا قالوا بأى شيء تتعشى وإذا تعشوا قالوا بأى شيء نتغذى اه وقد وقع النهى منه صلى الله عليه وسلم ومن الذين من بعده عن الادخار فى زمانهم الذى كان الحلال فيه كثيراً فكيف بزمانك الذى غلب فيه الحرام فالأولى أن تلزم الضرورة فلا تأخذ

الأوانى خاوية عن المعانى ثم ان النور المعنوى ينقسم على ثلاثة أقسام باعتباره القوة والضعف فنور الاسلام الذى هو كالنجوم يكشف لك الحق تعالى به عن وجود آثاره فتستدل بها على صانعها ونور الإيمان الذى هو كالقمر يكشف لك به عن ثبوت أوصافه فلا يتحرك شيء أو يسكن إلا تراه بقدرة الله وإرادته وعلمه وحياته إلى آخر صفاته ونور الاحسان يكشف لك به عن حقيقة ذاته فلا ترى شيأ إلا رأيت صانعه فيه بواسطة تجلياته الله نور السموات والأرض، فنهاية كشف النور الاول الفناء فى الافعال ونهاية كشف النور الثانى الفناء فى الصفات ونهاية كشف النور الثالث التمكين فى الفناء فى الذات واستغنى الشيخ عن النور الثالث بذكر النور الثانى لان الفناء فى الصفات قريب من الفناء فى الذات لان الصفات لا تفارق الموصوف فمن كان يرى سمعه بالله وبصره بالله وحركته بالله يرى وجوده بالله ولذلك استغنى بعضهم بالفناء فى الذات عن الفناء فى الصفات لتقاربهما فمهما تحقق أحدهما تحقق الآخر والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بقوله نور يكشف لك به عن آثاره النور الحسى المدرك بالبصر الحسى ونور يكشف لك به عن أوصاف نور البصيرة المعنوى وعليه اقتصر الشيخ ابن عباد رضى الله عنه لكن نور البصر الحسى لا يستقل بادراك المؤثر فى الاثر ما لم تمده الانوار الباطنية العقلية فالمدار إنما هو على الانوار الباطنية وأما الحسية فمدركه الكل أحد حتى البهائم فلا خصوصية لها وبالله التوفيق ثم المطلوب من العبد هو الترقى من نور شهود الاثر إلى نور الصفات ثم الى نور شهود الذات وقد تقف بعض القلوب مع النور الاول فتحجب عن الثانى ومع الثانى فتحجب عن الثالث كما أبان ذلك بقوله (ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجب النفوس بكثائف الاغيار).

قلت قد تقف بعض القلوب مع أنوار المقامقات دون الوصول الى الغايات فتحجب عن الوصول كما حجب النفس بكثائف المحسوسات عن إدراك لطائف المعانى والمفهومات وذلك اما لعدم شيخ التربية أو لضعف الهمة عن الترقية فقد ينكشف لبعض القلوب عن سر توحيد الافعال فتفنى فى العمل وتذوق حلاوته فتقف معه وهواتف الحقيقة تناديها الذى تطلبه أمامك وقد ينكشف لها عن سر توحيد الصفات وتلوح لها أنوار المقامات كتحقيق الزهد والورع وصحة التوكل والرضى والتسليم وحلاوة المحبة والاشتياق إلى غير ذلك فتقنع بذلك وتقف هنالك والمطلوب هو الكشف عن سر توحيد الذات وأنوار الصفات وان إلى

الافاقة وضرورة ولا تأكل إلا كذلك وقد كان شقيق البلخى رضى الله عنه يقول فى سنة تسعين ومائة ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارات والصنائع شبهات كلها لا يحل الاستكثار منها لوجود الغش وعدم النصح قال وإنما ينبغى فى أن يدخل فيها ضرورة (و) قوله بل تركوا الحلال والحرام يعنى أن القوم تركوا الاكثار من الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام فتركوا الحلال زهدا وتركوا التقوى وتركوا الحرام المتشابه ورعا (و) قيل الورع هو ترك الحرام والمتشابه وهم يطالبون أنفسهم بحقائق ذلك (وقد) روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله علية وسلم ان الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة فى ثلاثة أيام فلما سمع موسى كلامه الآدميين مقتهم لما وقع فى مسامعه من كلام الرب عز وجل فكان مما ناجاه ربه ان قال يا موسى أنه لم يتصنع لى المتصنعون بمثل الزهد فى الدنيا ولم يتقرب الى المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد لى المتعبدون بمثل البكاء من خشيتى قال موسى يارب البرية كلها ويا مالك يوم الدين وياذى الجلال والاكرام فما أعددت لهم وماذا جزيتهم قال أما الزهاد فى الدنيا فانى أبحتهم جنتى يتبوأون فيها حيث شاءوا وأما الورعون عما حرمت عليهم فانه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب وفتشته إلا الورعون فانى أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب وأما البكاءون من خشيتى فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه رواه الطبرانى وغيره (وقوله) الايسير الخ يعنى أنهم يأخذون اليسير على وجه الفاقة والضرورة ويتركون الزائد وسواء كان أخذهم

ربك المنتهى فالنور عبارة عن الحلاوة والقوة التى يجدها المريد فى باطنه من مزيد إيمان وقوة إيقان فحلاوة الخدمة لأهل الفناء فى الأفعال وحلاوة الذكر الحسى اللسانى أو القلبى لأهل الفناء فى الصفات مع الحجاب وحلاوة الفكرة والنظرة لأهل الفناء فى الذات (وان شئت) قلت ربما وقفت القلوب مع أنوار الأحوال فتحجب عن مقامات الرجال أو مع أنوار المقامات فتحجب عن معرفة الذات ولذلك قال الشيخ ابن مشيش لتلميذه أبى الحسن اشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار خاف رضى الله عنه أن يحجب بحلاوة الرضى والتسليم عن شهود الذات (واعلم) أن الوقوف مع الأحوال والمقامات إنما هو من عدم الوصول إلى الشيخ وأما من صحب الشيخ وأكثر الوصول اليه فلابد أن يرحله إلى المقصود إلا أن يرى همته ضعيفة لاتطيق أنوار الشهود فيتركه على ما هو عليه حتى تنهض همته إلى شهود المعبود وشبه الشيخ رضى الله عنه حجب القلوب بالأنوار بحجب النفوس بالأغيار لاشتراكهما فى الحجب عن الله لكن حجب النفس بالأغيار أشد لأنها ظلمة والظلمة أشد حجاباً من النور فالقلوب نورانية حجبت بالنور والنفوس ظلمانية حجبت بالظلمة وكثائف الأغيار هى ماظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها وزهرتها وهى التى أشار اليها الحق تعالى بقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة) الخ الآية ويدخل فيها مايلايمها من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظيم وغير ذلك من شهواتها وعوائدها وهى التى حجبت جل الناس وساقتهم إلى الخيبة والافلاس نسأل الله العصمة بمنه وكرمه ويدخل فى الأغيار العلوم العقلية واللسانية فالأشتغال بها والوقوف مع حلاوتها من أشد الحجب عن معرفة الله أعنى المعرفة الخاصة ويدخل فيها أيضاً الكرامات الحسية كالطيران فى الهواء والمشى على الماء فالوقوف مع ذلك من أشد الحجب أيضاً ولذلك قال بعضهم أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد فسبحان من حجب العلماء بعلمهم عن معلومهم والعباد بعبادتهم عن معبودهم والصالحين بصلاحهم عن مصلحهم والله من وراء ذلك كله وفى ذلك يقول الششترى رحمه الله :

تقيدت بالأوهام لما تداخلت　　عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بانوار فهمنا أصولها　　ومنبعها من أين كان فما همنا

لذلك بتكسب أو غيره لأن أخذ ذلك لابد لهم منه لوجود الضرورة شرعاً ودخول الكلف ليس من شأن الفقير بل أموره كلها على التيسير فلا يكلف ولا يتكلف لقوله عليه السلام أنا وأتقياء أمتى برآء من التكلف ولأن التكلف ينافى التوكل وترك الأسباب من غير إذن ينافى الأدب ولكن كما قال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً فلما توكلوا على الله كفاهم كل مؤنة لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه (وقوله) إذا الحلال المحض قد تعذر الحلال المحض هو الخالص الذى لاشوب فيه ولا اختلاف وقد تقدم قول شقيق ان المكاسب اليوم قد فسدت الخ كلامه (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فأما مايجرى على اختلاف العلماء والراجح والمرجوح فهو موجود وقال العلماء إذا فقد رأسا أقيم من عشرة أشياء تجارة بصدق (و) اجارة بنصح (و) أعشاب الأرض غير مملوكة (و) هدية من أخ صالح (و) صيد البر حيث يباح (و) صيد البحر (و) مهر النساء بطيب نفس (و) قسمة المغنم على وجه شرعى (و) الميراث على أصل مجهول (و) السؤال عند الحاجة وكثيراً ما يجرى على ألسنة المتدينين أن الحلال ضلالة مفقودة أى معدوم وهو أمر يجعلونه عكازاً للإسترسال وأخذ كل ماوالاهم بل الحلال موجود ولو لم يكن موجوداً فى كل زمان ما كلفنا بطلبه ولا تقطع أولياء الله سبحانه إذ هو قوتهم وذلك باطل وأيضاً إذا حرمت الكل حللت الكل وكل من بيده شىء يستأنف فيه حكم الله

وقد تحجب الأنوار للعبد مثل ما تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

وحكمة وجود هذه الأنوار الحسية لأغيار الظلمانية تغطية وستر لأنوار السرائر الباطنية كما أبان ذلك بقوله (ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان الاشتهار) قلت انوار السرائر هى العلوم اللدنية والمعارف الربانية ويجمعها علم الربوبية الذى يجب كتمه عن غير أهله ومن أباحه أبيح دمه وهو الذى قتل بسببه الحلاج وكثائف الظواهر هى البشرية الظاهرة (أو تقول) أنوار السرائر هى الحرية الباطنية وكثائف الظواهر هى العبودية الظاهرية (أو تقول) أنوار السرائر هى علم القدرة الباطنية وكثائف الظواهر هى علم الحكمة الظاهرة فأنوار السرائر معان لطيفة رقيقة سترها الله تعالى بالكثائف الظاهرة ولذلك وقع الانكار على أهلها قديما وحديثاً حتى قال الكفار ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق وقالوا ماهذا إلا بشر مثلكم ووقوع الانكار على أولياء الله سنة ماضية وحكمة ذلك إجلال وتعظيم لها أن تبتذل وتظهر بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سر ولا عز ولهذا طلب الأولياء بالخمول واستعمال الخراب والتلبيس قال الششترى رضى الله عنه

إذا رأيت الوجود قد لاح فى ذاتك
هودس ولازم الجحود ذاتك صفاتك
واضرب بترسك الا عقود وألق عصاتك

والهودس التحمق والترس ما يستر به الإنسان مواقع النبل والمراد بالعقود العلائق والشواغل أى اضرب بسيف عزمك علائقك وعوائقك والقاء العصى كناية عن طرح كل مايستند اليه أو يعتمد عليه من أصحاب أو أحباب أو أسباب أو حول أو قوة أو غير ذلك مما يقع الركون اليه ويحتمل أن يريد بأنوار السرائر معانى الصفات السارية فى الذات وبكثائف الظواهر المحسوسات الظاهرة فلا ظهور للصفات إلا بالذوات الحسية ولا قيام للذوات إلا بالصفات فستر الله سبحانه صفاته الأزلية اللطيفة بظهور الذوات البشرية الكثيفة صوناً لسر الربوبية أن يبتذل بالإظهار أو ينادى عليه بلسان الاشتهار

من الآن (وقد) كان شيخنا البوزيدى يقول من بيده شىء لايعرف فيه دخول حرام بالاصالة ولا معاملة قبيحة مقصودة فمن أين يحرم ماله وماغلب على الناس من الجهل ورقة الديانة لايحرم ما بأيديهم لأن الانسان لايخاطب إلا بما فى علمه ثم قال ان الله خلق المال حلالا كما خلق الماء طهورا فكما لاينجس هذا إلا ماغيره ما يحرم هذا إلا ما غيره إلا أن السلف رضى الله عنهم لمعرفتهم بكائن النفوس تساهلوا فى الطهارة لحصرها وشدوا فى باب الكسب لتساهل النفوس فيها حتى جرى فى قواعدهم فى باب الطهارة أن الأصل مقدم على الغالب وفى باب الحلال والحرام الغالب مقدم على الأصل وهى مسئلة اختلاف وقد أهمل الناس فى هذه الأزمنة باب الحلال والحرام لا سيما فى بلاد المشرق فليكن الفقير من ذلك على بال ومن يصحب العلم فلا يضل ولا يضيق عليه الواسع بل لايزال فى فسحة مالم يتغير وأشار ابن الفكهانى إلى أنه ينبغى عدم التعرض للبحث فى هذه الأزمنة والوقوف مع ظاهر الأحوال لأن البحث لايجب حيث لاعلامة ووجوده لا يكشف عن خير وأكثر العلماء على أن الحلال ماجهل أصله والحمد لله الذى جعل فى الأمور سعة انتهى كلامه مع بعض اختصار (وقال) الشيخ أبو الحسن أحل الحلال مالم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال اه ثم أشار الناظم إلى ما يفعل بالفضلة على الحاجة

(والحاصل) أن الأشياء كلها قائمة بين ذات وصفات بين حس ومعنى بين قدرة وحكمة فستر الحق سبحانه معانى أسرار الذات اللطيفة بظهور الذوات الكثيفة وستر المعنى اللطيف بالحس الكثيف وستر القدرة بالحكمة والكل من الله وإلى الله ولا موجود سواه وهذه الكثائف الظاهرة هى أردية وقمص للمعانى اللطيفة (أو تقول) هى رداء الصون الذى نشر على الكون فاذا انهتك الرداء أو قطع بقى المعنى سالماً فالتصرفات القهرية إنما تجـــر الأردية والستور دون المعانى والنور فالحق منزه ومقدس أن يلحقه مايلحق العبيد فلتكف عن طلب المزيد والعجز عن الإدراك من وصف العبيـــد وقد مثلوا أيضاً كون المعانى اللطيفة فى الأشباح الكثيفة بالحبوب اليابسة فى الأغصان الرطبة فهى كامنة مستترة فاذا نزل المطر اخضرت الأشجار وأخرجت الثمار التى كانت كامنة فيها وإلى هذا المعنى أشار ابن البناء فى مباحثه الأصلية حيث قال :

وهى من النفوس فى كمون كما يكون الحب فى الغصون
حتى إذا أرعدت الرعـــود وانسكب الماء ولان العود
وجال فى أغصانها الرياح فعندهـــا يرتقبُ اللقاح

(هذا آخر الباب السادس عشر) وحاصلها آداب السائر فى حال سيره بحيث لا يقف مع معصية ولا يركن إلى طاعة ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء ولا قبض ولا بسط بل يبرز من الغيب فيتلقاه بالمعرفة والرحب فاذا فعل ذلك أشرقت عليه الأنوار فتخرجه من رق الآثار حتى تفضى به إلى شهود الملك القهار لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب ولليواقيت من صوان تخفيت الأنوار بكثائف الأغيار إجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار فمن أجل ذلك أخفى أوليائه فى خلقه فلا يطلع عليهم إلا من أراد أن يخصه بما خصهم به من سره كما أبان ذلك فى أول الباب السابع عشر بقوله رضى الله عنه (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه) قلت الدليل هو الموصل للمطلوب فاذا صار الحق تعالى بك إلى ولى عارف به وذلك عليه فقد سار بك إلى معرفته وذلك عليه فهما دلك على وليه وأطلعك على سره فقد دلك عليه قطعاً أو وصلك إلى حضرته

(قلت) أشار بقوله بلا تكليف إلى أن مايدخل على الفقير كله من باب التيسير بلا كلفة ولا تدبير فان كان من غير سبب فأمره ظاهر إلا أن ينبغى أن يسبق نظره فى الأخذ إلى الحق دون الخلق فان سبق نظره إلى الخلق فمقتضى الورع عند الخصوص ألا ينيل نفسه شيئاً منه كما وقع للشيخ أبى مدين رضى الله عنه أتاه حمل قمح فنازعته نفسه وقالت له ياترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هذا ياعدوة الله فأمر به بعض أصحابه أن يرفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى (و) ينبغى له أيضاً ألا يتشوف اليه قبل حصوله فان تشوف لشىء منع نفسه منه كما وقع لأيوب الحمال مع أحمد بن حنبل فى قصة الخبز وهى معروفة (و) أما إن كان بسبب شرعى فينبغى أن يكون ذلك خفيفاً غير شاغل عن ذكر الله وأن يكون مقصوداً به الأدب مع الحكمة غير ملتفت له ولا معتمد عليه (قوله) ابتداؤه بالجار والضعيف أشار إلى كيفية تفريق الفاضل عن الحاجة وأنه يقدم الأهم فالأهم لحديث ابدأ بنفسك ثم بمن تعول (قال) رجل يارسول الله عندى دينار قال انفقه على نفسك قال عندى آخر قال انفقه على عيالك قال عند آخر قال صل به ذوى رحمتك قال عندى آخر قال اصنع به ما شئت الحديث وحق الجار معلوم بالدين فيؤثرونه على غيره بعد المراتب المذكورة ويؤثرون من الجيران أحوجهم فان استووا فأقربهم اليك بابا وإن كان هنالك ضعيف لاجوار

سريعاً فلم يجعل الحق سبحانه الدلالة على أوليائه والوصول إليهم إلا من جهة الدلالة عليه ولم يوصل أحد اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه فلأجل هذه الملازمة وعدم الانفكاك تعجب الشيخ من ذلك (وقال)شيخنارضى الله عنه فى قول المؤلف رضى الله عنه وصولك إلى الله وصولك الى العلم به قال وصولك اليه وصولك الى عارف به يعنى مهما وصلك إلى عارف به وأطلعك عليه فقد وصلك اليه ومهما حجبك عن العارفين به فقد حجبك عنه فلا طريق إلى معرفة الله الا من طريق معرفتهم ولا دليل على الله أعنى على معرفته الخاصة العيانية الا من حيث الدليل عليهم وكما حجب الحق سبحانه ذاته المقدسة بعزته وقهريته كذلك حجب أولياءه بما ظهر عليهم من أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلامن سبقت له العناية الربانية إذ لايعرف الخواص الاالخواص(قال) فى لطائف المنن أهل الله من خاصة عباده أهم عرائس الوجود والعرائس محجوبون عن المجرمين فهم اهل كيف الايواء فقيل من يعرفهم وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ثم قال (وإذا) أراد أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته اه وأيضاً فان الولى لايعرف بالصورة الظاهرة وإنما يعرف بالمعانى الباطنة لأن الله لا يعبأ بالصور رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره فى قسمه فمن أراد معرفته بالصورة فلا يعرفه لأنه لايرى الا بشراً يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق فالعين لاترى الا الأجسام الكثيفة التى يطرأ عليها ما يطرأ على أهل الحجاب ولم يدرك ما انطوت عليه الصورة من المعانى اللطيفة والأسرار المنيفة فمن أراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق أولا ثم الهداية والتوفيق ثانياً فالتصديق بأسرار الولاية أو المعرفة ولهذا قال الشيخ أبو الحسن (التصديق) بطريقتنا هذه ولاية وقال بعضهم لله رجال لايعرفهم الا الخاصة ولله رجال يعرفهم الخاصة والعامة ولله رجال لايعرفهم لاالخاصة ولاالعامة ولله رجال أظهرهم فى البداية وسترهم فى النهاية ولله رجال سترهم فى البداية وأظهرهم فى النهاية ولله رجال لا يعرفهم سواه ولا يطلع على مابينه وبينهم الا الحفظة الكرام الذين وكلوا بحفظ السرائر ولله رجال اختص الله بمعرفتهم لايظهر حقيقة ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه فهم شهداء الملكوت الأعلى

له والجيران أشياء قدموه لأن سد الخلل مقدم على الأبرار والاخوة فى الله مقدمة على غيرها هذا كله فى الفضلة والايثار لا فى باب الاضطرار بحيث إذا أعطاه هلك واختلت بنيته عن العبادة فذلك ممنوع والايثار مايحتاج إلى الصبر عند اعطائه من غير اخلال فى قوته ولا ضرر فادح يلحقه والفضل مالايلحقه منه شيء من ذلك والله تعالى أعلم ثم أشار إلى ورعهم وتحفظهم من الحرام والمتشابه فقال :

وجنبوا طعام أهل الظلم والبغى والفسادخوف الاثم
بل أكلوا ما استبان حله غير الذى لايعرفون أصله

(قلت) أهل الظلم هم ملوك الجور والعمال المضروب على أيديهم وأهل البغى هم السراق والمحاربون وأهل الفساد من يتعامل بالربا وبالمعاملة الفاسدة ولا يتحاشى من الحرام ويحتمل أن يكون أهل البغى والفسادشيئاً واحداً وهم اللصوص ومن يلحق بهم ممن لايتقى الله فى معاملته ولا يتحافظ من الحرام فى مأكله وملبسه وغير ذلك ويدخل فى أهل الظلم قضاة الجور الذين يقبضون الأجرة على مجرد الحكم وكذلك العدول الذين لايتحاشون من أموال المسلمين مهما قدروا عليها عصمنا الله من جميع ذلك (قال)الشيخ زروق رضى الله عنه واما تجنبهم طعام الظلمة ونحوهم فلوجوه (احدها)مافى

وهم المقربون وهم الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده وهم الذين طابت أجسامهم من طيب أرواحهم فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثون مشرقين بأنوار البقاء المجعول فيهم ببقاء الأبد مع الباقى الأحدوهم المخفقون تحت حجاب الأنس المغموسون فى بحار المحبة والقدس فليس لهم مع غير قرار ولا عن أنفسهم أخبار تولى الله شأنهم ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون اه .

(قال) الشطيبي وهذه الأسرار التى انطوت عليها أسرار الأولياء واحجبت عن العامة هى أسرار الملكوت الغيبية التى أشار اليها بقوله (ربما أطلعك غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد) قلت الملكوت مبالغة فى الملك هذا باعتبار اللغة وأما باعتبار اصطلاح الصوفية فالعوالم ثلاثة ملك وملكوت وجبروت فالملك ما يدرك بالحس والوهم والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم والجبروت ما يدرك بالبصيرة والمعرفة وهذه العوالم محلها واحد وهو لوجود الأصلى والفرعى وإنما تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقى فى المعرفة فالوجود عند المحققين من العارفين واحد قسم لطيف غيب لم يدخل عالم التكوين وقسم كثيف دخل عالم التكوين فالأول يسمى عالم الغيب والثانى عالم الشهادة وما كان خفيا فى عالم الغيب ظهر فى عالم الشهادة فمن نظر إلى حس الاشياء الظاهرة سماه ملكا ويسمى أيضا عالم الحكمة وعالم الأشباح ومن نظر إلى أسرار المعانى القائمة بالأوانى وهى أسرار الذات القائمة بأنوار الصفات سماه ملكوتا ومن نظر إلى الأسرار الأزلية التى كانت حال الكنزية التى لم تدخل عالم التكوين سماه جبروتا أو تقول ومن نظر إلى الكثيف الذى دخل التكوين ورآه مشتغلا بنفسه قائما بقدرة الله سمى فى حقه ملكا وهو لأهل الحجاب من أهل الفرق ومن رآه نوراً فائضا من النور اللطيف متصلا به إلا أنه تكثف بالقدرة وتستر بالحكمة سماه ملكوتا وسمى اللطيف الباقى على أصله الذى لم يدخل عالم التكوين الذى هو أول شىء وآخر كل شىء ومحيطا بكل شىء جبروتيا فان ضم الفرع إلى أصله والكثيف إلى اللطيف سمى الجميع جبروتا وهذه المعانى لا يفهمها إلا أهل الأذواق بصحبة أهل الأذواق وحسب من لم يبلغ لهذا المقام التسليم وإلا وقع فى الإنكار على أولياء الله بما لم يحط به علما ولنرجع إلى كلام الشيخ رضى الله عنه فنقول ربما كشف الله عنك الحجاب وترقيت إلى الدخول مع الأحباب فأخرجك من سجن رؤية الأكوان إلى شهود المكون ومن عالم الأشباح

أرضائهم من الموالاة التى لا تحل أى لانهم يفرحون بأكل طعامهم أهل الصلاح والخير مع ما هم عليه من الظلم مالم يخش الضرر الواضح (الثانى) مافيه من تسلطهم على المنتسبين اما بسوء الظن بالجهل لاعتقادهم حرمة ما بأيديهم وان من يأكله لاخلاق له فيستهينون بهذا الشخص بل بكل أهل جنسه بجعله حجة على غيره ممن لا يقدر أن يتوسع توسعه لورع أوضيق حضيرة أى ضيق دائرة معرفته فيقول فلان أكبر منك أكل طعامى وما تكون أنت منه فيؤذى لذلك (الثالثة) ما فيه من إعانتهم على ما هم فيه إذيرون أنفسهم حينئذ انهم من أهل الخير ويقولون لو رأى منا فلان ما يكره ما أكل طعامنا لا سيما إن وجد له وجه فى إباحة ذلك وتجرأ على الله بنسبتها لأهل الله كما يفعل بعض من وهن الإيمان فى قلبه والعياذ بالله (الرابع) مافى ذلك من ميل النفس لهم ومحبتهم وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل لمنافق على يداً فتحبه نفسى (وحكى) أبو نعيم فى حلته أن ابن المبارك دخل على الخليفة فوعظه وذكره فأعطاه مالا فاشترى به عبيداً فأعتقهم فقال له محمد بن واسع فى ذلك فقال له ذكرتهم بالله ووعظتهم وأخذت منهم مال الله وصرفته فى وجهه فقال محمد بن واسع الله قسم قلبك الآن لهم كما كان قال لا فاستغفر رحمة الله على الجميع (الخامس) مافى ذلك من تناول الشبهة من غير ضرورة فقد قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه من كان من فقراء هذا الزمن مؤثراً للسماع أكولا لأموال الظلمة ففيه نزعة

إلى عالم الأرواح فأطلعك على غيب ملكوته فأبصرت الكون كله نوراً فائضاً من بحر الجبروت فألحقته بأصله وفنيت عن شهود الملك الذى هو عالم الفرق بشهود الملكوت الذى هو عالم الجمع الذى قال فيه ابن البناء :

مهما تعديت عن الأجسام أبصرت نور الحق ذا ابتسام

وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد رحمة بك لأنك قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت فلا عبرة عند المحققين بمكاشفة أسرار العباد فقد تكون عقوبة فى حق صاحبها كما يأتى وقد يكون ذلك لمن لا استقامة له أصلا كالكهان والسحرة وغيرهم والغالب أن أهل شهود الملكوت محجبون عن مكاشفة أسرار العباد لاشتغالهم بما هو أعظم وأحظى عند الله وإنما تكون هذه المكاشفات عند العباد الزهاد وأهل الرياضات والمجاهدات ولا تنكر أن تكون عند العارفين فقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف أى مكاشفة أسرار العباد وكشف الحجاب عن الفؤاد إلا أن الغالب هو استغراق الروح فى شهود نور الملكوت دون الاستشراف إلى أسرار العباد التى هى من عالم الملك وقد كان الشيخ أبو يعزى رضى الله عنه يطلع على سرائر الناس ويفضحهم فكتب اليه شيخه أبو شعيب أيوب المعروف بالسارية من أزمور يحذره من ذلك وينهاه عن هتك أستار المسلمين فكتب له الشيخ أبو يعزى يجيبه ليس هذا من قدرة البشر أن يسع أحد معرفة أسرار العباد وإخراج عيوبهم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وإنما هو شىء يلقى إلى ويقال لى قل واسمع الخطاب أنت آية من آيات الله والمراد منك أن يتوب الخلق على يديك فتأخذنى غلبة وتستولى على ملكة لا أقدر معها عن الكف عن القول اه وكان الشيخ أبو عبد الله التاودى يقول ماقطعه الشيخ أبو يعزى فى ستة عشر سنة قطعته أنا فى أربعين يوما ولم يشم لطريقنا هذه غباراً والله تعالى أعلم وكلهم أولياء الله نفعنا الله بذكرهم وليس قصدنا تنقيص أحد منهم وإنما مرادنا أن طريق المكاشفة ليس هى النهاية بل قال بعضهم هى البداية وبالله التوفيق وقد تكون وبالا فى حق المريد كما أبان ذلك بقوله (من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً يجر الوبال اليه) قلت الاطلاع على أسرار العباد قبل التمكين فى الشهود والتخلق بأخلاق الملك المعبود فتنة عظيمة وبلية ومصيبة وذلك لأنه قبل التمكين فى المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه

يهودية قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت اه باختصار (السادس) ما يلحقه بسبب ذلك من الذلة وتغيير الحال كما اتفق لكثير من الناس واتخذه بعضهم أى الكبراء سياسة فاذا رأى فقيراً استظهر عليهم بالقوة وخافوا دعوة أوغيرها واحتالوا عليه حتى يدخل فى أيديهم فلا يمكنه التحرز عليهم وقد كان بعض مشايخ المغرب يقول الفقير لا يمشى بالليل ولا يهرب بالنهار ان رأى مايخاف ولا يأكل طعام الظلمة (قلت) لأن هذه كلها تورث الذل (السابع) ما فى ذلك من فتح باب التشويش باعتقاد الناس أن له عندهم جاهاً فيتوجهون له بطلب الشفاعة وذلك أمر لا يمكنه استيفاؤه وكل ماتعلق به رجل فسلم فى ديانته والله تعالى أعلم وهذا كله مالم تكن ضرورة والمرء فقيه نفسه (وقد) ذكر الشيخ الغورى رحمه الله إن السلطان أبا الحسن صنع طعاماً لجماعة من أهل الخير فى وقته ودعاهم له فكان منهم من أكل ولم يتوقف ومنهم من استظهر بالصوم ومنهم من أخرج خبزه وائتدم بإدام الملك ومنهم من أكل وقلل ومنهم من قال أنا صائم ولكن هاتوا من طعام الملك على وجه التركة فسألهم شيخهم عن ذلك فقال الأول طعام مستهلك ترتيب القيمة فى ذمة مستهلكه هاتوا التصرف فيه وقد مكننى منه عن طيب نفسه فبأى وجه اتركه (وقال) الثانى تجنبت حال الشبهة بجميع وجهه (وقال) الثالث عملت على القول بإباحة الغلة للغاصب (وقال) الرابع هو مال مجهول الأرباب يجب فيه التصرف بالقيمة فكنت تأخذ وتقدر

ويتشوش خاطره ولبه فيفتره عن الشهود ويفتنه عن الرسوخ فى معرفة الملك الودود وأيضاً ما دامت النفس حية ولم يقع الفناء عنها قد يعتقد بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر والعجب وهما أصل المعاصى فكان اطلاعه حينئذ على أسرار العباد سبباً فى جر هذا الوبال أى العقوبة إليه وهو التكبر على الناس واعتقاد المزية عليهم وهو سبب البعد عن الله بخلاف ما إذا تمكن فى معرفة الحق وتخلق بأخلاقه وتحقق بمعانى صفاته وأسمائه فانه يكون على خلق الرحمن فاذا اطلع على معاصى العباد ومساويهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم وقد قال عليه السلام الخلق عيال الله وأقربكم إلى الله أرحمكم بعياله وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من فى السماء (وفى الإشارات) عن الله سبحانه عبدى ان استخلفتك شققت لك من الرحمانية شقا فكنت أرحم من المرء بنفسه (وروى) أن ابراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم ومايفعلون فقال يارب دمر عليهم فقال له الله تعالى أنا أرحم بعبادى منك ياإبراهيم فلعلهم يتوبون ويرجعون وفى بعض التفاسير أنه كان يعرض كل ليلة إلى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودى كف عن عبادى رويدا رويدا فانى طالما رأيتهم عاصين (وفى رواية) أخرى فأوحى الله إليه ياإبراهيم أين رحمتك للخلق أنا أرحم بعبادى منك اماأن يتوبون فأتوب عليهم وإما أن أخرج من أصلابهم من يسبحنى ويقدسنى وإما أن يبعثوا فى مشيئتى فاعفوا وأعاقب ياإبراهيم كفر ذنبك فى دعوتك بدم قربان فنحر إبلا فنودى فى الليلة الثانية كفر ذنبك بدم فذبح بقراً فقيل له فى الثالثة فذبح غنما فقيل فى الرابعة كذلك فقرب من الانعام إلى الله ما بقى عنده فقيل له فى الخامسة فقال يارب لم يبق لى شىء فقيل له إنما تكفر ذنبك بذبح ولدك لأنك دعوت على العصاة فهلكوا فلما شمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس إلى فسمع هاتفاً يقول أما تذكر الليلة التى سألت اهلاك عبادى أوماتعلم أنى رحيم بعبادى كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتنى اهلاك عبادى سألتك ذبح ولدك واحداً بواحد والبادى أظلم ولما كان الاطلاع

أى ليقومه بعد (وقال) الخامس طعام مستحق للمساكين قدرت على استخلاص بعضه فاستخلصت ماقدرت عليه وخرجت به لاربابه فما ذكر عنه أنه غسل مزودة ما تعلق من الادام وشق عليه اخراج ما تعلق به من الزعفران فأرسلها مع النهر (و) من هذا النوع ما ذكر أن ابن عباد رحمه الله أعطاه السلطان كسوة وأعطى الشيخ الركراكى كسوة وأعلمهما انه انما عملها من الجزية ونحوها فقبلها ابن عباد وردها الركراكى رضى الله عنهما فقيل لبعض أهل الوقت ممن له بصيرة فى ذلك فقال الورع مستحب بإجماع وجبر قلب الملك واجب بإجماع وأنتم ترون من وافق الصواب المتعلق بالواجب أو بالمستحب هذا ماوقع له فى الأمر الظاهر ولما بعث له أى لابن عباد بدواء ممسك يساوى مالا لعلة كانت به صبه فى المرحاض ولم ينتفع به فاعرف هذه الجملة حقها فالرد آفات كالأخذ آفات كما لا يخفى والورع من ورعه الله وإنما يورعه إذا علم صدقه فى ورعه اهـ كلام الشيخ زروق :

(قلت) وقد اضطرب العلماء فى هدايا الملوك وأجازتهم فمنهم من قبلها ومنهم من ردها وقد ذكر الغزالى فى الاحياء جماعة من قبلها ومن ردها فانظره ان شئت (وقوله) بل أكلوا ما استبان حله الخ يعنى أن القوم لا يأكلون إلا ما ظهر حله وتحققت اباحته ولا يأكلون ما لا يعرفون أصله هل هو حلال أو حرام ولعل ذلك مع قيام الريبة والشك والله تعالى أعلم وقد استوفى الغزالى فى الاحياء الكلام على الحلال والحرام فعليك به ثم ذكر الناظم بعض آداب الأكل فقال

على أسرار العباد قد يدرك بكثرة الطاعات والاجتهاد فقد تقصد النفس بالطاعة هذا الحظ الدنى، وهو مرض خفى نبه عليه الشيخ بقوله (حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى ومداواة ما خفى صعب علاجه) قلت حظ النفس فى المعصية هى متعة البشرية الظاهرة كلذة الأكل والشرب والنكاح وسماع اللهو وغير ذلك مما هو أذواق الحس التى هى محرمة وحظها فى الطاعة هى طلب الكرامات وخوارق العادات والاطلاع على المغيبات وكحب الخصوصية والمنزلة عند الناس ومداواة هذا المرض الخفى أصعب من مداواة الأول الجلى لأن مداواة المرض الحسى الخفى أصعب من مداواة الجلى فكذلك المعنوى الباطنى ما كان جلياً متعلقا بالنفس أصعب مما كان خفياً متعلقاً بالروح فالأول يمكن دواؤه بالعزلة والفرار من مواطن الأشرار وبصحبة الأخيار وبكثرة الطاعة والاذكار بخلاف الثانى فلا تزيده الطاعة إلا كثرة وقوة إذ بها صارت تطلب حظها فلا يداويها من هذا إلا خوف مزعج أو شوق مقلق أو ولى عارف محقق بصحبه بالمحبة والتصديق قال بعضهم من عسرت عليه نفسه فليسلمها إلى شيخ التربية قال تعالى (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) وان عسرت عليكم أنفسكم فسترضع له نفسه نفس أخرى حتى يكمل أوان فطامها فإن لم يكن واحد من هذه مات وهو سقيم ولم يلق الله بقلب سليم فالواجب على العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه فاذا استحلت النفس شيئاً من الطاعات وألفته أخرجها إلى غيرها ولو كانت مفضولة فى ظاهر أمرها وسيأتى للشيخ إذا التبس عليك أمران انظر أثقلهما على النفس فانه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا قال أبو محمد المرتعش حججت كذا وكذا حجة عن التجريد فبان لى أن جميع ذلك كان مشوباً وذلك أن والدتى سألتنى يوما أن أسق لها جرة ماء فثقل ذلك على فعلمت أن مطاوعة نفسى فى الحج كانت لحظ وشوب اذ لو كانت نفسى فانية لم يصعب عليها ماهو حق فى الشرع وقال الشيخ أحمد ابن أرقم رضى الله عنه حدثتنى نفسى بالخروج إلى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول (ان النفس لأمارة بالسوء) وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت تريد لقاء الناس فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم فقلت لها لا أسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فأسأت ظنى بها وقلت الله أصدق قولا فقلت لها أقاتل العدو حاسرا بالرأى من غير وقاية فتكونى أول

ولم يكونوا كرهوا الكلام عليه لكن كرهوا الارغام

(قلت) الكلام على الطعام حسن لأن السكوت عليه يدل على الشره والنهمة ويستحب أن يكون بعلم أو بحكايات الصالحين ويكون الكلام بعد بلع الطعام لافى حال مضغه لأنه ربما يخرج شىء من فمه فيسقط فى الطعام فيقذره على غيره فلا يتكلم الآكل مادام الطعام فى فيه وقد ذكر عن بعض المشايخ انه استحب أن يسمى عند كل لقمة ويحمده عند ابتلاعها قال ابن الحاج وهذا أمر حسن لكن السنة لم ترد به وهى أحسن من كل ما سواها فلم يكن القوم يكرهون الكلام فى حال الطعام لكن كانوا يكرهون الارغام أى التحتم على الإخوان فى الأكل لما فى ذلك من التكلف المنهى عنه بل الأدب فى ذلك تركه يفعل ما يشاء وقد يكون قولك له كل سببا فى رفع يده حياء فالواجب على صاحب الطعام أن يدفع الطعام ويقرب لهم الماء ويغيب عنهم فهو فى غاية الظرافة والله تعالى أعلم ثم ذكر وقت الأكل فقال:

ويكرهون الأكل مرتين فى اليوم والمرة فى اليومين

(قلت) انما كرهوا الأكل فى اليوم مرتين لما فيه من تقوية شهوة الطعام وقد تقدم أنهم لا يأكلون الا عن فاقة وقد قيل لسهل رضى الله عنه أكلة فى اليوم قال أكلة الصالحين قيل أكلتان قال أكلة المؤمنين قيل فثلاثة قال يا هذا مر

قيل فأجابت ثم عد أشياء كلها أجابت لها فقلت يارب نبهني بها فاني لها متهم ولقولك مصدق فألهمت كأنها تقول أنك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك إياي ومنع شهواتي ولايشعر بي أحد فان قاتلت وقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقولوا أستشهد أحمد فيكون شرفا وذكراً في الناس لى فقعدت ولم أخرج ذلك العام اه وقال الجنيد رضى الله عنه ضاقت على نفسى ليلة حتى لم أطق الصبر فخرجت ذاهبا على وجهى فانتهيت إلى رجل مطروح فى المقابر مغطى الرأس فلما أحس بي قال أبو القاسم قلت نعم قال متى يصير داء النفس دواؤها فقلت اذا خالفت هواها صار داؤها دواؤها فقال لنفسه اسمعى فقد أجبتك بهذا مرارا وأنت تقولى حتى أسمع ذلك من الجنيد قال الجنيد فانصرفت وما عرفته اه ثم فسر الشيخ ذلك الدواء الذى يكون خفيا فى الطاعة ببعض جزئياته وهو أعظمها فقال (ربما دخل الرياء عليك حيث لاينظر الخلق اليك) قلت الرياء هو طلب المنزلة عند الناس وقصد ذلك بعمل صالح سواء كان ذلك العمل ظاهرا للناس وهو الغالب أو خفياً عنهم وقد يكون الرياء فى العمل الخفى فيدخل الرياء عليك حيث لاينظر أحد اليك وهذا أصعب من الاول لأنه أخفى من دبيب النمل كما فى الحديث وكان بعض العارفين يقول اجتهدت فى إزالة الرياء من قلبى بكل حيلة فما أزلته من جهة حتى نبت من أخرى من حيث لاأظنه وقال بعضهم من أعظم الرياء من رأى العطاء والمنع والضرر والنفع من الخلق وقال بعضهم أقسام الرياء ثلاثة كلها علة فى الدين (الأول) وهو أعظمها أن يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل (الثانى) أن يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس (الثالث) أن يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه عند العارفين رياء وعند عامة المسلمين أخلاص وقد قيل فى قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) هو السالم من الرياء ظاهرا وباطنا بحيث لايريد عامله حظا دنيويا ولا أخرويا وللمرائى علامات لاتخفى منها نشاطه فى الجلوة وكسله فى الخلوة وأتقان العمل حيث يراه الناس وتشاهله حيث لايراه إلا الله ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحد فى حقه الذى يستحقه عند نفسه أستبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره وإهانته وإهانة غيره من أقرابه حتى ربما يظهر بعض سخفاء

أهلك يبنوا لك معلاقا (و) المراد باليوم بياض النهار ومن الفجر إلى الغروب والغالب أن الأكل فيه مرتين يثقل الأعضاء ويبطىء الهضم ويفسد الطعام فى المعدة وفيه قال ابن سينا عفا الله عنه .

توقى إذا ماشئت إدخال مطعم ... على مطعم من قبل فعل الهواضم
فكل طعام يعجز السن مضغه ... فلا تبتلعه فهو شر المطاعم
واجعل طعامك كل يوم مرة ... واحذر طعاماً قبل هضم طاعم

وقال آخر

ثلاثة هى أسباب المنايا ... وداعية الجسوم إلى الحمام
نكاح يستدام وكثرة نوم ... وإدخال الطعام على الطعام

ويفهم من كلام الناظم أن الممدوح هو الأكل مرة فى اليوم يعنى مرة فى النهار ومرة فى الليل وهو الوسط وأن الاكل مرة فى اليومين تفريط كما ان الثلاثة فى اليوم افراط (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وهذا حكم من أعتدل مزاجه أو قارب فأما من انحرف إلى حد الافراط أو التفريط فلا ينبغى أن يهمل حكمه بل يعمل بما يصلحه من غير إخلال ولا بعد للحق فان الشبع المفرط الذى يفسد المعدة ويضيع الطعام من غير احتياج محرم والذى يثقل الاعضاء ولايفسد شيئا مكروه

العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر فى حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة وان الله تعالى لايدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ ثارهم فان وجد الفقير هذه الأمارات فى نفسه فليعلم أنه مرائى بعمله وان أخفاه أعين الناس :

(وقد) روى عن على كرم الله تعالى وجهه أن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا ترخص عليكم الأسعار ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج (وفى) الحديث الآخر لاأجر لكم قد أستوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه أن رجلا من العباد قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا فى أمرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على أهل الأموال فى أموالهم أن أحدنا إذا لقى أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تعطى له لمكان دينه وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ماهذا قيل له الملك قد أظلك فقال للغلام أئتنى بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجرة فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قالوا له كيف أنت قال كالناس (وفى) حديث آخر بخير فقال الملك ماعند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرفك عنى وأنت لى ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم من الأشرار كما روى عن الفضيل رضى الله عنه أنه قال من أراد أن ينظر إلى مرائى فلينظر إلى هذا وسمع مالك بن دينار امرأة تقول له يامرائى فقال ياهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة إلى غير هذا مما روى عنهم فى هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الجلى والخفى إلا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجو منهم حصول منفعة ولم يخافوا منهم وجود مضرة بأعمال هؤلاء خالصة وإن عملوها بين أظهر الناس ومن لم يحظ بهذا شاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وإن عبد الله تعالى فى قنة جبل بالنون أى أعلاه قاله الشيخ ابن عباد رضى الله عنه اه الخ (ومنها) أى ومن علامة الرياء الخفية أيضاً استشراف العبد وتطلعه أن يعلم الناس بخصوصيته كما أشار اليه بقوله (استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك) قلت إذا خصك الحق تعالى

على خلاف فيه والأولى بالشخص ألا يأكل حتى يجوع جوعا متوسطاً وهو الذى يشتهى مايقوم به أوده أى قوامه من معتاد طعامه ولا يفرط إلى أن يشتهى كل خبز فانه مضر بالفكرة مخل بالقوة ولا يفرط بحيث يأكل بالتشهى وهو طلب الطعام مقروناً بالشهوة ثم ذكر استحباب الاجتماع على الطعام فقال

وفضلوا الجمع على الافراد فيه لأجل كثرة الأياد

(قلت) إنما فضلوا الاجتماع على الانفراد فى الأكل لثلاثة أوجه (أحدها) مافى ذلك من التماس البركة الحسية والمعنوية أما الحسية فلقوله عليه الصلاة والسلام اجتمعوا على الطعام يبارك لكم فيه وأما المعنوية فلقوله عليه السلام من أكل مع مغفور غفر له وبقدر ماتكثر الجماعة تعظم البركة لأن مع كل إنسان ملكين أو أكثر فيكثر حضور الملائكة بقدر مايحضر من الناس (و) كان الجنيد رضى الله عنه يقول المؤاكلة مراضعة فانظروا من تؤاكلوه (و) ثانيها مافى ذلك من العفة والقناعة وعدم الحرص والشره لأن أكل الإنسان وحده يدل على نذالته وبخله فى النذالة وحرصه بهمته والنذالة باللام بعد الدال هى الرذالة والخساسة وبخله أو حرصه ونهمته وفى الحديث شر الناس من أكل وحده وضرب عبده ومنع رفده إلا لضرورة شرعية أو دعاية (وثالثها) مافى ذلك من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان عليه السلام

أيها الفقير بخصوصية من خصوصية خواصه كزهد أو ورع أو توكل أو رضى أو تسليم أو محبة أو يقين فى القلب أو معرفة أو أظهر على يديك كرامة حسية أو معنوية أو استخرجت فكرتك حكما أو مواهب كسبية أو لدنية ثم استشرفت أى تطلعت وتمنيت أن يعلم الخلق بخصوصيتك بأن يطلعوا تلك الخصوصية التى خصك الله بها فذلك دليل على وجود الرياء الخفى فى باطنك ودليل على عدم صدقك فى عبوديتك بل أنت كاذب فيها إذ لو كنت صادقاً فى عبوديتك لا كتفيت بعلم الله وقنعت بمراقبة إياك واستغنيت به عن رؤية غيره فالواجب على الفقير إذا خصه الله بخصوصية كتمها وجحدها وسترها إلا عن شيخه فان أظهرها فهو على خطر فقد يكون تحدثاً وقد يكون تبجحاً وفى الكتمان السلامة وقد تقدم قول الشيخ من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً كل ماعلم فاستدل على وجود جهله وفى هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

احفر لسرك ودك فى الأرض سبعين قاما وخل الخلائق يشكوا إلى يوم القياما

وكان بعض إخواننا إذا سئل ما أدركتم وما ذقتم فى هذا الطريق يقول البرد والجوع فكان شيخ شيخنا يعجبه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الإخلاص ومازالت أشياخنا وأشياخهم يستعملون الخراب فى ظواهرهم صوناً لما فى بواطنهم ولأجل هذا فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين درجة ضعفاً كما فى الحديث وقال سيدنا عيسى عليه السلام إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه فإذا خرج إلى الناس رأوا أنه لم يصم وإذا أعطى أحد فليعط بيمينه ويخفيها عن شماله وإذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق (وقال) الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه كل من لم يقنع فى أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة (وقال) بعضهم ماأخلص عبد قط إلا أحب أن يكون فى حب لايعرف ولهذا كان إسقاط المنزلة شرطاً فى هذا الطريق فإن تحقق العبد بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية جازله الاخبار بالوحدانية بأعماله والإظهار لمحاسن أحواله بناء على نفى الغير وأداء الواجب من الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول

لا يأكل طعاماً إلا على ضعف أعنى كثرة الأيدى وكان سيدنا إبراهيم الخليل اتخذقبة ينظر منها مد بصره من كل ناحية لأجل الضيفان وربما كان يمشى الاميال فى طلب من يأكل معه وقوله لأجل كثرة الأيادى يصدق بالأوجه الثلاثة والأيادى جمع أيد وأيد جمع يد فهو جمع الجمع والله تعالى أعلم ثم ذكر آداباً أخر فقال :

ولم يلقم بعضهم لبعض ولم يجل بصره بل يغض

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن الصوفية لم يكن من عادتهم أن يلقم بعضهم لبعض ويحمل ذلك إذا كان على وجه الانبساط والملاعبة لما فيه من قلة الاحتشام والتوقير أو يحمل ذلك على تلقيم الخادم إذا أتاهم بالطعام وهو نص قول السلمى وكره أكثرهم تلقيم من يخدمهم مما بين أيديهم لا سيما إذا كان ضعيفاً فانه لايجوز له التصرف فيما تقدم اليه فقال بعضهم يملكه بالاحضار بين يديه وقال بعضهم بالتناول وقال بعضهم بالوضع فى الفم وقال بعضهم باستيفاء الأكل وقال الجنيد رضى الله عنه تنزل الرحمة على الفقراء عند الطعام فإنهم لا يأكلون إلا بالإيثار انتهى كلام السلمى فجعل التلقيم المكروه إنما هو للخادم لكن قول الناظم بعضهم لبعض ظاهر فى تلقيم الفقراء فيحمل على ماتقدم من الانبساط وأما إذا كان على وجه التبرك بمن ترجى بركته فلا بأس وللمتأخرين من المشايخ فيه أسانيد وطرق وقد يستدل له بحديث المرأة التى سألت رسول الله

ويحكم وهل رأيتم من يرائي بفعل غيره (والحاصل) من فني عن نفسه وتحقق بشهود ربه فلا كلام عليه وقد قالوا من أحب الخفا فهو عبد الخفا ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن لم يرد غير ما أراد الله به فهو عبد الله حقاً ثم علمك الشيخ الدواء فى ترك الاستشراف الى الخلق وهو الاكتفاء بنظر الحق فقال : (غيب نظرا الخلق اليك بنظر الله وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك) قلت الخلق فى التحقيق عدم والوجود انما هو الله الواحد الأحد فوجود السوى كالهباء فى الهواء أو كظلال الأشخاص ان فتشته لم تجده شيئاً فغيب عنك أيها الفقير نظر الخلق اليك اكتفاء بنظر الحق اليك اذ لا نظر لسواه وغب عن اقبالهم عليك بالتعظيم والتكريم بشهود اقبال الملك الكريم فغب عن الوهم بثبوت العلم فإقبالك على الخلق ادبارك عن الحق وادبارك عن الخلق اقبالك على الحق ولا يجتمعان (وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم فى وصيته لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الاقلام وطويت الصحف وقال الشيخ أبو الحسن أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس مع نفع غيرى لها ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسي (و) قال فى لطائف المنن اعلم أن مبنى الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهوده قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال أو يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فسبيل أمرك فى بدايتهم الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بتحقيق الفناء وردوا الى وجود البقاء فهناك ان شاء الحق أظهرهم هادين اليه عباده وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء اليه الخ كلامه .

(وقال) سهل بن عبد الله لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى الدارين الا هو وخالقه فإن أحداً لا يقدر أن يضره ولا ينفعه وتسقط نفسه عن قلبه فلا يبالى بأى حال يرونه اه ولله در القائل :

صلى الله عليه وسلم أن يناولها مما يأكل فناولها من بين يديه فقالت لا أريد الا من الذى فى فيك فناولها وكانت قليلة الحياء فصارت بعد من أشد الناس حياء الحديث وقد جرى العمل بهذا بشرط اذا طلب ذلك من الشيخ أو ممن ترجى بركته ولا يكلف به من لا يطالبه وأشار أيضاً الى أن الصوفية اذا كانوا فى حالة الاكل لا يجيلون بصرهم أى لا يعدونها الى من يأكل معهم بل يغضون أبصارهم وينظرون أمامهم لما فى اجالة البصر من أخجالهم وقلة المروءة معهم فان هيئة الانسان فى حالة الاكل بشعة لا سيما اذا كان كبير السن وقد كان بعضهم ترك أكل الطعام الذى يحتاج للمضغ حياء من الله أن يراه على تلك الهيئة (وقال) بعضهم استتروا بادخاله كما تستترون باخراجه فالواجب من جهة الادب ألا ينظر أحد الى الآكلين ولا يقف على رؤسهم بماء ولا غيره بل يضعه ويذهب عنهم خلاف ما يفعله أرباب الدنيا فى الولايم وغيرها والخير كله فى الاتباع والشر كله فى الابتداع (و) كان مالك رضى الله عنه كثيراً ما ينشد هذا البيت :

وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع

والله تعالى أعلم ثم أشار الى أدب آخر وهو عدم انتظار الغائب اذا حضر الطعام فقال :

ولم يروا فيــــه بالانتظار فيذهب الوقت بلا تذكار

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب
وليت شرابى من ودادك صافياً ... وشربى من ماء المعين سراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذى فوق التراب تراب

واعلم أن رضى الخلق غاية لاتدرك وانظر قضية لقمان مع ابنه وهى مشهورة يتبين لك أن رضى الخلق محال أو متعذر وأجهل الناس من طلب مالا يدرك (وقال) بعضهم مالى وللناس كنت فى بطن امى وحدى وخرجت إلى الدنيا وحدى ونموت وحدى وندخل قبرى وحدى ونسئل وحدى ونبعث من قبرى وحدى ونحاسب وحدى فان دخلت الجنة دخلت وحدى وإن دخلت النار دخلت وحدى ففى هذه المواطن لاينفعنى أحد فمالى وللناس اه (وقيل) أن الولى الصادق لاقدر له عند الخلق ولاقدر للخلق عنده فكلما عظم أمره عند الله خفى أمره عند الناس ثم أنه لاتتحقق الغيبة عن نظر الخلق بنظر الحق إلا بمعرفة الحق عند كل شىء وشهوده فى كل شىء كما أبان ذلك بقوله من (عرف الحق شهده فى كل شىء ومن فنى به غاب عن كل شىء ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً) قلت معرفة الحق هى شهود ربوبيته فى مظاهر عبوديته أو تقول هى الغيبة عن الغيرية بشهود الأحدية أو تقول هى الترقى من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح فيكون جسمك مع الأشباح وروحك مع الأرواح قال فى المباحث :

واستشعروا شيئاً سوى الأبدان ... يدعونه بالعالم الروحانى
ثم أقام العالم المعقـــول ... معارف تلغز بالمنقول

والفناء هو أن تبدو لك العظمة فتنسيك كل شىء تغيبك عن كل شىء سوى الواحد الذى ليس كمثله شىء وليس معه شىء أو تقول هو شهود حق بلا خلق كما أن البقاء هو شهود خلق بحق والمحبة أخذ الحق قلب من أحب من عباده فلا يكون له عن نفسه أخبار ولامع غير محبوبه قرار وقيل غير ذلك فمن عرف الحق شهده فى كل شىء ولم ير معه شيئاً لنفوذ

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن مذهب الصوفية إذا حضر الطعام بادروا اليه بالأكل ولم يكن رأيهم فيه بالانتظار لمن كان غائباً منهم بل يعزلون حقه ويأكلون الباقى وذلك لما فى ذلك من التكلف للغائب وإهانة الطعام بابتذاله أى إهماله وشغل بال الجائع منهم به ولا سيما وهم يأكلون إلا عن احتياج ولأن الحاضر مقدم حقه على الغائب (قال) أبوعبدالرحمن السلمى رضى الله عنه ويكره الانتظار عند حضور الطعام (وقد) قيل قلوب الأحرار لاتحمل الانتظار ويكره تفويت الوقت بالاشتغال بالأكل حتى حكى عن بعضهم أنه كان يفطر على حسوة يحسوها ويقول الوقت أعز من أن يشغل بالأكل اه (قلت) وإلى هذا الأخير أشار بقوله فيذهب الوقت بلا تذكار ولعله مرتب على محذوف تقديره ولا يطلبون الجلوس عليها فيذهب الوقت بلا ذكر كما رتبه السلمى والناظم فى هذا الباب مانظم إلا ماذكره السلمى حرفا غير أنه قدم وأخر وفيه تنبيه على ماكان عليه السلف من الجد والاجتهاد ومحافظتهم على أوقاتهم وساعاتهم (وقال) الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت أقواما كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لايخرج أحدكم دينارا ولادرهما إلا فيما يعود عليه نفعه فكذلك لايحبون أن يخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم نفعه (وقال) السرى السقطى خرجت يوما من بغداد أريد الرباط بعبادان أن أصوم رجب وشعبان فاتفق فى طريقى على الجرجانى وكان من الزهاد الكبار فدنا وقت

بصيرته من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح ومن شهود عالم الملك إلى شهود فضاء الملكوت ومن فنى به وانجذب إلى حضرته غاب فى شهود نوره عن كل شىء ولم يثبت مع الله شيئاً والفرق بين الفانى والعارف أن العارف يثبت الأشياء بالله والفانى لا يثبت شيئاً سوى الله (العارف) يقرر القدرة والحكمة والفانى لا يرى القدرة (العارف) يرى الحق فى الخلق كقول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه والفانى لا يرى إلا الحق يقول ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله (العارف) فى مقام البقاء والفانى مجذوب فى مقام الفناء (الفانى) سائر والعارف متمكن واصل ومن أحب الله لم يؤثر عليه شيئاً من حظوظه وهوى نفسه ولو كان فيه حتف أنفه كما قال القائل :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها ۝ بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ ۝ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

والكلام فى المحبة طويل ذكر الشيخ فى لطائف المنن منه جملة صالحة وكلام الشيخ رضى الله عنه من باب التدلى فالمعرفة أعلى المقامات وقبلها الفناء وقبل للفناء المحبة أى أولها فأول ما يقذف الله فى قلب عبده الذى يريد أن يصطفيه لحضرته ويعرفه به محبته فلا يزال يلهج بذكره ويتعب جوارحه فى خدمته ويتعطش إلى معرفته فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الحق فاذا أحبه أفناه عن نفسه وغيبه عن حسه فكان سمعه وبصره ويده وجملته ثم رده إليه وأبقاه به فعرفه فى كل شىء ورآه قائماً بكل شىء ظاهراً فى كل شىء والله تعالى أعلم ولهذا الذى ذكره الشيخ علامات تدل على تحقيق تلك المقامات فمن وجدها فى نفسه كانت دعواه لتلك المقامات أو بعضها صحيحة ومن لم يجدها فى نفسه كانت دعواه لها كاذبة وفضيحة فليعرف قدره ولا يتعد طوره وبالله التوفيق ولما كانت المعرفة تقتضى ظهور الحق فى كل شىء حتى تراه ظاهراً فى كل شىء بين وجه احتجابه وخفائه فقال (انما حجب الحق عنك شدة قربه منك انما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظيم نوره) قلت ذكر فى حكمة خفائه تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم الحكمة الأولى شدة القرب ولا شك أن شدة القرب توجب الخفاء كسواد العين من الانسان فان الانسان لا يدرك سواد عينيه لشدة قربه منه والله تعالى أقرب إليك من كل شىء

افطارى وكان معى ملح مدقوق وأقراص فقال ملحك مدقوق ومعك ألوان من الطعام ان تفلح ولن تدخل سنن المحبين فنظرت إلى مزود كان معه فيه سويق الشعير فسف منه فقلت مادعاك إلى هذا فقال انى حسبت ما بين المضغ والسف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وفى الخبر ما من ساعة تأتى على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة أنظر تنبيه ابن عباد فقد أطال فيه ثم نهى عن كثرة الأكل فقال :

وكرهوا البطنة للإخوان ۝ فالبطن كالوعاء للشيطان

(قلت) البطنة بكسر الباء هى امتلاء البطن من الطعام فأخبر رحمه الله أن الصوفية كرهوا البطنة للإخوان وهى الشبع أو الزائد فوقه الى حد لا يضر وإلا حرم وأشار بهذا إلى قول سيدنا عمر رضى الله عنه إياكم والبطنة فانها تذهب الفطنة وتبطىء بالجوارح عن الطاعة وأشار بقوله فالبطن كالوعاء للشيطان إلى قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع فالبطن إذا امتلأ كثر دم البدن فتتسع مجاريه للشيطان فيسلط عليه الكسل والثقل وسوء الخواطر والوساوس فيكون جسمه كالوعاء للشيطان يحشو فيه ماشاء (وقد) قال لقمان لابنه يابنى إذ امتلأ البطن نامت الفطنة وخرست الحكمة (وعن) ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت

قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) فشدة قربه منك موجب لاضمحلالك (قال) فى لطائف المنن فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذى فيه المسك انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين :

كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسئل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

الحكمة الثانية فى خفائه تعالى شدة ظهوره ولا شك أن شدة الظهور موجب للخفاء كما قال صاحب الهمزية ومن شدة الظهور الخفاء ، وقد مثلوا ذلك بقرص الشمس حين يعظم شعاعه ويتقوى إشراقه فإن الأبصار الضعيفة لا تقوى على مشاهدته مع شدة ظهوره فصار شدة الظهور موجباً للخفاء كما قال الشاعر :

وما احتجبت إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

فاحتجب عن الأبصار الضعيفة بلا حجاب (الحكمة الثالثة) شدة نوره ولا شك أن شدة النور موجب لعدم الإدراك فإن البصر لا يقاوم النور الباهر (وفى حديث مسلم) فى قصة الاسراء قلنا يارسول الله هل رأيت ربك قال نورانى أراه بلفظ الاستفهام أى غلبنى النور كيف أراه وفى رواية رأيت نوراً فيحمل على أنه أول مرة رأى نوراً ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة وانظر أيضاً البرق الخاطف فإن البصر لا يليق رؤيته وأنشدوا :

بالنور يظهر ماترى من صورة ... وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصير من الورى
فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد ... شيئاً سواه على الذوات مصورا
وإذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لا تزال معثرا

السماء من ملأ بطنه (وقيل) يارسول الله من أفضل الناس قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما ستر به عورته (وقال) صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا فى انصاف بطونكم فإنه جزء من النبوة (وقال) صلى الله عليه وسلم لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء (وفى) حديث آخر أن الله يباهى الملائكة بمن قل طعامه فى الدنيا فيقول انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب فى الدنيا فتركهما اشهدوا ياملائكتى مامن أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجة فى الجنة اه (وقد) ذكر فى كتاب الاحياء للجوع عشر فوائد (الأولى) صفاء القلب وانفاذ القريحة ونفوذ البصيرة فإن الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ كشبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيشتغل القلب بسببه عن الجريان فى الأفكار (الثانية) رقة القلب وصفاؤه الذى يتهيأ به لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب لا يلتذ به حتى كأن بينه وبين الذكر حجاب من قساوة القلب قال أبو سليمان أحلى ما تكون العبادة إذا لصق ظهرى ببطنى (وقال) الجنيد رضى الله عنه يجعل أحدكم بينه وبين الله مخلاتاً من طعام ويريد أن يحصل حلاوة المناجاة (الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشىء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع وتقف على عجزها وذلها (الرابعة) الاينسى بلاء

وهذا النور الذى تكلم فيه ليس هو حسياً وإنما هو ما يبدو من معانى الصفات والأسماء التى تخرج من ظلمة الجهل إلى معرفة أسمائه وصفاته قاله الشيخ زروق (قلت) هوالنور الأصلى الذى فاض من بحر الجبروت إلا أنه تستر بالحكمة والعزة والقهرية سئل أبو القاسم النصرباذى عن قولهم:

ويظهر فى الهوى عز الموالى فيلزمنى له ذل العبيد

فقال عز الموالى الستر لأنه لو انهتك الحجاب لفطر الألباب (هذا آخر الباب السابع عشر) وحاصلها ثلاثة أمور (الأول) تلازم الدلالة على أولياء الله للدلالة على الله بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر فى الغالب (الثانى) تفسير أسرار الولاية وهى الاطلاع على أسرار غيب الملكوت دون اشتراط الاطلاع على أسرار العباد لأن ذلك قد يكون فتنة فى حقه وسبباً فى عقوبته إذا لم يتمكن من معرفته مع ما فيه من حظ النفس فربما تقصده بطاعتها فيكون رياء فى حقها وهو من الأمراض الباطنية التى يصعب علاجها كالاستشراف إلى اطلاع الناس على خصوصيته ودواؤه الغيبة عنهم والاكتفاء بنظر الله عن نظر غيره (الأمر الثالث) علامة وجود هذه الأسرار فى العارف وهى شهود الحق فى كل شىء وفناؤه عن كل شىء وإيثار محبته على كل شىء فان قلت كيف يشهده وهو غيب قلت بل هو ظاهر فى كل شىء وإنما حجبه شدة قربه وشدة ظهوره وعظيم نوره وإذا علمت أنه قريب وانه أقرب اليك من روحك وقلبك اكتفيت بنظره واستغنيت بعلمه عن طلبه فان كان ولا بد من الدعاء فليكن عبودية ومناجاة وتملقاً لا سبباً للعطاء كما أبان ذلك فى أول الباب الثامن عشر بقوله وقال رضى الله عنه (لا يكن طلبك سبباً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية) قلت قد تقدم فى أول الكتاب أن الطلب كله معلول عند ذوى الألباب فان كان ولا بد من الطلب فليكن اظهاراً للعبودية وقياما بحقوق الربوبية فلا يكن طلبك من الحق سببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه لأن الفهم عن الله يقتضى الاكتفاء بعلمه والاستغناء بمعرفته فلا يحتاج إلى شىء ولا يتوقف على شىء ماذا فقد من وجدك فلا يكن محط نظره إلا ما يبرز من عنصر القدرة ولا يشتهى إلا ما يقضيه عليه مولاه قيل لبعضهم ماذا تشتهى قال ما يقضى الله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله

الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاد فان الشبعان ينسى الجائعين (قيل) ليوسف عليه السلام مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أنسى الجائع والعبد الفاضل لا يشاهد بلاء إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر بجوعه جوع أهل النار وبعطشه عطش يوم القيامة (الخامسة) كسر شهوة المعاصى والاستيلاء على النفس فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادتهما من الأطعمة والأغذية فتقليلهما يقمع كل شهوة وقوة (السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك قال بعض المشايخ معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً وترقدوا كثيراً فتخسروا كثيرا وفى كثرة النوم تضييع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب الذى هو أنفس الجواهر ورأس مال العبد (السابعة) تيسر المواظبة على العباد فان الأكل يمنع من كثرة العبادة لأنه لابد يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج الى علاجه ثم يكثر تردده إلى بيت الخلاء والأوقات المصروفة إلى هذه لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لعظم ربحه وكثر خيره ومما يتعذر مع كثرة الأكل دوام الوضوء وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لهراقة الماء وغيره ويتعذر أيضا مع كثرة الأكل عبادة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع دون غيره (الثامنة) صحة البدن ودفع الأمراض فان سبب الأمراض كثرة الأكل وحصول فضلة الاختلاط فى المعدة ثم ان المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب

عنه لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجاتك ومن مناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين وقال بعضهم فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء قيل ان سيدنا موسى عليه السلام قال يارب أطعمني فانى جائع فأوحى الله إليه قد علمت ذلك قال يا رب أطعمنى قال له حتى أريد وهذا مقام أهل النهايات وأما أهل البدايات فيرخص لهم فى طلب الحاجات وفى كثرة الدعاء والتضرعات فالدعاء فى حقهم واجب أو مندوب وفيهم ورد الترغيب فى الدعاء والإلحاح فيه قال تعالى (أدعونى أستجب لكم) وقال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وورد فى بعض الأخبار أن الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام سلنى حتى ملح عجينك تشريعا للضعفاء لأن الأنبياء عليهم السلام بعثوا معلمين للضعفاء والأقوياء وينبغى أن يتأدب فى الدعاء فلا يدعو بممنوع شرعا ولا ممتنع عقلا ويكون بتلطف وانكسار وظهور فاقة واضطرار لا بانبساط وادلال فإن ذلك مقام الرجال أهل المكانة والكمال ومن ذلك قول الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير وليس من الكرم ألا تحسن إلا لمن أحسن إليك الخ وذكر فى قوت القلوب أن بنى إسرائيل قحطوا سبع سنين فخرج سيدنا موسى عليه السلام بسبعين ألفا من بنى إسرائيل ليستسقى لهم فأوحى الله إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة فدعونى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع إليهم فإن عبدا من عبادى يقال له برخ قل له يخرج حتى أستجيب له فسألهم عنه موسى فلا يعرفه أحد فبينما موسى عليه السلام يمشى فى طريق فاذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من السجود وقد عقد شملة على عاتقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال برخ فقال له منذ حين وأنا أطلبك أخرج فاستسق لنا فخرج فكان من خطابه لربه فى دعائه ومناجاته ما هذا من فعالك وما هو من حكمك وما بذلك عرفت أنقصت عليك عيون مائك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ماعندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خطأ الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطية فتكون لما تأمر من المخالفين أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما زال حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله العشب فى نصف يوم حتى بلغ الراكب قال فخرج برخ فاستقبله موسى عليه السلام وقال له ما هذا الخطاب الذى خاطبت به الحق فأوحى الله إليه دعه

ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأصل كل داء البرودة (وفى رواية) البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وسمع بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الأكل أحسن منه وانه لكلام حكيم (وقال) ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتاً بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع (و) فى الخبر المشهور صوموا تصحوا (التاسعة) خفة المؤنة قال فمن تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما يأخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل الرديئة فيكتسب الحرام فيعصى أو الحلال فيذل وربما يمد عينه إلى الطمع فى الخلق وهو غاية الذل والمهانة والمؤمن ضعيف المؤنة لا يذل نفسه فى شهوة بطنه (العاشرة) التمكن من الإيثار والتصدق فيعود بالفضلة على المساكين ويكون يوم القيامة فى ظل صدقته كما ورد فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فامضى أو أكل فأفنى ولبس فأبلى فالتصدق بفضلة الطعام أولى من التخمة والشبع .

(قال) الحسن لقد ادركنا أقواما كان الرجل منهم يمشى وعنده من الطعام مايكفيه ولو شاء لأكله كله فيقول والله لا أجعله

فإن دعائه يضحكني فانظر هذه الحكاية كيف وقعت هذه على بساط المباسطة التي لايفهمها إلا أهل المكانة والتمكين وحسب من لم يبلغ مقامات الرجال الأدب والهيبة مع رب العالمين ثم بين وجه ما ذكره من كون الدعاء انمايكون عبودية لاسيا في العطاء فقال (كيف يكون طلبك اللاحق سبباً في عطائه السابق جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل) قلت العطاء السابق هو ماتعلق به علمه القديم قبل أن تظهر تجليات الأكوان ولاشك أن الله سبحانه قدر في الأزل ما كان وما يكون إلى أبد الأبد فقدقسم الأرزاق الحسية والمعنوية وقدر الآجال قال تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (كل شيء عنده بمقدار) وقال (ولكل أمة أجل فاذاجاء أجلهم لايستأخرون ساعة) وقال (ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره إلا في كتاب) وقال تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاباً مؤجلا فاذا علمت أيها الإنسان أن القضاء والقدر قد سبق برزقك وأجلك وأنه قد سبقت قسمتك وجودك فاذا تطلب وإذا طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سبباً في عطائه السابق إذ سبق منه العطاء قبل أن يكون منك الطلب جل أي عظم وتعالى حكم الأزل القديم أن يضاف إلى العلل والأسباب الحادثة إذ محال أن يتقدم الحادث على القديم لاوجوداً ولاحكما (قال) ذوالنون المصري رضي الله عنه التوحيد أن يعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولاعلة لصنعه وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله وكل ما يخطر ببالك فالله مخالف لذلك اهـ قوله وعلة كل شيء الضمير في صنعه يعود على الحق تعالى أي وعلة كل شيء صنع الحق له يعني أن سبب وجود الأشياء وظهورها هو صنع الحق لها وصنع الحق لا علة له و (قال) بعضهم ليس في الامكان أبدع مما كان أي باعتبار العلم والمشيئة لا باعتبار القدرة فالمراد بما كان القدر والقضاء السابق فما كونته القدرة وأظهرته لايمكن أن يكون أبدع منه من حيث تعلق القديم فلا يمكن تخلفه وان كان العقل يجوز أن يخلق الله تعالى أبدع منه والقدرة صالحة ولكن لما سبق به العلم ونفذ به القضاء لم يكن أبدع منه أو تقول ليس في عالم الامكان أبدع مما كان فما ظهر في عالم الامكان وهو عالم الشهادة إلا ما كان في عالم الغيب من المعاني القديمة ولم يظهر أبدع منه ولن يظهر أبداً فافهم فالكلام صحيح على هذا الوجه والله تعالى أعلم ومما يدلك على أن طلبك ليس

كله في بطن حتى أجعل بعضه لله تعالى فهذه عشر فوائد للجوع وتنبعث من كل واحدة قواعد لاتنحصر انتهى كلام الغزالي باختصار وقد تقدم تقييد الجوع بغير المفسد للفكرة أو المهلك للبشرية والله تعالى أعلم ثم ذكر أدباً وهو ألا يرفع يده قبل الناس إذا كان يقتدى به فقال (قالوا ولايمسك يداً ماداموا في الأكل وليقم متى ماقاموا) قلت من آداب الأكل مع الجماعة ألا يمسك يده قبلهم حتى يعلم أن القوم أخذوا حاجتهم من الطعام وهذا إذا كان كبيراً يقتدى به أو رب المنزل.

(وفي بعض) الآثار إن لم تأكل فأكل فإن رفع اليد قبل الجماعة يخجلهم ويمنعهم من الاسترسال في الأكل وقد يكون معهم من هو في الحاجة فيمنعه من الأكل فيتضرر بسببه ولهذا قالوا من الأدب الجهر بالتسمية والأسرار بالحمدلة لأن الجهر بها يخجل من معه فيرفع يده قبل قضاء حاجته من الطعام (و) من آدابهم أيضاً لايجلس إذا قام القوم عن الطعام بل يقوم معهم لأن جلوسه يدل على ندالته أي استباطنه وهجنته وإن كان محتاجا إلا في محل لايدركه شيء من ذلك (قال) السلمي رضي الله عنه وإذاكان مع جماعة فلا يمسك عن الأكل مادامو يأكلون لاسيا إذا كان متقدمهم (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذاأكل مع جماعة كان آخرهم أكلا اهـ ولم يذكر السلمي ما ذكر الناظم بقوله وليقم متى ما قاموا لكنه ظاهر (قال) الشيخ زروق رضي الله عنه وينبغي أن يراعى في كل موقف ما يليق

سيأ فى عطائه لك وجود عنايته بك قبل ظهورك الذى أشار اليه بقوله (عنايته فيك لا لشىء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك الامحض الافضال ووجود النوال) قلت مما تواترت به الأخبار والنقول ووافق المنقول المعقول إن ما شاء الله يكون ومالم يشاء بنالم يكن ومشيئته تعالى قديمة لأنها عين ارادته على وفق علمه وعلمه قديم فكل ما يبرز فى عالم الشهادة فانما هو ماقدره الحق فى عالم الغيب جفت الاقلام وطويت الصحف قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها) أى نظهرها فلا سعادة ولا شقاء الا وقد سبق بهما القدر والقضاء السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه وقد تقدم قوله ما من نفس تبديه الاوله قدر فيك يمضيه فاذا علمت ذلك أيها الانسان اكتفيت بعلمه السابق عن طلبك اللاحق وبقى طلبك عبودية وأدباً مع الربوبية والافعنايتك فيك سابقة على وجودك لا لشىء منك تستحق به عنايته وأين كنت حين واجهتك عنايته فى أزله حين سبقت لك منه العناية وكتبك فى جملة أهل الرعاية والهداية ثم لما استنطقت يوم الميثاق أقررت بربوبيته وأين كنت حين قابلتك رعايته وحفظه وأنت فى ظلمة الاحشاء حين أجرى عليك رزقه من عرق الدم وحفظك فى ذلك المستودع حتى اشتدت أعضاؤك وقويت أركانك فأخرجك الى رفقه وما يسر لك من رزقه لم يكن فى أزله حين واجهتك عنايته ولا فى مستودعك فى الرحم حين قابلتك رعايته اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تستحق بهما وجود النوال بل لم يكن فى ذلك الوقت الامحض الافضال وعظيم النوال (قال) الواسطى رضى الله عنه أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بمعاملات وقال الشاعر

فلا عمل منى اليه اكتسبته ... سوى محض فضل لا بشىء يعلل

(وقال آخر)

وكنت قديماً أطلب الوصل منهم ... فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
علمت بأن العبد لا طلب له ... فان قربوا فضل وان بعدوا عدل
وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم ... وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

به فطعام الفقراء يأخذ منه قدر حاجته سواء قلت أو كثرت (قلت) والمراد بالفقراء الاخوان ثم قال وطعام المتفضلة أى الاجنبيون المتفضلون به يأخذ منه مقدار لا يخل بمروءته ولا يقدح عندهم فى ديانته لانه ان قلل قالوا امرأ متصنع وان كثر قالوا انهم متوسع ومن رآ فى أكله فقد ستر نفسه كذا قال بعض المشايخ لمن رآه يأكل أكلا عنيفاً فنهاه فقال كل من راءا فى أكله فقد راء فى دينه وطعام العامة من المحبين والمنتسبين يأخذ منه على قدر شاهدا الحال (وقد) كان حمدون القصار اذا دعى أصحابه الى وليمة أشبعهم قبل الاجابة ليتنا ولو بالعز (وكان) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يفعل ذلك ويغديهم عنده بأطيب الطعام (ومن) آدابهم السخاء والايثار والتوسط فى تناوله كما أبان ذلك بقوله

وأمروا فيه بفتح الباب ... وأكلوا بالقصد والآداب
وفتحوا الباب لكل سار ... وأكلوا بالرفق والايثار

(قلت) ذكر من آداب القوم فى الاكل خمسة أمور (أحدها) فتح باب المنزل الذى يأكلون فيه ليدخل عليهم كل من يحتاج الى الاكل وفيه دلالة على كرمهم وغنى قلوبهم لانهم لايدفعون من يأتيهم بل يقابلونه ويفرحون به وربما رأواله المنة عليهم فى أكله معهم بل يعتقدون انه هدية من الله اليهم لا سيما ان كان من اخوانهم أو من ذوى الحاجة

(وقال آخر)

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى بنفائس الأموال والأرباح
وظننت جهلا أن حبك هين تفنى عليه كرائم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتختص من تختاره بلطائف الامناح
فعلمت أنك لا تنال بحيلة فلويت رأسى تحت طي جناحي
وجعلت فى عش الغرام إقامتى فيه غدوى دائما ورواحى

ولهذا لم يلتفت العارف لخوف ولا رجاء ولم يبق له فى نفس غير وجه الله حاجة فتحصل أن الولاية وهى سر العناية لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب لكن من سبقت له العناية يسر لما أريد منه قيل لذى النون بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى اه وقيل لعلى كرم الله وجهه هل عرفت الله بمحمد أو عرفت محمدا بالله قال لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان محمد أوثق فى من الله ولكن الله عرفنى بنفسه فعرفت محمدا صلى الله عليه وسلم بالله وهنا انتهت معرفة العارفين أعنى حين تحققوا بسابق القدر غابوا عن أنفسهم فى وجود معروفهم فاستراحوا واستظلوا فى ظل الرضى والتسليم وهب عليهم من جنات المعارف نسيم لكن اختلفت أحوالهم فى حال نهايتهم الماء واحد والزهر ألوان (فنهم) من يغلب عليه الهيبة والحياء قال بعضهم من ازدادت معرفته ازدادت هيبته له ومن كان بالله أعرف كان له أخوف وفيهم قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (ومنهم) من يغلب عليه الشوق والاشتياق قال بعضهم من عرف الله اتسم بالبقاء واشتاق إلى اللقاء وضاقت عليه الدنيا بحذافيرها وقال السرى أجل مقام العارف الشوق يقول الله تبارك وتعالى ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبونى وأشتاق إليهم ويشتاقون إلى وأذكرهم ويذكرونى وأنظر إليهم وينظرونى إلى من سلك طريقهم أحببته ومن عدل عنهم مقته قيل يا ربنا وما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا إلى بإنعامى فمن

لقوله عليه الصلاة والسلام السائل على باب أحدكم هدية من الله تعالى أو كما قال (وكان) الشيخ الغورى رحمه الله يقول رأيت لبعض العلماء أنه قال يجب على الإنسان إذا وقف السائل وهو يأكل أن يناوله (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فقلت له يجب قال نعم مثل الصلاة قال فاستغربته وسألت عنه جماعة بالمشرق والمغرب فلم أجده عند أحد واستدل له بأن عائشة رضى الله عنها أعطته حبة عنب وذكرت حديث ردوا السائل ولو بشق تمرة قال وفى الاستدلال على الوجوب نظر (قلت) انما يظهر الوجوب إذا كان مضطراً أو حاملا (ثانيها) الأكل بالقصد من غير افراط ولا تفريط فلا يزيد على الشبع المعتاد بل يقصر عنه ولا يقلل جدا حتى يختل بدنه وخير الأمور أوسطها وكذلك لا يكبر اللقمة جدا ولا يصغرها جدا والوسط مطلوب فى كل شيء (و) قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية وقال (الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (وقال) عليه السلام ما عال من اقتصد إلى غير ذلك من الأخبار (ثالثها) الأكل بالآداب وهى كثيرة فنها ما تطلب فى أوله وهى التسمية جهرا (و) نية التقوى على الطاعة (و) الاعتبار فى تيسيره بعد أن عمل فيه عوالم كثيرة وغسل اليدان كان مستقذرا وإلا فلا ولا كل على السفرة دون الخوان المرتفع (و) الجلوس على إحدى رجليه وهى اليسرى ورفع الأخرى وإلصاقها ببطنه (و) التشمير عند الاكل قاله السلمى (و) منها ما تطلب بعد

صارخ وباك ومن متأوه وشاك ومن قائم وقاعد، ومن راكع وساجد،بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حبي،أول ما أعطيهم ثلاثاً أقذف فى قلوبهم من نورى فتخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهن من موازينهم لا ستقللتها لهم والثالثة أقبل عليهم بوجهى أترى من أقبلت عليه بوجهى يعلم أحد ما أريد أن أعطيه اه.

وقال إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه غيبنى الشوق يوماً فقلت يارب ان أعطيت أحداً من المحبين ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد أضر بى القلق فرأيت فى النوم كأنه أوقفنى بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت منى أن تسالنى أن أعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائى وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت فلم أدر ما أقول فاغفر لى وعلمنى ما أقول فقال قل اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك (ومنهم) من تغلب عليه السكينة فى القلب لأن العلم واليقين يوجبان السكون والطمأنينة فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته قال تعالى(ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (ومنهم) من يغلب عليه الدهش والحيرة قال بعضهم أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه وفى الحديث اللهم زدنى فيك تحيراً (ومنهم) من يغلب عليه التواضع والخضوع والذل والانكسار قال الجنيد العارف كالأرض يطأها البار والفاجر وكالسحاب يظل الأحمر والأبيض وكالمطر يسقى الماشى والراشى (ومنهم) من تتسع معرفته ويخوض بحار التوحيد فلا يكدره شيء ولا يسلط عليه شيء بل يأخذ النصيب من كل شيء ولا يأخذ من نصيبه شيء يأنس بكل شيء ولا يستوحش من شيء قال أبو تراب العارف به يصفو كدر كل شيء ولا يكدره شيء اه وقال أبو سليمان الدارانى ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا تفتح له وهو قائم يصلى وقال بعضهم العارف من أنس يذكر الله حتى استوحش من خلقه وافتقر الى الله تبارك وتعالى فأغناه عن خلقه وذل الى الله تبارك وتعالى فأعزه الله فى خلقه (وفى) زابور داوود عليه السلام يا داوود بلغ أهل رضائى أنى حبيب لمن أحبنى وجليسى لمن جالسنى وأنيس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى بعزتى حلفت ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبله لنفسى وأحببته أشدما احبنى ومن طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا اهل الأرض ما انتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى

الشروع فيه وهى الأكل بثلاثة اصابع بحيث يتأتى ذلك (وقال) السلمى وليس من الظرافة ان يغمس يده فى الطعام بحيث يتلطخ به اه (و) الأكل مما يليه (و) تصغير اللقمة (و) تجويد المضغ (و) ترك النظرة إلى لقمة صاحبه (و) ترك لعق الاصابع قبل تمامه ثم يرده فى القصفة (و) ترك الانحناء على الطعام لئلا يسقط من فيه شيء فيقذره على غيره (و) ترك نفض اليد مما يفضل من لقمة فى القصعة فإن ذلك يقذر على الآكلين وهذا كثيراً ما يفعله من لا معرفة له بالادب فليتحرز الفقير منه جهده فإن التصوف كله آداب كما يأتى إن شاء الله (و) ترك مسح يده فى جوانب القصعه (و) ترك الأكل من وسط القصعة (وقد) قال صلى الله عليه وسلم كلوا من حواليها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة فى وسطها (و) الأكل باليد إلا ما كان مائعاً او خفيفاً (وكره) بعضهم الأكل بهذه المعالق إلا لضرورة (ومنها) ما تطلب بعد اتمام وهى الحمد سراً ولعق الاصابع لقوله عليه السلام ان احدكم لا يدرى فى أى طعامة البركة ثم مسحها ثم غسلها (وقد) رمز بعضهم لهذا الترتيب بلفظ (لمغ) فاللام للعق والميم للمسح والغين للغسل (ومنها لقط ما سقط من الطعام يقال انه مهر الحور (و) بقى من الآداب التى تطلب عند الاكل بالىمين بدلا من اليسار إلا أن يكون فى هذه طعام وفى هذه ادام كما وقع لسيدنا على كرم الله وجهه إذ كان فى احدى يديه خبز وفى أخرى شواء وعدم القران فى اتمر مثلا إلا أن يكون مع قوم

وبجالستى وأنسوا بذكرى أؤنسكم بى وأسرعوا إلى محبتى أسرع إلى محبتكم فإنى خلقت طينة أحبتى من طينة إبراهيم خليلى وموسى كليمى وعيسى روحى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى وجمالى اه ولما كان الاعتماد على السابقة يقتضى ترك العمل بين سر ذلك بقوله (علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماداً على الازل فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين) قلت لما أخبر الله سبحانه فى كتبه على ألسنة رسله ان المدار انما هو على السابقة فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية تشوق الخلق كلهم إلى ظهور سر هذه العناية فكل واحد يظن أنه من أهلها فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر إنما هو للبعض دون البعض فقال يختص برحمته من يشاء فأسندها إلى مشيئته دون مشيئتهم فعلموا أن ذلك إنما هو للبعض دون الكل لأن كل واحد يطمع أنه من ذلك البعض فربما يتركون العمل ويعتمدون على سابق الازل فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر له علامات تدل على من هو من أهله ومختص به فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين فالرحمة هنا هى العناية السابقة وهى قريبة من المحسنين الذين أحسنوا عبادة ربهم وأحسنوا إلى عباد ربهم فتحصل أن سر العناية انما تظهر على المحسنين المتقنين لأعمالهم المخلصين فى عبودية ربهم فمن استند إلى الحكم السابق وترك العمل فهو مغرور أو مطرود لابطاله الحكمة ومن استند إلى العمل دون النظر للقدرة والمشيئة السابقة فهو جاهل بعيد عن الحضرة غافل ومن جمع بينهما فهو محقق كامل وسر العناية إليه إن شاء الله واصل .

(قال) أبو عثمان المغربى رضى الله عنه قلوب العارفين فارغة لمفاجأة المقدور وقال بعضهم ليس كل من طلب نال ولا كل من نال وصل ولا كل من وصل أدرك ولا كل من أدرك وجد ولا كل من وجد سعد وكم من واحد حرم من المنى بمنى وكم من واحد أدرك من القربات غرفات ومن أيد بالتوفيق وصل فى لحظة العين إلى عين القبول كما حكى عن بعض الصالحين أنه رأى فى منامه إبليس اللعين ضج بالصياح والعويل فاجتمع عليه جنوده وقالوا مالك فقال لهم كنت اطمع فى فلان منذ سنين فإذا به قد استوى ظاهره وباطنه وسره وعلانيته فلم أجد إليه سبيلا تحلى بالصدق فامتنع منى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اه ثم بين ما تقدم من حكم المشيئة فقال) إلى المشيئة يستند كل شىء وليست تستند

أطعمهم وعدم جولان يده إلا أن يكون مع أهله وولده وحيث يباح له الجولان (و) آداب الاكل كثيرة ذكر منها فى المدخل نبذة صالحة (و) رابعها الاكل بالرفق وهو التأنى فى الاكل بحيث يصغر اللقمة ولا يرفع أخرى حتى يبتلع ما فى فيه ويجيد المضغ ويلوك طعامه إلى أن ينعمه مضغاً ولا يظهر الشره والحرص بل يظهر القناعة والغنى عنه (وخامسها) الاكل بالايثار وهو أن يؤثر غيره على نفسه إن كان الطعام قليلا أو كان فيه ما يشتهى فيقدمه لغيره كلحم جيد أو غيره والايثار ما تمس الحاجة إليه دون ضرر لاحق فى الحال والمآل وقد مدح الله أهل الايثار بقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان) بهم خصاصة (وقال) بعضهم الزهد عندنا إذا وجدنا آثرنا وإذا فقدنا شكرنا (و) قوله وفتحوا الباب الخ لما كان الأمر لا يلتزم الفعل ذكر أولا الأمر ثم صرح بالفعل أو يحمل الأول على الباب الخارجة والثانى على الباب الداخلة إن كان للمنزل بابان والله أعلم ، تتمة (قال) أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه قال بعض مشايخ الصوفية واجب على المضيف ثلاثة أشياء وعلى الضيف ثلاثة أشياء (فأما) على المضيف بأن يطعمه من الحلال ويحفظ عليه مواقيت الصلاة ولا يحبس عنه ما قدر عليه من الطعام (وعلى) الضيف أن يجلس حيث يجلسه وأن يرضى بما قدم إليه ولا يخرج إلا بعد استئذان (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من السنة أن يشيع الضيف إلى باب الدار (قلت) وإن زاد فهو خير (و) يذكر أن سيدنا إبراهيم

هى إلى شىء) قلت المشيئة والارادة شىء واحد واليهما تستندالأشياء كلها قال تعالى (وماتشاؤن إلا أن يشاء الله ولو شاء ربك مافعلوه) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سبق المشيئة لكل شىء وأما هى فلا تستند إلى شىء ولا تتوقف على شىء فلا تتوقف على سؤال ولا على طاب فما شاء الله كان من غير سبب ولا سؤال وما لم يشاء ربنا لم يكن قرب من شاء بلاعمل وبعد من شاء بلا سبب لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فقاعدة التحقيق ما ثم الا سابقة التوفيق قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه (أن الله) لايقرب فقيراً لأجل فقره ولايبعد غنيا لأجل غناه وليس للاعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يقطع ولو بذات الدنيا والآخرة ما أوصلك اليه بها ولو أخذتها كلها ما قطعك بها قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء من غير علة كما قال ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور فانظر إلى المشيئة حقيقة والنظر إلى السبب شرعة (أوتقول) النظر إلى المشيئة قدرة والنظر إلى الأسباب حكمة ولا بدمن الجمع بينهمافالحقيقةمعينة والشريعة مبينة الشريعة حكمة والحقيقة قدرة والحقيقة حاكمة على الشريعة فى الباطن والشريعة حاكمة على الحقيقةفى الظاهر وليس حكم القدرة بأولى من وصف الحكمة فى محله ولا بالعكس (قال)الشطيبى واعلم أن الناس أربعة ناظر فى السوابق لعلمه بأن الحكم الأزلى لايتغير باكتساب العبدو ناظر فى العواقب لعلمه بأن الأعمال بخواتمها وناظر للوقت لايشتغل بالسوابق ولا بالعواقب غير أداء ماكلف به من حكم الوقت عالم بان العارف ابن وقته لايهتم بماض ولا مستقبل ولا يرى غير الوقت الذى فيه ونظر لله وحده لعلمه بأن الماضى والمستقبل والحال متقلبون فى قبضته متصرفون فى حكمه والأوقات كلها قابلة للتغير وتبديل الحال فلا يراها وإنما يراقب من كل شىء بيده وقد أراد بعضهم الخروج من بين يدى بعض المشايخ فقال له الشيخ أين تريد فقال ياسيدى لئلا أشغلك عن وقتك فقال له ليس عند الله وقت ولا مقت إنما نرى رب الوقت لا الوقت ومن تمكنت فيه حالة الشهود غاب بالموجد عن الوجود وتحسبهم أيقاظا وهم رقود (حكى) أن رجلا قال لابى يزيد أين أبو يزيد فقال له ليس هنا أبو يزيد (وقال) رجل للشبلى أين الشبلى قال مات لا رحمه الله إنما عنى الشبلى لارده الله لاحساسه عن مشاهدته لربه ورأى أبو يزيد رجلا فى المسجد يسئل عنه فقال له وأنا أطلبه منذ سنين فظن أنه مجنون فلما أعلم أنه هو قال

الخليل كان يشيع الضعف مسيرة ميل أو أكثر والله تعالى أعلم ثم أشار إلى الحكم الخامس من الأحكام التسعه فقال (والخامس مايلزمهم من الآداب عند الاجتماع) وحاصل هذا الحكم الحض على الآداب ومواطنه وكيفيته فقال موطئاً للكلام عليه .

وللطريق ظاهر وباطن تعرف منه صحة البواطن

(قلت) المراد للطريق هو طريق السلوك إلى ملك الملوك وهى طريق الصوفية ولها ظاهر وباطن فظاهرها مايتعلق بإصلاح الجوارح الظاهرة وباطنها مايتعلق بإصلاح العوالم الباطنية(و) أخبر أن استقامة الظواهر دليل تعرف منه استقامة البواطن وعبر عن الإستقامة بالصحة فصحة الظاهر عنوان صحة البواطن (قال) ابن عطاء الله فى الحكم حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقيق بمقامات الأنزال (و) قال أيضا ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر الا أن ماتعلق بإصلاح الظواهر يسمى شريعة وماتعلق باصلاح البواطن يسمى طريقة ثم حقيقة ثم بين ما يختص بالظاهر وما يختص بالباطن فقال :

ظاهر الآداب والأخلاق مع كل خلاق ماله خلاق
باطنه منازل الأحوال مع المقامات لذى الجلال

له ياسيدى عليك أسئل ولك أطلب فقال له أبو يزيد الذى تطلب قد ذهب فى الذاهبين فى الله بالله لله فلا رده الله (هذا) آخر الباب الثامن عشر وحاصلها آداب السؤال والطلب وأنه ينبغى أن يكون عبودية لاسيأفى العطاءإذقد سبقت قسمتك فى الأول قبل أن يكون منك طلب فعنايته سابقة يختص برحمته من يشاءلكن الحكمة تقتضى وجود العمل فوجود العمل أمارة على خصوصية الأزل مع توقف ذلك على المشيئة لأنها يستند اليها كل شىء ولا تستند هى لشىء فلزم السكون والادب حتى فى ترك الطلب كما بين ذلك فى أول الباب التاسع عشر بقوله قال رضى الله عنه (ربما دلهم الادب على ترك الطلب .

قلت الظاهر أن رب هنا للتكثير لأن الغالب على العارفين وأهل الفناء السكوت والسكون تحت مجارى الأقدار فصدور الطلب منهم قليل لأن العارف فان عن نفسه غائب عن حسه ليس له عن نفسه أخبار ولامع غير الله قرار فلا يتصور منه سؤال ولا فوات مأمول من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين الأشياء تشتاق اليه وهو غنى عنها اشتاقت الجنة إلى عمار وصهيب وبلال كما فى الحديث والحاصل أن العبد مادام غائباً عن نفسه فان فى شهود ربه منقطعاً عن حسه لايتصور منه طلب أصلا اذ الطلب يقتضى وجود الاثنينية والغرض أنه غريق فى بحر الوحدة فطلبه حينئذسوء أدب فى حقه فان رد إلى الشعور بنفسه وهو مقام البقاء قد يتصور منه السؤال على وجه العبودية لاعلى وجه الاقتضاء والطلب كما تقدم ثم بين مستندهم فى ترك الطلب فقال (اعتماداً على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته) قلت أما الاعتماد على القسمة الازلية فقد تقدم الكلام عليها فى الحكمة قبل هذه وأما الاشتغال الذكرى عن المسئلة فقد تقدم قريباً فى الحديث من شغله ذكرى عن مسئلتى .

(وقال) الواسطى رضى الله عنه ماجرى لك فى الأول خير من معارضة الوقت يعنى باطلب للحظ وقال القشيرى اذ وجد فى قلبه إشارة إلى الدعاء دعا كما اذا وجد نشاطا أو انبساطا للدعاء فالدعاء أولى وإذا وجد فى قلبه قبضأفالسكوت أولى وقال بعضهم ماسألت الله تعالى بلسانى شيئاً منذ خمسين سنة ولا أريد أن أدعو ولا أن يدعى لى اه وذلك لأن الله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر بل هو عليم بخفيات أمورك فيأتيك منها ما قسم لك كما بين ذلك بقوله (إنما يذكر من يجوز عليه الاغفال) وقد قال تعالى (وما الله بغافل عما تعملون أليس الله بكاف عبده) ولايحتاج الى تنبيه

(قلت) لما أخبر أن الطريق لها ظاهر وهو مايظهر على الجوارح من الآداب المرضية والأخلاق السنية والأعمال الزكيه ولها باطن وهو ما يكمن فى القلوب من الواردات الألهية والأحوال الربانية والمقومات اليقينية والعلوم اللدنيـة والأسرار القدسية عين هنا ما يختص به الظاهر ومايختص به الباطن فاخبر أن ظاهر الطريق الآداب وحقيقة عند الصوفية حفظ الحواس وضبط الأنفاس أى الأوقات والحق أنه تهذيب الجوارح وتصريفها فى أنوع المصالح (قال) السلمى رضى الله عنه وعلى كل جارحة آداب تختص به قال الله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (وقال) بعض المشايخ حسن الأدب مع الله تعالى لا تتحرك جارحة من جوارحك فى غير رضى الله عز وجل فأدب اللسان أن يكون رطباً بذكر الله وبذكر الاخوان بخير والدعاء لهم وبذل النصيحة والوعظ ولايكلمهم بما يكرهون ولايغتب ولاينم يعنى يمشى بالنميمة ولا يشتم ولا يخوض فيما لايعنيه وإذا كان فى جماعة تكلم معهم ماداموا يتكلمون فيما يعنيهم فاذا أخذوا فيما لا يعنيهم تركهم وأمسك ويتكلم فى كل مكان بما يوافق فى الحال فقد قيل لكل مقام مقال (وقيل) خلق الله اللسان ترجمانا للعاقل ومفتاحا للخير والشر (و) قيل إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك والزم الصمت فانه ستر للجاهل وزين للقلب (قال) صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على وجوههم أومناخرهم الاحصائد ألسنتهم (و) آداب السمع ألاتسمع الفحش

لأنه لايهملك فيما هو من قسمتك كما بينه بقوله : (وإنما ينبه من يجوز عليه الاهمال) والحق تعالى لايجوز عليه الاهمال لكمال قدرته وإحاطة علمه ولكن حكمته اقتضت ارتباط الأسباب والعلل وتقديم الأشياء وتأخيرها قال تعالى(وكل شىء عنده بمقدار) فمن كمل يقينه اكتفى بتدبير الحق عن تدبيره واستغنى بعلم الله عن استعجاله ورضى بتصريف الحق فيما يفعل فيكون إبراهيمياً حنيفياً ولاشك أن من كان على ملة إبراهيم عليه السلام اقتدى به وقد كان بين السماء والأرض حين رمى به فاستغنى بعلم الله عن سؤاله فكانت حالة سيدنا إبراهيم عليه السلام فى ذلك الوقت الاستغراق فى الحقيقة فلما رد للشرائع دعا فقال : (رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين) وكذلك الأنبياء عليهم السلام أكثروا من الدعاء للتشريع والتعليم واظهار الفاقات التى هى مراسم وأعياد كما أبان ذلك بقوله (ورود الفاقات أعياد المريدين)قلت الأعياد جمع عيد وهو مايعود على الناس بالأفراح والمسرة فالعلوم فرحهم ومسرتهم بالحظوظ والعوائد الجسمانية والخواص فرحهم بإقبال الملك عليهم ووجود قلوبهم وصفاء وقتهم من كدرات الأغيار والغالب أن هذه المعانى إنما توجد عند الفاقة والحيرة والاضطرار حيث ينقطع حظ النفس فيها لأن النفس كما ضيقت عليها رحلت إلى عالم الملكوت وفى ذلك العالم راحتها وفرحها ومسرتها قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وهما جنتان معجلة ومؤجلة فلأجل هذا آثرت الصوفية الفقر على الغناء والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة لما يحصل لهم بذلك من الرقة والحلاوة وكلما ازدادوا فاقة زادهم الله قربا وولاء وكان بعضهم يطوف حول الكعبة ويقول

مؤتزر بشملتى كما ترى ... وصبية باكية كما تروى
وامرأتى عريانة كما ترى ... يامن يرى الذى بنا ولا يرى
أما ترى ما حل أما ترى

فسمه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عنى لو كان معى شىء لما أمكننى أن أقول هذا القول وقال أبو إسحق الهروى رضى الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعاً على سبع فان الصالحين اختاروها حتى

والخنا والغيبة والنميمة والمناكر وأنشدوا :

أحب الفتى ينفى المناكر سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا

يل يسمع الذكر والوعظ والحكمة وما يعود عليه بالفائدة دينا ودنيا ويحسن الاصغاء الى مكلميه ومخاطبيه ملتذا بذلك (و) آداب البصر الغض عن المحارم وعن عيوب الاخوان وعن المنكرات والمحرمات فإن الله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور (و) قيل من طاوع طرفه تابع حتفه أى موته وفى رواية من أرسل طرفه مات حتفه وأنشدوا :

وأنك مهما ترسل الطرف رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
ترى ما الذى لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ثم قال السلمى وقيل من غض طرفه تم ظرفه وقيل من كثرت لحظاته دامت حسراته ويكون نظره بالاعتبار والاستدلال على قدرة الله تعالى وعظمته وجميل صنعه عارياً عن حظوظ النفس الامارة بالسوء (حكى) عن بعضهم أنه قال نظرت إلى شخص نظرة شر فرأيت فى المنام قائلا يقول لى الدنيا دارى والخلائق فيها عبيدى وإمائى فمن نظر إلى واحد منهم بغير حق فقد خاننى فانتبهت وآليت ألا أنظر إلى شخص بعد ذلك إلا على حد الأمانة (وحكى) عن أبى يعقوب النهرجورى

بلغوا سنام الخير اختاروا الفقر على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة اه وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليتحرز من الغنى حذراً أن يدخله فيفسد عليه فقره كما يتحرز الغنى من الفقر حذرا أن يفسد عليه غناه وأنشدوا فى أعياد العارفين .

قالوا غدا العيدماذا أنت لابسه | فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما | قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلق الحبيب به | يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى | والعيد ما كنت امرءاً لى ومستمعا

(وقال آخر)

قالت هذا العيد بالبشرى فقلت لها | والعيد والبشرى عندى يوم لقياك
الله يعلم أن الناس قد فرحوا | فيه وما فرحتى إلا برؤياك

ثم بين وجه كون الفاقة عيدا فقال (ربما وجدت من المزيد فى الفاقات ما لاتجده فى الصوم والصلاة الفاقات بسط المواهب ان أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء والمساكين قلت إنما كان الانسان يجد فى الفاقة من المزيد مالا يجده فى الصوم والصلاة لأن الفاقة من أعمال القلوب والصوم والصلاة من أعمال الجوارح والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح الفاقات قوت الروح والصوم والصلاة قوت القلب والروح محل المشاهدة والقلب محل المراقبة وما بينهما معلوم قال بعضهم اعلم أن المدد الذى هو الفتح الربانى إنما يقع فى القلوب الفارغة من العوائق والشواغل وقد يوجد العبد كثير الصلاة والصيام وباب قلبه مسدود لاشتغاله بأمور دنياه وهم الأكثر من الناس وقد يوجد العبد قليل الصوم والصلاة وباب قلبه مفتوح للعلوم الدينية والتنزلات الفهمية وهم الأقلون من الناس وكل العبادات يدخلها الرياء إلا الخمول لكونه لاحظ للنفس فيه اهوفى بعض الاخبار يقول الله تبارك وتعالى لعبده سبكتك بالفاقة لتكون ذهبا الحديث قال فى التنوير اعلم أن فى البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه

أنه قال رأيت فى الطواف إنساناً يفرد دعين وهو يقول أعوذ بك منك فقلت ماهذا الدعاء فقال اعلم أنى مجاور منذ خمسين سنة فرأيت يوماً شخصاً استحسنته فاذا لطمه وقعت على عينى فسالت على خدى فقلت آه فقيل لى لحظة بلطمة ولو زدت لزدناك (و) قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه إياك أن تتبع النظر فان الأولى لك والثانية عليك وآداب القلب مراعاة الأحوال السنية المحمودة فى الخواطر الرضية المذمومة والتفكر فى آلاء الله ونعمائه وعجائب خلقه قال الله تعالى (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض) الآية (و) قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة (قلت) وفى رواية خير من عبادة سبعين سنة فيحمل الأول على تفكر أهل الدليل والثانى على تفكر أهل الشهود ومن آداب القلب حسن الظن بالله وبجميع المسلمين وتطهيره من الغل والحسد والخيانة وسوء الظن وسوء المعتقد فانها من خياناته قال الله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) (و) قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح بصلاحها سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب وقال سرى السقطى القلوب ثلاثة قلب كالجبل لا يحركه شىء وقلب كالنخلة أصلها ثابت والريح يميل بها يمينا وشمالا وقلب كالريشة يذهب مع كل ريح ولا يثبت (وآداب) اليدين البسط بالبر والاحسان وخدمة الاخوان وألا يستعين بها على معصية الله تعالى (وآداب) الرجلين السعى بهما فى صلاح

إلا أولوا البصائر ولو لم يكن إلا تذلل النفس وتحقيرها وقطعها عن حظوظها لكان فى ذلك غاية المطلوب منها وقد قيل حيثما وقعت الذلة وقعت معها النصرة قال الله العظيم (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة) اه فان أردت أيها الفقير بسط المواهب وورودها عليك فصحح الفقر والفاقة لديك فاذا صحت الفاقة والفقر عندك فاستعد لكتب المواهب فانها ترد عليك كالسحاب وقد قلت فى هذا قصيدة سيأتى ذكرها قريبا إن شاء الله :

وان تردن بسط المواهب عاجلا فبى الفاقة ريح المواهب ينشر

والمراد بالمواهب معارف وكشوفات وطمأنينة وحكم وعلوم وأسرار ترد على القلوب من خزائن الغيوب حال صفائها وتصفيتها من الغيرية وأصفى مايكون القلب حين تذهب النفس وذهاب النفس إنما يكون بترك حظوظها ولا يتحقق ذلك فى الغالب إلا فى حال الفاقة والفقر ولذلك كانوا يفرحون بالفقر ويحزنون من الغنى فتح على بعضهم بشىء من الدنيا فقال هذه عقوبة لم أدر ما سببها وقال الهروى صفة مهجورة وهو الذ ماناله العارف لكونها تدخله على الله وتجلسه بين يديه وهو أعم المقامات حكما لقطع العوائق والتجرد من العلائق واشتغال القلب بالله قيل الفقير الصادق لا يملك ولا يملك وقيل لسهل رضى الله عنه متى يستريح الفقير قال إذا لم ير فى وقت غير ربه (وقال) الشبلى الفقير لايستغنى بشىء دون الله (وقال) السهروردى فى عوارف المعارف الفقر أساس التصوف وبه قوامه ويلزم من وجود التصوف وجود الفقر لأن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد مع زيادة أحوال لابد منها للصوفى وان كان فقيرا زاهدا (وقال) بعضهم نهاية الفقر بداية التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى لكنهم اتفقوا أن لا دخول على الله إلا من باب الفقر ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشىء مما أشار اليه القوم والتحقق بالفقر هو الاستئناس به والاغتباط بحصوله والاستقرار معه حتى يكون عنده أحلى من العسل ويكون المال عنده أمر من الحنظل فحينئذ تترادف عليه المواهب وتتسع له المعارف حتى يكون أغنى الأغنياء (قال) بعض الصالحين كان لى بعض مال فرأيت فقيرا فى الحرم جالساً منذ أيام ولا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار رثة فقلت أغنيه بهذا المال فألقيته فى حجره وقلت استعن بهذا على دنياك فنفضها

نفسه واخوانه وألا يمشى بهما مرحاً ولا يختال ولا يتبختر ولا يزهو فانها مما يبغضه الله تعالى وألا تستعين بهما على المعاصى اه (و) أما الأخلاق فالمراد بها حسن الخلق مع كل مخلوق ومرجعها إلى الحلم والعفو والصبر أو تقول مرجعها إلى أن تعامل الخلق بما تحب أن تعامل به أو تقول مرجعها إلى كف الأذى وبذل الندا والانصاف فيما ظهر وما بدا وحمل الجفا وشهود الصفا ورمى الدنيا بالقفا (وقال) الغزالى هو ملك النفس عند الشهوة والغضب ويرجع إلى ماتقدم (وقوله) مع كل خلق ماله خلاق معناه أن تحسن أخلاقك مع من لا خلاق له أى لا نصيب له عند الله أمرك أن تحسن أخلاقك مع من لا قدر له لأنه هو الذى يحتاج إلى تحسين الأخلاق وأيضا التأدب وحسن الخلق مع من لاخلاق له يتضمن التأدب مع غيره بالاحروية ومرجع ذلك لقوله تعالى (وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (قال) عليه الصلاة والسلام أمرنى ربى أن أعطى من حرمنى وأعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وقال تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)ومعناه أن تحسن إلى من اساء إليك (وقوله) باطنه منازل الأحوال مع المقامات يعنى أن باطن الطريق هو محل تنزل الأحوال والمقامات وهى القلوب والأسرار لأنها باطنية لايعلمها إلا الله والفرق بين الحال والمقام أن الحال يتحول فيذهب ويجىء بخلاف المقام فانه رسوخ وتمكين (قال) فى العوارف كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت إشارات

فى الحصباء وقال لى اشتريت هذه الجلسة معرفى بما ملكت وأنت تفسدها على ثم انصرف وتركنى ألقطها فوالله ما رأيت أعز منه لما بددها ولا أذل منى لما كنت التقطها وهذا هو تصحيح الفقر والفاقة ظاهراً وباطناً وكان بعضهم إذا أصبح عنده شىء أصبح حزيناً وإذا لم يصبح عنده شىء أصبح فرحاً مسروراً فقيل له انما الناس بعكس هذا فقال إنى اذا لم يصبح عندى شىء فلى برسول الله أسوة حسنة وإذا أصبح عندى شىء لم يكن لى برسول الله أسوة حسنة (قلت) وهذه حالة أشياخنا رضى الله عنهم حسبما استقريناه من حالهم وقد بلغنى أن شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه كان يشعل الفتيلة وينظر فى نواحى البيت إذا وجد شيئاً أخرجه يتصدق به ويبيت على الفاقة هكذا كان حاله فى حال تجريده رضى الله عنه هذا واستشهد المؤلف رضى الله عنه بالآية الكريمة (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) إشارة إلى أن ما يهبه الله تعالى من المواهب والمعارف إنما هى صدقة ومنة لا جزاء على الأعمال والأحوال لأن الصدقة لا تكون فى مقابلة عمل (وإن الله لغنى عن العالمين) ثم التحقيق بالفقر مجموعة التحقق بأوصاف العبودية وهى الذل والعجز والضعف كما بين ذلك بقوله (تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) قلت أوصاف العبودية أربعة يقابلها من أوصاف الربوبية أربعة :

(أولها) من العبد الفقر ومن الله الغنى .

(الثانى) من العبد الذل ومن الله العز .

(الثالث) من العبد العجز ومن الله القدرة .

(الرابع) من العبد الضعف ومن الله القوة والتحقق بالوصف هو التجلى والاتصاف به قلباً وقالباً ويكون ذلك بادياً بين خلقه فلا يتحقق الذل لله حتى يظهر ذلك بين عباده فمن أراد أن يمده الله بالغنى به عما سواه فليتحقق بالفقر مما سواه كما قال الشيخ أبو الحسن فى حزبه الكبير نسألك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ومن أراد أن يمده الله بالعز الذى لا يفنى فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلقه فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن أراد أن يمده الله بالقدرة الخارقة للعوائد فليتحقق بعجزه ويتبرأ من حوله وقوته ومن أراد أن يمده الله بالقوة فى طاعة مولاه ومجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه ويسند أمره إلى سيده فبقدر ما تعطى تأخذ وبقدر ما تتخلق تتحقق وبقدر ما تتحقق بوصفك يمدك بوصفه وقد كنت قلت فى ذلك أبياتاً وهى هذه :

المشايخ فى ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما فى نفسهما وتداخلهما فتراءيا للبعض الشىء حالا وتراءيا للبعض مقاما وكلا الروايتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن اللفظ والعبارة عنهما تشعر بالفرق (فالحال) سمى حالا لتحوله والمقام مقاماً لثبوته واستقراره وقد يكون الشىء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة تعاهده الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة فتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه ثم يتنازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه تصير له المراقبة حالا ثم يحول عنه حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاماً بعد أن كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره إلا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة إلا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد نازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضاً يكون حالا ويحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه من كسوف الاستتار ثم فى مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالغنى والتخلص إلى البقاء والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين

تحقق بوصف للفقر فى كل لحظة ... فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر
وإن تردن بسط الموهب عاجلا ... ففى الفاقة ريح المواهب ينشر
وإن تردن عزاً منيعاً مؤيداً ... ففى الذل يخفى العز بل ثم يظهر
وإن تردن رفعاً لقدرك عالياً ... ففى وضعك النفس الدنية يحضر
وإن ترد العرفان فافن عن الورى ... وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر
ترى الحق فى الأشياء حين تلطف ... ففى كل موجود حبيبى ظاهر

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقى ياغنى من للفقير سواك ، ومن بساط الضعف الحقيقى ياقوى من للضعيف سواك ، ومن بساط العجز الحقيقى ياقادر من للعاجز سواك ، ومن بسط الذل الحقيقى يا عزيز من للذليل سواك ، تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين ولا يصح التحقق بالوصف حتى يتعلق بأضدادها من مولاه فلا يلتجى فى فقره ولا عجزه ولا ضعفه إلى أحد سواه (روى) أن بعض الملوك قال لبعض الفقراء ما يكون لك من حاجة فارفعها إلى فقال له الفقير قد رفعت حوائجى لمن هو أقدر منك فما أعطانى منها رضيت به وما منعنى منها رضيت عنه فقال له ولا لك حاجة عندى قال بلى قال وماهى قال لاترانى ولا نراك وأنشدوا :

ملكت نفسى وكنت عبداً ... فزال رقى وطاب عيشى
أصبحت أرضى بحكم ربى ... ان لم أكن راضياً فأيشى

فهذا هو التعلق بوصف الربوبية والتعزز بالله الذى لا يفنى عزه قال الله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ومن تعزز بالله ذل له كل شىء وقد حج شيبان الراعى مع سفيان الثورى فلما كانا فى البرية عرض لهما سبع فأخذ سفيان خارج الطريق ومضى اليه شيبان ثم عرك أذنه فلم يزد أن حرك ذنبه وبصبص وانصرف فقال له سفيان ما هذا ياشيبان فقال له

اليقين نازل يخرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة اه (وكذلك) التوبة والورع والزهد والتوكل والرضى والتسليم تكون احوالا ثم تصير مقامات فما دامت مجاهدة فهى أحوال فإذا كانت ذوقاً فهى مقامات (و) قد قالوا الأحوال مواهب لأنها موهبة من الله جزاء على الأعمال والمقامات مكاسب لأن التمكين منها مكتسب بدوام الأعمال (و) فى التحقيق كلها مواهب (و) قول سيدنا على كرم الله وجهه سلونى عن طرق السموات فانى أعرف بها من طرق الأرض أشار اليه إلى مقامات الأحوال فان السالك يصير قلبه سماوياً فهى طرق السموات ومستنزل البركات قاله السهروردى (وقوله) لذى الجلال يتعلق بمحذوف أى يستقر بها عند ذى الجلال أوفى حضرة ذى الجلال وهو الحق تعالى ذو الجلال والإكرام والله تعالى أعلم .

(و) لما كان بين الظاهر والباطن تلازم ما كمن فى هذا ظهر فى هذا أشار إلى ذلك بقوله :

والأدب الظاهر للعيان ... دلالة الباطن فى الانسان

(قلت) هذا داخل فيما تقدم من أن صحة الظواهر تدل على صحة البواطن فما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر (و) فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من سر سريرة ألبسه الله رداءها فأحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن فالأسرة تدل على السريرة وما فيك ظهر على فيك وكل إناء بالذى فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثر يلوح

لو شئت أن أركبه إلى مكة لفعلت وكانت عجوز تأتى كل يوم لبيت السرى السقطى فتكنس بيته وتسوق له بعض القوت فسئل من هى فقال الدنيا سخرها الله لى لما زهدت فيها وفى هذا المعنى ورد الحديث يقول الله تعالى للدنيا يادنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال إبراهيم بن أدهم من طلب الفقر استقبله الغنى ومن طلب الغنى استقبله الفقر والغنى هو الغنى بالله وقال سهل رضى الله عنه لم يشم رائحة اليقين من ركن لغير الله وقال أبو تراب رأيت شابا فى البادية يمشى بلازاد فقلت فى هذا الموضع بلا زاد قال لست أرى غير الله فقلت اذهب الآن حيث شئت وقال ابراهيم الخواص لقيت فقيراً فى البادية فقلت له إلى أين فقال إلى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال الذى يمسك السموات والأرضين ويحفظها لا يعجزه قوتى بلا سبب ولا علاقة فقلت صدقت ثم رأيته بعد ذلك فى مكة وهو يطوف ويقول :

يا عين سحى أبداً　　يا نفس موتى كمداً
ولا تحبى أحداً　　إلا الإله الصمد

فلما رآنى قال لى مازلت على ضعف يقينك فقلت لا بل اعلم أن الله على كل شيء قدير اه (هذا آخر الباب) التاسع عشر وحاصلها أن العارفين ربما دلهم الأب على ترك الطلب اكتفاء بعلم الله إذ لا يذكر إلا الغافل ولا ينبه إلا الساهى وتعالى الله عن الأمرين علواً كبيراً فاذا نزلت بهم فاقة أو شدة لم يسألوا رفعها بل فرحوا بها وجعلوها مواسم وأعياداً لما يجدون فيها من المزيد وما يهب على قلوبهم من نسيم التوحيد والتفريد وهى المواهب الربانية والعلوم اللدنية فتحققوا بأوصافهم وأمدهم بأوصافه فصاروا فى الظاهر عبيداً وفى الباطن أحراراً فى الظاهر فقراء ضعفاء أذلاء وفى الباطن أغنياء أقوياء أعزاء وهذه هى الكرامة العظمى دون الكرامة الحسية كما أشار إلى ذلك فى أول الباب الموفى عشرين فقال رضى الله عنه (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) قلت الكرامة الحسية هى خرق الحس العادى كالمشى على الماء والطيران فى الهواء وطى الأرض ونبع الماء وجلب الطعام والاطلاع على المغيبات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هى استقامة العبد مع ربه فى الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه

فتهذيب الجوارح يدل على تهذيب القلوب آداب الظاهر يدل على آداب الباطن (حكى) أن الجنيد دخل على أبى حفص النيسابورى فرأى أصحابه واقفين عند رأسه كأصحاب الملك فقال الجنيد أدبت أصحابك يا أبا حفص ادب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن وهو الذى ذكر الناظم هنا والله تعالى أعلم ثم ذكر فضيلته فقال :

وهو أيضا للفقير سند　　وللغنى زينة وسؤدد
وقيل من يحرم سلطان الأدب　　فهو بعيد ما تدانا واقترب
وقيل من تحبسه الانساب　　فانما تطلقه الآداب

(قلت) المراد بالفقير هنا من لامال له بدليل مقابلته بالغنى وإنما كان الادب سنداً للفقير أى معتمداً عليه ويرتفع إلى مقام الأكابر ديناً أو دنيا لأن القلوب مجبولة على حب أهل الاحسان والتواضع والحلم فان أراد اللحوق بأكابر الدين كان أدبه معهم سبباً فى التحاقه بهم وإن أراد اللحوق بأكابر الدنيا كان أدبه أيضا سبباً فى لحوقه بهم لأن القلوب مجبولة على حب أهل الاحسان كما تقدم (و) إنما كان للغنى زينة وسؤددا أى شرفا لأن الغنى محبوب بالطبع فاذا كان أديباً متأدباً زاد عندهم شرفه (و) من آداب الغنى التواضع والكرم فاذا خلا من هذين فليس بأديب وإذا خلا الغنى من الآداب

ومخالفة هواه وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هى هذه الكرامة ، وأما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلا كالسحرة والكهان وقد تظهر على أيدى الرهبان وليست بكرامة إنما هى استدراج :

(وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب أو ذو خطأ فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى قال وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص أو هالك أو مثبور اه(وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ليس الشأن من تطوى له الأرض فاذا هو بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى له صفات نفسه فاذا هو عند ربه :

(قلت) والكرامة الحقيقية هى الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين وأما خوارق العادات الحسية فان صحبتها الاستقامة ظاهراً أو باطنا وجب تعظيم صاحبها لأنها شاهدة له بالكمال عما هو فيه وان تصحبها استقامة فلا عبرة بها والغالب أن أهل الباطن كراماتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الايمان ومعرفة الشهود والعيان وكذلك عقوبة من آذاهم جلها باطنية لا يتفطنون لها كقساوة القلب والانهماك فى الذنوب والغفلة عن الله والبعد عن حضرته ولكن لا يشعرون وهى أعظم من العقوبة فى الحس والحاصل أن أهل الاستقامة الظاهرية كراماتهم ظاهرية حسية وأهل الاستقامة الباطنية كراماتهم باطنية معنوية أهل الظاهر من آذاهم عوقب فى الظاهر وأهل الباطن من آذاهم عوقب فى الباطن وقد لا يعاقب لأنهم رحمة كل من قرب منهم شملته الرحمة كان قربه تسليما أو انكاراً هم قوم لا يشقى جليسهم على قدم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وكل ولى أراد الله تعالى أن ينتفع الناس على يده لا يعاجل بالعقوبة من آذاه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خيره ملك الجبال فحلم صلى الله عليه وسلم وعفا وقال لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله والله تعالى أعلم وأعظم الكرامة الفهم عن الله والرضى بقضاء الله وترك التدبير والاختيار مع الله وإقامة العبد حيث أقامه

التحقيق بالاراذل وانخرط فى سلك الانذال ولذلك قيل خير ما أعطى الإنسان عقل يزجره فان لم يكن فحياء يمنعه فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه يستريح منه البلاد والعباد(و) الآداب أيضاً من موجبات القرب والوصال ولذلك قيل من يحرم سلطان الأدب أى يمنع منه ولم يوجد فيه شىء منه فهو بعيد ما تدانا فى زعمه واقترب فى وهمه فما مصدرية وتدانا واقترب من عطف التفسير والمرادف أى فهو بعيد مدة كونه متدانيا قريبا فى ظنه(و) أشار بهذا القول أبى حفص رضى الله عنه التصوف كله أدب ولكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يظن القبول (و) قال ابن عطاء الله من جهل المريد أن يسىء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد يقال مقام البعد من حيث لا يدرى ولو لم يكن إلا أن يخليه وما يريد وإنما سمى الناظم الأدب سلطانا لأنه حاكم على الشخص فى نفسه فلا يتركه يميل إلى جهة النقائص والرذائل (و) من فضيلة الأدب أنها تلحق من لا نسب له بذوى الانساب وتصير الوضيع شريفاً والدنىء رفيعاً ولذلك قيل من تحبسه الانساب الدنية تطلقه الآداب المرضية أى من يحبسه عن الارتفاع مع الكبراء نسبة الوضيع يطاقه إلى طلب العلو أدبه الرفيع(قيل) لبعض

الله كما أبان ذلك بقوله (من علامة إقامة الحق لك فى الشىء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج) قلت إذا أقام الحق تعالى عبده فى حالة لايستقبحها الشرع ولايذمها سليم الطبع فلا ينبغى له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذى أدخله فيها هو الذى يتولى إخراجه منها وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق فالمدخل الصدق أن تدخل فى الشىء بالله لا بنفسك والمخرج الصدق أن تخرج منه بالله لا بنفسك فاذا أقامك الحق تعالى فى الاسباب فلا تخرج منها بنفسك فتتعب فامكث حتى يخرجك الحق تعالى بإشارة صريحة من شيخك أو من هاتف من عند ربك وقد تقدم هذا فى أول الكتاب ومن علامة إقامة الله تعالى لك فى ذلك الشىء الذى أنت فيه أدامة الحق إياك فى ذلك الشىء مع حصول النتائج وسلامة الدين والمراد بالنتائج مايترتب عليه من إعطاء حقه الواجب والمستحب كاداء الزكاة واطعام الجائع وستر العريان وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الاحسان وإذا أقامه الحق تعالى فى نشر العلم الظاهر فعلامة أقامة الحق فيه تعليمه لله ونفع عباد الله والزهد فى الدنيا والرغبة فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء المتعلمين وهكذا سائر الحرف إذا كان فيها على المنهج الشرعى فلا ينتقل عنها بنفسه وإذا أقامك الحق تعالى فى التجريد فالزم الباب وتحل بالآداب حتى يفتح لك الباب فعلامة أقامته إياك فيه حصول نتائجه وهى الترقى فى الاحوال والمقامات حتى تبلغ النهايات والمقامات هى التوبة والتقوى والاستقامة والزهد والورع والخوف والرجاء والرضى والتسليم والاخلاص والصدق والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل مقام له علم وعمل وحال فأوله علم وثانيه عمل وثالثه حال ثم مقام فإذا بلغ إلى مقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت المقامات (قال) بعضهم فى بحر التوحيد غاصت الأحوال وانطمست المقامات وان إلى ربك المنتهى فحينئذ يغمس فى بحر الإحسان فإذا عبر من بساط احسان الله له لم يصمت إذا أساء كما أبان ذلك بقوله (من عبر من بساط إحسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط إحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء) قلت أهل التعبير وهم أهل التذكير الذين يذكرون عباد الله ويعبرون عما منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات والكرامات على قسمين علماء وعارفون أو تقول أهل الحجاب وأهل الفتح فأهل الحجاب يعبرون من بساط إحسان أنفسهم فيقولون فعلنا كذا ورأينا كذا وفتح علينا فى كذا وافعلوا أيها الناس كذا واتركوا كذا

الملوك فى بعض الكتاب أنه ليس بحسيب أى من قوم لهم حسب فسألهم الملك فقال للملك أنا حسب لأولادى أى يصير أولادى من ذوى الأحساب بسببى وهكذا كما قال بعضهم نحن بنات المجد لغيرنا أى نحن نؤسس المجد ونبنيه لغيرنا ولا نستظل ببناء مجد غيرنا وفى ذلك قيل :

كن حليما ودع فلان ابن من كا ... ن حليما واجمع إلى الحلم علما
لاتكن سكراً فيأكلك النا ... س ولا حنظلا تذاق وترمى

ثم تمم فضيلته وشرفه فقال .

فالقوم بالآداب حقاً سادوا ... منه أستفاد القوم ما استفادوا

(قلت) السؤدد هو الشرف أى ماساد القوم وشرفوا الا بالآداب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع أشياخهم ومع سائر المسلمين فالأدب مع الله بامتثال أمره واجتناب نهيه والاستسلام لقهره (و) قال الشيخ زروق رضى الله عنه فى شرح الحكم هو حفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى بالموجود وبذل الطاقة والمجهود (والأدب) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وإيثار محبته والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه (و) الأدب مع الاشياخ بحفظ الحرمة وحسن الخدمة وصدق المحبة (و) الأدب مع المسلمين أن تحب لهم ماتحب لنفسك أو أكثر وتقدمت آداب الجوارح فلا

فاذا وقعوا فى زلة أو هفوة سكتو حياء من الله وخوفا أن يأمروا بما لم يفعلوا لأنهم باقون مع نفوسهم محجبون عن ربهم فإذا فعلوا طاعة فرحوا بها واعتمدوا عليها وإذا فعلوا زلة حزنوا وجزعوا وسقط فى أيديهم فلماعبروا من بساط احسان نفوسهم أصمتهم الاساءة وأهل الفتح من العارفين يعبرون من بساط احسان الحق غائبين عن شهود الخلق فانون عن أنفسهم باقون بربهم فهؤلاء إذا عبروا عما منحهم الله من المعارف والأسرار والعلوم والأنوار والكرمات والفتوحات والمواهب وذكروا فأمروا ونهوا دام تعبيرهم ونفع تذكيرهم فاذا أساءوا لم تصمتهم إساءتهم لأن أساءتهم من أنفسهم وتغييرهم من بساط إحسان الله اليهم وإحسانه لايكدره شيء وقولنا من أنفسهم أعنى أدبا فقط إذهم لايشهدون إلا تصريف الحق فيهم فلذلك لم تصمتهم إساءتهم لأنهم مغموسون فى بحر المنة لايشهدون فى الكون سواه وأيضاً من عبر من بساط نفسه نادته مساويه أسكت أما تذكر فعلك القبيح ووصفك الذميم فيسكت خجلا ومن عبرمن بساط احسان الله غابت عنه مساويه لغيبته فى محاسن مولاه فلا يشهد إلا إياه فاذا أراد أن يعبر سبق نور معرفته إلى قلوب عباده فيسرى فيهم التعبير ويأخذ بقلوبهم التذكير كما أبان ذلك بقوله (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيثما صار التنوير وصل التعبير) قلت الحكماء هم العارفون بالله الذين يتكلمون بالله ويصمتون بالله غائبون عن أنفسهم يشهدون ما من الله إلى الله فاذا أرادوا أن يعبروا عما منحهم مولاهم من العلوم والعارف سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتسرى فيهم على قدر صدقهم فمنهم من يدخل النور سويداء قلبه ومنهم من يقف النور على ظاهر قلبه ومنهم من يشرق النور على طرف قلبه فاذا عبر العارف عن المقامات والأحوال وصل التعبير على قدر سريان النور فمن وصل النور إلى سويداء قلبه نهض من ساعته إلى ربه ومن وصل ظاهر قلبه خشع وخضع وعزم على البر والتقوى ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق فحيثما صار التنوير وصل التعبير وقولنا فى تفسير الحكماء هم العارفون مأخذنا فيه وقوله عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله اه وأعرف الناس بالله أشدهم له خشية وفيهم قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

(وسئل) مالك عن الحكمة فقال مازهد عبد واتقى إلا أنطقه الله بالحكمة ثم قال من أراد أن يفتح الله عين قلبه فيلكن عمله فى السر أكثر من عمله فى العلانية لأن عمل السر منبع الاخلاص والاخلاص منبع الحكمة

بد منها وكذلك آداب الأوقات وهى تعميرها بالطاعات فأوقات العبد أربعة كما قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه وقت الطاعة ووقت المعصية ووقت النعمة ووقت البلية فوقت الطاعة مقتضى الحق منك شهود المنة ووقت المعصية مقتضى الحق منك تحقيق التوبة ووقت النعمة مقتضى الحق منك الشكر ووقت البلية مقتضى الحق منك الصبر فاذا قام العبد بهذه الآداب كلها حصل له الشرف التام والمنزلة الكبرى عند الخاص والعام (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وكل نسبة لاأدب فيها فصاحبها كذاب لإن عنوان الصدق وجود المراقبة وإن كانت الغفلة مع حفظ الأصل غير قادحة فقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كل سوء أدب يثمر أدباً فليس باساءة ادب يعنى من حيث الواقع لامن حيث القصد فتأمل ذلك وبالله تعالى التوفيق (وقوله) منه استفاد القوم ما استفادوا يعنى من العلوم والمعارف والأنوار والأسرار والكرمات الحسية والمعنوية والله تعالى أعلم (ثم) ذكر بعض تفاصيل الأدب فقـال :

إذا نصحوا الأحداث والأصاغر وحفظوا السادات والأكابر

(قلت) ذكر هنا أربعة أصناف من الناس ممن يتأدب معهم إذا اجتمعوا معه أولهم الاحداث جمع حدث (قال الشيخ زروق رضى الله عنه هو من لانبات له وهم ثلاث الحدث سنا وهو الصغير الذى يميز حقائق الامور فله ولوع بكل مايراه

(وسئل) مرة أخرى عن الحكمة أيضاً فقال نور يقذفه الله فى قلب العبد المؤمن من فسحة الملك اه فأهل التنوير هم الحكماء وهم العارفون بالله ولله در القائل فى وصفهم حيث قال

هينون لينون إيسار بنو تسر — سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون بغير الحق إن نطقوا — ولا يمارون إن ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم — مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقولنا فى وصفهم يشهدون مامن الله إلى الله يعنى أنهم غائبون عن أنفسهم لايرون إلا تصريف الحق فى مظاهر أنواره قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه الناس على ثلاثة عبد يشهد مامنه إلى الله وعبد يشهد مامن الله اليه وعبد يشهد مامن الله الى الله الأول ذو حزن وأشجان والثانى ذو فرح وامتنان والثالث لم يشغله عن الله خوف نار ولا مثوى جنان الأول ذو كد وتكليف والثانى ذو عناية وتعريف والثالث مشاهد للمولى اللطيف ثم قال وقيل العمل مع شهود المنة خير من كثيره مع رؤية التقصير من النفس اه مختصرا ثم ذكر علامة التعبير الذى يسبقه التنوير هو تأثيره فى القلوب وتهييجه الأرواح وتشويقه الأسرار فإذا سمعه الغافل تنبه وإذا سمعه العاصى انزجر وإذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم شوقه وإذا سمعه السائر طوى عنه تعب سيره وإذا سمعه الواصل تمكن من حاله فالكلام صفة المتكلم فاذا كان المتكلم ذا تنوير وقع فى قلوب السامعين وإذا كان ذا تكدير حد كلامه آذان المستمعين فكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز ولذلك قال سيدنا على كرم الله وجهه من تكلم عرفناه من ساعته ومن لم يتكلم عرفناه من يومه (وقيل) الناس حوانيت مغلقة فاذا تكلموا فقد فتحوا هناك يتبين البيطار من العطار (وقالوا) أيضاً الكلام إذا خرج من القلب وقع فى القلب وإذا خرج من اللسان حده الآذان وانهاض الحال أكثر من المقال وإذا اجتمع الحال المقال فهو البحر الطام والنجم الثاقب التام (وقال) بعض العارفين من كان قلبه روحانياً كان كلامه معنويا ينزل من القلوب فى أوسع ساحتها ومن كان قلبه

أو سمعه من مستحسن فلا تؤمن غائلته فى الإنقلاب ثم للنفوس ولوع به من حيث الجمال الصورى أو من حيث التعلق الروحانى وقد يكون ذلك لايشعر به الشخص وقد يكون من حيث شعوره ولصحبتهم آفات حاضرة من حيث شغل البال وحفظه ثم من حيث اشتغال النفس بالميل له ثم من حيث كون الضرر فى النفس بصحبته فلا خير فيها ولابد من نصحه عند إقباله بتعريف الأصول وترك الفضول (قلت) الأصل فى صحبته الجواز إنما يمنع لهذه العوارض التى ذكرها فمن تحقق سلامته منها فلا يعترض عليه وقد ذكره التجيبى واستدل للجواز بخدمة انس بن مالك رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان عليه السلام معصوما فالأصل فيما يفعله الاقتداء حتى يرد ما يخصصه به (القسم) الثانى من أقسام الحدث عقلا وهو الذى لايثبت على حقيقة ولا يتهج على طريقة يتبع كل ناعق ويتنسم كل ناشق هذا أعظم ضررا من الذى قبله لفقدان الحقيقة فيه وانتفاء قابليتها منه ونصحه بتعريف الوجه الذى يقصده وبيان الحق بوجه واضح حتى تقوم الحجة وتظهر المحجة وأكثر مايوجد هذا فى فقراء البادية (قلت) إن كان فى الفطرة سهل علاجه وقربت هدايته (القسم) الثالث الحدث دينا وهو مع كل قوم بما هم عليه يميل مع كل ريح ويسمى الإمعة بكسر الهمزة وشد الميم ونصحه بدعواه إلى أفراد الوجهة وتذكيره بما فى ذلك من الضرر (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل واد من قلب ابن آدم شعب

نفسياً كان كلامه حسياً يعنى لا يتكلم إلا فى الحس ولا يخوض إلا فيه ومن طمس أذن قلبه حجب الدنيا فلا يسمع ولا يسمع وقد يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة أو حديث الحس على حديث المعنى ومن مثل هذا الحذر الحذر لأن قلبه ميت فكلامه كله على الميتة والميتة هى الجيفة (قال) صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن تكلم على الدنيا فمثله كالكلب ولا خير فى كلب ولو كان عالماً قاله الشطيبي ثم ان هذه الكسوة التى تبرز على الكلام إنما هى من نتائج الإذن من الله فيه وأما إذا لم يكن اذن فيه فلا كسوة عليه كما أبان ذلك بقوله (من أذن له فى التعبير حسنت فى مسامع الخلق عبارته وجلبت اليهم اشارته) قلت الاذن فى التعبير إنما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذى أهله الله للتربية ونصبه للتوصيل والترقية فاذا رأى على تلميذه أهلية التذكير أذن له فى التعبير فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب فتحسن فى مسامع الخلق عبارته وتجلى اليهم إشارته ذى تظهر وتفهم ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام واعرابه ولا خطأ فى رفعه ونصبه دن صوابه وإنما العبرة بالمعانى أون القوالب والأوانى :

(يحكى) أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون ليسمع كلامه فوجده يلحن فانصرف ذاماً له فبلغ ذلك الحسن فكتب له إنك من كثرة الإعجاب رضيت بالوقوف دون الباب فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك وإنك قد تهت بين خفض ورفع ونصب وجزم فانقطعت عن المقصـــود هل لا رفعت إلى الله جميع الحاجات وخفضت كل المنكرات وجزمت عن الشهوات ونصبت بين عينيك الممات والله يا أخى ما يقال للعبد لم لم تكن معرباً وإنما يقال له لم كنت مذنباً ليس المراد فصاحة المقال وإنما المراد فصاحة الفعال ولو كان الفضل فى فصاحة اللسان لكان سيدنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول وأخى هارون هو أفصح منى لساناً اه ومما ينسب للخليل رحمه الله أو لسيبويه :

لسان فصيح معرب فى كلامه فياليته من وقفة العرض يسلم
ولا خير فى عبد إذا لم يكن تقى وما ضر ذا يقوى لسان معجم

فمن تتبع تلك الشعب لم يبال الله فى أى واد أهلكه (الثانى) الاصاغر والمراد بهم صغار السن الذين لم يبلغوا سن الحداثة والتمكن فيها ونصحهم بغرس الخير فى قلوبهم كما قال ابن أبى زيد فى رسالته وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليها (وقال) السلمى رضى الله عنه والصحبة الاصاغر بالشفقة والارشاد والتأديب والحمل على ما يوجبه حكم المذهب ويدلهم على ما يوجبه حكم المذهب ويدلهم على مافيه صلاحهم لا على ما فيه مرادهم وعلى ما يفيدهم لا على ما يحبونه ويزجرهم عما لا يعنيهم (الثالث) السادات والمراد بهم العباد والزهاد والصالحون والعلماء العاملون والمريدون السالكون الذين لم يبلغوا مرتبة المشيخة ونصح الأول بدلالته على الإخلاص وإسقاط الحظوظ النفسانية والروحانية ونصح الثانى بتصحيح النية وإفراد الوجهة مع ما نصح به الأول ونصح الثالث بتحقيق التوبة والاستقامة ونصح الرابع بتحقيق الاخلاص وتوفير الصبر والحلم والتواضع ونصح الخامس بالغيبة عن السوى أو باسقاط الهوى ومحبة المولى وحفظهم بالتعظيم والتوقير والاحتشام وباعطاء الرتبة حقها من كل وجه ولا يستحقر أحداً أقامه الله فى مقام من المقامات كيفما كان (قال) فى الحكم إذا رأيت عبدا أقامه الله بوجود الاوراد وأدامه عليه مع طول الامداد فلا تستحقرن مامنحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد (و) قال أيضاً قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء

(وقال آخر)

منحرف بالفعال وذو زلل　　وإن تهكلم فى جداله وزنه
قال وقد كتبت لفظته　　تيها وعجباً أخطأ ما لحنه
وإنما أخطأ من قام غداً　　ولا يرى فى كتابه حسنه

وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه إذا ذكر من تقدم له فى العربية يقول له أنت اترك شيئاً من عربيتك وأنا أترك شيئاً من جبليتي يعنى من اللغة الجبلية ونلتفت للطريق والحاصل أن من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كال الكمال وذلك لأنه ينتفع بكلامه بعد موته كالغزالى والششترى والشاذلى والمرسى والشيخ رضى الله عنهم فقد عظم النفع بكلامهم وأعظمهم المؤلف رضى الله عنه فقد حاز قصب السبق فى التعبير ونسخت كتبه كتب القوم وقد شهد له شيخه بهذا المعنى فقال والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله وقال له والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم وقال فيه أيضاً حين نسخ له كتاب التهذيب والله لأجعلنك عيناً من عيون الله يقتدى بك فى علم الظاهر والباطن وقال فيه أيضاً والله ماأرضى له بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف وكان جده فقيهاً شرح المدونة اسمه عبد الكريم وكلام الشيخ رضى الله عنه يدل على مقامه وما تخلص التصوف ولا تهذب إلا على يديه فقد قرب المدارك وبين المسالك فى أحسن عبارة وأوجز لفظ وإشارة جزاه الله عن المسلمين خيرا ثم بين رضى الله عنه الكلام الذى لم يؤذن لصاحبه فى التعبير عنه فقال (ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار إذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار) قلت قد يتكلم الانسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة وشقاشق لكنها مكسوفة الانوار مطموسة الاسرار ليس فيها حلاوة ولا عليها طلاوة سبب ذلك عدم الاذن فيها إذ لو أذن له العبير لظهر عليها كسوة التنوير (قال) فى لطائف المنن من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولى يكون مشحونا بالمعارف والعلوم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان ذلك كاذن من الله فى الكلام وقال وسمعت أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر اه (قلت)

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (الرابع) الاكابر والمراد بهم المشايخ وحفظهم بثلاثة أمور اتباع مارسموه وإن لم يفهم معناه فقد قالوا خطأ الشيخ أحسن من صواب المريد فان بان غيه توقف من غير اعتراض حتى يظهر أمره (الثانى) عدم البحث عما جاؤا به إلا من حيث التفهم فان من قال لاستاذه لم لا يفلح أبدا (الثالث) موالاة من والاهم ومعاداة من عاداهم ما لم يكن له مانع شرعى أو يجره إلى منكر (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه آداب الفقير المتجرد أربعة الحرمة للأكابر والرحمة للأصاغر والانصاف من نفسه وعدم الانتصار لها اه ثم ذكر آدابهم فى الكلام فقال :　　واجتنبوا ما يؤلم القلوب

قلت) هذا عام مع جميع المسلمين فلا يتكلم مع مسلم بما يوجعه فى قلبه ولو كان نصحا فقد قال الله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فالواعظ إنما ينفع إذا كان على وجه الملاطفة والسياسة ويتأكد ترك ما يؤلم مع الزوجة والاهل وكذلك مع الاخوان لان جبر القلوب فى جبر القلوب وكسر القلوب فى كسر القلوب فمن جبر قلب عبد بادخال السرور عليه أو هداية اليه جبر الله قلبه ومن كسر قلب عبد بادخال الحزن عليه أو تنفير كسر الله قلبه ومن أراد جبر قلوب عباد الله فليغض عن مساويهم وليسكت عن عيوبهم ويرحم الله القائل :

إذا شئت ان تحيا ودينك سالم　　وجاهك موفور وعرضك صين

وينبغي لأهل التعبير أن يخاطبوا الناس بقدر مايفهمون فليس التعبير لأهل البداية كأهل النهاية وفى الحديث خاطبوا الناس بقدر مايفهمون نعم ان ضاق الوقت على التفريق جمع الكل وذكر فى البداية والوسط والنهاية وكل واحد يأخذ نصيبه ويشرب من منهله قد علم كل أناس مشربهم وهذه كانت طريقة الجنيد رضى الله عنه يلقى الحقائق على رؤوس الأشهاد فقيل له فى ذلك فقال علمنا محفوظ أن يأخذه غير أهله أوما هذا معناه ثم عبارتهم بعد الاذن لاتكون إلا لحكمة بينها الشيخ بقوله (عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد) قلت مااشتملت عليه قلوب العارفين من المعارف وأسرار التوحيد وغوامض العلوم التى لاتطيقها جل الفهوم هو سر من أسرار الله وهم أمناء الله عليها فلا يطلعون عليها إلا من رأوه أهلا لها إلا من كان مغلوباً على حاله لايقدر على إمساكها وهو من لم يتمكن من حاله فيها فعبارتهم إذاً إما لفيضان وجد غلبه فلم يقدر على إمساكها أو لأجل هداية مريد وإرشاده وترقيته إلى مقام استحق الاطلاع عليه وإلا فلا يظهرون من تلك الأسرار قليلا ولاأقل من القليل وقد تقدم قول بعضهم :

قلوب الأحرار قبور الأسرار

(وقال آخر)

لايكتم السر إلا كل ذى ثقة فالسر عندخيار الناس مكتوم

ثم بين حال الفريقين ومقام الرجلين فقال (الأول حال السالكين) وهم المتشرفون من السائرين حققوا ولم يتمكنوا فهم مملوكون من يد الأحوال إذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا وإذا رجعوا إلى أنفسهم ندموا واستغفروا ثم بين حال الثانى فقال (والثانى حال أرباب المكنة والمتحققين) وهم الراسخون المتمكنون فلا يعبرون عن تلك الأسرار إلا لأجل هداية المريدين وتربية السالكين وترقية السائرين وأما لغير هؤلاء فلا فان عبر عنها السالك لاعن غلبة وجد كان فى ذلك نوع من الدعوى وان عبر عنها المتمكن عن غير قصد هداية كان فى ذلك افشاء لأسرار الربوبية وهى عندهم أعز من الكبريت الأحمر وقد كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها قليلا ولاكثيراً حتى إذا رأوه أعطى نفسه وفلسه وبذل روحه بالكلية أشاروا اليه إشارة خفية فقد ذكر شيخ شيوخنا سيدى على فى كتابه أن طائفة من المريدين خدموا

لسانك لاتذكر به عورة امرىء فعندك عورات وللناس ألسن
وإن أبصرت عيناك عيبا فقل لها أياعين لاتنظر فللناس أعين
وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(قال) الشيخ زروق فهذه الأبيات جامعة لجميع ما يؤلم القلوب بطريق الاجتناب فمن عمل عليها سلم من هذه الآفات التى أصلها كل التجسس عن أخبار الناس وسوء الظن بهم وقد قال عليه السلام ثلاثة لا ينجو منها ابن آدم الحسد والطيرة والظن فاذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض (ومن) خلقه عليه السلام انه كان لايواجه أحداً بما يكره إلا أن تنتهك حرمات الله ثم ذكر آدابهم فى العمل فقال وابتدروا الواجب والمندوب

قلت أشار بذلك إلى كمال عبوديتهم وأنهم يتبادرون إلى حقوق مولاهم واجبة كانت أو مندوبة امتثالا لقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) على اختلاف قصدهم فمنهم من يقصد الثواب والنجاة من العقاب عاجلا وآجلا وهم العوام منهم (و) منهم من يقصد تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية وهم الخواص أو خواص الخواص والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابهم مع الأشياخ والاخوان فقال :

شيخنا ثلاثين سنة ثم قالوا له ياسيدنا أردنا أن تعرفنا بربنا فقال لهم نعم غدا ائتونى لدارى فلما أتوه أخرج لهم صبياً صغيراً فوجهه اليهم ثم دخل فانظر هذه الاشارة ما ألطفها وأخفاها ثم من الله على أهل هذا الزمان برجال كرام من صحبهم بالصدق منحوه من الأسرار فى يسير من الزمان مالم يدركه المتقدمون فى الأزمنة الطويلة جزاهم الله عن الأمة المحمدية خيراً وقد تكلم الشيخ أبو الحسن على حال السالكين والواصلين بكلام طويل ذكره فى لطائف المنن ونقله الشطيبى فقال إن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أوصافه مايعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغرقون فى بحر الذات وتيار الصفات فنوا عن أفعالهم ثم فنوا عن صفاتهم ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم شىء ومن كان فى الله تلفه كان على الله خلفه ومن صح فناؤه صح بقاؤه ثم قال واعلم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب إيجاد كل شىء مع الله يعنى بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فولى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا وولى يتولاه الله وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن وعلامة الولاية الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والفرار إلى الله عند الشدائد والرجوع اليه عند النوائب فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين ومن أعطيها من خزائن المنن والموادة فقد تمت ولاية الله له فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى قيل له كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا قال يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ويتولى الرسول بالمتابعة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويتولى المؤمنين بالإقتداء بهم وهى علامات من خاض بحر الولاية وأما الذين تولاهم الله فهم الذين صلحوا لحضرته وغابوا عن خليقته فلا يرون فى الوجود إلا الله، الأولى تسمى ولاية إيمان وهذه ولاية إيقان فقيل له وما الفرق بين الايمان والايقان قال كل يقين إيمان وليس كل إيمان إيقاناً فالإيمان ربما تدخله الغفلة والايقان لاتدخله الغفلة المؤمن يتجلى له الحق دون كل شىء والموقن يتجلى له الحق فى كل شىء المؤمن فان عن كل شىء فلم يشهد مع الله شيئاً والموقن باق فى كل شىء فهو يشهد الله فى كل شىء اه ثم بين المؤلف رضى الله عنه فائدة

وخدموا الشيوخ والاخوانا وبذلوا النفوس والأبدانا

(قلت) خدمة الشيوخ قربة عظيمة ومنقبة جسيمة وهى سبب الفوز بالوصول إلى معرفة الحق تعالى ونيل درجات المقربين السابقين (و) فى ذلك يقول سيدى عبد الوارث رضى الله عنه خدمة الرجال سبب الوصال إلى مولى الموالى (و) قال سيدى عبد الله الهبطى رضى الله عنه، ان الخديم ظنه جميل، دل على فلاحه دليل، أهل نفسه لخدمة الرجال، لكى ينال من حبيبه الوصال غيره ذل المحبة فى طلب القرب عن عزيز عند أهل الحب (وقال) أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه الصحبة مع الأستاذ باتباع أمره ونهيه، وهى فى الحقيقة خدمة لاصحبة قيل لأبى منصور المغربى كم صحبت أبا عثمان فقال خدمته وما صحبته يعنى صحبة الصغير للكبير تسمى خدمة لاصحبة ثم قال والقيام بخدمة أستاذه واجب والصبر تحت حكمه وترك مخالفته ظاهراً وباطناً وقبول قوله والرجوع اليه فى جميع مايعرض له والتبرك به واستماع كلامه وتعظيم حرمته ومجانبة الانكار عليه، فى شىء من أموره، سراً وجهراً، قال الله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية سأل بعض أصحاب الجنيد عن مسئلة فأجابه فعارضه فى ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا فاعتزلوا ويكون فى صحبته كالصحابة رضى الله عنهم مع النبى صلى الله عليه وسلم تأديبهم بآداب القرآن فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا

التعبير وثمرة العبارة فقال (العبارة قوت لعائلة قلوب المستمعين وليس لك منها إلا ما أنت له آكل) قلت العائل هو الفقير والعائلة جمع له فعبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة إيقان قلوبهم ومشاهدة محبوبهم فلا يزالون فى حضانة الشيوخ وعيالهم حتى يكمل إيقانهم وترشد أحوالهم فحينئذ يستقلون بأنفسهم وعلامة رشدهم أنهم يأخذون النصيب من كل شىء ولا ينقص من حالهم شىء يفهمون عن الله فى كل شىء ويعرفون فى كل شىء ويشربون من كل شىء فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم وتأهلوا لإرشاد غيرهم .

(قال) بعض الحكماء من لم يفهم صرير الباب ولا طنين الذباب ولا نبيح الكلاب فليس من ذوى الألباب وأما من لم يبلغ هذا المقام فلا بد أن يلزم العش فى حضانة من يرزقه ويطعمه فإذا طار من العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والبيزان ولعبت به النساء والصبيان فإذا كان فى عش الشيخ وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت إلا ما يقدر أن يأكله وإلا قتله فليس طعام الصبى الصغير كطعام الرجل الكبير وكذلك عبارة الشيوخ للمريدين كل واحد يأخذ ما يليق بحاله فالشيوخ يذكرون فى الجملة فيذكرون أحوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد يأخذ ما يليق به قد علم كل أناس مشربهم فلا يتعلق المبتدى بمذاكرة المنتهى فيفسد كما إذا أكل الطفل الصغير طعام الكبير يقف فى حلقه وإذا أكل الكبير طعام لا يشبعه هذا معنى قول الشيخ وليس لك منها إلا ما أنت آكل أى ليس لك من قوت العبارة إلا ما أنت قادر على أكله وإلا غصصت به والله تعالى أعلم وقد سألنى بعض الاخوان عن قوت الروحانية والبشرية فقلت قوت البشرية معلوم وقوت الروحانية على وزان قوت البشرية فالصبى لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر كذلك الروح تربى شيئاً فشيئاً فتطعم أولا ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح وهو الفكرة ثم ذكر السر وهو النظرة ثم تأكل كل شىء وتشرب من كل شىء حتى تسرط الكون بأسره فلو أعطيتها الفكرة أو النظرة الذى هو طعام الرجال أول مرة وهى فى مقام الأطفال للفظته وطرحته فاذا بلغت الروح أن تأكل كل شىء وتشرب من كل شىء فقد صح لها أن تطير فى الملكوت الأعلى وتذهب حيث تشاء وقد يختلف الشرب لجماعة من آنية واحدة لاختلاف مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلا يقول ياسعتر

بين يدى الله ورسوله وقوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) الآية وقوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) وما أشبه ذلك (وقد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته اه (قلت) والحديث قال ابن الجوزى أنه موضوع والله تعالى أعلم (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه خدمة الشيوخ أمر زائد على تعظيمه اه (وأما) خدمة الأخوان فهى إعانة على ما يعرض له من أمور دينية أو دنيوية بنفسه أو بماله أو بجاهه أو بما يقدر عليه (قال) السلمى رضى الله عنه رأيت جدى إسماعيل فى النوم يقول لى ألست تعلم شيئا من العلوم فقلت ربما أعلم شيئا فقال أليس سئلت أمس عن الاعتقاد فى خدمة الفقراء فقلت نعم فقال كتبت ما كتبت ولست بمحتاج إليه إنما هى ثلاث كلمات وهى أن تخدم من فوقك بالحرمة وأقرانك بالنصيحة ومن دونك بالشفقة وانتهت اه (وقال) فى آداب صحبتهم مانصه والصحبة مع الاقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والإحسان والكون معهم على حكم الوقت (حكى) أن أبا العباس بن عطاء مد رجليه بين أصحابه وقال ترك الأدب مع أهل الأدب أدب (وقال) الجنيد رضى الله عنه إذا صحت المودة سقطت شروط الأدب (روى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فدخل عثمان فغطى ركبته وقال ألا أستحى ممن تستحي منه الملائكة فحشمه عثمان وان عظمت

برى وذلك أن رجلا فى الصفا بمكة صاح ياسعترا برى لرجل آخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله فسمع أحدهم الساعة ترى برى (وسمع) الآخر اسع ترى برى (وسمع) الثالث ما أوسع برى فالأول كان مستشرفاً والثانى مبتدياً والثالث كان واصلا وكذلك قضية ابن الجوزى كان يقرأ ببغداد اثنى عشر علما فخرج يوم لبعض شئونه فسمع قائلا يقول

إذ العشرون من شعبان ولت　　فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار　　فقدضاق الزمان على الصغار

فخرج هائما على وجهه إلى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان الدنيا كله قال فى لطائف المنن واعلم أن هذه المفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر ليست باحالة اللفظ عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يهبه الله لهذه الطائفة من أرباب القلوب وهو من باطن الحكم المندرج فى ظاهره اندراج النبات فى الحبة وذلك أن المدد النورانى والفتح الربانى يتصل بعضه ببعض إلى أطرف الظاهر فحيث انتهت القوة انتهى الادراك فربما فهموا ما يوافق ظاهر المعنى الباطنية وربما خالفه من جهة ما وربما كان الفهم بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين بن الأسمر رضى الله عنه ممن يشهد له الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى فأنشد انسان فى مجلسه

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى　　لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شىء شريف أنت شاربه　　فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية　　خذ الجنان ودعنى أسكن النارا

فقال بعض فقهاء الظاهر لا يجوز قراءة هذه الأبيات فقال الشيخ مكين الدين قل دعه فانه رجل محجوب يعنى انه لا يفهم إلا الشراب الحسى دون المعنوى وهو جمود والله تعالى أعلم ثم إن العبارة لا تدل على حال المعبر فقد يكون فوق

فالحالة التى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهما يعنى أبا بكر وعمر أصفى ثم قال ولا يداهنهم فيما يخالف المذهب (وقد) قال رويم مازالت الصوفية بخير ما تنافروا فاذا صطحوا فلا خير فيهم ويخضع عند الحق لقائه بالقبول (روى) أن عمر رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان من دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اذن لا يرده إلى مكانه غيرك ولا يكون السلم غير عاتق عمر فقام على عاتقه فرده إلى موضعه رضى الله عنهما انتهى (و) قوله وبذلوا النفوس الخ والبذل هو الخدمة والمهنة يقال ثوب مبتذل أى مهان بالخدمة يعنى إنهم بذلوا نفوسهم وأهانوها فى خدمة الشيوخ والاخوان فنالوا غاية العرفان وحازوا أقصى مقام الاحسان نفعنا الله بهم وخرطنا فى سلكهم آمين ثم ذكر آدابهم فى العلم فقال

وأنصتوا عند المذاكرات　　واحترموا الماضى معا والآت
وسالوا الشيخ عما جهلوا　　ووقفوا من دون ما لم يصلوا
وعملوا بكل ما قد علموا　　وآثروا واغتفروا واحتشموا

(قلت) أما الانصات عند المذاكرة فلأنه يدل على كمال العقل والرزانة فقد قالوا من كمل عقله قل كلامه ومن قل

ما يقول وقد يكون دون ما يقول كما أشار إلى بيان ذلك بقوله (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة) قلت العبارة لا تدل على نهاية المعبر ولا وصوله إلى ما عبر عنه فقد يعبر عن المقام من لم يصل اليه ولكن استشرف عليه وقد يعبر عنه من وصل اليه وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ماعبر عنه وذلك ملتبس إذ لا يعرف المستشرف من الواصل إلا ذو بصيرة نافذة يعنى من فتح عليه فى المعرفة فكل من فتح عليه فى معرفة الله ورفع عنه الحجاب عرف كلام الواصل من المستشرف فليس من خالط البلد ووصفها ثم نعتها كمن استشرف عليها ولم يدخلها ثم جعل ينعتها قال بعضهم : وقد يعرف المستشرف بطول التعبير والواصل باختصاره فالمستشرف يطول العبارة ويكررها والواصل من أول مرة يدركها وقدقالوا العارف بالضرب لا يكثر الهنى والعارف بالمفاصل لا يكثر الحنى

(قلت) وهذه القاعدة ليست كلية إذ كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم لمعرفتهم بمفاصل الخطاب ومن المستشرفين من تقصر عبارتهم قال المؤلف رضى الله عنه الاستشراف والوصول ليس إلا مراتب التوجه للتحقق بالعجز فمن وصل لمعرفة العجز عن الوصول فهو الواصل لكن العجز لا يكون إلا بعد الاتصاف به حقيقة لا مجازاً وذلك أن ان الجاهل عجزه حالى قهرى والعارف جلالى رحمانى

(قلت) المراد بالعجز فى حقه الحيرة والدهش أولا ثم العجز عن الاحاطة والكنه ثانياً قال يشهد لذلك أن الجاهل متى تحرك وقع فى الحظوظ والعارف لا يتحقق الا بالحقوق والجاهل نصيبه الوهم والعارف نصيبه الفهم الجاهل طالب للعلم والعارف طالب للمعلوم الجاهل تابع بنظره للصور الحسية والعارف غائص ببصيرته مع الأرواح المعنوية وجميع المراتب والمقامات مراحل بين الحس والمعنى وانتقال من الهياكل الجسمية للعوالم القلبية ثم من العوالم القلبية الى الحقائق الروحانية ثم من الحقائق الروحانية الى الاسرار الربانية ثم من الاسرار الربانية الى المعارف التوحيدية اه ثم لا ينبغى للسالك أن يعبر عن هذه الاسرار اذا واجهته فى طريق السلوك كما أبان ذلك بقوله (لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك مما يقلل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق فيها مع ربه) قلت المريد فى حال سيره مأمور بالكتمان لعلمه وعمله وحال وارداته فافشاؤه لعمله من قلة اخلاصه وإفشاؤه لأحواله من قلة صدقه مع ربه وأيضاً الاحوال

عله كثر كلامه وأيضاً الكلام إنما يفهم بتمامه فاذا تم الكلام تكلم بما عنده من غير ملاجة ولا خصام ولا ينبغى السكوت بالكلية اذ لا يعرف الشيخ حاله ولا مقامه إلا بكلامه (وقال) شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه تعلم المذاكرة كتعلم الرماية فلا بد أن يرموا الاشارة فتارة أمامها وتارة قدامها حتى يصادفها أو كلام هذا معناه (و) أما احترام الماضى فالمراد من تقدم من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين والعلماء العاملين واحترامهم ألا يذكروا الا باحسان وأن يلتمس لهم أحسن المذاهب ويرحم الله النووى لما سئل عن ابن العربى الحاتمى فقال الكلام كلام صوفى (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ومن احترامهم الاستغفار والترضى عنهم قال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان) (و) اما احترام الآتى فمعناه لا يقطع المادة ويحجر فيقول انقطعت الاولياء ولم يبق أحد وانقطعت التربية ولم يبق من يصلح لها أو كان الناس وليس هذا زمانهم أو نحو ذلك من سوء الظن بالله وبعباده (وأما) سؤال الشيوخ عما جهلوا فلأن طلب العلم واجب على كل مسلم وهو معلوم من الدين بالضرورة ووقع الاجماع على أنه لا يحل لامرىء أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وانما يسئلون عما يحتاجون اليه فى الحال من عمل أو حال أو مقام دون ما يتعلق بالمستقبل من المقامات وهو معنى قوله ووقفوا من دور مالم يصلوا يعنى دون الذى لم يدركوه

تأتى من حضرة قهار فتزعج القلوب خوفا وتقلقها شوقا فاذا أفشى ذلك كان تبريداً لها وإطفاء لنورها كمن علت قدرته فصب فيها الماء البارد فيطول عليه غليانها ثانياً ولو قلل نارها وحركها لأستفاد إدامها كذلك الواردات الإلهية تفجأ القلوب لتحركها إلى النهوض الى مولاها فاذا أفشاها وذكرها للناس قل عملها فى قلبه ودل على صدقه فيها مع ربه (قلت) ومن ذلك استعمال الأحوال التى تميت النفوس لا ينبغى إفشاؤها فللنفس حظ فى ذلك لانها مجبولة على حب المدح والذكر الحسن ولو من الاخوان كثيراً ما ترى بعض الفقراء يذكرونها ويتبجحون بها وهو غير صواب نعم إن كان يقتدى به فيذكرها للاقتداء ولانهاض الفقراء فذلك حسن مع نية حسنة وكثيرا ما تستعمل هذه الاحوال فى حال السؤال فلذلك ذكره بأثره أو تقول لما كان التعبير عن الواردات الالهية مما يوجب الاقبال والتعظيم فيؤدى ذلك إلى العطاء فيحتاج إلى آداب القبض بين ذلك بقوله (لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم) قلت مد اليد الى الأخذ من الخلائق على قسمين اما أن يكون من غير سؤال أو بعد السؤال ولكل واحد منها أحكام أما الأخذ من غير سؤال فشرطه أمران أحدهما علمى آخر والآخر صوفى أما العلمى فلا يأخذ ممن كسبه حرام ولا مخلط ولا محجور عليه كالصبي والمجنون والعبد وأما الصوفى فلا يقبض حتى يعرف ممن يقبض علماً وحالا فان اتسعت معرفته وتحقق فناؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة أصلا فربما يسلم له القبض مطلقاً لأنه يقبض من الله ويدفع بالله ولكن الكمال هو الجمع بين الحقيقة والشريعة وقد كان كثير من الصوفية الحقيقيين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على أيديهم (وأما) القبض بعد السؤال فالكلام عليه من وجهين الأول فى جواز السؤال ومنعه والثانى فيما يقبضه بعد أخذه أما حكم السؤال فأصله الجواز قال الله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) فلو كان ممنوعاً ما نهى الله عن نهره ثم تعتريه الأقسام الخمسة يكون واجباً ومندوباً ومباحاً ومكروها وحراماً (فاما) الواجب فهو ما يكون لسد الرمق بحيث اذا ترك السؤال مات فهذا واجب عليه فلو تركه حتى مات مات عاصياً فأوجبه الشارع خوفاً على فوات حياة البشرية والحسية وأوجبته الصوفية أيضاً على من خاف فوات حياة الروحانية بحيث منعته الرياسة من حظ

بالمنازلة والذوق فلا يسئلون عنه لأنه لا تدركه عقولهم وان أدركته اتصلت به على غير وجه التحقق فكان ضرره أكثر من نفعه (وأما) عملهم بكل ما عملوا فلأن العمل نتيجة العلم فعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية وعمل بلا علم جناية (و) فى الحديث مثل العالم الذى لا يعمل كالشمعة تحرق نفسها وتضىء على غيرها ولأن العلم يهتف بالعمل فان وجده وإلا ارتحل ومن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم فالعلم اذا أيد بالعمل نهض ثم أنتج نوراً تاماً ينتج ذلك النور حكمة فيكون كل شىء من صاحبه علما وحكمة (و) قوله وآثروا يعنى أنهم آثروا على أنفسهم فى الكلام فيقدمون أكبرهم علما أو سنا ويؤثرون أيضا على أنفسهم فى صدور المجالس والمحافل وكل ما فيه تعظيم (قوله) واغتفروا أى سامحوا وعفوا عن جفوة الاخوان الذين لم يتهذبوا وصبروا على غلظتهم فى المذاكرة وغيرها (و) قوله واحتشموا أى تركوا المنازعة والمخاصمة والملاججة بالغضب لان ذلك يؤدى الى الشرور والعداوة والحقد فتخرج المذاكرة حينئذ الى المجادلة والمراء (و) قد قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى أسفل الجنة ثم ذكر آدابهم فى المعاشرة فقال :

واحتكموا بالعدل والانصاف   فورد و أكل معين صاف

(قلت) أشار رحمه الله إلى ان الفقراء لا يداهن بعضهم بعضا فى الحق ولا ينافق بعضهم بعضا بل يأمرون بينهم بالمعروف

رأسه وذبح نفسه فقد نقل القسطلانى فى شرح البخارى عن ابن العربى المعافرى أنه قات هو واجب على المريد فى البداية فتحصل أنه واجب حيث يخاف فوات حياةالبشرية أو الروحانية واليه أشار ابن البناء بقوله :

وما على السائل من تأويل لأجل قهر النفس والتذليل
فمن أولى الأذواق والأحوال من كان راض النفس بالسؤال
قالوا ولا خير إذا فى العبد ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

وبالجملة فهو لرياضة النفس واجب أو مندوب وكان إبراهيم الخواص تعرض عليه الألوف فلا يقبلها وربما سأل من يعرف من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك (وأما) المندوب فهو أن يسأل لغيره فهو من التعاون على البر فيسأل الطعام ليطعمه من يستحى أو يسأل اللباس أو غير ذلك وقد سأل النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قدموا عليه عراة ويدخل فى المندوب ما كان لرياضة النفوس حيث لم يخف عليه كما تقدم (وأما) المكروه فهو أن يسأل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء عنه بسبب من الأسباب وهذا مالم ينقطع للعبادة ويتجرد إلى الذكر وأما المنقطع إلى الله فلا بأس به وقد فعله كثير من العارفين المحققين فقد كان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل بابا أو بابين أو ثلاثا بين العشاءين فكانت العامة تتعجب منه أولا ثم عرف بذلك فكان لا يعيبه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة قدره وعلو معرفته بربه وكان الشيخ أبو سعيد الخراز إذا اشتدت به الفاقة يمد يده ويقول من عنده شىء لله (وكان) إبراهيم بن أدهم معتكفاً بجامع البصرة ولا يفطر إلا من ثلاثة أيام إلى ثلاثة أيام يخرج بعد صلاة المغرب يطلب على الأبواب فطره (وكان) سفيان الثورى رضى الله عنه يسأل الطعام لله فإن فتح بكثير أخذ كفايته وترك الآخر وأكثر الرجال على هذه الحال قطعوا الدنيا الفانية لتأثيرهم الاخرى الباقية وكل ذلك لا يقدح بشريعة ولا حقيقة ولا يطفىء نور المعرفة وقد أشار ابن البناء إلى هذين القسمين أعنى المندوب والمكروه فقال :

وكرهوا سؤاله لنفسه ثم أباحوه لأجل جنسه

ويتناهون عن المنكر فيحكمون بالعدل على بعضهم بعضاً وعلى أنفسهم ومن توجه عليه حق من الحقوق أنصف وأذعن وانقاد للحق ولا يتعصب ولا يتحامى حمية الجاهلية وحقيقة العدل هو تنفيذ الحق عن غير زيادة عليه ولا نقصان منه والانصاف هو الاعتراف به من غير توقف ويقال الانصاف من شيم الاشراف (وقال) أبو العباس بن العريف رحمه الله لابد لطالب العلم الحقيق من معرفة الانصاف ولزومه بالأوصاف اه (قلت) ولا بد أيضاً للعالم من التحقق بالانصاف ليرجع للحق أينما ظهر (وقد) قالوا إذا أخطأ العالم لا أصيبت مقاتله (و) كان الشيخ عبد العزيز المهدى رحمه الله إذا سئل عن شىء لا يدريه يقول لأدرى وإذا سئل عن شىء يدريه يقول أحب أن أسمعه من غيرى (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه ومن عجيب ما سمع فى ذلك أن ابن الحاج حكى فى مدخله أنه لما طلب شيخه بن أبى جمرة رضى الله عنه فى أن يقرأ عليه قال له وتترك القضاة والأكابر الذين كنت تقرأ عليهم وتقرأ على فقال عزمت قال استخر الله قال استخرت ثم جئت من الغد فقال عزمت قلت نعم قال لا يخطر على بالك أنك جلست بين يدى عالم ولا إلى عالم وأنت متعلم ولكنا قوم اجتمعنا لطلب أحكام الله فان وجدنا الحق على لسان صبى من صبيان المكتب اتبعناه (قلت) فهذا الأمر الذى كان عليه سلف هذه الامة والا لما صح مخالفة متأخرهم لمتقدمهم والله أعلم ثم المنصف هو الذى يبالى كان شيخا أو تلميذاً أو عالماً أو متعلماً ظهر الحق

ولم يعدوه من السؤال   لكن من العون على الأعمال
إذ كان خير الخلق فى أترابه   يسأل أحياناً إلى أصحابه

(وأما) المباح فهو أن يسأل الحاجة الغير ضرية كسؤاله لقضاء دينه أو ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه أو غير ذلك مما ليس بضرورة لكنه حاجى أى محتاج إليه (وأما) المحرم فهو أن يسأل تكثراً وزيادة على ما يكفيه (وفى) الحديث. من له أربعون درهما فالسؤال عليه حرام وفيه ورد الحديث أنه يبعث يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم ومن المحرم أيضاً ما فيه إلحاح وإضرار بالمسئول قال تعالى (لايسئلون الناس إلحافا) (قلت) وأما مايفعله بعض أصحابنا من صورة الالحاح بنا فإنما قصدهم بذلك قتل نفوسهم بما يسمعون من المسؤل فى جانبهم ولا يفعلونه إلا مع من يعرف عندهم بالإنكار فيستخرجون منه الجلال اختبارا لأنفسهم وقد يقصدون بذلك تحقيق الاخلاص وسترا للحال فيظهرون الرغبة وهم من أزهد الناس تحقيقاً للاكتفاء بعلم الله وما كان ذلك إلا فى حال قوتهم وجذبهم فالسكر غالب عليهم هذا ما حققته منهم وقد انقطع ذلك كله اليوم فما بقى إلا أهل الصفاء وأهل الوفاء وسبب دخول السؤال فى هذه الطائفة أن شيخ شيوخنا سيدى على الجمل العمرانى رضى الله عنه كان له جاه ووزارة ورياسة فى فاس فلما دخل فى يد الشيخ ورأى صدقه وجده قال له أرى لك خمرة لم يقدر عليها أحد قبلك ولولا ما رأيت فيك من الصدق والجد ما دللتك عليها قال وما هى يا سيدى فقال السوق للسؤال هكذا سمعته من بعض الاخوان والذى رأيته فى كتابه أنه قال له يا ولدى أراك تطلب هذا العلم ولا تنال منه ما تريد إلا بالذل فدخل فيه وسكن إلى مماته فلما ذاق سره ورأى ما فيه من الأسرار وما يقطع به المريد فى سيره من المفاوز والقفار سير أصحابه عليه ودلهم على استعماله فكان أصل مشروعيته قتل النفوس لا قبض الفلوس فمن استعمله لقتل النفوس ولج حضرة القدوس إذ ما حجبنا عنها إلا حياة النفوس ومن استعمله لقبض الفلوس نال الشقاء والبؤس وينبغى أن يكون فى حال السؤال يده مشيرة إلى الخلق وقلبه معلق بالحق قال فى المباحث :

وآداب الصوفى عند المسئلة   أن يدخل السوق إليه يسئله

على لسانه أو لسان غيره لأنه مقصوده دون ما سواه وقليل ما هم اه (قوله) فوردوا كل معين صافى الورود هو الشرب والمعين هو الماء الجارى والصافى لا تغيير فيه يعنى أن الصوفية لما حكموا بالعدل واتصفوا بالانصاف شربوا من العلوم أعذبها وأصفاها لأن القلوب إذا صفت وتزكت وتطهرت من الدعوى والمكابرة أشرقت فيها أنوار العلوم ولاحت فيها أسرار الفهوم فأخذت من العلوم أصفاها ومن الأنوار أبهاها ومن الأسرار أسناها وأوفاها فمن صفى صفى له ومن كدر كدر عليه فالعلم المكدر هو علم التقليد أو علم الدليل والعلم الصافى هو علم الأذواق أو علم الشهود (وفى) هذا المعنى قال القطب ابن مشيش رضى الله عنه وانشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة والله تعالى أعلم ثم ذكر شروط الاخوة وآدابها فقال :

وبعضهم كان لبعض عوناً   يلقى لديه دعة وأمنا
ينصره فى الحق حيث كانا   فان أسا قارضه احسانا

قلت أشار رحمه الله إلى أن الصوفية رضى الله عنهم أعنى الفقراء كانوا يتعاونون على البر والتقوى لأن ذلك لمقصد جمعهم فيعين أخاه بنفسه وماله وجاهه وعلمه وعمله وهمته وحاله ومناصحته ومودته ومصادقاته الى غير ذلك وما كان اجتماعهم إلا ليتعاونوا على ذكر الله وسائر أبواب الخير (قال) تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وبذلك التعاون يصير كل واحد منهم

لسانه يشير نحو الخلق وقلبـه معلق بالحق

وقد ذكر ابن ليون التجيبي السؤال وبين أصله وذكر مسئلة الزنبيل وكيفيته أن يتوضأ الرجل ويصلي ركعتين ويأخذ الزنبيل يعني وعاء بيده اليمنى ويخرج إلى السوق ومعه رجل آخر يذكر الله ويذكر الناس والناس يعطونه في ذلك الزنبيل حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويصبه بين الفقراء فيأكاون طعاماً حلالا بلا تكلف ولا كلفة هذا ما تيسر لنا في حكم السؤال والذي يظهر لنا في تركه اليوم أحسن من استعماله إذ زالت هيبته وصار حرفة من الحرف فصارت نفس كثير من الفقراء تبطش إليه وما ذلك إلا لما فيه من الحظ عندها والله تعالى أعلم (وأما) ما يأخذه من السؤال فان كان فقيرا اليه أخذه وإن كان غنياً عنه تصدق به خفية بالليل مثلا وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول كان قصدنا من السؤال قوت الأرواح فلما خرج منه قوت الأشباح تبارك الله يعني فيأخذه من اضطر إليه وبالله التوفيق وهذه الحكمة التي ذكرها الشيخ هي من أعظم المهمات التي يحتاج اليها أهل التجريد وليس مقصوده الكلام على السؤال إنما مقصوده الدلالة على تربية اليقين وعدم التشوف إلى المخلوقين فلا يعلق قلبه بالمخلوق فان تشوف اليه فينبغي ألا يقبض ما يعطاه ولا يمد يده إلى الأخذ منه حتى يرى أن المعطى هو الله ويكون ذوقاً وحالا قلت وهذا الشرط إنما هو فيما يأخذه بغير سؤال وأما في حال السؤال فلا يشترط بل يكون علما ومجاهدة حتى يصير حالا وذوقاً وأما ما يأخذه بغير سؤال فلا بد من هذه المعرفة وقال شيخ شيخنا لاتشترط هذه المعرفة بل يكفيه العلم فيها وهو الأصح مالم تتشوف نفسه إلى الخلق فان تشوفت نفسه فليكف عن القبض من الخلق وليكتف بضمان الملك الحق قال تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) قيل لبعضهم كيف خرجت من الدنيا بعد أن كانت في يدك قال نظرت منصفاً في معنى قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) فرأيت جميع الخلق من البعوضة إلى الفيل تكفل الله لهم الرزق ففوضت أمري اليه واشتغلت بالعبادة وقال عيسى عليه السلام لاتهتموا بالرزق فان الذرة على صغرها تؤتى كل يوم برزقها الحديث وقال أيضاً عليه السلام عجبت لمن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل وقال صلى الله عليه وسلم

في راحة وأمن من حاجته وهذا معنى قوله يلتى لديه دعة وأمنا أي يلقى عنده راحة فيما يعانيه عند توجه أخيه لذلك الأمر أو عند ما يعانيه عليه وأمناً من فوات مقاصده بسببه ولذلك قال عليه السلام مثل الأخوين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وكمثل البنيان يشد بعضه بعضاً وفي معناه قيل :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك بدد فيك شمله ليجمعك

(قوله) ينصره في الحق الخ أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يا رسول الله فاذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال تأخذ على يديه فترده عن ظلمه وإنما كان رده عن الظلم نصراً لأن نفسه ظالمة له وهو مغلوب في يديها فاذا رددته عن ظلمه فقد نصرته عليها وإذا تركته يظلم فقد خذلته وقد تقدم قول حمدون القصار لايزال الصوفية بخير ما تنافروا فاذا اصطلحوا قل دينهم (وقوله) فإن أساء قارضه إحسانا القرض هو السلف أطلقه هنا على مطلق العطا أي فان أساء فقير إلى أخيه في قول أو فعل سامحه وبذل له إحسانا وعفوا وامتثالا لقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ولمن يقتدى به (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها

من كان همه الآخرة جعل الله غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كان همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له وأن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه وكان يحيى بن معاذ يقسم انه لا تسكن الحكمة قلباً فيه ثلاث خصال هم الرزق وحسد الخلق وحب الجاه وكان حبيب العجمى يخدم الحسن البصرى فصنع حبيب طعاماً لإفطارهما وإذا بسائل فأعطاه جميعه فقال الحسن يا حبيب إنك كثير اليقين قليل العلم فهلا أعطيته النصف وتقوت بالنصف فقال يا سيدى ثوابه لك وأنا أستغفر الله فلما جن الليل وإذا بقارع على الباب فخرج حبيب فوجد عبدا معه طعام كثير والشتاء ينزل والغلام يبكى فقال له ما هذا قال طعام قال لى سيدى إن قبله منك الحسن البصرى فأنت حر لوجه الله وقد طال على الرق فقال حبيب لا إله إلا الله عتق رقبة وإطعام جائع ثم دخل به على الحسن وقال يا سيدى إنك كثير العلم قليل اليقين فقال يا حبيب تقدمناك وسبقتنا اه

(قلت) ولشيخ شيخنا مثل هذه الحكاية ذكرها لى بعض أصحابه ثم سألته عنها فقال هى صحيحة وذلك أهله صنعوا طعاماً جيداً فلما وضعوه بين أيديهم وإذا بسائل يسأل فأخرجه له الشيخ كله وبقى أولاده بغير عشاء فلما كان بعد صلاة العشاء وإذا برجل يدق الباب فخرج الشيخ فوجد رجلا معه مائدة فيها ألوان من الطعام فأدخلها لعياله رضى الله عنه وقال بعض الأغنياء كنت نائما وإذا بانسان قد وقف على فى عالم النوم وزجرنى وقال لى أجب الملهوف فانتبهت وأنا مذعور ولم أدر ما أصنع فأوقع الله فى قلبى أن أخذت صرة فيها مائة دينار وركبت دابة وأطلقت زمامها فخرجت بى من العمران إلى مسجد خرب ووقفت فنزلت ودخلت المسجد فوجدت مسكيناً وهو يتضرع إلى الله ويسئله من فضله فسألته عن حاله فقال أنا صاحب عيال ولى بنتان منذ ثلاث ما طعموا فأنا أسئل الله من فضله فدفعت له المائة وقلت له إذا نفذت فاسئل عنى فأنا فلان وأتنى فقال لا والله ما أسئل غير الله ثم انصرفت وأنا متعجب من ثقته بالله تعالى فهذه حكاية جنود من جنود الله تعالى تقوى اليقين وتوجب الثقة برب العالمين فيستحى العبد من الله أن يرفع حاجته إليه فأولى أن يرفعها إلى غيره كما بين ذلك بقوله (ربما استحى العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته) قلت العارف هو الذى بلغ من التقرب والقرب حتى امتحق نفسه بالكلية

إلا ذو حظ عظيم أى ادفع السيئة بالتى هى أحسن وقد تقدم قوله عليه السلام فى تفسير قوله تعالى (خذ العفو) الآية أن الله أمرنى أن أعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى وأعطى من حرمنى (قلت) وقد رأيت للغزالى كلاماً حسناً فى آداب الأخوة وشروطها ذكره فى الأحياء فرأيت أن أذكره على وجه الاختصار لما فيه من الفرائد الغزار قال رضى الله عنه اعلم أن عقد الإخوان رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها فكذلك عقد الأخوة فلأخيك عليك حق فى المال وفى النفس وفى اللسان وفى القلب وبالعفو وبالدعاء ثم قال وذلك يجمعه ثمانية حقوق الحق الأول فى المال بالمواساة وذلك على ثلاث مرات أدناها أن تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته بفضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وعندك فضلة أعطيته ابتداء فان أحوجته إلى سؤال فهو فى غاية التقصير (الثانية) أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك فى مالك فتسمح له فى مشارطته (الثالثة) وهى العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهى رتبة الصديقين ومنتهى درجة المتحابين (ومنها) الإيثار بالنفس أيضاً كما روى أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء وهو المتوكل فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن النورى فبادر إلى السياف ليكون أول مقتول فقيل له فى ذلك فقال أحببت أن أوثر إخوانى بالحياة فى هذه اللحظة فكان سبب نجاة جميعهم فى حكاية طويلة (الحق)

وزالت عنه الأينية والغيرية بحيث لم يبق له عن نفسه أخبار ولا مع غير مولاه قرار فإذا أراد أن يسأل عبودية استحي من مولاه أن يثبت معه سواه اكتفاء بمشيئته وتحقيقاً لأحديته فإذا كان يستحي من مولاه أن يرفع حوائجه إليه فكيف لا يستحي منه أن يرفعها إلى غيره فلا جرم أن الحق سبحانه يعطيه أفضل ما يعطى السائلين ويبوؤه فى مقعد صدق مع النبيين والصديقين وقد تقدم الحديث من شغله ذكرى الخ وقال سهل بن عبد الله ما من وقت إلا والله تعالى مطلع فيه على قلوب عباده فأى قلب رأى فيه حاجة إلى سواه ساط عليه الشيطان وحجبه عنه اه وقيل للواسطى لم لا تسأل الله شيئاً فقال أخشى أن يقال لى إن سألتنا الذى لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألتنا ماليس لك عندنا فقد أسأت الأدب معنا وإن سلمت الأمر لنا ونظرت بنظرنا أجرينا لك الأمور على مقتضى الموافقة اه (هذا آخر الباب الموفى عشرين) وحاصلها الكلام على الكرامات وما ينشأ عنها من العبارات لأن الكرامات الحقيقية هى الاستقامة على العبودية ومشاهدة أنوار الربوبية فإذا تحقق ذلك فى الولى فاض بالحكم وأذن له فى التعبير فحينئذ ربما يقبل عليه الخلق بالعطاء فإذا عرف فيهم مولاه حل له الأخذ من أيديهم وإلا فلا .

(وأما) السؤال منهم لقوت البشرية فلا يتصور من العارفين استحياء من الله واكتفاء بعلمه ومشيئته هذا مقام الواصلين وأما السائرون فهم عاملون على مجاهدة نفوسهم فإن ثقل عليها السؤال قدموها إليه وإن ثقل عليها الفاقة والصبر والاكتفاء بالمشيئة والعلم قدموه كما بين ذلك الشيخ رضى الله عنه فى أول الباب الحادى والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً) قلت هذا ميزان صحيح فى حق السائرين المشتغلين بالجهاد الأكبر قال تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده) وقال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فكل ما يثقل على نفس المريد وتنفر منه فهو حق فالواجب على المريد اتباعه وكل ما يخف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب عليه اجتنابه وهذا الأمر يختلف اختلافاً كثيراً فرب نفس يثقل عليها غير ما يثقل على الأخرى فبعضها يثقل عليها الصمت وبعضها يثقل عليها الكلام كما إذا ترنى فى الصمت وبعضها يثقل عليها العزلة وبعضها يثقل عليها الخلطة وبعضها يثقل عليها الصيام وبعضها الفطر وبعضها يثقل عليها السؤال وتموت منه فى ساعة واحدة وبعضها يخف عليها كما إذا تعودته

الثانى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديما على الحاجة الخاصة وهذه أيضاً لها درجات كالمواساة فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال ولكن مع البشاشة والاستبشار وأظهار الفرح وأوسطها أن تجعل حاجته كحاجتك فتكون متفقداً لحاجته غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال وأعلاها أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وتؤثره على نفسك وأقربائك وأولادك كان الحسن يقول اخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا لأن أهلينا يذكروننا الدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة (الحق) الثالث على الانسان بالسكوت فيسكت عن التجسس والسؤال عن احواله وإذا رآه فى طريقه فلا يسأله عن غرضه وحاجته فربما يثقل عليه أو يحتاج إلى أن يكذب ويسكت عن أسراره التى بثها إليه فلا يبثها إلى غيره ولا إلى أخص اصدقائه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة ويسكت عن مماراته ومدافعته فى كلامه (الحق) الرابع على اللسان بالنطق فيتودد إليه بلسانه ويتفقده فى أحواله التى يجب أن يتفقده فيها كالسؤال عن عارض له وأظهر شغل القلب بسنيه فينبغى أن يظهر له بلسانه كراهتها والأحوال التى يسر بها فينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته فى السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة فى السراء والضراء ويدعوه بأحب أسمائه فى حضوره ومغيبه ويثنى عليه بما يعرف من محاسن أحواله عند من يريد هو الثناء عنده وكذا على اولاده وأهله حتى على

قبل الأمر به وقس على ذلك فليكن العبد على نفسه بصيرة ويصير معها على عكس مرادها هكذا يستمر معها يخالفها فيما تأمره ويتهمها فيما تستحسنه فإذا تركت وتطهرت من الحس ولم يبق فيها بقية فحينئذ يجب عليه موافقتها إذ لا يتجلى فيها حينئذ إلا الحق فقد جاء الحق وزهق الباطل فيصير أمر العارف معكوسا مع السائر فالسائر يضره التدبير والاختيار والعارف ينفعه والسائر تضره الخلطة والعارف تنفعه السائر يضره الكلام والعارف ينفعه السائر تضره الدنيا ويهرب منها والعارف غائب عنها لا تضره وربما تنفعه والحاصل أن الواصل معكوس مع السائر فى أموره كلها وبالله التوفيق ويجب على من أراد جهاد نفسه أن يلقيها إلى شيخ التربية إذ قد يلتبس عليه أمرها وعلى فرض علمه بما يثقل عليها لا قدرة له على مجاهدتها إلا بهمة الشيخ هذه سنة الله فى عباده فإن النفس لا تريد أن تخرج عن رأيها ومرادها أبداً فالواجب إسلامها إلى من يعينه عليها وانظر التكاليف الشرعية تجدها مخالفة لهوى النفس ومن لا يلقى قيادة للشرع فهو كافر وما كفر من كفر إلا بتتبع الأهواء والله تعالى أعلم وها هنا ميزان آخر تعرف به العمل الذى فيه حظ النفس وهواها ومالا حظ لها فيه هو أن تعرض عليها الموت وأنت فى ذلك العمل فان رضيت بالموت وهى فى ذلك العمل فالعمل صحيح وإن لم ترض بالموت وهى فى ذلك العمل فالعمل باطل فكل عمل لا تهزمه الموت فهو صحيح وكل عمل يهزمه الموت فهو باطل يعنى فيه الهوى والحظ وكذلك الإنسان يزن نفسه بهذا الميزان ليعرف هل رحل من هذا العالم أو هو باق فيعرض الموت على نفسه فى حال عافية وجمال فاذا قبلت الموت ولم تفر منه فليعلم أنه رحل من هذا العالم وإن لم تقبل نفسه الموت وطلبت البقاء ففيه بقية بقدر ما تفر منها وبالله التوفيق ثم ذكر الشيخ ميزاناً آخر يعرف به اتباع الهوى من الحق فقال .

(من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات) قلت هذا ميزان آخر وان شئت قلت هو داخل فى الميزان الأول إذ من شأن النفس أن يثقل عليها الواجب لمشاركة الناس لها فيه إذ جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فيه مزية على غيرها وهى أبداً تحت الخصوصية بخلاف النوافل فانها تبطش إليها وتحب أن تنفرد بها إما لطلب المدح والثناء وإما لطلب الأجور من القصور والحور وهذا كله عند المحققين من الحظوظ الجلية

وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به من غير كذب ولا إفراط ويبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به ويذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض بعرضه بكلام صريح أو تعريض وتعلمه بما علمك الله وتنصحه (الحق) الخامس العفو عن الزلات والهفوات فان كانت زلته فى الدين بارتكاب معصيته فليتلطف فى نصحه فان بقى مصراً فقد اختلف الصحابة فى ذلك فذهب أبو ذر إلى مقاطعته وقال إذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث أحببته وذهب أبو الدرداء وجماعة إلى خلاف ذلك وقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فان أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وهذه ألطف وافقه وذلك لما فى الطريق من الرفق والاستمالة والتعطف المفضى إلى الرجوع والتوبة وأيضاً للأخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت وجب الوفاء بها ومن الوفاء ألا يهمله أيام حاجته وفقده وفقر الدين أشد من فقر المال ثم قال والفاجر إذا صحب تقياً وهو ينظر إلى خوفه رجع عن قريب ويستحيي من الأصرار بل الكسلان يصحب الحريص فى العمل فيحرص حياء منه وإن كانت زلته فى حقك فلا خلاف أن العفو والاحتمال هو المطلوب (الحق) السادس الدعاء له فى حياته ومماته بكل ما يحب لنفسه وأهله (الحق) السابع الوفاء والإخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الممات معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه (الحق) الثامن التخفيف وترك التكليف والتكلف فلا

أو الخفية فالمسارعة الى نوافل الخيرات وفضائل الطاعات مع التكاسل عن الفروض الواجبات علامة الهوى فيجب على الانسان أن يقدم الفرض الواجب ولا يقدم عليه الا ماهو من كماله كالنوافل قبله وبعده إعانة على الحضور فيه فان حصل الحضور استغنى عن الوسيلة والنافلة الكبرى عندنا هو الاستغراق فى مشاهدة مولاه بين فكرة ونظرة أوما يوصل إلى هذا المقام من مذاكرة أو ذكر ومن رفض الدنيا بحذافرها وغاب عن نفسه وجنسه فقد جمع الفرائض والنوافل كلها ولو بات نائما وظل مفطراً (وفى) بعض أخبار سيدنا داود عليه السلام قال يارب أين أجدك فقال له اترك نفسك وتعال أى غب عنها تجدنى أقرب اليك منها وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى وبالله التوفيق ولما كان من شأن النفس الأمارة التكاسل عن الطاعات قيدها الحق تعالى بأعيان الأوقات كما ابان ذلك بقوله (قيد الطاعات بأعيان الأوقات لئلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت ليبقى لك حصة الاختيار) قلت من شأن النفس تسويف العمل وتطويل الأمل فلو تركت مع اختيارها ماتوجهت قط الى ربها ولما علم الحق سبحانه ان من عباده من لا تنهضه المحبة ولا يسوقه اليه مجرد الرغبة وإنما تسوقه اليه سلاسل الامتحان بتخويف النيران أو شبكة الطمع بنعيم الجنان أوعد من حاد عن طاعته بالعذاب الأليم ووعد من أطاعه وتقرب اليه بالنعيم المقيم ثم فرض عليهم ما تظهر فيه طاعته من الاحكام والفرائض وعين لها أوقاتاً مخصوصة إذ لو ترك ذلك لاختيار عباده ماأقبل عليه بها إلا القليل من أهل محبته ووداده ومن رحمته تعالى أن وسع عليهم فى تلك الأوقات فبقى لهم فى ذلك ضرب من الاختيار فوسع الظهر مثلا الى العصر والعصر الى الاصفرار والمغرب الى العشاء والعشاء الى نصف الليل والصبح إلى قرب الطلوع فقد قيد لك أيها العبد الطاعات التى أوجبها عليك بأعيان الاوقات لئلا يمنعك التسويف من فعلها فيؤدى ذلك بك إلى تركها ووسع عليك الوقت ليبقى لك حصة أى ضرباً ونصيبا من الاختيار إذ لو ضيق عليك الوقت لكان ذلك فى غاية الحرج والاضطرار فالحمد لله على منته وسعة رحمته وقد قيل ان الله سبحانه يقول لعبده ألم أخرجك من العدم الى الوجود وأمدك بأمداد الفضل والجود جعلت لك نوراً فى بصرك لتدرك به أدلة قدرتى وعظيم آياتى وجعلت لك نورا فى بصيرتك

تكلف أخاك مايشق عليه بل تروح سره عن مهماتك وحاجاتك وترفهه عن أن تحمله شيئا من أعبائك ولا تستمد منه من مال وجاه ولا تكلفه التواضع لك والتفقد والقيام بحقوقك بل ما تقصد بمحبته الا الله تعالى انتهى المراد منه بعض اختصار ثم ذكر بعض ما يجتنب فعله فقال

وليس حط الرأس من آدابه — بل الصواب كان فى اجتنابه
بل هو مبنى على القصاص — لمن أراد حسبة الخلاص
وليس فى قيام الاستغفار — أصل صحيح واصطلاح جار

(قلت) أما حط الرأس فهو أن الفقير إذا أساء الادب مع أحد من الفقراء أو غيرهم يأتى اليه ويحط رأسه بين يديه ليؤدبه أو يقتص منه أو يسمح له وهذا أمر لم يرد فى الشريعة ولا جرى به عمل فى الطريقة فالصواب اجتنابه لأن ذلك كان عند من قال مبنيا على القصاص ليتخلص المجنى عليه من الجانى فهو من باب التمكين من القصاص وهو يتأتى بغير حط الرأس فلا حاجة الى ابتداع هذا الحط وقد مكن عليه السلام عكاشة من القصاص ولم يكن فيه شىء زائد على التمكين من القصاص لمن أراد أن يحتسب لله بخلاص نفسه فى الدنيا قبل الآخرة (وأما) قيام الاستغفار فهو ان الفقير إذا أساء فى حق الفقراء

لتفهم به خطابي وتتقي بالطاعة عقابي وترجو ثوابي فوعدتك الثواب على الطاعة وأوعدتك العقاب على المخالفة ثم كلفتك من العمل ما تطيق ووسعت عليك فى الأوقات كل ضيق فلو أنك قضيت ما أوجبت عليك فى أول عمرك فى آخره لقبلته منك فمن ذا الذى منعك من الامتثال ولم يكن بك عذر غير الغواية والضلال اه (وقد) قيل فى المثل من طلب جاب ومن هاب خاب وانظر قرن الله الهداية بالمجاهدة وأوجب سبحانه على نفسه ما لم يجب عليه فقال سبحانه وهو أصدق القائلين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) وأنشدوا فى هذا المعنى

لو صح منك الهوى أرشدت للحيل والصدق سيف ينيل غاية الأمل
فكن أخا همة تسمو بصاحبها ولا تكن بالتوانى محبط العمل

وكان الربيع بن خيثم يردد هذه الآية ويبكى قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وكان يصيح ليت شعرى من أى الفريقين أنت يانفسى وهذه الآية تسمى مبكية العابدين وقال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الآية ليس أهل الموافقة كأهل المخالفة أهل الموافقه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وأهل المخالفة فى عذاب السعير اه ولما ذكر حكمة توقيت الطاعة ذكر حكمة إيجابها على عباده فقال (علم قلة نهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك الا دخول جنته) قلت هذه حكمة التشريع لكنه ما ذكر الا حكمة أهل الظاهر وحاصلها أن الحق سبحانه من حكمته لما علم من عباده قلة النهوض إلى معاملته لانه قال وقليل من عبادى الشكور وقال أيضاً وقليل ماهم فلما علم ذلك أوجب عليهم طاعته وأوعدهم على تركها بالعقوبة فساقهم اليه بسلاسل الإيجاب ثم ذكر الشيخ حديثا ورد فى شأن الاسارى إشارة الى أن العبد لا اختيار له فهو أسير فى يد قدرة القدير والحديث مشهور وهو قوله عليه السلام عجب ربك من يساقون الى الجنة بالسلاسل لأنه عليه السلام كان يدعو الى الله والى دخول حضرته فمن وافقه نجا ومن خالفه جعل له السلسلة فى عنقه وساقه الى حضرة ربه ولفظ الحديث عجب الله من قوم يساقون الى

أو غيرهم وأراد التوبة والاستغفار قام على رؤس الفقراء معترفاً بذنبه ومظهراً للاستغفار ومعتذراً مما صنع وهذه الحالة لم يجربها عمل فقراء المغرب ولا مستند لها من السنة فتركها أولى إلا لضرورة وهذا خلاف ما ذكره أبو مدين بقوله :

وحط رأسك واستغفر بلا سبب وقم على قدم الإنصاف معتذرا

فلعله لم يصحبه عمل بعده وأراد به المبالغة فى الاعتذار والله تعالى أعلم ثم أجمل ما بقى من الآداب بقوله :

(والقصد من هذا الطريق الأدب فى كل حال منه هذا المذهب)

(قلت) أشار رحمه الله الى أن الطريق مبنية على الآداب فمن لا أدب له لا طريق له ومن أساء الأدب مع الاحباب طرد الى الباب ومن أساء الأدب فى الباب طرد الى سياسة الدواب (وقال) اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقد تقدم قول أبى حفص التصوف كله آداب الخ (وقال) الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أربعة آداب اذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأ به وإن كان أعلم البرية مجانبة الظلمة وإيثار أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة ومواظبة الخمس فى الجماعة (واربعة) آداب اذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعلوه والتراب سواء الرحمة للاصاغر والحرمة للاكابر والإنصاف من نفسه وترك الانتصار لها (وقال) محى الدين بن العربى رضى الله عنه أربعة من حازها فقد حاز الخير كله تعظيم حرمات

إلى الجنة بالسلاسل (قال) بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب إلى الله إظهار عجب هذا الأمر لخلقه لأنه بديع الشأن وهو أن الجنة التى أخبر الله بما فيها من النعيم المقيم والخلود فى العيش الرغد الدائم ومن حكم من سمع بها من ذوى العقل أن يسارع اليها ويبذل جهده فيها ويحتمل المكاره والمشقات لينالها وهؤلاء يفرون منها ويرغبون عنها حتى يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد إلى المكاره العظيمة التى تنفر منها الطباع اهـ ثم إن الحق سبحانه غنى عن الانتفاع بالمنافع فما أمرك بهذا ونهاك عن هذا إلا لما لك فيه من جلب المنافع ودفع المضار أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك إلا دخول جنته.

(قال) بعض الحكماء واعلم أن فى الطاعات تفاوتاً ودرجات وفى المخالفة كبائر ودرجات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما يرى أهل الأرض الكوكب الدرى فى أفق السماء قيل يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال آخر الناس ثلاثة عبد أطاع الله عبودية وشكرا وامتثالا وتماماً بحق الخدمة فزاده الوجوب شرفاً وعلو درجة وعبد أطاع الله تعظيما للموجب فالوجوب فى حقه تنبيه وإظهار للحكمة وعبد أطاع الله خوفاً من عذابه ورجاء فى ثوابه ولولا ذلك ماعبده فالوجوب فى حقه لطيف به وفى الكل خير وشتان ما بينهما اهـ (قلت) والتحقيق إنما هو قسمان قسم أطاع على التكليف وهم أهل التكثيف وقسم أطاع على التعظيم وهم أهل التعليم والتعريف أهل الحجاب أطاعوا خوفاً وطمعاً وأهل العيان أطاعوا حباً وشكراً وهو مقام الأنبياء وخواص الأولياء قال عليه السلام أفلا أكون عبداً شكورا فالحكمة عند أهل الباطن فى وجوب الخدمة إنما هى إظهار لستر سر الربوبية التى هى فى مظاهر العبودية فالربوبية بلاعبودية نقص يلزم عليه ابطال حكمته والعبودية بلا ربوبية محال لا يتصور وجوده.

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محـــال

المسلمين وخدمة الفقراء والانصاف من نفسه وترك الانتصار لها (و) باب الأدب باب كبير قد استوفى جله السلمى والغزالى فى الأحياء وبداية الهداية ومداره على ما تقدم (و) الضمير فى منه يعود على الطريق أى والقصد من هذا الطريق الأدب فى كل حال من أحواله هذا هو مذهبهم الذى تمكرا به فوصلوا وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ذكر الحكم السادس فقال (السادس فى حكم السماع) هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى وتكلم هنا على حكمه وأحكامه وآدابه وفوائده وبدأ بالحكم فقال:

وللأنام فى السماع خوض ... لكن لهذا الحزب فيه روض
قال العراقيون بالتحريم ... قال الحجازيون بالتسليم

(قلت) الخوض فى الأصل هو الدخول فى الماء ولما كان الغالب على الماء التغير بالخوض فيه صار يطلق على الدخول فى الأمور المشكلة الملتبسة لكثرة الخوض فيها والروض معلوم يجمع على رياض وهو مكان النزهة والفرجة (يقول) رحمه الله للناس فى السماع خوض كبير فى منعه وجوازه لكن لهذا الحزب وهى جماعة الصوفية التى هى حزب الله نزهة وخمرة يجدونها فى قلوبهم وأسرارهم ولذلك لما سئل الجنيد عن السماع قال كل ما يجمع القلب بالله فهو جائز وما هذا معناه. (ثم) ذكر الخلاف فأخبر أن العراقيين قالوا بالتحريم والمراد بهم الحنفية ومن تبعهم وأهل الحجاز قالوا بالتسليم أى الاباحة أو الوقف والمراد بهم مالك والشافعى ومن تبعهما فقد روى أبو معصب أن مالكا سئل عن السماع فقال لم يبلغنى فيه شيء الا أن أهل العلم ببلدنا لا ينكرونه ولا يقعدون عنه ولا ينكره الا غبى جاهل أو ناسك عراقى غليظ

ولأجل هذا المعنى كان العارفون إذا تحققوا هذا السر وهو أن العبودية لاوجود لها من ذاتها وإنما حكمة وجودها صور سر الربوبية بإظهار أحكام العبودية وعرفوا ذلك حالا وذوقاً كانت عبادتهم شكراً وكانوا فيها محمولين غير حاملين عملهم بالله لله فعبادة هؤلاء كثيرة عظيمة فى المعنى وإن كانت قليلة فى الحس ولا تقل أبداً إذ تصرفاتهم كلها عبادة نومهم عبادة وأكلهم عبادة ومشيهم عبادة وفى مثل هؤلاء ورد الحديث نوم العالم عبادة وقال أيضاً رجال يدخلون الجنة على الفرش المعهدة قيل من هم يارسول الله قال الذاكرون الله كثيراً أو كما قال عليه السلام ذكره المنذرى وقال أبو سلمان قد يدرك العارف على فراشه مالا يدركه فى صلاته ولا يستغرب العبد من نفسه بلوغ هذا المقام فان فضل الله لا ينال بسبب وقدرة الله صالحة لدرك كل مطلب كما أبان ذلك بقوله (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على شىء مقتدراً .

قلت لاشك أن الحق تعالى لا يعجزه شىء هو الغالب على أمره وقلوب عباده بيده يصرفها كيف شاء ويقلبها حيث شاء فمن كان منهمكا فى الغفلة مستغرقاً فى بحار الشهوة فلا يستغرب أن ينقذه الله من غفلته وأن يخرجه من وجود شهوته فان ذلك قدح فى إيمانه وكيف يستغرب ذلك وربنا تعالى يقول (وكان الله على كل شىء مقتدراً) وأنت من ذلك الشىء وقال تعالى فى حق العصاة (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) وقال تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه) إلى غير ذلك من الآيات وقال عليه السلام لو أذنبتم حتى تبلغ خطايا كم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم وليتذكر من تقدم قبله من أهل الغفله والعصيان ثم صار من أهل المشاهدة والعيان كانوا لصوصاً فصاروا خصوصاً كابراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وأبى يعزى وكثير ممن يعتذر حصره وقد ذكر القشيرى فى أول رسالته منهم رجالا قدمهم أولا تقوية لرجاء المذنبين

الطبع (قلت) لايشك عاقل أن الأصل فى السماع هو الجواز بدليل قضية الجوارى التى كن يغنين ويضربن بالدف يوم العيد والرسول عليه السلام حاضر وهى فى البخارى وغيره (و) قال أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه (وروى) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كانت عندى جارية تسمعنى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايضحكك يارسول الله فحدثه فقال لا أخرج حتى أسمع ما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها فأسمعته :

(قلت) وذكره التجيبى أيضاً بهذا اللفظ ثم قال السلمى (وسئل) ذو النون عن السماع فقال وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى اليه بحق تحقق ومن أصغى اليه بنفس تزندق (وقال) السرى تطرب قلوب المحبين الى السماع وتخاف قلوب التائبين وتكاب قلوب المشتاقين وقيل مثل السماع مثل الغيث إذا وقع على الأرض المجدبة فتصبح مخضرة كذلك القلوب الزكية تظهر مكنون فوائدها عند السماع وقيل يحرك ما ينطوى عليه القلب من السرور والحزن والرجاء والشوق فربما يخرجه الى البكاء وربما يخرجه إلى الطرب (و) قيل السماع فيه حظ لكل عضو فربما يبكى وربما يصرف وربما يصعق وربما يرقص وربما يغمى عليه (و) قيل أهل السماع ثلاثة تائب وصادق ومستقيم وقيل المستمعون ثلاثة مستمع بربه ومستمع بقلبه ومستمع بنفسه وقيل يحتاج المستمع الى ثلاثة دقة ورقة وحرقة مع فناء الطبع ودخول الحقائق ولا يصح السماع الا لمن فنيت حظوظه وبقيت حقوقه وخمدت بشريته ثم قال فكذلك السماع يؤثر على مقدار صفاء الباطن وقوة الوارد (قال) بعض المشايخ لا يصح السماع إلا لمن كان قلبه حياً ونفسه ميتة فأما من كان نفسة حية وقلبه ميتاً فلا (حكى) عن بعض الابدال أنه قال رأيت النبى صلى الله علية وسلم فقلت ماتقول فى السماع الذى عليه أصحابنا فقال هو الصفاء الذى لا يثبت

وليذكر الرجل الذى قتل تسعا وتسعين نفساً ثم سأل راهبا عن التوبة فقال له لاتوبة لك فكمل به المائة ثم سأل عالمافدله على التوبة وأمره بالذهاب إلى قريه فيها قوم يعبدون الله فقصدهم فمات بالطريق فأخذته ملائكة الرحمة والحديث فى البخارى مطولا وكذلك الرجل الذى كان لصا فسأل عابداً هل له من توبة فاستهزأ بهوأخذعرجونايابساًوقال له خذ هذا العرجون فاذا اخضر فقد صحت توبتك فأخذه بالنية وجعل يعبد الله وينظر اليه فأصبح ذات يوم معسلجاً أخضر (قلت) وقد أدركت أقواما كانوا مغروقين فى الغفلة وترك الصلاة لايعرفون من الدين المشهور قليلا ولا كثيراً فضلا عن طريق الخصوص فانقلبوا وصاروا خصوصاً عارفين وقد أدركت أقواماً كانوا منهمكين فى الذنوب مغروقين فى المعاصى وظلم العباد فصاروا من أعظم الصالحين وقد رأيت نصارى بثغر سبتة حضروا خلف حلقة الذكر فانجذبوا وتبعونا حتى خرجنا الحد الذى بيننا وبينهم ولو وجدوا سبيلا لأسلموا سريعاً وقد كان بعض إخواننا يقول فى شأن نفسه تعجباً من خروجه من غفلته هذا مدفع النخاس المدبر من عنده شىء فليخرجه فلقد رأيته مجذوباً عارياً رأسه حافياً رجله فهو اليوم من خواص الأولياء والغالب انما يتفق هذا لمن سقط على صحبة العارفين الذين عندهم الاكسير وهم موجودون فى كل أوان وهذا أمر شهير لايحتاج إلى دليل ومن شك فليشاهد فيا عجباً ممن ينكر ضوء الشمس بعد طلوعها ونور القمر بعد ظهوره ولكن كما قال صاحب البردة

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وأعجب منه من ينكر وجود شيخ التربية ويقر بانقطاع أهل الخصوصية فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور أعنى تعمى عن طريق أهل الخصوص وتبصر طريق أهل العموم

عليه إلا أقدام العلماء انتهى المراد منه (وقد) أشبع الكلام فيه ابن ليون التجيبى فى الانالة قال فيها فاستماع الشعر لاينكره إلا جاهل بالسنة ثم قال وقال صالح بن أحمد بن حنبل أنه رأى أباه يستمع من جاره غناء كان فى بعض ديار جيرانه ثم قال وعن أنس كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل فقال يارسول الله فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام وهو نصف يوم ففرح فقال افيكم من ينشدنا فقال بدرى نعم يارسول الله فقال هات فأنشد البدرى يقول

قد لسعت حية الهوى كبدى ... فلا طبيب لهـا ولا راق
إلا الحبيب الذى قد شغفت به ... فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد عليه السلام وتواجد أصحابه معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه فقال معاوية ما أحسن لعبكم يارسول الله فقال مهمه يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ثم اقتسم رداءه من حضرهم بأربعمائة قطعة وذكره المقدسى والسهروردى وتكلم الناس فى هذا الحديث (قلت) التحقيق فى السماع هو التفصيل فأما أهل الحقائق فلا شك فى جوازه لهم أو استحبابه على ما يأتى ومستندهم ما تقدم وأما أهل الشرائع فان خلا المكان من النساء والصبيان فهو مباح للتائب مكروه لغيره وأما ان حضر النساء أو الشبان فهو حرام سد الذريعة والله تعالى أعلم وإلى هذا التفصيل أشار بقوله فقال

وان للشيوخ فيه فنا ... إذ جعلوه للطريق ركنا
وإنما أبيح للزهاد ... وندبه إلى الشيوخ باد
وهو على العوام كالحرم ... عند الشيوخ الجلة الأعلام

كالخفاش يبصر فى الظلمة ولا يبصر فى النور فهو عند الناس معذور لفقده ما عند الأقوياء من النور وقد يسلط الله على عباده الانهماك فى الشهوات ويحبسه فى سجن الغفلات ثم يمن عليه بالتوبة والتيقظ من الغفلة ويدخله مع أحبائه مداخل الحضرة ليعرف قدر ما أظهر الله عليه من المنة كما أبان ذلك بقوله (ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك) قلت لاشك أن نيل الشيء بعد الطلب ألذ وأعز من المساق بغير تعب والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة والصفاء بعد الجفاء أصفى من الصفاء بلا جفاء وفطام النفس عن مألوفاتها وعوائدها أشد معالجة من النفس السلسة المنقادة من غير تعب فيكون الأجر أو القدر على قد التعب فهذه حكمة تقديم ورود الغفلة والشهوة على العبد ثم ينقذه منها ليعلم قدر هذه النعمة التى أنعم الله بها عليه فربما أورد عليك أيها الإنسان الحق تعالى الظلم جمع الظلمة وهى الأغيار والأكدار وحب الشهوات والعوائد فتغرق فى بحارها وتسجن فى سجون ظلماتها ثم ينقذك منها فى ساعة واحدة وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما من الله به عليك فتزداد محبة وشكراً ويعظم السر عندك محلا وقدراً فتعرف حقه وتصونه عمن لا يستحقه ولأجل هذا جعل الله الجنة محفوفة بالمكاره ليعرف العباد بعد دخولها قدر النعمة التى من الله بها عليهم وكذلك جنة العارف محفوفة بالمكاره ليعرف العارف قدر السر الذى كشف به والخير الذى منحه الله إياه (واعلم) أن هذا الظلم التى ترد على القلوب فتحجبه عن علام الغيوب هى ناشئة بحكمة الله من الدنيا والنفس والشيطان فمن زهد فى الدنيا وغاب عن نفسه وأطلق يده منها وذكر الله حتى احترق الشيطان وذاب دخل مع الأحباب وفتح له عن علم الغيوب الباب قال بعض الحكماء واعلم أن الصانع البديع سبحانه لما خلق القلب جعله خزانة أسراره ومعدن أنواره وموضوع نظره من عبده ولم يخلق الله فى الوجود أشرف منه ثم رمى على باب القلب أخس الأشياء وأقذرها لتقضى حكمته اجتماع الاضداد التى لا قدرة لغيره على ذلك

قلت أشار رحمه الله إلى أن السماع فيه للشيوخ العارفين فنون وزيادات ومواجيد وأحوال وواردات فلذلك جعلوه ركنا يأوون اليه ويعتمدون عليه لأنه رخصة الضعفاء منهم كما يأتى وأما الأقوياء فلا يحتاجون اليه وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن السماع أمباح هو فقال كل ما يجمع العبد على ربه فهو مباح وقد تقدم والتحرير هو التفصيل كما ذكره الناظم فقسم مباح وقسم مندوب وقسم حرام فهو للزهاد مباح لأن نفوسهم ماتت عن الشهوات المستلذات فلا ضرر لهم فيه حتى يحرم ولا نفع لهم فيه حتى يندب إذلم يبلغوا رتبة التحقيق والذوق وللشيوخ العارفين مندوب لأنه يثير فيهم الوجد والوداد حتى ينشد ذلك فى عوالم الاجساد وتتسع ميادين الحضرة فيكون للحضار منها نصيب لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها وكل ما أفضى إلى الكمال فهو كامل وعلى العوام حرام أو كالحرام لأنه ينشر فيهم الشهوات والمعاصى ويحرك عليهم الطباع الردية والعوائد الدنية فاذا انتفت هذه العلل كان مباحاً إلا أن حضره أهل الفساد فيمنع مطلقاً سداً للذرائع وإنما حرم على العوام لأن الغناء مرقات الزنا وأنه ينبت النفاق فى القلب (وقالوا) أيضاً السماع راح تشربه الأرواح بكؤس الآذان على معانى الألحان ولكل امرىء مانوى ماء زمزم لما شرب له ، وهذا وما سمع له ؛ (وقالوا) أيضاً من سمع بتزندق تزندق ، ومن سمع بتحقق تحقق واذا ذكر الهوى فلكل امرىء ما نوى (وكان) بعضهم يقول أنتم غنوا كما تحبون ونحن نسمع كما نحب وبالله التوفيق ثم ذكر نتائجه السنية والدنية فقال

وفيه كان ميلق الأحوال كيما يبين سافل وعال

(قلت) الميلق فى اللغة هو السرعة وفرس ميلق أى سريع قاله فى القاموس يعنى أن السماع سرعة ظهور الأحوال الزكية أو الدنية فمن كان قلبه مع ربه حركه سريعا إلى حضرة قدسه ومن كان قلبه مع حظه وهواه حركه إلى حظوظه

فطرح على باب القلب جيفة وكلبا ينهش فيها وهما الدنيا والشيطان فمن أراد الدخول لخزانة سر الله لابد له من تغميض عينه عن هذه القذرة واعراضه عن الكلب لأنه لاسبيل له على من أعرض عنه وعن جيفته وكل من التفت إليها سلب النور الذى أراد الله به الدخول لبيت قلبه وكان له ذلك كالطلسم على الكنز منعه منه لامحالة اه (وقيل) أن الدنيا بنت الشيطان وطالب الدنيا صهر إبليس والأدب لاينفعك عن بنته أبداً مادامت البنت فى عصمة الصهر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبده خيراً زهده فى الدنيا ورغبه فى الأخرى وبصره بعيوب نفسه قيل يارسول الله أى الناس شر قال الأغنياء يعنى البخلاء ثم قال عليه السلام ومن عظم غنيا لأجل غناه كان عند الله كعابد وثن ومن أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة اه (وأوحى) الله إلى موسى عليه السلام ماأحبنى من أحب المال وما أحبنى من أحب الدنيا فانه لايسع فى قلب واحد حبى وحبها أبداً ياموسى ماخافنى من خاف الخلق وما توكل على من خاف فوات الرزق وعزتى وجلالى ماتوكل على عبد إلا كفيته وبيدى مفاتح الملك والملكوت وما اعتصم بى عبد إلا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيرى قطعت عنه الاسباب من فوقه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالى كيف أهلكته ياموسى خمس كلمات ختمت لك بها التوراة ان عملت بهن نفعك العلم كله وإلا لم ينفعك شىء منه (الأولى) كن واثقا برزقى المضمون لك مادامت خزائنى مملوءة وخزائنى لاتنفد أبداً (والثانية) لاتخافن ذا سلطان مادام سلطانى وسلطانى دائم لايزول أبداً (الثالثة) لاترى عيب غيرك مادام فيك عيب والعبد لايخلو من عيب أبداً (الرابعة) لاتدع محاربة الشيطان مادام روحك فى جسدك فانه لايدع محاربتك أبداً (الخامسة) لا تأمن مكرى حتى ترى نفسك فى الجنة وفى الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكرى أبداً اه (قلت) وهذا كله تشريع لغيره والانبياء كلهم مطهرون معصومون وكل ماورد فيهم

ومناه لأجل ذلك يظهر من سقط فى أسفل سافلين ومن أرتفع فى أعلى عليين ثم أشار إلى نتيجة أخرى فقال .

وهو صراط عندهم محدود يعبره الواجد والفقيد

(قلت) السماع عند الصوفية طريق محدود أى معلوم بحدوده ورسومه يعبره أى يسلكه الواجد لحاله وهو الذى حجب بالجمع عن الفرق أو الذى لم يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه ويسلكه أيضاً الفاقد لحاله وهو الذى حجب بالفرق عن الجمع فيظهر على كل واحد ماكن فى سره فالواجد يزيده فى حضرة الحق عشقاً ووجداً والفاقد يزيده عن ربه طردا وبعداً فكل إناء بالذى فيه يرشح (قال) الجنيد رضى الله عنه كل مريد رأيته يميل الى السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة (وقال) أيضاً السماع صراط محدود يعبره صاحب يقين ووجد وصاحب شك وجحود أما أن يرفع سالكه إلى أعلى عليين أو يكبكبه فى أسفل سافلين فكبكبوا فيها هم والغاوون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وإلى هذا أشار الناظم بقوله .

فعابر يحله عليين وآخر يحطه فى سجين

قلت فالعابر الذى يحمله فى عليين هو من تحقق بالوحدة وفهم الاشارة وذاق حلاوة الخمرة فلا يزال يسمع بالله ومن الله حتى يغيب عن حسه ويغرق فى حضرة قدسه فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والآخر الذى يحطه فى سجن هو الذى يسمع بنفسه ويتذكر حظوظه وهواه الذى كان مشغولا به سره ونجواه فلا يزال يزعجه الشيطان حتى يلقيه فى بحر الوادى والهوان فينهض فى طلب المعاصى والطغيان فأولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الرحمن أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون فيكتب مع الفجار كلا أن كتاب الفجار لفى سجين

من التعليم والتربية فالمراد به غيرهم وبالله التوفيق ثم من الله عليه فأخرجه من أسر نفسه وأطلقه من سجن غفلته فلم يعرف هذه النعمة سلبها من ساعته كما أشار إلى ذلك بقوله (من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها) قلت هذا الذى ذكره الشيخ مجرب صحيح وذلك أن العبد قد تترادف عليه النعم والعوافى فلا يعرف قدرها ولا تعظم عنده كل التعظيم فاذا سلبها وضرب بالبلاء والأجواع والمصائب فحينئذ يعرف قدر العافية وكذلك الفقير يكون مصحوبا بالحضور والفكرة والنظرة فلا يعظم عنده قدرها فاذا أصابته الغفلة ورجع إلى الحس وفقد قلبه عرف قدر ما كان عنده فإذا التجأ واضطر إلى الله رد اليه ماسلبه قيل أن الله تعالى يقول لجبريل ياجبريل انسخ حلاوة محبتى من قلب عبدى اختبره فينسخ جبريل حلاوة المحبة من قلب ذلك العبد فاذا هو اضطرب وتضرع والتجأ وبكى يقول الله تعالى لجبريل رد عليه حلاوة محبتى فقد وجدته صادقا وإذا نسخ حلاوة المحبة من قلب العبد فلم يبتهل ولم يتضرع لم يرد إليه شيئاً وسلبه تلك الحلاوة والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ويستعين العبد على معرفة قدر النعم بالتفكير فيها وبالتفكير فى حال نفسه قبل وجودها فينظر إذ كان غنيا إلى حال فقره المتقدم حساً أو معنى وينظر إذا كان صحيحا إلى حال مرضه وينظر إذا كان طائعاً فى حال عصيانه وينظر إذا كان ذاكرا إلى وقت غفلته وينظر اذا كان عالما الى وقت جهله وينظر إذا كان مصاحبا لشيخ عارف إلى وقت ضلالته وينظر إذا كان عارفا إلى وقت جهالته وهكذا كل نعمة ينظر إلى وجود ضدها الذى كان موجودا فيه قبل ذلك فلا شك أنه يعرف قدرها فيشكرها فتدوم عليه (وأما) من لم يتفكر فى حال النعم فلا يعرف قدرها فيغفل عن شكرها فيسلب منها وهو لايشعر قال بعضهم شكر الله تعالى باللسان هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع وشكر الله باليد هو الاتصاف بالخدمة على وجه الأخلاص وشكر الله بالقلب هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال الجنيد رضى

نسئل الله العصمة بمنة آمين ثم ذكر نتيجة أخرى فقال .

وهو سرور ساعة يزول   نعم وسم ساعة قتول

قلت السماع إنما هو فرح ساعة ثم يذهب فمن كان فرحه بالله أجتنى ثمرته وجناه وفاز بمعرفة ربه ورضاه ومن كان فرحه بهواه فقد باء بغضب من الله وهو أيضاً سم قاتل لمن حركه إلى الهوى والباطن قال السلمى رحمه الله بلغنى أن أباعمرو ابن نجيد قال لأبى القاسم النصرآباذى بلغنى أنك مولع بالسماع قال نعم هو خير من أن نقعد فنغتاب فقال هيهات ياأبا القاسم زلة فى السماع شر من كذا وكذا سنة تغتاب قلت ولعله من جهة الاقتداء به والله تعالى أعلم ثم ذكر نتيجة أخرى من نتائج السماع فقال :

وهو قياس نقاش القلوب   إذ ينزل الحبل به ثم يؤدب

(قلت) السماع معيار العقول فى الخير والشر فيعرف به الكامل فى الخير من الناقص فيه والكامل فى الشر من المتوسط فيه أما الكامل فى الخير فهو المتمكن فى المعرفة الراسخ فيها فهذا كالجبل لايحركه سماع ولاتهزه ريح وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (قيل) للجنيد مالك كنت تتحرك فى السماع والآن لايظهر عليك شىء فقرأ الآية وترى الجبال الى آخرها (و) أما الناقص فى الخير فهو السائر فهذا إذا سمع تحرك وتواجد ورقص وشطح فهذا مغلوب للحال لكنه فى أثر الرجال فمن دام سيره ظهر خيره ووصل الى ماوصل اليه غيره (وأما) الكامل فى الشر فهو المنهمك فى الغفلة اذا سمع هاج شره وغلبته نفسه وبطشت فى الحين الى ماتقدر عليه من الفساد (و) أما المتوسط فى الشر فتحركه نفسه ويغلبها فى الوقت فاذا قامت جمحت الى طلب ماتحركت اليه الا أن يعصمه الله بحفظه (و) هو أيضاً أى السماع نقاش القلوب فيخرج مافيها من خير وشر كمن ينقش على الماء فيخرجه ان كان صافيا شرب وان كان مغيرا طرح (و) قوله اذ ينزل الحال

الله عنه ألا ترى نفسك أهلا للنعمة وألا تعصى الله بنعمته اه فإن قلت كيف أقوم بشكر النعم وهى لا تحصى (قلت) القيام بها هو الاعتراف بها للمنعم وحده وإلى هذا المعنى أشار الشيخ بقوله (لاتدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك) قلت يتفكر الإنسان فى نفسه وما به من النعم فيجد نفسه مغموساً فى النعم حسية ومعنوية الرجلين فى نعمة الصحة والعافية فى نعمة الكفاية فى نعمة الأهل فى نعمة الأولاد ثم فى نعمة الهداية إلى الإسلام ثم فى نعمة الإيمان ثم فى نعمة الطاعة ثم فى نعمة العلم ثم فى نعمة من يستعين به من الاخوان ثم فى النعمة الكبرى نعمة الشيخ فيما أعد الله له بعد الموت الذى لا نهاية له فإذا وجد نفسه مغموراً فى النعم فلا يدهش منها ويتحقر فى نفسه عن القيام بشكرها فإن الاعتراف بها ومعرفتها والاقرار بها أنها من الله بلا واسطة هو شكرها وقوله (الحمد لله رب العالمين) كاف فى شكر اللسان ألا ترى أن الجنة هى أعظم النعم فكان شكر أهل الجنة فيها (الحمد لله رب العالمين) قال تعالى (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) (وقد) جاء فى بعض الأخبار أن داوود عليه السلام قال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة من نعمك ونعمتك توجب على الشكر والشكر نعمة يوجب الشكر أيضا وهكذا وأنشد بعضهم فى هذا المعنى :

إذا كان شكر الله للعبد نعمة … عليها من الله له يجب الشكر
فكيف له بالشكر والشكر نعمة … ولو والت الأحقاب واتصل العمر

وقال آخر :

لك الحمد مولانا على كل نعمة … ومن جملة النعماء قولى لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة … فسبحانك لا يقوى على حمدك العبد

به ثم يؤوب هو تصوير النقش المذكور لأن السماع ينقش عن ما فى القلب فيخرج ما فيه من الحال اما ربانى أو شيطانى أو نفسانى والجميع يزول ويذهب فإن كان ربانيا بقى أثره من الخشوع والطمأنينة والتواضع والزهد وحسن الخلق وإن كان شيطانيا أو نفسانيا لم يبق بعده إلا القسوة والغلظة والحرص والطمع وغير ذلك من الأخلاق المذمومة (و) فى الحكم لابن عطاء الله لا تزكين واردا لا تعرف ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وإنما المراد منها وجود الأثمار وهذا مراد من قال من لم يؤثر فيه السماع زيادة ما عنده فهو نقص فى حقه لأن الواردات لا تراد لذاتها وإنما تراد لثمراتها والله تعالى أعلم ثم شبه الحال الربانى بالمطر النازل فى أصول الشجر كما تقدم فى الحكم فقال :

(وآثاره فى عرصات القلب … كالوبل فى الغصن القويم الرطب)

(قلت) العرصات جمع عرصة وهو المكان الواسع الذى تغرس فيه الأشجار كنى به هنا عن سعة القلوب الفارغة من الشواغل والشواغب وأراد أن السماع يترك آثاره فى قلوب العارفين المطهرة من دنس الهوى الفارغة من حب السوى كما يترك المطر الغزير آثاره فى الغصن القويم الرطب وهو الزهر أولا والعقد ثانيا والثمار ثالثا فليس المراد من المطر نزوله وإنما المراد ما ينشأ عنه من الثمار والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابه فى الجملة فقال :

ولا يجوز عنده التكلم … ولا التلاهى لا ولا التبسم

(قلت) إنما لا يجوز التكلم عنده لأنه عند العارفين محل الوجد والخمرة والكلام يشوش القلب ويبعده من الحضرة ويتلف عن الحقيقة فالواجب تركه لمن أراد جبر قلبه وعند غير العارفين رخصة لأنه قريب من رتبة الباطل فأقل شىء

فأوحى الله إليه إذا عرفت أن النعم كلهم منى فقد شكرتنى وقد رضيت منك بذلك وفى رواية أخرى قال داود عليه السلام إلهى إن ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى إليه ياداود انى أعطى الكثير وارضى باليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمنى وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إليه أنى بأرض ونقد كثرت فيها النعم ولقد أشفقت على قلبى ضعف الشكر فكتب إليه عمر انى كنت أراك أعلم بالله مما أراك أن الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك إلا فى كتاب الله المنزل قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) ثم قال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) وأى نعمة أعظم من دخول الجنة اه ولما كان أعظم النعم وأشرفها هو دواء القلب وشفاؤه من مرض الهوى الذى قيده فى سجن الغفلة وعرضه لغضب المولى نبه الشيخ على ذلك ليعرف العبد قدر هذه النعمة إذا كان شفاه الله أو يطلب من الله إخراجه من تلك النعمة إذا لم يكن شفاه الله فقال (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) قلت حلاوة الهوى على قسمين هوى النفس وهوى القلب فهوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن وهوى القلب هو شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة الطاعات الحسية كقيام العباد والزهاد وحلاوة علم الحروف والرسوم فأما علاج هوى النفس فأمره قريب يمكن علاجه بالفرار من أوطان ذلك والزهد وصحبة الأخيار وأما علاج هوى القلب إذا تمكن فهو صعب وهو الداء العضال الذى أعضل الأطباء أى أعجزهم وحبسهم عن علاجه فلا يزيده الدواء إلا تمكنا أو إنما يخرجه وارد إلهى بعناية سابقة بواسطة أو بغير واسطة كما أشار إلى ذلك بقوله

يرده إليه (قال) السلمى رضى الله عنه والسكون مع حضور القلب وجمع الهم والوقوف على أقوال المنشدين أولى من المداخلة لأنه محل الاستكانة والتمكين والهدو والانصات من آداب المستمعين قال الله تعالى (فلما حضروه قالوا أنصتوا) الآية وقال (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً) اه

(وأما) التلاهى عنه فانه يقتضى أنه لا أرب له فيه من جهة قلبه وإنما مراده راحة نفسه والفرجة والتلاهى يكون بالالتفات عنه بقلبه أو بدنه شغلا بغيره (و) أما التبسم فيه فان فيه اساءة الأدب فان غلبه خرج وإلا أخرج وزجر (قال) السلمى رحمه الله ولا يحضر مجلس السماع من يتبسم أو يتلاهى (يحكى) عن الشيخ أبى عبد الله بن خفيف أنه قال حضرت مع شيخى أحمد بن يحيى السماع بيشران اسم موضع فيها فاتفق سماع أمم بموضع فطاب وقت الشيخ وتواجد وداروكان فى ضفة بحذائنا قوم من أبناء الدنيا فتبسم واحد منهم فأخذ الشيخ منارة كبيرة كانت هناك فرماه بها فأصابت الجدار فانغرست ارجلها الثلاث فى الحائط وكان قد صلى ثلاثين سنة الصبح بوضوء العشاء اه ثم نهى عن حضور الاحداث فقال :

ويمنع الاحداث من حضوره وان يكن ذلك فمن ظهوره

(قلت) مما يتأكد فى مجلس السماع منع الاحداث من حضوره اما حدث السن واما حدث الدين أو العقل وقد تقدم تفسيرهم أما حدث السن فلما تحرك مشاهدتهم من الفتنة لاسيما مع دواعى ذلك من الشعر والاوزان والترنم بالأصوات الحسان والنفس لها فى هذا الميدان مجال عظيم ومكر كبير (و) أما حدث الدين أو العقل فان حضور غير الجنس يمنع من المدد وذلك مجرب فى الذكر والمذاكرة والسماع عند الصوفية ذكر قلبى فإن ألجأت الضرورة إلى حضورهم فليكونوا صفاً

(لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقلق) قلت الشهوة إذا تمكنت من القلب صعب علاجها فلا يمكن خروجها فى العادة إلا بوارد قهرى جلالى أو جمالى فالوارد الجلالى هو خوف مزعج فيزعجك عن شهوتك ويخرجك عن وطنك وأهلك والوارد الجمالى هو شوق مقلق فيقلقك عن مراداتك وحظوظك فينسيك نفسك ويؤنسك بربك ولأجل صعوبة هذا المرض كان أشد حجابا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لأن هذه الشهوة خفية لأن صاحبها أضله الله على علم الآية فهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً أى أضلهم عن طريق الخصوص وبقوا فى طريق العموم أما العلماء الظاهريون فهم يعتقدون أنه لا فضيلة فوق علمهم حتى انى سمعت من بعضهم يقول إن مقام الإحسان هو مقامهم الذى هم فيه من العمل بظاهر الكتاب والسنة ولا مقام فوق ذلك فكيف يمكن إخراج هذا إلا بعناية سابقة (وأما) العباد والزهاد فهم يقولون أيضاً هذه غاية المحبة والطاعة ويزيدهم بعداً لا يرونه من الكرامات الحسية فيزدادون حجاباً وتمكنا فى حالهم (وأما) العوام وأهل الغفلة فهم أقرب الناس إلى الانقياد والنفوذ إلى ربهم (وفى) الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل الجنة البله أى المغفلون ومما يدلك أن الشهوة القلبية أكثر من الشهوة النفسية قصة آدم والشيطان فان آدم عليه السلام كانت شهوته فى بطنه فتداركه الله بعنايته والشيطان كانت شهوته فى قلبه قال أنا خير منه فطرد إلى يوم القيامة ثم اعلم أن الخوف على قسمين خوف العوام وخوف الخواص خوف العوام من العقاب والعذاب وخوف الخواص من القطيعة والحجاب والشوق أيضاً على قسمين شوق العوام للحور والقصور وشوق الخواص للشهود والحضور وشوق العوام لنعيم الأشباح وشوق الخواص لنعيم الأرواح شوق العوام ناشىء عن قوله تعالى (أعد الله للمؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن) وشوق الخواص ناشىء عن قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم

من خلف الناس خافضين أصواتهم وهذا معنى قوله وان يكن ذاك فمن ظهوره أى وإن يكن ذلك الحضور ولم يكن التحرز منهم بوجه فليكن حضورهم من ظهور السماع اى من وراء ظهور المستمعين والله تعالى أعلم (قال) السلمى رحمه الله ولا رخصة للاحداث فى القيام والتحرك أصلا وأكثر المشايخ يكرهون حضورهم مجلس السماع ولا يرخصون لهم فيه (سمعت) والدى رحمه الله يقول دخلت بغداد زائرا لجعفر الخلدى فوجدت أبا العباس النهاوندى عنده وهو حدث فكلما حضرنا دعوة فيها سماع أمر أبا العباس بالانصراف ولم يأمره أن يقعد فى مجلس السماع ثم نهى عن الرقص والتحرك فيه لغير المغلوب فقال :

والرقص فيه دون هجم الحال ليس على طريقة الرجال
وان يكن يقوى على السكون فانه أسلم للظنون

(قلت) الرقص والترقص هو الارتفاع والانخفاض يعنى أن الرقص فى السماع والتحرك دون غلبة الحال ليس هو طريق الكمال بل الكمال هو السكون والوقار وخفض الصوت والاستماع فانه أسلم لسوء الظنون بمن يفعل ذلك وان كان صادقاً اذ لا سلامة من الخلق ثم اعلم أن الرقص وقع فيه اضطراب كبير بين الصوفية وعلماء الشريعة والتحرير فى المسئلة أن نقول الأصل فى الرقص هو الاباحة اذ لم يرد نص عن الشارع فيه بتحريم ولا اباحة بل ظواهر النصوص تقتضى الإباحة وسيأتى ذكرها ان شاء الله وأيضاً الأصل فى الأشياء هى الإباحة وقيل الوقف حتى يأتى الحظر ولم يرد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مايقتضى التحريم وانما حرمته الأئمة لما قارنه من تعاطى أهل الفساد بجمع النساء والشبان وآلة اللهو والعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً فيتحصل فى الرقص انه على ثلاثة أقسام قسم حرام وقسم مباح وقسم مطلوب (فأما القسم)

جعلنا الله من أعظمهم قدرا وأكملهم محلا وفضلا آمين بمنه وكرمه فاذا دخل الخوف او الشوق إلى القلب أخرج كل مافيه من الأغيار وملىء بالمعارف والأنوار فحينئذ تخلص الأعمال وتزكو الأحوال ويقبل عليه ذو العظمة والجلال كما أبان ذلك بقوله (كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك العمل لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه) قلت العمل المشترك هو الذى تصحبه الحظوظ النفسانية دنيوية أو أخروية والقلب المشترك هو الذى يكون فى حب السوى فالعمل الذى تصحبه الحظوظ مدخول والمدخول غير مقبول يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه والقلب الذى فيه حب شيء من السوى ملطخ بالهوى لا يليق لحضرة المولى قال تعالى (وطهرا بيتى للطائفين) ياداود طهر لى بيتاً أسكنه ولله در الششترى حيث يقول :

لى حبيب إنما هو غيور يظل فى القلب كطير حذور
إذا رأى شيئاً امتنع أن يزور

فمن حصن أعماله بالإخلاص استحق القبول وكان من الخواص ومن حصن قلبه من الإغيار امتلأ بالعلوم والأنوار ونبعت منه المعارف والأسرار واعلم أن العمل المشترك هو الذى يدخله ثلاث علل أما رياء أو عجب أو طلب عوض أما الرياء فهو الشرك الأصغر وقد تقدم الحديث من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه (وفى حديث) مسلم ثلاثة أول من تسعر بهم جهنم يوم القيامة فذكر القارى لغير الله والشجاع الذى يقاتل لغير الله والغنى الذى يتصدق لغير الله (وأما) العجب فهو رؤية النفس وإسناد العمل اليها ورؤية المزية لها على النفس قال تعالى (فلا تزكو أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) قيل معناه اذا عملت عملا فلا تقل عملت ولا تظهره عند من يعظمك لأجل علمه بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (قال) زيد بن أسلم معنى لا تزكوا أنفسكم

الذى هو حرام فهو رقص العوام بمحضر النساء والشبان فهذا حرام لما يؤدى اليه من الفساد وما يهيج من الطباع الدنية والنفوس الشيطانية ويلتحق به ما خلا من ذلك لكن قصد به التصنع والرياء وإظهار الحال والتظاهر بما ليس فيه حقيقة فهو حرام أيضاً لما داخله من الرياء والتلبيس وعلى هذين القسمين يحمل كلام من أطلق التحريم كصاحب المعيار والنصيحة الكافية وغيرهما (وأما) القسم المباح فهو الذى يفعله الصالحون وأهل النسبة من غير وجد ولا تواجد وإنما يفعلونه راحة لنفوسهم وتنشيطاً لقلوبهم بشرط الزمان والمكان والإخوان خالياً من حضور ما تقدم من النساء والشبان فهذا مباح اذ لا موجب للتحريم فيه إذ علة التحريم هو ما تقدم وهو خال من ذلك وأما مايقال انه من فعل السامرية حين عبدوا العجل فعلى تقدير صحته فانما حرم فعلهم لفساد قصدهم لأنهم قصدوا بذلك تعظيم العجل أو الفرح به وهذا كفر ولو كان رقصهم خالياً من ذلك ما حرم عليهم (وقد) ثبت أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه رقص بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله أشبهت خلقى وخلقى وذكره الشيخ السنوسى فى نصرة الفقير وغيره (وقال) ابن ليون التجيبى مانصه وأما الرقص فى المسجد ففى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت جاء جيش من الحبشة يزفون يوم عيد فى المسجد فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت كفى على منكبيه فجعلت أنظر إلى لعبهم قال ابن عيينة والزفف الرقص فثبت أن الرقص فى أصله مباح ولو كان حراماً لذاته مافعل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما) القسم المطلوب فهو رقص الصوفية أهل الذوق والحال أما وجدا أو تواجدا وسواء كان ذلك فى حضرة الذكر أو السماع ولا شك أن دواء القلوب من الغفلة وجمعها بالله مطلوب بأى وجه أمكن مالم يكن بمحرم مجمع على تحريمه فلا دواء فيه وقد تقدم قول الجنيد لما سئل عن السماع قال

لاتعتقدوا أنها بارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من الذنوب العجب قال (بعض) السلف لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت إذا ظن أنه محسن (قيل) والمعجب أعمى عن آفات نفسه وعمله والعمل إذا لم يتفقد ضاع وإنما يتفقد عمله من غلب عليه خوف الله وخوف ذنوبه ولا يريد الثناء على نفسه وحمدها وتزكيتها وربما أعجب برأيه وعقله فيستنكف عن سؤال غيره ولا يسمع نصح ناصح لنظره من سواه بنظر الاستحقار نسئل الله السلامة والعافية (وأما) طلب العوض والجزاء فقد تقدم مرارا الزجر عنه وانك ان طالبته بالجزاء طالبك بسر الاخلاص ويكفى المريب وجدان السلامة فكل عمل فيه بعض هذه الآفات فان الله لايقبله قبول الخواص (وأما) القلب المشترك فهو الذى يدخله ثلاث أيضا حب الدنيا أو حب الخصوصية أو النعم الأخروية وكلها قادحة فى الاخلاص مخرجة عن درجة التوحيد الخاص وبالله التوفيق (هذا) آخر الباب الحادى والعشرين وحاصلها ذكر ميزان الأعمال والاحوال الصحيحة والسقيمة وحاصل هذا الميزان كل ما يثقل عن النفس فهو صحيح وكل مايخف عليها فهو سقيم ومن جملة ما يثقل عليها القيام بالفرض الواجب دون النوافل فانها تخف عليها فلما علم الحق سبحانه ذلك منها قيد الفرائض بأوقات معلومة كى لا يمنعها التسويف لأن جل النفوس يقل نهوضها إلى حضرة القدوس وليس للحق سبحانه غرض فيما فرض وإنما ساقهم إلى جنته بسلاسل امتحانه فمن غلبته نفسه على النهوض إلى الطاعة وأسرته شهوته عن اللحوق بالسباق فلا يستغرب أن ينفذه الله منها فان قدرة القادر كلمح البصر أو أقرب وربما تكون تلك الشهوة أو الغفلة فى حقك نعمة وذلك لتعرف منة الله عليك حين ينقذك منها فان كثيرا عن أنعم الله عليهم لم يعرفوا قدرها فسلبوا منها فاذا أنعم عليك بانقاذك من نفسك وإلحاقك بخواص جنسك فانغمست فى النعم فلا تندهش

كل ما يجمع العبد على ربه فهو مباح (وقال) الفاسى فى شرح الحصن عن شيخ الاسلام السيوطى رحمه الله ما نصه أقول وكيف ينكر قائما وقد قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) (وقالت) عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وان انضاف إلى هذا القيام رقص ونحوه فلا انكار عليهم فذلك من لذة الشهود والمواجيد (وقد) روى فى الحديث رقص جعفر بن أبى طالب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له أشبهت خلقى وخلقى وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر ذلك عليه النبى عليه السلام فكان أصلا فى رقص الصوفية لما يذكرونه من لذة المواجيد (وقد) صح القيام والرقص فى مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة منهم شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام اه وهو نحو مافى الاحياء وزاد فيه حديث نظر عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة وهم يرقصون وقوله لها أتحبين أن تنظرى إلى زفف الحبشة والزفف الرقص اه وذكره ابن زكرى فى شرح النصيحة .

(قلت) وقد تواتر النقل عن الصوفية قديما وحديثا شرقا وغربا انهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقدمون ويرقصون ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين أنه أنكر عليهم (وقد) رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب مع توفر العلماء فلم ينكر أحد عليهم وقد بلغنى أن شيخنا شيخ الجماعة سيدى التاودى بن سوده كان يحضر معهم فى بعض الاحيان فلا ينكر على الفقراء الرقص فى حال ذكرهم إلا مقلد جامد أو معاند جاحد رحم الله الشيخ زروقا رضى الله عنه فى بعض شروحه على مقطعات الششترى لما تكلم على هذا المعنى قال وإنما أطلت الكلام هنا لوجهين أحدهما مخافة أن يغتر الغوغاء بمن لاخلاق له بهؤلاء السادات فيتعاطونه فى غير محله فيقع فى المقت ثم قال

عن شكرها فاقرارك بالمنعم قيام بشكرها فاذا رأيت من حبسته نفسه وتمكن داء الهوى من قلبه فاعلم أن ذاك هو الداء العضال فلا يخرجه منه إلا خوف مزعج أو شوق مقلق فاذا أزعجه الخوف أو الشوق تفرغ قلبه وخلص عمله فيقبل الله عليه فاذا أقبل عليه ملأه بالأنوار فمنها ما يصل إلى سويداء قلبه ومنها ما يقف على ظاهر قلبه كما أبان ذلك بقوله فى أول الباب الثانى والعشرين وقال رضى الله عنه (أنوار أذن لها فى الوصول وأنوار أذن لها فى الدخول) قلت أما الأنوار التى أذن لها فى الوصول فهى أنوار الإيمان وهى لأهل الدليل والبرهان لأن قلوبهم لم تتفرغ من الاغيار ولم تمح منها صور الآثار فلما جاءت وجدت داخل القلب مملوءا بصور الآثار فوقعت فى ظاهر القلب (وأما) الأنوار التى أذن لها فى الدخول فهى أنوار الاحسان من الشهود والعيان وذلك لأنهم فرغوا قلوبهم سوى ربهم دخلتها الأنوار فوجدت متسعا فسكنت سويداء قلوبهم وعلامة النور الواصل والداخل ان صاحب النور الواصل للظاهر فقط تراه مع الدنيا وتارة مع الآخرة تارة مع حظ نفسه وتارة فى حق ربه تارة مع الغفلة وتارة مع اليقظة وصاحب النور الداخل لسويداء القلوب لا تراه إلا مع ربه لا يشغله عنه حظوظ الدنيا ولا حظوظ الآخرة غائبا عن نفسه حاضرا مع ربه (قال) بعض الحكماء ان الإيمان إذا كان فى ظاهر القلب كان العبد محبا لآخرته ودنياه فيكون صاحبه تارة مع ربه وتارة مع نفسه وبقدر تمكن النور فى القلب ودخوله اليه يكون بغض العبد للدنيا وتركه لهواه اه (وفى) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل فهل له من علامة يارسول الله قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور اه ثم اعلم أن الأنوار التى أذن لها فى الوصول عامة لجميع المؤمنين وقد تقدم قول أبى الحسن لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض (وأما) الأنوار التى أذن لها فى الدخول فهى خاصة

والآخر أن يتبع قول الملحدين أهل العقول الواهية والافئدة الخاوية فيقدح فى جملة طريقة أنتجها الصالحون من أولياء الله وظهرت نتيجتها فى كثير من عباد الله واشتملت نسبتها على رجال قاموا بأحكام الشريعة وآداب الحقيقة وتعلقوا بأسماء رب العالمين وتخلقوا بأخلاق سيد المرسلين آثارهم حميدة وملاقاتهم سعيدة ترغب الملائكة فى خلتهم واشتاقت الانبياء والرسل إلى رؤيتهم كتاب الله مطرز بالثناء عليهم وبشائر السنة كلها تشير اليهم عند ذكرهم تتنزل الرحمة وبسبب وجودهم تدفع النقمة رغب فى اللحوق بعسكرهم خليل رب العالمين حيث قال فيما أخبر الله عنه فى كتابه المبين(رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين) وتبعه الصديق الأمين فى ذلك حيث قال توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين واستشهادنا فى معرض الولاية بهاتين الآيتين اللتين سيقتا فى مقام النبوة انما اقتبسنا الدليل على ذلك وهذا من باب تناول الأعلى إلى الأدنى بالثناء عليه ليعرف غيره ببعض شواهد فضيلته كما فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين أى واجعل المساكين هم قرابتى المحدقون بى يوم المحشر فقد عرف صلى الله عليه وسلم بفضيلة المساكين وعظم جاههم عند الله ورسوله بطلبه من الله أن يكونوا فى كفالته لا انه فى كفالتهم فكذلك عرف الصديق بفضيلة أمة الاسلام وخصوصاً الصالحين منهم لا انه طلب من الله اللحوق بعسكرهم لقصوره عن إدراك مقامهم لكن مبالغة فى التعريف بعظيم جاههم عند خالقهم فعرف أولا بفضيلة الإسلام عموما وعرف ثانيا بفضيلة الصالحين منهم خصوصا ملأ الله قلوبنا من محبتهم وسلك بنا سبيل سيرتهم وحشرنا فى زمرتهم اللهم آمين اه كلامه رضى الله عنه ثم أشار إلى أن السماع انما هو رخصة للضعفاء فقال :

وليس يحتاج إلى السماع　　إلا أخو الضعف القصير الباع

بالخواص أهل التفرغ من الأغيار ولوث الأنوار فأما من كان قلبه محشوا بصور آثارها فلا يطمع فى نيل أسرارها كما أبان ذلك بقوله (ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث جاءت) قلت رب هنا للتكثير أى كثيرا ما ترد عليك أنوار عالم الغيب لتغيبك عن عالم الشهادة فتجد قلبك محشوا بصور عالم الشهادة فترحل عنك وتتركك محبوساً فى يدها أو تقول كثيرا ما ترد عليك أنوار المعانى لتخرجك من سجن الأوانى فتجد قلبك مملوءا بها فتتركك فى وسطها محجوبا بها أو تقول كثيرا ما ترد عليك أنوار الملكوت فتجد قلبك محشوا بظلمة الملك فتتركك فى ظلمة الكون أو تقول قد ترد عليك أنوار الجبروت فتجد قلبك محشوا بأنوار الملكوت فرحاً بها قانعاً ببهجتها فتتركك واقفاً معها وتنادى عليك القناعة من الله حرمان الذى تطلب أمامك ولو كان العلم ينتهى إلى حد محدود لم يقل الله تعالى لسيد العارفين وقل رب زدنى علما (قال) عليه الصلاة والسلام كل يوم لا أزداد فيه علماً لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم أو كما قال عليه السلام فالمانع للقلب من دخول الأنوار هو موجود الأغيار كما أشار الى ذلك بقوله (فرغ قلبك من الأغيار تملاه بالمعارف والأسرار) قلت التفرغ هو الخلو من الشىء والتنظيف منه والاغيار جمع غير بكسر الغين وفتح الياء ويصح أن يكون بفتح الغين وسكون الياء وهو اليق والمراد به حينئذ السوى وانما جمعه لتعدد انواعه كما قالوا فى جمع العالمين يقول رضى الله عنه فرغ قلبك أيها الفقير من الأغيار وهو ما سوى الله بحيث لا يتعلق قلبك بشىء من الكون علويا أو سفليا دنيويا أو أخرويا حسيا أو معنويا كحب الخصوصية وغيرها من الحظوظ فاذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ولم يبق فيه الامحبة مولاه فانه يملأ بالمعارف بحث يكشف عنك حجاب الوهم ويذهب عنك ظلمة الحس فتشاهد الأشياء كلها أنوار ملكوتية مشاهدة ذوقية تمكينية ويملأه أيضاً بالأسرار وهى أسرار الجبروت فتغيب بالجمع عن الفرق وبشهود الجبروت عن شهود الملكوت

قلت أشار إلى أن السماع لا يحتاجه ويزيد به الا من كان ضعيف الحال قصير الباع فى المعرفة والشهود وأما القوى المتمكن فلا يحتاج اليه قال السلمى رضى الله عنه وقيل يحتاج إلى السماع من كان ضعيف الحال فاما القوى فلا يحتاج إلى ذلك وقال الحصرى ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه ولعمرى ما تحتاج الثكلى بالمثلثة إلى نائحة والثكلى هى التى مات ولدها وقيل هو أى السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم مروحة كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) الآية وقال فى موضع آخر وسئل بعض الشيوخ عن شرب القلوب من السماع وشرب الأرواح والنفوس فقول شرب القلوب الحكم وشرب الأرواح النغم وشرب النفوس ما يوافق طبعها من الحظوظ ونعت الحسن والجمال ثم أشار إلى علامة الضعف فقال :

والزعقات فيه والتمزيق ضعف وهز الرأس والتصفيق

(قلت) الزعق هو الصياح والتمزيق هو تخريق الثياب وهز الرأس تحريكه والتصفيق الضرب بالكف يعنى أن الصراخ فى السماع وتمزيق الثياب وتحريك الرأس والتصفيق باليد إنما يصدر من ضعيف الحال الذى هو مغلوب للأحوال وأما القوى المالك للأحوال فلا يصدر منه شىء من ذلك (قال) السلمى رضى الله عنه وليس من الأدب استدعاء الحال والتكليف للقيام الا من غلبه حال فيه فينزعج أو يكون على سبيل مساعدة لصادق أو مطايبة لخاطر من غير تساكر ولا اظهار حال وترك ذلك أولى (روى) أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعظ فصعق رجل من جانب المسجد فقال من هذا الملبس علينا ديننا أن كان صادقاً فقد شهر بنفسه وأن كان كاذبا محقه الله ثم قال (حكى) أن شاباً كان يخدم الجنيد وكلما سمع شيئاً زعق وتغير فقال إن ظهر فيك شىء بعد هذا فلا تصحبنى فكان يضبط نفسه وربما كان يقطر من كل شعرة منه قطرة عرق

وتكاشف بأسرار القدر فيهب عليك نسيم برد الرضى والتسليم وأنت فى حضرة النعيم المقيم عند الملك الكريم فالاسرار على هذا بلغ من المعارف فالمعارف أنوار الملكوت والاسرار أنوار الجبروت لأن السائر قد يكشف له عن نور الملكوت فيشهد الكون كله نور لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار ليترقى بها إلى التمكين فى شهود الذات كافتقار القارىء إلى النظر فى الرسول فاذا حفظ القارىء المعنى وتمكن منه محى الرسول ولم يفتقر اليها كذلك السالك يكشف له أولا عن نور الكون فيغيب فى النور عن ظلمة الحس ثم لا يزالى فى السير حتى يقبض المعنى ويتمكن منه فلا يحتاج إلى مشاهدة فيستغنى عن نور الملكوت بنور الجبروت وقد تقدم هذا المعنى عند قول المؤلف اهتدى الراحلون الخ الحكمة فيمتحى السوى عن عين قلبه بالكلية ويغيب عن نفسه وحسه بشهود الأحدية ولله در قول الشاعر :

ان تلاشى الكون عن عين قلبي　　شاهد السر غيبه فى بيان
فاطرح الكون عن عيانك وامح　　نقطة الغين أن أردت ترانى

ويحتمل أن يريد بالمعارف علوم العرفان وبالأسرار الأذواق الوجدان فتكون المعارف هى علوم المعرفة بحيث يعرف فى كل شىء ولا ينكر شيئاً والأسرار أذواق تلك العلوم فان المعرفة تكون أولا علماً وآخر ذوقاً ويحتمل أن يكون من عطف التفسير فتكون الأسرار هى المعارف والله تعالى أعلم ومن أراد سرعة السير إلى هذا المقام فليفرغ قلبه وينظفه على التمام فبقدر التخلية تكون التحلية وبقدر التصفية تكون الترقية ولأجل هذا نحو السائر عن التروج وعن التفلق بالأسباب إذ لا يخلو من علقة فاذا تمكن من المعنى لم يبق له مراد الامراد معروفه صار كل ما يبرز من عند مولاه تلقاه بالقبول فان طال بالمريد السفر وتأخذ عنه الفتح والظفر فلم يدرك هذه الأسرار ولم يكشف له عن تلك الانوار فلا يستبطىء من ربه

حتى كان يوما من الأيام زعق زعقة خرجت منها روحه والزعقة من وجهين أحدهما للتوجع والأخرى للتطلع زعقة التوجع من حيث الخوف والحزن وهى نظيرة صيحة المصاب وزعقة متطلع من المحبة والشوق والرجاء وهى نظيرة صيحة المتعطلين للاهلاك اذا تحققوا ذلك وهذا لا يكون الا عند وجود غائب أو فقدان حاضر ومثلها كمثل العطسة لا يدرى كيف تجىء (قلت) أما التمايل يميناً وشمالا فلا يدل على الضعف وقد رأيت شيخنا يفعله عند السماع وهو من لذة التواجد فلا يدل على الضعف والله تعالى أعلم (وقد) ذكر ابن عرضون فى مقنعه أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا إذا ذكروا الله مال بعضهم على بعض كالشجرة فى يوم الريح العاصف أو ما هذا معناه ثم أشار إلى أن السماع لم يكن عندهم مقصوداً للاجتماع بل حيث ما تيسر فقال :

ولم يكن لأجله اجتماع　　ولا لدى غيبته انصداع

(قلت) الانصداع هو الافتراق يعنى أن القوم لم يكن إجتماعهم مقصوداً للسماع بحيث إذا وجد اجتمعوا وإذا غاب افترقوا بل كانوا إذا اتفق اجتماعهم لأمر من الأمور أو دعاهم أحد الى وليمة أو سرور استعملوه لانهم أغنياء عنه بحلاوة الذكر والمعرفة والله تعالى أعلم ثم ذكر أنه لم يكن فيه آلة اللهو فقال :

ولم يكن فيه مرا سنونا　　ولا طنابر ومسمعونا
وليس أيضاً كان فيه طار　　ولا مزاهر ولا تنقار
والشمع والفرش والتكالف　　أحلف مكانت يمين حالف

(قلت) المراسنون بفتح الميم هى الطائفة التى تجيب القوال بالدندنة ونغم الموسيقى بحيث إذا فرغ القوال من الشعر

النوال فانه جواد كريم ولكن يستبطىء منه وجود الاقبال وإلى ذلك أشار بقوله (لاتستبطىء النوال ولكن استبطىء من نفسك وجود الاقبال) قات الحق سبحانه جواد كريم حليم رحيم من تقرب اليه شبراً تقرب منه ذراعاً ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعاً ومن أتاه يمشى أتاه هرولة كما فى الحديث فان توجهت اليه بقلبك ثم تأخر الفتح من قبله فلا تستبطىء منه النوال أى العطاء وهو كشف الحجاب ولكن استبطىء من نفسك وجود الاقبال فلعل إقبالك عليه لم يكن بكليتك فان الله سبحانه يقول بلسان الحال وليس يدرك وصالى كل من فيه بقية أو كان بحرف أوخط وأما لو زالت أغيارك لأشرقت أنوارك ولو تطهرت من جنابة الغفلة لاستحققت الدخول إلى مسجد الحضرة وقد يكمل إقبالك ويفوتك الأدب مع سيدك وهو استبطاؤك النوال ولو صح منك الاقبال (قال) بعضهم هب أن السيد الكريم أهل لكل فضل وكرم أفترى العبد يقبل الأدب بين يدى سيده ويكشف جلباب الحياء عن وجهه فان فعل ذلك فهو بالعقوبة أولى من الكرم وقد قال أرباب المعرفة لأن تكون صاحب استقامة خير من أن تكون صاحب كرامة اه ومن باع نفسه لله وكان عبداً مملوكا لمولاه فأى شىء يستحق على مولاه .

(حكى) عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد اشترى داراً وأراد أن يكتب عقدها فقاله ذو النون يا أخى إن قبلت وصيتى أوصيتك فقال نعم قل ياسيدى فقال له لاتشتر داراً تفنى وتدع داراً تبقى فقال له من لى بها فقال له هلا اشتريت من الله داراً دار السلام ومجاورة الكرام لتنال فيها الأمان وتتنعم بنعيم لايدرك بالأثمان دار لها أربع حدود الاول منازل الخائفين الثانى منازل العارفين الثالث منازل المشتاقين الرابع رياض المحبين دار سقفها عرش الرحمن وبابها باب الرضوان مكتوب على بابها بالخط الازلى .

دار تقى ورضى عليهما أسست ونعم دار المتقين

أجابوه بكلام اللهو والنغم المستلذة وهو من شأن أهل اللهو فالتشبه بهم هجنة والطنابير جمع طنبور وهو شبيه بالعود فى صورته وقيل هو بنفسه والمسمعون هم المرصدو للغناء فى الولائم يسمعون الناس غناءهم ولهوهم والطار معلوم وهو ذو الشراشر والمزهر هو المجلد من جهتين والتنقار هو فعل النقر ويكون فى نقر الاوتار المعلومة (يقول) رحمه الله ان سماع القوم لم يكن فيه شىء مما ذكر مما هو من آلات اللهو ويلتحق بما ذكر الرباب والشبابة والبندير والزمارة وغير ذلك مما يستعمله أهل اللهو فينبغى للفقير أن يجتنبها وهذه مسألة خلافية فقد رجح الغزالى فى الاحياء جواز سماع هذه الاشياء بشرط خلو المكان والاخوان والزمان قيل وهو مذهب الشافعى ورده بعضهم (والحاصل) أن العارف المحقق الذى غرق فى عين بحر الوحدة حتى كان سمعه بالله ومن الله وبصره بالله وإلى الله ووجدانه بالله ومن الله لايكدره شىء فلا ينكر عليه شىء (وقد) قالوا إذا ثبتت عدالة المرء فليترك وما فعل وهذه مسألة خلافية لم يرد فيها نص من الشارع والاصل فى الاشياء الاباحة حتى يرد الحظر وما حرم السماع حتى أخذه أهل اللهو ونقلوه إلى لهوهم وقارنوه مع شرب الخمر والزنا فحرم حينئذ سد للذريعة والله تعالى أعلم

(وقد) كان بعض علماء الحديث من أهل الحفظ والضبط يستعمل ضرب العود فعيب عليه فحلف لا يحدث بحديث حتى يضرب العود فأخبر به السلطان قيل هارون الرشيد فأرسل اليه وقال له حدثنى بحديث المخزومية فقال أحضر العود فقال الملك عود البخور فقال بل عود الطرب فضحك الملك ثم قال من يحرم السماع من الفقهاء فقال له من طبع الله على قلبه ثم قال له ذلك العالم (ولقد) حضرت وليمة بالمدينة وفيها علماؤها حتى سقط البيت لم يبق مغنى بالمدينة وأصغرهم مالك بن أنس فغنوا وهو بمزهره فغنوا وأنشدوا اه ذكره ابن عرفة فى باب النكاح نقلته بالمعنى (وقوله) الشمع والفرش الخ

ثم نادى الحق من أرجائها　ادخلوها بسلام آمنين

فان أردت عقد شرائها قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة هذا ما اشترى العبد التواب من الملك الوهاب بثمن قيمته الخروج من ذل المعاصى إلى عز الطاعة ومن تعب الحرص والطمع إلى راحة الزهد والورع شهد بذلك عدول القلب واللسان وصحيح ما نزل من القرآن وبتاريخ حل عقدة الاصرار من وقت الانابة ومن أوفى بعهده من الله قال له نعم ثم تصدق بماله وخرج معه إلى الله اهـ ثم من صح إقباله على الله لم يضيع شيئا من الأوقات فى غير طاعة مولاه كما نبه على ذلك بقوله (حقوق فى الاوقات يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها) قلت أما الحقوق التى فى الاوقات فهى الطاعة التى عين الله تعالى لها وقتاً محدودا كالصلوات الخمس والسنن المؤكدة وكذلك الزكاة والصيام لهما وقت محدود فى العام فإذا خرج وقتها أمكن قضاؤها وإن كان يسمى مفرطا لكن بعض الشر أهون من بعض وأما حقوق الاوقات بأنفسها فهى مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها وهذه الحقوق إذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها إذ الوقت الثانى له حق مخصوص لا يسع غيره فما من لحظة إلا ويجب عليك فيها تكون عاملا لله مشتغلا فيها بما يوصلك إلى قربه ورضاه وهذا معنى قوله (إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه) قلت ما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلا ولله عليك فيها حق جديد من ذكر أو فكرة أو نظرة أو من مراقبة أو مشاهدة أو من خدمة حسية أو معنوية قد علم كل أناس مشربهم وأمر أكيد من التحقيق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية فان غفلت عن الحق الجديد أو الامر الاكيد فى وقت ما ودخل الوقت الثانى فقد فاتك القضاء وندمت على ما مضى

يعنى أنهم لم يتكلفون بالسماع حتى يحضروا الشموع الموقدة والفرش الممهدة والوسائد المزوقة وإنما كانوا يحصرون له على حالة الفاقة والابتذال على ما يصادف الوقت والحال وليس مراده أنها محرمة وإنما مراده أن طريق القوم عدم التكلف فان صادف الحال أنها أعدت فلا يمتنعون منها لان الصوفى اتسعت دائرته فلا يختار شيئا ولا يمتنع من شىء بل ما أعطاه سيده أخذه بالقبول إلا ما حرمته الشريعة المطهرة بنص صريح لا تأويل فيه فهو حينئذ أولى بالادب من غيره والله تعالى أعلم ثم قال :

وأمروا فيه بغلق الباب　وإنما ذاك للاجتناب

(قلت) وإنما أمروا فى حال السماع بغلق الباب لئلا يحضر معهم من يجتنب حضوره من الاحداث والعوام والنساء وغير ذلك مما لا يليق حضوره لأن مجلس السماع إذا كان ربانياً هو كمجلس الذكر والمذاكرة ومجلس الذكر والمذاكرة غذاء الارواح ورضاع القلوب فهى ترضع بعضها بعضاً فإذا حضر صاحب التخويض رضعت منه بعض القلوب ذلك التخويض فربما يسرى ذلك فى الجماعة فلا يجدون حلاوة الوجد ولا لذة الخمرة ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه المواكلة رضاعة فانظروا من تواكلوه فيصدق بالحسى والمعنوى (وقد) عقد بعض الشيوخ حلقة الذكر فى بيت مظلم فلم يجدوا قلوبهم فقال لهم الشيخ ائتونى بالمصباح فلما أتوا به وجدوا معهم طالباً من طلبة المدرسة فأخرجوه فحينئذ وجدوا قلوبهم (وحكى) عن بعض أشياخنا وأظنه سيدى محمد بن عبد الله أنه كان فى مجلس المذاكرة فجلس معهم رجل عامى فأزال الشيخ عنه ثوباً وقال له قم بع السوق فلما خرج قال له خذ ثمنه ولا تعد وسد الزاوية (والحاصل) أن حضور غير الجنس مشوش مانع من زيادة المدد والله تعالى أعلم ثم حرر الخلاف فى السماع فقال :

وليس للقائل ما يقول　فى الشعر اذ سمعه الرسول

فكيف يمكن أن تقضى فى الوقت الثانى حق غيره وهو أيضاً له حق يجب عليك أن تؤديه فيه فلا يمكنك أن تقضى حق اوقت الأول فى الوقت الثانى وأنت لم تقض حق الله فيه أى فى الوقت الثانى (والحاصل) أن كل وقت له حق فان فات فلا قضاء له ولذلك قالوا فى الآداب التصوف هو ضبط الأنفاس وحفظ الحواس والأنفاس هى دقائق الساعات وضبطها هى عمارتها بأنواع الطاعات فاذا ضيع حقوق الساعات خرج عن أدب التصوف والله تعالى أعلم قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لاخامس لها نعمة أو بلية طاعة أو معصية وله على عبده فى كل وقت منها حق ففى النعمة الشكر وفى البلية الصبر وفى الطاعة شهود المنة وفى المعصية اللجاء والإنابة وطلب الإقالة بالمعنى وفى هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وأذنب فاستغفر ثم سكت عليه السلام فقالوا ماله يارسول الله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أى لهم الأمن يوم القيامة وهم مهتدون فى الدنيا وقيل لهم الأمن فى الدارين وهم مهتدون إلى حضرته فى الكونين واعلم أن القيام بحقوق الأوقات على التمام يكاد أن يكون معتذراً فى حق البشر قال تعالى (وماقدروا الله حق قدره أى ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته فلهذا كانت حقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها لأنها راجعة لحفظ الأنفاس والخطرات وقد أعيى الرجال حفظها فى حال الصلاة فكيف فى كل وقت لكن قد يختص برحمته من يشاء وقال بعضهم منذ عشرين سنة ما خطر على قلبى شىء سوى الله تعالى وقال الشيخ أبو الحسن من أحب الله لم يستعمل جوارحه الا فيما يوافق محبوبه وأنفاسه كلها محفوظة بالطاعة ولو حيل بينه وبين الخدمة لفارق الدنيا من ساعته لأن الطاعة قد صارت غذاء أرواحهم فان فارقوها ماتوا انفعنا الله بهم آمين ثم فى تضييع حقوق الأوقات تضييع العمر الذى هو أعز من الكبريت الأحمر وهو الذى نبه عليه بقوله (مافات من عمرك لاعوض له وماحصل لك منه لاقيمة له) قلت عمر المؤمن هو رأس ماله

(قلت) سماع الشعر من غير ألحان ولا موسيقى لانزاع فيه لأنه سمعه عليه الصلاة والسلام وأجاز عليه ودعا لقائله وإنما النزاع فى الترنم به (و) قوله بألحان وموسيقى فمن كان طبعه جامداً لا يحركه شىء لا لخير ولا لشر كان فى حقه مكروهاً إن شغله عن ذكر الله أو مباحاً ان لم يشغله ومن كان طبعه مائلا للهوى وحب الدنيا وعلم أنه يحركه للفساد حرم عليه ومن كان قلبه معموراً بمحبة مولاه فانياً عما سواه كلما سمع زاد به إلى مولاه فهذا يستحب فى حقه السماع هذا حاصل ماذكره فى حل الرموز حين تكلم على السماع (فقال) السماع ينقسم إلى ثلاثه أقسام منه ماهو حرام محض وهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهواتهم وملكهم حب الدنيا وتكدرت بواطنهم وفسدت مقاصدهم فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب عليهم من الصفات المذمومة سيما فى زمننا هذا (و) القسم الثانى منه مباح وهو من لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح (و) القسم الثالث مندوب وهو من غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العلية والكرامات السنية والمواهب الإلهية.

(قال) الشيخ ابن زكرى رحمه الله فتبين من هذا أنه لا نص فيه من الشارع والذى تقتضيه قواعد الشريعة انقسامه إلى ما ذكر اه ثم ذكر أصل استعمال السماع فقال :

وإنما كان السماع قدما   قصد المريد الشيخ يشكو السقما
وجاء هذا ثم جاء هذا   حتى استقلوا عنده أفذاذا
فبث كل ما به قد جاء   فعوضوا من دائهم دواء

فيه ربحه وخسرانه فمن شد يده عليه كان من الفائزين ومن ضيعه فى البطالة والتقصير كان من الخاسرين فما فات منه فى غير طاعة ربه لاعوض له إذا ما ذهب لا يرجع أبداً وما حصل لك منه لاقيمة له تفى بقدره إذ لو اشتريت ساعة منه بملء الأرض ذهباً لكان نزراً فى حقه لأن ساعة منه تذكر الله فيها تنال بذلك ملكا كبيراً ونعيما مقيما لو بيعت الدنيا بحذافيرها مابلغت منه عشر العشر ولأجل هذا المعنى اشتدت محافظة السلف الصالح على الأوقات وبذلوا مجهودهم فى اغتنام الساعات ولم يقنعوا من أنفسهم الا بالجد والتشمير ولم يسمحوا لها فى الراحة والبطالة بقليل ولا كثير (وفى) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأتى على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة وقال كرم الله وجهه بقية عمر العبد مالها ثمن يدرك بها ما فات وتحيى بها ما مات وقال الجنيد رضى الله عنه الوقت إذا فات لايستدرك وليس شىء أعز من الوقت وفى معناه قيل :

السباق السباق قولا وفعلا حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت أقواماً كانوا على أنفاسهم وأوقاتهم أشد حفظاً وأحرص شفقة منكم على دنانيركم ودراهمكم كما لا يخرج أحدكم درهمه ولا ديناره إلا فى ورود منفعة واستجلال فائدة كذلك كانوا لا يضيعون نفسا من أنفاسهم فى غير طاعة أبداً كان سيدنا على رضى الله عنه يقول لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صنعت طعاماً فبعيه أى اجليه مائعا خفيفا فان بين المائع واليابس خمسين تسبيحة وقال أبو على الجرجانى مامضغت الخبز منذ أربعين سنة وإنما أسف السويق وأعود لذكر الله تعالى قال وقد كنت عددت ما بين المضغ والبلع ستين تسبيحة وقيل ان ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة تبعث يوم القيامة خزائن مصفوفة أربعاً وعشرين خزانة فمن كان عمرها فى الدنيا بطاعة

فعند ما نشطت النفوس وزال عنها كسل وبوس
وطابت القلوب بالأسرار واستعملت نتائج الأفكار
ترنم الحادى ببيت شعر فاكتنفته غامضات الفكر
كل له مما استفاد شرب هذا له قشر وهذا لب
فان تمادى وأتم الشعرا أبدوا من الشرح عليه سفرا
فهكذا كان سماع الناس فهل ترى به كذا من باس

(قلت) القدم بكسر القاف معناه القديم وهو ظرف أى فى القديم والسقم المرض والافذاذ الجماعة المتفرقة جمع فذ وهو المنفرد وبث شكواه أو دعاه أخبر بها والنشاط خفة الأعضاء والكسل ضده والبأس هو الضر والداء والاسرار الأذواق والأحوال ونتائج الأفكار العلوم والترنم التغنى (و) الحادى القوال واكتنف الشىء أحاط به فصار فى كنفه (و) الغامض الخفى والشرب بكسر الشين النصيب من الماء والقشر ظاهر الشىء واللب باطنه (يقول) رضى الله عنه وإنما كان استعمال السماع فى الزمان المتقدم عند قصد المريد الشيخ يشكو اليه سقمه ومرضه الذى أصاب قلبه من غفلة أو فترة أو قسوة أو كسل أو طغيان أو غير ذلك من العيوب التى لاتحصى ثم توالى المجىء إلى الشيخ هذا بعد هذا حتى استقل عنده جماعة من الفقراء فشكى كل واحد داءه لأنه طبيب ماهر وقد يداوى بالهمة أو بالنظرة فعند ما أحسوا بالشفاء ونشطت نفوسهم وذهب داؤهم وبؤسهم وطابت قلوبهم بالأذواق وامتلأت قلوبهم بالأنوار، وأشرقت فيها شموس المعارف والأسرار، واستعملت نتائج

الله رآها خزائن معمورة بالنعيم ومن كان ضيعها رآها خزائن فارغة خاوية فيتحصر عليها ويندم وجاء فى الخبر أن أهل الجنة بينما هم فى نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوق اضاءت منه منازلهم كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى أفق السماء وقد فضلو عليهم فى الأنوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يسيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادى هؤلاء يا إخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون ويذكرون حين تنسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون بذلك فضلو عليكم اليوم فذلك قوله تعالى (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانو يعملون) اه ومما يعين على حفظ الأوقات واتصال الطاعات الزهد فى السوى ومحبة المولى فان من أحب شيئا أكثر من ذكرة وخدمه وخضع له وكان عبدا حقيقة له كما أشار إلى ذلك بقوله (ماأحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) قلت القلب إذا أحب شيئا أقبل اليه وخضع له وأطاعه فى كل مايأمره أن المحب لمن يحب مطيع وهذه حقيقة العبودية الخضوع والطاعة وليس للقلب إلى وجهه واحدة وليس للانسان إلا قلب واحد قال تعالى (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وإذا كان للقلب وجهة واحده فهما أقبل بها على مولاه أعرض عما سواه وكان عبدا له حقيقة وإذا أقبل على هواه أعرض قطعاً عن مولاه وكان عبد لسواه والحق سبحانه لايرضى لعبده ان يكون عبد الغيرة قال تعالى فى ذم من كان عبداً لهواه (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعة وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) فالآية نص فى ذم من أحب هواه واتخذ ربا من دون مولاه وأما تفسير أهل الباطن فهو اشارة لاتفسير معنى وفى الحديث أن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا فقد ورد عن شيخ شيوخنا

فكارهم فأبدت من العلوم ما يليق بسعة صفائها ترنم الحادى بالغزل الرقيق، واستعمل من الشعر ما بالجانب يليق فاذا سمعته دقائق أفكارهم الصافية وغوامض فهومهم العلية أحاطت بمعانى تلك الأشعار، واستخرجت مافيها من علوم وأسرار كل واحد على قدر نصيبه وشربه مما استفاد من شيخه بمحبته وصدقه وعلى قدر مجاهدته وسيره فمنهم من يكون حظه معانى الكلام الظاهرة (و) منهم من يخوضون بفكره إلى المعانى الباطنة وقد يقع فى أسماعهم من كلام واحد مايليق بحال كل واحد على حسب مقامه كالنفر الثلاثة الذين سمعو قائلا يقول ياسترابرى فبعضهم سمع اسع ترى برى وبعضهم سمع الساع ترى برى وبعضهم سمع ما أوسع برى فالأول حاله بداية والثانى الاستشراف على النهاية والثالث حاله واصل إلى الغاية (و) فى هذا المعنى قال ابن عطاء الله العبارة قوت العائلة المستمعين وليس لك منها إلا ما أنت له آكل فان تمادى الحادى على شعره حتى أتمه تكلموا فيه واستخرجوا ماعندهم فيه من العلوم كل على قدر وسعه لينفق ذو سعة من سعته الواصلون ومن قدر عليه رزقه السائرون فأظهروا من علومهم مايملؤا سفرا أو أكثر فهكذا كان سماع الناس فى الزمان المتقدم فهل ترى أيها المنكر لهذا الفعل من بأس أو أنت من الحال والوجد من أهل الافلاس (قلت) وليس مراد الشيخ الحصر فى هذه الكيفية حتى يصح السماع إلا إذا كان هكذا بل كل من وجد فى نفسة كسلا أو قبضاً استعمل ما يزيل به كسله أو مرضه ثم اعلم ان اعتراض اهل الظاهر على الصوفية لا ينقطع ابدا سنة ماضية وخصوصاً فى السماع والرقص وهم معذورون لأنهم لا يشاهدون إلا ذواتاً ترقص وتشطح ولايدرون مافى باطنها من المواجيد والافراح فيحملون ذلك على خفة العقل والطيش فيقعون فيهم إلا من عصمه الله بالتسليم ولذلك كان التصديق بطريقة القوم ولاية والاعتراض جناية إلا من صحت نيته

سيدى محمد بن عبد الله فى اشارة هذه الآية انه يمكن أن يكون مدحاً ومعناه حينئذ أفرأيت من اتخذ إلهه الذى خلقه هواه لا يحب سواه وأضله فى محبته على علم وبينة من ربه وختم على سمعه وقلبه بمحبته وجعل على بصره غشاوة منعه من النظر لما سواه فمن يهديه هذه الهداية العظمى من بعد الله لا هادى له سواه وهذا فى ظاهر العبارة خارج عن سياق ظاهر الآية لكنه باطنها ولا يصح تفسير الآية به واعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير المعنى المعهود ليس هو عندهم عين المعنى المراد ولكنهم يقررون الآية والحديث على مايعطيه اللفظ ثم يفهمون اشارات ودقائق وأسرارا خارجة عن مقتضى الظاهر خصهم الله بها لصفاء أسرارهم هكذا ذكر المؤلف فى طائفه ثم نرجع إلى ما كنا فيه من طلب العبودية لله والحرية مما سواه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة زاد فى رواية والزوجة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وقيل للجنيد من العبد قال من بقى فى قلبه أدنى علاقة غير الله لأن المكاتب عبد ما بقى عليه درهم قيل له ومن الحر قال من تخلص من رق طبعه واستنقذ قلبه من شهوات نفسه وكان للشبلى تلميذ فكساه رجل يوما جبة وكان على رأس الشبلى قلنسوة فخطر على قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمى بهما فى النار وقال له لا تبق فى قلبك التفاتاً لغير الله وأنكر عليه بعض أهل الظاهر المتجمدين على ظاهر الشريعة جهلا بالمقصود لأن أعمال الصوفية مبنية على العبادة القلبية لأن الأعمال الظاهرة ان لم يوافقها القلب كانت أشباحا خاوية وبالله التوفيق واعلم أن من تخلص من رق طبعه واستنقذ من أسر نفسه تحقق بمحبة ربه والمحبة لها بداية ووسط ونهاية فأول المحبة وبدايتها ملازمة امتثال الأمر واجتناب النهى قال تعالى قل ان كنتم

وحملته الغيرة فهو مأجور من جهة محروم من جهة (وقد) رأيت للطرطوشى اعتراضا كبيراً على الصوفية فى الرقص حتى قال فيه انه ضلالة وجهالة وذلك قلنا قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (وكان) الشيخ ابن عباد رضى الله عنه يقول لا تجعلوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن أى لأنهم لم يدركوا ما أدركه أهل الباطن فلا تقوم الحجة عليهم بمجرد سوء الظن ولله در أبى مدين حيث يقول :

إذا لم تذق ماذاقت الناس فى الهوى فبالله يا خالى الحشا لا تعنفنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا نعم ترقص الاشباح ياجاهل المعنى

إلى آخر كلامه وبالله التوفيق ثم أشار إلى مسئلة الخلع وهى خلع الثوب عنه وإلقاؤه للفقراء فرحا وتواجدا كما فعله عليه السلام فقال :

وكرهوا الخلع على المساعده لأن فيه كلفة المعاندة
ومن يكن يخلع عند الحال فلا يجوز رده بحال
إذا كان كل عائد فى هديه كالكلب ظل عائدا فى قيئه

(قلت) الخلع بفتح الخاء وسكون اللام وهو نزع الثوب عند السماع وهو على ثلاثة أقسام إما أن يكون مساعدة لغيره أو لغلبة حال عليه أو سقط بنفسه الأول مكروه لما فيه من التكلف والمعاندة أعنى المنافسة لانه رأى غيره خلع ثوبه وجدا أو حالا خلع هو ثوبه مساعدة له ومنافسة فيما فعل وهذا لا يخلو من رياء وتصنع وإليه أشار بقوله وكرهوا الخلع الخ واما ان يكون لغلبة حال عليه فنزعه فرحاً أو شكرا لما وهبه الله من سنى الأحوال فهذا يأخذه الفقراء ولا يجوز له الرجوع فيه

تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ووسطها لهج اللسان بالذكر وتعلق القلب بشهود المحبوب ونهايتها لا تدرك بالعبارة ولا تلحقها الإشارة وفى هذا المعنى قيل :

فلم يبق إلا الله لا رب غيره　　حبيب لقلب غاب عن كل مقصد
هنيئاً لمن قد نال حب حبيبه　　وخاض بترك الغير اكرم مورد
نعيم بلا حد لديه مجدد　　على عدد الانفاس فى كل مشهد

روى أن أبا يزيد رضى الله عنه كان بحذاء المنبر فقرأ الخطيب (وماقدروا الله حق قدره) فصبر نفسه حتى طار الدم من عينه فهذه المعانى لا تدركها العامة ولا الخاصة وإنما يذوقها خاصة الخاصة وأنشدوا :

وحقك لو أفنيت قلبى صبابة　　لكنت على هذا حبيباً إلى قلبى
أزيد على عذل العذول تشوقاً　　ووجدا على وجد وحباً إلى حب
أبى القلب إلا أنت فى كل حالة　　حبيبا ولو دارت عليه يد الكرب
فلا تبتليه بالعباد فإنما　　تلذذ أنفاس المحبين بالقرب

ومعنى محبة الله لعبده حين يقبل عليه هو تقريبه لحضرته وهدايته لمحبته من غير نفع له فى ذلك إذ لا تنفعه طاعة من أقبل عليه ولا تضره معصية من أدبر عنه إذ هو غنى عن الكل كما أشار إلى ذلك بقوله (لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك وإنما أمرك بهذا ونهاك عن هذا لما يعود إليك لا يزيد فى عزه إقبال من أقبل عليه ولا ينقص من قدره إدبار من أدبر عنه) قلت الحق سبحانه غنى عن كل شىء مفتقرا إليه كل شىء لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين وسيأتى

بحال لأن فيه الرجوع فى الصدقة (و) قد قال عليه السلام العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وإلى هذا أشار بقوله ومن يكن يخلع عند الحال الخ (وقال) السلمى وأكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على سبيل المساعدة لما فيه من التكلف المخالف للحقيقة وما كان من معارضة حال أو وقت فلا يجوز فيه الرد لأن ذلك شبه هبة وهدية وقال صلى الله عليه وسلم العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وقيل من رجع فى هبته بالغ فى خسته اه ثم أشار إلى حكمه فقال :

وحكمه فى أفضل الأحكام　　رأى العراق ليس رأى الشام

(قلت) ظاهر كلامه أن الضمير فى حكمه يعود على الخلع الذى هو أقرب مذكور لكن لم يذكر السلمى الذى يعتمده الناظم فى هذا النظم هذا الخلاف وكذلك التجيبى فى الاقالة مع أنه أطال فيه الكلام ويحتمل أن يرجع الضمير إلى السماع من أصله ويكون استدراكا لترجيح أحد القولين المتقدمين فى قوله قال أهل العراق بالتحريم وقال الحجازيون بالتسليم لكنه بعيد لأن أهل الحجاز غير أهل الشام وأيضاً السياق يأباه ولعل الناظم اطلع على خلاف بين أهل العراق وأهل الشام فى الخلع بالجواز والمنع (وجنح) الشيخ زروق إلى المنع فقال (تنبيه) الذى ينبغى الجزم فى هذا الزمان منع الخرق أى خلعها وأخذها والدخول عليها لما عليه الناس من الشحة والاعتلال اه (قلت) بل الظاهر الجواز وليس فى طريق الصوفية صوفى شحيح بل هو من أقبح القبيح ومن كان شحيحا تعلم السخاء بهذا وبغيره ثم أشار إلى ما يفعل بها ومن يستحقها فقال :

وحكموا الوارد فى الخروق　　للأنس والخبرة بالطريق

(قلت) إذا اختلف الفقراء فى الخرق التى تخلع فى مجلس السماع والذكر هل ترد لصاحبها أو تقطع وتفرق بينهم أو

فى المناجاة إلهى تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى أنت الغنى بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى اه فلا تنفعه أيها العبد طاعتك فيكون محتاجاً إليها تعالى الله عن ذلك ولا تضره معصيتك فيكون مقهوراً بها وهو القاهر فوق عباده فإنما أمرك بالطاعة ليقربك إليه إن رحمة الله قريب من المحسنين وإنما نهاك عن المعاصى لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرته فما أمرك الله بشىء إلا وفيه تقريبٌ وآداب للحضرة وما نهى الله عن شىء إلا وفيه ضرر وإبعاد عن الحضرة لما فيه من سوء الأدب والتحقيق أنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يزيد فى عزه اقبال من أقبل عليه لأن عزته أزلية قديمة ولا ينقص من عمره ادبار من أدبر عنه لأنه غنى عن العالمين وفى الحديث القدسى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد مانقص ذلك من ملكى شيئاً الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ومن أسمائه تعالى القدوس قال بعضهم معناه أنه منزه عن كل كمال لا يليق بذاته ولا يقال أنه منزه عن النقائص إذ لا تصح نسبتها إليه حتى ينزه عنها إذ لا ينفى عن الشىء إلا مايصح إثباته له فان نفيت مالا يصح إثباته فربما يكون نقصاً كما يقال السلطان ليس بجزار ومن أجاز ذلك فإنما مراده التعميم وكمال التقديس والتنزيه قال بعضهم لو أراد الخلق تنزيه الخالق إلا بلسان العجز ما استطاعوا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اه ثم قال ذلك البعض أن صفات البارىء وأسماءه كلها كليات والمخلوق جزء والجزء لا يحيط بالكل ولا يدرك حقيقته فليتحرز من التأويلات المخرجة عن المعنى اللائق بجناب الحق مسلماً أن لا يعرف الله إلا الله وأنشدوا :

لا يعلم الله إلا الله فاتئدوا   والدين دينان إيمان وإشراك

تعطى للأحوج منهم حكموا أول وارد عليهم فما حكم به اتبعوه وإنما فعلوا ذلك للأنس الذى يحصل بينهم فى ذلك الحكم بحيث لا يتغير قلب أحد و (قيل) يحكمون من كان أهل الخبرة بطريق القوم وهذا ما لم يحضر الشيخ وأما إن حضر فالحكم له وإذا خلعت على القوال له لقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه (و) قيل ان كان من جملة الفقراء فهو كأحدهم وإن كان محباً فقط فهى له وإن كان بأجرة فلا شىء له ثم ذكر ما يسقط بنفسه من غير أن يخلعه صاحبه فقال :

والسقط مردود بلا خلاف   وقدر هذا فى السماع كاف

(قلت) السقط بالكسر بمعنى المسقوط يعنى ما سقط من غير اختيار صاحبه فهو مردود عليه ولو كان من غلبة حال ووجد إذ الخلع المتقدم إنما هو ما كان باختيار صاحبه فرحا بالوجد أو الحال أو شكرا الا ما سقط بغير اختياره فلا يحل أخذه إذ لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفسه (تتميم) قال ابن ليون التجيبى ومن أشار بيده أن يخلع بان عنه ماعليه ومن دخل الطابق أى الحلقة بفرجية غير مزرورة بانت عنه يعنى لتفريطه وعدم حزمه ومن خلع ماعلى رأسه بان عنه كل ما عليه فان الخرق تابعة للتاج (قلت) ولعل هذا حيث جرى به عرف أو عمل وإلا فالظاهر اختصاصه بما خلع ثم قال (ومن رقص) ويده تحته بانت عنه خرقة ومن عثر فى ثوبه أو داسه أى وطىء عليه برجله أو أطفأ به السراج أو آذى به أحدا أو شبه ذلك بان عنه الثوب وكذلك الاشارة بالكم فإن الفقير محفوظ والسقط بائن عنه فيبين عنه ثوبه بأقل شىء بخلاف المحب فإنه لا يبين عنه ثوبه إلا باختياره والعياط الفاحش فى السماع يطالب صاحبه فإن انفصل وإلا استغفر أو كذلك الوقف الكثير فى الطابق أى الحلقة ما لم تشهد له البواطن بالصدق ولا يزاحم محترم محترماً فى طابقه ولا يدخل

والعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

فهذا أوائل المعرفة وأماوسطها فهو اغتراف من بحر الحقيقة واستشراف على غوامض الطريقة ولا تسعه كل عقول العامة وإنما يخوض فيه الخاصة فان ما تقدم كان فيه استدلال بالاسم على المسمى وهـذه مرتبة تسقط التفرقة بين الاسم والمسمى وبين الصفة والموصوف ثم قال ولهذا قالوا الجمع سقوط التفرقة وليس بعد هذا إلا جمع الجمع وهو غاية المعرفة فأول المعرفة دلالة الصنعة على الصانع وسطها دلالة الصانع على الصنعة وغايتها تلاشى كل ما دون الحق كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اه قاله الشطيبي مختصراً (هذا) آخر الباب الثانى والعشرين وحاصلها الترغيب فى تحصيل الأنوار بالتفرغ من الاكدار فاذا فرغت قلبك وتأخر الفتح عليك فلا تستبطىء منه وجود النوال ولكن استبطىء من نفسك وجود الاقبال ولا يكمل إقبال العبد على ربه حتى يستغرق الاوقات كلها فى طلبه فكل وقت من العمر لا ثمن له ولا يمكنه التفرغ لحفظ الاوقات حتى يتحرر من رق الكائنات فاذا تحرر عماسواه كان عبدا حقيقة لمولاه فحينئذ اجتباه ولحضرته اصطفاه من غير منفعة له فيه ولا ضرر وإنما يعود نفعه له وضرره عليه إذ لا يزيد فى عزه إقبال من أقبل وإدبار من أدبر وإنما وصل من وصل بمحض فضله وأبعد من أبعد بمحض عدله ومعنى وصول العبد إلى مولاه علمه بنور عظمة ربه وسناه كما أبان ذلك فى أول الباب الثالث والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه وصولك اليه (وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل بهشىء أو يتصل هو بشىء)

قلت قد ذكر أهل الفن فى هذا المقـام اصطلاحات وألفاظ تداولوها بينهم تقريباً لفهم المعانى فمنها السير والرحيل وذكر المنـازل والمناهل والمقامات ومنها الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومحاربتها وقطع العوائق والعلائق عنها أو الوقوف مع شىء منها وسيأتى للمؤلف لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ومنها الوصول

الطابق غير فقير لانه لايدرى مشرب القوم ويحبسه الخادم فى موضعه أن غلب عليه واراد انتهى وهذا القدر كاف فى السماع لمن له صدق واستماع وبالله التوفيق وهو الهـادى إلى سواء الطريق ثم أشار إلى الحكم السابع من أحكام الترجمة التسعة فقال (السابع فى حكم السفر والقدوم على المشايخ) علم أن للسفر آدباً تطلب قبل الشروع فيه وآداباً حال الشروع وآداباً بعده فأما التى تطلب قبل الشروع فمنها الاستخارة لقوله عليه السلام ماخاب من استخار ولا ندم من استشار (وروى) البخارى عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا الفاتحة يقول إذاهم أحدكم بأمر فليركع ركعتين ثم يقول (اللهم) انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسئلك من فضلك العظيم فانك تقدر ولاأقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى واجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدرلى الخير حيث كان ثم رضنى به اه والركعتان بالكافرون والاخلاص ويقتصر على هذه الاستخارة دون غيرها عمافيها نوم أو غيره ويكررها ثلاثاً أو سبعاً ان كان أمراً مهماً (ومنها) الاستشارة ان كان له شيخ فليستشره ولا يسافر بغير إذنه وإن لم يكن له شيخ فليستشر مع من اشتهر بالصلاح والخير من العلماء العاملين وكذلك الوالدين ومنها النية الصالحة فلا يسافر بقصد الدنيا والنزهة وسيأتى الكلام على هذا عند قول الناظم ولم تكن أسفارهم تنزهاً بل كان فيها نحو التوجهات وبقدر مايعدد من النيات يحصل له من الخيرات وقد قال الشيخ القطب ابن مشيش لأبى الحسن لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الاحيث تأمن غالباً من معصية الله ولا تصحب الامن تستعين به على طاعة الله ولا تصطفى لنفسك

والتمكين والسكون والطمأنينة ومنها المشاهدة والمكالمة والمجالسة والمساورة وغير ذلك وكل ذلك كناية عما أدركته أرواحهم وذاقته أسرارهم من عظمة الحق وجلاله وسيأتى تفسير شيء من ذلك فى محله إن شاء الله ومعنى الوصول عندهم تحقيق العلم بوجوده وحده فوصولك اليه هو شعورك بعدمك حتى يكون عدمك عندك ضرورياً وعلمك بوجوده كذلك وهذا الأمر كان حاصلا لك فى نفس الأمر لكن لم تشعر به وفى هذا المعنى قال بعضهم وبعضه للششترى .

بين طلوع ونزول * تخلت الغزول * أفن من لم يكن * يبق من لم يزول * جول كى تزول * أوامش نزع الفحول

فالزوال هو المعرفة وهو معنى الوصول وسببها جولان الفكرة ولذلك أمره بها وقال شيخ شيوخنا سيدى على الناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وسمعت شيخنا يقول الناس كلهم فى البحر أى فى بحر الوحدة ولكن لا يشعرون فوصول العبد إلى الله هو تحقيق العلم بوجوده والغيبة عن نفسه وعن كل ما سواه وإلا تكن كذلك بأن تعتقد أن الوصول يكون حسيا لجل ربنا أى تعالى وترفع أن يتصل به شيء للزوم تحيزه أو يتصل هو بشيء للزوم افتقاره وحصره تعالى الله عن ذلك علو أكبيراً واعلم أن هذا العلم بالله يكون كسبيا ثم لا يزال يغيب عن نفسه وحسه سكرة بعد سكرة وحيرة بعد حيرة حتى يصحو وينجلى عنه ضباب الحس وسحاب الجهل وظلمة النفس فتشرق عليه شمس النهار وتنجلى عنه ظلمة الأغيار وفى ذلك قيل :

ليلى بوجهك مشرق   وظلامه فى الناس سار
الناس فى سدف الظلام   ونحن فى ضوء النهار

أى ليل وجودى صار مشرقاً مضيئا بسبب شهود ذاتك وظلام ليل القطيعة سار فى جل الناس فى جوف ظلمة الأكوان ونحن فى ضوء شموس العرفان ثم لا يزال تربية الشيخ وتحت حضانته ومدده سار اليه بقدر صدقه حتى يسلم

إلا من تزداد به يقيناً وقيل ماهم ومنها التماس الصاحب وفى بعض الآثار التمسوا الرفيق قبل الطريق وقد نهى عليه السلام عن السفر وحده وقال الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب اه ولا يسافر مع غير جنسه ولا يصحب الا من يريد به إلى ربه (و) فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم حين قالوا له من تجالس يارسول الله قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله والمراد بالمجالسة مطلق المصاحبة فتصدق بالسفر وبغيره (ومنها) قضاء الديون ورد الودائع فإن لم تحل وتعذر تعجيلها فليترك وكيلا يؤدى عنه وإن كانت عليه مظالم تحلل منها لأنه لا يدرى هل يرجع أم لا (و) منها استعداده لحمل الماء فيستصحب قربة أو ركوة يتوضأ منها قال السلمى رضى الله عنه ويجب على المسافر استصحاب ركوة أو كوز للطهارة والركوة أولى والركوة إناء من جلد وقال فى القاموس زق صغير ثم قال سمعت والدى رحمه الله يقول كان بعض المشايخ اذا صافحه المسافر تفقد أثر حمله الركوة من كفه وأصابعه فإن وجده أى أثر الركوة أحسن قبوله وإلا ازدراه (وقال) بعضهم إذا رأيت الصوفى وليس معه ركوة ولا كوز فاعلم أنه عزم على ترك الصلاة وكشف العورة شاء أم أبى ويستحب للمسافر استصحاب العصا والابرة والخيوط والمقص والموسى ونحوها فان ذلك مما يستعين به على أداء الفرائض كما يجب وإذا أراد أن يسافر فمن الأدب أن يطوف على إخوانه ويعرفهم بسفره ويودعهم ويستحب لمن هو فى صحبتهم تشييعة كذلك كان أدب المشايخ انتهى وأما التى تطلب حين الشروع فى السفر (فمنها) صلاة أربع ركعات (فقد) روى الديلمى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفراً صلى أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب والاخلاص فإذا سلم قال اللهم انى أتقرب بهن إليك فاجعلهن خليفتى فى أهلى ومالى فاذا نهض للسفر من جلوسه قال اللهم بك انتشرت

له خصيم الغرق الظلمانى وينفرد النورانى ويحس ذلك من نفسه فحينئذ يقول بلسان الحال أقر الخصم فارتفع النزاع فاذا انفرد الخصم النورانى استمد من كل شيء وشرب من كل شيء وأخذ النصيب من كل شيء فيبقى وصوله إلى الواسطة شكرا وإحساناً أن اشكر لى ولوالديك وينشد حيئئذ بلسان حاله ومقاله :

الحمد لله لا تفنى محـــامده والحمد لله فى الآصال والبكر
من يهده الله أضحى عالماً فاطناً بالله فى كل ما يبدو من الصور
ياطالب الوصل جد بالنفس ملتفتاً عنها إلى منزل الأشياء بالقدر
فان ظفرت فأنت الفرد والعلم الـ منعوت بالحسن والحسنى لذى نظر

ومنها أى من اصطلاحاتهم ذكر القلوب والاستشراف والمراقبة وفسر الشيخ معنى القرب فقال (قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه) قلت إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته علمت علم يقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها وأن الحق كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان بقى كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان نور أحديته محى وجود الأكوان فانتفى بوجوده الزمان والمكان ولم يبق إلا الواحد المنان وفى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار فالوجود الحقيقى إنما هو لذاته وأثر صفاته تجلى واستتر واختفى فيما ظهر فاذا علمت هذا علمت أنه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء ولا شيء إلا الذى ليس كمثله شيء لكن حكمة الحكيم أثبتت الحادث والقديم فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده فأبصر الحق محيطاً به وما حياً لوجوده ومن طمس الله عين بصيرته لم ير إلا الفرق ولم يدرك إلا العبد فإذا أراد الله أن

واليك توجهت وبك اعتصمت اللهم أنت ثقتى ورجائى اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى وزودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير حيث ما توجهت ثم يقرأ الكافرون والإخلاص والمعوذتين (و) منها توديعه أهله وجيرانه وأصحابه يقول أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه ويقول له زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث ما كنت (و) منها قراءة ورد السفر وهو أستغفر الله عشراً اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما عشرا حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عشرا هكذا تلقيناه من أشياخنا زاد شيخنا البسملة عشرا قال ينبغى أن تكون بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الورد حفيظة وحصن يقال فى كل سفر ولو قرب وينبغى تقديمه على التوديع وإذا كان له مركوب قال إذا جعل رحله فى الغرز بسم الله وإذا استوى على ظهره الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون سبحانك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت هكذا روى الترمذى زاد غيره الحمد لله الذى حملنا فى البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير ممن خلقنا تفضيلا اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوعنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والأهل (و) يكبر ويسبح ويحمد ثلاثا وثلاثين ويهلل مرة (وأما) التى تطلب بعد الشروع فاشتغاله بذكر الله وبالتفكر والاعتبار فى عظمة الله وكل ما رأى شيئاً عرف فيه صانعه ومولاه وإذا علا على شرف كبر واذا هبط فى واد أو مكان منخفض سبح وإذا انفلتت دابته قال ياعباد الله احبسوا وإذا رأى قرية أو مدينة قال اللهم رب السموات السبع وما أظللن

يقربه اليه فتح شعاع بصيرته فيبصر الحق قريباً منه محيطاً به روى أن الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قال يوماً بين يدى أستاذه اللهم اغفر لى يوم لقائك فقال له شيخه هو أقرب من اليلك من ليلك ونهارك ولكن الظلم أوجب الظلام وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الأنس ومنازل الوصال وللظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحتال والسابق قد وصل فى الحال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اه كلامه رضى الله عنه فمعنى قربك من الحق أن تكون مشاهداً لقربه منك قرب وجود وإحاطة وذلك بعد أن تلطفت عوالمك وفنيت دائرة حسك وحينئذ يتحقق قربك منه قال تعالى (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) وقال تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) الآية وأن لا تعتقد هذا واعتقدت وجود نفسك وثبوت حسك الوهمى فلا تشاهد إلا العبد فمن أين ووجود قربك الحسى من نوره اللطيف حتى تراه بعين الحس فما دمت فى عالم الأشباح فأنت بعيد من عالم الأرواح فى حال قربك منه كما قال القائل :

ومن عجب أنى أحن اليهم واسأل شوقاً عنهم وهم معى
وتبكيهم عينى وهم بسوادها ويشكو النوى قلبى وهم بين أضلعى

سبحان من بعد قوما فى حال قربهم وقرب قوما من غير بعدهم وراجع ماتقدم لنا فى الشرح عند قوله شعاع البصيرة تفهم المسألة على أصلها وحق هذه الحكمة أن تتقدم على التى قبلها لأن القرب سابق على الوصول ولما ترتب على ذكر الوصول من ذكر الواردات والأمر قريب والله تعالى أعلم (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه فى شرح هذه الحكمة القرب فى الجملة على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وهو تقريب الحق عبده حتى يكون مشاهداً لقربه منه فيتولاه دون ما سواه (الثانى) قرب الإحاطة إحاطة العلم والقدرة والإرادة وعموم التصرف وهذا قرب الحق من عبده (الثالث) قرب المناسبة والمسافة

ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وأما ضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها وإذا وصل وضع يده على سورها ويقرأ لإيلاف قريش ثلاثا فإذا فعل ذلك لم يزل صحيحا جسمه فيها حتى يخرج وإذا دخلها قال اللهم بارك لنا فيها ثلاثاً اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وباها وحببنا إلى أهلها وحبب صالح أهلها الينا وسيأتى بقية الأدب والآداب التى تطلب حين يصل عند الناظم إن شاء الله (و) ينبغى للفقير أن يشد يده على هذه الآداب النبوية فإنها دليل المحبة قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) والله تعالى أعلم ثم قدم الحكمة فى سفرهم وما المقصود به فقال :

مذهبهم فى جولة البلدان زيارة الشيوخ والاخوان
ثم اقتباس العلم والآثار أو رد ظلم أو للاعتبار
أو للخمول أو لنفى الجاه أو للرسول أو لبيت الله

(قلت) من سنة الفقراء فى بدايتهم الجولان فى البلدان وعدم التقرر فى الأوطان وذكر الناظم فى حكمة ذلك عشرة أوجه (أولها) زيارة الشيوخ وهى أعظمها بعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما فيها من زيادة فيض الامداد واكتساب الأوصاف المحمودة والتخلص من الأوصاف المذمومة مع اقتباس العلم والحال وفى ذلك من الخير مالا يعلمه إلا الله وسيأتى بعض ذلك إن شاء الله وعن أبى رزين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر فى الله فإن من زار فى الله شيعه سبعون الف ملك يقولون اللهم صله كما وصل فيك وناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة مقعدا (قلت) وهذا الذى ذكره الناظم زيارة الأحياء (وأما) زيارة الأموات فمن ظفر بشيخ التربية فلا يحتاج إلى

ولا يصح فى جانب الربوبية لاستحالة المسافة عليه ونفى مناسبة العبد للرب فتقدير الكلام قربك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقربه منك على وجه الاحاطة وإلا فمن أين أنت ووجود قربه على وجه التناسب والمسافة اه وإنما نقلته لعلى أن الكتاب يطالعه من يحسن العوم ومن لا يحسنه فاذا خاف من البحر وجد جزيرة يأوى اليها وبالله التوفيق ومن حصل على مقام القرب والوصول ترد عليه الحقائق العرفانية والأسرار الربانية والعلوم اللدنية تارة ترد مجملة ثم يقع التفصيل وتارة مفصلة وهو غالب واردات أهل التمكين والغالب أن هذه الواردات إنما ترد بعد الفتح والوصول ولذلك قلنا الأحسن لو قدم الشيخ مقام القرب ثم يذكر مقام الوصول لتصل بهذه الحكمة التى تكلم فيها على الواردات حيث قال الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة وبعد الوعى يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) قلت الحقائق هى ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف فتارة تكون علوماً وتارة تكون حكماً ومعارفاً وتارة تكون كشفاً بغيب كان أو سيكون وحكمة ذلك الروح إذا تخلصت وتصفت من غبش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقاً ثم ان هذه الحقائق قد ترد فى حال التجلى مجملة فيقيدها الانسان كما تجلب ثم يتفكر فيها فيتبين معناها فبعد الوعى وهو الحفظ يكون البيان ثم استدل بآية الوحى لأن الوحى على أربعة أقسام وحى إلهام ووحى منام ووحى أعلام ووحى أحكام فشاركت الأولياء الأنبياء فى ثلاثة وحى الهام ووحى منام ووحى أعلام وهو الفهم عن الله وانفردت الأنبياء بوحى الأحكام فالأولياء لهم وحى الالهام ويكون أولا مجملا فى القلب فإذا قرأه وأظهر تتبعه وبينه قال تعالى (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) كما قرأناه عليك ثم علينا بيانه حتى تفهمه وتبينه للناس كان عليه السلام يعالج من التنزيل شدة مخافة أن ينساه فلما نزلت الآية كان يستمع لجبريل فإذا فرغ قرأه كما أنزل فالوحى الذى هو وحى أحكام مصون فلا ينسى بخلاف وحى الالهام فلذلك ينبغى للولى أن يقيد تلك الواردات

زيارة غيره حيا كان أو ميتا (وقد) قال التجيبى ان زيارة الأموات ليست من طريق القوم (قلت) وهو كذلك لأن القوم قد أغناهم بالأحياء فلا يزورون الأموات إلا للدعاء لهم والترحم عليهم وأما من لم يظفر بشيخ التربية فينبغى له الاكثار من زيارتهم فإن غاية نفع الميت أن يدله على الحق وفى ذلك يقول الشيخ الصالح أبو اسحاق سيدى ابراهيم التازى دفين وهران

زيارة أرباب التقى مرهم يبرى ... ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث فى الصدر الخلى إرادة ... وتشرح صدراً ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا ... وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر
فكم خلصت من لجة الإثم فاتكا ... فالقته فى بحر الإنابة والبر
وكم من مريد أظفرته بمرشد ... خبير بصير بالبلاء وما يبرى
فألقى عليه حلة يمنية ... مطرزة بالفتح واليمن والنصر
عليك بها فالقوم باحوا بسرها ... وصوابها ياصاح فى السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية ... تأدب مملوك مع المالك الحر
ولا فرق فى أحكامها بين سالك ... مربٍّ ومجذوب وحى وذى قبر
وذى الزهد والعباد فالكل منعم ... عليه ولكن ليست الشمس كالبدر

(ثانيها) زيادة الإخوان ولا شك أن السفر لزيارة الإخوان قربة عظيمة ومنقبة جسمة وهى من أفضل السياحة

قريباً فإن الحكمة فى حال التجلى تكون كالجبل فاذا غفل عنها ترجع كالجمل فاذا غفل عنها بعد رجعت كالثور ثم كالكبش ثم كالبيضة ثم تغيب ولذلك كان شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه لاتفارقه الدواة والقلم والقرطاس ليقيد المواهب وكذلك كان أشياخنا وكانوا يأمرون بذلك (قلت) وجل هذا الشرح الذى نقيده إنما هو مواهب لأنى أكتب الحكما ولا أدرى ما أكتب فأقف مفتقراً إلى ما عند الله فاذا ورد شىء من عندالله كتبته أولا ثم أنظر فى كتب القوم ان وجدت نقلا غريبا موافقاً لما أفاض الله على كتبته وإلا تركته واكتفيت بما أتى الله وكثيراً ما نكتب الكلام ثم نطالعه ونستغرب انى كتبته أو صدر منى وذلك كله ببركة صحبة أشياخنا لجزاهم الله عنا أحسن جزائه ولقد كنت فى حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن تتكلم فى التفسير أو غيره نشرع فى الكلام ثم نغيب فكنت نحس بالكلام يخرج منى من غير اختيار كأنه السحاب فتصدر منى علوم وحكم فإذا سكت لم يبق منها إلا القليلة (ولقد) حضر معنا ذات يوم رجل صالح كبير السن فسمع ذلك فقال والله لقد حضرت مجالس العلماء والصالحين والله ما رأيت مثل هذه الجواهر واليواقيت التى تخرج من سيدى فلان فبقيت كذلك مدة غير أنى لم نكن نقيد شيئاً ثم انتقل ذلك حال التقييد فصار القلم عندى أفصح من عبارة اللسان (وكان) بعض العارفين يقول لأصحابه إذا كنت أتكلم عليكم أكون أستفيد من نفسى ما يجريه الله على لسانى كما تستفيدون أنتم منى وفى ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه :

ولأنك من طيشته طروسه بحيث استخفت عقله واستفزت
فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته منى وعنى أخذته ونفسى كانت من عطائى وممدتى

قال لله تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فالمراد بالذين آمنوا هم أنصار الدين الذين ينصحون عباد الله تعالى الله وهم الفقراء المتوجهون إلى الله فإن كل من لقيهم نصحوه وذكروه بالله (وقال) عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى المتجالسين فى المتزاورين فى المتباذلين رواه مالك (وقال) صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتزاورين فيه والمتباذلين فيه رواه الطبرانى (وعن أبى) هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخاله فى قرية فأرصد الله تعالى له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قالى أين تريد قال أريد أخالى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لاغير أنى أحببته فى الله قال فانى رسول الله إليك ان الله قد أحبك كما أحببته فيه اه رواه مسلم المدرجة الطريق (وقال) صلى الله عليه وسلم من عاد مريضاً أو زار أخاله فى الله ناداه منادان طبت وطاب ممشاك (و) قال أيضاً صلى الله عليه وسلم مامن عبد أتى أخاه يزوره فى الله إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة وقال الله فى ملكوت عرشه عبدى زارنى وعلى قراه فلم يرض له بثواب دون الجنة (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لأصحابه حين قدموا عليه هل تجالسون قال لانترك ذلك قال فهل تزاورون قالوا نعم يا أبا عبد الرحمن إن الرجل منا ليفقد أخاه فيمشى على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه قال انكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك اه (ثالثها) اقتباس العلم النافع ولاشك أن السفر لطلب العلم فرض فقد قال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضاً اطلبوا العلم ولو بالصين ذكره فى القوت وقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس بها علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مامن خارج خرج من بيته فى طلب العلم الاوضعت

وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إذا استغرق فى الكلام وفاضت عليه العلوم يقول هلا رجل يقيد عنا هذه الأسرار هلموا إلى رجل صيره الله بحر العلوم أوكلاما نحوه وكان يحضر مجلسه أكابر وقته كعز الدين بن عبد السلام وابن الحاجب وابن عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذر وكان عز الدين بن عبد السلام إذا سمع كلامه يقول هذا كلام قريب عهد بالله :

(وكان) الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول والله ما رأيت أعرف بالله من أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وكان فى كل سنة يطلع إلى القاهرة ويجتمع عليه مشايخ القاهرة ومصر ومن بتلك الناحية فيفيض عليهم بالعلوم والمواهب الربانية والأسرار اللدنية فلما مات رضى الله عنه واستخلفه أبو العباس المرسى جعل يطلع إلى القاهرة كما كان يفعل شيخه فاجتمع اليه جماعة من أكابر مصر وعلمائها وقالوا ياشيخ كان الشيخ أبو الحسن إذا جاء إلى هذا الموضع يجىء عندنا و نتبرك بقدومه وما نسمع منه من مواهب الله تعالى وأنت قد أقامك الله مقامه فنحب أن نتبرك بكلامك فقال لهم إذا كان صبيحه غد نجىء اليكم ان شاء الله فلما كان صبيحة غد أمر أصحابه بالمسير إلى مصر وأمر بحمل رسالة القشيرى رضى الله عنه قال ابن الصباغ فحملتها ووصلنا إلى جامع عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلأ بأكابر أهل مصر وعلمائها فقال لى منتقد ومعتقد قال فجلسنا بشرقى الجامع فقال أخرج رسالة القشيرى فأخرجتها فقال اقرأ فقلت وما أقرأ قال الذى يظهر لك ففتحنا الكتاب فوجدنا باب الفراسة فقرأت أول الباب فلما فرغت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى أغلق الكتاب ثم قال الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام فراسة المؤمنين وفراسة الموقنين وفراسة الأولياء وفراسة الصديقين فأما فراسة المؤمنين فحالها كذا ومددها من كذا ثم تكلم بكلام عظيم ثم انتقل إلى فراسة الموقنين فيكلم بطبقة أعلى ثم قال وأما فراسة الأولياء فمددها من كذا وحالها من كذا وتكلم فى ذلك بكلام موهوب غير مكسوب أذهل عقول

الملائكة له أجنحتها رضى بما صنع وعن قبيصة رضى الله عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ياقبيصة ماجاء بك قلت كبرت سنى ورق عظمى فأتيتك لتعلمنى ما ينفعنى الله به قال يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك الحديث وقال صلى الله عليه وسلم من غدا يريد العلم يتعلمه لله فتح له بابا إلى الجنة وفرشت له الملائكة أكتافها وصلت عليه ملائكة السموات وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب فى السماء والعلماء ورثة الأنبياء ان الأنبياء لم يورثوا دنيارا ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وموت العالم مصيبة لاتجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم والمراد بالعلم فى الحديث العلم النافع فيصدق بعلم ذات الله وصفاته وأحكامه والمراد بالعابد الذى فضل عليه العالم العابد الحاصل بما يلزمه من أداء فرضه فلا شك أن عبادة الجاهل فى حجره والعالم شامل للعلم بالله وهو الولى والعالم بأحكام الله وهو العالم العامل المخلص والله تعالى أعلم (رابعها) اقتباس الأثر وهو حديث النبى صلى الله عليه وسلم وفضل السفر اليه كفضل السفر إلى العلم لانه عين العلم وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع ومعنى نضر بهج وحسن (خامسها) رد المظالم والسفر لذلك فرض كما إذا كان على الفقير دين أو قصاص أو حق من حقوق العباد فيسافر اليه ليرده أو يتحلل منه هكذا ذكره السلمى ونصه ثم لطلب العلم ثم لزيارة الإخوان والمشايخ إلى أن قال ثم لرد المظالم والاستحلال ثم لطلب الآثار والاعتبار ثم لرياضة النفوس وخمول الذكر اه وهذا نص ما ذكره الشيخ فى هذه الابيات وقد تردد الشيخ زروق فى تفسيره فحمله أولا على رد ظلم العباد بعضهم عن بعض وجعله من تغيير المنكر وقال هذا على من يمكنه ذلك من غير نقص فى دينه

الحاضرين واستغرق بذلك إلى أذان الظهر والناس يبكون ورأيت العرق ينحدر من جبينه حتى ينحدر على لحيته وكانت لحيته كبيرة اه وقال فى لطائف المنن وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بينى وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتى إياه وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال لى ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدرى ما قال لى الشيخ يوما تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فأول ما قال لى هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بنا قال ولعمرى لقد صحبت الشيخ اثنى عشر عاما فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذى كان ينقله عنه من يقصد الأذى وكان سبب اجتماعى به ان قلت فى نفسى بعد أن جرت المخاصمة بينى وبين ذلك الرجل دعنى أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارة لا يخفى شأنها فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشارع بها فقال الأول اسلام والثانى ايمان والثالث احسان (وان شئت) قلت الاول عبادة والثانى عبودية والثالث عبودة (وان شئت) قلت الاول شريعة والثانى حقيقة والثالث تحقق أو نحو هذا فمازال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت إلى أن أبهر عقلى وعلمت أن الرجل انما يغرف من فيض بحر إلهى ومدد ربانى فأذهب الله ما كان عندى إلى آخر كلامه فهذه الحقائق التى يفيضها الحق تعالى على قلوب أوليائه فينطقون بها تكون أولا مجملة فإذا حفظت وتقيدت تبين معناها فمنها ما تدركه العقول ويطابق المنقول ومنها مالا تفهمها العقول فتكلها إلى أربابها ولا تنتقدها عليهم بمجرد سماعها وانظر قول ابن الفارض رضى الله عنه :

فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمه

ومع هذا كان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب

كما هو معلوم فى باب تغيير المنكر (قلت) ولو حمله على رده بالشفاعة و الاصلاح لكان أقرب ويكون فى حق الكاملين منهم وحمله ثانيا على ما قلنا من رد المظالم ثم قال وقد يريد الفرار من الظلم فان المؤمن لا يذل نفسه وقدقال تعالى (ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون) وقال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقد يريد الفرار من المحل الذى يجرى فيه الظلم على يديه كفرار ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه من أرضه وغيره وكما فى حديث الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسا ثم كمل المائة بالعابد فلما دل على التوبة قال له اخرج من أرضك انها أرض سوء الحديث اه وهذه كلها احتمالات يقبلها اللفظ وأما المقصد فهو الاول لان عادة الناظم محاذاة ما للسلمى والله تعالى أعلم (سادسها) الاعتبار بما يرى فى سفر من جبال وأنهار وعيون وبحار وأشجار وثمار وأصناف المخلوقات وضروب الكائنات وقد تقدم انه ينوى هذا فى أول سفره (سابعها) قصد الخمول ونفى الجاه إذا لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ولا شك أنه إذا تغرب فى البلدان لا يعرفه أحد فيأمن من الظهور الذى هو قاصم الظهور والخمول مقصود عند القوم فى البدايات وملحوظ فى النهايات (ثامنها) نفى الجاه وهو قريب من الخمول ويفرق بينهما بأن قصد الخمول هو الذى لم يكن له جاه فأراد أن يبقى على خموله ونفى الجاه هو الذى كان له جاه وأراد نفيه وزواله فاذا سافر إلى موضع لا يعرفه أحد فالغالب تحقيق خموله وينبغى له أن يكتم اسمه ويخفى حاله حتى لا يعرف لانه إذا عرف رجع إليه ماهرب منه والمراد بالجاه المضر أو الجارى على غير وجه مستقيم او الذى يخشى منه نقما أو شغلا أو الذى تميل اليه النفس وتركن إليه فان الركون إلى ظل العز قاطع كبير (تاسعها) لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وهى من أكبر القربات وأعلى الدرجات فقد قال عليه السلام

والسنة ودع الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى جانب الكشف والالهام ومثل هذا أيضاً قول الجنيد أن النكتة لتقع فى قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل الكتاب والسنة ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها فان العلم واسع له ظاهر وباطن ومسائل الالهامات تارة ترد على حسب العلم الظاهر وتارة ترد على حسب العلم الباطن فاذا لم تفهم فسلم ودع ماتعرف لما لاتعرف وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول من آداب مجالسة الصديقين أن تفارق ماتعلم لتظهر بالسر المكنون اه يعنى ان أردت أن تظفر بما عندهم من السر المكنون فاسقط عنهم الميزان فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وأما مادمت تزن عليهم بميزان علمك فلا تشم رائحة من سرهم .

(وكان) شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول طريقتنا لاينال منها شيئا إلا من يصدق بالمحال فان أردت ياأخى أن يهب عليك نسيم أسرارهم ونفحات مواهبهم فدع ماتعرف إلى مالا تعرف واغتسل من علمك وعملك حتى تبقى فقيراً إلى ماعندهم كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلى رضى الله عنه .

(ولقد) حدثنى من أثق به أن الشيخ أبا الحسن رضى الله عنه طلع إلى الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه بالميزان فلم يشم رائحة الولاية فرجع ثم طلع ثانياً كذلك فرجع كما طلع فلما أسقط الميزان واغتسل من علمه وعمله وطلع فقيراً أغناه الله قال له الشيخ ابن مشيش ياأبا الحسن طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك فأخذت مناغنى الدارين اه نفعنا الله بذكرهم ونفح علينا مانفح عليهم حتى نستغنى بهم غنى لافقر معه أبداً آمين ثم أن هذه الواردات التى تتجلى بالحقائق والعلوم إنما هى واردات أهل النهاية وأما واردات أهل البداية فانها تأتى قوية قهارية أما بخوف مزعج أو شوق مقلق لترحله عن شهواته وعوائده وهى التى ذكرها الشيخ بقوله) متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) قلت الوارد الالهى هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله فى قلب العبد وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال فتزعجه تلك القوة

من زارنى فى المدينة وجبت له شفاعتى أو كما قال وقال صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى اه عاشرها زيارة بيت الله الحرام والوقوف بعرفة وهو فرض للمستطيع مستحب لغيره إذا سلم من تضييع واجب قال صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه اه

(تنبيه) قال الشيخ زروق رضى الله عنه كل هذه الوجوه تحتاج لتصحيح النية وتحقيق القصد فان النفس خادعة وللأمور آفات واعتبر هذا بحكاية أحمد بن أرقم حيث جنحت نفسه لطلب الجهاد فتعجب منها وقال نفس تأمر بالخير هذا عجب ثم سأل الله تعالى قائلا اللهم إنى مصدق بقولك أن النفس لأمارة بالسوء ولها مكذب فأطلعنى على حقيقة هذا الأمر قالت ياأحمد أنك تقتلنى كل يوم كذا وكذا قتلة ولايشعر بى أحد فأردت موتة واحدة ويقال مات شهيداً (قال) الأمام أبو حامد رحمه الله فنظر كيف رضيت بالرياء بعد الموت انتهى بمعناه (قلت) وبقى من فوائد السفر صحة البدن والقلب فقد قال عليه السلام سافروا تصحوا وتغنموا وكذلك قصد موت الغربة فقد قال أيضاً عليه السلام الغريب شهيد ويفسح له فى قبره كعبده من أهله ثم ذكر مفهوم ماتقدم فقال :

ولم تكن أسفارهم تنزها ... بل كان لله فيها نحوه التوجها
ولم تكن أيضاً بلا أستئذان ... للشيخ والآباء والاخوان
ولم يكن ذلك للفتوح ... أو لامرىء مبتذل ممدوح

(قلت) إنما لم تكن أسفارهم للتنزه فى البلدان أو لكروب الاوطان بل فى رضا الرحمن لأن مقاصدهم دائرة على الجد

إلى النهوض إلى مولاه فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه وقد تترادف عليه أنوار تلك المحبة والشوق فتغيبه عن حسه بالكلية وهو الجذب وإنما جمع الواردات باعتبار تلك المحبة والشوق فانها لاتهدم عوائدها إلا أن كثرت وتزايدت وتسمى أيضاً هذه الواردات نفحات قال عليه السلام إن لله نفحات فتعرضوا لنفحاته فمن لم ترد عليه الواردات اختياراً فليتعرض لها بصحبة العارفين أهل الاكسير الذى يقلب الاعيان فإن صحبهم ولم ترد عليه فليخرق عوائد نفسه من الظاهر فانها تدخل منه إلى الباطن فتى وردت عليك حينئذ تلك الواردات الإلهية هدمت العوائد عليك وأفسدتها لديك فترد عزك ذلا وغناك فقراً وجاهك خمولا ورياستك تواضعاً وحنواً وكلامك صمتا ولذيذا طعامك خشيناً وشبعك جوعا وكثرة كلامك صمتا وقرارك فى وطنك سياحة وسفراً هكذا شأن الوارد الإلهى يخرب العوائد ويهدمها فهو كملك جبار ذى جيش طغاة دخل قرية أو مدينة فافسد بناءها وغير عوائدها قال تعالى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها أى نزعوها وخربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى رؤساءها أتباعا مرؤوسين وكذلك يفعلون أى هذا شأنهم والاستشهاد بالآية فى غاية الحسن والمناسبة ثم ذكر الشيخ علة هدم الوارد عوائد الانسان فقال (الوارد يأتى من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شىء إلا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)

(قلت إنما كان الوارد الذى يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قوياً شديداً لأنه يأتى من حضرة اسمه تعالى ليدمغ بقهريته كل ماوجد فى النفس أو القلب من الاغيار وإنما قلنا من حضرة اسمه القهار لأن الحق تعالى له حضرات بعدد أسمائه فاسمه تعالى القهار يتجلى من حضرة قهريته واسمه جميل يتجلى من حضرة جماله واسمه جليل يتجلى من حضرة جلاله واسمه رحيم يتجلى من حضرة رحمته واسمه الحليم يتجلى من حضرة حلمه واسمه الكريم يتجلى من حضرة كرمه وهكذا فكل اسم يخرج تجليه

والتحقيق والمناقشة والتدقيق لاينقلون أقدامهم إلا حيث يرجون رضاء الله ولا تنزل هممهم العالية إلا على الله غائبون عما سواه لايتوجهون بهممهم إلا نحو الحبيب ولا يسافرون بقلوبهم إلا إلى حضرة القريب المجيب بخلاف العامة أنفسهم غالبة عليهم وشهواتهم حاكمة عليهم ان تحركوا للطاعة خوضتها عليهم فأفسدت عليهم نياتهم وأزعجتهم فى هوى أنفسهم تظهر لهم الطاعة وتخفى لهم الخديعة :

(روى) أن رجلا جاء يودع بشراً الحافى رضى الله عنه عند مشية للحج وقال قد عزمت على الحج أتأمر بشىء فقال له بشر كم أعددت للنفقة فقال ألفى درهم فقال له بشر أى شىء تبتغى بحجك نزهة أو أشتياقا إلى البيت وابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت رضاء الله تعالى وأنت فى منزلك وتنفق ألفى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أفتفعل ذلك قال نعم قال أذهب فاعطها عشرة أنفس مدينا يقضى دينه وفقيراً يرم شعثه ومعيلا يجبر عياله ومربى يتيم يفرحه وان قوى قلبك أن تعطيها لواحد فافعل فان ادخالك السرور على قلب أمرىء مسلم وإغاثة لهفان وكشف ضر محتاج وإعانة رجل ضعيف اليقين أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك والا قل لنا ما فى قلبك قال ياأبا نصر سفرى أقوى فى قلبى فتبسم بشر وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ الشبهات والتجارات اقتضت النفس أن تقضى به وطراً تسرع اليه بظاهر الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ألا يقبل إلا عمل المتقين اه (قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إذا أكرم الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب فى عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جرى ماقدر له ولا يلتفت إليها كأنه فى معزل عنها. واذا أهان الله عبدا فى حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب فى شهواته وعبودية الله عنه

على وفق حضرته قال تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) ولو كان هذا الوارد الذى على قلوب أهل البداية من حضر الرحيم أو الحليم أو الجميل ما أمكن أن يدفع بحكمة الله ما صادمه من الباطل وشبه الشيخ الباطل وهو كل ماسوى الله بحيوان له دماغ فإذا ضرب دماغه وتشتت مات كذلك الباطل إذا صادمه الحق أهلكه وتشتت دماغه فالوارد الإلهى محض حق فاذا صادم الباطل دمغه وقتله ولذلك أتى بالآية التى نزلت فى شأن القرآن مع الكفر فان الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن كذلك السوى إذا تجلى الحق بقهرية نوره تشتت واضمحل وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه كثيراً ماينشد هذه الأبيات فى هذا المعنى :

فلو عاينت عيناك يوم تزلزت أرض النفوس ودكت الأجبال
لرأيت شمس الحق تسطع نورها عند التزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجبال جبال العقل يعنى أن الوارد الإلهى إذا ورد قوياً من حضرة قهاريته تعالى دك وجود النفس وتدكدكت منه جبال العقول فيكشف له حينئذ عن أسرار خارجه عن مدارك العقول غير مدركة بعبارة النقول فيصير صاحب هذا الوارد كله حقاً لا يصادم شيئاً إلا دمغه وهذا المعنى قصد شيخ شيوخنا القطب ابن مشيش بقوله واقذف بى على الباطل فأدمغه طلب أن يكون حقاً محضا يقذف به السوى فيدمغه فاذا ذهب السوى واضمحل بقى الحق الذى لا يفنى ظاهراً لايخفى كما أبان ذلك الشيخ فلله دره ما أدق نظره فى مناسبة الكلام وحسن التخليص لكل مقام حيث قال (كيف يحتجب الحق بشيء والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قلت قد كرر الشيخ هذا المعنى فى كتابه مراراً تحريضا على الجمع وتحذيرا من الفرق فقد تقرر أن الحق تعالى ليس محجوبا بشيء ولا يصح أن يحتجب

بمعزل وإن كان يجرى عليه شيء منها فى الظاهر قال وهذا باب من الولاية والإهانة (وأما الصديقية) العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوى البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك اه (و) إنما لم تكن اسفارهم بلا استئذان الشيخ والآباء لأن السفر من غير اذن الشيخ لا بركة فيه ولا سير إلى الله فيه بل فيه نقض للعهد الذى أخذ عنه ألا يتحرك إلا باذنه وقد يكون له نظر فى اقامته وكانت الفقراء فى الزمان السالف يستأذنون فيما هو أقل من هذا وقد وجد بعض الفقراء باقلا أى فولا فأتى به إلى الشيخ فقال يا سيدى ما أفعل بهذه الباقلا فقال له أفطر عليها فقال بعض الحاضرين يا سيدى يشاورك حتى فى الباقلا فقال نعم لو خالفنى فى شيء لم يفلح أو ما هذا معناه وهذا كان اذا السفر بعيداً وأما القريب الذى لا يستغنى عنه فأمره قريب (و) (أما استئذان الآباء فهو أيضا من الأمور المؤكدة (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فان حق الوالدين واجب شرعاً الا فى واجب لا محيد عنه ولا تراخى فيه كطلب علم حاله والجهاد عند تعيينه والحج عند ضيق وقته إذا توفر شرطه (و) قال السلمى ولا يسافر بغير رضى الوالدين والأستاذ وبغير اذنهم حتى لا يكون عاقا فى سفره فلا يجد بركة أسفاره (قلت) هذا إن تحقق انهم لا يمنعونه من زيارة الشيخ وأما ان تحقق أنهم يمنعونه من زيارة شيخ التربية أو من صحبته فلا فائدة فى استئذانهم ويسقط عنه استئذانهم حسبما ذكره البلالى فى اختصار الأحياء ونصه فى باب حقيقة علم الباطن ويسافر اليه ولو منع أبواه فى فرضه (وذكر) الشيخ السنوسى فى شرح الجزيرى أن النفس إذا غلبت كانت كالعدو اذا فجأ فتجب مجاهدتها والنهوض اليها بقواه العلمية والعملية وفى مثل هذا يسقط استئذان الأبوين وغيرهما الخ كلامه الطويل فى المسألة (وقد) يرجح هذا قوله تعالى (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك علم فلا تطعهما به

بشيء إذ لو احتجب بشيء وجودى لكان ذلك من أثر قدرته وقدرته لا تفارق ذاته فالصفة لا تفارق الموصوف فما ظهر شيء من بحر الجبروت إلا كان نوراً من أنواره وأثراً من أثر صفاته وقد قال صاحب العينية :

فأوصافه والاسم والأثر الذى ... هو الكون عين الذات والله جامع

فلذلك تعجب الشيخ من تصور الحجاب فى حقه تعالى مع أن كل مايبرز عن عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فائضا متدفقاً من بحر جبروته فتحققت الوحدة وانتفى الحجاب بالكلية فكل موجود نور الحق فيه حاضر موجود ثم ان الواردات هى الأحوال والأحوال نتائج الأعمال فى الغالب فلذلك ذكر الشيخ العمل وأمرك ألا تتركه حيث لم تذق حلاوته والعمل منه ما يجد العامل ثمرته وهو الحال والحلاوة ومنه مالايجد ثمرته عاجلا فلا ينبغى تركه ولاييأس من ثمرته ولا من قبوله كما أبان ذلك بقوله (لا تيأس من قبول عمل لا تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا) قلت قد تقدم قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولا يقتضى المفهوم أنه إن لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت عنه فإن توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة إن صحبه الاخلاص والتقوى والاتقان الشرعى فهو مقبول عند الله إن شاء الله سواء وجد ثمرته أم لا قال الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء فان كنت متقياً لله فى ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ومخلصا لله فى أعمالك ثم لم تجد حلاوة العمل ولا حضور قلبك فيه ولم تجد ثمرته من أحوال الواجدين وأذواق العارفين فلا تيأس من قبوله عند الله فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطاً فى العمل إنما هى علامة والعلامة لا يلزم طردها فربما قبل من العمل مالم تدرك ثمرته عاجلا فيعطيك ثوابه آجلا فلا ينبغى لك أن تستحقر عملك فتتركه لعدم حضورك فيه أو لعدم وجدان حلاوته بل يجب عليك أن تدوم

فان الشرك على قسمين أكبر وأصغر وما من ألفاظ العموم والشرك الأصغر لا ينجو منه فى الغالب الا بصحبة من تخلص منه بشيخ كامل والقرآن بحر واسع يغرف منه كل أحد على قدر وسعه (و) مما يناسب ما قلناه من مخالفة الأبوين فى صحبة الشيخ قول الشاعر :

ولا أصغى إلى من قد نهانى ... ولى أذن عن العذال صما

أخاطر بالخواطر فى هواكم ... وأترك فى رضاكم أباً وأما

ولقد سمعت من أشياخنا وغيرهم أن شابا كان يحضر مجلس شيخ شيوخنا سيدى يوسف الفاسى وكان أبوه ينهاه عن ذلك ويزجره حتى كان ربما يأتى لمجلس الشيخ ويقول اترك لى ولدى فكان الشيخ يقول للشاب ياولدى أطع أباك فى كل شيء الا فى القدوم الينا وحضور مجلسنا وكأنه تمسك بقول الغزالى أن أخذ علم التصوف فرض عين والله تعالى أعلم (وقول) السلمى لئلا يكون عاقا لوالديه (اعلم) ان عقوق الوالدين لا يكون بمجرد مخالفتهم فان الوالدين على ثلاثة أقسام (قسم) يكونان وافرى العقل واسعى الصدر لايغضبان بشيء (و) قسم يكونان ضعيفى العقل ضيقى الصدر يغضبان بأقل شيء وقد يغضبان بلا شيء (و) قسم يكونان معتدلى الحال فأما القسم الاول فقد يعقهما ولو لم يغضبا وأما القسم الثانى فقد لايكون عاقا لهما ولو غضبا والمرجع فى ذلك لعرف أهل العقول الكاملة بحيث يشهدون فى ذلك ويقولون انه عقوق سواء ظهر غضب أو لا وأما الثالث فغضبهما عقوق كذا سمعت هذا التفصيل من بعض العلماء الفاسيين وهو صحيح حسن نقله بعض شراح الشمايل والله تعالى أعلم (و) أما استئذان الاخوان فهو حسن لعله ينهض حالهم للزيارة معه (وأما) كون سفرهم لم يكن للفتوح وهو مايقبضه من الهدايا والصدقات فقد تقدم أن سفرهم انما كان لرضى الرحمن أو لتذكير الاخوان أو لرياضة النفوس

عليه حتى تجنى ثمرته فمن قرع الباب يوشك أن يفتح له واسمع قول الشاعر :

أطلب ولا تضجرن من مطلب   فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره   فى الصخرة الصماء قدأثرا

واذكر قضية العابد الذى بقى فى مكة أربعين سنة وهو يقول لبيك اللهم لبيك والهاتف يقول لالبيك ولاسعديك وحجك مردود عليك وهو ملازم لم يبرح عن موضعه ولم يرجع عمله فجاء إليه رجل يزوره فلما قال الرجل العابد لبيك فقال له الهاتف لالبيك فقام الزائر منصرفا عنه وقال فى نفسه هذا رجل مطرود فناداه العابد مالك فقال ياسيدى أنت قلت لبيك والقائل قال لك لالبيك فقال له ياهذا لى أربعون سنة أسمع هذا الخطاب وهل ثم أبواب أخرى نأتيه منها أناواقف ببابه ولو طردنى ألف مرة مابرحت عن بابه فقبله الحق تعالى فلما قال لبيك قال له الحق تعالى لبيك وسعديك أو كما قال فانظر من لازم الباب كيف التحق بالاحباب وفتح فى وجهه الباب ولذلك قال عليه السلام أحب العمل إلى الله أدومه وان قل وقال ان الله لايمل حتى تملوا فالمراد من العمل القيام برسم العبودية وتعظم جانب الربوبية وليس المراد منها طلب الاحوال والمقامات فان ذلك قدح فى الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص وقد يكون الحال سببا فى الحجاب لمن وقف معه واستحلاه ولذلك قال بعضهم اتقوا حلاوة الطاعة فانها سموم قاتلة أى لمن وقف معها وكم ينفذلى شهود المعبود بها فلا تكن عبد الحال وكن عبد المحول كما نبه على ذلك المؤلف بقوله (لاتزكين واردا لاتعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وإنما المراد منها وجود الاثمار) قلت ثمرة الوارد هى هدم العوائد واكتساب الفوائد والتحلية من الرذائل والتحلية بالفضائل (وان شئت) قلت ثمرة الوارد الصادق هو ماينشأ عنه من الذلة والانكسار والخشوع والسكينة والوقار والحلم والزهد والسخاء

ولم تكن أسفارهم لقصد الدنيا فان ذلك من الهمة الدينية وكل من كان سفره للدنيا فلا قيمة له عند الله ومن كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته مايخرج منها وجلوس من كانت هذه همته فى بيته أفضل له نعم ان تخلصت النية ثم أعطاه الله فتوحا أخذه بنية الشيخ أو صرفه فيما يضطر إليه وكذلك السفر لمن كان مشهورا بالسخاء والعطاء فهو من قبيح السفر للدنيا إذ لا يخلو من طمع فيه وما أقبح الطمع وما أحسن الورع دخل سيدنا على كرم الله وجهه البصرة فوجد الناس يقصون فى المسجد فأقامهم حتى وقف على الحسن البصرى فرأى عليه سمتاً وهديا فقال له إنى سائلك فان أجبتنى تركتك وان لم تجبنى أقمتك كما أقمت أصحابك فقال له سل عما بدالك فقال له مافساد الدين قال الطمع قال وما صلاح الدين قال الورع قال له أجلس فمثلك يتكلم على الناس اه وإلى هذا أشار بقوله أو لامرىء مبتذل ممدوح والمبتذل اسم فاعل من ابتذل طعامه أعطاه وأصل ماذكره الناظم قول السلمى رحمه الله ولا يسافر للنزهة والبطر وراء الناس والجولان فى البلدان لطلب الدنيا والدأب على متابعة الهوى (قال) أبو تراب النخشبى رضى الله عنه ليس شىء أضر على المريدين من أسفارهم على متابعة هواهم وما فسد من فسد من المريدين إلا بالاسفار للبطالة (قال) الله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا رآه الناس وقال النبى صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يحج أغنياء أمتى للنزهة وأوسطهم للتجارة وقراؤهم للرياء وفقراؤهم للمسئلة وقال أيضا قال أبو حفص النسابورى ينبغى للمسافر ثلاثة أشياء ترك تدبير الزاد وتقدير الطريق ويعلم أن الله حافظه ثم ذكر آداب الوصول فقال :

لحيث ماحلو بلدا فبالحرا   أن يقصدوا الشيخ وبعد الفقرا

(قلت) من آداب الفقراء إذا حلو بلدا من البلدان سواء كانت التى فيها شيخهم أولا أن يقصدوا شيوخها وكبراؤهم

والايثار والتخلص من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية والخروج من سجن الأكوان والترقى إلى فضاء الشهود والعيان والتحرر من يد الاغيار والتمحض إلى تحقيق المعارف ولاسرار وكل هذا قد تقدم المؤلف مفرقا قار فى أول الكتاب أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارد أورد عليك الوارد ليتسلمك من يدالاغيارو ليحررك من رق الآثار أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك وقال فيما تقدم قريبأمتى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك وقال أيضاً الوارد يأتى من حضرة قهار لأجل ذلك لايصادمه شيء إلا دمغه فاذا ورد عليك وارد ولم يترك فيك هذه الخصال فلا تزكه واتهم واتهم نفسك فيه لئلا يكون شيطانيافان الوارد الإلهى تعقبه برودة وسكون وزهدوطمأنينة وفترة والوارد الشيطانى تعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصولة ورؤية نفس فليس المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته إنما المراد منه ثمرته فهو كسحابة الأمطار فليس المراد منها وجود الامطار وإنما المراد ماينشأ عنها من وجود الاثمار فلا تطلب بقاء الحال فقد يكون بقاؤه ضرراً لك فان دوام الامطار يعود نفعها ضرراً وإلى ذلك أشار بقوله (لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء) قلت طلب الشيء يدل على محبته ومحبة الشيء عبودية له والحق تعالى لايحب أن تكون عبداً لغيره فلا تطلب معه حالا ولا مقاما فان وردت عليك الاحوال وهى الواردات الالهية ثم انقشعت وانصرفت فلا تطلب بقاءها بعد أن بسطت فى قلبك أنوارها فأخرجت منه ظلمة الاغيار وصور الآثار وأودعت أسرارها من مزيد الايقان وشهود العيان أو تقول لاتطلب بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها من هدم عوائد نفسك عليك فتحررت من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية وتخليت من الرذائل وتحليت بالفضائل فهذه آثار أنوار الواردات وبعد أن أودعت أسرارها فى قلبك من اليقين والطمأنينة والمعرفة أو من

أولا ثم يقصدوا فقراءها لأن التقديم تعظيم والتعظيم على قدر المقام ومن لايعظم لا يعظم وإذا قصدوا اشيوخها فلا يدخلون عليهم إلا معتقدين كمال ولايتهم ولا يدخلون مختبرين فيحرمون بركتهم فكل من قصد الأولياء بالميزان فلا ينال إلا الحرمان ومن أتاهم بالتعظيم وحسن الاعتقاد نال من الله كمال المحبة وحسن الوداد وينبغى أن ينعزل من علمه وعمله وحاله كما يفعل مع شيخه وكذلك يفعل مع الفقراء فلا يدخل عليهم إلا معتقداً كمالهم وينعزل أيضاً عن علمه وعمله فيرجع إلى عملهم فيما يشيرون إليه ولا يدعى علما ولا يراه فى حضرتهم بل يرى علمهم أكمل من علمه وانه مفتقرا اليهم وان كان أعلى منهم فى الظاهر ويرى عملهم أوفى من عمله وإن كان أوفى منهم فيه لأن ذلك معتبر بالحقائق وهى باطنية قلبية فيحملها على أكمل الوجوه وأتمها فيشرب منهم على قدر اعتقاده ويأخذ من مددهم على قدر صدقة وهذا الترتيب الذى ذكرناهو مع الاختيار فان تعذر لقاء المشايخ أولا قدم الفقراء (وقوله) فبالحرا أى فبالأحروية والاولوية أن يقدموا الشيخ ثم بعد ذلك الفقراء ان أمكن كما قلناه والله تعالى أعلم ثم ذكر آداب لقاء الاشياخ والجلوس معهم ومكالمتهم فقال :

وان للقوم هنا آدابا إذ جعلوا كلامهم جوابا
فان تعاطى الشيخ منهم قولا قالوا وإلا فالسكوت أولا

(قلت) للقوم فى لقاء المشايخ آداب (منها) أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية فهو من تعظيم النسبة ويفعلون ذلك عند قربهم للمداشر لما فيه من تنبيه الغافلين الشياطين ومنها انتظار خروج الشيخ من غير نداء عليه ولا رسول اليه قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

الزهد والرضى والتسليم أو من الخشوع والتواضع والذلة والانكسار فهذه علامة صدق الوارد وحصول نتيجته فإذا حصلت النتيجة فلا حاجة للشيخ لشيء فلك فى الله غنى عن كل شيء فلا تفتقر إلى شيء وليس يغنيك عنه شيء وسيأتى للشيخ ماذا فقد من وجدك وما الذى وجد من فقدك وقال الشاعر :

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله ان فارقت من عوض

وفى الاشارة عن الله تعالى لا تركنن إلى شيء دونى فانه وبال عليك وقاتل لك فان ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن آويت إلى العمل رددناه إليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن آنست بالوجد استدرجناك فيه وإن لحظت الخلق وكلناك إليهم وإن اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا اه (وسئل) أبو سليمان الدارانى عن أفضل ما يتقرب به إلى الله فقال أقرب ما يتقرب به إلى الله أن يطلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والآخرة سواه وفى ذلك قيل :

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى ... والعز كل العز للمتقى

فإذا حصل لك الغنى بالله استغنيت عن كل ما سواه فلا تتطلع إلى بقاء حال ولا وارد ولا مقام سوى شهود الملك العلام فتطلعك إلى بقاء حال أو وارد دليل على عدم غناك به كما أبان ذلك بقوله (تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له) قلت إذ لو وجدته ما طلبت شيئا ولا افتقرت إلى شيء أصلا فكل من يفرح بالوارد والحال فهو غير متحقق بالوصال وكل من يفقر لغير الله فليس بعارف بالله وكل من يحتاج إلى شيء أو يركن إلى شيء فليس من الله فى شيء

(و) منها تقبيل يد الشيخ ثم رجله ان جرت بذلك عادة للفقراء فهو من أحسن التعظيم وهو من تربية الآداب والمهابة وفى ذلك قال الشاعر :

يا من يريد خمرة المحبة ... خذوها عنى هى حلال

ومن يريد يسقى منها غبا ... خد يضع لاقدام الرجال

رأسى حططت لكل شيخ ... هم الموالى سقونى زلال

ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خافضين أصواتهم ناكسين رؤسهم غاضين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدؤهم بالكلام (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه ثم ان طلب أحدهم بالكلام فان كان الكلام عاديا أتى به منخفضا وإن كان فى العلوم والحقائق نظر فان حضرته نفسه ترك وإلا تكلم بأقل ما يمكنه الكلام فى ذلك لأن الكلام فى حضرة الأستاذ مقت (ثم) قال ومن أعجب ما شهدته فى بعض الناس أنهم يدخلون على رجال من أهل الكمال لقصد الانتفاع بهم ثم يبسطون ألسنتهم بالكلام فى وجوه من صور الحقائق ويرون أنهم بذلك متقربون لقلوبهم ومتحببون لهم ولا أدرى هل ذلك لظنهم خلوهم عما يألونه أو لرؤيتهم ان ذلك مما يقربهم إليهم أو ليروهم أنهم يفهمون ويذوقون هذه كلها جهالات أعاذنا الله منها انتهى كلامه (قلت) أما فى حال المذكراة فلا بأس أن يتكلم بما عنده من العلم اعانة للشيخ بانخفاض وتواضع ولا يعارضه فى كلامه فان لم يفهم كلام الشيخ أو رآه مخالفا لرأيه أو لما عند غيره يقول ياسيدى هذا مافهمته وقد ظهر لى كذا وكذا وقال فلان كذا وكذا على وجه الاستفهام لا على وجه التعارض فان ظهر خلاف ما ظهر للشيخ فليسكت وإن وقعت معارضة بين الشيخ وبعض الفقراء أو غيرهم فلينصر الشيخ ما استطاع فان ذلك مما يجلب المودة من الشيخ ثم ان تعاطى الشيخ

وليس على شيء وكثيرا ما كنت تقول للفقراء كل من تروه يزور غير الشيخ بعد قبض الورد فهو باق من العوام ولم يدخل بلاد الخصوص لقلة صدقه ولو دخل بلاد الخصوص لاجتمعت همته وانجمع قلبه واستغنى عن ماء غيره فتعطشه إلى غير شيخه دليل على أنه لم يشرب من مائه ولله در القائل ويقال أنه الغزالى حيث قال :

كانت لقلبى أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دينهم ودنياهم شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

ومن علامة الغنى به أيضا الانس به والوحشة من غيره فالله يغنى عن كل شيء ولا يغنى عنه شيء فاذا فقد حالا أو مقاما سوى شهود ربه ثم استوحش منه فهو بعيد من الحضرة كما أبان ذلك بقوله (استيحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به) قلت استيحاشك بفقدان الأحوال والواردات دليل على عدم وصلتك إذ لو وصلت إليه لم تستوحش من فقدان شيء وفى الحقيقة ما فقدت شيئا وهذه علامة الغنى بالله أنه إذا فقد شيئا مما هو فى العادة يؤلم فقده كالولد مثلا أو قريبا أو فاتته عبادة حسية مثلا أو غير ذلك فانه يرجع للمعرفة فالله يغنى عن كل شيء وهو المقصود من العبيد قال الله تعالى لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قال فى التنوير اعلم أن الله سبحانه انما يدخلك فى الحال لتنال منها لا لينال منك وإنما جاءت لتحمل هدية التعريف من الله إليك فيها فتوجه إليها باسمه المبدى فأبداها وأبقاها حتى إذا وصلت إليك ما كان لك فيها فلما أدت الامانة توجه إليها باسمه المعيد فأرجعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا بقاء أمين بعد أن بلغ أمانته وإنما يفتضح المدعون بزوال الأحوال بعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتنهتك

من الفقراء كلاما أو من أحدهم كلمة بخفض وتواضع وإلا فالسكوت أولى (وقد) أشرت إلى هذه الآداب مع زيادة فى قصيدتى العينية التى وضعتها فى الآداب فقلت بعد كلام :

مع الشيخ آداب إذا لم تكن له فانه فى واد القطيعة رائع
خضوع وهيبة وصدق محبة وعقل كال فيه أنه جامع
فلا ترفعن صوتا إذ كان حاضرا ولا تضحكن فالضحك فيه فجائع
ولا تعترض أصلا عليه فانه بنو شهود للبصيرة تابع
ولا ترمين عينا إلى ماء غيره فترى كسير فى المعاطش ضائع
ولا تخرجن من غش تربية غدت تمدك بالأنوار منها تتابع
إلى أن ترى الترشيد قد حان وقته وصرت من التمكين أمرك شائع
تمد من الأنوار من كل وجهة وتسقى من الآنام من هو تابع

ثم أشار إلى أدب المقدم عليهم فى حق القادمين فقال :

وواجب على أولى الاقامة تفقد الوارد بالكرامة
وهو يزور القوم فى الحرام وإنما ذاك للاحترام
ويبدؤا الوارد بالسلام وبالطعام ثم بالاكرام

الاستار فكم من مدع الغنى بالله وانما غناه بطاعته أو بنوره أو فتحه وكم من العز بالله وانما اعزازه بمنزلته وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان لك ربا ولا علة فكن عبدا له ولا علة لتكون له كما كان لك اه (هذا آخر) الباب الثالث والعشرين وحاصلها الكلام على القرب والوصال وما ينشأ عن ذلك من مقامات الانزال ونتائج الاحوال والغنى بالله عنها فى كل حال فهذا هو النعيم على الدوام والاتصال الذى فتح به الباب الرابع والعشرين فقال رضى الله عنه (النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب وتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم) قلت نعيم الزوح وعذابها انما هو بشهود ربها واحتجابها وذلك بعد تخاصها من عالم الاشباح وترقيها الى عالم الارواح فيكون حينئذ نعيمها روح الوصال وريحان الجمال وعذابها احتجابها عن شهود ذلك الجمال وبعدها عن الكبير المتعال وهذا الامر حاصل فى دار الدوام لجميع الانام لانه تميز الحق من الباطل وعرف كل واحد مثواه ومستقره فأهل الجنان أحسوا بالرضى والرضوان فهم عالمون وبقرب الحق منهم ورضاه عنهم لكنهم متفاوتون فى العلم فمنهم من يعلم من وراء الرداء منهم من يعرف داخل الرداء (وفى البخارى) وما بين الناس وبين أن ينظروا إلى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ولا يفهم هذا الرداء الا أهل الأذواق وأما أهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد القهار فتضاعف عذابهم فى دار البوار ولو أن الحق تعالى تجلى لهم بصفة جماله لأنساهم ذلك اليوم عذابه ولو أنه تعالى احتجب عن أهل الجنة لضاق عليهم فسيح الجنان ولا نقلب نعيمهم نقمة وعذابا أما من كان فى دار الدنيا عارفا فلا يحتجب الحق تعالى عنه كما شهده هنا بوسائط أنواره يشهده ثم بلطائف أسراره بل ثم أولى لغلبة المعنى على الحس والقدرة على الحكمة وأما من كان هنا محجوبا فهو ثم أيضاً محجوب قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وللآية تفسير ان ظاهر وباطن لكن فى دار

وكلموه بعدها تكليما   تاسيــاً بفعل ابراهيما
وكرهوا سؤال هذا الوارد   الا عن الشيخ أو التلامد

(قلت) ذكر فى هذه الابيات ستة آداب فى حق المقدم عليهم (أولها) تفقد الوارد بالكرامة وهو الذهاب إلى لقائه واظهار المبرة فى وجهه والفرح به واراحته من شؤونه وتعلقاته وانزاله فى محل يظهر به التعظيم كدار أو زاوية والدار أبلغ فى تعظيمه فان نزل فى محل قدم عليه من لم يكن خرج للقائه فالوارد أحق أن يزار فى محله الا أن يكون بمكة فان عليه أن يزور المجاورين لبيت الله الحرام لحرمة بيت الله الحرام فلا يخرجون منه الى غيره وهذا معنى واجب على أولى الاقامة الخ وقوله وهو يزور القوم الخ على ما بعض النسخ (ثانيها) ابتداؤه بالسلام تأنيسا له لقوله عليه السلام لكل داخل دهشة فابدؤه بالسلام ولكل طاعم وحشة فابدؤه باليمين واليه أشار بقوله ويبدوا الوارد اه (ثالثها) مبادرته بالطعام ويسمى هذا الطعام القرى والمراد ما تيسر ووجد من غير تكلف وهذه من المسائل التى تطلب المبادرة بها وقد نظمها بعضهم فقال

بادر بتوبة قرى والدفن   نكاح بكر وصلاة دين

(رابعها) اظهار كرامته بما يقدر عليه من الطعام من غير تكلف مفرط ولا تفريط فالصوفى لا يتكلف ولا يكلف فان كان موسعا عليه بالغ فى اكرامه من غير سرف قال السلمى ولما ورد أبو حفص على الجنيد تكلف فى خدمته فانكر عليه فقال لو دخلت خراسان علمتك كيف الفتوة فقيل له فى ذلك فقال صيرت أصحابى مخانيث تقدم اليهم ألوان الطعام والطيبات كل يوم وإنما الفتوة عندنا ترك التكلف ثم قال له إذا حضرك الفقراء فاخدمهم بلا تكلف حتى إذا جعت جاعوا معك

البقاء يرق الحجاب لرقة الابدان ولطافتها فلذلك صار نعيمهم لا يكمل إلا بشهود القرب فاذا فقدوه تنغص نعيمهم لان فى تلك الدار صار الحكم للأرواح وفى هذه الدار الحكم للأشباح الا من ترقى هنا الا ألم الارواح فهو من أهل الجنة فنعيمه نعيم الارواح وهو روح الوصال وشهود الكمال فنعيمه بشهود اقترابه ورضوانه فلو زال عنهم شهود القرب أو انقطع عنهم مدد الرضوان لضاق عليهم فسيح الجنان وأما نعيم الاشباح وعذابها أعنى من كان محجوبا بها فانما هو لموافقة ما يلايم طبعه أو مخالفته فاذا جاء ما يلايمه من صحة وعافية وجمال حسى فهو فى حقه نعيم وإذا جاء ما يخالف طبعه من وجع أو فقد أو منع أو فتنة فهو عذاب فى حقه إذ لا حظ له فى لذة القرب ومرارة البعد فانما حظه من النعيم نعيم البهائم نعم لو قدرنا أن العاده تخرق له ويتجلى الحق تعالى له فى حال عذابه الحسى بصفة جماله لنسى ذلك العذاب والحاصل أن كلام الشيخ انما هو فى حق أهل القرب أو الشهود بحيث يجد لذة القرب وحلاوة الشهود ويحس بمرارة البعد وضيق الحجاب فى هذه الدار وفى تلك الدار هذا ما ظهر لى وهذا الذى ذكره الشيخ مذوق عند أرباب العشق فكم من عاشق ضرب بمحضر محبوبه فلم يحس بألم الضرب فلما غاب عنه تصرع واستغاث فقيل له فى ذلك فقال لما حضر من كنت أضرب من أجله غبت عن ألم الضرب فلما غاب عنى وجدت ألمه

(قلت) ولهذا المعنى استلذ العارفون الفاقات وأنواع التعرفات وضروب البليات لما ذاقوا فى ذلك من اقبال محبوبهم ورضى مشهودهم كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يقول ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت أى ما أحبهم لى وأعزهم وكانت زوجة بلال تصيح عند موته واكرباه فيقول هو واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه ولما ضرب عامر بن فهيرة بالرمح ونفذ من ظهره إلى صدره قال فزت ورب الكعبة وكان بعض الاولياء مجذوما وهو يدعو للمرضى فيبرأون من حينهم فقيل له لو دعوت الله أن يخفف عنك فقال رأيت رب العزة فى النوم وهو

وإذا شبعت شبعوا معك وحتى يكون مقامهم وخروجهم من عندك واحدا خامسا تكليمه تكليما خفيفا كما فعل ابراهيم عليه السلام حيث بدأ بالسلام ثم أتى بالطعام ثم تكلم معهم قال تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم الآية قال فما خطبكم أيها المرسلون فهذا هو الكلام واليه أشار الناظم بقوله وكلموه الخ والتأسى هو الاقتداء (سادسها) ترك سؤاله عن أحوال الدنيا وأحاديثها فان ذلك مما لا يعنى ويقسى القلب واليه أشار بقوله وكرهوا الخ واصل ما ذكره الناظم قول السلمى رضى الله عنه وعلى المقيمين أن يسلموا عليه أى على الوارد فحق القادم أن يزار الا أن يكون بمكة فان عليه زيارة المجاورين لحرمة بيت الله الحرام ثم يقدم اليه ما حضر من الطعام من غير تكلف فقد قيل الادب مع الضيف أن يبدأ بالسلام ثم بالاكرام كصنع الخليل عليه السلام إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ وقد قال عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ولا يسئل عن أحاديث الدنيا مما لا يعنى بل عن أخبار المشايخ والاصحاب والاخوان المتعاونين على أعمال الخير ثم أشار إلى ملازمة الاوراد فى حال السفر فقال

وكرهوا تضييعه أوراده   كيف وقد جاء إلى الزياده

قلت أوراد الانسان ما كان وظفه عليه شيخه أو وظفه على نفسه والمراد هنا ما كان يعمله فى حضره فاذا سافر بقى على ما كان عليه لقوله عليه السلام أحب العمل إلى الله أدومه وان قل وذلك بقدر الاستطاعة والا فالسفر محل التعب والنصب فقد يشق عليه ما لا يشق عليه فى حال حضره مع ان أجره جار عليه ولو لم يفعل ففى الحديث إذا مرض الانسان أو سافر أجرى عليه ما كان يعمل مقيما صحيحا أو كما قال عليه السلام نعم الفكرة والنظرة ان كان من اهلها لا يتركها وكذلك

يقول لى أتريد أن أبتليك ببلية أرفع لك بها أعلى الدرجات قلت نعم فأصبح مجذوماً فانظر هؤلاء السادات لما عرجوا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح لم يبق لهم نعيم ولا عذاب الا نعيم الأرواح او عذابها وأما عذاب الاشباح فقد غابوا عنه فكان نعيم هؤلاء وقوت أرواحهم هو ذكر ربهم وشهود نوره أو اقترابه حتى صار لهم غذاء لابقاء لهم الا به ولا غنى لهم عنه ولو فقدوه لفارقت أرواحهم وأشباحهم وفى ذلك قيل :

بالقوت أحياء الجسوم وذكره ... تحيا به الألباب والأرواح
هو عيشهم ووجودهم وحياتهم ... حقاً وروح نفوسهم والراح

وقد قلت فى قصيدة لى عينية :

ولى لوعة بالراح اذ فيه راحتى ... وروحى وريحانى وخيره واسع
سكرنا فهمنا فى بهاء جماله ... فغبنا عن الاحساس والنور ساطع
تبدت لنا شمس النهار وأشرقت ... فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع

والحاصل ان نعيم الأرواح التى تشاهد محبوبها لاينقطع عنها فنعيم العارفين لا ينقطع لأن قرب الحق لا ينقطع فمن بعدت نفسه أحس بالعذاب ولزمه الهموم والأحزان والنصب كما أبان ذلك بقوله (ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل مامنعته من وجود العيان) قلت إنما كان سبب الهموم هو فقد الشهود لأن الحق تعالى قريب على الدوام رقيب على الدوام فمن كان قريباً من الحبيب فكيف يحس بفراق شىء أو فواته نظر الحبيب يغيب عن كل بعيد وقريب وأيضاً كل ما ينزل من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شىء مكروه عنده حتى يهتم به ولا يفوته محبوب سوى محبوبه حتى يحزن عليه فنى محبوبه اجتمعت المحاسن كما قال القائل :

المذاكرة وكيف يترك أوراده بالكلية وهو إنما سافر لطلب الزيادة الباطنية كان بعض المشايخ يقول عليك بالذكر عند البسط وبالفكر عند القبض والحمد على كل حال وردك لا تتركه فان فاتك بالليل استدركه بالنهار وإن سافرت فاجعل وردك كله فى الذكر أو تركه على حاله إلى آخر كلامه ثم قال :

ومن يسافر فى هوى النفوس ... فانما يؤمر بالجلوس

(قلت) ما قاله ظاهر وقد تقدم هذا المعنى مراراً وتقدم ضابط أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه قريباً والغالب على من لم يظفر بشيخ التربية هذا الوصف الا النادر إذ لايخرج من حظوظ النفس الا بصحبة من خرج منها والله تعالى أعلم (تتمة) بقى آداب تتعلق بالسفر ذكرها السلمى (منها) أنه إذا دخل بلدا فيها زوايا قصد أعظمها وأكثرها فقراء (قلت) هذا ان كانوا كلهم من طريقته والا نزل على من هو متفق معه فى النسبة (ومنها) أنه ينبغى أن ينزل على الموضع الذى فيه المياه الجارية والمطاهر النقية (قال) وسمعت أباطاهر الاشقر يقول كان يصحبنى فقير مليح كلما نزلنا منزلا تفقد موضع الطهارة فإن وجده نظيفاً طيبا استطاب المكان وتناول ما قدم اليه من الطعام وإن لم يكن ذلك لم يتناول الطعام وقال هذه بلية ليس فيها كنيف (ومنها) أنه إذا دخل بلد ليس فيها فقراء نزل على أكثرهم محبة لهذه الطائفة وأحسنهم إيمانا بهم وميلا إليهم فاذا دخل دويرة تنحى ناحية ونزع خفيه يبدأ باليسرى فى النزع وباليمنى فى اللبس فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تنعل أحدكم فليبدأ باليمنى وإذا نزع فليبدأ باليسرى ثم يقصد موضع الطهارة فيتوضأ ويصلى ركعتين فإن كان هناك شيخ قصد زيارته وقبل رأسه إلاأن يكون الزائر حدثافيقبل يديه اه (ومنها) أنه ينبغى لمن أراد السفر أن يتعلم أحكامه

تذلل له تحظى برؤيا جماله ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل

وفى هذا المعنى أيضاً قال صاحب العينية :

تلذ لى الآلام إذ كنت مسقمى وان تختبرنى فهو عندى صنائع

وبالجملة من كان نظره إلى محبوبه ومشاهداً لنوره وجماله لم يبق له هم ولا غم كما قال ابن الفارض فى شهود الخمرة .

فما سكنت والهم يوما بموضع كذلك لم يسكن مع النغم الغم

(وقال أيضاً)

ولو خطرت يوما على خاطر امرىء أقامت به الأفراح وارتحل الهم

ومما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود لاتمزج هم غيرى بقلبك فتنقص منه حلاوة الروحانيين ياداود أنا مصباح قلوب الروحانيين ومن كنت مصباح قلبه لم يغتم أبداً ياداود انما مرادى من خلقى أن يكونوا روحانين اهو بالجملة من كان عبداً لله غائباً عما سواه لم يبق له شى من الهم لأنه قد حصلت له المعية التى توجب النصر والظفر بكل مايريد ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر لا تحزن ان الله معنا حين أحدق به المشركون فكان عليه الصلاة والسلام فى محل العيان فلم يهمه شىء ولم تقرب من ساحته الأحزان وكان أبو بكر فى ذلك الوقت موقناً غير مشاهد فدله عليه السلام على مقام الكمال لأن الشهود فوق الإيقان وأنشدوا :

كبر العيان على حتى أنه صار اليقين من العيان توهما

ومن جملة ماوقع من الاهتمام به لمن لم يكمل يقينه أمر الرزق وخوف الخلق حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه من ضمنها لى ضمنت له الولاية أشار الشيخ إلى الأول بقوله (من تمام النعمة عليك أن رزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك)

كأحكام قصر الصلاة والتيمم والقبلة وغير ذلك مما يتوقف عليه فى السفر (قال) الشيخ أبو يعقوب السوسى رحمه الله يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء فى سفره وإلا فلا يسافر علم يسوسه وورع يحجزه وخلق يصونه ويقين يحمله (سئل) أبو رويم عن أدب المسافر فقال ألا تسبق همته خطواته وحيثما وقف كان منزله (ومنها) أنهم إذا كانوا جماعة وليس فيهم مقدم ولا شيخ أن يتفقوا على مقدم يرجعون اليه فى أمورهم ففى بعض الآثار لا خير فى قوم ليس فيهم من يعظم الله ومعناه ثابت فى الحديث عند المنذرى غير أنى لم أستحضره (وقال) السلمى فى آداب الصحبة ومن آدابهم إذا اجتمعوا أن يقدموا أحدهم لتكون مراجعتهم اليه واعتمادهم عليه ويكون أرجحهم عقلا ثم أكبرهم همة ثم أعلاهم حالا ثم أعلمهم بالمذهب ثم أسنهم (قال) النبى صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فان استووا فأفقههم فى الدين فان استووا فأسنهم فان استووا فأقدمهم هجرة ثم أحسنهم خلقا ثم أتمهم أدبا ثم أسبقهم بلقاء المشايخ اه المراد منه (وقال) أيضا ومن آدابهم ألا يجرى بينهم فى حديثهم هذا لى وهذا لك ولو كان كذا لم يكن كذا ولعل وعسى ولم فعلت ولم لم تفعل وما يجرى مجراها فانها من أخلاق العوام ثم قال ولا يجرى بينهم الإعارة والاستعارة (قال) بعضهم الصوفى لا يعير ولا يستعير ولا تجرى بينهم المخاصمة ولا المجادلة ولا الاستهزاء ولا الازدراء ولا المراجعة ولا المغالبة ولا الغلبية والنقيصة لاتكون بينهم بل يكون كل واحد منهم للكبير كالإبن وللصغير كالأب وللنظير كالأخ وللوالدين والأستاذين كالمملوك (وهذا) ليس خاصاً بالسفر وإنما هو من آدابهم فى الصحبة على الدوام وفى السفر أكثرهم لأن السفر يسفر عن المعايب ولا يبقى على حاله فى حال السفر إلا الصديق (ومنها) أنه إذا أقبل وقرب إلى بلده قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون

قلت من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته إليه ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائنا ما كان فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله إذ لا نعمة أعظم من الغنى بالله والغيبة عما سواه ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه فإذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلا ولباساً ومسكناً ولقيام روحانيتك علماً وعملا وذوقا ومعرفة ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك فقد أتم نعمته عليك فاشكره على ما أسدى إليك وتوجه إليه وحده فيما تعذر عليك وادفع ويشغل قلبك من النهوض إليه ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد استعاذ عليه السلام مما يشغل القلب وينسى الرب فقرا أو غنى فكان يتعوذ من الفقر المنسى والغنى المطغى وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه السلام خير الذكر الخفى أى فى القلب وهو الفكرة وخير الرزق ما يكفى وقال عليه السلام ماطلعت شمس إلا وبجناحيها ملكان يسمعان الخلائق غير الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقال عليه السلام ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغنى غنى النفس وفى ذلك قيل :

غنى النفس ما يكفيك عن سد خلة　　فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه سمعت أن جارية مجنونة فى خراب الايلة تنطق بالحكم فكنت أطلبها حتى وجدتها وهى محلوقة الرأس وعليها جبة صوف فلما رأتنى قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فعجبت من معرفتها لى ولم ترنى فقلت لها رحب الله بك ثم قالت ما جاء بك قلت تعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ يا عبد الواحد اعلم أن العبد إذا كان فى كفاية ومال إلى شىء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد وظل حيران ولها فإن كان له عندالله نصيب عاقبه وحيانى سره فيقول له عبدى أردت رفع قدرك عند ملائكتى وأجعلك دليلا لأوليائى ومرشداً لأهل طاعتى فلت إلى عرض الدنيا

عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا يزال يقولها حتى يدخل البلد فإذا دخلها قال اللهم اجعل لنا بها قراراً وارزقنا حسنا فاذا دخل على أهله (قال أوبا أوبا) لربنا توبا لا يغادر علينا حوبا (ومنها) أنه ينبغى أن يستصحب هدية لأهله وأقاربه وجيرانه على قدر وسعه (ومنها) أنه ينبغى أن يدخل أول النهار ولا يدخل ليلا فان تعذر أرسل رسولا يعلم به وقد نهى عليه السلام أن يطرق أهله ليلا والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ثم أشار إلى الحكم الثامن من الأحكام التسعة وهو السؤال فقال (الثامن فى السؤال) أى الطلب (قلت) ذكر فى هذه الترجمة حكمه وآدابه ومواطنه فبدأ بحكمه فقال :

حكم السؤال عندهم مشروع　　طورا وطورا عندهم ممنوع

(قلت) اعلم ان السؤال أصله فى الشريعة الجواز قال تعالى (وأما السائل فلا تنهر) وقال عليه السلام اعط السائل ولو على فرسه ثم تعتريه الأحكام الخمسة يكون واجبا ومندوبا ومباحا ومكروها وحراما (فأما) الواجب فهو سؤال الاضطرار خوفا على البشرية أو الروحانية وذلك إذا غلبته نفسه للرياسة والكبر (وقد) نص ابن العربى على وجوبه على المريد فى بدايته حسبما ذكره القسطلانى فى شرح البخارى فى باب الزكاة (و) أما المندوب فهو إذا سأل لغيره عند حاجته أو لتهذيب نفسه عند الامن عليها وأما المباح فهو ما إذا سأل اختبارا لنفسه هل تتمرد عليه أم لا وإذا طال عهده به اختبرها هل رجعت لأصلها أوهى باقية على موتها وأما المكروه فهو سؤاله لنفسه عند الحاجة قبل الضرورة وقيل مباح على ماسيأتى (وأما) الحرام فهو السؤال تكثراً أو إلحاحا وسيأتى الكلام على هذه الأقسام فى شرح كلام الناظم إن شاء الله ثم أشار إلى القسم الواجب

وتركتنى فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى ارجع إلى ما كنت عليه أرجع اليك ما كنت تعرفه من نفسك ثم انصرفت عنى وتركتنى وبقيت حسرتها فى قلبى وفى بعض الكتب المنزلة أن هون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتى اه وإنما كانت الكفاية نعمة والزيادة عليها نقمة كما قال الشيخ لأن النفوس مجبولة على حب العطاء وكراهية الفقد فاذا أعطاها فرحت وإذا أزال عنها حزنت فمن أراد أن يدوم فرحه فلا يأخذ فوق كفايته مما يحزن على فقده كما أبان ذلك بقوله (ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه) قلت فاذا أراد أن يدوم سرورك فلا تملك شيئاً تحزن على فقده لأن حزنك على فقده دليل محبتك له فاذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه قيل لبعضهم لم لا تختم قال لأنى لا أقتنى ما يغنى وفى ذلك قيل :

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئا يخاف فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله فساد اذا الإنسان جاز به الحدا

(يحكى) أنه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصعاً بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحاً شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة وفقراً فقال كيف ذلك فقال ان انكسر كان مصيبة لا صبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن المصيبة والفقر فاتفق انكسار القدح فعظمت مصيبة الملك به فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا اه وهنا ميزان آخر أحسن من هذا وهو أنك إذا أطلقت من نفسك وجعلتها غرضا لسهام أقدار ربك لا تعارضه فيما يفعل بك لا شك أنك تستريح ويدوم فرحك لأنك حينئذ منتظر ما يبرز من عند الحبيب فتتلقاه بالرضا والترحيب وهذه حلاوة برد الرضا والتسليم فان صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم المقيم وهذه

أو المندوب فقال :

وما على السائل من تأويل لأجل قهر النفس والتذليل
فمن أولى الاذواق والأحوال من كان رض النفس بالسؤال
قالوا ولا خير إذن فى العبد ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

(قلت) السؤال لأجل قهر النفس يصدق فالواجب والمندوب فالواجب ما إذا كانت نفسه غالبة عليه وفيها نخفخة وكبر ورياسة ولا يمكن دواؤها إلا به لقوله عليه السلام لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال خردلة من كبر والمندوب ما اذا كانت مأمونة من ذلك لكن ثقل عليها وجمحت منه وهو فى محل الرياضة فهذا مستحب فى حقه اذ لا يثقل عليها ما يقتلها ولا شىء أسرع فى قتلها منه فتقرب عليه المسافة وهذا مالم يأمره به شيخه والا تعين عليه وصار من قبيل الواجب (وقيده) الشيخ زروق بما اذا لم يوصله الى ضرر فى دينه ودنياه (قلت) مثل الضرر فى الدين ما اذا كان ينكشف فى الديار على محارم الناس لأن عادة النساء لا يستترن من الفقراء فى السؤال ومثل ضرر الدنيا اذا خاف أن يقبض ويؤخذ ماله (ثم قال) الشيخ زروق ولا يجعله الشيخ منهاجا وقاعدة كلية يعرف بها فقراؤه فان ذلك يؤدى لنقص المقصود لاسيما مع هيئة مقصودة وكيفية معلومة تصير صاحبها علما فيما توجه له فيزيده تعززاً وفساداً ولذلك قل ما ينجح من استعمله الا أن يكون ذلك كما كان يفعله بعض الفقراء من أهل مصر إنه كان اذا أتاه أحد من أبناء الدنيا الزمه بذلك من غير شهوة حتى يأتى على آخر المدينة ثم يتصدق به فقد يكون له وجه انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ زروق محمول على ما يفعله بعض الفقراء يأخذون علما أو راية ويقصدون المداشر والخيم وهذا حرام وأما ما يفعله أصحابنا فانما هو لقتل النفوس وقوت الأرواح اذ لا يتقدم له

هى الولاية الكبرى من تقلدها لايعزل عنها أبدا كما أشار إلى ذلك بقوله (إن أردت أن لا تعزل فلا تتولى ولاية لاتدوم لك) قلت الولاية التى لاتدوم هى الولاية التى تأتى من جهة الفرق وهى ولاية الخلق كخطة السلطنة والقضاء والقيادة وغير ذلك من الخطط التى قلدها الله بعض عباده ويدخل فيها أيضاً ولاية المال إذا كان يعظم من أجله أو النسب إذا كان خاليا عن التقوى أو العلم إذا كان خاليا عن العمل وغير ذلك من رياسة الدنيا فإنها تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر والولاية التى تدوم هى الولاية التى تأتى من جهة الجمع وهى العز بالله والغنى به والمعرفة له والغيبة عما سواه فلا شك أن هذه ولاية لا تنقطع وشرف لا ينفذ وعز لا يبيد .

(يحكى) إن سيدى عبد الله بن المبارك وكان من تابع التابعين ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد فلما دخل العسكر انكب عليه العسكر لزيارته فوقع من الازدحام ضجة كبيرة حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد هارون من قصر الخشب فلما رأت كثرة الناس وازدحامهم قالت ما هذا قالوا لها هذا عالم خراسان فقالت هذا والله هو الملك والعز لا ملك هارون الذى يجمع الناس بالسوط والعصى وأيضا فالولاية التى تدوم تنسحب عليه وعلى ذريته ثم تدوم فيهم على قدر جاهه عند الله وعظيم ولايته فكل من عظمت ولايته دامت على أولاده وأتباعه بقدر تلك الولاية وهو معنى قوله تعالى على بعض التفاسير (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) الآية وليخش الذين خافوا على أولادهم فإن الله يحفظه فيهم وقيل فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا أنه كان جدهم السابع فحفظ الله كنز اليتامى ببركة صلاح الجد والله تعالى أعلم وأما إن توليت الولاية التى لا تدوم فكن فيها على حذر ولا تغتر بحلاوة بدايتها فان نهايتها مرارة كما أبان ذلك بقوله (إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات) قلت الولاية التى لا تدوم كعز بمال أو جاه أو عشيرة أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها وآخرها

الفقير حين يؤمر به إلا بعد جهد جهيد وجهاد شديد بحيث تتمنى النفس الموت الحسى اختياراً وترضى أن تموت مراراً ولا تتقدم له إلا أن الصدق وهمة الشيخ تحمله على الامتثال فلا شك أنه يقرب مسافة بعيدة ويقتل النفس ويجهد عليها فى مرة واحدة وأصل دخوله فى هذه الطائفة على هذا الوجه أن شيخ شيخنا سيدى على العمرانى كان له جاه ووزارة ورياسة فى فاس فلما دخل فى يد الشيخ ورأى صدقه وجده قال له لك خمرة لم يقدر عليها أحد قبلك ولولا ما رأيت فيك من الصدق والجد ما دللتك عليها قال وما هى يا سيدى قال السوق للسؤال فتقدم اليه (ورأيت) فى كتابه أنه قال له يا ولدى انك تطلب هذا العلم ولا تنال منه ما تريد إلا بالذل فدخل فيه وسكن إلى مماته رضى الله عنه (قوله) فن أولى الأذواق الخ يعنى أن بعض أهل الأذواق والأحوال كان راض نفسه أى ريضها وهذبها بالسؤال (قال) السلمى رضى الله عنه وقد رخص بعضهم فى السؤال لمن يقصد بذلك تذليل النفس (وقال) عبد الله بن منازل لا خير فيمن لم يذق طعم إجابة الرد وكان بعض المشايخ يأكل من السؤال فسئل عن ذلك فقال اخترته لكراهته نفسى (وقال) الأستاذ أبو القاسم القشيرى ولا يزال الفقير بخير مادامت خبزه كسرا فاذا دارت الخبزة بين يديه دار الشر على رأسه وما أحسن حال السائل يقف بكل باب يسمع يفتح الله انتهى وكان ابراهيم الخواص تعرض عليه الألوف فلا يقبلها وربما سأل من يعرف من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك وكان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل باباً أو بابين أو ثلاثاً بين العشائين فكانت العامة تتعجب منه اولا ثم عرف بذلك فكان لا يعيبه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة قدر قدره وعلو معرفته بربه (و) كان ابراهيم ابن أدهم معتكفاً بجامع البصرة ولا يفطر إلا من ثلاثة أيام يخرج بعد صلاة المغرب يطلب على الأبواب

مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان ولذلك قال عليه السلام نعمت المرضعة وبئست الفاطمة فان رغبتك فى هذه الولاية التى تفنى حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها فان غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها إن رغبتك فيها حلاوة إقبالها زهدتك فيها مرارة إدبارها قال الشيخ أبو على الثقفى رضى الله عنه أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسرتها إذا أدبرت والعاقل لا يركن إلى شىء إذا أقبل كان فتنة وإذا أدبر كان حسرة وأنشدوا فى ذلك :

ومن يحمد الدنيا لشىء يسره فسوف لعمرى عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

(وكتب) على) كرم الله وجهه إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها قاتل سمها فاعرض عن كل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحزن ما تكون منها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن إلى سرورها أشخص إلى مكروهها وقيل الدنيا أحلام منام وسرورها ظل غمام أحداثها سهام وفتنتها طوام أى أمواج وسمها الله بالوحشة وقرنها بالفجائع والدهشة ثم أوحى لها يا دنيا تشددى على أوليائى وتوسعى على أعدائى فمن نظر الدنيا بعين الإنصاف كفاه منها أقل الأوصاف إذ ليس فيها شىء محمود إلا وقابله شىء مذموم كالمال بالإنصراف والذهاب والشباب بالهرم والصحة بالسقم والفرح بالحزن والعز بالذل والحياة بالموت (قلت) حكى عن الولى الصالح سيدى قاسم بن صبيح من قبيلة بنى سعيد أنه قصد إذايته بعض الحكام ففر إلى سيدى الغزالى بترغة فجلس عند ضريحه مشتكياً بلسان حاله فمد له من القبر بعود الريحان كاغداً مكتوباً لم يجف مداده فيه هذان البيتان :

إذا ما رماك الدهر يوماً بنكبة فهيىء له صبراً ووسع له صدراً

فطره (وممن) راض نفسه بالسؤال شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب وكذلك الشيخ العارف أبو الحسن الششترى وفعله أيضاً فى أول بدايته أبو الحسن البردعى بأمر شيخه أبى عبد الله التاودى وغيرهم ممن لا يعرف (وقوله) ولا خير إذن فى العبد الخ يعنى أن الفقير إذا لم يذق طعم الرد حتى يكون الرد عنده أحلى من العطاء فلا خير فيه لأن نفسه لم تمت حيث استحسنت العطاء وثقل عليها المنع فالواجب عليه الدوام عليه حتى يذوق سره وذوق سره أن يكون المنع أحب اليها من العطاء والله تعالى أعلم ثم أشار إلى القسم الممنوع فقال :

ومنعوا السؤال للتكاثر بل حكموا عليه بالتهاجر
والقوم لما يسألوا الحافا ولا تكاثراً ولا جزافا
بل ذاك كان منهم اضطرارا فيسألون القوت والإفطارا

(قلت) هذا من القسم الممنوع وهو أن يسأل لقوت البشرية من غير اضطرار واختلف العلماء فى القدر الذى تحرم معه المسألة فقيل أربعون درهما وقيل قوت يوم وليلة وهو أقرب والسؤال للتكاثر هو لاكتساب المال والتكاثر منه ولو صحبته نية قبل نفسه فلا ينفع لأن الخبيث يغلب الطيب لكثرته (اخرج) البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم والمزعة القطعة (و) قال ايضاً صلى الله عليه وسلم إنما المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان فى أمر لا يجد منه بدا اه والكدوح الخموش (وقال) صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى

لان تصاريف الزمان كثيرة فيوماً ترى عسراً ويوماً ترى يسراً

فمن وقف مع ظاهر الدنيا نادته هواتف باطنها إنما نحن غرة فلا تغتر وهذا معنى قوله (إن دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن) قلت ظاهرها خضرة حلوة و باطنها خبيثة مرة قال عليه السلام الدنيا خضرة حلوة وان مما ينبت الربيع يقتل أو يلم حطباً الحديث فأخبره عليه السلام أن ظاهرها الدنيا خضرة حلوة وباطنها سم قاتل وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغرق ولا يروى ويضر ولا ينفع قلت وكذلك الدنيا تغرق صاحبها فى حبها ويموت عطشانا منها (وشبهها) بظل الغمام يغر ويخذل قلت وهو الذى يغطى بعض المواضع فاذا أشرقت الشمس تقشع عنه (وشبهها) بالبرق الخاطف يعنى فى سرعة الذهاب والاضطراب وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم يصفر فتراه هشيما وبأحلام النايم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيئاً إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل اه قال حفيده فتأملت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفاً واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من اجابها وتترك من أعرض عنها اه نقلها ابن عباد رضى الله عنه فانظره ثم علل كون الدنيا محلا لهذه الأكدار والأغيار فقال (إنما جعلها محلا للاغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها) (إنما وسم الله الدنيا بهذه الأوصاف من كونها محلا للاغيار والأحزان ومعدنا لوجود الأكدار والفتن تزهيداً لك فيها) فتقبل بكليتك عليه وتتوجه بهمتك اليه أو لتعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة قال بعضهم إنما مثل الدنيا كالبحر الهائل المحيط والآخرة من وراء ذلك البحر ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظرة إلى الدار الآخرة إلا بعد الجواز على ذلك البحر فى سفن الصبر والرضى لأنه بحر لجى يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض يغشاه موج الشهوات من فوقه موج الغفلات من فوقه سحاب الكائنات وأيضا لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء الله فيكره الله لقاءك

يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه اه (وعن) على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل مسئلة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة (قلت) وهذ يرجح القول الثانى فى القدر الذى يحرم معه السؤال وهذا كله مبنى على القصد والنية فمن كان مراده قوت الروحانية فلا كلام معه ومن كان مراده قوت البشرية خسر وخاب قل كل يعمل على شاكلته ومن عادة القوم اذا عرفوا أحدا يسأل لشهوة نفسه هجروه ولاموه حتى يتوب ومن عادتهم أنهم لا يسئلون الناس إلحافا أى بحرص وإلحاح حتى يؤذى المسئول (قلت) وقد كان يفعله بعض الاخوان عفا الله عنهم فان كان لجذب غلب عليهم فيسلم ولا فغير صواب والله تعالى أعلم (وقيل) الالحاف السؤل دون احتياج قال عليه الصلاة والسلام من سأل وله أربعون درهما فقد ألحف ويجمع بين مفهوم هذا والحديث المتقدم عن على كرم الله وجهه بأن المتقدم فى حق من عرف بالزهد والتوكل واشتهر بسيما الفقر وهذا فى حق العوام الذين لم يعرفوا بذلك كما قال عليه السلام فى فقير وجد عنده دينار فقال كية من نار وقد وجد عند غيره أكثر من ذلك فلم يقل فيه ذلك والله تعالى أعلم.

(و) السؤل جزافا بكسر الجيم وفتح الزاى هو من يتخذه حرفة يصطاد به أموال الناس وذكر فى القاموس أن الجزاف بفتح الجيم وشد الزى هو الصياد والمجزفة بكسر الميم شبكة يصطاد بها (قال) بندار بن الحسن رضى الله عنه من سأل وله ما يغنيه خفت أن يخاصمه فقراء المسلمين يوم القيامة ويقولون أخذت ما جعل لنا من المال ولم تكن منا اه (و) انما كان سؤال القوم عند الفاقة والاضطرار دون السعة والاختيار والله تعالى أعلم ثم ذكر الآداب التى تكون

ولو بسطت لك العوافى والنعم لو كنت إلى هذا العالم فتبق دائماً فى عالم الأشباح والمقصود منك هو الرحيل إلى عالم الأرواح فضيق الحق تعالى عليك هذا العالم السفلى لترحل منه بهمتك إلى العالم العلوى فهو منه سبحانه إنعام وإحسان لكنها فى قالب الإمتحان فلا يذوقها إلا أولوا البصائر الحسان فهذا ما أشار اليه بقوله : (اعلم أنك لاتقبل النصح المجرد القول فذوقك من ذوقها) ماسهل علتك فراقها قلت قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد فلا يزهد فى الدنيا بمجرد سماع الوعظ إذكثير من أهل العلم والفهم يسمعون القرآن يقرعهم عليها ويحذرهم من غرورها وهم غائبون عن ذلك من التذكير مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير فلما أراد سبحانه أن يصطفى لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم وشدد عليهم البلاء والمحن وأجرى على ظاهرهم مواقع الفتن كل ذلك عناية ربهم ليذوقوا مرارة باطنها فلا يغتروا بحلاوة زخرف ظاهرها(سئل)عليه السلام من أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون؟ قال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بآجلها حين اهتم الناس بعاجلها الحديث وقد تقدم عند قوله الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فكل ما ينزل بالولى من هذه التعرفات الجلالية التى تغير النفس وتقهرها فهو خير كثير فى حقه فقد قالوا الامتحان بقدر الامكان وكل محنة تزيد مكنة واختبار الباقى يقطع التباقى فقد تبقى فى القلب بقية من حب شىء من هذا العالم أو ركون لشىء من الدنيا فيسقط عليه من يشوشه عليه وينغصه لديه كل ذلك عناية به ليرحل من هذا العالم إلى عالم الملكوت فإذا تحقق رحيله استوى عنده الحلو والمر والعز والذل والغنى والفقر لأنه تحقق أن كلا من عند الله وما فى الوجود سواه وهذا هو العلم الحقيقى الذى هو العلم النافع واليه أشار بقوله (العلم النافع هو الذى يبسط فى الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه (قلت العلم النافع هو علم القلوب ومرجعه إلى تصفية القلوب

عند السؤال فقال :

(وأدب الصوفى عند المسئلة   أن يدخل السوق اليه يسئله)
(لسانه يشير نحـو الخلق   وقلبـه معلق بالحـق)

(قلت) السؤال الذى يكون لقوت الروحانية له آداب إذا دفعها استحق بذلك فتح الباب ورفع الحجاب وإن لم يفعلها لم يفتح له فيه الباب وربما كان زيادة فى الحجاب (الأول) أن يكون قصده قوت الروحانية فقط أو قوت الفقراء أومن تعلق به مع الاضطرار وأما ان كان قصده قوت بشريته أوشهوة من شهواته فضرره أكبر من نفعه (الثانى) أن يكون باذن من الشيخ فان لم يكن إذن فقد خسر فيه وكل من تبطش نفسه له فلا نفع له فيه إذ لاتموت النفس إلا بما يثقل عليها (الثالث) أن يكون متحلياً بحلية العبد الفقير يطلب المدد من العلى الكبير فيكون حافى الرجل عارى الرأس فقيراً ذليلا ينادى سيده متاع الله لله ويحضر قلبه المعرفة حين يقول لله (الرابع) أن يكشف عن يده إلى الذراع ويمدها إلى نحو المسئول وينظر إلى جهته لأن ذلك أشد على النفس وأسرع فى موتها إذ الحياء جله فى العين والمراد منه إنما هو موت النفوس وحياة الأرواح (الخامس) أن يكون عارفا أو مستشرفا فتكون يده ولسانه يشيران إلى أن الخلق حكمة وقلبه معلق بالملك الحق قال فى الحكم لاتمدن يدلا إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ماوافقك العلم (وقيل) من علامة الفقير الصادق أن يأخذ الصدقة ممن يعطيه لاممن جرت الصدقة على يديه وعلامته أن لايذم مانعاً ولايمدح معطياً ومن لم يكن عنده هذا العلم تعلمه قبل الخروج إلى السؤال فان كثر عليه العطاء فينبغى أن يقصر فى السؤال لأن النفس مجبولة على حب العطاء وأما ان ظهر عليه المنع فينبغى أن يزيد فيه لأن ذلك حينئذ تمحض

من الرزائل وتحليتها بالفضائل أو تقول مرجعه إلى التخلية والتحلية فيبحث أولا عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر فيطهر كل واحد من عيوبه فاذا تطهر من الجميع تحلى بصفات الكمال كالإيمان والإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى أيضاً بالحلم والرأفة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة فشعاع العلم الذى ينبسط فى الصدر هو ثلج اليقين وبرد الرضى والتسليم وحلاوة الإيمان ومواجيد العرفان وينشأ عن ذلك مخافة الله وهيبته والحياء منه والسكون والطمأنينة وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة والقناع الذى ينكشف به عن القلب هو الغفلة وسبب الغفلة هو الرضى عن النفس وسبب الرضى عن النفس هو حب الدنيا الذى هو أصل كل خطيئة فمن حب الدنيا ينشأ الحسد والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وحب الرياسة والقساوة والفظاظة والقلق وغير ذلك من العيوب فاذا انكشفت هذه الأمور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم الذى هو ثلج اليقين وبرد الرضى وما تقدم ذكره لأن العلم بالله نور فى القلب وينبعث منه شعاع تنبسط فى الصدر فتكسبه الزهد فى الدنيا فإذا زهد فى الدنيا اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فكشف القناع مقدم على بسط الشعاع فلو قدمه لكان أولى لأن التخلية مقدمة فلو قال هو الذى ينكشف عن القلب قناعه وينبسط فى الصدر شعاعه ويحتمل أن يريد بانبساط الشعاع فى الصدر نور الإسلام والإيمان وهى أنوار التوجه وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس وظلمة الكون فتبدو أنوار المواجهة وهى أنوار الإحسان وأسرار العرفان وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسن والله تعالى أعلم والحاصل أن العلم الذى يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع وإليه أشار بقوله (خير علم ما كانت الخشية معه) فان لم تكن خشية فلا خير فيه لأنه حجة على صاحبه وإليه أشار بقوله (العلم ان قارنته الخشية فلك وإلا عليك) قلت لأن العلم الذى تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة

لحياة الروح فان قبض شيئاً ولم يجد أحداً من الإخوان فليتصدق بذلك ليلا بحيث لا يشعر به أحد أو يرميها فى موضع خال والأحسن أن ينزل ذلك فى موضع ينتفع به الناس ولا يشعر به (السادس) ألا يسئل من النساء ولا من الصبيان وهو من لم يحتلم ولا من أهل الذمة ولا ممن لا يتحاشى من الحرام وهذا إن كان معه شىء من السلوك فان كان مجذوباً محضاً فلا كلام عليه وهذا معنى قوله فى الحكم فخذ ما وافقك العلم وقد حرر المسئلة الشيخ ابن عباد علماً وتصوفاً وذكرنا من ذلك فى الشرح نبذة صالحة فلينظر ذلك من أراده والله تعالى أعلم ثم ذكر القسم المكروه والمباح والمندوب فقال :

وكرهوا سؤاله لنفسه ثم أباحوه لأهل جنسه
ولم يعدوه من السؤال لكن من العون على الأعمال
إذ كان خير الخلق فى أترابه يسئل أحيانا إلى أصحابه

(قلت) اتفقت الصوفية على كراهية سؤال الفقير لقوت بشريته عند الحاجة مالم يبلغ حالة الاضطرار وحالة الاضطرار أن يضعف عن العمل أو تضعف فكرته أو ان كان مسافرا ضعفت قوته على المسير فهذا يباح له أو يندب فان خاف على نفسه وجب فان لم يبلغ الفقير إلى الحال الذى وصفنا فالأفضل فى حقه الصبر والاكتفاء بعلم الله حتى يأتيه الله برزقه ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ويعطى بلا أسباب (فقد قيل) ما نزلت فاقة بمؤمن فأنزلها بالله فدامت عليه أكثر من ثلاثة أيام قط (وفى) حكاية بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت على بن ابى طالب رضى الله عنه فى النوم فقلت يا أمير المؤمنين ما أحسن عطف الاغنياء على الفقراء طلبا للثواب فقال رضى الله عنه وأحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة

وأسبابها ويزهده فى كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه فى كل مايقربه إلى ربه فيكون عوناً له على الوصول إلى معرفة الله والقريب من ساحة رضاه فإن لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه لأنه حينئذ حجة عليه لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم إذا لم يعمل عشر مرات ذكره الغزالى ومثله قول الشيخ ابى الحسن رضى الله عنه فى حزبه الكبير فالويل لمن يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك فان قلت قد ورد فى بعض الأحاديث أن يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحدا قلت قد يجاب بأن الحديث الأول ورد فى من مات مصرا من العالم والجاهل فان عذاب العالم أكثر لأنه قد ورد انه يجر قصبة فى النار ويدور فى رحى بجهنم بخلاف الجاهل لم يرد فيه ، هذا والحديث الثانى فيمن تحققت توبته منهما فان العالم بيده مصباح العلم يستدرك بهمافات أكثر من الجاهل إذا تاب فقد يجبر العالم من الخلل فى شهر مالا يجبره الجاهل فى سنة أو أكثر والحاصل أن الأول فى العالم والجاهل إذا ماتا مصرين والثانى فيهما إذا تابا وأصلحا والله تعالى أعلم وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى العلم كالدنانير والدراهم ان شاء الله نفعك بها وإن شاء ضرك بها وقال فى لطائف المنن فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله تعالى من عباده الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الأمر أما علم أن تكون معه الرغبة فى العلم والتملق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام وهل ينتقل الشىء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التى كان بها عند الموروث ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضىء على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه وسبباً فى تكثير العقوبة لديه اه قال الشيخ زروق رضى الله عنه وفيه أشعار بأن العالم

بالله ولله در القائل :

إذا مددت الكف ألتمس الغنى إلى غير من قال اسألونى فشلت
سأصبر جهدى فى صيانة عزتى وأرضى بدنياى وإن هى قلت

(وقال) بعض الحكماء عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة (وفى) الحكم بما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحى أن يرفعها لخليقته (وقوله) ثم أباحوه لأهل جنسه يعنى أنهم أباحوا السؤال لاخوانه المحتاجين وهم أهل جنسه لأن الفقراء جنس والعوام جنس وهذا مندوب ولم يعدوا هذا من السؤال وإنما هو من التعاون على البر والتقوى وقد فعله عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قدموا عليه عراة فخطب فى الناس وقال ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية ثم قال تصدق رجل من ديناره من درهمه من صاع بره ثم من صاع تمره اتقوا النار ولو بشق تمرة وكقوله للنساء يامعشر النساء تصدقن ولو من حليكن والكل منه عليه السلام للتشريع وتحصيل الخير للسائل والمعطى وليس على معنى المسئلة قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وإليه أشار بقوله إذا كان خير الخلق فى أترابه والاتراب بالتاء المثناة من فوق الأقران فان أراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلعله اطلع على نقل وإن الأنبياء كانوا يسألون لأصحابهم وإن أراد به غير ذلك فلا تحمله اللغة إذ الأتراب لا يطلق إلا على الاقران والأقران هم المشاركون فى الوصف والله تعالى أعلم ثم ذكر ضابط صحة السؤال فقال :

ولا تصف بصحة السؤال من يؤثر الأخذ على الابذال

(قلت) لا يسلم حال السؤال للفقير ويوصف بصحة قصده فيه حتى يكون البذل والاخراج من يده أحسن عنده من

غير المتقى ليس بوارث وفيه نظر لأن إفساد الموروث والعمل به فى غير حق لايخرج عن كون الوارث وارثاً والعقوق لاينفى النسب لكن يقال فيه وارث سوء وقد أثبت الله العلم لمن يخشاه ومانفاه عن من لم يخشه اه

(قلت) وقد يقال الموروث عن الأنبياء هو غاية العلم وثمرته وهى الخشية والمعرفة به لامجرد الرسوم لأن ذلك واسطة فاذا لم يحصل الموسوط فلا عبرة بالواسطة فاذا لاوراثة لعالم الرسوم إذ ليست مقصودة بالذات وقد كان الشيخ الولى الكبير ابن أبى جمرة يقول فى علماء وقته إنما هم معلمون يعنى أنهم محترفون بحرفة العلم فهم صناع وليسوا بعلماء والله تعالى أعلم.

(وقد) أشبع الشيخ ابن عبادالكلام فى هذا الموضع فليطالعه من أراد تخليص نفسه من حجةالعلم وبالله تعالى التوفيق ومن علامة العلم النافع القناعة بعلم الله والاكتفاء بنظره وثمرة القناعة عدم المبالاة بذم الناس ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم اكتفاء بعلم الله ونظره كما أبان ذلك بقوله (متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع إلى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم) قلت إذ سلط الله عليك خلقه ليختبرك هل أنت غنى به أو بخلقه فأدبروا عنك أواشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك فارجع الى علم الله فيك واطلاعه عليك إذ لايخفى عليه شىء من أمرك فان كفاك ذلك وقنعت به وأنست بذكره أو شهوده استوى عندك ذمهم ومدحهم واقبالهم وادبارهم بل ربما آثرت ادبارهم إذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك فان لم تقنع بعلم الله ولم تكتف بنظره وتأسفت على ادبارهم أو تألمت من أذاهم فمصيبتك بضعف ايمانك وذهاب يقينك أشد من مصيبة ذم الناس وادبارهم عنك لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه وسقوطك من عين محبته وأما اذاية الخلق وبعدهم عنك فرحمة بك وأيضاً اذا اشتغل الناس بذمك واضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك فان كنت مع ربك صافياً فلا يكيدك شىء

القبض من الناس (قال) الجنيد رضى الله عنه لايصح السؤال الا لمن العطاء أحب اليه من الأخذ اه وكذلك السلف الصالح كان العدم أحب اليهم من التحصيل والمنع أحب اليهم من العطاء اذا أقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبته واذا أقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين الى غير ذلك من حكاياتهم رضى الله عنهم ثم ختم الباب بمسئلة التجريد فقال:

والشغل دون الكسب بالعبادة محض التوكل ورأى السادة

ثم السؤال آخر المكاسب وهو بشرط الاضطرار واجد

(قلت) الاشتغال بالعبادة والتجريد عن الأسباب من أعظم القرب عند ذوى الألباب اذ لا يصفو الباطن من الأغيار ويملأ بالمعارف والأسرار الا اذا تخلص الظاهر من كثرة الأكدار ولا يتخلص من الأكدار الا اذا تجرد من الأسباب واتكل على الملك الوهاب قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً فصفاء الباطن من صفاء الظاهر وتنشب الباطن من تنشب الظاهر فالاشتغال بالعبادة دون الاكتساب هو محض التوكل على مسبب الأسباب عند السادات أولى الألباب (وقد) تكلم الناس على درجات التوكل وأحسن ما فى ذلك ماقاله أبو حامد الغزالى رضى الله عنه قال فى الاحياء التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه ويسمى الموكل اليه وكيلا ثم قال فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم قال فان ثبت فى نفسك بكشف أو اعتقاد جازم أنه لافاعل الا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية

ولا يضرك شيء كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

الناس قالوا لى بدعى　　وأنا طريق منجوراً
إذا صفيت مع ربى　　العبد مامنه ضرورا

وقال إبراهيم التيمى رضى الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس فى قال يقولون إنك مرائى قال الآن طاب العيش قال بشر الحافى حين بلغه كلام التيمى اكتفى والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم غيره وقال أيضاً سكون القلب إلى قبول المدح لها أشد فيها من المعاصى (وقال) أحمد بن الحوارى رضى الله عنه من أحب أن يعرف بشىء من الخير أو يذكر به فقد أشرك مع الله فى عبادته لأن من عمل على المحبة لايحب أن يرى عمله غير محبوبه (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لاتنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله وان كان لام العلة موجوداً فعلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك ولعلة تردك إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فلأجل ذلك لم يعلموا بالثواب إذ لايخاف ولايرجى إلا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصدقا وكفى بالله عالما ومعلماً وكفى بالله هاديا ونصيرا ووليا هادياً يهديك ويهدى بك ويهدى اليك ونصيراً ينصرك وينصر بك ولاينصر عليك ووليا يواليك ويوالى بك ولايوالى عليك اه ثم ذكر حكمة وجود الأذى من الخلق لأولياء الله فقال (إنما أجرى الأذى عليهم كى لاتكون ساكناً اليهم أراد أن يزعجك عن كل شىء حتى لايشغلك عنه شىء) قلت الروح إذا ركنت إلى هذا العالم السفلى وسكنت فيه وأحبت مافيه تعذر نقلها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحانى لما ألفته من حب الأهل والأولاد والأصحاب والعشائر فمن حكمة الله تعالى ولطفه وإبراره بوليه أن يحرك عليه ماركنت نفسه وألفته روحه الأحب فالأحب فأول من ينكره أهله وأولاده ثم جيرانه وأحبابه ثم ينكره العالم بأسره فإذا رأت الروح

والرحمة بجملة العباد وأنه ليس وراء قدرته قدرة لاوراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لامحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فانه لاحول ولاقوة إلا بالله فان الحول عبارة عن القدرة فان كنت لاتجد هذه الحالة من نفسك فسببها أحد أمرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه ثم قال وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التى سميت توكلا فاعلم أن تلك الحالة لها فى القوة والضعف ثلاث درجات (الأولى) ما ذكرناه وهو ان يكون حاله فى حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله بالثقة بالوكيل (الدرجة الثانية) وهى أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لايعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها فان رآها تعلق بكل حال بذيلها وإن نابه أمر فى غيبتها كان أول سابق إلى لسانه ياأماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعة لأنه قد وثق بكفالتها وشفقتها ثقة منه إنها ليست بتاركته ثم قال الفرق بين هذا وبين الأول ان هذا قد فنى فى توكله عن توكله إذ ليس يلتفت فيه إلى التوكل وحقيقته بل إلى المتوكل عليه فقط فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه وأما الأول فتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله ثم قال (الدرجة الثالثة) وهى أعلاها أن يكون بين يدى الله تعالى مثل الميت بين يدى الغاسل لايفارقه إلا فى أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى قوى يقينه بأنه مجرى الحركة والقدرة والإرادة وسائر الصفات فيكون عند الانتظار لما يجرى عليه كالمبهوت ويفارق الصبى بأن الصبى يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها صياحاً وهذا المقام فى التوكل يصح منه ترك

أن هذا العالم أنكرها وضاق عليها رحبت إلى مولاها ولم يبق لها تشوف إلى هذا العالم أصلا فحينئذ يكمل وصلها ويتحقق فناؤها وبقاؤها فلو بقيت النفس على ماهى عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ١٠ رحلت من هذا العالم أصلا وكلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند المولى فانما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدى الخلق اليك إذ هو المجرى والمنشىء فلا فاعل غيره كى لا تكون ساكنا بقلبك وروحك إليهم فيعوقك ذلك عن العروج إلى الملكوت أراد الحق تعالى أن يزعجك عن كل شىء من هذا العالم حتى لا تركن إلى شىء ولا يشغلك عن شهوده شىء إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه أو تحبه وتحب معه سواه أبت المحبة أن تشهد غير محبوبها فاذا تمكنت المحبة وكمل الشهود ردهم ان شاء إلى عباده مرشدين اليهم بالله قال فى لطائف المنن اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم فى بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكى لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق ثم قال وقال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولان تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ولعدو تصل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا وادبارهم عنك نهارا ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله فى مبدأ طريقهم سنة الله فى أحبائه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن فى حزبه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ثم قال ومما يدلك على أن هذه سنة الله فى أحبائه وأصفيائه قوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول) الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على

الدعاء والسؤال ثقة منه بكرمه وعنايته فانه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل والمقام الثانى لا يقتضى ترك الدعاء والسؤال انما يقتضى ترك السؤال من غيره (فان قلت) هل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب فى هذه الاحوال (فاعلم) أن المقام الثالث ينفى التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثانى ينفى كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله لكن بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل فى التعلق بأمه فقط والمقام الاول لا ينفى أصل التدبير والاختيار ولكن ينفى بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته اه المقصود منه مختصرا والمختار فى مسئلة التجريد ما أشار اليه ابن عطاء الله بقوله ارادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية وقال فى موضع آخر من علامة إقامة الله إياك فى الشىء تيسره لك مع حصول النتائج اه وهذا كله مع عدم الشيخ وأما من ظفر بالشيخ فهو الذى يقوم به تجريدا وأسبابا (وقوله) ثم السؤال الخ أشار به إلى الحديث والمسئلة آخر كسب الرجل وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم فى ذم كثرة السؤال إن الله ينهاكم عن وأد البنات وعقوق الامهات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال اه وهذا آخر الفصل الثامن وهذه الفصول الثمانية كلها مقدمة لما يذكره فى هذا الفصل التاسع الذى أشار اليه بقوله (التاسع فى حكم المريدين ومعنى الارادة وفائدة الشيخ وتدريج المريد أن يصير شيخا) قال الشيخ زروق رضى الله عنه وهذا الفصل هو لباب الكتاب وسر الطريق ومدارها وكل ما قبله أو بعده دائر عليه وذكر فيه اربعة مواقف لكل موقف معاقل ومعاهد يطول شرحها (قلت) أما حكم المريد فالمراد ما يلزمه فى بدايته من العلم الضرورى ثم المجاهدة فى الاعمال الظاهرة

هذا المعنى اه (وقال) بعض العارفين ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة فى موطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه لهلكت فأزعجها عن ذلك بما سلط عليها من أذى المؤذيين ومعارضة الجاحدين وفى هذا المعنى قيل :

عداتى لهم فضل على ومنة　　فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا
فهم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها　　وهم نافسونى فارتكبت المعاليا

وقال بعضهم النصيحة من العدو سوط من الله يرد بها القلوب إذا سكنت إلى غيره وإلا رقد القلب فى ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه آذانى انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم اه إذا تقرر هذا علمت أن اذاية الخلق للولى سنة ماضية يعنى سنة أنبياء الله ورسله فلن تجد لسنة الله تبديلا وانظر أحوال نبينا عليه الصلاة والسلام ما رأى مع قريش وبنى وائل مكث معهم بعد النبوة التى هى محل الأذى من الخلق ثلاثة عشرة سنة كلها جلال وشدة وبلاء وحين انتقل إلى المدينة لم تكن له راحة بين جهاد وتعليم ومعاناة أحبار يهود بالاذاية والتشغيب حتى لقى الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وكذلك أصحابه معه وبعده لم تكن لهم راحة وجلهم ماتوا مقتولين فقد مات الصديق مسموما ومات الفاروق مقتولا وعثمان مذبوحا وسيدنا على مضروبا بالسهم مسموما حتى مات والحسن مسموما والحسين مقتولا حتى لعبوا برأسه بالشام ثم دفن بمصر فداه بعض الملوك ودفنه بمصر وهو مزارة الحسين المشهورة عندهم ثم مالا يحصى وقد سعى بالجنيد وأصحابه للسلطان وأتى بهم للسيف ثم لطف الله بهم (وقصتهم) ان فقهاء بغداد قالوا للمتوكل ان الجنيد قد تزندق هو وأصحابه فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد يا أعداء الله ما أردتم إلا أن تفنوا أولياء من الأرض واحدا بعد واحد قتلتم الحلاج وأنتم

والاستقامة الكاملة وما يلزمه فى وسطه من الرياضات الباطنية ومقاساة الأحوال السنية ثم ما يلزمه فى نهايته من الاستغراق فى الشهود والفناء فى ذات المعبود ثم الرجوع إلى البقاء بنظره إلى الحكمة والقدرة وسيأتى تفسير المريد ولماذا سمى المريد مريدا (وأما) معنى الارادة فهو طلب السلوك إلى ملك الملوك أو تقول هى صدق الوجهة إلى الله بأفراد القصد الى حضرة مولاه فالمريد سالك والمراد مجذوب المريد محب والمراد محبوب (وأما) فائدة الشيخ فهو جمع القلوب لحضرة الرب أو رفع حجاب الوهم بتحصيل حقيقة العلم أو تدريج المريد فى مقامات الانزال وتبعيده عن القواطع والاشغال (وأما) تدريج المريد فهو نقله من شهود الحكمة إلى شهود القدرة ومن شهود القدرة إلى شهود الحضرة وهى شهود الذات أو تقول تدريجه هو نقله من شهود الأسماء إلى شهود الصفات ومن شهود الصفات إلى شهود الذات ثم من شهود الذات يرد إلى أثر الصفات هذه طريقة السلوك (وأما) طريق الجذب فهو شهود الذات أولا ثم شهود الصفات ثم شهود الحكمة فى عين القدرة والله تعالى أعلم (ثم) اعلم أن الناس على ثلاثة أقسام طالبون ومريدون ومرادون فالطالبون هم الذين يطلبون الشيخ ويتعطشون اليه أو هم الذين يطلبون الطريق الى علم التحقيق ولا يعرف الطريق الا من سلكها فإن علم الله صدقهم وصلهم اليه والمريدون هم الذين اتصلوا بالشيخ واشتغلوا بالسير وهو السلوك والمرادون هم الذين انجذبوا الى الحضرة أما بعد السلوك وهم الكمل أو قبله فأشار الناظم الى القسم الأول وهو الطالب فقال :

فإن أتى القوم أخوفتون　　وقال يا قوم أتقبلون
تقبلوه صادقاً أو كاذباً　　اذ كان محتوما عليهم واجباً

ترون له كل يوم عبارة ولا تزدجرون وهذا الجنيد لاسبيل لكم اليه حتى تغلبوه بالحجة فاجمعوا له الفقهاء واعملوا له مجلسا فان أنتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته وان هو غلبكم والله لأمشين عليكم بالسيف حتى لا نبق منكم أحداً على الأرض قالوا نعم فجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والعراق والامصار فلما اجتمع الفقهاء فى ذلك حتى لم يبق فى الجوانب الاربع من يعرف مسئلة فى دينه إلا احضر فلما اجتمع الفقهاء فى المجلس بعث الملك اليه فأتى هو وأصحابه الى باب القصر فدخل الجنيد وترك أصحابه وأدى حق الخليفة يعنى من التعظيم وقعد فقام اليه أحد الفقهاء يسئله فى مسئلة فسمعه القاضى على بن أبى ثور فقال لهم تسألون الجنيد فقالوا نعم فقال لهم أفيكم من هو أفقه منه فقالوا لا فقال يا عجبا هو أفقه منكم فى علمكم وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه يعنى ولا تعرفونه فكيف تسئلون رجلا لا تدرون ما يقول فبهت القوم وسكتوا زمانا ثم قالوا اما العمل ياقاضى المسلمين فأشر بما شئت فنصنع فأمرك مطاع قال فرد القاضى وجهه الى الامير وقال له اترك الجنيد واخرج إلى أصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادى فيهم من يقوم الى السيف فأول من يقوم اليه نسأله فقال الملك يرحمك الله ذلك تروع القوم ولم تظهر لكم حجة لا تحل لنا ذلك فقال القاضى يا أمير المؤمنين ان الصوفية يحبون الايثار على أنفسهم حتى بأنفسهم فأذن من ينادى أيكم يقوم للسيف فالرجل الذى يقوم مبادرا إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقا لله عز وجل فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده فاذا قدم أجهلهم علينا جعل الفقهاء يناظرونه فيما يطلبونه منه فان الفقهاء لا يغلبونه ولا يغلبهم فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن يقع النجاة منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية فى الاسلام فانه قطب الايمان فى عصرنا وان قتل العلماء والفقهاء فهى مصيبة عظيمة فقال له الامير لله درك لقد أصبت ثم عطف على الوليد وقال افعل ما يفعل لك القاضى فخرج الوليد وهو مقلد سيفه فوقف

(قلت) الفتون جمع فتنة وهى ما يقطع عن الله ويشغل القلب عن الحضور مع مولاه وأخوها هو الملتبس بها والمنهمك فيها سواء كانت هذه الفتون ذنوبا أو عيوبا أو أشغالا أو أموالا أو أغيارا أو أكدارا فاذا أراد الله أن يخلصه من تلك الفتن سواء كانت ظاهرة أو باطنة التى فى قلبه الاضطرار الى الله وحسن الظن بعباد الله فاذا أطلعه على سر ولى من أوليائه وأتى اليه وقال له جئتك لتقبلنى وتأخذ بيدى وجب عليه قبوله والأخذ بيده لأن رده نوع من كتم العلم وقد قال الله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا) الآية (وأيضاً) رده الى ما كان عليه فيه اعانة له على الدوام فيما هو فيه والاعانة على المعصية معصية هذا إن كان صادقا فى ارادته واما إن كان كاذبا فلما فيه من تقليل المفاسد وتعريضه لنفحة رحمة الله بالوقوف ببابه ومخالطة أوليائه وهم قوم لا يشقى جليسهم ولعل الله أن يفتح عليه بمثل ما فتح عليهم اذ كل من تحلى بحالة لا يخلو حاضروه منها فمن جالس العطار طاب بطيبه ولله رجال من نظر اليهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ولله رجال إذا نظروا أغنوا غنى لا فقر بعده أبدا رضى الله عنهم وخرطنا فى سلكهم آمين ثم ذكر ما يؤمر به بعد الدخول فقال

وحذروه من ركوب الاثم وأمروه باقتباس العلم
وأمروه بلزوم الطاعة والماء والقبلة والجماعة
وقرروا فيه شروط التوبة وأمروه بلزوم الصحبة
ثم أمدوه بعلم ظاهر حتى استقامت عنده السرائر

(قلت) إذا أتى الفقير الى الشيخ ليأخذ بيده فأول ما يلقنه الورد فان التلقين فيه بركة عظيمة وقبل أن ينهض الانسان

على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلا قعوداً ناكسين رؤسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم أفيكم من يقوم إلى السيف فقام اليه رجل يقال له أبو الحسن النورى فقال الوليد مارأيت طائراً أسرع منه فوثب قائماً بين يدى فعجبت من سرعة قيامه فقلت يا هذا أعلمت لما قمت فقال نعم ألم تقل أفيكم من يقوم للسيف فقلت له نعم فقال ولم قمت قال علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج الى دار الفوز وأن أوثر أصحابي على بالعيش ولو ساعة ولعلى أقتل فيطفى الشربى فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيرى قال الصاحب فعجبت من فصاحته فقلت أجب القاضى فتغير لونه وسالت عبرته على خده فقال أو دعانى القاضى قلت نعم دعاك قال لخفاً على إجابته فدخلت وهو معى فأخبرت الملك والقاضى بقصته فتعجبا منه وسأله القاضى عن مسألة غميضة فقال من أنت ولم خلقت وما أراد الله بخلقك واين هو ربك منك فقال ومن أنت الذى تسألنى فقال أنا قضى القضاة فقال له إذا لارب غيرك ولا معبود سواك أنت قاضى القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى فأين النفخة فى الصور التى قال الله فيها (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله) أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذى لم أشهد النفخ فبهت القاضى زماناً وقال ياهذا أجعلت منى إلهاً قال معاذالله بل أنت تألهت حيث تسميت بقاضى القضاة وليس قاضى القضاة الا القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه أضاقت عليك الأسماء أما كفاك قاضى المسلمين أو أحد الفقهاء أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضى القضاة إذا استكبرب أن تقول أنا على ابن أبى ثور فما زال يقرعه حتى بكى القاضى وهم أن تزهق نفسه وبكى الملك لبكائه وبكى الجنيد فقال لتلميذه اقصر من عتابك للقاضى فقد قتلته فخل سبيله فلما أفاق القاضى قال ياأبا الحسن أجبنى عن مسئلتى وأنا أتوب إلى الله بين يديك فقال اذكر مسألتك فانى نسيتها فأعاد عليه مسألته فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ثم قال حسبى الله ثم فعل عن يساره مثل

قبل التلقين والتلقين سلسلة مروية عن السادات إلى سيدنا على كرم الله وجه الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يأمره بالتوبة ورد المظالم وقضاء الدين بقدر الاستطاعة ويحذره من الرجوع إلى ما كان عليه (ثم) يعلمه مايلزمه فى دينه من طهارة وصلاة وما يتعلق بذلك ان كان جاهلا وما تيسر من علم التوحيد خالياً عن الدليل فان كان الشيخ ليس من شأنه ذلك دفعه الى من يعلمه (ثم) يأمر بلزوم الطاعة من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك كل واحد ما يليق به لأن الشيخ تقدم انه يكون طبيباً ماهراً ثم يأمره بالصحبة ولزوم مجالسة الشيخ والاجتماع مع الاخوان فطريق التربية ليست طريق الانفراد وإنما هى طريق الاجتماع والاستماع والاتباع فمهما انفرد المريد عن الاخوان لم يكن منه شىء فان تعذر اقامته مع الشيخ أمره بالزيارة والوصول فمدد الشيخ جار الى المريد كالساقية أو القادوس فان كان يتعاهدها ويمشى معها بقى الماء جارياً وإن غفل عنها تخرم الماء وانقلب مع غيره (و) أيضا الوصول إلى الشيخ يدل على المحبة والانقطاع يدل على نقضها كما قال المجذوب رضى الله عنه.

لا محب إلا بوصول ولا وصول إلا غالى   لاشراب إلا بمختوم ولا مقام إلا عالى

(ثم) يذكره أولا بما يصلح جوارحه الظاهرة وهى التقوى والاستقامة فاذا صلحت جوارحه الظاهرة أمره بالعزلة والصمت والجوع المتوسط وفراغ الغلب والفناء فى الاسم المفرد فاذارآه تحقق فناؤه وكثر تعطشه فتح له شيئاً من علم الحقائق وأمره بالتفرغ التام وقطع العلائق والزهد فى الكونين فاذا رآه أخذته حيرة أو دهشة دفع له الحقيقة وأمره بتقليل ذكر اللسان وعمل الجوارح وشغله بالفكرة فاذا رآه لم يقدر على الحقيقة أو رآه قنع بالعلم دون الذوق أمره بتخريب الظاهر والتجريد التام فاذا تمكن من الحقيقة ورسخت فيه ذوقاً وتحقيقاً أمره بارشاد الناس أن رآه أهلا هذا الذى أخذنا به وفهمناه

ذلك ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضى وقال له أما قولك يرحمك الله من أنت فأنا عبد الله لقوله تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) وأما قولك لماذا خلقت فكان الله كنزاً لا يعرف فخلقنى لمعرفته ، قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، أى ليعرفون كذا قال ابن عباس وغيره وأما قولك ما أراد الله بخلقى فما أراد بى إلا كرامتى قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) وأما قولك أين ربك منك فهو منى حيث أنا منه لقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) فقال أخبرنى كيف هو معك ومعنا فى قوله وهو معكم أينما كنتم قال هو معنا كيف ما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى اليه ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة ، وإن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب، قال صدقت فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال أخبرنى أين أنت منه أعلمت أين هو منك قال صدقت يا على فيما قلت ولكن أخبرنى بمسئلة ثانية ، قال وما هى ؟ قال لم ملت عن يمينك حين سألتك ، قال أعز الله الفقيه إن المسئلة التى سألتنى عنها لم يكن عندى فيها جواب لأننى ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتنى عنها لم يكن عندى ما أخبرك به فيها فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى اليمين فقلت له أتجاوبه أنت فقال لى لا علم لى فقلت حسبى الله وفوضت أمرى إلى الله فقال وعن شمالك فقال كذلك فقال وأمامك فقال سألت قلبى فقال عن سره عن ربه وما أجبتك به فقلت الحمد لله شاكراً على الهداية ومقراً له بالعجز عن إدراك النهاية فقال له يا هذا أتكلمك الملائكة ؟ فقال له ويحك أما ترى رب الملائكة كلمنى حين هدانى لحجتى وكنت لا أعرفها ، فقال له يا هذا الآن قد صح عندى حمقك وثبت عندى كفرك وزندقتك ، فما تريد أن أفعل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك ، فقال له وما الذى تريد أن تفعل بى وأنت قاضى القضاة ، إن كنت تقضى ولا يقضى عليك فاقض بما شئت ، وأى فعل لك فقال له أنا القاضى بما يقضى به أو تقضى بما يقضى به فقال له أوفهمت

من طريق أشياخنا والناظم رحمه الله قدم وأخر فى هذا الترتيب فذكر أنه أول ما يأمره بترك الآثام ويحذره من ركوب الجرائم وهذا هو المقصود من صحبة المشايخ وأخذ العهد عنهم إذ لم يلتجىء لصحبة الأشياخ إلا بقصد الحفظ ببركة صحبتهم وذلك محقق بفضل الله لمن صح صدقه وقويت نورانية شيخه .

(وأصل) هذا العهد من السنة حديث عبادة بن الصامت قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف الحديث (ثم) يأمره باقتباس العلم فان كان هو أهلا أمره بلزوم صحبته ليعلمه وإلا دفعه إلى غيره كما تقدم فلا بد للمريد بعد عقد التوبة من طلب العلم إذ لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه لقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)، ولا يجب عليه التوسع فى العلم لما فوق حاله لأن ذلك فرض كفاية ومتى نزلت به نازلة لزمه طلب علمها (ثم) يأمره بلزوم الطاعة والقبلة والجماعة يعنى الصلاة مع الجماعة لأن الأمر الخاص لا يصح إلا بعد أحكام الأمر العام لأن من لا يصلح أن يكون من عوام المتقين لا يصلح أن يكون من خواص المقربين فالشريعة باب والحقيقة دخول مع الأحباب قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) (ثم) يأمره بالتوبة وتحقيق شروطها (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه شروط التوبة ثلاثة أقسام شروط صحة وهى ثلاثة (الندم) على ما فات والاقلاع فى الحال والنية ألا يعود أبداً (وشروط) تحقيق وهى ثلاثة تصميم القصد لأن التوبة وان صحت من بعض الذنب مع البقاء على ذنب آخر فصاحبها ناقص وقل أن يسلم من العودة لما عنده من أصل المخافة وأداء الحقوق الواجبة له من الصلاة والصيام والزكاة والكفارات وغيرهما ورد المظالم المالية باتفاق والعرضية على المشهور (وشروط) كمال وهى ثلاثة التشمير فى

خطاب عن القاضى الذى يقضى ولا يقضى عليه قال له وما هو قال قوله تعالى (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) فقال له وما تريد أنت اقض بما شئت الآن طبت وطابت نفسى على لقاء ربى فعند ذلك رد القاضى رأسه إلى المتوكل وقال له يا أمير المؤمنين اترك هؤلاء فان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم ، هؤلاء مصابيح الدين ودعائم الاسلام وهؤلاء المؤمنون حقاً عباد الله المخلصون فعند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال يا أبا القاسم هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك والآن أنت الغالب عليهم وأنا آليت على نفسى ان أنت غلبتهم أن أمشى عليهم السيف فإما أن تعفو عنهم واما أن يموتوا فقال العياذ بالله ياسيدى أن يموت أحد منهم بسببى عفا الله عنا وعنهم ولا أخذ عليهم فى انكارهم علينا لانهم ماساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم بما طلبوا عفا الله عنا وعنهم فانحل المجلس على سلام ولم يمت فيه أحد والحمد لله ثم عطف القاضى على النورى وقال له ياعلى أعجبنى حالك والله شهيد انى أحبك ولكن أسألك سؤال رجل مسترشد يرحمك الله فقال سل عما بدا لك فان كان عندى جواب أخبرتك وإلا قلت لك لا علم لى ولا يعظم ذلك على ثم سأله عن مسائل عديدة قد تقدم بعضها عند قوله ياعجباً كيف يظهر الوجود فى العدم فراجعها ان شئت وتركت الباقى لكثرة التصحيف فى النسخة التى وقعت بأيدينا والله تعالى أعلم فهذه محنة الصوفية التى وقعت فى زمن الجنيد وهذه سنة الله فى أوليائه وأنبيائه هم أشد الناس بلاء وانظر أيضاً قضية القطب الشهير شيخ أشياخنا الشيخ ابن مشيش فقد مات مقتولا كما هو معلوم وكذلك قضية تلميذه من القاضى ابن البراء حيث أخرجه مع تونس وكتب به إلى عامل مصر وعمل به بينة أنه مشوش وأنه يطلب الملك فانتصر الله له كما هو شأنه سبحانه من انتصاره لأوليائه (وكذلك) قضية الغزوانى لما

المستأنف بدلا من التقصير فى السالف والفرار من موارد الفتن بكل وجه أمكن والحرص على تحصيل الكمال له بأى وجه كان فمن فاتته شروط الصحة فلا توبة له ومن فاتته شروط التحقيق فهو عاص وقل أن يسلم من آفات الانقلاب ومن فاتته شروط الكمال لم يجد لتوبته لذة ولا يدرك لها نتيجة وكل واحدة لا تصح إلا بعد تحقيق ما قبلها (وقوله) وقرروا فيه شروط التوبة المراد بالتقرير هو الأمر بها والحض عليها المرة بعد المرة والتنبيه عليها تفصيلا وإجمالا (ثم) يأمره بلزوم الصحبة يعنى ان تأتى له ذلك والا أمره بالوصول المرة بعد المرة كما تقدم وفائدة الصحبة ثلاثة أمور :

(أحدها) أنها حصن من الانقلاب والرجوع فان رؤية الشيخ والجلوس معه ترياق مجرب فلا تميل نفسه الى الفضول أبداً ما دام مع الشيخ وقال شيوخنا سيدى على رضى الله عنه الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام والجلوس مع العوام أفضل من الجلوس مع المتفقرة الجاهلين (قلت) والجلوس مع علماء الظاهر أقبح فى حق الفقير من جميع ما تقدم والله ما رأيت فقيراً صحبهم فأفلح فى طريق القوم أبدا فلا قاطع أعظم منهم الا من عرف بالتسليم لأهل النسبة وقليل ماهم .

(الثانى) ان علم القلوب انما يقوى مدده بالصحبة فمن تحقق بحالة لا يخلو حاضروه منها والطبع يسرق من مطبع من حيث لا يعلم والمرء على دين خليله والمؤمن مرآة أخيه وما كان فى المرآة انطبع فى المرآة المقابلة لها .

(الثالث) ان الانسان مبتلى بنفسه فإذا انفرد وحده ظهر له أنه على شىء وليس كذلك وقد تقدم هذا فى فائدة الاجتماع وربما ظفر به الشيطان لأن الشاة المنفردة من سهم الذئاب وفى الحديث الشيطان يهم بالواحد والاثنين ولا يهم بالجماعة وكما قال عليه السلام فلا بد من صحبة أخ صالح أو شيخ ناصح لتحصل السلامة من الرعونات وغيرها ولا يتأدب الفقير

كملت تربيته وظهر رشده أرسله شيخه الشيخ التباع يعمر بلده فسكن بنى زكار جوار ضريح الشيخ ابن مشيش فلما عمر سوقه وانكبت عليه المخلوقات سعى به إلى السلطان المرينى فأرسل إليه الحرس وأطلعوه مكبلا إلى العرايش لأن السلطان كان ثم نازلا ثم أرسل به إلى فاس فسجن أربعة أشهر أو سنة حتى قدم السلطان إلى فاس فأطلقه وشرط عليه السكنى معه بفاس فسكن معه فلما قرب انقراض مدة المرينيين خرج إلى مراكش وقال ذهبت دولة بنى مرين وبقى بمراكش حتى توفى رضى الله عنه (وذكر) التجيبى أن الشبلى رفع إلى السلطان وأخرج أبو زيد من مدينة بسطام مراراً وهذا أمر شهير.

(قال) بعض الحكماء إذا أراد الله ظهور الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد إخماده فيكون ذلك سبباً لظهوره وإيضاحه ولذلك سلط الله على كل نبى عدواً من المجرمين وعلى الأولياء كذلك وأنشدوا:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وإنما أطلنا هنا النفس لأن الحال اقتضى هنا ذلك لأن وقت التأليف صادف عنفوان الجلال والله يرزقنا التأييد نحن وأحبابنا ومن تعلق بنا بجاه المصطفى وآله وعلامة التأييد هو حفظ التوحيد فى أوقات الشدة بحيث يكون إبراهيمياً فإذا رمى فى نار الجلال وتعرض له الكون يقول ألك حاجة يقول له العارف أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فحينئذ يقول الله لنار الجلال يا نار كونى برداً وسلاماً على وليى فينقلب حرها برداً وسلاماً قال سيدنا إبراهيم الخليل مارأيت نعيماقط مثل تلك الأيام التى كنت فيها فى النار (قلت) وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم حين تنقلب برداً وسلاماً برد الرضى وسلام التسليم فيكمل النعيم واعلم ان اذاية الخلق هى احدى القواطع التى قطعت الناس عن الولاية لا يصبر عليها الا

وحده أبدا وإنما يتأدب إذا صحب أهل الأدب فان صحبهم تأدب أحب أم كره وأيضا النفس الحية لا تموت ما دامت مع الأحياء وإنما تموت إذا صحبت الأموات كما قال شيخنا البزيدى رضى الله عنه (ثم) بعده العلم الظاهر ومعناه أنه يذكره بعلم الشريعة وعلم الطريقة دون علم الحقيقة حتى إذا تهذب ظاهره وباطنه صلح لعلم الحقائق ولا بد من الترتيب فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته ومن لا بداية له لا نهاية له (وقد) قالوا من قدم الباطن على الظاهر فاته الباطن والظاهر ومن طلب الباطن بالظاهر حصل له الباطن والظاهر ومن طلب الباطن والظاهر تحير فى الباطن والظاهر والظاهر رأس مال وما عداه ربح ولذلك أمر به أئمة العلم والدين مجردا (وقد) قال عليه السلام لمن سأله أن يعلمه من غرائب العلم ما فعلت فى كذا وفى كذا فى أمور فى أحكام الظواهر ثم قال عليه الصلاة والسلام اذهب فاحكم ما هنالك وتعال أعلمك غرائب العلم ثم من اصلح ظاهره على لسان الصدق فتح الله بصيرته برؤية الحق اه قال الشيخ زروق رضى الله عنه ولما ذكر ما يتعلق بالبداية ذكر ما يتعلق بالوسط من المجاهدات والرياضات فقال:

حتى إذا انقاد مع الإفادة ... وكاد أن يصلح للإرادة

إذ للمريد عندهم حدود ... لأجلها قيل له مريد

فعندها رد الى الاوراد ... كالصمت والصوم مع السهاد

وعاملوه بالمعاملات ... اذ علموا مختلف العلات

(قلت) أما الانقياد الى طلب الإفادة فيكون بثلاثة أمور بالزهد فى نفسه وفلسه وجنسه فالزهد فى النفس بالإطلاق

الصديقون فذكر الشيخ حكمة ذلك وسره من القواطع أيضاً الشيطان والنفس فأشار الشيخ إلى كيفية دفع إذاية الشيطان بقوله (إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده) قلت اعلم أن الحق تعالى جعل بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل الحضرة حتى يخرق فيهم ويجوز عنهم لأنهم واقفون بالباب وكاهم الله بباب حضرته وقال لهم لا تتركوا أحداً يدخل إلا من يغلبكم فوقفوا بالباب فاذاجاءمن يريد الدخول تعرض له الخلق فيعيبون له الطريق وينكرون من يعرفها فاذا غلبهم جاءه الشيطان يطول عليه مدة الفتح ويخوفه من الفقر ويقول له متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل لا يكون فاذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له كيف تترك دنياك وجاهك وعزك إلى شيء يكون أو لا يكون فاذا غلبها قال له الحق تعالى مرحباً بك وأهلا ولكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يسكن في الحضرة ولذلك قالوا والله ما رجع من رجع إلا من الطريق وأما من وصل فلا يرجع وقال آخر، والله مانشكر خليع، وإن ثمل وإن صحى، حتى يقطع في القطيع، ويدور دور الرحى، وإن ثبت يسر سريع، وإن شرب حتى امتحى فاذا علمت أيها الفقير أو الإنسان أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة لأن له بيتاً في صدرك من جهة شمالك فاذا غفلت عن ذكر الله وسوس وإذا ذكرت الله انخنس فاذا علمت ذلك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك وناصيته بيده وهو الحق تعالى فاذا اشتغلت بالله رده عنك وكفاك أمره قال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) وقد حذر الله تعالى منه في كتابه قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) ففهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاتهم محبة الحبيب وفهم قوم أن الشيطان لكم عدو وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو كما قال الشيخ أبو العباس وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه عداوة العدو حقاً هى اشتغالك بمحبة الحبيب حقاً فاذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب

منها والغيبة عنها وإسلامها إسلاماً كلياً حتى يكون كالميت بين يدى الغاسل والزهد فى الفلس بالبذل والايثار فى الحاصل وعدم التشوف إلى غير الحاصل والزهد فى الجنس بالانكار لمن يعرف وعدم التعرف لمن لا يعرف فاذا حصل هذه الثلاث استحق الافادة وصلح للإرادة والمراد بالافادة إفادة العلوم الباطنية والأسرار الربانية لكن بعد تحقيق التخلية والتحلية وسيأتى عند قوله ألتى إليها من صفات النفس الخ .

(وأما) حدود المريد فثلاثة مجاهدة ثم مكابدة ثم مشاهدة فالمجاهدة فى تقديم الظاهر والمكابدة فى تقديم الباطن والمشاهدة ثمرة المكابدة (أو تقول) حدود الارادة قطع العلائق وخرق العوائد واكتساب الفوائد فاذا تحققت فيه هذه الأمور سمى مريدا لتحقيق ارادته بمعرفة سيده لأنه لما حصر الارادة فى ارادة واحدة ولم يبق له مراد إلا محبة سيده سمى لذلك مريدا وقيل غير ذلك فجواب إذا الذى هو عامل فيها هو قوله رد إلى الاوراد وما بينهما معترض والتقدير إذا صلح للإفادة والإرادة رد عند ذلك إلى الأوراد وباعتبار السبك رد وقت صلاحيته للإفادة إلى الأوراد ثم فسر تلك الأوراد التى يرد إليها بعد اصلاح ظاهره فقال كالصمت وفيه سبعة آلاف حكمة جمعت فى سبعة عبادة من غير تعب حصن من غير حائط هيبة من غير سلطان راحة الكرام الكاتبين ستر للجاهل زين للعالم قلة الاعتذار (ومن) خواصه أنه يلقح الفكرة ويجلب الحكمة إذا كان مع الفكرة وإلا فهو كما قال بعضهم كل كلام بغير ذكر فهو لغو وكل صمت بغير فكر فهو سهو وكل نظر بغير عبرة فهو لهو فالصمت الذى يصحبه الخواطر والوساوس هو بمنزلة الكلام وأما الصوم فهو يعين على الجوع وقد تقدم فوائد الجوع وأسراره إلا أنه لا ينبغى الافراط فيه فخير الأمور أوسطها (والسهاد) هو السهر والمراد قلة النوم حتى لا يزيد على القدر المحتاج (قال) أحمد بن عامر رضى الله عنه أعداؤك أربعة الشيطان وسلاحه الشبع

ونال عدوك مراده منك (وكتب) الشعرانى إلى شيخ له بالمغرب يشكو له إذاية الخلق فكتب له الشيخ لا تشتغل بمن يؤذيك قط واشتغل بالله يرده عنك وقد غلط فى هذا الأمر خلق كثير واشتغلوا بمن آذاهم فطال الأذى مع الاثم ولو انهم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ولردهم عنهم والسلام هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ

(وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه وإنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وقيل الشيطان كلب إن اشتغلت بمقاومته مزق الاهاب وقطع الثياب وإن رجعت إلى ربك صرفه عنك برفق وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه إن كان هو يرانا من حيث لا نراه فالله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه اه

(قلت) ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبق يعرف إلا الله ولذلك قال بعضهم نحن قوم لا نعرف الشيطان قيل له أو ليس قد ذكره الله فى كتابه قال أجل ولكن اشتغلنا بالله فكفانا أمره حتى نسيناه وبالله التوفيق ثم ذكر حكمة وجوده فقال (جعله لك عدواً ليحوشك به إليه) قلت لم يخلق الله شيئاً عبثاً قال تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) فإيجاد الشيطان له حكم أولها انحياش عباده إليه لأن العبد الضعيف إذا رأى عدوا يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه فيكفيه أمره (الثانية) قيام الحجة على عباده فإذا خالفوا أمره قال لهم اتبعتم عدوى وعصيتم أمرى قال تعالى (قل فلله الحجة البالغة) (الثالثة) كونه منديلا للعار تمسح فيه أوساخ الاقذار وكذلك النفس والدنيا (الرابعة) ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته فهذه حكم فى تسليط الشيطان على الإنسان والله غالب على أمره وهو العليم الحكيم (حكاية) روى أن الشيطان تعرض لسهل بن عبد الله التسترى وهو يضحك فقال له سهل مما ضحكك يا لعين وقد أبلست ويئست من رحمة الله فقال يا سهل أنا شىء والله تعالى يقول (ورحمتى وسعت كل شىء) فقال سهل انه يقول فسأكتبها للذين يتقون فأين أنت من التقوى فقال

وسجنه الجوع والهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت والدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة والنفس وسلاحها القوم وسجنها السهر (ثم) المطلوب من هذه الاربع الوسط والاخذ بالأهم فمن كان الجوع أحب إليه من الشبع لم يأكل فوق حاجته ومن كان الصمت أهم إليه من الكلام لم يتكلم إلا فيما يعنيه ومن كان الخلوة أهم إليه من الخلطة لم يرتح للقاء الناس بل يستوحش منهم ومن كان السهر أحب إليه من النوم لم ينم فوق الحاجة والافراط مضر فى كل شىء فمن الجوع مضر بالفكرة ومن الصمت مضر بالحكمة ومن السهر يؤدى إلى الحمق ومن الخلوة يؤدى إلى الملل قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وقوله وعاملوه بالمعاملات أى بالمعاملات التى فيها دواؤه فمن تليق به العزلة عاملوه بها ودلوه عليها ومن تليق به الخلطة دلوه عليها وهكذا إذ ليست معاملة أهل البداية كمعاملة أهل النهاية وليست معاملة السائرين كمعاملة الواصلين (وقوله) إذ علموا الخ يعنى انهم إنما عاملوا المريدين بمعاملات مختلفة لأجل ما علموا فيهم من العلات المختلفة فعاملوا كل واحد بما فيه دواؤه (وفى) بعض النسخ كقرب نفسه العلات وهو إشارة إلى العزلة (وفى) الحكم ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة وقد أشبعنا الكلام عليها فى شرح الحكم والله تعالى أعلم ثم ذكر سر دلالته على الأعمال دون الحقائق فقال :

ولم يحيلوه على الحقيقة إذ لم يكن مستوفى الطريقة
لكن أحالوه على الأعمال لأجل ما فيها من النوال
إذ الطريق العلم ثم العمل ثم هبات بعدها تومل

(قلت) الحقيقة شهود القدس وإنما لم يحيلوه على الحقيقة أى يطلعوه عليها قبل استيفاء الطريقة لأن الحقيقة أمرها

التقوى صفة العبد والرحمة صفة الرب وأين الفانى من الباقى فلم يجد سهل جواباً (قلت) وقد يجاب بأن هذه الشبهة مبنية على النظر للفرق واما على الجمع فالرحمة وصفه والتقوى فعله وفعله يقيد وصفه والكل منه وإليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم ذكر حكمة ظهور النفس فقال (وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه) قلت إنما حرك الحق تعالى عليك النفس ليدوم إقبالك وتوجهك إليه لأن النفس لما غلبت عليها البشرية جرتها إليها فهى دائماً تهوى بك إلى أرض الشهوات وأنت دائما تريد أن تعرج إلى سماء الحقوق والواجبات هى تريد أن تركن إلى أصلها من عالم الصلصال والطين وأنت تريد أن تردها إلى أصل روحانيتها فى أعلى عليين هى تريد السكون فى عالم الأشباح وأنت تريد أن ترقيها إلى عالم الأرواح فهى دائماً تريد التسفل وأنت دائما تريد الترقى فهذا معنى دوام إقبالك عليه وسيأتى لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فالنفس والشيطان نعمتان فى الباطن إذ لولاهما ما تحركت إليه ولا تحقق سيرك إليه ولذلك كان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه إذا اشتكى إليه أحد بالنفس يقول أما أنا فجزا الله عنى خيراً ما على إلا فضل الله وفضلها والله ما ننسى جميلها يشير لهذا المعنى الذى ذكرناه وهما نقمتان فى الظاهر لمن وقف معهما وحجب بهما (والحاصل) أن النفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا به الطريق موصلات للحضرة لمن وقف للتحقيق وسبق له من الله التوفيق والنفس أصعب من الشيطان لأنه عدو متصل وأنت به شفيق فهى أقبح من سبعين شيطانا فى قطع الطريق (وذكر) ابن القسطلانى عن أحمد بن سهل رحمه الله أنه قال أعداؤك أربعة أولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة (الثانى) الهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت (الثالث) الشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع (الرابع) النفس وسلاحها النوم وسجنها السهر وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال :

هائل لا ينالها إلا الشجاع الصائل وفى ذلك يقول الشيخ الجيلانى كذا فى عينيته :

وإياك جزعا لا يهولك أمرها ... فما نالها إلا الشجاع المقارع

فلا تطاق إلا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وتصفية البواطن من الاغيار وتحليتها بالانوار فمن اطلع عليها قبل ذلك خيف عليه التزندق لأن الحقيقة لا تدرك بالعلم وإنما هى أذواق ووجدان نعم قد تكون علماً ثم تصير ذوقاً لمن راض نفسه بالشريعة وعظم صدقه فانه يأخذها علماً وتصير ذوقاً (وأيضا) اطلاعه على الحقيقة قبل كمال الطريقة توجب له التقصير فى الأعمال والتفتر فى الخدمة فان الحقيقة حلوة قد يشتغل بها ويهمل الشريعة ولذلك قيل من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق لتعرية الحقيقة عن الشريعة وهذا معنى قوله ولم يحيلوه على الحقيقة إذ لم يكن أى حيث لم يكن مستوفيا لعمل الطريقة لكن أحالوه على الأعمال والمراد بالأعمال هنا العمل الظاهر كالصلاة والصوم والصمت والعزلة وذكر الله ويكون ذكر واحداً وهو الاسم المفرد الذى هو اسم الله الأعظم وسلطان الأسماء هذه طريقة الشاذلية وسيأتى للناظم التنبيه عليه وإنما أحالوه على الأعمال لما فيها من النوال أى العطاء والمراد به نتائجه فكل ذكر له نتيجة وثمرة تخصه كما ذكره ابن جزى فى تفسيره عند قوله تعالى (فاذكرونى أذكركم) قال واسم الجلالة وهو الله جامع لتلك الثمرات كلها وفى بعض النسخ لأجل ما فيها من المنال أى نيل ما يقصده الذكر ويتمناه ثم ذكر علة تقديم العمل على علم التحقيق فقال إذ الطريق العلم ثم العمل ثم هبات وهى مواهب الأسرار فبعد العلم العمل ثم الذوق ثم الشرب ثم الرى ثم السكر ثم الصحو ثم شهود وعيان والعمل حيئذ فكرة ونظرة وآداب مع الحضرة والله تعالى أعلم ثم ذكر كيفية انتقال العمل إلى الباطن فقال :

انى بليت بأربع يرميننى ... بالنبل عن قوس له توتير
إبليس والدنيا ونفسى الهوى ... يارب أنت على الخلاص قدير

وقد ذكر هذه القواطع الشيخ فذكر أولا الدنيا ثم الناس ثم الشيطان ثم النفس لكن ذكرها على وجه توحيدى لم يذكرها على أنها سوى أو قواطع وإنما ذكر أسرارها وحكمة وجودها فلله دره ما أشد معرفته بالتوحيد وأسرار التفريد نفعنا الله بذكره وخرطنا فى سلكه آمين (هذا آخر الباب الرابع والعشرين) وحاصلها ذكر غاية النعيم وهو شهود نور وجهه الكريم فمن تحقق به فلا تعتريه أحزان ولا هموم ثم ذكر القواطع التى تقطع عنه وهى الدنيا وما يتعلق بها من رياسة علم غير نافع وجاه وغيره والخلق وما يتعلق باذايتهم والشيطان والنفس لكن ذكرهم على وجه التحقيق لا على وجه التشريع فاذا تخلص من هذه القواطع فى الحس أفضى إلى شهود نور عظمة ربه فى تجلياته فيتواضع مع الأشياء كلها لمعرفته فيها كما أشار إلى ذلك الباب الخامس والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه (من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر) قلت التواضع هو مجاهدة النفس فى وضعها وسقوطها فهى تريد الرفعة وأنت تريد السقوط فاذا حققت ونظرت بين فكرتك وجدت الأشياء كلها مستوية معك فى الخلقة والتجلى من النملة إلى الفيل فالمتجلى فى النملة هو المتجلى فى الفيلة فأنت والكلب فى حقيقة الخلقة سواء وانما وقع التفضيل فى التشريع والحكمة عند أهل الفرق فأهل الفرق يرون المزية لأنفسهم عما سواهم فاذا تساووا بأنفسهم مع الأشياء رأوا أنهم قد تواضعوا وفى الحقيقة إنما تكبروا لأنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ورفعوها ثم أثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على خلق الله حقاً والعارفون بالله لم يثبتوا لأنفسهم مزية قط رأوا الأشياء كلها سواء خلقاً واحداً ونوراً واحداً فلم يثبتوا لأنفسهم رفعاً ولا وضعاً فهم متواضعون

حتى إذا أحكم علم الظاهر ... وأبصروا القبول فيه ظاهر
ألقوا اليه من صفات النفس ... ما كان فيها قبل ذا من لبس
وهى إذا أنكرتها فلتعرف ... إحدى وتسعين وقيل نيف

(قلت) ثم لايزال الشيخ يأمر المريد بعمل الظاهر كصلاة وصيام وعزلة وصمت وذكر لسان حتى اذا رآه أتقن علم الظاهر وذاق سره وحلاوته فيكون قد ذاق حلاوة الصلاة والصيام وحلاوة العزلة والصمت حتى تكون العزلة عنده أشهى من الخلطة والصمت عنده أحلى من الكلام وذكر الله قد امتزج معه حتى لو أراد أن يسكت ماسكت فهذا علامة اتقان أحكام الظاهر وصار قبوله لعلم الباطن ظاهر فحينئذ يلقى اليه من صفات نفسه ما كان ملتبساً عليه كحب الجاه أو الرياسة أو حب المال أو الغضب أو القلق أو غير ذلك من أوصاف النفس التى يتعذر حصرها حتى قال بعضهم للنفس من النقائص مالله من الكمالات وقال الناظم أنها تزيد على تسعين بتقديم التاء (وقد) ذكر السلمى نبذة صالحة فلنذكرها بنصها لأن عادة الناظم النسج على منواله فقال رضى الله عنه (وأما) أخلاق النفس فمنها الكبر والعجب والفخر والخلاء والغل والغش والبغض والحرص والأمل والحقد والحسد والضجر والجزع والهلع والطمع والجمع والنع والجبن والجهل والكسل والبذاء والجفاء واتباع الهوى والازدراء والاستهزاء والتمنى والترفع والحدة والسعة والطيش والمراء والتحكم والظلم والعداوة والمنازعة والمعاندة والمخالفة والمغالبة والمزاحمة والغيبة والبهتان والكذب والنميمة والتهويس وسوء الظن والمهاجرة واللؤم والوقاحة والغدر والخيانة والفجور والشماتة الى غير ذلك مما يكثر تعداده فيجب على المريد معرفتها ومجانبتها والمجاهدة فى تبديلها

من أول مرة فتواضعهم حقيقي أصلي فمن أثبت لنفسه تواضعا ورأى أنها تواضعت دون قدرها فهو المتكبر حقا حيث جعل لها قدراً زائدا على خلق الله إذ ليس التواضع واثباته للنفس إلا عن رفعة لها أولا فمتى أثبت لنفسك أيها الفقير تواضعاً فأنت المتكبر حقاً ولا تكون متواضعاً حتى ترى الأشياء كلها مثلك أو أحسن منك إن عصيت ربك (قال) أبو يزيد ما دام العبد يرى فى الخلق أشر منه فهو متكبر ولا يكون متواضعاً حتى لم يثبت لنفسه حالا ولا مقالا (وقال) بعضهم من رأى لنفسه قيمة على الكلب فهو متكبر ممقوت عند الله وإنما يتضع العبد بقدر تحققه بعلو قدر سيده والنفس إن لم تتصف بالذل والهوان حقيقة فهى غير مشاهدة لعظمة الله لأن أصل نشأة النفس الضعف والذل والهوان والاصلاح إلا فى الرجوع لأصلها وتبريها من رؤية العز والجاه ومن تبريها من ذلك وقال الجنيد رضى الله عنه من رأى نفسه قد تواضعت فهو يحتاج إلى تواضع ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعاً اه (وفى) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الكرم التقوى وإنما الشرف التواضع وإنما الغنى اليقين والمتواضعون فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة ولا يزيد التواضع للعبد إلا رفعة فتواضعوا ليرفعكم الله وإذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين من أمتى فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار بهم اه أوحى الله إلى موسى عليه السلام إنما أقبل ظل من تواضع لعظمتى ولم يتكبر على خلقى وألزم قلبه خوفى وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى اه ثم فسر التواضع الكامل فقال (ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى إنه فوق ماصنع ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى إنه دون ماصنع) قلت التواضع الحقيقى هو الذى ينشأ عن يشاهد الأشياء كلها منه فاذا تواضع معها رأى انها تستحق أكثر من ذلك التعظيم وإن نفسه فى الدناءة والذل دون أى أسفل مما صنع من التواضع وليس المتواضع الذى يرى لنفسة مزية

بأحسن منها فمن لم يعرف ذلك لم يزد مع مرور الأيام إلا ادبار فيبدل الكبر بالتواضع والحدة بالتؤدة والكذب بالصدق وبالله التوفيق اه (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه وأصول الأخلاق المذمومة ثلاثة الرضى عن النفس وخوف الخلق وهم الرزق فيتولد من الأول الشهوة والغفلة والمعصية (و) من الثانى الغضب والحقد والحسد (و) من الثالث الحرص والطمع والبخل ثم قال لكن التزام أصل واحد ينفى جميعها وهو عدم الرضى عن النفس فى جميع الأحوال والحذر منها فى كل الأوقات (قال) فى الحكم أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسك خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه اه (قوله) حتى اذا أحكم علم الظاهر هو على حذف مضاف أى أتقن عمل علم الظاهر لأن الاتقان إنما هو العمل إذ هو الذى أمره به وهى فائدة صحبة الشيخ كما تقدم فى الاجتماع والله تعالى أعلم ثم ذكر كيفية موت النفس فقال :

نجرعها أكوس المنون وهى تنادى كيف تقتلون

(قلت) التجرع هو تكلف الشرب يعنى أن المريد إذا أراد الشيخ أن ينقلهم إلى عمل الباطن أمرهم بقتل نفوسهم ليكون ذلك سبباً فى حياة أرواحهم كما قال ابن الفارض الموت فيه حياتى وفى حياتى قتلى نجرعها أى سقوها كرهاً أكوس المنون جمع كأس على وزن افعل والمنون الموت يعنى انهم تجرعوا فى قتل نفوسهم مرارة الموت وذلك بخرق عوائدها وردها عن شهواتها وأعظم العوائد العز والجاه فلا تنتقل إلى الذل والهوان والخمول إلا بعد جهد جهيد وقتل شديد فاذا صار عندها الذل والعز والخمول والظهور سواء فقد تحقق موتها (قال) محمد بن خفيف رضى الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه

على الأشياء فاذا تواضع معها رأى أن نفسه فوق وأفضل مما صنع من التواضع فهذا هو المتكبر لأنه أثبت لنفسه تواضعاً مما تستحقه وهذه الحكمة كأنها بيان وتتميم لما قبلها .

(يحكى) عن أبي الحسن بن الكرنبي أستاذ الجنيد رضي الله عنهما أن رجلا دعاه ثلاث مرات إلى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله داره فى المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لأجبتك قال أبو طالب رضي الله عنه وحدث عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل يأكل فمد يده وقال إن كان ثم شيء لله تعالى فقال اجلس فكل فقال اعطنى فى كفي فأعطاه فى كفه فقعد فى مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال إن حالى مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالى .

(وقال) السهروردى رأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه فى سفره إلى الشام وقد بعث له بعض أبناء الدنيا طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فمدت السفرة وقال للخادم احضر الاسارى مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفاً واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد معهم كالواحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجه ما نزل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه عن التكبر عليهم (وكان) الشيخ الفقيه عبدالرحمن ابن سعيد من الفقهاء والعلماء العاملين بينما هو يوما يمشى فى يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشى على الطريق التى كان عليها قال من رآه رأيت الشيخ قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز فلما قرب منه الكلب ترك مكانه الذى كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشى فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له ياسيدى رأيتك الآن صنعت شيئا استغربته كيف رميت بنفسك فى الطين وتركت الكلب يمشى فى الموضع النقى فقال لى بعد أن عملت

فى أربعة أشياء فى المنع والعطاء والعز والذل (وقال) الشيخ أبو مدين من لم يمت لم ير الحق تعالى (وقال) الشيخ أبو العباس رضي الله عنه لا دخول على الله إلا من بابين إما الفناء الاكبر الذى هو الموت الطبيعى أو بالفناء الأصغر الذى تعنيه هذه الطائفة (وقال) بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت أربع موتات الموت الاحمر وهو مخالفة النفس والموت الاسود وهو احتمال الاذى من الخلق والموت الأبيض وهو الجوع والموت الاخضر وهو لبس المرقعات وفى رواية وهو طرح الرقع بعضها على بعض اه (وقال) الشيخ زروق رضي الله عنه موت النفس لا يكون الا بثلاث عزلها عن مرادها بحيث لا يتحرك ولا يسكن الا بتحقيق نية توافق العلم من غير هوى ثم الاعراض عن كل ما تلتذ به فى عالم الأجسام والطباع والعلوم والأعمال والمعانى والمبانى والحقائق ثم ترك الانسان ما تميل اليه من ذلك أو من غيره ولذلك قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه ولن يصل الولى إلى الله تعالى حتى تنقطع عن نفسه شهوة الوصول يعنى انقطاع أدب واستسلام لا انقطاع ملل كذا قال ابن عطاء الله رحمه الله ومن هذا القبيل دعاء الشيخ أبى محمد عبد السلام بن مشيش حيث قال اللهم انى أعوذ بك من برد الرضى والتسليم كما يستعيذ بك أقوام من حر المعصية والتدبير (ومنه) قول الواسطى رحمه الله استحلاء الطاعة سم قاتل اه (قوله) وهى تنادى الخ نداؤها بلسان حالها القريب من لسان المقال وقد يسمع ذلك الانسان من باطن النفس كأنه حسى مقالى وقد تتمنى الموت الحسى اختيارا فلا تزال كذلك حتى ترتاض وتتهذب وهى علامة موتها والله تعالى أعلم ثم أشار إلى عمل أهل الاستشراف فقال :

فعند ما مالت إلى الزوال ادخل فى غلوة الاعتزال
وقيل قل على الدوام الله واحذر كطرف العين أن تنساه

له طريقا تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لأني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وأنا الآن أخاف من الله ألا يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خير مني اهـ نقله الشيخ ابن عبـــاد رضي الله عنه ثم إن التواضع منه ما يكون بمجاهدة وتصنعاً وهو مجاهدة أهل اليمين من السائرين ومنه ما يكون اختياريا حقيقيا وهو تواضع العارفين لأنه ناشيء عن شهود عظمة المعبود فلا يتخلف إلا في وقت الغفلة وهو قليل وهو الذي أبانه بقوله (التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي صفته) قلت التواضع الحقيقي هو تواضع العارفين لأنه ناشيء عن شهود عظمة الحق وتجلي ذاته وصفاته وهو عطف التفسير لأن تجلي الصفات هو عين عظمة الذات وذلك أن الحق تعالى كان في أزله القديم متصفاً بصفاته ومتسميا بأسمائه في خفاء ولطف لم يعرفه أحد فلما أراد أن يعرف أظهر بقدرته وإرادته عظمة ذاته المقدسة متصفا بصفاته الأزلية فتجلت القدرة لعظمة الذات فشهود عظمة الذات هو شهود تجلي الصفات واليه أشار صاحب العينية بقوله :

فأوصافه والاسم والأثر الذي هو الكون عين الذات جامع

فالتواضع الحقيقي هو الذي ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات فلذلك ترى العارفين يتواضعون مع الحجر والمدر وكل شيء لمعرفتهم في كل شيء. فإن ذو النون المصري رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإن تذوب وتصغر ومن نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لأن النفوس كلها محقورة عند هيبته ومن أشرف التواضع ألا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى اهـ (والحاصل) ان التواضع الحقيقي إنما هو للعارفين لأنهم حين شهدوا عظمة الحق خرجت عنهم أوصاف نفوسهم إذ لا يخرج عن الوصف الا شهود الوصف كما ذكره بقوله (لا يخرجك عن الوصف

(قلت) ميل النفس إلى الزوال هو إعطاؤها الطوع من نفسها بحيث يتصرف فيها صاحبها بلا نزاع منها فهي حينئذ قريبة للموت مستشرفة على الزوال فعند ذلك يدخله الخلوة أي يأمره بها ويحضه على ذكر الاسم المفرد حتى لا يفتر عنه ساعة (قلت) وهذا التدريج الذي ذكره الناظم ليس بلازم لكل الشيوخ ولا لكل المريدين أن يسلكوه بل من الشيوخ من يلقن الاسم من أول مرة إذا رأى الفقير أهلا له ويأمره بقتل نفسه مع ذكر ربه بحيث يجعل له وقتا يذكر فيه ربه ووقتاً يقتل فيه نفسه وهذا الذي أدركنا عليه أشياخنا يأمر الفقير بالخلوة في أول النهار إلى وقت العصر ثم يخرج إلى السوق ويعمل من الأحوال الصافية ما تموت به نفسه فيكمل فناؤه في الاسم مع موت نفسه فيقرب وقت فتحه ومن المريدين من لا يحتاج إلى خلوة بل يأمره بالخلطة من أول مرة والناس معادن وطبائع والعلل متفاوتة والفتح من الله من غير توقف على الأسباب إلا أن الحكمة جارية مع القدرة والله تعالى أعلم (قال) الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة فلما علم الله صدق نيتي قيض لي ولياً من أوليائه قال لي يا بني اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده واخل بنفسك واجمع همتك (وقل الله الله الله) ولا تزد على ما فرض الله عليك شيئا الا الرواتب وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك واحضر قلبك واجمع خاطرك ومهما قالت نفسك ما معنى هذا فقل لها لست مطلوبا بمعناه وإنما قال تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) ثم ذكر ما يفعل في حال خلوته مع الذكر فقال

ووكل الشيخ به خديما يلقى اليه القول والتعليما

وقيل إن تكتم من الأحوال شيئا سلكت سبل الضلال

إلى شهود الوصف) فلا يخرجك عن أوصاف نفسك الذميمة الا شهود أوصاف ربك العظيمة فلا يخرجك عن دناءة نفسك الا شهود كرم ربك فلا يخرجك عن شهود أوصافك الحادثة الا شهود أوصاف ربك القديمة فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله وعن شهود صفاتك بشهود صفاته وعن شهود ذاتك بشهود ذاته (وقد سئل) شيخ أشياخنا القطب ابن مشيش عن حقيقة المحبة سأله تلميذه أبو الحسن رضى الله عنهما فقال المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس الجلال والشراب مزج الأصاف بالأوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال الخ فما دام العبد لم يشاهد أوصاف ربه العظيمة لا يمكنه أن يخرج عن أوصاف نفسه اللئيمة خروجاً كلياً وانما يكون ذلك بمجاهدة تارة له وتارة عليه بين طلوع ونزول بخلاف ما اذا شاهد أوصاف ربه فانه يغيب عن نفسه قد تولاه محبوبه فكان سمعه وبصره ويده ورجله مؤيدا له فلا يتصرف الا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانشدوا

اذا حزت الفجار فلا تبال ... بنقص فى الجبلة أو كمال
فما التأنيث فى اسم الشمس نقص ... ولا التذكير فخر للهلال

يشير الى انه إذا تحقق الفناء فى الذات والبقاء بالله فلا نقص للنفس ولا كمال وانما الكمال للكبير المتعال فله الحمد والثناء على كل حال قال الشيخ رضى الله عنه (المؤمن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا) قلت النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى تذكر ولا فعل حتى تشكر فليس للعارف عن نفسه أخبار حتى يخبر عنها بفعل شيء فضلا عن أن يشكر لها وصفاً قد استغرقه شهود فعل الحق عن فعله وشهود وصف الحق عن شهود وصفه وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته فيشغله الثناء على الالتفات الى ما سواه إذ

فليس عند القوم باللبيب ... من لم يصف شكواه للطبيب

(قلت) أما توكيل الشيخ بالفقير الخديم فلعله كان فى الزمان القديم فكان الشيخ اذا أتى اليه الفقير وعلمه ما يلزمه فى حال نفسه أدخله الخلوة وأمره بالذكر ووكل به الخديم يلقى اليه القول الذى يأمره به الشيخ من الاذكار التى تليق به ويعلمه ما يحتاج اليه فى سيره ويشترط فى الخديم أن يكون أعلى منه علما وحالا وذوقاً (قلت) وهذه الكيفية قد انقطعت اليوم ولعلها هى التى قصد الشيخ الحضرمى نعم بقى اليوم عوض الخديم تذكير الفقراء بعضهم بعضاً فيأمر الشيخ من يراه أهلا للتذكير فيدور على الفقراء أينما كانوا يذكرهم وينبههم ويزيد بهم الى الله كما يزيدون به ولذلك كانت السياحة للفقير فى بدايته أمرا كبيرا وزيارة الشيوخ سبب فى التمكين والرسوخ فهذه الحالة اليوم أغنت عن الخديم والخلوة ولا ينبغى للفقير أن يكتم شيئاً من أحوال عن الشيخ قلت أو جلت لان الشيء اليسير يورث الشيء الكثير فليس باللبيب من لم يصف داءه للطبيب فان تعذر عليه الوصول الى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكو له فانه يبرأ منه باذن الله وان كان مع جماعة واستحيا فليشتك اليه فى قلبه وان كتب ذلك فهو حسن والله تعالى أعلم ثم ذكر نتائج الذكر ونهايته فقال

فلم يزل مستعملا للذكر ... فيصمت اللسان وهو يجرى
وقد ماتجوهر اللسان ... بالاسم يستثبته الجنان
ثم جرى معناه فى الفؤاد ... جرى الغذا فى جملة الاجساد
فعندها حاذى مرات القلب ... لوح الغيوب وهو غير محب

لا يشهد فى الكون إلا إياه وتشغلة حقوق الحق عن الالتفات الى حظوظ النفس إذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى إلا حقوق العالم الأسنى فتنقلب الحظوظ فى حقه حقوقاً لانهم اذا نزلوا من عش الحضرة الى أرض الحظوظ نزلوا بالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين نزلوا بالله ومن الله والى الله فليس لهم نظر إلى سواه قد تخلصت أرواحهم من طلب الحظوظ معجلة أو مؤجلة نفسانية أو روحانية إن صدر منهم عمل رأوه منه من الله فيستحيون ان يطلبوا عليه عوضاً أو غرضاً كما أبان ذلك بقوله (ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضاً ويطلب منه غرضا) قلت لا شك أن المحبة التى تكون على الحروف والحظوظ ليست بمحبة وانما هى مصانعة لقضاء الحاجة فمن أحب أحدا ليعطيه أو ليدفع عنه فانما أحب نفسه إذ لو لا غرض نفسه فيه ما أحبه قال أبو محمد رويم رضى الله عنه من أحب العوض نغص العوض اليه محبوبه وأيضا فطالب العوض انما هو بائع يريد ان يعطى لينال والمحب مقتول فى محبة سيده لا يعرج على سواه مرضاته وفى معنى ذلك قيل :

بنى الحب على الجور فلو انصف المحبوب فيه لسمح
ليس يستحسن فى حكم الهوى عاشق يطلب تأليف الجمح

ومما لا يستحسن ايضاً فى حكم المحبة والهوى اظهار الحزن أو الكآبة من أجل الجفاء من المحبوب أو الشكوى بذلك بل الواجب هو التجلد والتصبر على جفاء المحبوب حتى يظفر بالمطلوب وفى ذلك قيل :

ان شكوت الهوى فما أنت منا احمل الصد والجفا يامعنا
تدعى مذهب الهوى ثم تشكو أى دعواك فى الهوى قل لى أينا
لو وجدناك صابرا لهوانا لأعطيناك كل ما تمنا

فادرك المعلوم والمجهولا حيث اقضى لتركها قبولا

(قلت) فاذا دخل الفقير الخلوة فينبغى أن يستعمل معها العزلة وهى عزلة القلب فالخلوة للاشباح والعزلة للقلوب فلابد فيها من التفرغ الكلى والا لم ينتفع بها (و) فى الحكم ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة فالمقصود من الخلوة هو دواء القلب ولا يشفى القلب الا اذ تفرغ من الاخلاط الردية فان القلب كالمعدة كلما كثر عليه الاخلاط مرض وهى الخواطر والشواغب فاذا تفرغ القلب نفعه الذكر والا فلا ثم لا يزال مستعملا للذكر لهجابه حتى يصمت اللسان ويبقى الجنان ذاكرا وينبغى أن يستثبت الجنان ما يذكره اللسان فان ذكر اللسان بلا جنان قليل النهوض إلى حضرة العيان ثم لا يزال يذكر بلسانه ويستثبته بجنانه حتى يجرى معناه فى فؤاده ويتمكن نوره فى قلبه ثم يجرى ذلك فى جميع أعضائه كما يجرى الدم فى سائر جسده وكما يجرى الماء فى الاغصان الرطبة فيكون البدن كله يتحرك بذكر الله (ولقد) سمعت شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول بقيت أربع سنين نذكر الاسم المفرد حتى كان البدن كله يتحرك بالذكر فكنت إذا وضعت يدى على فخذى لنسكنه تحرك الفخذ الآخر واذا وضعت يدى على الفخذ الآخر تحرك الفخذ الآخر اه (فاذا) صفت مرآة القلب وتجوهرت فعند ذلك يحاذيها لوائح الغيوب وهى أنوار المواجهة تقدمة لانوار المشاهدة لان المشاهدة تكون لوائح ثم طوالع ثم تشرق شمس العرفان فما لها غروب عن العيان فعند ذلك يكاشف بحقائق الاشياء فيدرك سر كل موجود ويعلم حقيقة كل معلوم وكل مجهول يعنى ما كان مجهولا صار عنده معلوما وما كان معلوما أدرك سره وحكمته وهنا يطلع على سر المتشابهات وحقائق المشكلات فتتسع عليه دائرة العلوم وتخرق له مخازن الفهوم ويخرج الى فضاء الشهود

(وقال آخر)

الحب ديني فلا أبغي به بدلا والحسن ملك مطاع جار أم عدلا
والنفس عزت ولكن فيك أبذلها والذل مر ولكن في رضاك حلا
يا من عذابي عذب في محبته لا أشتكي منك لا صدا ولا مللا

وان شئت قلت المحبة هي أخذ الرب بقلب العبد بحيث لا يلتفت إلى غيره أو أخذ جمال المحبوب بمحبة القلب حتى لا يجد مساغا للالتفات لسوى المحبوب فتى وقع الالتفات نقص الحب على قدره قال بعض الناس لامرأة انى أحبك فقالت وكيف خلاك من هو خير مني فالتفت فقالت قبحك الله من محب تدعى المحبة وتلتفت للغير وكذلك العبد إذا ادعى محبة سيده ثم أحب شيئا أو استحسن شيئا من السوى أو اشتكى شيئا أو خاف شيئا سوى محبوبه فهو ناقص المحبة أو مدعيها ومن ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ثم علل الشيخ كون المحبة على العوض مدخولة فقال (فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له) فان المحب في الشيء هو الذي يبذل نفسه فيه وفلسه ويزهد في جنسه من أجله ولا يصح ذلك على التمام إلا في جانب الذي أسبغ عليك سوابغ الإنعام أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بالامداد وأعطاك كل ما تريد وملكك الكون كله تتصرف فيه كما تريد قال تعالى (وآتاكم من كل ما سألتموه) وقال (خلق لكم ما في الأرض جميعا) فهذا سبب محبة العوام وأما محبة الخواص فهي ناشئة عن شهود جماله وبهائه فغابوا في شهود جماله وتاهوا في حضرة بهائه وأنشدوا:

يا ساقي القوم من شذاه الكل لما سقيت تاهوا
غابوا وبالسكر فيك طابوا وصرحوا بالهوى وفاهوا

فهؤلاء باعوا أرواحهم في طلب مولاهم ثم استقلوا ما باعوا واستحيوا مما بذلوا لقلة ما أعطوا في جانب ما طلبوا وفي ذلك

ويصير حاكما بسره على الوجود فلا تقله أرض ولا تظله سماء قد فتحت له ميادين الغيوب وتطهر من جميع المساوي والعيوب (فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (فقوله) فيصمت اللسان وهو يجري يعني انه ينطبع الذكر في القلب انطباعا كليا حتى يجري الذكر على القلب ولو سكت اللسان وهذا هو المقصود من الذكر وقوله وقدر ما تجوهر الخ يحتمل أن يكون انشاء ومعناه الأمر باستثبات القلب عند ذكر اللسان أي وبستثبت الجنان ما ذكر اللسان فيكون بقدر ما تجوهر اللسان يستثبته ويحتمل أن يكون أخبارا ومعناه وبقدر ما يتجوهر اللسان بالذكر يدخل في القلب فيستثبته فيكون فيه الحض على ذكر اللسان لعله يدخل الجنان والاحتمال الأول فيه الحض على الحضور عند ذكر اللسان وهو أولى لأن ذكر اللسان إذا لم تصحبه مجاهدة لا يفضي إلى القلب ولو كثر (وقوله) ثم جرى معناه في الفؤاد يعني أنه ينصبغ القلب بمعنى الذكر حتى لا ينفك عنه وهي الطمأنينة بذكر الله (وقوله) فعندما حاذى مرآة القلب أي فعند انصباغ القلب بالذكر وطمأنينته به يحاذي مرآة قلبه الصافية المجلوة أنوار الغيوب وهو الذي أراد بقوله لوح الغيوب وتسمى اللوائح وانما قصره للوزن فاذا اطلعت له لوائح الغيوب ظهر ما كان محتبئا أي خفيا من أنوار الشهود فانطوى عند ذلك وجود كل موجود وفي ذلك يقول الششتري:

لقد تجلى ما كان مخفي والكون كل طويت طي
مني على دارت كؤوسي من بعد موتي تراني حي

وفي بعض النسخ فعند ما حاذى أمير القلب أي وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي فعند جرى الذكر في الفؤاد حاذى القلب الذي هو سلطان الجسد لوائح الغيوب وفي بعض النسخ بلفظ ما المصدرية بعد عند والعامل في الظرف

يقول سلطان العشاق ابن الفارض رضى الله عنه :

لو أن روحى فى يدى ووهبتها لمبشرى بقدومكم لم أنصف
مالى سوى روحى وباذل روحه فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتنى يا خيبة المسعى إذا لم تسعف

قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كاك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منه شىء وقال أبو يعقوب السوسى حقيقة المحبة أن ينسى حظه من الله وينسى حوائجه إليه (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقيل أول ما يقول الله للعبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد إلا أنت قال له من دخل فى هذا معى فانما يدخل باسقاط الحظوظ ورفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب له العدم وفى معنى ذلك قيل :

من لم يكن بك فانياً عن حظه وعن الغنا والانس بالاحباب
فلأنه بين المنازل واقف لمنال حظ أو لحسن مآب

وبالجملة فأمر المحبة كبير وبحرها خطير وفى ذلك قالوا ما خاضوا بحر الرباح حتى خاضوا بحر الخسارة لاتنال إلا بذبح النفوس وترك الفلوس :

ان ترد وصلنا فموتك شرط لا ينال الوصال من فضله

فما تحقق سير السائرين ورحيلهم إلى المحبوب إلا بمحاربة النفوس ومجاهدتها وقتلها كما أبان ذلك بقوله (لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين) قلت الميادين جمع ميدان بكسر الميم وبفتحها وبه صدر فى القاموس وهو مجال الخيل ثم

فادرك أى فادرك عند محاذاة لوح الغيوب سلطان القلب المعلوم والمجهول (وقوله) فادرك المعلوم والمجهول يعنى أنه لما طلعت عليه شمس المعارف أدرك سر ما كان مجهولا حيث عرف سر وجوده وغاب عن شهود وجوده بشهوده معبوده (وقوله) حيث اقتنى لدركه قبولا يعنى أنه لا يدرك سر المعلومات والمجهولات إلا إذا اقتنى أى ادخر لذلك قوة باستعداده لذلك وهو الفرغ التام فبقدر تفرغه من الأشياء يكشف له عن حقائق الأشياء فبقدر ما تغيب عن الأكوان يكشف لك عن شهود المكون أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الأكوان معك ومحال أن ترتبط مع الأكوان وتطلع على أسرار مكونها فيها والله تعالى أعلم ثم ذكر مخاطبات الحق له على ألسنة الهواتف فقال :

حتى إذا جاء بطور القلب خوطب إذ ذاك بكل خطب
فقيل لو عرفتنى بكونى قيل اذن فاخلع نعال الكون

(قلت) إذا وصل النور من ناحية المذكور إلى جبل الطور وهو قلبك المستور بحجاب هيبة المذكور رفع عنه الستور وخاطبه حينئذ بكل أمر جليل وسر جميل فلا تعلم نفس ما خصص به من المساواة والمصافاة والمكالمة والمناجاة فيناديه لسان الملكوت مترجما عن عالم الجبروت يا أيها العبد الشائق إلى حضرتى لتعاين سر قدرتى هلا عرفتنى بكونى وقنعت بذلك منى فيقول العبد المشتاق إلى حضرة التلاق لا أريد إلا وجهك الكريم ومشاهدة سرك العظيم فيقول له الحق جل جلاله ان أردت هذا الخطب الجسيم والأمر العظيم فاخلع عنك نعال الكونين وتخط بقدم همتك نعيم الدارين فإذا خلعت عنك الحظوظ والهوى فأنت بالوادى المقدس طوى وأنشدوا :

استعير هنا لمحاربة النفوس ومجاهدتها فهى تارة تكر عليه فتظفر به وتارة يكر عليها فيظفر بها وفى هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

سايس من النفس جهدك وصبح ومس عليها
لعلها تدخل بيدك فتعود تصطاد بها

فقد بين رضى الله عنه كيفية مجاهدتها وعلمك الحيلة فى أخذها وذلك أن تدخل معها شيئا فشيئا فتعلمها الصمت وحده ثم العزلة ثم تقدمها للخراب شيئا فشيئا تقدمها للقليل فإذا استأنست به زدتها شيئا آخر وهكذا فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ولا يعلمها البطالة فورده من العمل الذى تموت به لا يتركه وقد كنت فى حالة المجاهدة إذا هممت بترك وردى من السؤال وقد سمعت مرارا متعددة حين نستعمل خرابا زد على يدك وتارة يقول زد صف سبيكتك وتارة نسمع باعساس حين يسرقنى شىء من الحس وهكذا وكانت مجاهدتى لنفسى كلها سياسة لم أحملها من المرة الأولى إلا ما تطيقه حتى تستأنس به ثم نزيدها حتى كنت نفعل بها ما نشاء قال بعض العارفين اه سير الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فان ظفروا بها وصلوا وما ذكرته من السياسة للنفس والاحتيال عليها هو الصواب قال فى المباحث :

واحتل على النفس بقرب حيله انفع فى النصر من قبيله

وأما ان حملها من أول مرة مالا تطيقه فانها تسقط وتمل وربما ترجع بالكلية قال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال لا يكن أحدكم كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى والمنبت هو المنقطع وحاصل ما ذكره الشيخ فى هذه الحكمة ان الناس على قسمين قسم لا سير لهم إذ لا توجه لهم إلى الله فهم واقفون مع ظاهر الشريعة

واخلع النعلين ان جئت إلى ذلك الحى فيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعا وأزل ما بيننا من بيننا
وإذا قيل لمن تهوى فقل أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فهذه مسايرة كلام الناظم ولنرجع إلى تفسير ألفاظه فنقول حتى إذا جاء ذلك اللائح الذى عبر عنه بلوح الغيوب وهو النور الذى أنتجه الذكر حاذى مرآة القلب أى وصل لطور القلب الذى هو محل المناجاة ومعدن المصافاة فهو كجبل الطور الذى وقعت عليه مناجاة الكليم عليه السلام فاذا وصل إليه ذلك النور ورفعت عنه الحجب والستور خوطب إذ ذاك أى حين وصل النور إلى القلب بكل خطب له أمر جليل وهذه المخاطبات تكون هواتف من ناحية القلب فيجب تصديقها حيث انقطعت الخواطر الردية عنه وتكون أيضا مخاطبات على ألسنة الهواتف الكونية فيسمع العارف منها كل ما يحتاج إليه وهذا أمر مجرب لمن ذاق الفهم وفى ذلك يقول الششترى :

أنا بالله انطق ومن الله أسمع

وقال أيضا : اسمع كلامى وافهم ، ان كنت تفهم ، لأن كنزك قد عرى ، عن كل طلسم ، من هو المكلم الكليم عن طور الافهام والحاصل أن هذه الخطابات الهواتفية والكونية لا تكون إلا لمن صفت مرآة قلبه من الإغيار ولم يشاهد إلا الأنوار والأسرار فحينئذ يخاطب من كل ناحية ويسمع التأييدات من كل جانب (ولقد) كنا فى بعض أسفارنا لا نسافر من موضع إلا بإذن من الله ولا نقيم إلا كذلك وما ذلك إلا ببركة صحبة العارفين بالله (وقوله) فقيل لو عرفتنى بكونى يعنى ان السالك إذا أشرقت عليه لوائح الوصول وهب عليه نسيم القبول وجد فى طلب بلوغ المأمول يقول له الحق تعالى اختبار الصدقة يا عبدى

كلما أباحته الشريعة أخذوه كان ثقيلا على النفس أو خفيفاً بل لا يأخذون إلا الخفيف لأنهم يقصدون رخص الشريعة وتسهيلها بما يوافق هواهم فلم يغيروا من عوائدهم وشهواتهم شيئاً فعزهم وافر وجاههم باق ودنياهم فى الزيادة وهؤلاء عوام المسلمين وقسم شاقت نفوسهم إلى حضرة الملك وغلبهم الشوق فتوجهوا إلى حضرته واشتغلوا بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها فكل ما يثقل عليها أدخلوها فيه وهى تموت وكل ما يخف عليها جنبوها منه وهى تبكى هكذا يدومون عليها حتى ترتاض وتلين وحينئذ تطاوعهم فيما يريدون فأول ما يجاهد المريد فى ترك الدنيا أو التخفيف حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه ثم فى ترك الناس والفرار منهم يتنكر لمن يعرف ولا يتعرف لمن يعرف ثم إسقاط المنزلة والجاه حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ثم فى الذل والانكسار قلباً وقالباً بالمشى بالحفا وتعريفه الرأس وغير ذلك فاذا تحققت بالذل والتواضع والخمول والفقر وسكنت فى ذلك واستحلته فقد تمكن منها وملكها بل ملك الكون كله

و نفسك تحوى بالحقيقة كلها   أشرت بجد القول ما أنا خادع

فكل من ملك نفسه فقد ملك الوجود بأسره فلولا مجاهدة النفوس ومحاربتها فى هذه الميادين ماتحقق سير السائرين إذ لا يتحقق السائر من القاعد إلا بمخالفة الهوى وخرق العوائد فمن خرق عوائد نفسه حتى استوى عنده العز والذل والفقر والغنى وغير ذلك من مكروهات النفوس فقد تحقق سيره ووصوله ومن لم يقدر على تغيير شعرة من نفسه فلا سير له ولا وصول قال أبو عثمان الحيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء فى المنع والعطاء والعز والذل يعنى أنه يكون عنده الذل كالعز والمنع كالعطاء لا ينتقص منها وقال محمد بن خفيف رضى الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطست طول الليل قال فغفوت مرة فقال لى نمت لعنك الله فقيل له كيف

هلا قنعت بمعرفة الدليل فتعرفنى بنظرك لكونى فيقول العبد يارب لاأريد إلا معرفة ذاتك فاذا قال له ذلك يقول له الحق جل جلاله ان أردت ذلك فاخلع عنك نعلى الكونين وتحقق بالزهد فى الدارين تحصل لك منا قرة العين (قال) بعض العارفين قيل أول مايقول الله للعبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد إلا انت قال له من دخل هذا معى فانما يدخل بإسقاط الحظوظ ورفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب لك العدم وأنشدوا :

من لم يكن فيك فانيا عن حظه   وعن الغنا والأنس بالأحباب
فلأنه بين المنازل واقف   لمنال حظ أو لحسن مآب

والله تعالى أعلم ثم ذكر ثمرة الزهد وخلع النعل فقال :

ثم فنى عن رؤية العوالم   ولم يرى فى الكون غير العالم
ثم انتهى لفلك الحقيقة   فقيل هذا غاية الطريقة

(قلت) إذا تحقق زهد المريد فى الكونين وغاب عن حظه فى الدارين أشرق عليه نور الايقان فغطى وجود الأكوان فما حجب العباد عن الله إلا تعلق القلب بالحظوظ والعمل على الحروف فلو تحرروا من رق الحظوظ وظلوا على نعت العبودية والقيام بوظائف الربوبية لأشرقت عليهم الأنوار وغابوا عن شهود الآثار فتعلق القلب بالحظوظ النفسانية يمنع من مقام المراقبة وتعلقه بالحروف الروحانية يمنع من مقام المشاهدة فالحروف الظلمانية تمنع القرب القريب والحروف الروحانية تمنع شهود الحبيب فالحروف الظلمانية هى الشهوات الحسية والحروف الروحانية هى الشهوات المعنوية كطلب

وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله (وحكى) عن إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه أنه قال ما سررت فى الإسلام إلا ثلاث مرات معدودات كنت فى مركب يوما وكان به رجل يحكى الحكايات فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا فى معركة الترك علجا ويقول هكذا وكان يأخذ بلحيتى ويمد يده على حلقى والناس يضحكون منه ولم يكن فى ذلك المركب عنده أحد أصغر منى ولا أحقر فسررت بذلك ويوما آخر كنت جالسا فجاء إنسان فصافعنى ويوما آخر كنت جالسا فجاء إنسان وبال على وقال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله فى كل نفس من غير اختيار حالة يكون عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات فى نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل إلى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر :

لك الدهر طوعا والأنام عبيد فعش كل يوم من أيامك عيد

وكما قال سيدى أبو العباس بن العريف رضى الله عنه فى هذا المعنى :

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها وزال عن القلب المعنى غرامه

فان لم يجد المريد هذه العلامات فليستمر على سيره ولا يمل ولا يفتر فمن عرف ماقصد هان عليه ماترك وهذا الكلام إنما هو مع من أسعده الله فوصله إلى شيخ التربية وأما من لم يصل إليه فلا يطمع فى السير أبدا ولو جمع العلوم كلها وصحب

الخصوصية والكرامة والمعرفة فلا تدرك المقامات إلا بالزهد فيها (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ولن يصل الولى إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته وتقدم قول الشيخ أبى العباس رضى الله عنه لن يصل الولى إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول أى حتى يزهد فيه أدبا واكتفاء بعلم الله (واعلم) ان هذه الحظوظ القاطعة عن الله هى التى يسميها شعراء الصوفية فى تعزلاتهم عواذل ورقباء كما قال الششترى رضى الله عنه :

يا أخى افن تشهد كل سر عجيب وتجول فى المشاهد حين قرب الحبيب
حيث لا ثم حاسد أو عذول أو رقيب

(قوله) ثم فنى عن رؤية العوالم أى ثم بعد تحقيق الخلع عن الكونين يفنى عن رؤية العوالم حين تتلطف وتصير معانى أو تقول حين تنقلب أنوار ملكوتية بعد أن كانت ظلمات ملكية فاذا غابت العوالم بقى الخبير العالم أو تقول فاذا غابت الأوانى بقيت المعانى أو تقول فاذا غاب الكون وفى ذلك يقول الششترى رضى الله عنه :

جمع العوالم رفعت عنى وضوء قلبى قد استفاق
ترانى غائبا عن كل أين كاس المعانى حلو المذاق

(وقوله) ثم انتهى لفلك الحقيقة هو مرتب على ما قبله فمهما غاب عن العوالم انتهى لفلك الحقيقة والحقيقة هى شهود العظمة بالعظمة أو شهود حق بحق وتقدم قريبا تفسيرها أيضا بتفسير آخر وفلكها أنوارها المحيطة بالاكوان المغيبة لها (قال) فى الحكم محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الأنوار وفلك الحقيقة هو عالم الجبروت الأصلى فاذا

الطوائف كلها وهذا أمر ذوقى لا أقلدفيه أحداً فقد صلينا كثيراً وصمنا كثير واعتزلنا كثيراً وذكرنا كثيراً وقرأنا القرآن كثيراً والله ماعرفنا قلوبنا ولا ذقنا حلاوة المعانى حتى صحبنا الرجال أهل المعانى فأخرجونا من التعب إلى الراحة ومن التخليط إلى الصفا ومن الانكار إلى المعرفة (فإن قلت) قدقال الحضرمى قد انقطعت التربية ومابقى إلا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة (قلت) لم يقصد الحضرمى انقطاعها على الأبد وحاشا الحضرمى أن يتحكم على الله ويعجز قدرة الله وإنما أراد أن فى زمانه مدعين كثير بن لحذر أهل زمانه منهم ومعرفة الحضرمى وزروق رضى الله عنهما تنافى هذا القصد وعلى تقدير صدورها منهما فليسا بمعصومين فكل كلام يرد ويقبل إلا كلام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم (قد) وجد بعد الحضرمى رجال كانوا من أهل التربية النبوية بالحال والمقال والهمة لا يمكن عدهم وهم موجودون فى زماننا هذا مشهورون كنار على علم قد هدى الله على أيديهم خلقاً كثيراً وخرج على أيديهم من الأولياء مالايعلمهم إلا من من عليهم بمعرفتهم قال فى لطائف المنن إنما يكون الاقتداء بولى دلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته وعرفك وجود خصوصيته فألقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك ودفائنها وكائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار عما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل إلى الله يوقفك على إساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك فتفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على مر الساعات بين يديه قال فان قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتنى على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لايعوزك وجدان الدالين وإنما يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم جد صدقاً تجد مرشدا وتجد ذلك فى كتاب الله قال تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وقال (فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم) (فلو اضطررت إلى من يوصلك

انتهى المريد إلى ذلك وتمكن فيه فقد انتهى سيره وذلك غاية الطريق إلى عين التحقيق قال تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) وبالله التوفيق ثم ذكر مقام الشهود فقال:

ثم امتحى فى غيبة الشهود　　فأطلق القول أنا معبودى
حتى إذا رد عليه منه　　اثبت فرقاً حيث لم يكنه

(قلت) العبد فى حال غفلته يكون مبتلى برؤية نفسه واقفاً مع شهود حسه مسجوناً بمحيطاته محصورا فى هيكل ذاته فاذا أراد الله تعالى أن يرفع عنه الحجاب ويدخله فى حضرة الأحباب ألقاه إلى ولى من أوليائه وعرفه سر خصوصيته واصطفائه فلا يزال يسير به ويداويه ويخرق عليه عوائد نفسه، ويغيبه عنها ويزهده فى فلسه وجنسه فاذا رآه الشيخ قدرق فى حقه الحجاب، واستحق الانخراط فى سلك الأحباب. فتح له الباب وقال له هاأنت وربك فاذازج فى حضرة النور ورفعت عنه الستور أنكر الوجود بأسره وأنكر وجود نفسه فامتحق وجوده فى وجود محبوبه، وانطوى شهوده فى شهود معبوده، فأنشأ يقول أنا من أهوى ومن أهوى أنا. أنا المحب والحبيب، ليس ثم ثانى فاذا تمكن فى الشهود وتحقق برؤية نور الملك المعبود، رد عليه صحوه، ورجع اليه سلوكه. فأثبت فرقاً فى عين الجمع قياماً بوظائف الحكمة فى عين شهود القدرة فيكون الجمع فى باطنه مشهودا والفرق على ظاهره موجوداً فرقا لفظيا لا حقيقياً أدباً مع الربوبية وقياماً بوظائف العبودية فلا تبتهج رياض الملكوت الابزهر جمال الشريعة المحمدية (وقد قلت) فى قصيدة سايرت بها تصلية ابن مشيش رضى الله عنه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم:

رياض بساتين المعارف بهجت　　بزهر جمال من شريعة أحمد

إلى الله اضطرار الظمآن إلى الماء والخائف إلى الامن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذ فقدته لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك اه (قال الشيخ) ابن عباد رضى الله عنه وفى كلامه تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد إذا صدق فى إرادته وبذل جهده فى مناصحة مولاه لا على ما يزعمه من لا علم عنده من كونه لا يشترط ثم قال وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الأدب معه لما أشهده من على مرتبته ورفع درجته اه (وقال أيضاً) فى لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك من سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقالة إنما شيخك من نهض بك حاله شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه ولازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك فى نور الحضرة وقال ها أنت وربك اه والسير هنا إلى الله تعالى مجازى عبارة عن قطع العلائق والعوائق وإلا فالأمر كما قال الشيخ (لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) قلت هذا سؤال عن بحث مقدر كأن قائلا قال له هل بيننا وبينه مسافة حتى يتحقق سير السائرين إليه فقال لا مسافة بينك وبينه إلا حجاب النفس الكثيفة وعلائق القلب الكونية فخرق عوائدها وقطع شهواتها وقطع العلائق والعوائق هو السير إلى الله فمن خرق عوائد نفسه زالت عنه الحجب الظلمانية ومن قطع علائق القلب فاضت عليه العلوم الربانية وأشرقت عليه الشموس العرفانية وهذا هو الوصول فلا مسافة بينك وبينه حسية حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه أى لا حاجز بينك وبينه حتى

كذاك بحار الجود تدفقت بأنواره فى كل غيب ومشهد

(قوله) ثم انمحى فى غيبة الشهود أى انمحى وجوده فى وجود الحق (قال فى الحكم) الاكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته وقال أيضاً فى الكلام على الاشارة بل العارف من الاشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده (وقوله) فأطلق القول أنا معبودى اطلاق هذا القول لا يسلم له إلا فى حالة القوة والجذب وإلا فقد علمت ما وقع للحلاج وهو ولى الله حقاً وفى معنى ذلك قيل :

ومن شهد الحقيقة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتدانى

(وقال آخر)

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

(قال ابن خلدون) قتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن أهل الشريعة وأهل الحقيقة لأنه باح بالسر فوجبت عقوبته اه ومن أفتى بقتله الجنيد والشبلى غيرة على السر أن يفشى لغير اهله فالواجب كتم الأسرار وإظهار شريعة النبى المختار ولله در الششترى حيث يقول :

شق ثوب الوهم شقه ترتفع عنك المشقه
ان منك اليوم شىء فافن عن ذلك ترقى

فإذا حققت ذاتك ، وانتهى بادى صفاتك ، قف على طور سيناتك ، واجعل الوجد حياتك ، وافن به حتى تكن اياك أن تقول انا ، واحذر أن تكون سواه (وقوله) حتى إذا رد عليه منه هو على حذف المضاف أى حتى إذا رد عليه من

تمحوها وصلتك قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) فاحال بيننا وبينه إلا توهم وجود نفوسنا فلو غبنا عنها لوجدنا أنفسنا فى الحضرة ولا يمكن الغيبة عنها إلا بموتها وموتها فى مخالفة عوائدها (قال الشيخ) أبو مدين من لم يمت لم ير الحق وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه لادخول على الله إلا من بابين إما بالفناء الأكبر الذى هو الموت الطبيعى أو بالفناء الأصغر الذى تعنيه هذه الطائفة وقال بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت أربع موتات الموت الأحمر وهو مخالفة النفس والموت الأسود وهو احتمال الأذى من الخلق والموت الأبيض وهو الجوع والموت الأخضر وهو لبس المرقعات قال الشطيبى رضى الله عنه واعلم أن طريق الحق تعالى ليس فيها مفازة ولا متاهة بل هى منازل وأحوال قد جعل الله لجميعها أعواناً وأنصاراً وهو سبحانه يصدق وعده وينصر عبده ويهزم الاحزاب وحده وإنما المفاوز والمسافات فى الركون إلى المألوفات واتباع العادات وفى مسامحة النفس والوقوف مع الحس والحدس وعند كشف الغطاء يتبين ذلك كما قال صاحب المباحث الأصلية :

وإنما القوم مسافرون   لحضرة الحق وظاعنون
فافتقروا فيها إلى دليل   ذى بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد   ليخبر القوم بما استفاد

إلى آخر كلامه اه وقال أيضاً ومن الناس من تحجبه المجاهدة عن المشاهدة فتسطوا عليه الأحوال فتحول بينه وبين الغاية القصوى ومناهج الخلق متفاوتة لا تجرى على منهاج واحد قال الله العظيم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات) وكل شخص إنما يعبر عن وجهته التى خصه بها ولذلك كان النظر فى الكتب يضعف

شهود نفسه أى بربه فحينئذ أثبت فرقاً لتظهر العبودية فى مظهر الربوبية شبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى مظاهر العبودية فربوبية بلا عبودية نقص وعبودية بلا ربوبية محال وبهذا الفرق ثبت التكليف .

(قال) شيخ شيوخنا سيدى العمرانى رضى الله عنه فى كتابه اعلم أن الكلف صفة من أوصاف الفرق وعدم الكلف صفة من أوصاف الجمع والفرق عبودية وهو حق والجمع ربوبية وهو حق أيضاً صار الحق هو القائل وهو المستمع لما قال لأجل هذا المعنى تجد هؤلاء المتوجهين إلى الله تعالى من غلب عليه شهود الجمع تجده فى غاية البسط والراحة من الكلف ومن غلب عليه شهود الفرق تجده فى غاية القبض والتعب والكلف ويرحم الله القائل :

الرب حق والعبد حق   يا ليت شعرى من المكلف
ان قيل عبد فالعبد ميت   أو قيل رب أنى يكلف

(وقد أجابه) سيدى عبد الرحمن الفاسى نفعنا الله بالجميع بقوله :

نعم بحق اثبات عبد   بنعت فرق به يكلف
والعبد ميت بغير رب   لسر عون منه يكلف

(وقوله) أدرك فرقاً حيث لم يكن ومعناه أى ادرك فرقاً حيث لم يكن فرق وإنما أثبته الحكمة فوجب اثباته بالله فالشريعة أدب منه إليه والطريقة سير منه إليه والحقيقة وصول منه إليه وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه (سمع) بعض العارفين هاتف الحق يقول أنا الله سبحانى ما أعظم شانى ظهرت لخفائها صفاتى وخفيت لظهورها ذاتى نشهدت صفاتى بوحدانية ذاتى

المسالك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم لاسيا من جبلت طبيعته على علم الظاهر فانه أبعد الناس عن الطريق مالم يداركه الله بفتح منه لأن التشريع كل حكمة تحتها حكم من لم يفهمها فبستانه مزهر غير مثمر ومن هنا وقع الانكار حتى امتحن الله كثيراً من الصوفية على أيدى علماء الظاهر عندما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال وسر الخصوصية يقتضى ذلك لا محالة سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون وما هلكت الأمم السابقة إلا بقولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فتحصل أن الإنسان إذا جال مع النفس فى ميدانها فجاهدها حتى هذبها وطهرها من الأوصاف الحاجبة لها رجعت نفسه حينئذ إلى أصلها وهى الحضرة التى كانت فيها إذ لم تكن بينها وبين الحضرة إلا الحجب الظلمانية فلما تخلصت منها رجعت إلى أصلها نورا مشرقا فى قالب ظلمانى فصارت عنده ياقوتة مكنونة تطوى عليها أصداف المكنونات كما أبان ذلك بقوله (جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وإنك جوهرة تطوى عليها أصداف مكوناته) قلت قد عظم الله سبحانه هذا الإنسان وجعله نخبة الأكوان اجتمع فيه مالم يجتمع فى غيره ففيه ملك وملكوت ونور وظلمة وغيب وشهادة وعالم علوى وسفلى وقدرة وحكمة وحس ومعنى فقد جعلك الله أيها الانسان ناشئا فى العالم المتوسط بين ملكه وهو بشريتك وملكوته وهو روحانيتك أو تقول بين ملكه وهو عالم الأشباح وملكوته وهو عالم الأرواح فلست أيها الانسان ملكا فقط فتكون كالبهائم والجمادات ولا ملكوتياً فقط فتكون كالملائكة ولكن جعلك مركباً من ملك وملكوت لتظهر مزيتك بالمجاهدة والمشاهدة ولذلك خصصت بالخلافة وتقدمت لحمل الأمانة ثم متعت بالنعيم والنظر إلى وجهه الكريم ثم انقسمت الناس على قسمين فمنهم من غلبت بشريتهم على روحانيتهم وملكهم على ملكوتهم وظلمتهم على نورهم فبقوا فى ظلمة الأكوان ومنعوا من الشهود والعيان وهم

وأحاطت ذاتى بجميع صفاتى فاضمحلت الصفات فى الذات وغابت الذات فى الصفات فمن إلى قربى تنزيها وتقديساً عن مثلى لا إله إلا أنا الملك الحق المبين كل شىء هالك إلا وجهى (ألم كهيعص طسم حم عسق) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والله تعالى أعلم ثم أشار إلى مقام البقاء فقال :

فرد نحو عالم التحويل ۞ وعبروا عن ذاك بالنزول
ورده بالحق نحو الخلق ۞ كى ما يؤدى واجبات الرق

(قلت) إذا تمكن المريد فى الجذب وتحقق من شهود الرب وأتقن صناعة السباحة فى البحر رد إلى شهود جزيرة البر ليكون ماشياً بين بر وبحر وهو مقام الكمال كما قال ابن عطاء الله بعد الكلام على مقام الجذب والخمرة وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه انتهى ويسمى هذا مقام البقاء لأنه أبقى ما كان نفاه أول مرة فى حالة جذبه فلما صحا من سكرته وجد ما كان نفاه باقياً على حاله وإنما نفى الوهم فقط وفى ذلك يقول الجيلى فى عينيته :

فافنيتها حتى فنت وهى لم تكن ۞ ولكننى بالوهم كنت أطالع

وقال الششترى :

أفن من لم يكن يبق من لم يزل

فمقام البقاء مقام شريف وحال منيف وهو مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو معنى قول الشيخ أبى يزيد خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله لأن الأنبياء عليهم السلام لما خاضوا البحر من القدم الأول رجعوا إلى ساحل البحر ليسيروا الناس فى البر والبحر ولو بقوا فى البحر ما أمكنهم ان يسيروا أحدا فى البر فيبطل حكمة الاله فى إرساله لهم ولعل الشيخ أبا يزيد

عوام المسلمين ومنهم من غلبت روحانيتهم على بشريتهم ونورهم على ظلمتهم وملكوتهم على ملكهم وهم الخواص العارفون السائرون اليه بمجاهدة نفوسهم فى ميدان الحرب وهو مجال الفرسان فنهم السابق المقرب ومنهم اللاحق المحبب كل واحد على قدر صدقه فى محبة سيده وظاهر كلام الشيخ ان الانسان شيء زائد على البشرية والروحانية لأنه قال جعلك الله فى العالم المتوسط بين الملك وهو البشرية والملكوت وهو الروحانية فيقتضى أنه شيء ثابت بينهما والتحقيق أن الإنسان هو المجموع من الجسد والروح فهو بنفسه عالم متوسط أى مركب من ملك وملكوت فلو قال جعلك عالما متوسطاً بين ملكه وملكوته لافهم المراد بسهولة أى لست ملكاً فقط ولا ملكوتاً فقط بل جعلك متوسطاً بينهما أى مركباً منهما كقوله عليه السلام كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أى مركباً منهما دون روح ولكن عبارة الشيخ فيها الغاز وتدقيق اشارة وعلمنا كله إشارة وانما جعلك بين ملك وملكوت ليعلمك جلالة قدرك وفخامة أمرك قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم وقال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وليعلمك أيضاً أنك جوهرة نفيسة مصونة فى صدف نفيس وهو الكون بأسره فتطوى عليك أصداف مكوناته من عرشه إلى فرشه فأنت أيها الإنسان كالياقوتة فى صدف الأرض تقلك والسماء تظلك والجهات تكتنفك والحيوانات تخدمك وتنفعك والجمادات تدفع عنك وأنت فى وسط الجميع فالأفلاك دائرة بك والشمس والقمر منيران لما أنت فيه فأنت جوهرة الصدف ولباب الكون ومداره عليك (قال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة (وقد) ورد فى بعض الكتب يا ابن آدم أنا بدك اللازم فالزم بدك (وفى بعض) الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له وقد قالوا فى عجائب الإنسان ان الوجود كله منطو فيه فهو نسخة من العالم الأكبر ومما ينسب لأبى العباس المرسى رضى الله عنه

قال هذه المقالة قبل رجوعه للبقاء والسكر غالب عليه (قوله فرد أى رده الشيخ نحو عالم التحويل بالحاء المهملة أى التصديق وهو محل ظهور تصرفات الأسماء والصفات وهو عالم الخلق وقد كان فى حالة الجذب فى عالم الأمر (وفى) بعض النسخ بالمعجمة أى محل ظهور انعام الله على خلقه وماخولهم به من كرمه وجوده (وقوله) وعبروا عن ذلك بالنزول لأن الحرية ارتفاع والعبودية نزول (وقال) فى الحكم بعد ما تكلم على الحضرة فان نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين (وقوله) ورده بالحق نحو الخلق أى رده لله نحو عالم الخلق لأجل أن يؤدى ماوجب عليه من حقوق الرق وهى العبودية وهى عند الله أشرف المقامات وأسنى الكرامات وماخاطب الله أنبياءه ورسله إلا بالعبودية قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب واذكر عبدنا أيوب إلى غير ذلك (وقد) قلت فى قصيدتى العينية فى هذا المعنى :

تمسك بمنهاج الشريعة أنها أمان من كل هول للظهر قاطع
فشد لها يد الضنين فمنتهى كمال الكمال منك هو الشرائع

(وقال) سيدى على رضى الله عنه فى كتابه اعلم أن مقام البقاء هو مقام الملك بالله وهو مقام خاصة الخاصة وهو مقام الراحة بعد الشقاء والربح بعد الخسران وهو مقام العبودية لله بلا علة والنظر اليه بلا واسطة وهو مقام التفريق بعد الاجتماع والتواضع بعد الارتفاع والعجز بعد القدرة والأدب لله بالله بعد التمكين فى الحضرة الإلهية صاحب هذا المقام راسخ فى العلم والعمل راتع فى شهود الحق فى الجلال والجمال لتحقيق المقامات والأحوال (قال) أبو المواهب التونسى فى قوانينه من وصل

يا تائها فى مهمة عن سره　　أنظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة　　يا جامعا سر الإله بأسره

وقال فى المباحث :

يا سابقاً فى موكب الابداع　　ولاحقاً فى جيش الاختراع
اعقل فأنت نسخة الوجود　　لله ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسى　　والعالم العلوى والسفلى
ما الكون إلا رجل كبير　　وأنت كون مثله صغير

(قلت) إنما يكون الانسان نسخة من العالم أو كونا صغيراً مالم تغلب روحانيته على بشريته ومعناه على حسه ونوره على ظلمته وأما إن غلبت روحانيته على بشريته ومعناه على حسه فقد صار حينئذ ملكوتيا جبروتيا قد استولى على الكون بأسره وصار هو العالم الأكبر والكون نسخة منه وفى ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة　　فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

إذ الروح لم يسعها أرض ولا سماء كما بين ذلك بقوله (وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك) قلت الروح إذا اتصفت وتطهرت من كدرات الحس عرجت إلى عالم الجبروت فلم يحجبها عن الله أرض ولا سماء ولا فلك ولا عرش ولا كرسى بل يصير ذلك فى جوفها كشىء تافه وهذا أمر مذوق عند العارفين إذا نظروا إلى الكون بأسره ذاب ورجع ماء فإذا شربوه صار فى قلوبهم كنقطة وهم متفاوتون فى إحاطتهم بالكون فمنهم من يصير عنده كالبيضة (ومنهم) من يصير عنده كالخردلة وذلك بحسب اتساع النظرة وضيقها فكلما جالت الروح فى بحر الجبروت صغر الكونى

البقاء أمن الشقاء ثم أشار إلى ما يفعل بعد ترشيده وإطلاق يده من التحجير فقال :

فكلم الناس بكل رمز　　وألغز التعبير أى لغز
وعندما أسلكه المسالك　　أقامه شيخنا لكل سالك

(قلت) الفقير إذا كان فى مقام الاستشراف ولم يتمكن من علم التحقيق تجده يعبر عن الحقيقة بعبارة واضحة عارية من الكسوة وذلك لضيق عطنه وعدم فروسيته فإذا تمكن فى العرفان ورسخ فى الشهود والعيان استحق حينئذ دخول الميدان وجال مع الفرسان فإذا جال بفرسه بين الناس لا يسبق ولا يضر أحداً من الخلق (أو تقول) كل من لم يتحقق بالوصول لا يقدر أن يرقق الغزول ولله در الغزالى حيث قال :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد　　لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

فإذا رد المريد إلى مقام البقاء وسلك تلك المسالك المتقدمة من جذب وفناء وتخلية وتحلية أمره الشيخ بتذكير الناس وإرشادهم إلى ربهم فاستحق أن يكون شيخا مربياً وهذا حاصل البيتين والرمز أدق وأخفى من اللغز لأن الرمز إشارات وتلويحات واللغز كلام يراد به غير ظاهره يفهمه من عرف اصطلاحه أو قرينته وكان حق الناظم أن يقدم البيت الثانى على الاول لأن تعبير المريد ناشىء عن تذكيره وتذكيره ناشىء عن تقديمه لذلك وتقديمه هو إقامته للشيخوخة فإذا أقامه لذلك أمكن أن يأتى بالرمز أو باللغز والأمر فى ذلك قريب والله تعالى أعلم ثم أشار إلى أن هذا العلم ليس هو أقوالا باللسان وإنما هو أذواق بالجنان فقال :

فهذه أحوال ذى الأحوال　　تدرك بالأفعال لا الأقوال

عندها حتى لا تحس به ولذلك قال بعضهم لو كان العرش فى زاوية من زوايا قلب العارف ماأحس به وقال آخر العرش والكرسى منطبعان فى ترسى وقال شيخ أشياخنا مولاى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه والعرش والكرسى فى طى قبضتى ثم يتلاشى الكون ويضمحل ويتصل عالم الملكوت بعالم الجبروت فلا بقاء إلا للحى الذى لا يموت وهذا لا يفهمه إلا العارفون الذين غلبت روحانيتهم على بشريتهم فصاروا روحانيين ملكوتيين أشباحهم مع الخلق وأرواحهم مع الحق فقد وسعك أيها الانسان الكون وحصرك من حيث جثمانيتك وبشريتك وهيكلك المحصور ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لأن روحك متصلة بعالم الجبروت المحيط فلما تكثفت وانحصرت فى هذا الهيكل لزمتها القهرية فانحجبت بالحكمة وتقيدت بالقدرة فما دامت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوائد فهى محجوبة فإذا تلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس رجعت إلى أصلها فاتصلت ببحرها فصار الملكوت والملك فى طى قبضتها فلم يسعها حينئذ أرض ولا سماء ولا يحصرها عرش ولا فرش ولذلك قيل الصوفى لا تقله الأرض ولا تظله السماء (وفى) الحديث القدسى يقول الله تعالى لم تسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن أى الكامل وهو العارف والله تعالى أعلم فالجبروت هو المعانى اللطيفة القديمة التى لم تدخل عالم التكوين والملكوت مادخل عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه بأصله والملك مادخل التكوين واعتقد فيه الفرق وأهل الجمع لاملك عندهم وإنما عندهم الملكوت والجبروت فما داموا يفرقون بين النور اللطيف والنور الكثيف فعندهم الملكوت والجبروت فإذا ضموا كل شىء إلى أصله لم يبق إلا الجبروت وأهل الفرق أثبتوا الملك بوهمهم وحجبوا به عن الله والله غالب على أمره فمادام العبد مسجونا بالكون محصوراً فى بشريته فهو فى سجن الأكوان فإن نفذت بصيرته وعرجت روحه إلى الملكوت خرج من السجن إلى القضاء كما بين ذلك بقوله الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته

(قلت الاشارة تعود إلى ما قدمه من أول الباب إلى هنا وإن تدريج السالك فى هذه الأحوال والمقامات هى أحوال أهل الأذواق والوجدان من أرباب الأحوال وهى إنما تدرك بالأعمال مجاهدة ومكابدة ثم مشاهدة (قال الجنيد) رضى الله عنه ماأخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال وإنما أخذناه عن الجوع والسهر وكثرة الأعمال وأنشدوا فى معنى ذلك :

يا من يريد منازن الابدال — من غير قصد منه للأعمال
لاتطمعن فيها فلست من أهلها — مالم تزاحمهم على الأعمال
بيت الولاية قسمت أركانه — ساداتنا فيه من الابدال
مابين صمت واعتزال دائم — والجوع والسهر النزيه العال

ثم بين ان ما ذكره هو طريق السلف المتقدمين من الجهابذة المتمكنين وأنه لا يزال الخصام فى وجودها أبدا فقال :

فهكذا كان طريق القوم — ولم يزل يخصم كل خصم

(قلت) الانكار على الأولياء سنة ماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) وما قيل فى النبى يقال فى الولى لأنه على قدمه لكن حجة الأنبياء غالبة واضحة وحجة المنكرين عليهم واهية داحضة وكذلك حجة الأولياء على الأغوياء لاتزال قائمة غالبة لأنها هى الطائفة الظاهرة إلى يوم القيامة وهذا معنى قوله ولم يزل يخصم كل خصم اى يغلب كل ما يخاصمه والله متم نوره ولو كره الكافرون (تنبيه) قوله هكذا الاشارة تعود إلى تدريج المريد وتربيته بالكيفية التى تقدمت وهل هذه التربية تجرى فى كل زمان أو لكل زمان تربية مخصوصة الظاهر أن كل زمان تحدث له

محصور فى هيكل ذاته) قلت ميادين الغيوب هى ماأدركته الروح حين خرجت من ضيق الأشباح إلى عالم الأرواح ومن فضاء الشهود إلى معرفة الملك المعبود فما دام الانسان فى الكون بحيث لايشهد الا الكون ولا يدرك الا الحس ولم تفتح له ميادين الغيوب أى لم يخرج إلى فضاء الشهود فهو مسجون بمحيطاته أى بالأكوان المحيطة به كالسموات والأفلاك الدائرة به فهو فى سجن الأكوان محصور أيضاً فى هيكل ذاته أى فى شكل بشريته وكثائف جسمه فاذا غلبت روحانيته على بشريته فقد خرجت من حصر الهيكل وإذا نفذت بصيرته إلى فضاء الملكوت أو بحار الجبروت فقد خرجت من سجن الأكوان إلى شهود المكون فحينئذ تتحرر من رق الأكوان وتحظى بنعيم الشهود والعيان وأما مادام محصوراً فى الهيكل مسجوناً فى الأكوان فهو محجوب عن الله ولو كان عالماً بالعلوم الرسمية متبحرا فيها اذلايزيده التغلغل فيها الاحجابا عن الله وقد قال الشيخ أبو الحسن التغلغل فى علم الظاهر يضرب بصاحبه فى علم الخصوص أوماهذا معناه وقال فى قوت القلوب كل من لم يفتح له فى هذا العلم علم الباطن فهو من أهل اليمين وكل من فتح له فى علم الباطن فهو من المقربين السابقين اه وهو ظاهر لأن علم الرسوم لايخرجه من سجن الأكوان فهو مع الأكوان على الدوام وإذا كان مع الأكوان فاته شهود المكون كما قال الشيخ رضى الله عنه (أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الأكوان معك) قلت مادام العبد مقيدا فى سجن الأكوان ومحصورا فى هيكل جسمه فالأكوان حاكمة عليه فهو يحبها ويعشقها وهى تبغضه وتبعده عن ربه وهو يفتقر اليها وهى غنية عنه وهو يميل اليها ويحرص عليها وهى تفر منه وهو يخافها ويهابها وهى تخوفه وترعبه فاذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها كانت حينئذ هى خادمته وهو حاكم عليها وهى تحبه وتعشقه وهو مشغوف بحب خالقها وهى تفتقر اليه وهو غنى عنها وهى تحرص عليه وهو زاهد فيها وهى تخاف منه وتهابه وهو فى أمن منها فالجنة تشتاق

تربية مخصوصة لأن الأولياء على قدم الرسل فكما أن الحق تعالى لم يكتف برسول واحد لجميع بنى آدم لاختلاف المصالح والعوائد فكل زمان بعث الله فيه رسولا يخرج أهله من عوائدهم التى حجبتهم عن الله وكذلك الأولياء يبعثهم الله فى كل زمان بخرق عوائده (وقد قال) عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضيه بقدر ماأحدثوا من الفجور ويقال فى قياسه تحدث للناس تربية بقدر ماتعودوا من الأمور والله تعالى أعلم (ثم) ان هذه الطريق ميراث نبوى أخذه وارث عن وارث إلى خير وارث وهى مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإلى ذلك أشار بقوله :

وهى إذا ما حققت موارث عن خير مبعوث وخير وارث

(قلت) هذه الطريقة موروثة أخذها عارف عن عارف إلى سيد العارفين صلى الله عليه وسلم (ولنذكر) سلسلتنا تبركا واقتداء بمن ذكر ذلك فنقول أخذنا الطريق وعلم التحقيق عن شيخنا الواصل المحقق الكامل مربى السالكين ومرشد الطالبين سيدى محمد البوزيدى الحسنى (عن) شيخه القطب العارف شيخ المشايخ مولاى العربى الدرقاوى الحسنى (عن) شيخه سيدى على (عن) شيخه سيدى العربى (عن) شيخه سيدى أحمد بن عبد الله (عن) شيخه سيدى قاسم الخصاصى (عن) شيخه سيدى محمد بن عبد الله الكبير (عن) شيخه سيدى عبد الرحمن الفاسى (عن) شيخه سيدى يوسف الفاسى (عن) شيخه سيدى عبد الرحمن المجذوب (عن) شيخه سيدى على الصنهاجى المشهور بالدوار (عن) شيخه سيدى ابراهيم أفحام (عن) شيخه سيدى أحمد زروق (عن) شيخه سيدى أحمد بن عقبة الحضرمى (عن) شيخه سيدى يحيى القادرى (عن) شيخه سيدى على بن وفا (عن) أبيه سيدى محمد بحر الصفا (عن) شيخه سيدى داوود الباخلى (عن) شيخه سيدى أحمد

اليه وهو غنى عنها (وفى الحديث) اشتاقت الجنة إلى على وصهيب وبلال كانوا من أهل الصفة والنار تهابه وهو فى غيبة عنها وقد ورد فى الحديث أنها تقول يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى أو كما قال عليه الصلاة والسلام فأنت أيها الانسان محبوس مع الأكوان فى عالم الأشباح مقيد فى قيودها فهى حينئذ تتصرف فيك كيف شاءت حين تكون تحبها وتحرص عليها وتشتاق اليها كائنة ما كانت شهادية أو غيبية مالم تشهد المكون وتعرفه فاذا شهدت المكون وعرفته كانت الأكوان معك لأنك تكون حراً عنها وهى مملوكة لك لاتحب منها شيئاً من حيث كونيتها ولاتخاف منها شيئاً كذلك لانك قد رحلت عنها إلى عالم الارواح فحينئذ تكون فى قبضتك تتصرف فيها كيف شئت لانك حينئذ تصير خليفة الله فى أرضه الكون كله فى قبضتك وعند همتك لانك علقت همتك بالله فصير الاشياء عند همتك (وفى بعض الآثار) المروية عن الله عز وجل يقول عبدى اجعلنى مكان همك أكفك كل همك ماكنت بك فأنت فى محل البعد وما كنت بى فأنت فى محل القرب فاختر لنفسك وقال بعض الاشياخ انى لادخل السوق والاشياء كلها تشتاق إلى وأنا غنى عنها وقال ابن الجلا رحمه الله من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شىء دون الخلق فقد حجب به عنه لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك اه فمن رفع همته عن الأكوان ومتع بشهود المكون فقد ثبتت له الخصوصيـــة الكبرى والولاية العظمى ولا يلزم من رفع الهمه عن الاكوان استغناؤه عما تحتاج اليه البشرية مما يقوم بوصفها اللازم لها واليه أشار بقوله (لايلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية) المراد بالوصف البشرى ماجعله الله محتاجاً اليه بحكمته فى قوام بدن الانسان من أكل وشرب ولباس ومسكن ومافطره عليـــه من شهوة مباحة كنكاح وشهوة غير محرمة فهذه الأوصاف لاينافى وجودها وجود الخصوصية فقد قال تعالى فى الرسل (وماأرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى

ابن عطاء الله (عن) شيخه سيدى أبى العباس المرسى (عن) شيخه سيدى أبى الحسن الشاذلى (عن) شيخه القطب سيدى عبد السلام بن مشيش (عن) شيخه سيدى عبد الرحمن المدنى (عن) شيخه القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما (عن) شيخه القطب فخر الدين (عن) شيخه القطب نور الدين (عن) شيخه القطب تاج الدين (عن) شيخه القطب شمس الدين (عن) شيخه القطب زين الدين القزوينى (عن) شيخه القطب سيدى إبراهيم البصرى (عن) شيخه القطب سيدى أحمد المروانى (عن) شيخه القطب سيدى سعيد (عن) شيخه القطب سيدى سعد (عن) شيخه القطب فتح السعود (عن) شيخه القطاب سيدى سعيد سعيد الغزوانى (عن) شيخه القطب أبى محمد جابر (عن) أول الاقطاب سيدنا الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن) والده أمير المؤمنين سيدنا على كرم الله وجهه الذى هو باب مدينة العلم (عن نخبة الوجود) ومادة عين الرحمة والجود سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن) سيدنا جبريل (عن) الرب الجليل جل جلاله وتقدست صفاته وأسماؤه (قال الشيخ) أبو الحسن الشاذلى طريقتنا هذه مروية مسلسلة قطب عن قطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يكن له سلسلة أشياخه فهو مقطوع لايصح الاقتداء به والله تعالى أعلم ثم ذكر أن ماسلكه التلميذ المتقدم من المقامات والأحوال هكذا يكون سلكها شيخه فقال :

وهكذا الشيخ على التحقيق　　اذ كان مثل سالك الطريق

(قلت) الاشارة تعود إلى التربية المتقدمة يعنى أن الشيخ المحقق كان سلك الطريق مثل ماسلكها المريد وهذا أخبار بمعلوم اذ لو لم يسلكها شيخه قبله ماسلكها هو وقد تقدم فى شروط الشيخ ذلك كله والله تعالى أعلم (ثم) قال :

الاسواق وقال تعالى(ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية)نعم وصف البشرية فى حق أهل الخصوصية ليس هو كغيرهم لأن أهل الخصوصية أمرهم كله بالله انقلبت حظوظهم حقوقا بخلاف غيرهم أنفسهم غالبة عليهم فتقلباتهم كلها فى حظوظ أنفسهم فاذا تقرر هذا علمت أنه لايلزم من ثبوت الخصوصية وهى الولاية والمعرفة أو الحرية ومعناها واحد عدم وصف البشرية فالخصوصية محلها الباطن ووصف البشرية محلها الظواهر ولذلك اختفت الأولياء والأنبياء والرسل عن الناس لظهور أوصاف البشرية عليهم فكيف تعرف رجلا يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وينام ويتزوج النساء فلا يعرفهم إلا من أراد الله سعادته وما وقع الانكار على الأنبياء والأولياء الا لاعتقادهم أن أوصاف البشرية تنافى ثبوت الخصوصية فقد قال الكفار فى حقه عليه السلام وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فرد الله تعالى عليهم بعدم تنافيهما فقال(وما أرسلنا قبلك من المرسلين)الآية فهذه الاوصاف التى ذكرنا لاينفك الطبع البشرى عنها وهى موجودة مع خصوصية النبوة والولاية وأما الأوصاف التى هى مذمومة كالحسد والكبر والبغض والعجب والرياء والغضب والقلق وخوف الفقر وهم الرزوق والتدبير والاختيار وغير ذلك فهذه لابد من التطهير منها فى خصوصية النبوة والولاية وقد تقدم قوله اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اما فى حق النبى فتطهيره منها واجب لأنه معصوم من جميع النقائص وأما فى حق الولى فليس بواجب لكنه محفوظ فقد يصدر منه شىء من هذه الاوصاف المذمومة على سبيل الهفوة والزلة ولاتنافى وجود خصوصيته لكنه لايصر عليها ولا يدوم فيها فقد يصدر من الولى الغضب مثلا والقلق والتدبير والاختيار وغير ذلك لكنه كالريح يضرب ويسرح قال فى النصيحة الكافية وقد تكون للولى هفوة وهفوات وزلة وزلات ولكن لايصر عليها وقيل للجنيد أيزنى العارف فسكت ثم قال وكان

فمن يكن بهذه الاوصاف شيخنا وتلميذا فعن انصاف

قلت يريد أن من اتصف بهذه الاوصاف المتقدمة بأن كان جامعاً بين حقيقة وشريعة بين جذب وسلوك زاهدا فى الدنيا رافعاً همته عن الأكوان بأسرها فهو مستحق بأن يكون شيخا ومن كان على قدمه من أتباعه استحق أن يكون تلميذا على نعت الحق والانصاف والا فلا (ثم) ختم الفصل بفذلكة ليس تحتها حكم يتعلق بالفن فقال

فهذه لوازم الاحكام جئنا بها تترى على نظام

وما ذكرنا فهو كالقليل اذ اختصرنا خشية التطويل

قلت يعنى أن هذه الاحكام التى ذكرها فى هذا الفصل من تدريج المريد الى أن يصير شيخا هى الاحكام التى تلزم المريد الذى يطلب الوصول ولوازم الاحكام من إضافة الصفة الى الموصوف أى فهذه الاحكام اللوازم أى اللازمة للمريد الصديق جئنا بها تترى أى يتبع بعضها بعضاً وإنما ذكر القليل دون الكثير لان كثرة التطويل موجب للملل ومقلل للتحصيل (وقد قالوا) التحبر مفتاح التحير وكان الزهرى يقول اذا طال المجلس حضره الشيطان لانه موجب لكثرة الكلام فيوقع فى التحير والله تعالى أعلم (خاتمة) قال الشيخ زروق رضى الله عنه فان قلت هل يصح دخول الخلوة والسلوك على هذا الأسلوب بغير شيخ قلنا نعم ولكن يتعذر النجاح لقوة العوارض وكثرتها فلذلك قيل ان الشيخ واجب فى هذه المجاهدة دون مجاهدة التقوى والاستقامة وقد تقوى همة مريد فى ذلك ولا يجد شيخنا فيهجم على ذلك ويتوقف فى الثبات والترك على رأى أخ صالح ذى بصيرة سليمة ثم يقوم مستعيناً بالله فان الله سبحانه يمنحه على قدر همته بفضله وأما الرياضات والخلوات

أمر الله قدراً مقدورا قال ابن عطاء الله ليت شعرى لوقيل له أتكون همة العارف مع غير الله لقال لا اه ثم ضرب مثلا لنور الخصوصية مع ظلمة البشرية الحسية فقال (إنما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الأفق وليست منه تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك) قلت مثل الربوبية الذى أشرقه الله فى قلوب أوليائه وستره بظهور البشرية كمثل نور الشمس إذا أشرق على الآفاق وهو الفضاء الذى بين السماء والأرض فان الفضاء قبل ظهور الشمس مظلم ليس فيه نور فاذا أشرقت عليه الشمس رجع نوراً صافياً فنورانيته ليست من ذاته وإنما هى من الشمس كذلك نور الربوبية هو مستودع فى باطن البشرية فإذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده أشرق ذلك النور على ظاهر بشريته فتستولى روحانيته على بشريته فلا يبق للبشرية أثر فتصير البشرية كلها نوراً فنور البشرية ليس منها ولكنه وارد عليها فتارة تشرق شموس أوصافه وهى الوجود والقدم والبقاء وسائر أوصافه السلبية والوجودية والمعانى والمعنوية على ليل وجودك الظلمانى الكثيف فتذهب أوصافك الحادثة العدمية بظهور أوصافه القديمة الأزلية فيتحقق الوصال ويذهب الانفصال وتارة يقبض ذلك النور ويغيبه عنك ويرده الى باطنك فترجع إلى شهود عبوديتك ويردك الى حدودك وهذا حال الوارد الإلهى إذا فاض على الانسان غيبه عن نفسه واقتطعه عن حسه فلا يرى الا أوصاف ربه وينكر وجود نفسه من أصله فاذا سكن الوارد رجع الى شهود نفسه بربه ورجع ذلك النور إلى باطنه فيكون باطنه نوراً على الدوام وظاهره تارة يغلب عليه ذلك النور وتارة تغلب عليه الظلمة أى العبودية فنور الوارد ليس من الانسان من حيث بشريته ولكن وارد عليه من حيث روحانيته كما أن نور الأفق ليس هو من ذات الافق لكنه وارد عليه من إشراق شمس النهار عليه وها هنا مثال آخر وهو الحديد والفحمة إذا جعلتهما فى

الاصطلاحية التى يذكرها أبو العباس البونى وغيره فأسلمها مايتعلق بالذكر المجرد وقد قربه فى كتابه القبس وذكره من غير تقييد بأكل ولا صوم ولا كيفية ولا سبب فاعمل به ان شئت بعد تحقيق علم وبالله التوفيق انتهى (قلت) طريقة الاسماء لاتخلو من حروف وحظوظ الفتح فيها بعيد والاخلاص فيها معدوم وطريق الذكر المجرد ان كان بالشيخ نهض من ساعته وان كان بغير شيخ فان كان مراده الاجور أخذه وافرو إن كان مراده الوصول فغاية مايصل اليه الفناء فى الصفات وأما الفناء فى الذات فلا يمكن بغيره شيخ هذا ماجرت به العادة وإن خرقت العادة فى فرد فلا يقاس عليه والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ثم) شرع فى الفصل الرابع فقال :

الفصل الرابع فى الرد على من رده ... وليس يدرى شأنه وقصده

(قلت) مضمن هذا الفصل تقبيح من أنكر هذا الطريق وتوبيخ من رد على أهلها وتزييف رأيه وتحقير شأنه حيث أنكر ما لم يحط به علما لم يدرك له شأناً ولا قصداً إذ لو عرف شأنه لعظمه ولو أدرك المقصود منه سارع اليه ولكن كما قال القائل من جهل شيئاً عاداه وقال تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم وقال الشاعر :

وكم عائب ليلى ولم ير وجهها ... فقال له الحرمان حسبك مافات

(وقد تقدم) أول الكتاب فصل الاجتماع على ترجيح مذهب الصوفية على غيرهم وذكر هنا الاحتجاج على ترجيح علومهم على علوم غيرهم ومن أين نشأ الانكار عليهم وذم المنكر عليهم فأشار الى الاول بقوله

هذا الطريق من أجل الطرق ... فافهم هديت واقتده بنطق

النار و نفخت عليهما فانهما يرجعان من جنس النار و تكسو النار الحديد كله و الفحمة كلها فاذا برد راجع الحديد حديد و الفحمة فحمة كذلك البشرية إذا استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانيه معنوية فلا ترى إلا المعانى ولا تحس إلا إياها واعلم أن الناس فى هذا النور على ثلاثة أقسام قسم نوره حده الباطن ولم يصعد من شعاعه شيء لظاهره وهم العوام وقسم استولى نورهم على ظاهرهم و باطنهم وهم المجذوبون فى حضرة الله وقسم امتلأ باطنهم نورا وصعد شعاعه على ظاهرهم فاستولى على الظاهر على الدوام وهم السالكون بعد الجذب الراسخون فى المعرفة والله تعالى أعلم ثم ذكر الطريقة الموصلة إلى الخصوصية فقال (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه) قلت هذه طريقة الترقى فوجود الأثر يدل على وجود القادر والمريد والعليم والحق مثلا فالقادر يدل على قيام القدرة به بحيث لا تفارقه إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فلزم من وجود الأثر وجود المؤثر وهنا افترق أهل الظاهر من أهل الباطن فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الأثر وجود الأسماء والصفات ولم يقدروا على شهود الذات غلبهم الحس عن شهود المعنى والوهم عن ثبوت العلم وشهود الحكمة عن شهود القدرة وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الاغيار وباعوا نفوسهم للواحد القهار فتح الله عين بصيرتهم وأطلعهم على مكنون سره فأفردوا الحق بالوجود وانتفى عن بصيرتهم نظرهم كل موجود إذ محال أن يفارق الصفة موصوفها أو تقوم بنفسها فلزم من وجود الصفات وجود الذات وهذا هو سر الخصوصية الذى خص الله بها أولياءه ولم يشاركهم فيه غيرهم ثم بين أهل الجذب من أهل السلوك وأهل التدلى من أهل الترقى فقال (فأهل الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يردهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقيه وهذا

(قلت) إنما كان من أجل الطرق لأنه يدل على الله من أول قدم وخصوصا طريق الشاذلية بخلاف غيره من الطرق فان منها ما تدل على العمل ومنها ما تدل على العلم بالاحكام (وقد قال) الشيخ القطب ابن مشيش من دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على الله فقد نصحك والدلالة على الله هى الفناء فيه بالغيبة عما سواه (ولقد سمعت) شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول صاحبنا أول قدم ندخله فى الفناء فى الذات ولا يحتاج إلى مجاهدة عمل إذا صدق فى صحبته وإن شئت قلت إنما كان من أجل الطرق لان شرف العلم على قدر شرف متعلقه ومتعلق هذا العلم أشرف المتعلقات لأن مبدأه صدق التوجه إلى الله ومنتهاه إفراد القلب والقالب إلى الله على وجه تحقيق اليقين حتى يصير فى معدن الشهود والعيان او تقول أوله داع إلى محبة الله وأوسطه داع الى السير الى الله ونهايته الوصول الى معرفة الله وقالوا فى شأن المحبة أولها جنون وأوسطها فنون وآخرها سكون (وقال الجنيد) رضى الله عنه لو أعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى تكلم فيه مع أصحابنا لسعيت اليه (وقال الشيخ) الصقلى رضى الله عنه كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذى لا يدرك والبحر الذى لا ينزف (وقوله) فانهم هديت الخ الجملة دعائية معترضة بين المعطوفين أى فافهم واقتد بما نقول لك هداك الله لطريق الحق وأبان لك معالم التحقيق وأثبت هاء السكت فى الوصل على حد قوله تعالى (فبهداهم اقتده) فيمن قرأها (ثم ذكر) وجه ترجيحها على سائر الطرق فقال :

ان العلوم كلها المعلومة   فنونها فى هذه متهومة

قلت) إنما كان العلوم المعلومة عند الناس فنونها أى فروعها فى جانب هذه الطريقة متهومة أى مشكولة لان غايتها

فى تدليه) قلت عباد الله المخصوصون بسر الخصوصية هم فى سيرهم على قسمين منهم من يبدأ بالجذب ثم يرد الى السلوك ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدركه الجذب ثم يصحو فأرباب الجذب يكشف لهم أولا من غير مجاهدة عن شهود الذات فيسكر بشهود نورها فينكر الواسطة أصلا وينكر الشرائع إلا أنه مغلوب ثم يرد من شهود الذات إلى شهود الصفات فلا يرى إلا صفات الحق تكشفت وظهرت وينكر الأثر ثم إذا شهد الصفات تعلق بالاسماء اللازمة لها ثم يرجع الى شهود آثاره فيقوم بأحكام عبوديته والسالكون على عكس هذا فيستدلون بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على وجود صفاته وبوجود صفاته على وجود ذاته كما تقدم فنهاية السالكين وهى شهود الذات بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين وهى شهود الأثر بداية السالكين ولكن ليس بمعنى واحد بل أحدهما نازل يشهد الاشياء بالله والآخر صاعد يشهد الاشياء بنفسه فقد فربما التقيا فى الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء مثلا هذا فى ترقيه وهذا فى تدليه فاذا وصلا معا اجتمعا لأن المرتقى يرجع للأثر الذى انتهى اليه المجذوب بعد شهود الذات ويكون رجوعه بالله فيجتمعان معا فى مقام البقاء والمترقى أكمل من المتدلى فى التربية لأنه قاسى شدائد الطريق وأهوالها بخلاف المجذوب فانه كان محمولا وهو نادر إذ غالب على الناس السلوك ثم الجذب والطريق الشاذلية الغالب عليها الجمع بين الجذب والسلوك من أول قدم ومعنى الجذب هو اختطاف الروح من شهود الكون الى شهود المكون (واعلم) أن الناس فى الجملة على أربعة أقسام سالكون فقط مجذوبون فقط سالكون ثم مجذوبون ومجذوبون ثم سالكون فالأولان لا يصلحان للتربية والإرشاد أما السالك فقط فلأنه ظاهرى محض فلا نور له فى باطنه يجذب به وأما المجذوب فقط فلا سلوك عنده يسير به والآخران يصلحان للتربية مع أفضلية الاول واعلم أيضاً أن حقيقة السلوك الاول هو شهود خلق بلا حق وحقيقة الجذب هو شهود حق بلا خلق وحقيقة السلوك الثانى هو شهود

لا يحصل الا غالب الظن الراجح وقد يحصل الجزم المطابق عن دليل لكن لا يسلم من اختلاج الوهم لعدم الجزم بصحة الدليل (فقد قال) بعضهم إيمان أهل علم الكلام كالخيط المعلق فى الهواء يميل مع كل ريح أو كريشة تتقلب مع كل ريح بخلاف علم التصوف فان غايته الطمأنينة والتحقيق ذوقا وكشفاً وشهوداً فالعلوم كلها تحصل علم اليقين والتصوف يحصل عين اليقين وحق اليقين (العلوم) كلها استدلالية وبرهانية وعلوم القوم ذوقية وعيانية (قال الشيخ) أبو الحسن رضى الله عنه أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان (وقال الشبلى) رضى الله عنه ماظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة يعنى انه فى معدن العيان وغيره فى محل التهمة إذ لا يخلو صاحبه من خاطر ريب وتهمة إذ لا ينقطع الخواطر عن القلب إلا إذا حصلت فيه الطمأنينة بالله ولا تحصل الطمأنينة إلا بصحبة أهل الطمأنينة (وفى) بعض الاحاديث تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح (قلت) ومما يرجح أيضاً ماقاله الناظم أن طالب العلم الظاهر لا تجد قصده إلا معلولا إذ غالب طلبة العلم فساد قصدهم فيه بطلب الحظوظ والحروف بخلاف طالب علم الباطن فلا تجد نيته إلا صحيحة لانه مبنى على قتل النفوس وطرح الحظوظ فلا ينال منه شيئاً إلا من ترك حظوظه وشهواته (ثم بين الشيخ) وجه دخول التهمة فى العلوم الرسمية فقال

إذ العلوم فى مقام البحث   وان هذا فى مقام الارث

(قلت) العلوم الرسمية كلها كسبية تدرك بالبحث عليها بالدلائل والبراهين فنهايتها الظن القوي وهذا شأن الفروع الفقهية لان جلها ظنية وأما أصول الدين فنهايتها الجزم المطابق عن دليل فغايتها الايمان بالغيب بخلاف علوم القوم فانها مواهب وأسرار وكشوفات وأذواق تورث عن أربابها بالصحبة والمحبة والخدمة حتى يسرى مافى باطن الشيخ الى باطن التلميذ

خلق بحق الله تعالى أعلم ثم مايدركه الواصل من أنوار الشهود والعيان وليست هي حسية يدركها كل إنسان وإنما هي معانى قلبية وأسرار باطنية ملكوتية كما أبان ذلك بقوله (لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا فى غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء إلا فى شهادة الملك) قلت اعلم أن الناس كلهم عندهم النور فى قلوبهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أى على أصل النشأة الأولية وهى القبضة النورانية قال تعالى (الله نور السموات والأرض) قال أهل تفسير الظاهر أى نور أهل السموات والأرض وهو عام فى كل موجود فيهما فقد تحقق إن النور سار فى الجميع فمن الناس من حجب عن هذا النور وعمى عنه وهو من وقف مع ظاهر الملك وهو قشر الكون وحسه الظاهر ويسمى عالم الاشباح ولم ينفذ إلى باطنه وهو الملكوت ويسمى عالم الارواح فهذا محجوب عن نوره الباطنى لا يرى إلا النور الحسى لأنه مسجون فى سجن الاكوان محصور فى ظلمة الحس والوهم ومن الناس من نفذت بصيرته إلى شهود النور الباطنى فيه ولم يقف مع القشر بل نفذ الى شهود اللب وهو نور الملكوت وأسرار الجبروت وهو الذى أشار اليه فى المباحث بقوله :

مهما تعديت عن الاجسام أبصرت نور الحق ذا ابتسام

وهذا النور أيضا هو الذى تراه قلوب العارفين كما أشار اليه الحلاج بقوله

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يرى للناظرين

فاذا تحققت هذا علمت أنه لا يعلم بالبناء للمفعول أى لا يظهر قدر أنوار القلوب الغيبية وشرفها وأنوار الاسرار القدسية وكمالها الا فى غيب الملكوت والجبروت فأنوار القلوب لا يعلم قدرها الا فى غيب الملكوت وهى الأنوار المتدفقة من بحار الجبروت فمن لم ينفذ إلى شهود الملكوت لم يعلم قدرها بل لم يعرفها أصلا وأنوار الاسرار لا يعلم قدرها الا فى غيب الجبروت

فيتنور الباطن بنور اليقين ثم يغيب فى شهود رب العالمين حتى يصير ما كان غيباً شهادة وما كان علماً ذوقا وحالا وما كان دليلا مدلولا وما كان نظريا ضروريا كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

طلع النهار على قلبي حتى نظرت بعينيا
أنت دليـــلى ياربي أنت أولى منى فيا
غيبت نظر فى نظر وأفنيت عن كل فانى
حققت ما وجدت غير وامسيت فى الحال هانى

وفرق كبير بين من يكون مع الاحباب داخل الحجاب وبين من يكون يأخذ أجرته من وراء الباب (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) قوم أقامهم لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً (وفى نوازل المعيار) سئل ابن رشد رحمه الله عن قول الامام أبى حامد الغزالى فى الاحياء لما ذكر معرفة الله تعالى والعلم به قال والرتبة العليا فى ذلك للأنبياء ثم للأولياء العارفين ثم العلماء الراسخين ثم الصالحين فقدم الأولياء على العلماء وفضلهم عليهم (وقال) الاستاذ القشيرى فى أول رسالته فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه فهل هذا نحو قول أبى حامد وهل هذا المذهب صحيح أم لا فقد قال بعض الناس لا يفضل الولى على العالم لان تفضيل الشخص على الآخر إنما هو برفع درجاته عليه لكثرة ثوابه المرتب على عمله فلا فضل إلا بتفاوت الأعمال وقد ثبت أن العلم أفضل العمل لانه متعد والعمل قاصر والمتعدي خير من القاصر فثوابه أكثر وصاحبه

وهى الأنوار الأصلية الأزلية وهو مالم يدخل عالم التكوين فمن كان محجوبا فى عالم الملك لايعلم قدر أنوار الملكوت ولايحس بها بل ينكرها كما شهدناه ممن يدعى الخصوصية وهو بعيدمنها ومن كان واقفا مع أنوار الملكوت لايعلم قدر أنوار الجبروت ومن نفذ منهماشهد الجميع وكما لاتظهر الأنوار الغيبية الافى غيب الملكوت أو الجبروت كذلك لاتظهر أنوار الملك وهى الأنوار الحسية إلا فى عالم الشهادة وهو عالم الحس ويسمى عالم الملك والحاصل ان أنوار القلوب هى أنوار الملكوت وأنوار الأسرار هى أنوار الجبروت وهى غيبية لايعلم قدرها إلامن ترقى الى عالم الملكوت أو الجبروت فحينئذ يدركها ويعلم قدرها علما وحالا والله تعالى أعلم .

﴿ تنبيه ﴾ قد رأيت كثيرا ممن شرح هذا الكتاب غلط فى تفسير الملك والملكوت والجبروت فزعموا أن الملك هو عالم الدنيا والملكوت هو عالم الآخرة والجبروت مالا يعلمه أحد وهذا غلط اذلو كان كما زعموا ماصح الترقى من ملك إلى ملكوت وإلى جبروت اذ يلزم على تفسيرهم ان الملك لايرجع ملكوتا والملكوت لايصير جبروتا وهو غير سديد اذ قد نص كثير من المحققين أن أهل الملكوت لايرون الملك أصلا وأهل الجبروت يحجبون عن الملكوت هكذا ذكره النقشبندى فى شرح الهائية والصواب ان المحل واحد وهو الوجود الاصلى والفرعى فما لم يدخل عالم التكوين من عظمة البارى تعالى فهو عالم الجبروت ومادخل التكوين فمن ألحقه بأصله وجمع فيه فهو فى حقه ملكوت ومن فرقه وحجب به فهو فى حقه ملك فتحصل أن المحل واحد والأمر إنما هو اعتبارى تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقى فى المعرفة فمن وقف مع الكون كان فى حقه ملكا ومن نفذ الى شهود النور الفائض من الجبروت إلا أنه رآه كثيفاً نورانياً ولم يضمه الى أصله فى اللطافة سمى فى حقه ملكوتا ومن ضمه الى أصله ولم يفرق بين النور الكثيف سمى جبروتا وقد حققت ذلك فى قصيدتى التائية وتقدم بعضها وكذلك فى شرح التصلية المشيشية والله تعالى

فضل (فاجاب) أما تفضيل العارفين بالله على العارفين بأحكام الله فقول الاستاذ وأبى حامد فيه متفق ولايشك عاقل ان العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال وبما يستحيل عليه من العيب والنقصان أفضل من العارفين بالاحكام بل العارفون بالله أفضل من أهل الاصول والفروع لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وثمراته فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة ان متعلقه أشرف المعلومات . أكملها لأن ثماره أفضل الثمرات ثم قال بعد ذكر ثمرات المعرفة بالله من الاتصاف بالاخلاق السنية بعد التطهير من الاوصاف الدنيا ولاشك أن معرفة الاحكام لاتورث شيئاً من هذه الاحوال ويدل على ذلك الوقوع فان الفسق فاش فى كثير علماء الاحكام بل أكثرهم مجانبون للطاعة والاستقامة بل قد اشتغل بعضهم بأقوال الفلاسفة فى النبوات والإلهيات ومنهم من خرج عن الدين ومنهم من شك فتارة يترجح عنده الشك وتارة يترجح عنده البطلان ثم قال فكيف يساوى بين العارفين وبين الفقهاء والعارفون أفضل الخلق وانقاهم لله سبحانه وتعالى والله سبحانه يقول (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (وأما قوله تعالى) إنما يخشى الله من عباده العلماء فانما أراد العارفين به وبصفاته وافعاله دون العارفين بأحكامه ولايجوز حمله على علماء الاحكام لان الغالب عليهم عدم الخشية وكلام الله صدق فلا يحمل الا على من عرفه وخشيه (وقد روى) هذا عن ابن عباس رضى الله عنه وهو ترجمان القرآن فان كان عالما بالله تعالى وبأحكامه فهذا من السعداء وان كان من أهل الاحوال العارفين بالله فهذا من أفضل العارفين اذ قد حاز ما جازوا وفضل عليهم بمعرفة الاحكام (وأماقول) من قال ان العمل المتعدى خير من القاصر فانه جاهل بأحكام الله تعالى بل للعمل القاصر أحوال احداها ان يكون أفضل من المتعدى كالتوحيد والاسلام والايمان وكذلك التسبيح عقب الصلوات

أعلم ولا بد لمن أراد أن تكشف لههذه الأنوار ويدركهذه المقامات من وجود أعمال ومقاسات أحوال فاذا عمل عملا وذاق حلاوته فليستبشر بالفتح الذى هو جزاء السائرين وهو الذى أشار اليه بقوله (وجدان ثمرات الطاعة عاجلا وبشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا) قلت من وجد فى بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ومن لم يجدها فلا ييأس من روح الله فان لله نفحات تهب على القلوب فتصبح عند علام الغيوب أو تقول من وجد ثمرة عمله فى الدنيا فليستبشر بوجود الجزاء آجلا فى الآخرة وقد تقدم هذا للشيخ مرارا وهذا الجزاء الذى يستبشر به لا ينبغى قصده ولا طلبه لئلا يكون ذلك قدحاً فى الإخلاص كما أبان ذلك بقوله (كيف تطلب العوض على عمل وهو مصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك) قلت العبد إنما هو آلة مسخرة فاذا سخره ربه تحرك وإلا فلا وإذا كان كذلك فلا نسبة لك فى العمل إلا ظهوره عليك حكمة فكيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك وإذا من عليك بصدق فى العبودية وهو سر الإخلاص فكيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك وعبر فى جهة العمل بالصدقة التى تكون للمحتاجين وفى جهة الصدق بالهدية التى تكون للمحبوبين لأن العمل الناس مشتركون فيه اذجل الناس فى العمل والاخلاص قليل وأهله أقل من القليل وهم الخواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه فى قوله عليه الصلاة والسلام انما أنا نعمة مهداة الأنبياء لأممهم عطية ونبينا لنا هدية والعطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين وقال الواسطى رضى الله عنه مطالبة الأعواض على الطاعة من نسيان الفضل وقال أبو العباس بن عطاءة أقرب الأشياء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها وأشد من ذلك مطالبة الأعواض على أفعالها اه وأعظم الأعمال التى توجد ثمرتها عاجلا وآجلا هو ذكر الله وثمرته هو النور الذى يشرق فى القلب فيضمحل به كل باطل والناس فى هذا النور على قسمين قسم سكن

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضله على التصدق ثم قال فان كانت مصلحة القاصر أفضل من مصلحة المتعدى قدمت على المتعدى وان كانت مصلحة المتعدى أرجح قدمت على القاصر فتارة نقف على الرجحان فنقدم الراجح وتارة ينص الشارع على تفضيل أحد معلمين فنقدمه وإن لم نقف على رجحانه وتارة لا نقف على الرجحان ولا تجد نصاً يدل على التفضيل فليس لنا أن نجعل القاصر أفضل من المتعدى ولا المتعدى أفضل من القاصر لان ذلك موقوف على الأدلة الشرعية فاذا لم يظهر شىء من الأدلة الشرعية لم يجز أن نقول على مالا نعلمه أو نظنه فلا أدلة شرعية ثم ذكر قوله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر ماسبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى صدره أنظر بقية كلامه ذكره فى الجنائز والتفضيل عند المحققين انما هو بقوه اليقين فمن قوى يقينه أكثر كان عند الله أكبر وهو الذى وقر فى صدر أبى بكر فسبق به والله تعالى أعلم ثم ذكر المنكر لهذا العلم ومنشأ انكاره فأشار إلى الأول بقوله :

وأنكروه ملأ عوام لم يفهموا مقصوده فهاموا

(قلت) الملأ فى أصل اللغة هم أشراف القوم وعظماؤهم لأنهم تملأ العين بالنظر اليهم ثم صار يطلق على مطلق الجماعة والعوام ضد الخواص فالعوام هم أهل اليمين والخواص هم السابقون من المقربين فكل من حجب بسحب الآثار عن رؤية الاعمال فهو من العوام وكل من نفذ إلى شهود الانوار قبل الكون أو معه أو عنده فهو من خواص المقربين وكل علم وفن له عوام وخواص فيه يعنى أن جماعة من العوام انكروا علم الباطن وقالوا ليس الا علم الشريعة الذى هو العلم الظاهر وأما علم الباطن فلم ينزل به كتاب ولا سنة (قلنا) يرد عليهم بقوله تعالى فى قضية سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام آتيناه رحمة

النور قلوبهم فهم ذاكرون على الدوام وقسم يطلبون وجوده بأذكارهم وإلى هذا أشار بقوله (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) قلت أما القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم فهم الواصلون وأما الذين تسبق أذكارهم أنوارهم فهم السائرون الأولون لهم أنوار المواجهة لا تفارقهم فهم ذاكرون على الدوام فاذا أرادوا أن يذكروا باللسان سبقت إلى قلوبهم الأنوار فكانت هى الحاملة لهم على وجود الأذكار وأما الآخرون فلهم أنوار التوجه وهم طالبون لها محتاجون إليها فهم يجاهدون أنفسهم فى طلب تلك الأنوار ثم بين حال الفريقين فقال (ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا) قلت فالذى ذكر ليستنير قلبه هو الذى يسبق ذكره نوره فهو من القوم الذين تسبق أذكارهم أنوارهم والذى استنار قلبه فكان ذاكرا هو الذى يسبق نوره ذكره فهو من القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم وهم العارفون بالله لا تجدهم إلا فى حضرة الله بين ذكر أو فكرة أو نظرة أو إرشاد إلى الحضرة فقلوبهم ممتلئة بالأنوار وأرواحهم دائماً فى حضرة الأسرار ثم ان وجود الذكر فى الظاهر عنوان وجود الشهود فى الباطن إذ لولا وارد ما كان ورد وهو الذى أبانه بقوله (ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود أو فكر) قلت إذا كان الظاهر مشتغلا بذكر الله فهم علامة وجود محبة الله فى الباطن إذ من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولا تكون المحبة إلا عن ذوق ومعرفة فلا يكون ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود أى شهود كان وإن كان لا يشعر بشهوده فما ذكرت الروح حتى فنيت ولا فنيت حتى شهدت فكل من فنى فى ذكر الله فان روحه شهدت جمال الحضرة أو تفكرت فى جمال المذكور وبهائه أو فى حسن ثوابه وجزائه فتحصل أن وجود الذكر فى الظاهر ناشىء إما عن شهود فى الباطن وهو حال المريدين أو العارفين أو ناشىء عن فكرة وهو حال الطالبين للجزاء فان الناس فى الذكر على ثلاثة أقسام قسم يطلبون الأجور وقسم يطلبون الحضور وقسم وصلوا ورفعوا الستور ثم بين وجه كون ذكر الظاهر ناشئاً عن

من عندنا وعلمناه من لدنا علماً فالعلم اللدنى هو العلم الموهوب وهو على قسمين قسم يكشف عن سر الوجود ومعرفة الملك المعبود وقسم يكشف عن سر القدر وما يقع من الحوادث والمعتبر عند المحققين هو القسم الأول (وقد فسر) النبى صلى الله عليه وسلم مقام الإحسان بقوله أن تعبد الله كأنك تراه ولا يمكن أن يعبد الله كأنه يرى وهو محجوب بظلمة الآثار.

(وقال) أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كنت أدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو وأبو بكر يتكلمان فى علم التوحيد فأجلس بينهما كأنى زنجى لا أعلم ما يقولان فهذا التوحيد الذى يتكلم فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع الصديق هو التوحيد الخاص وهو غوامضه وأسراره التى لا تفشى إلا لأهله وهو المسمى عندنا بعلم الباطن ويسمى أيضاً بعلم الحقيقة وسيأتى زيادة بيان لهذا الأمر عند قوله ها ظاهر الشرع مع الحقيقة الا كاصل الفرع فى الحديقة (قوله) ومنكروه ملأ هو على حد قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا (وقوله) فهاموا أى تحيروا أو تلفوا وضلوا عن سلوك طريق التحقيق وبالله التوفيق ثم بين منشأ الانكار وسببه فقال:

وكل من أنكر منه شيأ ... فإنما ذاك لسبع أشيا
لجهله لنفسه الشريفة ... وكونها فى أرضها خليفة
وجهلها بالعالم المعقول ... وشغله بظاهر المنقول
وسهوه عن عمل القلوب ... والخوض فى المكروه والمندوب
والجهل بالحلال والحرام ... والميل عن مواهب الالهام

شهود الباطن فقال (أشهدك من قبل أن أستشهدك فنطقت بالوهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) قلت الروح فى أصل ظهورها فى غاية الطهارة والصفاء فحين أبرزها الله تعالى فى عالم الذر كانت عالمة دراكة فأشهدها الله تعالى عظمته وجلاله وبهاءه وكمال وحدانيته فقال لها حينئذ ألست بربكم قالوا بلى فكلها أقرت بالربوبية فلما ركبها فى هذا القالب فنها من أقرت بذلك العهد ومنها من جهلت وأنكرت فقد أشهدك الحق تعالى حين كنت فى عالم الأرواح ربوبيته ووحدانيته فعلمتها وحققتها من قبل أن يستشهدك أى يطلب منك تلك الشهادة فحين طلبها منك وجد روحك عالمة فنطقت بالاهيته التى عرفتها فى عالم الذر ألسنة الظواهر وتحققت بأحديته التى شهدتها قبل التركيب القلوب والسرائر فكل ما ظهر من الإقرار بالربوبية فى عالم الشهادة فهو فرع الاشهاد المتقدم فى عالم الغيب وكل ما ظهر من التحقق بالأحدية للقلوب فهو فرع العلم السابق فى علم الغيوب فالواجب على العبد أن يكون جامعاً بين إقرار الظاهر وتوحيد الباطن فالأول فرق والثانى جمع وإلى هذا المعنى أشار الجنيد رضى الله عنه بقوله :

قد تحققت بسرى حين ناجاك لسانى فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
أن يكن غيبك التعظيـ ـم عن لحظ عيانى فلقد صيرك الوجـ ـد من الاحشاء دانى

ثم بين كرامات الذكر المتقدم فقال (أكرمك كرامات ثلاثا جعلك ذاكرا له ولو لا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكوراً عنده فتمم نعمته عليك) قلت لقد أكرمك الحق تعالى أيها الانسان كرامات كثيرة وأنعم عليك نعماغزيرة قال تعالى(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وأجل الكرامات وأعظمها كرامات الذكر (وفى) الحديث ما من يوم الا ولله فيه نعم ينعم الله بها على عباده وما أنعم الله على عبد أفضل من أن يلهمه ذكره

(قلت) ذكر سبعة أشياء هى الموجبة لانكار العوام على الخواص وهم أهل الباطن (الاول) جهلهم بحقيقة نفسهم وشرفها وهو الروح فى أصل نشأتها فلما حجبت وتظلمت سميت نفسا ولاشك أن الروح التى قامت بهذا البدن أصلها لطيفة نورانية ملكوتية عالمة بما كان وما يكون وما حجبها عن هذا العلم الا شغلها بتدبير البدن وتحصيل أغراضه وشهواته فكل من جاهدها وخرق عوائدها رجعت إلى أصلها فأدركت العلوم اللدنية والاسرار الربانية وهو علم الباطن فلو علم الانسان أصل نفسه وشرفها وعرف السبب الذى حجبها عن اصلها لاحتال عليها حتى يردها لاصلها لكن جهله بأصله تركه محجوبا بها حتى أنكر خصوصيتها ولذلك قال يحي بن معاذ الرازى من عرف نفسه عرف ربه قيل من عرف نفسه كيف كانت فاحتال عليها حتى ردها لا صلها فقد عرف ربه وقيل معناه من عرف حقيقة نفسه فقد عرف ربه لانه حصل مقام الجمع وحجب به عن الفرق والله تعالى أعلم

(الامر الثانى) جهل كون نفسه خليفة عن الله فى أرضه قال تعالى فى شأن آدم (انى جاعل فى الأرض خليفة) ولا شك أن الحق سبحانه ركب هذا الروح اللطيف فى هذا المظهر الانسانى الكثيف وجعله يتصرف فى الكون كيف شاء قال تعالى (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) وقال تعالى(وسخر لكم ما فى السموات ومافى الأرض جميعا منه) وقال فى الحكم جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوى عليك أصداف مكوناته وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك فالانسان فى أصل نشأته خليفة الله فى وجوده من عرشه الى فرشه لكن الانسان لما جهل نفسه أشغلها بخدمة الاكوان فسقطت عن

أو كما قال عليه السلام ذكره المنذرى ومرجع هذه الكرمات إلى ثلاثة أمور (الكرامة الأولى) جعلك ذاكراً له ومن أين لعبد ذليل أن يذكر سيداً جليلا ولو فضله عليك لم تكن أهلا لجريان ذكره على لسانك (الكرامة الثانية) جعلك مذكوراً به حيث ذكرك بنفسه حين ذكرته قال تعالى فاذكرونى أذكركم وإذا كنت مذكوراً بسبب ذكره لك فقد ثبتت خصوصيتك عنده فأى كرامة أعظم من هذه فقد حقق نسبته لديك حيث أثبت لك الخصوصية وقال لك ياولي وياصفتى فمن أين أنت وهذه النسبة لولا أن الله تفضل عليك قال بعضهم فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله أكبر أى ولذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد لله (الكرامة الثالثة) حيث جعلك مذكوراً عنده فى الملائكة المقربين (فنى) حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسه وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه وإن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعا وإن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة اه وفى حديث آخر ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكان يحيى بن معاذ رضى الله عنه يقول يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجرى فى اللوح المحفوظ بذكرك لمت طرباً اه فإذا عمرت أوقاتك بذكر الله فعمرك طويل وإن قلت أيامه كما أبان ذلك بقوله (رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده) قلت رب هنا للتكثير فى الموضعين فكثير من الأعمار اتسعت آماده جمع أمد وهو الزمان أى كثير من الناس طالت أعمارهم واتسعت أزمنتهم وقلت امدادهم أى فوائدهم فلم يحصلوا على شىء حيث اشتغلوا بالبطالة والتقصير حتى مضت تلك الأيام كطيف المنام وأضغاث أحلام وكثير من الاعمار قلت آمادهم أى أزمنتهم وكثرت امدادهم أى فوائدهم فأدركوا من فوائد العلم والأعمال

رتبة الخلافة حين صارت مملوكة فى أيدى المماليك ولا يصلح للخلافة إلا من كان حراً عن الملوك والمماليك (قال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه الاكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة (وفى) بعض الاخبار المروية عن الله عزوجل يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عمن أنت له فكل من تحرر من رق الاكوان ورفع همته عنها ملكها بأسرها واستولت روحه على الوجود بأسره فصار خليفة الله فى كونه وأما من بقى مملوكا فى يدها فلا خلافة له (الامر الثالث) جهل النفس بالعالم المعقول والمراد به العالم الروحانى وهو عالم المعانى لانه لا يدرك بالنقل وإنما يدرك بتصفية العقل وجوهريته حتى يصير سراً من أسرار الله فحينئذ يدرك عالم المعانى ويغيب عن عالم الاوانى وهو عالم الحس (فتحصل) أن من اشتغل بعالم الاشباح وهو عالم الحس وعالم الحكمة لا يدرك عالم الارواح وهو المعانى وعالم القدرة وأنكر على من ادعى إدراك شىء من ذلك وهو معذور كمن أنكر طلوع الشمس وهو أرمد كما قال البوصيرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وسبب حجابهم عن عالم المعانى وهو عالم القدرة اشتغالهم بعلم عالم الحس وهو عالم الحكمة فاشتغلوا بعلم المنقول والاطلاع على الاقوال الغريبة وتحرير المسائل الفروعية والتغلغل فيها وهو سبب حجاب علماء الظاهر تجمدوا على ظاهر الشريعة وادعوا الاحاطة بها وأنكروا على أهل علم الحقيقة فضلوا وأضلوا عن طريق الخصوص وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ولو تأملوا فى سر الشريعة لوجدوها تدل على الطريقة والطريقة توصل الى الحقيقة ولكن سنة الله لا تنخرم فلا بد من قوم يتجردون لعلم الشريعة ويحملون لواءه وإلا ضاعت الطريقة والحقيقة اذلو ذاقوا هذا العلم لزهدوا فى سائر العلوم ولن تجد لسنة الله تبديلا (الأمر الرابع) الاشتغال بعمل الجوارح الظاهرة والتعمق فيه والغفلة عن عمل القلوب وتصفيتها وهو

والمعارف والأسرار فى زمن قليل مالم يدركه غيرهم فى الزمن الكثير ومثال ذلك أهل الجذب مع السلوك وأهل السلوك وحده فان أهل الجذب الموافقين للسالكين فى الأعمال يطوون فى ساعة واحدة من مسافة القرب مالم يدركه أهل السلوك فى سنين وذلك أهل الفكرة مع أهل الخدمة فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفى ذلك قال الشاعر

كل وقت من حبيبى   قدره كألف حجه

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقاتنا كلها ليلة القدر أى كل وقت عندنا أفضل من ألف شهر عند غيرنا قال القاضى أبو بكر بن العربى المعافرى تلميذ الغزالى لمت الشيخ أبا حامد على انقطاعه واعتزاله عن الخلق وقطع انتفاعهم بما وهبه الله من العلم الظاهر والباطن فقال متمثلا

قد تيممت بالصعيد زمانا   وأنا الآن قدظفرت زمانا

من سرى مطبق الجفون وأضحى   فاتحــا لا يردها للعماء

أى من كان يمشى مسدود العينين وأضحى أى صار فاتحاً لعينيه لايرجع للعماء قلت يا سيدى الاشتغال بالعلم نفع عام وهو من أفضل العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس فقال لما طلع قمر السعادة فى أفق الارادة وأشرقت شمس الوصول فى أرض الأصول :

تركت هوى سعدى وليلى بمعزلى   وصرت إلى علياء أول منزل

فنادتنى الأكوان من كل جانب   ألا أيها الساعى رويدك فامهل

غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد   لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

سبب حجاب العباد والزهاد وحبستهم حلاوة عبادتهم عن شهود معبودهم وحلاوة زهدهم عن معرفة خالقهم فاستوحشوا من كل شىء لغيبتهم عن الله فى كل شىء فهم ينكرون الخصوصية لغيرهم ويثبتونها لنفوسهم وهو الجهل المركب وهذا مع قلبه أشد الحجاب عن الله ولذلك قال بعضهم أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد (الأمر الخامس) الخوض فيما يحسنه العقل ويقبحه فما استحسنه العقل أحبوه واعتقدوه وما قبحه العقل كرهوه وأنكروه فوقفوا مع عقولهم فانعقلوا عن مراتب الكمال وحجبوا عن مدارك الرجال فالعقل معقول لايدرك من أمر التوحيد إلا افتقار الصنعة إلى صانعها وأما أسرار التوحيد وغوامضه فهو خارج عن دائرته كما قال ابن الفارض رضى الله عنه

فثم وراء النقل علم يدق عن   مدارك غايات العقول السليمة

وهذا سبب حجاب أهل علم الكلام وقفوا مع الدليل وحجبوا عن المدلول ارتبطوا مع الدليل والبرهان وأنكروا الشهود والعيان هذا معنى قوله والخوض فى المكروه والمحبوب ويحتمل أن يريد الخوض فى الدنيا بالاشتغال فى تحصيل محبوبها كالعز والجاه والمال والبعد عن مكروهها كالذل والفقر وغير ذلك مما تكره النفوس فان الاشتغال بذلك حجاب عظيم عن التوحيد والله تعالى أعلم (الأمر السادس) جهل الانسان بما يحل له الخوض فيه ومايحرم عليه إذ لو تحقق ذلك وعلم مافيه من العقوبة لانزجر وانكف عن الخوض فيما لا علم له به وأشغله عيبه عن عيوب غيره لكن لما جهل مايضره وماينفعه أطلق لسانه فى الانكار على أولياء الله من غير احترام ولا احتشام فلاجرم أنه ان لم يتداركه اللطف يخاف عليه سوء الخاتمة (وفى) الحديث القدسى من عادى لى ولياً فقد آذنى بالحرب أو كما قال (وفى) حديث آخر من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ولاتغتر بمن يدعى مرتبة العلم ثم يطلق لسانه فى أولياء الله فانه جاهل على الحقيقة لأن ذلك سببه الرضى عن نفسه

فانظر من أطلعه الله على بركة عمره وأراه ثمرة وقته كيف اختار الآكد فالآكد والأولى فالأولى ليدرك ما تلمحه من الفوائد ويحظى بالخصائص والزوائد اه قال الشطيبى رحمه الله قال أحمد بن أبى الحوارى لأبى سليمان الدارنى رضى الله عنهما قد غبطت بنى إسرائيل قال بأى شيء قلت بثمانمائة عام حتى يصير كالشنان البالية وكالحنايا والأوتار فقال ماظننت إلا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ومايريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق فى عشرة أيام نال مانالة الآخر فى أعماره الطويلة اه وقال فى القوت فان البركة فى العمر أن تدرك فى عمرك القصير بيقظتك ما فات غيرك فى عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك فى السنة مايرتفع له فى عشرين سنة وللخصوص من المقربين فى مقامك للقرب عند التجلى بصفات الرب الحاق برفع الدرجات وتدارك لما فات عند أذكارهم وأعمال قلوبهم اليسيرة فى هذه الأوقات فكل ذرة من ذكر تسبيح أو تهليل أو حمد أو تدبر وتبصرة أو تفكر وتذكرة لمشاهدة قرب ووجد برب ونظرة إلى حبيب ودنو من قريب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الغافلين الذين هم لنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون ومثال العارفين فيما ذكرناه من قيامهم بشهادتهم ورعايتهم لأماناتهم وعهدهم فى وقت قربهم وحضورهم مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر اه منه فالبركة فى العمر هى ادراك الأمداد العظيمة فى الآماد القليلة كما تقدم وكما بينه بقوله (من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمان من منن الله تعالى مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة) قلت ليست البركة فى العمر بكثرة أيامه وطول أزمانه وإنما البركة فى العمر أن تصحبه العناية وتهب عليه ريح الهداية فيدرك فى يسير من الزمان من منن الله تعالى أى من علومه ومعارفه وأسراره مالا يدخل تحت دوائر العبارة لأن ما أدركه أوسع من ضيق العبارة إذ قال تعالى أعددت لعبادى الصالحين

وأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه عصمنا الله من ذلك بمنه وكرمه (الأمر السابع) الميل عن المواهب الالهامية والعلوم اللدنية وعدم التعريج عليها والتصديق بها ولا شك أن من لم يعرج عليها ولا يصدق بوجودها لا يتشوف إليها ولا يطلبها وعلم الباطن كله مواهب وكشوفات فمن لم يصدق به لا يناله أبداً مادام منكراً له وقد قالوا أول الطريق تصديق ووسطه توفيق وآخره تحقيق فمن لا تصديق له ومن لا توفيق له ومن لا توفيق لا وصول له لعين التحقيق ولذلك قالوا التصديق بطريقتنا ولاية أى لأنها سبب الولاية والله تعالى أعلم (هذا آخر) الأسباب الموجبة للانكار على طريق الخصوص فمن سلم من هذه الأسباب فتح له الباب ورفع عنه الحجاب ومنح بشهادة الأحباب بمنة الكريم الوهاب وإلا بقى مع عصبة الجهال فى الحيرة والضلال كما أبان ذلك بقوله :

واعلم بأن عصبة الجهـــال بهائم فى صـــورة الرجال

(قلت) إنما كان الجهال بهائم فى صور الرجال لأن المزية التى شرف بها الانسان على البهائم هو العقل والعقل نور يميز به صاحبه ما يضره وما ينفعه فاذا صار الانسان يتعاطى أموراً تضره فى دينه وتحجبه عن ربه ويترك أمورا تقربه إلى ربه وتوصله إلى حضرة قدسه فقد انطمس نور عقله وصار كالبهيمة أو أضل قال تعالى فى شأن الكفار ان هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا (وقال) بعض الحكماء من غلب عقله على شهوته كان كالملائكة أو أفضل ومن غلبت شهوته على عقله كان كالبهائم أو أضل والمراد بالجهل فى كلام الناظم الجهل بالنفس وشرفها ومن جهل نفسه جهل ربه ومن جهل ربه كان كالبهيمة فهو راجع إلى السبب الأول من الأسباب السبعة (ثم) أشار إلى تقرير السبب الثانى وهو جهله بكونها خليفة

مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقد يدرك العارف من دقائق الأسرار ماتعجز عنه عبارة اللسان كل ذلك فى أقل زمان وغالب هذا يحصل من ملاقاة الرجال وصحبتهم فان المدد الذى يحصل للإنسان فى ساعة واحدة معهم لا يحصل فى أزمنة طويلة مع غيرهم ولو كثرت صلاتهم وصيامهم إذ ليس العبرة بكثرة الأوراد إنما العبرة بكثرة الأمداد ان الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحوالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ذكره فى الجامع والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والعمل مع المعرفة ليس كالعمل مع الجهل وذلك معلوم قال الشيخ الحضرمى فى بعض وصاياه من كان يستمد من محبرة الجمع فهو يكتب ما يكون ومالا يكون . طويل طويل طويل . قصير قصير قصير شىء شىء شىء . ماشىء ماشىء ماشىء . عدم عدم عدم . وجود وجود وجود اه » فالمعنى طويل طويل والحس قصير قصير والموجود القديم شىء ثابت وما سواه ليس بشىء والسوى عدم والواحد القهار وجود فالذى يكتب من محبرة الجمع أى يستمد من حضرة الجمع يكتب الأشياء كلها ويستمد من الأشياء كلها لمعرفته فى الأشياء كلها كانت قصيرة أو طويلة وجودية أو عدمية وبالله التوفيق وسبب البركة فى العمر هو التفرغ من الشواغل والشواغب فمن كثرت شواغله وشواغبه لا بركة له فى عمره لأنه منع من تصريفه فى طاعة مولاه بمتابعة شهواته وتحصيل مناه ومن تفرغ من الشواغل ولم يقبل على مولاه فهو مخذول مصروف عن طريق استقامته وهداه كما أبان ذلك بقوله (الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه) قلت إذا قلت شواغلك فى الظاهر وعوائقك فى الباطن ثم لم تتوجه إليه فى ظاهرك ولم ترحل إليه فى باطنك فهو علامة غاية الخذلان الكبير لأن جل الناس ماحبسهم عن التوجه إلى الله إلا كثرة أشغالهم الحسية فاشتغلت جوارحهم بخدمة الدنيا فى الليالى والأيام والشهور والأعوام حتى انقرض العمر كله فى البطالة والتقصير

ولا تكون خليفة حتى تتحرر من رق الهوى فقال :

ومن أباح النفس ما تهواه فإنما معبوده هواه

(قلت) أصل الروح فى أول نشأتها الطهارة والنزاهة لأنها من عالم القدس فنعيمها إنما هو ذكر ربها وشهوده والقرب من حضرة قدسه فلما ركبت فى هذا القالب اظهارا لقدرته وحكمته مال بها إلى أصله الطينى فانقلب نعيمها إلى النعيم الجسمانى وهو الشهوات الجسمانية الحسية فانحجبت بذلك عن أصلها فمن أراد الله سعادته وفقه لمخالفتها ومجاهدتها فى قطع مألوفاتها وهواها حتى ترجع إلى أصلها فيصير نعيمها فى ذكر مولاها وشهوده فيعظم قدرها ويشرف محلها فحينئذ تستحق الخلافة وتتحقق بالنيابة فتحكم بهمتها على الكون وتتصرف فى الوجود بأسره أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانت الاكوان معك (ومن) أراد الله خذلانه وهوانه بعدله أشغله بشهواته الفانية ومألوفاته الجسمانية فاتخذ إلهه هواه وحجب بذلك عن مشاهدة مولاه فسقط فى أسفل سافلين وطرد عن ساحة رب العالمين فمن أباح نفسه وأعطاها كل ما تهواه فانما محبوبه ومعبوده هواه وضل بذلك عن طريق الوصول إلى مولاه قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) فاتباع الهوى يصد عن سبيل الهدى قال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ويخمد نور السريرة ويطمس شعاع البصيرة قال الشاعر :

انارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

هو أيضاً سبب الذل والهوان والالتحاق بحزب الشيطان

فهذا هو الخذلان الكبير ومن الناس من قلت شواغلهم الظاهرة لوجود من قام لهم بها لكن كثرت علائقهم فى الباطن ما تعلق بهم من الشواغب فهم مغرقون فى التدبير والاختيار والاهتمام بأمور من تعلق بهم من الأنام لا سيما من كان له جاه ورياسة وخطة أو سياسية فهذا باعتبار العادة بعيد من الاقبال على مولاه إلا أن سبقت له سابقة عناية فتجره إلى رحمة ربه ورضاه والحاصل أن الخير كله فى التخفيف من الشواغل والعلائق فمن تفرغ منهما فهو قريب من الحضرة وأما من كثرت شواغله وعوائقه فأمره بعيد لأن فكرته مشغولة بالعلائق والخاطف فهما هم بالسير جذبته الخاطف إليها وبقى مرهوناً معها وهو الذى أشار إليه بقوله (الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار) فمن لا تفرغ له لا فكرة له ومن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له فالفكرة هى سير القلب إلى حضرة الرب وذلك السير فى ميادين الأغيار أى فى مجال شهود الاغيار ليستدل بها على وجود الأنوار فهذه فكرة أهل الحجاب وفكرة أهل الشهود سير الروح فى ميادين الأنوار أو سير السر فى ميادين الأسرار فتكلم الشيخ على بداية الفكرة ولم يتكلم على نهايتها ولو تكلم عليهما معا لكان أحسن كما فعل فيما يأتى حيث قال الفكرة فكرتان الخ وقال الشيخ زروق رضى الله عنه الفكرة انبعاث القوة الادراكية فى عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هى عليه ومن وجد ذلك فهو عارف اه وقيل إنما عبر الشيخ بالاغيار وهى المخلوقات لقوله عليه السلام وقد رأى قوم يتفكرون فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فإنكم لا تقدرون الله حق قدره اه (تماث) إنما نهى عليه السلام عن التفكر فى كنه الذات وإدراك الحقيقة وأما التفكر فى عظمة الذات وقدمها وبقائها وواحدانيتها وتجلياتها فى ظهورها وبطونها فهذا لا ينهى عنه لأنه سبب المعرفة مع العجز عن إدراك الكنه والتحقيق أن أهل الحجاب لا يحل لهم التفكر إلا فى المصنوعات وأما أهل العرفان فلا يتفكرون إلا فى عظمة الذات أى فى عظمة الصانع وتوحيده

قال الشاعر :

لا تتبع النفس فى هواها   إن اتباع الهوى هوان

(وقال) بعضهم الهوى شرك الردى أى شبكته ومصيدته وبالله التوفيق (ثم) أشار إلى تقرير السبب الثالث وهو الجهل بالعالم المعقول فقال :

تالله ما يجمل باللبيب   جهل البعيد منه والقريب

(قلت) اللبيب هو الكامل العقل والبعيد منه هو ظلمة الحس والقريب منه هو نور المعانى الذى هو أصله وفصله أو تقول البعيد من الانسان هو ظلمة الأوانى والقريب منه هو نور المعانى المغنية للأوانى أو تقول البعيد منه التجليات المنفصلة عنه فى الحس كالسموات والأرضين وما بينهما والقريب منه جسمه المتصل به والكل متصل فى المعنى كما قال الششترى متحد المعنى فى كل حى فينبغى أن يعرف فى الجميع فلا يجمل أى يحسن باللبيب أن يجهل ما هو بعيد منه من ظلمة الحس وما هو قريب منه من نور المعانى فنور روحك أقرب إليك من ظلمة حسك لكن لما انطمست البصيرة اشتغلت الروح بتدبير هذا الجسم وتحصيل شهواته وأغراضه فسقطت فى أسفل سافلين وبعدت من حضرة رب العالمين فتركت ما هو قريب من نور حضرة الحبيب واشتغلت بما هو بعيد من ظلمة الجسم فى تحصيل أغراضه وتوفير شهواته فارتبطت فى عالم الأشباح ولم ترجع إلى عالم الأرواح وهو عالم المعانى بل أنكرته بالكلية ولو انفتحت البصيرة لشاهدت الأنوار الحاجبة الماحية للأغيار أقرب إليها من كل قريب قال فى الحكم شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ما عليه كان وراجع الشرح ففيه تفسير هذه المعانى والله تعالى أعلم (ثم) ذكر تقرير السبب الرابع وهو الغفلة عن عمل القلوب فقال

وقدمه وبقائه وظهوره واحتجابه وفى الغيبة عن الحس وشهود المعنى أوفى الغيبة عن الكون بشهود المكون أوفى الغيبة عن الظلمة بشهود النور وهو سراج القلب الذى أشار اليه بقوله (الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا إضاءة له) قلت الفكرة فى عظمة البارى وتوحيده نور فاذا كان القلب مشغولا بالفكرة فى عظمة الحق فهو منور بنور الحق وإذا خلا من الفكرة فى الحق دخلته الفكرة فى الاغيار وهى ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور أبداً فالفكرة سراج القلب فاذا ذهبت الفكرة فى الحق انطفأ نوره بدخول ظلمة الكون فلا إضاءة له ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله فى ميدان الفكرة على بساط التوحيد اه

(وقال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أربعة من حازهن فهو من الصديقين المقربين ومن حازمنهن ثلاثة فهو من أولياء الله المقربين ومن حاز منهن اثنين فهو من الشهداء المؤمنين ومن حاز منهن واحـــدة فهو من عباد الله الصالحين (أولها) الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور (الثانى) الفكرة وبساطه الصبر وثمرته العلم (الثالث) الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه (الرابع) الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصول إلى المحبوب ثم بين فكرة البداية والنهاية فقال (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان) قلت فكرة أهل التصديق والإيمان هى سير القلب فى ميادين الاغيار فهم يتفكرون فى المصنوعات ليتوصلوا إلى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك من سائر صفاته وهم الذين قال الله فيهم يؤمنون بالغيب وفكرة أهل الشهود والعيان هى سير الروح ميادين الأنوار قد انقلب الأغيار فى حقهم أنواراً والدلائل مدلولات والغيب شهادة وهم الذين أطلعهم الله على سر قوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) ثم بين حال الفريقين فقال (فالأولى لأرباب الاعتبار) قلت الفكرة الأولى وهى فكرة تصديق وإيمان لأصحاب الاعتبار وهم أهل الاستدلال يستدلون بالصنعة على الصانع وهم السائرون إلى الله بأنوار التوجه (والثانية

كيف يرى فى جملة السباق   من حظه مع الحظوظ باق

(قلت) السباق جمع سابق والحظوظ هى الشؤون والشواغل جمع حظ (اعلم) أن الناس على قسمين أهل اليمين والسابقون فأهل اليمين هم المشتغلون بإصلاح الظواهر وتدبير شؤونها وما يصلح بها جلبا ودفعاً عاجلا وآجلا والسابقون هم المشتغلون بإصلاح القلوب والسرائر وهم المقربون الغائبون عن رؤية أنفسهم الباقون بشهود ربهم فكل من اعتنى باصلاح ظاهره بأنه إصلاح باطنه وكان من أهل اليمين وكل من اعتنى باصلاح باطنه كان من السباق وحشر فى زمرة المقربين (وقال) الشيخ أبو الحسن غب عن إصلاح ظاهرك ان أردت فتح باطنك فكيف يرى الإنسان ويظهر فى جملة السباق ويلتحق بأهل الجد والاستباق وحظه منصرف لتحصيل حظوظه وشؤون ظاهره الحسية وهمته واقفة مع عوائده وشهواته الوهمية كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد (ولابد) من صحبة شيخ عارف ينقلك من العمل الظاهر إلى عمل الباطن وإلا بقيت مع عوام المسلمين من أصحاب اليمين تنكر مقامات المقربين (وبين) عمل القلوب وعمل الجوارح ما بين عمل السر والعلانية (وقال) بعضهم الذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من عمل الجوارح والله تعالى أعلم (ثم) قرر السبب الخامس وهو الخوض فى المكروه والمحبوب فقال :

متى يجد جواهر المعانى   من قلبه على الدوام عانى

(قلت) العانى هو الاسير وفى الحديث فكوا العانى وأطعموا الجائع وجواهر المعانى أسرار الذات فى أنوار الصفات (أو) تقول هى أسرار الجبروت وأنوار الملكوت (أو) تقول هى المعانى اللطيفة القائمة بالأوانى الكثيفة فاذا ظهرت المعانى

لأرباب الشهود والاستبصار) قلت الفكرة الثانية وهى فكرة شهودوعيان هى لأرباب الشهود والاستبصار لأنهم ترقوا من شهود الدليل إلى المدلول ومن الأثر إلى المؤثر ومن الأغيار إلى شهود الأنوار ومن الفرق إلى الجمع ومن الملك إلى الملكوت فما يشهدون إلا أنوار الملكوت تدفقت وانصبت من بحار الجبروت فهم غرقى فى بحار الأنوار مطموس عنهم وجود الآثار فان ردوا إليه رأوه قائماً بالله ومن الله والى الله فما أعظم قدرهم عند الله وفى مثلهم قال القائل

هم الرجال وغبن أن يقال لمن لم يتصف بمعانى وصفهم رجل

حققنا الله بما حققهم به آمين (هذا آخر) الباب الخامس والعشرين وبها ختمت الأبواب ومابقى إلا المراسلات والمناجاة وحاصل المراسلات ثلاثة كتب وجواب فأول الكتب رسالة فى السلوك إلى حضرة ملك الملوك بدايتها ونهايتها ونصها وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه (أما بعد فان البدايات مجلاة النهايات) قلت البدايات ما يظهر على المريد فى أول دخوله من مجاهدة ومكابدة وصدق وتصديق وهو مظهر ومجلاة للنهايات أى يتجلى فيها ما يكون فى النهايات فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فمن رأيناه جادا فى طلب الحق باذلا نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء الوصول إلى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية علمنا اشراق نهايته بالوصول إلى محبوبه وإذا رأيناه مقصرا فى ذلك علمنا قصوره عما هنالك وأنشدوا

بقد الكد تكتسب المعالى ومن طلب العلى سهر الليالى
تريد العز ثم تنام ليــلا يغوص البحر من طلب اللآلى

وبالجملة من رأيته صادق العزم فى البداية فاعلم أنه من أهل العناية ومن كان فى سلوكه معتمدا على الله ومفوضاً أمره

تلطفت الأوانى وفى ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه

ولطف الأوانى فى الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تسموا

(وقال) فى الحكم لولا ظهوره فى المكونات ماوقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته فالصفات معانى والأكوان أوانى، لاتنظر إلى الأوانى، وخض بحر المعانى، لعلك ترانى،(وقال أيضاً) أباح لك أن تنظر فى المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام فالاجرام كالصدف ليواقيت المعانى فمن وقف مع الصدف الظاهر حجب عن جمال اليواقيت الباطنة فمن كان قلبه مصروفا إلى ظواهر الاجرام مشغوفاً بحبها أسيراً فى يدها معمورا بصور خيالها لايطمع أن يذوق حلاوة المعانى ولا تشرق عليه أنوارها كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يدخل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته فتى يجد فى قلبه بهجة جواهر المعانى من قلبه على الدوام عانى أى أسير فى قيد هواه الجسمانى متعوب فى خدمة الأوانى يقرب هذا ويبعد هذا يحب هذا ويبغض هذا يقبح هذا ويحسن هذا ويصغر هذا ويكبر هذا فما دام هذا شأنه لا يطمع أن يطلع على بهجة المعانى ولا يترقى إلى العالم الروحانى وانما وطنه العالم الجسمانى منكرا على أهل المعانى الا أن يتداركه الله بلطف ربانى فينهض بخوف مزعج أو شوق مقلق وما ذلك على الله بعزيز (ثم) قرر السبب السادس من أسباب الانكار وعنه ينشأ تضييع العمر والاشتغال بالفضول فقال :

إلى الله كانت غاية سلوكه الوصول إلى الله كما نبه عليه بقوله (ومن كانت بالله بدايته كانت اليه نهـايته) قلت البداية بالله هى أن لايرى لنفسه حولا ولاقوة لا فى عمل ولا فى حال ولا فى مجاهدة ولا مكابدة بل ما يبرز منها من الأعمال أو من الأحوال رآه منة من الله وهداية اليه فان كان هكذا فقد صحت بالله بدايته واليه تكون نهايته ومما يتأكد النظر اليه فى البداية تصحيح ما يفتقر اليه فى سلوكه من علم الشريعة وعلم الطريقة فالعمل بلا علم جناية والعلم بلاعمل وسيلة بلا غاية وفى ذلك قيل ذلك :

إذا كنت ذا عمل ولم تك عالما ... فأنت كذى رجل وليس له نعل
وإن كنت ذا علم ولم تك عاملا ... فأنت كذى نعل وليس له رجل
جوادك مسبوق إلى كل غاية ... وهل ذوجوادردىء يسبقه البغل

وقد ذيلتها ببيت تكميلا للأقسام فقلت

وإن كنت ذا علم وحال وهمة ... جوادك سابق يصح له الوصل

فاذا حصل المريد ما يحتاج اليه فى بدايته من إتقان طهارته وصلاته وصومه فليشتغل بطاعة ربه ويعوض عما يشغله عنه كما أبان ذلك بقوله (والمشتغل به هو الذى أحببته وسارعت اليه والمشغل عنه هو المؤثر عليه) قلت أل موصولة فى الموضوعين أى الذى تشتغل به فى جميع أوقاتك وتصرف اليه بكليتك هو الحبيب الذى تسارع اليه وأفضل أشغالك ذكره وليكن ذكراً واحداً وقصداً واحداً تبلغ مرادك إن شاء الله والذى تشتغل عنه أى تغيب عنه هو المؤثر عليه بفتح الثاء أى هو الذى تركته وآثرت حب الله عليه والحاصل أن الذى تشتغل به وتقصده هو الذى أحببته وسارعت اليه والذى تغيب عنه هو الذى تركته وآثرت حب الله عليه فلا جرم أن الله يبلغك ماتريد أن الله رزق العبد على قدر همته وأنشدوا

إذا العبد ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن كل الشواغل جانباً

لم يتصل بالعالم الروحانى ... من عمره على الفضول حانى

(قلت) الحانى على الشىء هو المنكب عليه والمنهمك فى محبته بكليته والعالم الروحانى هو ضد العالم الجسمانى فالعالم الروحانى هو عالم الملكوت والعالم الجسمانى هو الملك أو تقول العالم الروحانى هو علم التلطيف والعالم الجسمانى هو عالم التكثيف والتلطيف محل التعريف والتكثيف محل التكليف أو تقول العالم الروحانى هوعالم الأرواح والعالم الجسمانى هو عالم الأشباح أو تقول العالم الروحانى هوعالم القدرة والعالم الجسمانى هو عالم الحكمة أو تقول العالم الروحانى هوعالم الجمع والعالم الجسمانى هوعالم الفرق أو تقول العالم الروحانى هوعالم شهود الربوبية والعالم الجسمانى هو محل ظهور العبودية وهذه التفاسير معناها واحد وإنما تذكرتها للإيضاح ، واعلم أن محل عالم الأرواح وعالم الأشباح واحد عند أهل التحقيق إذ الأرواح لاتظهر بغير أشباح والأشباح لاتقوم بغير أرواح لكن قوم غلبت بشريتهم على روحانيتهم وظلمتهم على نورهم وملكهم على ملكوتهم فلم يروا إلا الأشباح تظهر وتعدم وهم أهل الحجاب من أهل السلوك (وقوم) غلبت روحانيتهم على بشريتهم نورهم على ظلمتهم وملكوتهم على ملكهم فلم يروا إلا الأرواح تظهر وتبطن (وإن شئت) قلت لم يروا إلا الأنوار تكثفت وتدفقت من غير بحار الجبروت إلى رياض الملكوت وهم أهل العرفان من أهل الشهود والعيان (أو) تقول هم أهل الجذب والفناء فهم غرقى فى بحار الأنوار مطموس عليهم الآثار فان فاقوا من سكرتهم وصحوا ميزوا بين الأشباح والأرواح وبين القدرة والحكمة فأعطوا كل ذى حق حقه ووفوا كل ذى قسط قسطه ولم يحجبوا بجمعهم عن فرقهم ولا بفرقهم عن جمعهم وهم الكمل رضى الله عنهم وإنما سمى عالم المعانى بالعالم الروحانى لأن من عرفه وكوشف به لايرى إلا الأرواح تكثفت بالقدرة

فقد زال عنه العار بالعزم جالباً　　عليه قضاء الله ما كان جالباً

وقيل إن علامة الصادق أن لا يرضى بدون الغاية أبداًمع ان الغاية لاتدرك أبداًوقال الفضيل من رأيتموه وكلامه حكمة وصمته فكرةونظره عبرة فلا تهتموا منه فانه قد قطع عمره فى عبادة وسلوكه أبداً فى زيادةومن رأيتموه يطيل الأمل ويسىء العمل فاعلموا أن داءه عضال اه وأعظم ما يشتغل عنه المريد ويغيب عنه حب الدنيافانه سم قاطع ولا يمكن السير إلى الله بصفاء القلوب مع بقاء شىء منها وقليلها ككثيرها روى أن بعض المريدين قام ليلا لعبادته فلم يجد قلبه فقال إذ أصبحت شكوت هذه الوسوسة للشيخ فوقف الشيطان على الشيخ وقال إن فلاناً يريد أن يشكونى وأنا ماظلمته أن الدنيا بستانى وأنا أحرسها فمن أخذ منى شيئاً لاأتركه حتى يترك ما أخذ فلما أصبح جاء الشيخ فقال له الشيخ جاء إبليس يشتكى بك ما الذى أخذت له فقال ياسيدى خلق ثوبى فطلبت إبرة لأرقعه فقال له أخرجهاله وقل لنفسك الموت أقرب من ذلك فطرحها فوجد قلبه وأنشدوا

لاتحقرن ضعيفاً عند رؤيته　　أن البعوضة تدمى مقلة الأسد
وللشرارة حقر حين تنظرها　　وربما أضرمت ناراً على بلد

ثم هذا الذى تشتغل به وتسارع اليه هو أيضاً يطلبك ويسارع اليك وان تقربت اليه شبرا تقرب اليك ذراعا كما أبان ذلك بقوله (ومن أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه) قلت اليقين هو سكون القلب وطمأنينته بحيث لم يبق فيه اضطراب ولاريب فى جميع الأمور وطلب الله لعبده من وجوه منها أنه يطلبه بالقيام بحقوق العبودية ووظائف الربوبية ومنها أنه يطلبه بالتوجه اليه والفرار مما سواه ويطلبه بالعكوف فى حضرته على بساط الأدب والمحبة فمن أيقن أن الله يطلبه بهذه

واحتجبت بالحكمة كما قال ابن الفارض

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة　　بها احتجبت عن كل من لاله فهم

والضمير على الخمرة الأزلية ثم قال

وهامت بها روحى بحيث تمازجا　　اتحادا ولا جرم تخلله جرم

فأهل عالم الأرواح لايرون الاجرام ولا الأشباح وانما يرون الارواح تكثف فى تماثيل الأشباح وإذا ردوا إلى رؤيتها رأوها قائمة بالله ومن الله وإلى الله ولا شىء سواه رأوها أوانى حاملة للمعانى (أو تقول) رأوها مغارف يسقى منهاشارب المعارف ولايسقى من هذه الأوانى خمرة المعانى إلا من هو عن حظوظه فانى لايصل بالعالم الروحانى من هو مع العالم الجسمانى لا يترقى إلى العالم الروحانى من كان فى أيام عمره على الفضول حانى وأنشدوا

بقدر الكد تكتسب المعالى　　ينال العز من سهر الليالى
تريد العز ثم تنـال ليــلا　　يعوض البحر من طلب اللئالى

وكل ما يشغل العبد عن الترقى إلى الحضرة فهو فضول سواء كان عملا حسياً أو عملا رسمياً أو غير ذلك مما لا يحصى والله تعالى أعلم (ثم) قرر السبب السابع وهو الميل عن مواهب الهام فقال

ليس يرى من المعانى دانى　　من قلبه فى عالم الأبدان

(قلت) الدانى هو القريب والمراد بالمعانى أسرار عظمة الربوبية وأنوار الألوهيةوهى لطيفة شريفة رفيعة منيفةرفيعة المدارك دقيقة المسالك لايناله الا قلب سماوى أوروح عرشى أو سر جبروتى ، قد ارتفعت همته عن سائر الأكوان ورحلت روحه عن عالم الأبدان ، إلى طلب الشهود والعيان ، فنى عن وجوده ، فى شهود معبوده ، فرغ قلبك من الأغيار

الوجوه صدق الطلب إليه وصدق الطلب هو أفراد القلب والقالب لجهة المطلوب بحيث لم يبق له التفات لغيره فلم يثق إلا به ولا يعتمد إلا عليه كما أشار إلى ذلك بقوله (ومن علم أن الأمر كله بيده انجمع بالتوكل عليه) قلت قال تعالى (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) وقال (قل ان الأمر كله لله) فمن علم أن الأمور كلها بيد الله أمر الدنيا وأمر الآخرة والنفوس والقلوب لم يبق له نظر إلى سواه وانجمع بكليته عليه قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه ومن كان الله كافيه ماذا يفوته (حكى) عن بعض المشايخ أنه دخل برية الحجاز مع أصحابه بغير زاد فلما طالت عليهم المدة وأجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق وهز شجرة فأسقطت رطباً جنيا فأكلوا منها إلا شابا فقال له الشيخ لم لم تأكل قال انى نويت التوكل على الله ورفضت الأسباب جملة فكيف أجعلك عندى بمنزلة السبب حتى تكون النفس متشوقة لما علمت منك ثم لم يصحبهم تصحيحاً ليقينه وإتماماً لعقده ومما يعين على تحقيق اليقين وصدق التوكل رفض الدنيا وأهلها وإليه أشار بقوله (وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه) قلت قد حكم الله على هذا الوجود الظاهر أن يصير باطناً فلا بد أن تنهدم دعائمه وهى ما يستقل به وجوده فى العادة وهى هنا استعارة عن هدم وجوده وتبديله فى خلق آخر قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) وقال تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) على تأويل أهل الظاهر ولا بد أيضاً أن تسلب كرائمه والمراد زوال بهجته وجماله وهى زينة الدنيا التى ذكرها الله بقوله (زين للناس حب الشهوات) فمن تيقن بفناء هذا الوجود وزوال هذا العرض الفانى جعل الدنيا محلا للعبور يعبر منها إلى دار البقاء فيصبر على شدتها ولأوائها حتى تنقضى عنه أيام الدنيا فهذا هو العاقل الذى ذكره بقوله (فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى) قلت لأن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور كما قال عليه

بملاه بالمعارف والأسرار فليس يقرب من ساحة المعانى من كان قلبه فى العالم الجسمانى ، من اشتغل بخدمة الأشباح لا يترقى أبدا إلى عالم الأرواح ، من اعتنى بخدمة جسمه ، مات فى سجن غمه وهمه . سئل سهل رضى الله عنه عن القوت فقال هو الحى الذى لا يموت فقال انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل انما سألناك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أو لا يتولاه آخرا إذا دخلت عليه علة رده صانعه أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها وأنشدوا :

كمل حقيقتك التى لم تكمل ... والجسم دعه فى الحضيض الأسفل
أتكمل الفانى وتترك باقياً ... هملا وأنت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة ... ما لم تحصله به لم يحصل
يفنى وتبقى دائما فى غبطة ... أو شقوة وندامة لا تنجلى
أعطيت جسمك خادما لخدمته ... أتملك المفضول رق الأفضل
شرك كثيف أنت فى حبلاته ... ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل ... ما باله يرضى بأدنى منزل

(وقال آخر)

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها ... فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

السلام فالعاقل هو الذى يميز بين الحق والباطل والنافع والضار والحسن والقبيح وكل ما يفنى وان طال فهو قبيح وكل ما يبقى وان غاب فهو مليح قال بعضهم يا عجبا للطمئن للدنيا والراكن إليها والحريص عليها وهو يرى سرعة زوالها وكثرة تقلبها بأهلها ومفاجآة نوائبها وأنشدوا :

أين الملوك وأبناء الملوك ومن … كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا
كأنهم قط ما كانوا ولا خلقوا … ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
حطوا الملابس لما ألبسوا حللا … من التراب على أجسادهم وكسوا

قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فوجدت بهلول المجنون قاعدا بين القبور وهو عريان إلا ما يستر العورة فأتيت نحوه لأستفيد من طرائفه فوجدته تارة ينظر إلى السماء فيستهل وتارة ينظر إلى الأرض فيعتبر وتارة ينظر عن يمينه فيضحك وتارة ينظر عن شماله فيبكى فسلمت عليه فرد على السلام فسألته عما رأيت من حاله فقال يامالك أرفع رأسى إلى السماء فأذكر قوله تعالى (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فأستهل وأنظر إلى الأرض فأذكر قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فأعتبر وأنظر عن يمينى فأذكر قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) فأضحك وأنظر عن شمالى فأذكر قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فأبكى فقلت يا بهلول إنك لحكيم أتأذن لى أن أشترى لك قميص قطن قال افعل فسارعت للسوق وأتيته بقميص قطن فنظر إليه وقلبه يمينا وشمالا ورمى به إلى وقال ليس مثل هذا أريد قلت وكيف تريده قال أريد قميصا من الإخلاص محفوظا من الدنس والانتقاص غرس قطنه بالحقائق وحرس من جميع البوائق سقاه جبريل بماء السلسبيل فأينع حسناً وأثمر قطنا فلقطته أيدى الكرام البررة التالين سورة الحمد والبقرة ثم حلجته أكف

(قلت) وتكميل فضيلة النفس وهو تطهيرها وتهذيبها وتقريبها من حضرة ربها فمن يطهرها ولم يهذبها فقد بخسها ونقصها قال تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (وفى الحكم) أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريباً فإذا خرج العبد من اوصاف بشريته ترقى إلى مقام الروحانيين فيشاهد حينئذ أنوار ربه ويحظى بمؤانسته وقربه ولذلك زاد فى الحكم بعد هذه الحكمة متصلا به الحق ليس بمحجوب عنك وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه الخ كأنه يقول ما حجبك عنه إلا أوصاف البشرية التى أنت محجوب بها فاذا زالت عنك زال حجابك واتصلت بمرتبة الشهود وعرفت المعبود وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق وإلى هذا فى الجملة أشار بقوله :

مهما ترقى مادة الموضوع … يأخذ نجم الدرك فى الطلوع

(قلت) الموضوع هنا هو الجسم الموضوع لظهور الروح وقيامها به فهو كالقالب لها أو كالصدف ومادته ما يقوم به فى العادة كالأكل والشرب واللباس ويدخل فيه ما يقوم به معناه كالعز والجاه والمال وغير ذلك من مكملاته فادامت النفس مشتغلة بتحصيل هذه المادة جلباً ودفعا تحصيلا وتكميلا فهى مرتهنة به محبوسة معه كيف يرحل القلب إلى الله وهو مكبل بشهواته وللششترى رضى الله عنه :

فارفض الخلق وارق … ترتقى عن ظلالك
واسبق الخلق سبقا … ثم غب عن فعالك
وافن فى الحب عشقا … فالمراد فى زوالك

فما دام العبد مقبلا على دنياه مشتغلا بتحصيل حظوظه وهواه لايطمع فى الرحيل إلى حضرة مولاه فإذا غاب عن

الوفاء بعز وصفاء من غير جفاء ثم نخلته الاوتار المتصلة بالأنوار وغزلته مغازل الحمد والثناء بالمحبة والاعتناء جعلت الجنة لنا سجه ثواباً وكان هو للابسه من النار حجاباً فهل تقدر يامالك على مثل هذا فقلت إنما يقدر عليه من خصك بوصفه وألهمك لمعاينته وكشفه ثم قلت يا بهلول صف لى لألبس هذا القميص فقال نعم إنما يلبسه من خصه الله بأنواره وكتبه فى ديوان أبراره وأحياه بالسابقة وقواه بالعزيمة الصادقة فجسمه بين الخلق يسعى وقلبه فى الملكوت يرعى فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظة ولا ينظر لغير الله لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول اليك فر الهاربون ونحوك قصد الطالبون وببابك أناخ التائبون اه اللهم انا وقد وقفنا ببابك فلا تطردنا ونحن انتسبنا لجنابك فلا تحرمنا يا أرحم الراحمين ثم من فرح بالباقى وأعرض عن الفانى تشرق عليه الأنوار وتلوح له الاسرار كما أبان ذلك بقوله (قد أشرق نوره وظهرت تباشيره) قلت قد أشرق نوره بحلاوة الزهد فى الدنيا والاقبال على المولى لأن حب الدنيا ظلمة فإذا خرج من القلب دخله النور وهو حلاوة الزهد وراحة القناعة وبرد الرضى ونسيم التسليم وظهرت تباشيره أى مبشرات تبشره بالاقبال وروح الوصال وجنة المعارف والجمال وأنشدوا

إذا هبت علينا من حماكم نسيمات تذكرنا الوصالا
مبشرة بإقبال وسعد وعز دائم دهراً طويلا
مبلغة شذا تلك المعانى مذكرة رباها والطلولا
فذلك خير وقت بالمعنى وأحسن ما تعاطى السلسبيلا

فحين أشرق نوره وظهرت تباشيره أعرض عن الدنيا بالكلية كما أبان ذلك بقوله (فصدف عن هذه الدار مغضياً وأعرض عنها موليا) قلت الصدوف هو الأعراض والتولى أى فأعرض هذا السائر الى الله عن الدنيا بحذافيرها مغضياً

مادة حسه وزهد فى نفسه وفلسه وجنسه يأخذ نجم إدراكه فى الترقى إلى حضرة قدسه فلا يزال يمشى فى نور نجم توحيد الافعال إلى أن يطلع عليه قمر توحيد الصفات ثم تشرق عليه شمس توحيد الذات فيقول بلسان حاله

طلعت شمس من أحب بليل فاستضاءت فما تلاها غروب
ان شمس النهار تغرب ليلا وشموس القلوب ليست تغيب

وقال آخر:

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى
الناس فى سدف الظلا م ونحن فى ضوء النهار

وقال سيدى عبد الرحمن المجذوب

طلع النهار على الاقمار ولا أبقى إلا ربى
الناس زارت محمد وأنا أسكن لى قلبى

وقلت فى عينيتى

تبدت لنا شمس النهار وأشرقت فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع
تنحى رداء الصون عن كون ربنا فسرنا الى نور الحبيب نسارع

(ثم) تأسف الناظم على قلة من يساعده فى وقته فى حاله فقال

ياحسرتى إذ لا يجد راكب يصحبنا فى هذه المواكب

(قلت) الموكب هو الجماعة ركبانا ومشاة والجمع مواكب وكانه رضى الله عنه لم يجد فى زمانه من يساعده على هذا

بصره أى مغمضاً عينى بصيرته عن النظر إلى زهرة هذه الدار وبهجتها ممتثلا فى ذلك قول المولى لرسوله المصطفى ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا أى أصنافاً من الكفار زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وأعرض عن هذا قلبا وقالباً مولياً ظهره عنها مقبلا بوجهه الى المولى قال الشطيبى واعلم أن الاعراض عن الدنيا إنما هو بالقلب ومتى كان القلب معلقاً بها لم ينفع زوالها من اليد ولا قطع أسبابها بل المطلوب زوالها من القلب سواء كانت فى اليد أو لم تكن قال تعالى لمن أعطاه ملك الارض بحذافيرها سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) وقال فيه أيضاً نعم العبد انه أواب وقال تعالى لمن نزعها منه بحذافيرها سيدنا أيوب عليه السلام (ووهبناله أهله ومثلهم) معهم ثم قال انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب لكن من علامة حب الآخرة ترك الدنيا وعلامة تركها أن لا يفرح بالموجود منها ولا يتأسف على مافاته منها ولا يمكن ذلك الا بترك الانتصار للنفس ومخالفتها وأنشدوا

يانفس فى التقريب كل مذلة فتجرعى ذل الهوى بهوان
وإذا حلت بدار قوم دارهم فلهم عليك تعزز الأوطان

وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه عن الدنيا فقال أخرجها من قلبك واجعلها فى يدك فانها لا تضرك وقال الحضرمى رضى الله عنه ليس الرجل الذى يعرف كيفية تفريق الدنيا فيفرقها انما الرجل الذى يعرف كيفية امساكها فيمسكها قال الشيخ زروق رضى الله عنه لانها كالحية وليس الشأن فى قتل الحية إنما الشأن فى إمساكها حية اهـ وقد يقصد بترك الدنيا ما هو أعظم من الدنيا كحب الجاه والرياسة وغير ذلك من الحظوظ ولذلك قيل من أراد أن يكون منه شىء فلا يأتى منه شىء لانه عبد لارادته وعامل لحظ نفسه فاذا انقطعت عنه الحظوظ النفسية والشهوات الدنيوية صح قصده إلى

العلم لأنه عزيز وأهله أعز من كل عزيز وغالب الناس إما مشغول بدنيا أو مفتون بدعوى أو مبتلى بهوى وان كان الزمان لا يخلو منهم فهم أقل من القليل وأعز من العزيز وأغرب من عنقا مغرب لكن لا ينسحب ذلك على زمان فان النور النبوى تارة ينبع ويظهر فيظهر أهله لصلاح ذلك الزمان وتارة يخفى مع وجوده فيخفى أهله لفساد ذلك الزمان فالعدد لا ينقطع لكن تارة يريد الله تعالى إظهار أوليائه كزماننا هذا والحمد لله وتارة يريد الحق تعالى اخفاءهم لحكمة أرادها الله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه والله تعالى أعلم (ثم) تأسف ثانياً على قلة من يبحث معه فى هذا العلم فقال

يا معشر الاخوان هل من سائل أخبره عن هذه المسائل

(قلت) المذاكرة فى هذا الفن من الامور المؤكدة فلا بد من صحبة اخوان يخوض معهم فى هذا الفن وقد قالوا فهم سطرين أفضل من حفظ سفرين ومذاكرة اثنين أفضل من هاتين وكما أن الذكر اللسانى الجماعة فيه أفضل كذلك الذكر القلبى وهى الفكرة الجماعة فيه أفضل من الانفراد والجماعة فى الفكرة هى المذاكرة مع ارباب الفن فان ادراك فكرات متعددة أحسن من ادراك فكرة واحدة وهذا كله مع من دخل بلاد المعانى والا فاستعمال فكرة واحدة أفضل من الاجتماع مع غيره وقال سيدى على العمرانى الجلوس مع العارف أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العامة وفضل الصحبة أمر شهير لما فيه من التعاون قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وأوحى الله إلى داود عليه السلام ياداود كن يقظاناً وارتد لنفسك اخواناً وكل أخ أو صاحب لا يوافقك على مسرتى فارفضه فانه لك عدو أو كما قال وقال ابن عباد رضى الله عنه فى نظم الحكم

الله وانفرد قلبه بالتوجه لمولاه *(قلت)* ولأبى الأنوار التطوانى قصيدة فى هذا المعنى قال فى بعضها :

ومن كان قصده فى نيل ما يريد فما قام بالحجة
واصل طريقنا وارفض العلل مع الصبر وارفع للهمة
وحسب المحب مشاهدة يقيناً لم يبدو من حضرة
وفهمك عنه جدير بأن يعوضك المنع بالمنحة

وأبو الأنوار هذا تلميذ أبى المحاسن سيدى يوسف الفاسى وقبره بتطوان بالمصلى القديمة لناحية القصبة نفعنا الله بذكره ثم ان من أعرض عن الدنيا لا وطن له فيها وإنما وطنه عند مولاه كما بين ذلك بقوله (فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا) قلت لأن من توطن الشيء فقد قام فيه والسائر لا مقام له إلا عند مولاه وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول فى شأن الدنيا أعبروها ولا تعمروها وقال عليه السلام مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب سافر فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح عنها وتركها فلست الدنيا دار اقامة ولا سكنا وإنما هى قنطرة من هنا إلى هنا فالعارف لا يكون مع غير الله قراره لأن همته كلها عند الله كما قال (بل انهض الهمة فيها إلى الله وصار فيها مستعيناً به فى القدوم عليه) قلت النهوض هو القيام كأن السائر إلى الله أنهض همته وأقامها من هذا العالم يريد بها دخول عالم الملكوت وانهاض الهمة يكون بامتثال أمره والاستسلام لقهره والاستعانة به على سفره وهو معنى قوله وسار فيها مستعينا به فى القدوم عليه والقدوم على الله هو الوصول إلى معرفته وتحقيق العلم به ولا يصح ذلك إلا بالتبرى من الحول والقوة ومن ظن أن اجتهاده يوصله لمرغوبه فقد جهل ومن صح اعتماده على الله وصل ثم بين السر فقال (فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها) قلت المطية فى اللغة هى المركوب واستعيرت

إن التواخى فضله لا ينكر وإن خلا من شرطه لا يشكر
والشرط فيه أن تواخى العارفا عن الحظوظ واللحوظ صارفا
مقاله وحاله سيان ما دعوا إلا إلى الرحمن
أنواره دائمة السراية فيك وقد حفت بك الرعايه
والقاصد الفاقد هذا الشرطا بصحبة يعقدها قد أخطا
لأنه يرى بها محاسنه فنفسه ذات اغترار آمنه

وهو نظم لقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ربما كنت مسيئاً فأراك الاحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك وهذه الصحة تصدق بصحبة الشيخ والإخوان وإن كان ابن عطاء الله انما قصد بها الشيخ والله تعالى أعلم (ثم) تأسف على ذهابهم فى زمانه فقال :

(قلت) التأسف هو التحسر والفتية جمع فتى والفتى هو من كسر صنم نفسه قال تعالى فى شأن الخليل (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) وفتية الوصول هم العارفون بالله لأنهم أهل الوصول والتمكين والانصرام هو الانقطاع وكأن طريق العارفين كانت فيما سلف موصولة بحياة أربابها مرتبطة بتحصين ثم انصرمت وانقطعت بموت أربابها وانقطاع موادها وأسبابها وهذا كما قال القائل :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقة

هنا للعزم القوى أى فما زال عزمه قويا وروحه شائقة لا يقر قرارها أى لا يسكن قرارها فى موطن دون سيدها لان الشوق أقلقها وخوف فوات اللحوق أزعجها فهى فى السير على الدوام كما قال (دائما تسيارها) قلت انما دام سيرها لقلة عوائقها لأنها لما أعرضت عن الدنيا مولية عنها قلت عوائقها لان الدنيا شبكة العوائق وأصل العلائق وكل من قطع عروقها من قلبه ذهبت عنه العلائق كالشيطان الذى هو أبوها فلما طلق له بتة تركه وكالنفس لان قوامها الدنيا فلما ذهبت ماتت وكالناس لأن الدنيا جيفة والناس كلابها فلما تركت لهم جيفتهم سلمت منهم فدام سيرها الى ان وصلت إلى أصل وطنها وهى الحضرة كما بينه بقوله (إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس) قلت الاناخة هى النزول وحط الحمول ولما وصلت الروح الى مشاهدة الاحباب وفتح لها الباب أزالت ما كان عليها من الاثقال وجلست على بساط النزاهة والكمال وهى حضرة القدس أى التنزية التى هى دائرة الولاية المقتضية للعبد تحققه بتقديس مولاه عن كل وصف لا يليق بذاته حتى عرف أنه أجل من أن يعرف وأعظم من أن يوصف فيقول لا أحصى ثناء عليك فيغرق فى التعظيم ويتمكن فى التقديس فينعكس تقديسه عليه بحيث يحفظه مولاه فلا يعصيه بل يكون مقدساً بتقديس الحق اياه اذا قدس مولاه فقدسه مولاه كل على ما يليق بوصفه ومن هذا التقديس ينسى كل شىء بمولاه فيأنس به دون ما سواه فى عين اجلاله والهيبة منه تعظيما لا فرقاً أو تذللا فى عين الإذلال فافهم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وبساط الأنس هو محل الفرح بقرب الحبيب ومناجاة القريب ليغيب عن كل شىء ويتأنس به فى كل شىء ثم بين أسرار الحضرة وهى ست فقال (فى محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة) قلت أما المفاتحة فهى مفاتحة علم الغيوب فأنت تفاتحه بطلب العطاء وهو يفاتحك بكشف الغطاء أنت تفاتحه بطلب الزيادة وهو يفاتحك بتوالى الافادة أنت تفاتحه بالترقى فى المقامات وهو يفاتحك بأسرار

صار التصوف ركوة وسجادة مزوقه
صار التصوف سبحة وتواجدا ومنطقه
كذبتك نفسك ليس ذى سنن الطريق الملحقه

فتأسف الشيخ وتحسر على انقطاع هذا الطريق بانقطاع أهلها وناداهم وان كانوا غائبين زيادة فى التحسر فكأنه يقول يا أسفى يا أولياء الله على انقطاع طريقكم بعد وصلها واندراسها بعد ظهورها وقد تقدم له هذا المعنى فى أول الكتاب (ثم) شوق الى اللحوق بهم ومشاركتهم فى مقاماتهم فقال:

لو أبصر الشخص اللبيب العاقل لم يعتقل عن هذه المعاقل

(قلت) الاعتقال هو الربط والحبس ومنه عقال البعير والمعاقل هى المراتع التى يعقل فيها الخيل لترتع ولا يكون الا خصبا كالروض ونحوه (يقول) رضى الله عنه لو أبصر العاقل بنور بصيرته ونظر ما خص الله به أولياءه من كرامته وما متعهم به من النزهة فى معرفته لم يعتقل ويجلس عن هذه الرياضات والمراتع التى رتع فيها الذاكرون وتنزه فى رياضها العارفون ولم يقنع بخيالات الدنيا التى لا حقيقة لها وشهواتها الفانية التى لا بقاء لها كما قال تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (قال فى التنبيه) وحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهى لا تفى بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية أغراضهم كما قيل:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع

العلوم والمكاشفات وأما المواجهة فهى مواجهة أنوار الملكوت وأسرار الجبروت فأنت تواجهه بأنوار التوجه وهو يواجهك بأنوار المواجهة وهى كشف الحجاب وفتح الباب أنت تواجهه بالطاعة وهو يواجهك بالمحبة وأنت تواجهه بالأقبال وهو يواجهك بالوصال أنت تواجهه باستكشاف أنوار الملكوت وهو يواجهك بكشف أسرار الجبروت

(وأما) المجالسة فهى مجالسة الأدب والهيبة فأنت تجالسه بالأدب والحياء وهو يجالسك بالتقريب والاحتباء أنت تجالسه بمراقبته وهو يجالسك بحفظه ورعايته أنت تجالسه بذكره وهو يجالسك ببره أنا جليس من ذكرنى كما فى الحديث (وأما) المحادثة فهى المكالمة القلبية وهى الفكرة والجولان فى عظمة الجبروت فأنت تحادثه فى سرك بمناجاته وسؤاله وهو يحادثك بمزيد إحسانه ونواله أنت تحادثه بدوام حضوره فى سرك ولبك وهو يحادثك بالقاء العلوم والأسرار والحكم فى قلبك أنت تحادثه فى عالم الشهادة وهو يحادثك فى عالم الغيب وفى التحقيق ماثم إلا عالم الغيب ظهر فى عالم الشهادة وفى هذا المعنى قال الجنيد لى أربعون سنة وأنا أحدث الحق والناس يرون أنى أحدث الخلق وقالت رابعة العدوية رضى الله عنها

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس   وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(وأما) المشاهدة فهى كشف حجاب الحس عن نور القدس أو تقول كشف رداء الصون عن الكون فأنت تشاهد ذاته فى عالم ملكوته وهو يشاهدك فى عالم ملكه أنت تشاهد ربوبيته وهو يشاهد عبوديتك والحاصل أن المشاهدة من العبد هى شهود العظمة بالعظمة كما قال شيخنا رضى الله عنه ومشاهدة الرب للعبد هى إحاطة علمه بأحواله وأسراره (وأما) المطالعة فهى مطالعة أسرار الملك والملكوت والجبروت وأسرار القدر فأنت تطالعه بالتوجه اليه وهو يطالعك بالترقى اليه أنت تطالع

أراها وإن كانت قليلا كأنها   سحابة صيف عن قريب تقشع

وقال سهل رضى الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول اسم منه ترك الدنيا (قال الحسن) رضى الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يصبح ويمسى فى الدنيا ومباهاة أهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون أولئك هم الغافلون أولئك هم الجاهلون (قلت) ويؤيد هذا قوله عليه السلام فى بعض مواعظه ألا ان من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور (وقال أبو على) الثقفى رضى الله عنه أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسراتها إذا أدبرت والعاقل من لا يركن إلى شىء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة وقد قيل فى معناه .

ومن يحمد الدنيا لشىء يسره   فسوف لعمرى عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة   وان أقبلت كانت كثيراً همومها

(وقيل) لأبى القاسم الجنيد رضى الله عنه متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل فقال إذا كان للأمور مميزاً ولها متصفحاً وعما يوجبه عليه العقل باحثاً يلتمس بذلك طلب الذى هو أولى ليعمل به ويؤثره على سواه فإذا كان كذلك فمن صفة العقلاء ركوب الفضل فى كل أحواله بعد إحكام العلم بما فرض عليه وليس من صفة العقلاء اغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا ومن صفتهم الرضى بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته بعد أحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضى وذلك وظيفة كل ماسورت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل به عن أمور الآخرة التى يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاؤها وذلك أن

مواقع قضائه وقدره فتتلقاها بالقبول والرضا وهو يطالع أحوالك وسرائرك فيكشف عنك الحجب ويوسع عليك الفضاء أنت تطالعه بالتقرب والاقبال وهو يطالعك بالمحبة والوصال فيتلقاك بالإقبال والوصال وهذه الاسرار لايذوقها إلا أهل الأذواق فكل واحد يذوق منها على قدر شربه ووجده والله تعالى أعلم فان سكنت الروح فى هذه المراتب صارت الحضرة مأواها ومثواها كما بين ذلك بقوله (فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكون) قلت عش الطير وكره الذى يأوى اليه فكأن أرواح العارفين طيور الحضرة تطير فى الملكوت وتسرح فى الجبروت ثم تأوى إلى عش العبودية فى الظاهر وعش الشهود فى الباطن فالحضرة التى هى معشش قلوب العارفين هى حضرة الذات اليها يأوون أى يرجعون بعد الطيران إلى فضاء الملكوت وأسرار الجبروت وفيها يسكنون لايخرجون منها أبداً كما قال تعالى (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) ومحلها فى أعلى عليين وهو عرش قلوب العارفين (فان نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ فى اليقين) قال الشيخ زروق رضى الله عنه التوحيد عرش والشريعة المطهرة كرسى ذلك العرش والحقوق المفضلة فيها سماؤها والحظوظ النفسانية أرضها فكل حقيقة لاتصحبها شريعة لاعبرة بصاحبها وكل شريعة لاتعضدها حقيقة لاكمال لها اه (قلت) النزول هنا مجاز كأن الحرية عرش والعبودية سماء أو أرض أو تقول الحقيقة عرش والشريعة أرض فما دامت الروح فى بحر الوحدة كأنها فى عرش الرحمن فان نزلت إلى العبودية كأنها نزلت إلى السماء أو الأرض وظاهر كلام الشيخ ومن تبعه من الشراح أن النزول إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ خروج عن الحضرة وليس كذلك إذ من كان عمله بالله وتصرفاته كلها بالله لاخروج له عن الحضرة وإنما النزول فى حقه بالقالب فقط دون القلب فالقلب لايخرج من عشه أبدا بعد أن تمكن منه فكل من بلغ أن يكون عمله بالله ومن الله والى الله لايكون

الذى يدوم نفعه ويبقى على العامل حظه وما سوى ذلك زائل مردود مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه وكذلك من صفة العاقل تصفحه للأمور بعقله والأخذ منها بأوفره قال الله تعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) بذلك وصفهم الله تعالى وذووا الألباب هم ذوو العقول وإنما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعاً فى العاجل والآجل وإلى ذلك ندب الله من عقل فى كتابه انتهى كلام الجنيد رضى الله عنه وهو فى غاية الحسن لتفسير العاقل من الله علينا باستعماله آمين وإلى هذا العاقل وجه الناظم الخطاب بقوله

يا صاحب العقل الحصيف الوافر إياك أن تصدمك الحوافر

(قلت) الحصيف بالمهملة والفاء المروسة هو المحكم المتقن وثوب حصيف أى محكم النسج وهو صد الخفيف والصدم هو الزطم بلغتنا (يقول) رضى الله عنه ياصاحب العقل الكامل لا ترض لنفسك بالغفلة والتوانى والتقاعد عن مراتب الرجال أهل المعانى فتقعد فى طريق السير حتى تزطم فيك الرجال ويسبقوك إلى رتبة الكمال ونيل كرامة الوصال ودخول جنة الكمال فتندم حيث لا ينفع الندم وقد زلت بك القدم وأنشدوا :

السباق السباق قولا وفعلا حذر النفس حسرة المسبوق

وقال ابن الفارض رضى الله عنه

وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفسا فالنفس إن جدت تجد

والتنافس فى الطاعات ونيل المراتب محمود قال تعالى (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) إلا أنه لاينبغى أن يجعل الإنسان

تنزله للشريعة خروجاً عن الحضرة لاسيما الصلاة التى هى معدن المصافاة فيها تتسع ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار اللهم إلاأن يحمل النزول فى كلامه على أنه بالقالب دون القلب كما تقدم ويدل على هذا قوله فيما يأتى بل دخلوا فى ذلك بالله الخ قال الشعرانى فى بعض أجوبته سألت شيخنا سيدى عليا الخواص أى الحالتين أفضل للعبد فى حال الصلاة هل يكون يعبد الله كأنه يراه أو كأن الله يراه قال فأجابنى بأن يكون العبد يعبد الله كأن الله يراه أفضل من كونه كأنه يراه ثم أطال الكلام فى توجيه ذلك (قلت) وقد كنت اعترضت هذا الكلام وكتبت عليه ماضمنه أن العارفين اتفقوا على أن العمل بالله أفضل من العمل لله لأن العمل بالله مشاهدة والعمل لله مراقبة ومقام المشاهدة أعلى من مقام المراقبة فالصلاة مع المشاهدة أفضل من الصلاة مع المراقبة وماألزمه الخواص غير لازم ثم عرضته على شيخ شيخنا مولاى العربى ففرح به غاية الفرح وأعجبه يعنى اعتراضى على كلام الخواص ولا يستغرب هذا من الخواص والشعرانى قال فى التسهيل وإذا كانت العلوم منحاً إلاهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لكثير من المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين ونزولهم إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ إنما يكون بالإذن والتمكين أما الاذن فى نزولهم إلى الحقوق باذن شرعى إذ حقوق الشريعة كلها موقتة والتمكين فيها هو سهولتها والتمكين منها بحيث لايعارضه عارض يمنع منها شرعا أو طبعاً وأما الاذن فى نزولهم إلى أرض الحظوظ فبالالهام والاعلام بحيث يتأتى فى الأمر حتى يفهم أنه مراد الحق تعالى وقد كان شيخ المشايخ الجيلانى رضى الله عنه فى حال سياحته لايأكل حتى يقال له بحق عليك الا ما أكلت (قلت) وكل من كان عنده الفهم عن الله لايتصرف الا بالاذن من الله وبعض من طبع الله على قلبه من جلامدة الفقهاء ينكر هذا وهو معذور فى بلاد الضعف اذ من جهل شيئاً عاداه والمراد بالتمكين هو صحة الفهم عن الله حق لايبقى له تزلزل انه مراد الحق بحيث

يجاهدته فى مقابلة هذا الحرف بل يجاهد نفسه فى تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية ولا يلتمس بذلك حظاً ولاحرفاً فبذلك يتحقق الاخلاص ويلحق بدرجة الخواص والله تعالى أعلم (ثم) نبهك على ارتحال الدنيا عنك ان لم ترحل عنها بقلبك فقال

لقد غدا الكون لديك سافر ان لم تكن فيه كما فيه المسافر

قلت غدا بمعنى صار والسافر الخالى من الشيء وقد يراد به المسافر يقال سفر فلان فهو سافر ويجمع على سفر كراكب وركب (ويقول) رضى الله عنه لقد صار الكون مسافراً عنك بموتك انلم تسافر عنه بهمتك (قال) صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنه يقول إذا أصبحت فلاتنتظر المساء وإذا أمسيت فلاتنتظر الصباح يقول لقد صار الكون خالياً عندك من الخير انلم تزهد فيه وتسافر عنه بهمتك وتشغل فيه بطاعة ربك والحاصل أن الانسان والكون يتسابقان ويتصارعان فمن سبق الكون وغلبه برفع همته عنه والغيبة عما فيه والزهد فيما اشتمل عليه خدمه الكون بأسره وصارعونا له على السير الى ربه بل يصير عبدا له يتصرف فيه بهمته كيف شاء قال الشاعر :

لك الدهر طوعا والأنام عبيد فعش كل يوم من أيامك عيد

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

وفى سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعا ولك الحكم

وقال فى الحكم أنت مع الأكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الأكوان معك (وفى الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يادنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك (وقال) أيضاصلى الله عليه وسلم الدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستكمل رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه ومن سبقه الكون

لم ير له معارض شرعي ولا عادى وكذلك الرسوخ فى اليقين هو الثبوت فى المعرفة فى حال إرادة الفعل وقد ضربت لهذا مثلا وهو أن رجلا حمل ولده وأنزله فى بستان أو دار ثم تركه فجاء قوم ينازعونه فى اذن أبيه له ويقولون له نزلت هنا بغير اذن فلاشك أنه ان أقسم بالله أنه ما نزل إلا بإذن من أبيه كان بارا فى قسمه فاذن أبيه حين أنزله هناك صريح ولو لم ينطق له بلسانه ولا يجحد هذا إلا غبي أو مكابر فالله تعالى يمن علينا بالفهم عنه فى أمورنا كلها آمين ثم ذكر مفهوم قوله بالاذن والتمكين فقال (فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة) قلت أما النزول بسوء الأدب فهو أن يكون نزولهم فى طلب الأجور أو الحروف وهو الجزاء وأما الغفلة فهى رؤية النفس فى حال العمل وهو عندهم ذنب يستغفرون منه فاستغفارهم بعد الصلاة إنما هو من حضور نفوسهم فى عملهم ولذلك قيل :

(وجودك ذنب لايقاس به ذنب)

والحاصل أن أهل الحضرة نزولهم بالله وعلمهم بالله لايرون لأنفسهم حولا ولاقوة ولايطلبون من ربهم جزاء ولا أجرة إذ محال أن يطلب الجزاء على عمل غيره هذا فى حال نزولهم إلى سماء الحقوق وأما نزولهم إلى أرض الحظوظ فإنما هو لأداء حقوق العبودية فليس نزولهم بشهوة النفس ونيل متعتها لتحقق فنائها وموتها قد انقلب حظوظهم حقوقا ولأجل المعنى قال سيدنا عمر رضى الله عنه انى لأتزوج النساء وأجامعهن وليس لى فى ذلك شهوة قالوا ولم تفعل ذلك ياأمير المؤمنين قال رجاء أن يخرج الله من صلبي من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم أمته (وقال) سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذا وافق الحق الهوى كان كالزبد مع العسل يعنى إذا وافقت النية الصالحة الهوى كان كالزبد مع العسل وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به فتحصل أن مقام الزوال يقتضى الفناء عن الحظوظ كلها ولم يبق

وغلبه بالرغبة فيه والحرص على ما اشتمل عليه بقى فى يده أسيراً وفى سجنه رهيناً وعن ربه بعيدا فاذا مات صار فى قبره فريدا وبسبب ذلك عدم العلم والفهم وانقياده للحدس والوهم كما قال الششترى رضى الله عنه :

تقيد بالأوهام لما تداخلت عليك ونور العقل أورثك السجنا

ولا يتخلص الإنسان من سجن الأكوان حتى يخلع نعله عن الكونين ويتخطى بهمته حظوظ الدارين كما قال القائل

وعن الكونين كن منخلعاً وأزل ما بيننا من بيننا

وقال بعضهم طالب الدنيا أسير وطالب الآخرة أجير وطالب الحق أمير فاذا تحرر العبد من رق الحظوظ فقد تحقق سفره إلى ربه وظفر بوصله وقربه حققنا الله بذلك بمنه وكرمه والا بقى موثقا بحبل هواه مكبلا فى قيد حظوظه ومناه كما أشار إلى ذلك بقوله

ياموثقا فى موثق المهالك تزهو أراك اليوم زهو المالك

(قلت) الموثق المحبوس والوثاق مايحبس به والزهو الترفع والتكبر (يقول) رضى الله عنه يامحبوسا فى وثاق شهواته وحظوظ نفسه لقد كنت حرا وهى مملوكة لك لو رغبت عنها فى محبة خالقها لخدمتك فلما شغفت بحبها وخدمة نفسك فى طلبها صرت مملوكا لها أسيرا فى يدها فابك على نفسك بكاء الثكلى واضرع فى فكاك نفسك إلى المولى فعسى أن يفك أسرك ويصلح أمرك ويردك إلى أصلك فتصير مالكا والهوى مملوكا وتصير مخدوما والهوى خادمك كما قال الشاعر

كنت عبدا والهوى مالكى فصرت حرا والهوى خادمى

(وقال آخر)

العبد حرا ماعصى طمعاً والحر مهما طاعه عبد

إلا الواحد الأحد كما أبان ذلك بقوله (بل دخلوا فى ذلك بالله ولله ومن الله وإلى الله) قلت بل للإضراب عما تقدم من دخولهم فى الحقوق بسوء الأدب والغفلة وأنزولهم لأرض الحظوظ بالشهوة والمتعة وانما دخلوا فى الحقوق أو الحظوظ بالله لتحقق فنائهم عن انفسهم ولله لتحقق إخلاصهم ومن الله لشهودهم الفعل من الله وإلى الله لتحققهم أن الأمور ترجع كلها إلى الله قال تعالى (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) فأمر العباد كله قائم بالله وصادر منه ومنته إليه ثم استدل بالآية الكريمة على أن الدخول فى الأشياء والخروج منها يكون بالله فقال (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى وانقيادى إليك إذا أخرجتنى واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيرا ينصرنى ولا ينصر على ينصرنى على شهود نفسى ويغيبنى عن دائرة حسى) قلت الآية لها تفسير ظاهر وتفسير باطن اه أعنى على طريق أهل الإشارة أما تفسير أهل الظاهر فقالوا هذه الآية نزلت فى فتح مكة وأن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء عند دخولها حال فتحها ومعناه رب أدخلنى مكة مدخل صدق أى ادخال صدق بأن يكون دخولى بك واعتمادى عليك ناصراً لدينك بحولك وقوتك وهذا كقوله عليه السلام فى بعض أدعيته حين كان يقدم من سفره صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأخرجنى من مكة مهاجرا إلى جهاد عدوك مخرج صدق أى اخراج صدق بأن نكون منصورا بك معصوما بحفظك ورعايتك واجعل لى من لدنك سلطانا أى برهانا دامغاً لكل باطل نصيرا ينصرنى على من عادانى . وأما تفسير أهل الباطن فهو ما أشار اليه الشيخ رضى الله عنه مستدلا بالآية على أن دخول العارفين فى الاشياء كلها يكون بالله وخروجهم منها يكون بالله فقال وقل أيها العارف (رب أدخلنى) فى الاشياء حقوقاً كانت أو حظوظاً (مدخل صدق) أى إدخال صدق بأن يكون ذلك الإدخال بك معتمدا فيه على حولك وقوتك متبرئاً

(وفى الحكم) أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع (وقال أيضاً) ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا (وقال) بعض الملوك لبعض الاولياء اطلب منى شيئا نعطك فقال له وكيف أطلب منك وأنت عبد له لعبدى فقال له وكيف ذلك فقال أنا زهدت فى الأشياء فخدمتنى وأنت أحببت الأشياء فملكتك أوكما هذا معناه لطول العهد به وإذا كنت أيها الراغب فى الدنيا أسيرا فى يدها كيف يمكنك أن تزهو وتترفع على غيرك فهو المالك وانما أنت مملوك فتنبه لمصيبتك واعرف قدرك ولا تتعد طورك واسئل الله تعالى أن يفك أسرك وبالله التوفيق (ثم) وبخ المخاطب على قلة الاستماع فقال :

يا من أعاتبه على الدوام حتى أجفان الدوام دوام

(قلت) المعاتبة اللوم والتقريع وحتى بمعنى إلى الغاية وما نافية حذف ألفها للوزن وأجفان الدوام مبتدأ ودوام خبره منقوص مقدر رفعه ودوام جمع دامية أى سائلة بالدم والمجرور بحتى محذوف والتقدير إلى أى زمان تستمر مريضاً وليس أجفان عينك التى فى بكائها شفاؤك سائلة بالدم (يقول) رضى الله عنه يا من نعاتبه على الدوام وهو يسمع عتابى ويفهم خطابى ومع ذلك لم ينكف عن العناد ولم يرجع عن الانتقاد إلى متى تبقى عليلا وقد أمكنك الدواء فكيف لا تبكى على نفسك وقد تنشب فى باطنك داء الهوى فإذا كان الدواء فى سكب دمعك فكيف لا تبكى الدم فى طلب شفاء نفسك وفى الحكم تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق اهفلا يخرج الداء من القلب الا وارد قوى يأتى من حضرة قهار لايصادم شيئا الا دمغه اما بنفحة إلهية أو بسبب واسطة شيخ كامل عارف محقق والغالب أن من صدق فى الطلب يبلغه الله ما طلب وكن طالبا تجد مرشداً فمن طلب الله وجده وأنجزه بالوفاء

من حولى وقوتى ومن شهود نفسى (وأخرجنى) منها (مخرج صدق) أى اخراج صدق بأن تكون مأذونافيه بإذن خاص مصحوباً بالخشية وسر الإخلاص وهذا معنى قوله (ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى) فى الأشياء (وانقيادى اليك إذا أخرجتنى) منها (واجعل لى من لدنك) أى من مستبطن أمورك بلا واسطة ولا سبب (سلطانا) أى برهاناقويا وليس ذلك إلا وارد قوى من حضرة قهار لا يصادمه شىء إلا دمغه فيحق الحق ويزهق الباطن ويكون ذلك السلطان (ينصرنى ولاينصر على) أى ينصرنى على الغيبة عن الحس وعن شهود السوى حتى نعد عنهما برؤية مولاهما ولاينصر على الوهم والحس وشهود الغيرية ثم بين ذلك فقال (ينصرنى على شهود نفسى) أى يقوينى على الغيبة عنها فاذا انتصرت على شهودها انهزم عنى وذهب شهودها وبقى شهود ربها فالنصرة على الشىء هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكان شهود النفس عدو يحاربك ويقطعك عن شهود ربك فاذا نصرك الله عليه غلبته ودفعته عنك فتتصل حينئذ بشهود محبوبك وإذا فنى شهود النفس فنى حينئذ وجود الحس وهو معنى قوله (ويفنينى) عن دائرة حسى) فاذا فنيت دائرة الحس بقى متسع المعانى وفضاء الشهود وهذه هى الولادة الثانية فان الإنسان بعد أن خرج من بطن أمه وهى الولادة الأولى بقى مسجوناً بمحيطاته محصوراً فى هيكل ذاته قد التقمه الهوى وصار فى بطن الحس والوهم وسجن الأكوان المحيطة بجسمانيته فاذا فنيت دائرة حسه وخرج من بطن عوائده وشهوات نفسه نقبت روحه الكون بأسره وخرجت إلى شهود مكونها فقد ولد مرة ثانية وهذه الولادة لا يعقبها فناء ولا موت قال تعالى (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) وهذا معنى قول سيدنا عيسى عليه السلام ليس منا من لم يولد مرتين هكذا ذكره الشطيبى من قول عيسى عليه السلام وقال بعض الحكماء فى قوله عليه السلام لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية قال الهجرة هجرتان هجرة صغرى وهى هجرة الاجساد من أوطانها

وعده فاذا تضرع وبكى على نفسه كما قال الناظم أخذ الله بيده وأطلعه على ولى من أوليائه حتى يوصله إلى ربه والله أكرم من أن يلتجىء العبد اليه ولا يضمه اليه وبالله التوفيق ولاحول ولا قوة إلا بالله (وفى) بعض النسخ يامن أعاتبه على الدوام حتى متى جفنك فى منام وهو يشير إلى قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا استيقظوا وقال بعض الشعراء :

إلى كم تمادى فى غرور وغفلة ... وكم هكذا نوم إلى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى ... بملء السما والأرض أية ضيعة
أتنفق هذا فى هوى هذه التى ... أبى الله أن تسوى جناح بعوضة
وترضى من العيش السعيد بعيشة ... مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة

ثم ذكر سبب إعراض المعاتب وعدم انزجاره وهو البلادة والجهل فقال

كم أنت ذو وسائد عراض ... لاه عن الجوهر بالأعراض

قلت كم اسم استفهام يستفهم بها عن العدد وهى هنا الأزمنة والأوقات ووسائد جمع وسادة وصرفا للوزن والمراد به هنا الكناية عن عدم الفهم يقال فلان عريض الوسادة وعريض القفا إذا لم يفهم ولم يفطن وقد قال عليه السلام لعدى بن حاتم حيث لم يفهم قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) فحمله على ظاهره فجعل خيطين تحت وسادته وجعل ينظر إليهما ويأكل حتى تبين أحدهما من الآخر فلما قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم قال إنك لعريض القفا وفى رواية إن وسادك إذن لعريض على بعض التأويلات والجوهر هنا كناية عما يبقى والإعراض

وهجرة كبرى وهى هجرة النفوس عن مألوفاتها وعوائدها وهو معنى قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جعل الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والجهاد الأصغر هو جهاد الجسم وقال أيضاً عليه السلام الهجرة باقية إلى يوم القيامة يعنى الهجرة الحسية والمعنوية فكل بلد لا يجد فيها من يعينه على دينه أو لا يجد فيها قلبه تجب الهجرة عنها وكل شهوة تقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها وبالله التوفيق (هذا آخر) الكتاب الذى أرسله إلى بعض اخوانه وحاصله بيان السلوك من أوله إلى آخره فهو يكفى ذوى الألباب عن مطالعة كل كتاب ثم ذكر الكتاب الثانى الذى أرسله لبعض اخوانه أيضاً فقال (وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه) قلت وكانت الرسالة المتقدمة فى بيان السلوك بدايتها ونهايتها وهذه الرسالة فى بيان الوصول إلى بحر الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة طرفان وواسطة قوم فرطوا وقوم أفرطوا وقوم توسطوا وجمعوا بين الشيخ الاقسام الثلاثة تتميما للتقسيم فأشار إلى أصل التقسيم فقال (ان كانت عين القلب تنظر أن الله واحد فى منته فالشريعة تقتضى أن لا بد من شكر خليقته) قلت عين القلب هى البصيرة ومن شأنها أن لا ترى إلا المعانى دون المحسوسات كما أن البصر لا يرى إلا المحسوسات دون المعانى والحكم للغالب منهما فمن غلب بصره على بصيرته لا يرى إلا الحس وهو الغافل ومن غلبت بصيرته على بصره لا يرى إلا المعانى وهى معانى التوحيد وأسرار التفريد فالبصيرة لا ترى إلا نور الحق دون ظلمة الخلق لكن لا بد من اثبات الحكمة وقد تقدم قوله الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته فلا بد من اثباتها قياما بالحكمة ونفيها قياما بالوحدة فان كانت عين القلب تنظر إلى أن الله واحد فى منته بل واحد فى جميع تصرفاته فالشريعة والحكمة تقتضى أى تطلب أن لا بد من شكر خليقته قال تعالى (أن اشكر لى ولوالديك) فإذا أنعم الله عليك بنعمة كانت دنيوية أو دينية على يد واسطة فعليك فى ذلك وظيفتان احداهما قلبه وهى اعتقادك

كناية عما يفنى لأن العرض لا يبقى زمانين يقول رضى الله عنه كم تمكث أيها المعاند من السنين والأوقات وأنت فى سكرة الغفلات غبى جاهل لا تسمع الخطاب ولا ينفع فيك العتاب مشتغلا بالعرض الفانى عن النعيم المقيم أما تسمع قوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) إلى كم تبقى غليظ الطبع عريض القفا معتنيا باصلاح جسمك الذى هو معرض للفناء لاهيا عن اصلاح جوهر روحك وقلبك الذى هو سبب النعيم على الدوام والبقاء فبادر أيها الجاهل إلى دواء قلبك قبل أن يهجم عليك الحمام وأنت على حالك من الأمراض والسقام فانهض أيها الغافل إلى خلاص نفسك بالتوبة والندم قبل أن تندم ولا ينفعك الندم وقد زلت بك القدم وأنشدوا :

اما آن للنفس ان تخشعا ... اما آن للقلب ان يقلعا
تقضى الزمان ولا مطمع ... لما قد مضى منه إن يرجعا
تقضى الزمان فياحسرتا ... لما فات منه وما ضيعا

(وقال آخر)

وما هى إلا ليلة ثم يومها ... ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايا يقربن الجديد إلى البلا ... ويدنين اشلاء الصحيح إلى القبر
ويتركن أزواج الغيور لغيره ... ويقسمن مايحوى الشحيح من الوفر

(وقال) فى الحكم العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والذى لا بقاء له معه هو شهواته وحظوظه الفانية والذى لا انفكاك له عنه هو قدر

أنها من الله بلا واسطة وأن ماسواه مقهور على إيصالها والثانية لسانية وهى أن تدعو له وتثنى عليه عملا بالشريعة فقد روى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وحكمة اعتبار الواسطة ثلاث أولها أنها أرسال من الحق تحمل الهدايا اليك ومن الكرم اكرام الرسل وثانيها أنها أوانى تصل فيها اليك المنافع ومن الحكمة ترفيع آنية المنافع وثالثها مافى ذلك من دفع منة الوهم اذ الوهم يقتضى بطبعه الميل لمن أحسن اليك فاذا كافأته باللسان فقد اعتقت من رق احسانه ثم قسم الناس باعتبار الحقيقة إلى طرفين وواسطة كما تقدم فقال (وان الناس فى ذلك على أقسام ثلاثة) أما واقف مع الحس ناظر للأسباب أوغائب عن الحس وعن رؤية الأسباب أوجامع بينهما أوتقول اما عامة أو خاصة أو خاصة الخاصة ثم أشار إلى الأول فقال (غافل منهمك فى غفلته) أى مسترسل فى غفلته مستغرق فى نومه لايبالى بماوقع منه ولايتنبه من نومه ثم بين أصل غفلته فقال (قويت دائرة حسه) أى قوى تكثيف حسه الدائر به فتكثف حينئذ حجابه وعظم جهله فعظمت غفلته ولو فنيت دائرة حسه لاتصلت روحه بعالم الملكوت أو الجبروت فلم تر الاالجمع أوترى الجمع فى عين الفرق والفرق فى عين الجمع لكن لماقويت دائرة حسه انطمس نور بصيرته كما قال (وانطمست حضرة قدسه) أى انطمست عنه حضرة القدس وهى شهود المعانى الملكوتية لانطماس بصيرته لأن هذه المعانى لا تدركها الا البصيرة فلما انطمست البصيرة بقوة كثافة الحس انطمس نور حضرة القدس عنه ثم ذكر ماترتب على انطماس حضرة القدس وهو شهود الخلق دون الحق فقال (فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين) قلت كل من لم يفن عن دائرة حسه ولم يغب عن شهود نفسه بشهود ربه لا يطمع أن يتحرر من رق احسان الخلق اما اعتقادا أو استناداً ولو جاهد نفسه فى مراعاة التوحيد

الله وقضاؤه والله تعالى أعلم ثم ذكر حجاب الناس عن الله فقال :

فمهما تعديت عن الأجسام　　أبصرت نور الحق ذا ابتسام

(قلت) قد تقدم قريباً عند قوله لم يتصل بالعالم الروحانى الخ الفرق بين العالم الروحانى والعالم الجسمانى فالعالم الجسمانى هو محل ظهور حكمته تعالى لان من أسمائه تعالى الحكيم وهو أيضاً محل لظهور آثار تصرفات الأسماء والصفات من اعزاز واذلال وقبض وبسط واحياء وإماتة وغير ذلك من اختلاف الآثار وهو أيضاً محل لظهور العبودية التى بها كمال سر الربوبية ومن مقتضى العبودية الفقر والذل والعجز والضعف والجهل وهو أيضاً محل ارتباط الأسباب بمسبباتها واقتران العلل بمعلولاتها وبهذا وقع الحجاب عن شهود مسبب الأسباب فوقف الناس مع الأسباب والعوائد ومنعوا عن تحصيل المواهب والفوائد وانهمكوا فى طلب تحصيل هذه الأسباب لتحصيل مسبباتها وارتبطوا معها حتى ظن أهل الجهل أنه لابد منها فدخلهم بذلك هم الرزق وخوف الخلق لضعف إيمانهم وحجابهم عن ربهم فمن أراد الله عنايته رفع الحجاب عن قلبه فأعرض عن هذا العالم بأسره ورفع همته إلى ربه فلاحت له الاسرار وضحكت فى وجهه الأنوار فمهما تعديت أيها الإنسان بهمتك عن عالم الاجسام وحصلت لك الغيبة عنه على التمام أبصرت نور الحق فى وجه سرك ذا ابتسام وهى أنوار الملكوت وأسرار الجبروت وما حجبك عنها الاشغل قلبك بأمر نفسك فلو بعتها لربك يعوضك منها شهود أنوار قدسه وما حجبك أيضاً عن شهود تلك الأنوار الاوقوفك مع خيال الحس ورؤية الأغيار كما أشار إلى ذلك بقوله ·

مهما ارتقيت عن قبيل الحس　　أدركت فى نفسك معنى النفس

فلا بد من الطبع أن يسرق بخلاف من تحقق بالزوال وغرق فى بحر الوحدة فلا يسرقه شىء وعلى تقدير غفلته فيكون سريع الانتباه ثم بين حال الفريقين فى نظر الاحسان من المخلوقين فقال (أما اعتقاداً فشرك جلى) أى لاخفاء فى أن من نسب الفعل لغير الله استقلالا انه كافر خارج عن الإيمان وان كان ظاهره متوسما بوظائف الشريعة لأن من اعتقد خالقاً أو رازقا مع الله استقلالا فهو كافر بالاجماع ثم ذكر الثانى بقوله (وأما استنادا فشرك خفى) قلت الاستناد هو الميل الخفى بحيث إذا قلت له من الذى رزقك يقول الله لكن الغالب أن قلبه يسبق الى رؤية الخلق قبل رؤية الخالق وربما يقول بلسان الحال أو المقال لولا الذى جاء من قبله ما كان ولولا الأسباب ما كانت المسببات فوقوفه مع ارتباط الاسباب دون النفوذ إلى مسبب الاسباب هو شركه الخفى ولو نبذ الأسباب ونفذت بصيرته إلى شهود مسبب الاسباب لتبرأ من الشرك الجلى والخفى ولتحلى بمقام الاخلاص الكامل الوفى واليه أشار بقوله (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب) قلت الحقيقة هى شهود نور الحق فى مظاهر الخلق أو شهود نور الربوبية فى قوالب العبودية فصاحب الحقيقة هو الذى يغيب عن الخلق بشهود نور الملك الحق ويفنى عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب فان كان مع مراعاة الحكمة فهو كامل وإن كان من غير مراعاة الحكمة فان كان غائبا مصطلما فهو معذور وهو الذى بينه بقوله (فهذا عبد مواجه بالحقيقة) أى كوشف بنورها (ظاهر عليه سناها) أى نورها فلما دهته الأنوار سكر وأنكر الحكمة فهو باعتبار ما قبله كامل لاستغراقه فى بحر الوحدة وهو معذور فى نفيه الحكمة لغلبة وجده وظهور سكره وباعتبار ما بعده ناقص لقصور نفعه على نفسه وان كان قد سلك الطريق وأتى على غايتها حتى وصل الى التحقيق كما بين ذلك بقوله (سالك للطريقة) أى لولا سلوكه مع الطريق ما استنارت له معالم التحقيق وإنما فاته أنوار التشريع وأسرار الحكمة وأما الطريق فقد

(قلت) من اصطلاحات الصوفية أنهم يعبرون بالحس عما يدركه البصر من الاجسام الكثيفة وبالمعنى عما يدرك بالبصيرة من المعانى اللطيفة القائمة بالأجسام وهى أسرار الذات ومعانى الصفات فالوجود كله دائر بين حس ومعنى الحس ظاهر والمعنى باطن فالحس كأنه ظرف والمعنى مظروف والحس لا ينفك عن المعنى ومثال ذلك الثلجة ظاهرها ثلجة وباطنها ماء فالظاهر الجامد حس والباطن المرىء معنى فالكون كله كالثلجة ظاهره كثيف ويسمى حساً وباطنه لطيف ويسمى معنى وفيه قال الجيلى رضى الله عنه

وما الكون فى التمثال إلا كثلجة ... وأنت لها الماء الذى هو نابع
فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه ... وغيران فى حكم دهته الشرائع

ثم ان الحق سبحانه جعل أحكام الحس مضادة لاحكام المعنى مع تلازمهما فاحكام الحس أحكام العبودية وهى النقائص وأحكام المعنى أحكام الربوبية وهى الكمالات فمن أراد أن يظفر بالمعنى بتمامها فليغب عن الحس وأحكامه وهذا معنى قوله مهما ارتقيت عن قبيل الحس أدركت فى نفسك معنى النفس أى أدركت فى ذاتك معنى الروح والروح لطيفة نورانية قائمة بالبدن وهى من قبيل المعانى فمن عرف نفسه عرف ربه ولا يفرق بين روحانيته وبشريته إلا من ترقى من عالم الحس إلى عالم المعانى (والحاصل) أن الحس ما أظهره الله تعالى إلا لتقبض منه المعنى وهى معرفة الحق سبحانه وتعالى فلولا ظهور الحس ماقبضت المعنى ولولا وجود المعنى ماقام الحس وهو معنى قول الشيخ أبى مدين رضى الله عنه (الحق مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الجود فاذا انقطعت المادة انهدم الوجود) فالحق تعالى مستبد أى قائم بنفسه والوجود

سلكها وأتى على غايتها كما ذكره (قد استولى على مداها) يعنى على غايتها فلا وصول للحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة وتحقيق ظاهر الشريعة قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) فلا باب لبيت الحقيقة إلا من جهة الشريعة والطريقة فاذا وصل إلى الحقيقة فمن الناس من يكون صدره ضيقاً فلا يحتمل تلك الأنوار ولا يطيق مشاهدة تلك الأسرار فيغيب فى شهود الوحدة وينكر الحكمة ومن الناس من يكون واسع الصدر قوى النور فاذا أشرقت عليه أنوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة وصار برزخا بين حقيقة وشريعة هكذا يكون سيره بين فناء وبقاء حتى يتمكن فيهما ويعتدل أمره بينهما وهذه حالة الأقوياء والطريقة الشاذلية جلها هكذا يسير أهلها بين حقيقة وشريعة حتى يقع التمكين والاعتدال ثم كمل الشيخ هذا القسم الذى غلبت عليه الحقيقة فقال (غير أنه غريق الأنوار) أى غلبت عليه أنوار الحقيقة حتى غاب عن أحكام الشريعة (مطموس الآثار) أى غائب عن شهود الكون من حيث أن الحق أثبته ليعرف به وهذا لما أشرقت عليه أنوار الحقيقة ضم الفروع إلى أصولها وأنوار الملكوت الى الجبروت وأنكر الوسائط لغلبة السكر عليه كما بينه بقوله (قد غلب سكره على صحوه) السكر وارد قوى يغيب القلب عن شهود الحس والصحو ذهاب ذلك الورد حتى يرجع القلب الى الاحساس بعد الغيبة (و) غلب عليه أيضاً (جمعه على فرقه) الجمع رؤية الحق بلا خلق والفرق رؤية الخلق بلا حق فان كان بعد الجمع فهو رؤية الخلق والحق (والحاصل) أن أهل الجمع لا يشهدون إلا الحق وأهل الفرق لا يشهدون الا الخلق ويستدلون به على الحق وأهل الفرق فى الجمع يشهدون الخلق والحق أعنى يشهدون الواسطة والموسوط من غير فرق بينهما (و) غلب عليه أيضا (فناؤه على بقائه) الفناء الغيبة عن الخلق بشهود الحق والبقاء شهود الخلق بالحق ان كان بعد الفناء وان كان قبل الفناء فهو شهود خلق بلا حق وهو محل أهل الحجاب (و) غلب عليه أيضاً (غيبته على حضوره) الغيبة انقطاع القلب عن ملاحظة الخلق

وهو الحس الظاهر مستمد من المعنى الباطنية فلو انقطعت مادة المعانى التى تمد الحس لانهدم الوجود أى اضمحل وتلاشى لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا وهنا معانى تضيق عنها العبارة وعلمنا كله إشارة وفيما ذكرته كفاية والله تعالى أعلم (ثم) عاتب من وقف مع الحس ولم ينفذ الى المعنى فقال :

يا من على القشر غدا يحوم　　حتى عن اللب متى تصوم

(قلت) القشر هو ظاهر الشيء ويسمى الصوان بكسر الصاد لأنه يصون ما فى داخله واللب هو باطن الشيء وقلبه فالحس قشر والمعنى لب (يقول) رضى الله عنه يامن وقف مع قشره الظاهر فاعتنى بإصلاح ظاهره وتدبير أمر بدنه أكلا وشربا وملبساً ومنكحاً ومسكنا أو اعتنى برفعته وعزه وطلب رياسته وجاهه أو اعتنى بإصلاح جوارحه الظاهرة ولم ينفذ إلى إصلاح باطنه وغدا أى صار يحوم ويدور حول القشر الظاهر متى تستمر صائماً عن حلاوة المعانى الباطنية وهى حلاوة الشهود ولذة معرفة الملك المعبود ولم تذق منها ما ذاقت الرجال ولم تزاحمهم على مراتب الكمال (قال) ابراهيم بن أدهم أو مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا شيئا قالوا وما فاتهم قال حلاوة المعرفة فكل من وقف مع الرسوم الظاهرة لا يطمع أن يذوق حلاوة المعانى الباطنية وكل من اشتغل بحلاوة الرسوم لا يذوق حلاوة شهود الحى القيوم وكل من اشتغل بحلاوة العبادة الحسية لا يذوق حلاوة المعانى القدسية ولله در الششترى حيث يقول :

جمع العوالم رفعت عنى　　وضوء قلبى قد استفاق
ترانى غائبا عن كل أين　　كأس المعانى حلو المذاق

والحضور مشاهدة حضرة المولا بعد الغيبة عن شهود الحس والسوى فهذه أحوال أهل الجذب من السالكين فان كان لهم شيخ فلابد أن يخرجهم إلى السلوك وهو مقام البقاء يطلب الجذب حتى يدركه كما يدركه عمره الطالب له فكان بعض أشياخنا يقول أرنا من يفرق لنا نحن ضامنون له الخروج إلى البر وهو البقاء الذى أشار اليه الشيخ بقوله (وأ كمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه) قلت هذا هو القسم الثالث وهو مقام خاصة الخاصة وهم أهل الرسوخ والتمكين فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم وتجوهر عقلهم وكلما غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق زاد حضورهم فتراهم مستغرقين فى الفكرة والنظرة ومع ذلك يحسون بدبيب النملة حتى يظن من لم يبلغ مقامهم أنهم من أهل الغفلة لكثرة ما بهم من الفطنة وهم مستغرقون فى الحضرة وقد كان عليه السلام يصلى بالناس فاذا سمع بكاء الصبى خفف شفقة على أمه فأهل هذا المقام الكامل لايحجبهم جمعهم عن فرقهم فهم مجموعون فى فرقهم مفروقون فى جمهم يشهدون الحق حال شهودهم الخلق ولا يصدهم فناؤهم عن بقائهم فهم فانون عن أنفسهم باقون بربهم ولا بقاؤهم يصدهم عن فنائهم فظاهرهم مشغول بالحس مثلا وباطنهم معمور بالمعنى يعطون كل ذى حق حقه فيعطون الحقيقة حقها بشهود الحق فى الباطن والشريعة حقها باستعمال الجوارح فى حقوقها فى الظاهر ويوفون كل ذى قسط قسطه فيوفون الناس قسطهم من الإحسان والحق حقه فى توحيده بالجنان أو تقول أفردوا الحق بالانعام وشهود الاحسان وأثنوا على الوسائط باللسان أو تقول اعطوا الربوبية حقها بشهود الإحسان منه وحده وأعطوا الخليقة حقا بشكر الواسطة اقامة لرسم العبودية (والحاصل) أن هذا هو كما قال الشاذلى رضى الله عنه الجمع فى باطنك مشهود والفرق على لسانك موجود (تنبيه) قد

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

ولو خطرت يوما على خاطر امرىء　　أقامت به الافراح وارتحل الهم

(والحاصل) أن من اشتغل بالحس علما أو عملا لا يذوق حلاوة لشهود المعنى أبدا ولا يطمع أن ينتقل من شغل الحس إلى شهود المعنى إلا بصحبة أهل المعنى وإلا بقى متعوبا فى عبادة الحس على الدوام منكرا على أهل المعانى على الدوام إلا من عصم الله والله تعالى أعلم وإلى هذا المعنى أى دوام الإنكار من لم يصحب أهل المعانى أشار بقوله :

يا من إذا قيل له تعال　　لمنهج التحقيق قال لالا

(قلت) تعال فعل أمر بمعنى أقبل ومنهاج التحقيق هو طريق الوصول إلى معرفة الحق معرفة حقيقية عيانية لا برهانية (يقول) رضى الله عنه لهذا المنكر لطريق الخصوص هلم إلى طريق التحقيق طريق أهل العناية والتوفيق طريق أهل الجمع بين التشريع والتحقيق (قال) بعضهم فى تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) هو الجمع بين الشريعة والحقيقة المفهومة من قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فلما دعا هذا المنكر إلى منهاج التحقيق أجاب بأنه ليس من أهل هذه الطريق لأنها طريق الأبطال لايسلكها إلا فحول الرجال فقال مستمراً على إنكاره لا أجيبك إلى ما دعوتنى إذ لا طريق أفضل مما أنا عليه قال تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) (وسبب) انكاره هذه الطريق مع أنها مؤسسة على التحقيق أمران (أحدهما) أنها مبنية على قتل النفوس وخرق العوائد وهذا الأمر ثقيل على النفوس لايقبله إلا من أراد الله وصوله إليه وأهلها ثقيلون على النفوس الحية لأن الميت لايأوى إليه إلا امثاله (الثانى) أن عمل أهلها خفى جله باطنى بين فكرة ونظر فكل من نظر إلى أعمالهم الظاهرة استحقرها فى عينه فلا يقنع بطريقتهم قال ابن ليون التجيبى رضى الله عنه المنكرون

رأينا كثيرا من الناس يترامون على هذا المقام الكامل من غير صحبة ولا جذب ويزعمون أنهم يصلون اليه بإتقان علم الشريعة وعملها وهو غلط إذ لا سبيل إلى هذا المقام إلا بمروره على المقام الذى قبله وهو الجذب والاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون ولا بد من سكر ثم صحو وجذب ثم سلوك وجمع ثم فرق وفناء ثم بقاء نعم قد يكون بعض الأفراد أقوياء يجذبون إلى حضرة الحق مع مشاهدة الخلق ويسيرون بين جذب وسلوك كما تقدم فى الطريقة الشاذلية وأمثالها وأما من لم يصحب العارفين الذين سلكوا هذه المقامات فلا يطمع فى نيل هذا المقام أبدا إلا الفرد النادر الذى لا حكم له والله تعالى أعلم ثم استدل على المقام الثانى وهو الجذب والفناء والثالث وهو الصحو والبقاء بقضية السيدة عائشة مع أبيها فى قضية الافك فقال (وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكرى رسول الله فقالت والله لاأشكر إلا الله) قلت قضية الإفك مشهورة مذكورة فى سورة النور تولى شرحها أهل الظاهر إلا أن ظاهر كلام الشيخ رضى الله عنه أن القائل لها هو أبوها والذى فى الصحيح أن الذى قال لها اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم هى أمها وفى رواية فقالت لى أمى لما نزلت براءتى من السماء قومى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لاأقوم اليه ولا أشكر إلا الله ويمكن الجواب بأن ذلك وقع باشارة أبيها أو قالاه معا أو سكوته كأنه وفاق والله تعالى أعلم ثم ذكر الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة فقال (دلها أبو بكر على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضى لإثبات الآثار) قلت المراد باثبات الأثر بعد الفناء عنه إثباته بالله ونفيه بالله جمعا بين القدرة والحكمة وإنما كان هذا أكمل مما قبله لأن هذا حاز المقامين أعطى القدرة حقها فى الباطن وهو الشهود والحكمة حقها فى الظاهر وهى العبودية فهو سالك بنفسه دال لغيره كامل عالم معلم عارف معرف وهى غاية القصد والطلب لأنه مقام الخلافة

على الفقراء ثلاثة أصناف أرباب الدنيا وأتباعهم والجامدون من الفروعية وأتباعهم والمتعمقون فى الأعمال المتنمسون وأتباعهم فأما أرباب الدنيا فلأن الفقراء أضداد لهم لرثة ثيابهم وقلة جاههم والضد يبغض ضده والدنيا تورث القساوة وطول الأمل وأتباعهم يمشون فى مرضاتهم (وأما) الجامدون من الفروعية وهم علماء الظاهر فانهم يعتقدون الإحاطة بالشريعة وينكرون على من ترك طريقهم وتبعهم العوام على ذلك والاحاطة بالشريعة متعذرة ثم قال وحقيقة الفقه ما أدى إلى ترك الدنيا وطلب الآخرة (وأما المتعمقون) فى الأعمال المتنمسون ففتنهم الشيطان برؤية الأعمال وجعلهم يزيدون أعمالا قد نهوا عنها فعظمهم الناس فهم ينقصون الفقراء لأن الفقراء لا يتصنعون والفقير إذا رأى أعماله أشرك وإذا رأى أنه قد أخلص احتاج إلى إخلاص يخلصه من شرك نفسه ثم قال وقد ذهب الفقراء والصوفية مذهب أهل القرآن والحديث وعلومهم مكارم الأخلاق التى بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم ليكملها ويتممها وعامة الخلق مطلوبون بها انتهى المراد منه ثم ضرب مثلا لمن جهل قدر نفسه وهى بين جنبيه فقال :

يا جاهلا من داره سكناها   وهو يؤدى أبداً كراها

(قلت) قد تقدم قوله ولم تزل كل نفوس الاحيا علامة دراكة للأشياء فاصل الروح قطعة نور جبروتى انظر قوله تعالى (ونفخت فيه من روحى) فلما ركبت فى هذا الهيكل نسيت أصلها وجهلت أمرها بحكمة الحكيم العليم فجعلت تتعشق إلى أصلها وتجتهد فى معرفة خالقها ومظهرها وتتعب نفسها فى الخدمة الحسية طلباً للوصول فيقال لها إلى كم تتعبين نفسك والشىء أقرب اليك منك اعرفى أصلك تعرفى ربك (قال) يحيى بن معاذ الرازى من عرف نفسه عرف ربه فلما انكشف

التامة والمنافع العامة ولا شك أن الخير العام خير من الخير الخاص والخير العام هو الذى يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه وسئل بعضهم عن قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) مع قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فقال له اتق الله حق تقاته بقلبك واتق الله بجسمك ما استطعت فتكون جامعاً للشريعة والحقيقة اه ثم استدل على اثبات الأثر بالكتاب والسنة فقال وقد قال تعالى (أن اشكر لى ولوالديك) فأمر أولا بشكر من تولى نعمة الايجاد وأمر ثانياً بشكر من ظهرت على يديه نعمة الامداد فالواسطة ثابتة بإثباته محوة بأحدية ذاته والآية صريحة فى إثبات الواسطة أدباً والغيبة عنها عقد لأجل التوحيد ثم ذكر دليل السنة فقال (وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس) قلت يصح فى اسم الجلالة الرفع على الفاعلية والنصب على المفعولية ومعنى الأول الله تعالى لا يشكر فعل من لم يشكر الناس ولا يحبه وعلى الثانى من لم يشكر الناس فلا يشكر الله أى فلا يسمى شاكرا لله وتقدم حديث النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ثم بين الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة فى ذلك الوقت فقال (وكانت فى ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها) قلت الاصطلام نعت الحيرة ومحل الدهشة والغيبة أى كانت رضى الله عنها فى ذلك الوقت غائبة عن حالها فانية عن حسها كما هو حال الجذب وقوله فى ذلك الوقت يقتضى أنه لم يكن ذلك شأنها على الدوام وإنما هو عارض قهرى ووارد إلهى اختطفها عن حسها كما عرض ذلك لخليل الله ابراهيم حين عرض له جبريل فقال له ألك حاجة فقال أما اليك فلا وأما إلى الله فبلى فلم يلتفت إلى الواسطة فقال له سله فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى وكقوله عليه السلام لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى فكانت عائشة رضى الله عنها فى ذلك الوقت (غائبة عن الآثار فلم تشهد إلا الواحد القهار) قلت ومما يقوى عذرها فى شكر الله وحده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة اشكرى الله

عنها حجاب الوهم وجدت نفسها فى الحضرة وهى الدار التى جهلت سكناها فاستراحت من تعبها ووجدت الدار التى كانت تسكن فيها كانت لها وهى لا تشعر فهى كانت مولاة الدار ولكن لم تشعر فهى بمثابة من كان يسكن دارا يظنها لغيره وهو يؤدى كراءها فلما علم بحقيقة الأمر ترك الكراء كذلك الإنسان كان قبل الوصول يظن أن المطلوب بعيد عنه فلما زال حجاب الوهم وجد نفسه فى الحضرة وهو لا يشعر (وفى) ذلك يقول بعض المشارقة :

قبل اليوم كنت مقيدا بقيود البين   محجوب بالوهم نحسب مفردى اثنين
لما تبدى جمالك زال عنى الضين   شاهدت عينى بعينى وصرت عين العين

(وقال) بعض التلامذة لشيخه أين الله فقال أسحقك الله وأبعدك هل تطلب مع العين أين اه (وقال الششترى فى هذا المعنى لقد أنا شىء عجيب ، لمن رآنى ، أنا المحب والحبيب ، لش ثم ثانى ، يا قصدا عين الخبر ، غطاه أينك ، الخبر منك والخبر ، والسر عندك ، ارجع لذاك واعتبر ، ما ثم غيرك (وقال) غيره :

كم ذا تموه بالشعبين والعلم   والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها   وعن تهامة هذا فعل متهم

وقال فى الحكم وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فجل ربنا أن يتصل به شىء أو يتصل بشىء وقال أيضاً لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك فمن من قوله من داره ابتدائية وسكناها مفعول بجاهل والمراد بالدار ذاته الحسية والسكنى الحضرة الازلية التى قامت بها فهو ساكن فى الحضرة وهو لا يشعر أى

فإن الله تعالى قد برأك فهى راجعة لأمره فى عدم شكره كما قاله ابن أبى جمرة لكن بضميمة ما ذكره المؤلف إذ لا يصح مع الصحو اهمال الوسائط فى المقام الأكمل قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (فهذا آخر) الرسالة التى كتبها لبعض اخوانه وهى فى غاية الاتقان والكمال فلو لم يكن فى هذا الكتاب إلا هذه الرسالة مع التى قبلها لكانت كافية لجزاه الله عن أهل الطريقة خيرا ولما كانت صلاة العارفين ليست كصلاة الغافلين تكلم فى هذه الرسالة الثالثة على قرة العين التى تكون فى الصلاة هل هى خاصة بالأنبياء أو الأولياء نصيب من ذلك فقال (وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت قرة عينى فى الصلاة هل ذلك خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب أن قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود) قلت قرة العين كناية عن شدة الفرح لأن بكاء الفرح دمعه بارد والقر بالضم هو البرد يقال فى الدعاء أقر الله عينك أى أفرحك حتى تبرد عينك بدموع الفرح ومضمن كلام الشيخ فى جوابه أن قرة العين فى الصلاة متفاوتة على قدر التفاوت فى المعرفة والشهود والمعرفة على قدر التخلية والتحلية فمعرفته عليه السلام لا يوازيها معرفة وشهوده عليه السلام لا يقرب منه شهود لكن قد تحصل المشاركة فى مطلق الشهود من حيث هو وتكون القرة على قدره فاذا لورثته عليه السلام قسط ونصيب من قرة العين على قدر صفاء مشربهم وتفرغ قلوبهم وأسرارهم فالعلماء ورثة الأنبياء فمن جملة ما ورثوه قسط من قرة العين فى الصلاة ولذلك كانوا يغيبون فيها ويجدون من النعيم واللذة فيها ما تعجز عنه العبارة وقد كان منهم من يقطع الليل كله فى ركعة ويختم القرآن فى كل ليلة فلولا ما كانوا يجدون من حلاوة المناجاة ما دامت لهم تلك الحالة ويفهم هذا من قول الشيخ فى الجواب أن قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فأتى بعبارة عامة تصدق بكل من له نصيب من الشهود لكن قرة عين الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوازيها قرة عين أحد

يا جاهلا بسكنى الحضرة من ذاتها وهو يطلبها ويؤدى كراءها والله تعالى أعلم (ثم) وبخه على جهله بنفسه الذى كان سببا فى جهله بربه فقال:

أتدرى من أنت وكيف تدرى   وأنت قد عزلت والى الفكر

(قلت) والى الفكر هو العقل لأنه هو الذى يلى الفكر ويستعمله عزله عن ذلك هو اشتغاله بحظوظه وهواه حتى بعد عن حضرة مولاه وهذا منه رحمه الله تنبيه وإيقاظ للغافل وتقريع وتوبيخ للجاهل يقول له أتدرى من أنت أيها الإنسان ولماذا خلقت وما المراد منك أنت نخبة الأكوان وأنت فى الأصل قطب الزمان أنت المقصود الأعظم من هذا الكون فلو تفكرت فى أمر نفسك لعلمت عظمة ربك فسارعت اليه بجسمك وقلبك لكن عزعقلك عن التفكر والاعتبار وشغلت نفسك بالفضول والاغترار فلا جرم أنك هوت نفسك فى دار البوار فلو تفكرت فى عجائب نفسك لتحققت بمعرفة ربك قال تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فتأمل فى أول نشأتك وفى تركيب صورتك فانظر رحمك الله إلى أصلك حين كنت نطفة مهينة فقلب الحق تعالى عرق دم الحيض مددا لك فى رحم أمك ثم صرت علقة ثم مضغة ثم فصل سبحانه تلك المضغة إلى العظم واللحم والعصب والعروق والدم والجسد والظفر والشعر ووضع كل واحدا منها بحكمة لولاها لاختل الجسد بحسب العادة فالعظام منها هى عمود الجسد فضم بعضها إلى بعض بمفاصل وأقفال من العضلات والعصب ربطت بها ولم تكن عظما واحدا لأنه إذ ذاك يكون مثل الحجر أو الخشبة لا يتحرك ولا يقوم ولا يجلس ولا يركع ولا يسجد لخالقه الحى القيوم وجعل سبحانه العصب على مقدار مخصوص ولو كان أقوى مما هو عليه لم تصح فى العادة حركة الجسم ولا تصرفه فى منافعه ثم خلق تعالى فى العظام لينا فى غاية الرطوبة ليرطب يبس العظام وشدتها وتتقوى العظام برطوبته ولولا ذلك لضعفت

وكذلك الأنبياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هذا أشار بقوله (والرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته) قلت لم يؤنث الفعل لمجازى التأنيث فى الموضعين وإنما كانت معرفته عليه السلام لا يساويها معرفة لأنه أول قدمه فى مقام الاحسان إذ لامجاهدة له ولاسير له باعتبار الوصول لأنه واصل من أول قدم فنهاية الأولياء بداية الأنبياء ونهاية الأنبياء بداية الرسل وبدايته عليه السلام من نهاية الرسل وإنما قلنا لاسير له باعتبار الوصول لأن السير فى مجاهدة الأوصاف المذمومة وهو مطهر منها كما قال القائل:

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وأما السير بمعنى الترقى فهو ثابت له على الكمال فقد كان عليه السلام يترقى فى الساعة الواحدة مقامات ويستغفر من المقام الذى يترقى منه (حكى) عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه يستشكل قوله عليه السلام أنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامبارك غين أنوار لاغين أغيار ففهم حينئذ أن ذلك الغين هو التغطية إنما هى أنوار الشهود أو هى تتفاوت بالقوة والضعف باعتبار الكشف فكلما كشف له عن مقام رأى ذلك المقام نقصاً باعتبار مابعده ورآه حجاباً وتغطية لمافوقه وهكذا وعظمته تعالى لانهاية لها ولذلك قال له وقل رب زدنى علما وقال أبو العباس رضى الله عنه الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا عليه السلام هو عين الرحمة قال تعالى (وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال الشيخ الحضرمى رضى الله عنه بعد كلام ذكره فهو صلى الله عليه وسلم مظهر الحق الأكبر وهو أكبر مظاهر الحق فى الوجود فلذلك كان كل حرف من كلماته يوازى الجم الغفير وكل قطرة من فيض بحره توازى البحر الزاخر الكبير وأعظم من ذلك بألف ألف نقير وقطمير لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اه

قوتها وانخرم نظام الجسد بحسب جرى العادة ثم خلق سبحانه اللحم وأعفاه وعلاه على العظام وسد به خلل الجسد كله فصار مستوياً لحمة واحدة واعتدلت هيئة الجسد واستوت ثم خلق سبحانه العروق فى جميع الجسد جداول لجريان الغذاء فيها إلى أركان الجسد لكل موضع من الجسد عدد معلوم من العروق صغاراً وكباراً ليأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجته ولو كانت أكثر عما هى عليه أو أنقص أو على غير ماهى عليه من الترتيب ماصح شىء من الجسد عادة ثم أجرى الدم فى العروق سيالا خاثراً ولو كان يابساً أو أكثف مماهو عليه لم يجر فى العروق ولو كان ألطف مماهو عليه لم تتغذ به الأعضاء ثم كسى سبحانه اللحم بالجلد ستره كله كالوعاء ولولا ذلك لكان قشراً أحمر وفى ذلك هلاكه عادة ثم كساه الشعر وقاية للجلد وزينة فى بعض المواضع ومالم يكن شعر جعل له اللباس عوضا منه وجعل أصوله مغروزة فى اللحم ليتم الانتفاع به ولين أصوله ولم يجعلها يابسة مثل رؤوس الابراذ لو كانت كذلك لم يهنأ عيش وجعل الحواجب والاشفار وقاية للعينين ولولا ذلك لأهلكهما الغبار والسقط وجعلها سبحانه على وجه يتمكن بسهولة من رفعها على الناظر عند قصد الناظر ومن ارخائها على جميع العين عند إرادة إمساك النظر إلى ماتؤذى رؤيته دينا أو دنيا وجعل شعرها صفا واحدا لينظر من خللها ثم خلق سبحانه شفتين ينطبقان على الفم يصونان الحلق والفم من الرياح والغبار وينفتحان بسهولة عند الحاجة إلى الانفتاح ولما فيهما أيضا من كمال الزينة وغيرها ثم خلق سبحانه بعدهما الاسنان ليتمكن بها من قطع ما أكوله وطحنه ولم يخلق له الاسنان من أول الخلقة لئلا يضر بأمه فى حال رضاعه ولأنه لايحتاج لها حينئذ لضعفه عما كثف من الأغذية فعوضه الله منها برأفته لبن أمه دافئا فى الشتاء باردا فى الصيف فلما قوى وصلح للغذاء الخشن خلق له الأسنان لأن الطعام لو جعل فى الفم وهو

المراد منه فتحصل أن مقامه عليه السلام فى العرفان لا يوازيه مقام وكذلك قرة عينه عليه السلام لا ينالها غيره من الأنبياء والأولياء وإنما يكون لهم من ذلك شرب ونصيب على قدر شهودهم ومعرفتهم قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه إنما قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) ولم يقل بنبيه ولا برسوله ليفتح باب السريان لغيره فمن له قسط من العبودية له قسط من الاسراء. ولما كان له عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الاسراء فأسرى بروحه وجسده وليس ذلك لغيره اه فاذا وقع الاسراء بالروح إلى الملكوت حصلت له قرة العين فى العبادة على قدر اسرائها واسراؤها على قدر تصفيتها من العلائق والعوائق والله تعالى أعلم ولما كان جوابه بأن قرة العين بالشهود على قدر معرفته بالشهود فيه خفاء عن المقصود بينه بقوله (وإنما قلنا أن قرة عينه فى صلاته بشهوده جلال مشهوده لأنه أشار إلى ذلك بقوله فى الصلاة ولم يقل بالصلاة) قلت لأن الأصل فى الظرفية أن تكون على بابها فقرة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هى بشهود ربه ومساررته ومكالمته فالصلاة إنما هى محل لتلك القرة واما قوله عليه السلام أرحنا بها يا بلال فالباء سببية أى أرحنا بسببها وراحته عليه السلام إنما هى بمناجاة ربه لا بغيرها ثم ذكر علة كونه عليه السلام لا تقر عينه بالصلاة وإنما تقر عينه بربه فقال (إذهو صلوات الله وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه) فلا فرح له إلا به ولا سرور له إلا فى إقباله قد رفع همته عن الكونين وخلع نعله من الدارين ولأجل ذلك قال فيه القائل:

له همم لا منتهى لكبرها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البر أندى من البحر

وهو كيف وهو يدل على هذا المقام) مقام الاحسان إذ به تحصل قرة العين (ويأمر به من سواه) من الأنام (لقوله

قطعة واحدة لم يتيسر ابتلاعه فيحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق اللحيين من عظمين وركب منهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا إلى السفلى لتطحن بهما الطعام طحناً ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة يحتاج إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فجعل سبحانه الأسنان على ثلاثة أصناف بعضها عريضة طواحن كالأضراس وبعضها حادة قواطع تصلح للقطع كالرباعية وبعضها صلبة تصلح للكسر كالأنياب (ثم) جعل سبحانه مفصل اللحيين متخللا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يكون الفك الأعلى على دوران الرحى ولولاهما لم يتم اضراب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين ثم جعل الفك الأسفل يتحرك حركة دورية واللحى الأعلى ثابت لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فان رحى الخلق الأعلى يدور والأسفل ثابت ورحى الله تعالى معكوسة الأسفل يتحرك والأعلى ثابت ثم هب أنك وضعت الطعام فى الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان وكيف تستجره الاسنان إلى نفسها وكيف يتصرف باليد فى داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك فخلق اللسان يطوف فى جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة ترد الطعام إلى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوة النطق ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على ابتلاعه الا بأن يزلق الى الحلق بنوع رطوبة أنبع الله تعالى فى الفم عينا نباعة على الدوام أحلى من كل حلو وأعذب من كل عذب فيحرك اللسان الغذاء ويمزجه بذلك الماء فيعود زلقاً فينحدر فى الحلق بلا مؤنة ولهذا إذا أعدم الله تلك العين من حلق المريض لم يمض على الحلق شىء وان مضى فبمشقة عظيمة (ومن) عجب هذه العين أنها مع عدم انقطاعها لم يكن ماؤها يملأ الفم فى كل وقت حتى يتكلف الإنسان طرحها بل جرت على وجه ألجئت فيه أن تتعدى وجه منفعتها

صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كأنك تراه) قال الشيخ زروق رضى الله عنه لم يقع فى الحديث بهذا اللفظ وانما وقع فى تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك اه (قلت) وفيه نظر فان فى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قلت يا رسول الله أوصنى قال اعبد الله كأنك تراه وإعداد نفسك فى الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية اه رواه الطبرانى كما فى المنذرى ثم من كان يعبد الله كأنه يراه فلا يمكن أن يلتفت إلى رؤية ما سواه كما بينه بقوله (ومحال أن يراه ويشهد معه سواه) قلت لأن ثبوت السوى حجاب فلا يصح الشهود حتى يزول كل موجود ولا يبقى إلا واجب الوجود ويرى ماسواه كأنه ظلال أو خيال عند التحقيق مفقود (فان قلت) إذا كان السوى مفقود فلم قال عليه السلام فى تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقال لمعاذ اعبد الله كأنك تراه فأتى بكاف التشبيه إذا كانت الرؤيا حاصلة فكيف يشبه عليه السلام بمن يرى (فالجواب) أنه عليه السلام فى محل التشريع والتحقيق وهذا الحديث وقع فى محفل كبير فيه من هو من أهل المراقبة وفيه من هو من أهل المشاهدة فأتى بكلام يقبله الخاص والعام فالكل مخاطب باتقان العبادة كأنه يشاهد فمنهم من بلغ ذلك ذوقاً ومنهم من يكون منه ذلك مجاهدة وأيضاً شهود أنوار الملكوت سر من أسرار الربوبية لا تفشى لغير أهلها ولو قال عليه السلام أن تعبد الله لأنك تراه أى ترى أنوار جبروته متدفقة لرياض ملكوته لكان فيه افشاء لسر الربوبية ولا يفهمه الخواص وقد قال عليه السلام خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فأتى بكلام موجه يقبله أهل الظاهر وأهل الباطن فأهل الظاهر يتركون الكاف على بابها وأهل الباطن يجعلونها بمعنى اللام لأن رؤية البصيرة عندهم فى معد العيان لأن البصر إذا فتحت البصيرة غلبت عليه ولم يبق له حكم أصلا وأيضاً الرؤية إذا أطلقت انما تنصرف للبصر فلو لم يأت بالتشبيه لتوهم أن الله تعالى يرى البصر

فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم) لما كنت تحتاج إلى مناولة الطعام وجعله فى الفم خلق الله لك اليدين ولم يجعلك كالبهيمة تأكل على فمك فأنعم عليك باليدين وهما طويلتان فتمتدان إلى الأشياء مشتملين على مفاصل كثيرة ليتحرك فى الجهات فتمتد وتنثنى اليك فلم تكن كالخشبة المنصوبة ثم جعل رأس اليدين عريضاً فخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها فى صفين بحيث يكون الإبهام فى جانب يدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة لم يحصل بها تمام غرضك ووضعها وضعاً ان بسطتها كانت مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت آلة للضرب وان نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة القبض ثم خلق الله سبحانه أظفارا وأسند اليها رؤوس الأصابع لتشتد بها أطرافها لكثرة حركتها والتصرف بها فى الامور حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تأخذها الاصابع ولتحك بها جسدك ولما كان الشعر والظفر مما يطول لما فى طولهما من المصلحة لبعض الناس وفى بعض الاوقات وكان جزهما مما يحتاج اليه فى بعض الاقات لم يجعلا كسائر الاعضاء فى تألم الانسان بقطعهما فانظر إلى دقائق هذه النعم هل تقوم بشكرها (ثم) إذا نظرت إلى الطعام كيف تجذبه الحنجرة وتبلعه ثم إلى المعدة كيف تطبخه بالحرارة التى فيها ثم إذا طبخ كيف يأخذ القلب اللباب الذى صعد على وجه المعدة ثم كيف يجرى فى العروق المتصلة به من قرنك إلى قدمك ثم إلى نعمة الرجلين كيف تمشى بهما إلى حاجتك (وجدت) نفسك مغمورا بالنعم قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) هذه كلها نعم حسية فكيف بالنعم الباطنة كنعمة الاسلام والإيمان والمعرفة والعلم وغير ذلك مما لا يحصره العقل ولا يعده النقل فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ولذلك كانت عبادة التفكر قدرها عند الله عظيم إذ لا يتوصل إلى هذه العجائب إلا بالتفكر (فى الحديث) تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (وقال) كعب من أراد شرف الدنيا والآخرة فليكثر

الحسي وهو محال قال الله تعالى (لا تدركه الأبصار) أى الحسية وإنما تراه البصائر المفتوحة فاذا انفتحت البصيرة استولت على البصر فلا يرى البصر إلا ما تراه البصيرة من أنوار الملكوت والله تعالى أعلم : ولما قرر الشيخ أن قرة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هى بالله لا بالصلاة بحث معه باحث فأشار إلى البحث بقوله (قال له سائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال تعالى (فبذلك فليفرحوا) قلت مضمن البحث أن قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني فى الصلاة يمكن أن تكون فى بمعنى الباء أى بالصلاة ويكون وجه الفرح بها لأنها فضل من الله ورحمة وبارزة من منة الله وقد قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) فقد أمر الله تعالى عباده بالفرح بفضل الله وبرحمته والصلاة من ذلك فيجب الفرح بها وهى معنى قرة العين فأجاب (فقال اعلم أن الآية هذه قد أومأت) أى أشارت (إلى الجواب لمن تدبر سر الخطاب إذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم ليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال فى الآية الأخرى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) قلت مضمن الجواب أن قرة العين بالصلاة إنما يصح أن تكون فى حق غيره صلى الله عليه وسلم من أولياء أمته لأنهم يفرحون بفضل الله واحسانه لأنها علامة على رضوانه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا تكون قرة عينه إلا بالله ويدل عليه قوله تعالى (فبذلك فليفرحوا) ولم يقل فبذلك فافرح يامحمد فدل خطاب الآية أن الفرح بالفضل والرحمة إنما هو لأمته صلى الله عليه وسلم إنما يكون فرحه بالله لا بشىء دونه كقوله فى آية الانعام (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) والتحقيق هو أن يقال من تحقق بنعيم شهود الربوبية لم يكن فرحه إلا بشهود محبوبه دون غيره كائناً من كان ومن كان مقيما فى محل العبودية ولم يذق شيئاً من مطالعة أنوار الربوبية لم يكن فرحه الا بفضل الله ورحمته من ذاق ولم يتحقق يكون

من التفكر .

(وقال) الجنيد أفضل المجالس مجلس الفكرة فى ميدان التوحيد وقال فى الحكم الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا فضائل له وفضائل التفكر كثيرة وقد شفى الغزالى فى الاحياء فيها الغليل والله تعالى أعلم .

(ثم) بين شرف الانسان وعظيم قدره ان استقام مع ربه فقال :

يا سابقاً فى موكب الابداع ولاحقاً فى جيش الاختراع

(قلت) الموكب هو الجمع العظيم والاختراع هو الايجاد أشار رحمه الله الى أن الانسان له وجودان أحدهما سابق فى الأزل والآخر لاحق فيما لا يزال فيحتمل أن يشير بالسابق الى الوجود الأصلى وباللاحق الى التجلى الفرعى أو الى أصل ظهور القبضة أولا ثم ظهور الفروقات ثانياً وهذا يناسب قوله موكب الابداع وحديث القبضة مروى عن جابر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شىء خلقه الله فقال نور نبيك ياجابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شىء وحين خلقه أقامه قدامه فى مقام القرب اثنتى عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم (وأقام) القسم الرابع فى مقام الحب اثنتى عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم (وأقام) القسم الرابع فى مقام الخوف اثنتى عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء (وأقام) القسم الرابع فى مقام الرجاء اثنتى عشرة الف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم من جزء والحلم والعصمة والتوبة من جزء (وأقام) الجزء الرابع فى مقام الحياء اثنتى عشرة الف سنة ثم نظر الله تعالى اليه فرشح النور عرقاً فقطر منه مائة الف وأربع وعشرون الف

فوحه بهذا أى تارة بهذا وتارة بهذا فعلى هذا يكون لأكابر أمته صلى الله عليه وسلم قسط من الفرح بالله دون ماسواه لكن لا يبلغون مقام الرسول عليه السلام لأن شهوده عليه السلام لايساويه شهود فتكون قرة عينه كذلك والله تعالى أعلم (خاتمة) فى ذكر الحديث الذى أشار اليه الشيخ وما يتعلق به روى أن جابر بن عبد الله صنع طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو ونفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فتذاكروا فى الطاعة لله ولرسوله إلى أن قال أبو بكر إنما حبب لى من الدنيا يارسول الله ثلاث انفاق مالى عليك والجلوس بين يديك وكثرة الصلاة عليك (وقال) عمر وأنا حبب إلى من الدنيا ثلاث اكرام الضيف والصيام فى الصيف والضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف (وقال) عثمان حبب إلى من الدنيا ثلاث اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام (وقال على) مثل ذلك (فقال) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة (فنزل) جبريل فقال وأنا حبب إلى من الدنيا ثلاث تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وعيادة المرضى ثم غاب وظهر وقال يارسول الله ورب العزة يقول (وأنا حبب) إلى من الدنيا ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسم فى البلاء صابر اه ذكره الشطيبي فالله أعلم بصحته غير أنه كلام صحيح فى نفسه والحكمة فى النساء والترغيب فى كثرة التناكح ليكثر النسل بمن يعمر هذا العالم وأما الطيب فانه صلى الله عليه وسلم كان طيبا نفحه الله فى الوجود فتعطرت به الأكوان فكان عليه السلام ينفح طيبا مس طيبا أو لم يمسه كان يستعمل الطيب الكسبي يستر به الطيب الوهبي خشية أن يتغالى الناس فيه كما تغالوا فى عيسى عليه السلام وقيل ان الطيب من صفة أهل الجنة وقد كان عليه السلام فى الجنة فتطيب بطيبها والله تعالى أعلم ثم ذكر الرسالة الثالثة فى الفرح بالمنن بعد أن قدم الفرح بالله فقال (وقال رضى الله عنه مما

قطرة فخلق الله من قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فى حديث طويل وهذا الحديث وان كان ضعيفاً فله شواهد تعضده منها حديث عمر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله تعالى أول كل شيء نورى فسجد له فبقى فى سجوده سبعمائة عام فأول شيء سجد له نورى ولا فخر ياعمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الأبصار من نورى ونور العقل الذى فى رؤوس الخلق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولافخر (وذكر الورتجبي) فى تفسير قوله تعالى (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) عن جعفر الصادق قال أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل كل شيء وأول من وحد الله فى خلقه عز وجل ذرة محمد صلى الله عليه وسلم وأول ماجرى به القلم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم (وقال) فى تفسير الآية فيها إشارة إلى أوليته عليه الصلاة والسلام فى عبودية الله وإشارة إلى بدء وجوده فى اتيانه من العدم بنور القدم وانقياده فى أول تجلى جلاله (قلت) وعلى هذا المحققون من الصوفية وانظر قول العارف القطب الكبير الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه فى تصليته المشهورة اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار (ثم) قال ولا شيء الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (وقال) فى بردة المديح

وكيف تدرك فى الدنيا حقيقة من ❊ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(وقال أيضاً)

فان من جودك الدنيا وضرتها ❊ ومن علومك علم اللوح والقلم

كتب به لبعض اخوانه الناس فى ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام) يعنى عوام وخواص وخواص الخواص ثم ذكر مقام العوام فقال (فرح بالمنن لا من حيث مبدئها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها) قلت وهذا كالبهيمة ليس شأنه وهمه إلا نفسه وحسه ولله در ابن البنا حيث قال

واعلم بأن عصبة الجهال   بهائم فى صور الرجال

ثم ذكر حكمه فقال (فهذا من الغافلين) لأنها أى النعم إذ أقبلت عليه اشتغل بها عن ذكر معطيها تلذذا وترفها وإذا أدبرت اشتغل فكره بطلبها والحرص عليها وإذا نالها شغلته متعتها عن شكرها فيكون ذلك سبباً فى زوالها قال تعالى (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) وربما يصدق عليه قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) فالآية وان نزلت فى الكفار فحكمها عام فكل من اشتغل بنعم الدنيا وزخارفها عن ذكر الله وما طلب منه يصدق عليه أنه فرح بما أوتى فبينما هو منهمك فى غفلته مستغرق فى شهوته اخذه الموت بغتة فاذا هو مبلس أى آيس من الرجوع اليه ومن الانتفاع بها وقد تؤخذ منه قبل موته فتشتد حسرته عليها وقد تقدم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرف بفقدانها ثم ذكر القسم الثانى وهو مقام الخواص فقال (وفرح بالمنن من حيث أنه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها) قلت ويستفيد أيضاً اقبال من أرسلها عليه وذكره بها أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام ياموسى اعلم أننى إذا أعطيتك تمرة مسوسة فانى قد ذكرتك بها فاشكرنى عليها فانه لايعطيكها غيرى اه فتكون تلك النعمة سبباً يجره إلى محبة المنعم فيترقى إلى الدرجة الثالثة ثم ذكر شاهد هذا القسم من القرآن فقال (فيصدق عليه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قلت يعنى فيكون فرحه بفضل الله وهو الايمان ورحمته وهو القرآن وغير ذلك هو أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وشهواتها الغرارة وأنشدوا

ولا يعترض مثل هذا إلا جاحد محجوب نعوذ بالله من غم الحجاب وسوء الحساب وشدة العذاب وبالله التوفيق ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم حض على التفكر والاعتبار ليعرف ما عليه من النعم الغزار فقال

اعقل فأنت نسخة الوجود   لله ما أعلاك من موجود

(قلت) ذكر أهل التاريخ أن الوجود كله خلقه الله على صورة الآدمى من عرشه إلى فرشه ولعل تلك القبضة النورانية النبوية كانت على صورة الإنسان ثم تفرعت منها الأكوان كلها فاختصر الله الوجود بأسره من هذا الآدمى فهذا دليل على شرفه على الكون هذا معنى قوله فأنت نسخة الوجود أى مختصر منه ويقال الولد نسخة أبيه (وقال)الجيلى رحمه الله

ونفسك تحوى بالحقيقة كلها   أشرت بجد القول ما أنا خادع

وقال الششترى رضى الله عنه وأنت مرآة للنظر .قطب الزمان ، وفيك يطوى ما انتشر ، من الأوانى (وقوله) لله ما أعلاك من موجود تعجب من شرفه كقولك لله دره أى أمرك لله لايفهمه غيره ما أعلا قدرك عند الله ان عرفت أصلك وفصلك وقمت بواجب ذلك والا فأنت فى أسفل سافلين (قال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه قرأت مرة والتين والزيتون إلى أن انتهيت الى قوله تعالى(لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) ففكرت فى معنى الآية فكشف عن اللوح المحفوظ فاذا فيه مكتوب لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم روحاً وعقلا ثم رددناه أسفل سافلين نفسا وهوى اه (ثم) بين وجه كونه نسخت الوجود فقال

أليس فيك العرش والكرسى   والعالم العلوى والسفلى

طلق الدنيا ثلاثا والتمس زوجاً سواها
تب إلى ربك منها واحترس قبل أذاها
انها زوجة سوء لا تبالى من أتاها
انه نفسك عن الـــغى وجانب هواها

قيل ان بعض العباد أراد إبليس فتنته فجاءه من باب الرغبة فى الدنيا فوجده قد سده بالزهد والقناعة فجاءه من باب الشهوة فوجده قد سده بدوام الحزن والكآبة فجاءه من باب الغضب والحدة فوجده قدسده بالتواضع والاستكانة فصاح وقال هذا عبد قدتحصن منى فليس لى عليه سبيل وفى الخبر أن المنادى ينادى يوم القيامة أين أصحاب المتاجر الرابحة من أهل الأعمال الصالحة فيقوم الأولياء والأصفياء والعباد والزهاد فيؤتون بنجائب من النورفتطير بهم نحوالعرش وتسبقهم الملائكة بين أيديهم إلى أن تنزلهم فى منازلهم من الجنة ويقولون لهم هذه أحمالكم وفيها أعمالكم وينادى المنادى أيضاً أين أبناء الدنيا أى المخلفون والمقصرون أين من عصى المولى هلموا إلى دارالبلوى فيؤتون وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون فيؤمر بهم إلى العذاب اه ثم ذكر القسم الثالث وهم خواص الخواص فقال (وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها) قلت ظاهر متعتها هو حظ البشرية وهى اللذة الحسية وهو حال أهل المقام الأول أعنى الغافلين وباطن منتها هى ذكر المنعم وإقباله عليه وهو حال أهل المقام الثانى وأشار إلى حال أهل المقام الثالث فقال (بل شغله النظر إلى الله عما سواه) من المتعة الحسية أو المعنوية (و) شغله (الجمع) على الله بالتوكل (عليه) فكفاه شؤونه وأموره حتى لم يبق له اهتمام بغير مولاه بل أغناه به عما سواه (فلايشهد إلاإياه) ولا يحب شيئا سواه ومما وجد فى بعض الكتب

(قلت) اشتمال الانسان على العالم العلوى والسفلى يحتمل أن يكون ذلك من جهة معناه أو من جهة حسه أمامن جهة المعنى فلا شك أن الروح أصلها ملكوتية لا يحصرها كون كما قال فى الحكم وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لكن الإنسان لما جهل نفسه وتركهامحجوبة بهواها انحجبت روحه وانحصرت فى هذا الكون فاذا عرفها وخرق عوائدها انخرقت له العوائد وخرجت روحه عن الكون بأسره فلم يحجبها عن الله أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسى فحينئذ تستوى روحه على الوجود بأسره من عرشه إلى فرشه فينطوى فى جوفه العرش والكرسى والأفلاك وغير ذلك وهو الذى قصد الششترى رضى الله عنه بقوله :

اغمض طرفك ترى وتلوح أسرارك
وافن عن الورى تبدو لك أخبارك
وبصقل المرا به يزول أغيارك

(ثم قال)

الفلك فيك يدور ويضىء ويلمع
والشموس والبدور فيك تغيب وتطلع
فاقرأ معنى السطور التى فيك أجمع لاتغادر سطراً من سطورك وادر
اش هو معنى القمر الذى فيك يسرى

وقوله فاقرأ معنى السطور الخ اعلم أن الصوفية رضى الله عنهم يطلقون على هذه الاجرام الحسية رسوماً وأشكالاً وسطوراً

المنزلة يقول الله تعالى عبدى إن أطعتنى واليتك وإن اتقيتنى قربتك وإن استحييت منى أكرمتك وإن توكلت على كفيتك وإن عصيتنى عاقبتك فعقوبتى لك من أجلك لا من أجلى جل قدرى وعظم فضلى عبدى انى أعلم منك مالو علمته زوجتك لسألتك الطلاق ولو علمه عبدك لسألك العتاق ولو علمه أبوك لهان عليه الفراق عبدى ان جئتنى تقول أسأت أقول لك وأنا قد غفرت وإن قلت تبت أقول وأنا قبلت اه ثم ذكر مصداق هذا القول الثالث فقال (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) قلت المراد بالقول فى هذا المقام القول القلبى أى اذكر الله على الأشياء كلها تفنى ولم يبق إلا مولاها ثم اترك الناس فى وهمهم يلعبون ومن جملة الأشياء النعم التى يتجلى بها فإذا ذكر الله عليها غاب فى شهوده عنها واستغنى به عن كل ما سواه قال الشبلى رضى الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال أبو محمد الجريرى رضى الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى بغيبة النعم فقد شكره اه (تنبيه) كثيرا ما يستدل الصوفية بهذه الآية على الانقطاع إلى الله والغيبة عما سواه وهو تفسير اشارة لا تفسير معنى اللفظ لأنها نزلت فى الرد على اليهود حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء فقال لهم الحق تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) فلما لم يجيبوا قال تعالى لنبيه قل الله أى قل لهم أنزله الله ثم لا تجادلهم بل ذرهم فى خوضهم يلعبون والصوفية رضى الله عنهم يقررون الظاهر على ظاهره ويقتبسون اشارات خفية لا يعرف مقصودهم غيرهم ولذلك رد عليهم بعض المفسرين حيث لم يعرف قصدهم قد علم كل أناس مشربهم وأما ذكر هذا الإسم باللسان مجردا ففيه ثلاثة أقول أحدها الجواز مطلقا والثانى الكراهة مطلقا والثالث التفصيل يجوز لأهل النهايات دون أهل البدايات والمشهور الأول وعليه طريق الشاذلية ومن تعلق بهم والله تعالى أعلم ولما استدل بما فى كتابنا ذكر ما فى كتاب من قبلنا فقال (وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود قل للصديقين

ووجه الإطلاق للدلالة على المعانى فكما أن الحروف تدل على المعانى كذلك هذه الإجرام الحسية المقصود منها هو قبض المعانى اللطيفة وكما أن القارىء إذا حفظ المعنى محى الرسوم كذلك العارف إذا قبض المعنى غاب عن الرسوم ولا يحتاج إليها بل تمتحى من نظره قال ابن العريف رضى الله عنه فى بعض كلامه وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم واندراس الوسم والانسان لوح وتفتيق صورته وتشكيلها وتسويتها وتحسينها سطور مكتوب فيها بقلم القدرة سبحان البديع الصانع سبحانى ما أعظم شأنى أنا وحدى لمن عرفنى فهذا معنى السطور التى فى الانسان فإذا حفظ هذا المعنى محى رسمه واسمه وبقى معناه والله تعالى أعلم ۞ وأما من جهة حسه فقد قال بعضهم ان جسد بنى آدم مشتمل على ما اشتمل عليه العالم بأسره جعله الحق تعالى نسخة الوجود يحاكى بصورته كل موجود ففيه جسم كثيف ونور لطيف نصفه ساكن ونصفه متحرك نصفه نور ونصفه ظلمة وجعل فيه العناصر الأربعة واستودع فيه قوة الجلب والدفع والضرر والنفع وجعل قلبه خزانة لسره ولسانه ترجمان ذلك وعيناه حارستان وأذناه مخبرتان ورجلاه مطيتان ويداه خادمتان وجعل رأسه عرشه وصدره كرسيه وجانباه شرقه وغربه وجعل حركته كحركة الشمس والقمر والنجوم وتركيبه على تركيب العالم العلوى فجعل فى ظهره أربعة وعشرين فقارة على عدد الساعات وفى جسده ثمانية وعشرين مفصلا على عدد المنازل وفى جوفه اثنى عشر معى على عدد البروج والشهور وفيه ثلاثمائة وستة وستون عرقاً نافضة ومثلها ساكنة على عدد أيام العام وجعل معدته بيت ماله وكبده قسامه وجعل لحمه كالتراب وعظامه كالجبال وشعره كالنبات وعروقه كالأنهار وجواهره معادن وهى تسعة لحم ودم وعظم وعصب ومخ وشحم فهذه ستة خفية وثلاثة ظاهرة وهى الجلد والشعر والظفر وفيه اثنا عشر عنصرا سبعة فى الرأس والعينان والأذنان والمنخران

ى فليفرحوا وبذكرى فليتمتعوا) قلت لا يكمل الفرح بالله حتى يخلو القلب من محبة ما سواه فما دام العبد متعلقاً بشىء من السوى فلا يكمل فرحه بالله ولا يتم تنعمه بذكر الله أو تقول مادامت الروح مسجونة فى سجن الهيكل لا يتم فرحها بالله ولا تتنعم بذكر الله فان تخلصت من سجن البدن وتحررت من رق الأكوان كمل فرحها بالواحد المنان وأنشدت

أنتم سرورى وأنتم مشتكى أملى ... وأنتم فى ظلام الليل أقمارى
فان نطقت فلم أنطق بغيركم ... وإن صمت فأنتم عقد إضمارى

وهذا هو الفرح الحقيقى والسرور الأصلى وما سواه أعراض لأغراض قال المقدسى السرور أعلى من الفرح لأن الفرح ربما شيب بالحزن الذى هو مقابله والسرور لا حزن معه وقيل هما شىء واحد وقال بعضهم السرور على ثلاثة أقسام بداية ووسط ونهاية فبداية السرور يذهب به خوف القطيعة وظلمة الجهل ووحشة الفراق وأما وسطه فإنه يكشف حجاب العلم ويفك رق التكليف وينفى التدبير والاختيار وأما غايته فإنه يمحو آثار الوحشة ويقرع باب المشاهدة ويضحك وجه الروح لبشارة التجلى ففى بداية الفرح والسرور يحصل التصديق وفى وسطه يحصل الانس وفى نهايته يحصل الجمع والوصال اه وقد ضرب بعضهم مثلا للأقسام الثلاثة أعنى من يفرح بالنعم من حيث أنه ينال فيها شهوته أو يشهد فيها منته ومعونته أو يفرح بالمنعم وحده فقال مثل ذلك كثلاثة رجال قدموا على السلطان فأعطى لكل واحد فرساً وسيفاً أما أحدهم فقال هذا فرس تتمتع به ونركب عليه فى حوائجى ونقاتل به عدوى ففرح به من حيث يقضى به مآربه وشهواته وليس فى قلبه محبة للملك إنما جاء لقضاء حاجته وأما الآخر فقال هذا فرس نستعين به على خدمة الملك وعلى القدوم عليه وعلى مجاهدة عدوه ففرح بالفرس من حيث أنه يستعين به على حوائج الملك ومآربه دون حوائج نفسه وأما الثالث فقال ان الملك

والفم والباقى فى الجسد الثديان والخرجان والسرة إلى غير ذلك مما لا يدرك كما ذكره الشطيبى فى الفصل الأول فانظره

(قال) الشيخ عبد الوارث فأنت لباب هذه العوالم كلها فاذا أطعت الله أطعته بها كلها وإذا عصيته فكذلك فلأجل ذلك عظمت المعاصى منا فتوعدنا عليها بالعذاب الأليم وعظمت الطاعة فوعدنا الله عليها بالثواب الجسيم (قلت) وفى هذا المعنى أنشدوا:

إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنة ... وناراً وأفلاكا تدور وأملاكا
وكنت من السر المصون حقيقة ... وأدركت هذا بالحقيقة إدراكا
فقيم التأنى فى الحضيض تثبطاً ... مقيما مع الأسرى أما آن أسراكا

(وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه الخلق كلهم عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة ثم جمع ما تقدم فقال:

ما الكون إلا رجل كبير ... وأنت كون مثله صغير

(وقلت) قد تقدم أن الانسان نسخة من العالم حساً ومعنى ولا يستغرب هذا فقد قالوا ان الناموسة فيها ما فى الفيل وزادت عليه بالجناح فانظر كيف اجتمع فى البعوضة ما افترق مع الفيل مع صغر جرمها فكذلك الإنسان اجتمع فيه ما افترق فى الكون وزاد عليه بسر الروح وهو العقل الأكبر وكون الإنسان رجلا صغيراً هو فى حق من غلبت عليه البشرية وأما من غلبت روحانيته فقد صار هو العالم الأكبر والكون العالم الأصغر لأن الروح تستولى عليه ويصير فى جوفها شىء تافه بل يمتحى بالكلية وإلى هذا أشار ابن الفارض بقوله

وانى وان كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

يحبنى ويعظمنى حتى أعطانى هذا الفرس فهذا اعتناء من الملك وإقبال على فترح بالفرس من حيث انه يدل على محبة الملك لمواعتنائه بهفهذا مثل للأقسام الثلاثة وقد أشبع الغزالى الكلام فى هذا المعنى فى باب الشكر فانظره إن شئت ثم ختم رسالته بدعاء مناسب فقال (والله يجعل فرحنا وإياك به) أى دون غيره والمخاطب هو المرسل إليه هذه البطاقة أو كل من يطالع كتابه أو يحفظه أو يعمل به أو من يسمعه وقرىء عليه وإذا كان فرحنا به وحده كنا من القسم الثالث الذى هومقام خواص الخواص ومن كان فرحه بالله كان راضياً بهومرضياًعنه كاقال (وبالرضى منه) أى ويجعل فرحنا بالرضى من قبله بحيث لانرضى بشىء دون رضاه عنافنكون راضين بهمرضيا عناقال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومن تحصن بهاتحصين من الغفلة بحصن منيع ولذلك قال (وان لايجعلنامن الغافلين) الذين يفرحون بالنعم دون شهود المنعم وقداشتمل دعاؤه على الأقسام الثلاثة من باب التدلى فالفرح بالله هو المقام الثالث وبالرضى منه هو الثانى واحترز من الأول بعدم جعله منهوإذا خرج من حرز الغفلة حصل على اليقظة وهى جماع التقوى الذى أشار اليه بقوله(وان يسلك بنا مسلك المتقين) الذين اتقوا الشرك والمعاصى أولا والشهوات والعوائد ثانياً والسوية والغيرية ثالثاً وهو معنى قوله تعالى(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) فالتقوى على ثلاثة أقسام بحسب المقامات فتقوى أهل مقام الإسلام حفظ الجوارح من المخالفات اتقاء سخط الله وإليهم توجه الخطاب بقوله تعالى(فاتقوا الله مااستطعتم) وتقوى أهل مقام الإيمان حفظ القلوب من الهفوات والخطرات وإليهم توجه الخطاب بقوله تعالى(فاتقون ياأولى الألباب) فاذا تطهر القلب من الهفوات والخطرات منح بشهود معانى الصفات وتقوى أهل مقام الاحسان حفظ السر مما سوى الله فاذا تطهر السر من الاغيار منح بشهود الأنوار وهى عظمة الذات

والمعنى الذى فيه هى اللطيفة الروحانية السابقة فى موكب الابداع على جيش الاختراع والله تعالى أعلم ومما عظم به أمر الانسان جمعه بين الضدين وإلى ذلك أشار بقوله :

فأنت لست من قبيل الأرض حتى إذا رميت فيها تمضى

(قلت) قد خص هذا الانسان بعجائب لم توجد فى غيره فهو سماوى أرضى روحانى جسمانى نورانى ظلمانى لطيف كثيف واعلم أن الله سبحانه لما أراد أن يتعرف إلى هذا الانسان وضع هذا الروح فى هذه الجثة الجثمانية لطيفة لاهوتية مودعة فى كثيفة ناسوتية فمن غلبت لطافته على كثافته كان روحانيا والتحق بالروحانيين ومن غلبت كثافته على لطافته كان جسمانيا والتحق بالبهائم ومن توسط نال شيئا من طبع البهائم وشيئا من طبع الروحانيين وكان من أهل اليمين فأنت أيها الانسان لست من قبيل الأرض كالبهائم حتى انك إذا مت صرت تراباً وتمضى هباء لكنك مركب من روح وشبح فاذا مات الشبح بقيت الروح إما فى غبطة أو حسرة فالموت ليس عــــدما محضا وإنما هو انتقال من دار ومن حال إلى حال قال تعالى(فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) الآية ومما ينسب للغزالى رضى الله عنه بعد موته وجدت عند رأسه وقيل لغيره :

قل لاخوان رأونى ميتا فبكونى ورثونى حزنا
تظنون بأنى ميتكم ليس ذاك الميت والله أنا
أنا فى الصور وهذا جسدى كان لباسى وقميصى زمنا
أنا كنز وحجاب طلسم من تراب قد تهيأ للفنا

ولكل مقام من مقامات التقوى بواعث تبعث على تقواهم فالباعث لأهل مقام الإسلام على تقواهم رجاء الثواب وخوف العقاب فتقواهم على سبيل الخوف والرجاء والباعث لأهل مقام الإيمان على تقواهم شهود الجلال والجمال فتقواهم على سبيل الهيبة والحياء والباعث لأهل مقام الإحسان على تقواهم شهود العظمة والكمال فتقواهم على المحبة والتعظيم وأنشدوا :

فكن أيها العبد المعنى أخا تقى   حثيث الترقى فى المعارج واللطف
وثق بلطيف الصنع تحظ بفضله   وخلص إليه القصد يغنيك بالعطف
وفوض وسلم وارق فى درج الصفا   على الكون تحظ بالمعارف والعرف
وتدرك ما أمسى الورى عنه فى غنى   وتعرف أشياء تجلى عن الوصف

ومن حصل مقام التقوى وحاز منها الغاية القصوى دام عليه السرور والفرح وذهب عنه الحزن والترح روى أن رابعة العدوية رضى الله عنها لقيت عتبة الغلام وهو يتبختر فى قميص جديد فقالت له ما هذا التيه والعجب الذى ما رأيته منك قبل اليوم فقال ومن أولى بهذا منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبداً وقال ذو النون رأيت شيخاً فى الركب يمشى وبيده مصحف وهو يقرأ ويهتز ويرقص فى مشيته فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال قلت فى نفسى عبد من أنا وكلام من أنا أتلو وبيت من أنا قاصد فهزتنى حالة الفرح وأطربنى ذلك من غير قصد منى اه ثم توسل فيما طلب بمنة الله وكرمه فقال (بمنه وكرمه) أى إنما أطلب ما تقوم من منة الله وكرمه لا بسبب عمل ولا حال وكل هذا اعتماد على مولاه فيما أولاه وتولاه فى مبدئه ومنتهاه *(وها هنا)* انتهى الكتاب وما بقى إلا مناجاة الكريم الوهاب قال بعض الشراح هذه المناجاة على قسمين قسم يقضى بالتعريض والتأهب وقسم يشهد بالتحقيق والتأدب وأكثر ما يظهر فضلها للتالى فى وقت الاسحار وبعد صلاة الصبح فلها هناك سر عظيم وفتح جسيم فمن لازمها فى ذينك الوقتين وجد بسطاً زائدا على العادة ولها

أنا در قد حوانى صـــدف   صرت عنه فتخلى وهنا
أنا عصفور وهذا قفصى   كان سجنى فأبيت السجنا
أشكر الله الذى خلصنى   وبنا لى فى المعالى وطنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم   فحييت وخلعت الكفنا
فأنا اليوم أناجى ملكا   وأرى الحق جهارا علنا
عاكفا فى اللوح أقرا وأرى   كل ما كان ويأتى أو دنا
وطعامى وشرابى واحد   وهو رمز فافهموه حسنا
ليس خمرا سائغاً أو عسلا   لا ولا ماء ولكن لبنا
هو مشروب رسول الله إذ   كان لسر من فطرة فطرتنا
حى ذى الدار بنوم مغرق   فإذا ما مات طار الوسنا
لا تظنوا الموت موتا انه   لحياة وهو غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما   هو الا انتقال من هنا
فاخلعوا الاجساد من أنفسكم   تبصروا الحق عيانا بينا
وخذوا الزاد جهدا لا تنوا   ليس بالعاقل هنا من ونا

خواص وأسرار يعرفها من جربها من العباد والزهاد والطالبين لمعرفة رب العالمين وقد ذكر بعضها الشيخ ابن عباد فى نظم الحكم فقال :

لم يبق الا مابه المناجاة سياقه حيث له المرعاة
لكونه يهذب الاسرار ويجلب الأضواء والانوارا
وأنت ياخلى ويا صفى إن انتهجت نهج ذا الولى
وسقته مساقة الجيلا منكسراً وخاضعاً ذليلا
رأيت فى باطنك الزياده والخير واستبشرت بالسعاده

ووجه مناسبتها لما قبلها أن القلب إذا انبسطت بالفرح بالحبيب انطلق اللسان لمناجاة القريب فقال فى أولها (إلهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيراً فى فقرى) قلت إنما ابتدأ مناجاته بالتحقيق بالفقير لما يعقبه من سرعة الغنى وقد قلت فى قصيدة تقدمت :

تحقق بوصف الفقير كل لحظة فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر

قال الشيخ أبو عثمان فى قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) التضرع هو أن تقدم افتقارك وعجزك وعارك وضرورتك وقلة حولك وقوتك وليس التضرع بالاجهار ولا يكون للطاعات اظهار اه يقول رضى الله عنه أنا الفقير فى غناى الوهمى إلا دعائى فكيف لا أكون فقيراً فى فقرى الحقيقى الاصلى فغناى بموافقة الأسباب الظاهرة ليس وجود منى ولا بقاؤه بيدى فأنا فقير فى حالة وجوده فكيف لا أكون فقيرا فى حالة فقده أو يقول أنا الفقير فى حالة حياتى التى يظهر فيها صورة غناى بعشيرتى وأحبابى فكيف لا أكون فقيراً بعد مماتى حين يتخلف عنى أحبابى وجيرتى أو يقول أنا الفقير اليك فى حال

أحسنوا الظن برب راحم تشكروا السعى وتأتوا أمنا
ما أرى نفسى إلا أنتم واعتقادى أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفاس منا واحد وكذا الاجسام جسم عمنا
فتى ماكان خير فلنا ومتى ما كان شر فمنا
فارحمونى ترحموا أنفسكم واعلموا أنكم فى أثرنا
أسأل الله لنفسى رحمة رحم الله صديقا أمنا
وعليكم منى سلام طيب وسلام الله بر وثنا

(ثم قال)

فاحتل على النفس فرب حيلة أنفع فى النصرة من قبيلة

(قلت) يقول رضى الله عنه احتل أيها الانسان على نفسك وسايسها جهدك حتى تردها إلى مولاها فاذا رجعت إلى مولاها أتتك بطرائف العلوم وفتحت لك مخازن الفهوم ولا حيلة أنفع فيها من أن تأخذ بزمامها وتدفعها إلى شيخ التربية يفعل بها ما يشاء وتمتثل ما يأمرك به وأما غير هذا فتعب وعنت لا يجدى ولا يفيد وجرب ففى التجريب علم الحقائق والتوفيق بيد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (فائدة) قال شيخ شيوخنا سيدى على رضى عنه اعلم أن البيان أى الابواب كلها مغلوقة بين الله وعبده إلا باب نفسه من لم يدخل على الله من باب نفسه لا يدخل أبدا من عادى نفسه فاز باقبال الخلق عليه ومن صادق نفسه فاز باقبال مولاه عليه لكن مصادقة النفس هذه التى ذكرنا لاتكون إلا بصحبة عارف

غنائى بك فلا غنى لى عن زيادة مددك وهذا كما قال القائل :

أنا الفقير إليكم والغنى بكم وليس لى بعدكم حرص على أحد

فكيف لا أكون فقيراً فى حال فقرى إليك إذا كنت فقيراً فى حال نظرى إلى غناى بك فكيف لا أكون فقيراً فى حال نظرى إلى فقرى إليك ولله در القائل :

وفى اظهار الفاقات إلى الله وإنزال حوائجه بساحة مولاه مع رفع الهمة عما سواه من الحظوظ والمكانة وعزازة القدر عند الله ما يكل عن وصفه اللسان ويعجز عن حمله واسع الجنان قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى فى الدعاء إلا قال له الحق لبيك لكنه لا يستطيع سمـ ـذالك وقد تقدم كلام الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى مارفع عبد حاجته إلى دون خلقى أعلم ذلك من ـكيده السموات السبع والأرضون السبع إلا جعلت له فرجا ومخرجا من أمره أو كما قال وقال أبو القاسم القشيرى ـشار إلى الله ثم رجع بحوائجه إلى غيره أفقره الله إلى الخلق ثم نزع له الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل افتقاره إلى ـجع بحوائجه إليه أغناه الله من حيث لا يحتسب وأعطاه من حيث لا يرتقب قيل لبعض المحققين أيطلب العبد الرزق ـن علم أين هو فليطلبه قال قيل أيسأل الله قال ان علم انه نسيه فليذكره قيل أيتوكل على الله قال ان كان فى شك ـه قيل فأى شىء يعمل قال ما أمره به فليثق العبد بربه وليشتغل بما أمر به وليكن كما قال بهلول المجنون نعبده كما أمرنا وهو يرزقنا كما وعدنا ولا يتعلق بمخلوق أصلا قلبا ولا قالبا وليمح الخواطر التى تخطر بباله من هذا المعنى قبل أن تستحكم فيه فيعاقب بالحرمان ويرمى بالخذلان قال

بالله ان وجده وأما قبل وجوده فلا فإذا عادى الإنسان نفسه فلا بأس به لأن هذه النفس خيرها ماله حصر لا يعلم قدره إلا الله وشرها ماله حصر لا يعلم قدره إلا الله ومن استشرف على خيرها هام فيه وفاته شرها ومن استشرف على شرها هام فيه وفاته خيرها ويرحم الله القائل :

وسمعت الخطاب ما ذاتى من مكان قريب

يا حياتى وأنت فى ذاتى حاضر لا تغيب

هذا والله ممن دخل على مولاه من باب نفسه ويكفيك فى النفس شرفا قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه ومن كلام شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب نفعنا الله بالجميع أمن أين جيت ياذى الروح الهايما روحانيا :

الساكنا فى ابساط العز أحوالها ربانيا

(وقال أيضاً)

راع من النفس جهدك مسى وصبح عليها

لعلها تدخل بيدك تعود تصطاد بيها

صار الأمر كما قلنا عداوة النفس تمكنك من نواصى الخلق أنت تزيد عداوة لنفسك والخلق يزيد اقبالا عليك أنت تزيد بعدا من مولاك ومصاحبة نفسك تجمع بينك وبين هواك أنت تزيد عداوة من نفسك وأنت تزيد قربا من ربك وإقبالا منه عليك أنت تزيد قربا من مولاك وأنت تزيد بعدا من الخلق وذلك لأنك إذا قربت من مولاك يشم الخلق فيك رائحة لا يعرفونها فيحصل الانكار منهم عليك لأن من جهل شيأ عاداه جرت عادة الله تعالى أن الداخل إلى الله منكور والخارج إلى الخلق مغرور قال الشاعر ٭ ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل ٭ ثم رجع إلى توبيخ من ينكر عالم المعانى

إبراهيم الخواص رضى الله عنه تهت فى البادية حتى ضرنى الحال فسمعت نباح كاب فأصغيت اليه وأخذت نحوه فاذا بلص قد صفعنى فقلت فى نفسى هذا جزاء من توكل على مخلوق فقيل لى فى سرى ياإبراهيم مادمت فى خفارتنا أى جوارنا وعهدنا كنت عزيزاً فلما دخلت فى خفارة كاب سلط عليك الخلق فتبت إلى الله تعالى وإذا الذى صفعنى قد سقط عن جرف وطار رأسه اه وأنشدوا

مددت يدى أرجو نوالا ورحمة　　ومالى شفيع غير جودك والرجا
فجد لى بعفو منك وارحم تذللى　　فأنت الذى أعطيتنى الفقر واللجا

ثم ان الفقر والجهل من أوصاف العبودية كما أن الغنى والعلم من أوصاف الربوبية فلما أدلى بفقره إلى غنى مولاه أدلى بجهله إلى سعة علم مولاه فقال فى المناجاة الثانية (إلهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لاأكون جاهلا جهولا فى جهلى) قلت يقول رضى الله عنه أنا الجاهل فى علمى العارض الذى علمتنى فكيف لاأكون جاهلا فى جهلى الأصلى الذى فيه أركزتنى أو يقول أنا الجاهل فى حال نسبتى فى العلم الذى علمتنى فكيف لاأكون جهولا فى جهلى الذى هو أصلى ومحلى وما نسبة علم العبودية فى جانب علم الربوبية الاكنقرة العصفور من البحر كما قال الخضر عليه السلام لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى (وماأوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال (ولايحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وقال تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) فالعلم العارض لايدفع الجهل الأصلى هذا باعتبار الحكمة والنظر إلى أصل البشرية وأما الروحانية فأصلها علامة دراكة لانها نموذج ربانى ولطيفة نورانية فانما حجبها كثافة البشرية وظلمة الطبيعة كما قال فى المباحث

فلم تزل كل نفوس الاحياء　　علامة دراكة للأشيا

وهو العالم الروحانى فقال :

يامنكر المعقول والمعانى　　ما الصنع فى أمثلة القرآن

(قلت) مضمن كلامه فى الرد على من ينكر المعانى ويقر المحسوسات أن يقال له لو كان الأمر محصورا فى المحسوسات مااحتاج الله تعالى أن يضرب لنا الأمثال للأمور المعنوية بالأمور الحسية لتفهم بسرعة كضرب مثلا للعلم النافع بالماء النازل من السماء الذى يطهر الارض وتمتلىء منه الأودية فى قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية فان العلم يطهر النفوس من ظلمات الجهل والشك والشرك ويطهر القلوب من كدر الأغيار والأرواح من لوث الأنوار وتمتلىء منه القلوب كل على قدر وسعه كما أن الماء يطهر الأرض من الأدناس والأنجاس وتمتلىء منه الأودية كل على قدر وسعه كقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة) الآية وكقوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء) الآية إلى غير ذلك فدل ذلك على أن الأمر على قسمين منه ماهو حسى يدرك بالحس ومنه ماهو معنوى يدرك بالعقل والروح أو السر ولما كان قد يخفى على بعض الناس ضرب الله له الأمثال بالأمور المحسوسة تقريباً للفهم والله تعالى أعلم فا تقول أيها المنكر لعالم المعانى فى هذه الامثلة التى ضربها الله فى كتابه تقريبا لفهم المعانى (قلت) وهذا الذى قاله الناظم لاينهض فى الرد على المنكر لأن المعانى التى يثبتها الصوفية إنما هى معانى الصفات وأسرار الذات التى قامت بها الاشياء لاهذه المعانى التى ضرب الله لها الامثال فإنما هى أمور عقلية يدركها العقل ويقرها أهل الظاهر ولا ينكرها أحد نعم عندنا آيات تشهد بظاهرها لعالم المعانى كقوله تعالى (الله نور السموات والأرض إن الذين يبايعونك) الآية قل انظروا ماذا فى السموات الآية هو الأول والآخر والظاهر والباطن إلى غير ذلك من الآيات الدالة على غوامض التوحيد وأسرار التفريد ومن لم يبلغ فهمه هذا فشأنه التسليم وإلا وقع فى

وإنما تحجبها الأبدان والأنفس النزع والشيطان
فكل من أذاقهم جهاده أظهر للقاعد خرق العاده

ثم ان من تحقق بفقره الأصلى لايسكن إلى من غناه العارض ومن تحقق بجهله الأصلى لايسكن إلى علمه الفرعى فان الأمور كلها بيد الغنى الكريم والقلوب كلها بيد المدبر الحكيم كما أبان ذلك فى المناجاة الثالثة بقوله (إلهى ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك معنا عبادك العارفين بك من السكون إلى عطاء واليأس منك فى بلاء) قلت اختلاف التدبير هو اقامة كل عبد فى حكمته على حسب ارادته ومشيئته من فقر أو غنى من علم أو جهل من عز أو ذل من قبض أو بسط من سقم أو صحة أو مرض من أيمان أو كفر إلى غير ذلك من اختلاف آثار القدرة وتنوع مظاهر الحكمة وسرعة حلول المقادير هو تبديل تلك الأحوال فى أسرع حال من فقر إلى غنى ومن غنى الى فقر ومن علم إلى جهل ومن جهل الى علم ومن عز الى ذل ومن ذل الى عز ومن قبض الى بسط ومن بسط الى قبض ومن سقم الى صحة ومن صحة الى سقم ومن إيمان الى كفر والعياذ بالله ومن كفر الى إيمان فقلوب الخلق بيد الله الواحد القهار يقلبها كيف يشاء ويختار ويفعل بها ما يشاء لايسئل عما يفعل وهم يسئلون فاذا تحقق العبد بهذا امتنع من أن يسكن الى ماأعطاه مولاه لأنه قد يسلبه ذلك فى ساعة واحدة وامتنع أيضاً أن ييأس من مولاه فى وقت شدته وبلواه قال تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) ودوام حال من قضايا المحال لكن لم يتحقق بهذا ذوقا الا العارفون فلذلك لا يسكنون الى عطاء ولا ييأسون فى بلاء بل يسكنون الى من بيده المنع والعطاء فلذلك لايزول اضطرارهم ولايكون مع غير الله قرارهم ودليل ماقاله الشيخ قوله تعالى (كل يوم هو فى شأن) ولا مفهوم لليوم بل فى كل لحظة هو فى شأن يرفع أقواماً ويخفض آخرين يعز قوماً ويذل آخرين

الانكار على أولياء الله فيصبح من الصم البكم الذى لا يعقلون (والحاصل) أن عالم المعانى لا يدرك إلا بصحبة أهل المعانى ولا يؤدى بالعبارة وإنما يرمز اليه بالاشارة فمن لم يفهم الاشارة فلا سهم له فيه كما أشار إلى ذلك بقوله

بعد أرى فيك عن الاشارة هل تنكرون رواية العبارة

(قلت) يقول رضى الله عنه لهذا المنتقد أرى فيك بعدا عن فهم الاشارة فكيف تفهم المعانى وهى لاتؤدى إلا بالاشارة، وإذا بعدت عن فهم الاشارة فقد وردت رواية العبارة باثبات ما تنكر من المعانى هل تنكر رواية العبارة بعد أن بعدت عن فهم الاشارة فما تقول فى آيات وأحاديث تدل على ثبوت المعانى والعالم الروحانى وكأنه يشير إلى الآيات التى قدمنا آنفا من قوله (الله نور السموات والأرض) الخ والحديث القدسى يقول الله تعالى «عبدى مرضت» فلم تعدنى الحديث ففيه ثبوت عالم المعانى والله تعالى أعلم ثم وبخه على وقوفه مع عقله فقال

يا جاهلا أقصى الكمال وقفا على عقول وهمها لايخفى

(قلت) عقول بنى آدم ضعيفة محصورة لاتدرك من التوحيد والمعرفة الاافتقار الصنعة إلى صانعها تستدل على صفات هذا الصانع بما تدرك من المصنوعات كوحدانيته وقدمه وبقائه وقدرته وحياته إلى سائر صفاته المعلومة وهى لاتأمن الخطأ ولا تسلم من الوهم والخواطر لأنها فى محل العبد ومالها الا الإيمان بالغيب فمن وقف مع عقله وجعل ماأدركه به هو أقصى غاية الكمال فهو مغبون وبالجهل المركب مفتون قال تعالى (وخلق الانسان ضعيفاً) وهو عام يصدق بضعف العقل وغيره أى ضعيفاً من كل شىء وقال ابن الفارض

فثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

يميت قوماً ويحيي آخرين يعطي قوماً ويمنع آخرين من أمور يبديها لا يبتدئها وقال بعضهم فى تفسير الآية كل يوم يجهز ثلاثة عساكر عسكراً من الأصلاب إلى الأرحام وعسكراً من الارحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرحلون إلى الله جميعاً اه وقد تقدم بعض الكلام على علامات العارف وقال الشطيبي فى هذا المحل فقلوب العارفين تشاهد بنوره ولا مشاهد للحق سواه ومنازلات الربوبية خارجة عن رسوم البشرية فعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة يرى فيه ما غاب من غيره وجلاء القلب لايكون إلا بنور الإيمان والايقان فعلى قدر قوة الايمان يكون نور القلب وعلى قدر نور القلب تكون مشاهدة الحق وبقدر مشاهدة الحق تكون المعرفة بأسمائه وصفاته وبقدرهما يكون التعظيم لذاته وبقدر التعظيم لذاته يكون كمال العبد وبقدر كماله يكون استغراقه فى أوصاف العبودية وبقدر استغراقه فى أوصاف العبودية يكون قيامه بحقوق الربوبية وما قدروا الله حق قدره اه

(قلت) وبقدر قيامه بحقوق الربوبية يكشف له عن أسرار الألوهية وأنشدوا

كانت محادثة الركبان تخبرنى عن فضلكم وسنا كم أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

ومن أوصاف العبودية بعد الفقر والجهالة الخساسة واللآمة كما أن من أوصاف الربوبية بعد الغنى والعلم والاحسان والكرم فأدلى الشيخ بذكر لآمة نفسه إلى كرم مولاه وإحسانه فقال فى المناجاة الرابعة (إلهى منى لا يليق بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك) اللؤم بضم اللام وسكون الهمزة هو الشح والدناءة وفى القاموس لؤم بالضم ضد كرم يقول رضى الله عنه إلهى يظهر منى من الدناءة والخساسة واللآمة والمساوى ما يليق بلآمتى ودناءتى ويظهر منك من المبرة والاحسان والكرامة والامتنان وتغطية المساوى والنقصان ما يليق بكرمك الزاخر وكمال إحسانك الباهر فقابل إساءتنا باحسانك وغط مساوينا

بخلاف ما أدركته الروح أو السر من المعانى اللطيفة والأسرار القديمة فان ذلك أذواق وكشوفات ومشاهدات لا يبقى معها وهم ولا ظن ولا خاطر وقال المجذوب :

طلع النهار على قلبى حتى نظرت بعينيا
أنت دليلى يا ربى أنت أولى منى فيا

واعلم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر تطورات للروح اللطيفة النورانية كما تقدم وكل واحد من هذه التطورات له حد من العلم والادراك لا يتجاوزه (أما) النفس فحد ادراكها زينة ظاهرة الكون اغتراراً بمتعة ظاهرة وغفلة عن عبرة باطنه لاشتغالها بحظوظها وهواها فهى لا تلتفت إلى خالقها ومولاها فاذا نبهت أقرت حينئذ ثم رجعت إلى نومها كمن طرش نائماً فأفاق ثم رجع إلى نومه (وأما) العقل فحد إدراكه وعلمه افتقار الصنعة إلى صانعها على ماتقدم معقول عن غير ذلك (وأما) القلب فحد إدراكه تعشقه وتوجهه إلى خالقه بترك الاغيار وطلب الأنوار انطلق من العقال فى طلب الكمال ولكنه من وراء الحجاب ولم يفتح له الباب (وأما) الروح فحد علمها وإدراكها مواجهة أنوار الملكوت طالبة أسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير لكنها لم تتمكن من السر (وأما) السر فمنتهى إدراكه أسرار الجبروت قد نفذت البصيرة من الوقوف مع أنوار الملكوت وهذا منتهى السير قال تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) (ثم) يبقى الترقى فى المكاشفات والمشاهدات والعلوم والأسرار إذ لا نهاية لها وقل رب زدنى علما (قال) فى العوارف واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار اليه الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو فى رتبة من الوصول ثم يتفاوتون (فنهم) من يجد الله بطريق

بوصف كرمك وامتنانك فانك أهل التقوى وأهل المغفرة يا أكرم الأكرمين (حكى) عن بعض الناس أنه قال إلهي كم أعصيك وأنت تسترني فسمع قائلا يقول لتعلم أني أنا وأنت أنت وقيل ان الله تعالى خلق ملكا ينادى يا ابن آدم يامسكين كنت في العدم مفقودا فمن ذا الذى صيرك نسخة الوجود الا الكريم ذو الجود من ذا الذى أبرزك من عالم الغيب لعالم الشهود من ذا الذى استنقذك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان من ذا الذى تكفل بشؤونك الا الكريم المنان فكن مطيعاً لله تكن عبده حقاً ولا تطع نفسك وهواك فتكون لهما رقا اه ومن كرمه تعالى أن سبقت رحمته غضبه ومن كرمه أيضا اقباله على العاصى والمطيع ففي الحديث الصحيح لما خلق الله الخلق قال للقلم اكتب قال وما أكتب قال اكتب رحمتى سبقت غضبي فكتبه وألقى الكتاب فوق العرش زاد بعضهم فاذا كان يوم القيامة رأى الناس ذلك الكتاب فيقرأه كل من سبقت له السعادة ويحجب عن أهل الشقاوة وفى الحديث أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض وأمسك عنده تسعة وتسعين فمن تلك الرحمة الواحدة التى أهبطت الى الأرض تراحمت الخلائق بينهم حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه فاذا كان يوم القيامة ضم تلك الرحمة إلى التسع والتسعين ونشرها بين عباده فتسع الخلق كافة ويحرم منها من هو كافر وهو معنى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء) الآية اه بالمعنى (ويرى) ان رجلا اصطاد أفراخا فلما أخذهم جعلت أمهم تطير فوقهم ثم سقطت عليهم فضمها مع أولادها فأتى بها النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها فقال عليه السلام أتعجبون لهذا الطائر والله لله أرحم بعبده المؤمن من هذا الطائر بأفراخه (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج من النار رجلان ثم يمثلان أى يوقفان بين يدى الله فيؤمر برجوعهما إلى النار فيسرع أحدهما فيلقى نفسه فيها ويتعاصى الآخر عن الرجوع فيقال للذى رمى بنفسه لم ألقيت نفسك فى النار

الافعال فيفنى عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج فى هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة فى الوصول (ومنهم) من يترقى إلى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهذه رتبة فى الوصول وفوق هذا مقام حق اليقين ويكون من ذلك فى الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتب الوصول وإذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الاحوال الشريفة أنه بعد فى أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الآباد فى عمر الآخرة الأبدى فكيف فى العمر القصير الدنيوى انتهى وذكر الناظم للانسان تطورا آخر فقال

أول أطوارك منذ أول ... الحس والتمييز والتخيل
والعقل والذكر معاً والفكر ... هيهات بل وراء ذاك طور

(قلت) الاطوار هى الاحوال التى ينتقل اليها الانسان من أول نشأته كطور اجتنانه وطور طفوليته ثم شبوبيته ثم كهولته ثم شيخوخته قال تعالى (وقد خلقكم أطوارا) هذا باعتبار الذات الحسية وأما باعتبار المعنى الباطنية فأول مايدرك الانسان الحس فيحس بألم الجوع وأضراره والبرودة وغير ذلك من الأمور الضرورية ثم التمييز فيميز بين أمه وغيرها وبين القريب والبعيد ثم الخيال وهو أول منشأ الخوف والوهم فيخاف من أمور يعتقد أنها تضر ويحب أمورا يعتقد أنها تنفع (ثم) عقل التمييز بين الضار والنافع الحقيقى والمراد بالعقل نهايته لان هذه الأمور كلها أطوار للعقل لكن لما كان ضعيفا جعل يتطور هكذا وأول خلق العقل عند اجتنان الولد فى بطن أمه ثم لا يزال ينمو حتى يكمل وهو نور خص به هذا الآدمى من دون

فيقول لئلا أكون عاصياً فى الدنيا ثم أكون عاصياً فى الآخرة ويقال للآخر لم لم تمتثل الأمر كما فعل هذا فيقول رجوت من كرم الله أن لا يعيدنى اليها بعد أن أخرجنى فيؤمر بها الى الجنة وأنشدوا

ولو أن فرعون لما طغى   وقال على الله قولا عظيما
أناب الى الله مستغفرا   لما وجد الله إلا رحيما

وكيف لا يرجى حلمه وكرمه وشمول لطفه ورحمته وقد سبق وجود العباد لطفه ورأفته كما أبان ذلك فى المناجاة الخامسة حيث قال (إلهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى) قلت اللطف بالضم الرفق والمبرة وصلاح العبد فى عاقبته وفى القاموس لطف لطفاً بالضم رفق ودنا ولطف الله بك أوصل اليك مرادك بلطف اه والرأفة شدة الرحمة وأرقها قاله فى القاموس أيضاً والضعف ضد القوة يقول رضى الله عنه شاكيا الى الله ضعفه وفقره ومستمدا من مولاه لطفه ورأفته إلهى وصفت نفسك فى كتابك العزيز الذى انزلته الينا باللطف والرأفة فقلت فيه الله لطيف بعباده وقلت وان الله بكم لرؤوف رحيم واتصافك باللطف والرأفة قديم فاذا كنت بنا لطيفاً رحيما قبل وجود ضعفنا فكيف لا تمنحنا من لطفك ورأفتك بعد ظهور ضعفنا لطفت بنا ونحن للطف غير محتاجين أفتمنعنا منه عند احتياجنا اليه وأنت أرحم الراحمين أجريت علينا رفقك قبل أن نبرز نا الى دارك أفتمنعنا منه بعد ظهورنا مع عظيم ابرارك ومن تفكر فى عجائب صنع الانسان وما خصه الله به من كمال الخلق والاتقان وما يلحقه من ضروب المنن والاحسان وجد نفسه مغمورا فى لطف مولاه مرفوقا به فى أول منشئه ومنتهاه قال بعض الحكماء قد أدركت العقول مما أودع فى الانسان اثنى عشرة ألف حكمة وأما الذى لم تدركه العقول فلا يعلمه الا الله هذا فى خاصة نفسه وأما فى غذائه وشرابه ولباسه وسائر لوازمه فأكثر

الحيوانات شرفا له وهو يتفاوت فى النور بحسب القسمة الأزلية (ثم) بعد العقل القلب وهو محل الذكر (ثم) بعد القلب الروح وهى محل التفكر وهو التفكر فى عجائب المصنوعات هذا غاية ما أدركه العامة وبقى مرتبة السر وهى محل الشهود والنظر وهو الذى حجب عن العوام وهو الذى أشار اليه بقوله هيهات بل وراء ذلك طور وهو مقام السر وهو خارج عن مدارك العقول لا يناله إلا أفراد الفحول وإلى ذلك أشار بقوله

ما ناله الجمهور والوارد   وانما يناله الافراد

(قلت) الوارد جمع وارد وهو الذى يقصد الماء للشرب يعنى أن هذا السر الذى هو وراء العقول والافكار القصيرة ما ناله جمهور الناس ولا كل من قصده وأراده وانما ناله الافراد من الرجال دلهم الحق تعالى أولا على أوليائه من أهل هذا السر وأطلعهم على ما أودعهم من خصوصية اصطفائه فأسلموا اليهم أنفسهم وانقادوا اليهم بكليتهم حتى قالوا لهم ها أنتم وربكم فهؤلاء هم الافراد الذين اطلعهم على مكنون سره وأسرار غيبه فان باحوا بها أبيحت دماؤهم غيرة عليه من مولاهم كما تقدم وهو الذى أشار اليه الشيخ أبو مدين بقوله

وفى السر أسرار دقائق لطيفة   تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

ثم قسم العقل على ثلاث مراتب على اصطلاح القدماء فقال

منفعلا يدعى ومستفادا   وعقل تخصيص لمن أرادا

(قلت) هذا اصطلاح القدماء جعلوا العقول ثلاثة عقلا يسمى منفعلا وهو العقل الغريزى المجعول فيه من غير اكتساب وعقلا يسمى مستفادا وهو المكتسب بالمجاهدات والرياضات والتجريبات ولذلك يقول العامة كل محنة تزيد عقلا وعقلا يسمى عقل التخصيص وهو الذى خص الله به انبياءه ورسله وقد ينتهى الى بدايته العقل المستفاد بالرياضة وهو عقل اكابر

من ذلك قال تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) وقال (فلينظر الإنسان إلى طعامه)الآية فسبحان من أعجزت العقول بدائع ألطافه وقصرت الافكار عن عظيم أوصافه وهو اللطيف الخبير ما أكثر لطائفه للمبتدئين وأوضحها للمستيقظين وأعظمها فى جميع المخلوقين قد سرى لطفه فى جميع الاكوان وأبهرت حكمته أفكار الإنس والجان وأنشدوا :

أحاط بتفصيل الدقائق علمه ... فأتقنها صنعاً وأحكمها فعلا
فمن لطفه حفظ الجنين وصونه ... بمستودع قد مر فيه وقد حلا
تكنفه باللطف فى ظلماته ... ولا مال يغنيه هناك ولا أهلا
ويأتيه رزق سابغ منه سائغ ... يروح له طولا ويغدو له فضلا
وما هو يستدعى غذاء بقيمة ... ولاهو ممن يحسن الشرب والأكلا
جرى فى مجارى عرقه بتلطف ... بلا طلب جرياً على قدره سهلا
وأجرى له فى الثدى لطف غذائه ... شراباً هنيئا ما ألذ وما أحلا
وألهمه مصا بحكمة فاطر ... تجلى لأرباب العقول بما أولى
وآخر خلق السن عنه لوقتها ... فأبرزها عوناً وجاء بها طولا
وقسمها للقطع والكسر قسمة ... وللطحن أعطى كل قسم لها شكلا
وصرف فى لوك الطعام لسانه ... يصرفه علوا إذا شاء أو سفلا
ولو رام حصرا فى لقمة ... وألطافه فيما تكنفها كلا

الأولياء فنهاية كمال عقل الأولياء بداية عقل الأنبياء ولذلك كانت نهاية الولى بداية النبى كما أشار إلى ذلك بقوله :

وحيث فيه ينتهى الولى ... فمن هناك يبتدى النبى

(قلت) فنهاية الولى بداية الرسول ونهاية الرسول بداية نبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم :

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة أو من شكلة الحكم

فأول قدم النبى الجمع بين الحقيقة والشريعة لأنه لا سير له لأن السير فى ميادين النفوس وهم مطهرون منها فقد خاضوا بحر التحقيق ثم رجعوا إلى التشريع وأما قول أبى يزيد خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله فراده أنه دخل البحر ولم يخرج إلى ساحل بر الشريعة فهو إقرار منه بالتقصير لأنه قال هذا فى حال الجذب والمجذوب ناقص حتى يصحو من سكره ويرجع إلى البقاء بخلاف الأنبياء عليهم السلام فقد عرفوا البحر وخاضوه وخرجوا إلى البر ليسلكوا الناس (وقال الشيخ) أبو العباس رضى الله عنه فى تأويله فعنى وقفت بساحله من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون إلى الخوض فيه أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا (قال) فى لطائف المنن وهذا الذى فسر به الشيخ هو اللائق بمقام أبى يزيد وقد قدمنا عنه أنه قال جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كزق مملوء عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما فى باطن الزق للأنبياء وتلك الرشاحة هى للأولياء والمشهور عن أبى يزيد هو التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب انتهى (وأما) قول من قال ان دائرة الولى أوسع من دائرة النبى فراده بذلك أن الأنبياء عليهم السلام لشدة قربهم من الحضرة شدد عليهم فى الأدب والحضور والهيبة

فكم خادم فيها وكم صانع لها كذلك مشروب وملبسه كلا
وكم لطف من حيث تحذر أكرمت وما كنت تدرى الفرع منها ولا الأصلا
ومن لطفه تكليفه لعباده يسيراً وأعطاهم من النعم الجزلا
ومن لطفه توفيقهم لإنابة توصل للخيرات من حبلهم حبلا
ومن لطفه بعث النبي (محمد) ليشفع فى قوم وليسوا لها أهلا
ومن لطفه حفظ العقائد منهم ولو خالف العاصى المسىء وان زلا
ومن لطفه إخراجه عسلا كما تشاهد مما كان أودعه النحلا
وإخراجه من بين فرث مجاور دماً لبناً صرفا بلا شائب رسلا
وإخراجه من دودة ملبسا له رواقا عجيبا أحكمته لنا غزلا
وأعجب من ذا خلقه القلب عارفا به شاهدا بلا شبيه ولا مثلا
وألطافه للبحر المحيط فخذ بما بدالك واشهدها وإياك والجهلا
وصل على المختار أفضل مرسل على خالص العرفان بالله قد دلا

فهذه ألطافه الواصلة إلينا ومحاسنه الجارية علينا فإن وفقنا سبحانه للقيام بشكرها بمحاسن الأفعال والأقوال فلذلك من فضله وكرمه وان صرفنا عن شكرها بظهور مساوى أفعالنا فبقهره وعدله كما أبان ذلك فى المناجاة السادسة فقال إلهى ان أظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على وإن ظهرت المساوى منى فبعدلك ولك الحجة على) قلت ظهور المحاسن على

والتعظيم والاجلال فأقل شيء يصدر منهم يعاتبون عليه بخلاف الأولياء فدائرتهم أوسع من جهة طلب الأدب والحضور فهو موسع عليهم من جهة الأدب وكذلك دائرة الشهداء وهم المجاهدون نفوسهم فى طلب الحق دائرتهم أوسع وبعدهم دائرة الصالحين وبعدهم العوام وهذه صورة الدوائر فى الحس فالنقطة هى الحضرة مثلا والدوائر الأولى للنبيين والثانية للصديقين وهم الأولياء والثالثة للشهداء وهم السائرون والرابعة للصالحين ومن ورائهم عموم المسلمين وكلما كثر القرب وقع التضيق فى الطلب للقيام بحسن الأدب وبقدر التضيق فى الطلب يقع التوسع فى العلوم لأن المدد على قدر القرب واعلم أن ترقى الأنبياء محجوب عن الأولياء كما أن ترقى الأولياء محجوب عن العوام (قال) الغزالى رضى الله عنه اعلم أن منازل السلوك لا غاية لها ولا يعرف السالك منها إلا ما رقى عنه ولا يعرف ما بين يديه إلا بطريق الإيمان بالغيب كما أخبر الله به فكما أن الأجنة لا تعرف أحوال الطفولية والطفولية لا تعرف أحوال العقلاء والعقلاء لا يعرفون أحوال القضايا الربانية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها والله تعالى أعلم (ثم) كمل الكلام على عقل التخصيص الذى اختص به الخواص فقال :

وفيه تجلى جمل المعارف فمن رآها قيل له عارف

(قلت) الضمير لعقل التخصيص أى وفى عقل التخصيص تظهر وتجلى جمل المعارف الربانية والعلوم اللدنية لأنه ما سمى عقل التخصيص حتى تطهر من الاغيار وتهذب من الرعونات والاكدار اما بالاصالة أو بالمجاهدة فاذا تطهر من الاغيار ملىء بالمعارف والأسرار فالمعارف هى العلوم والأسرار هى الأذواق فمن رآها وذاقها يقال له عارف ومن لم يصل لهذا المقام وكان

الإنسان فى أقواله وأفعاله وأخلاقه هو من منة الله العظيمة وهداياه الجسيمة لأنه عنوان المحبة والقبول وذلك هو غاية المطلوب والمأمول وظهور المساوى على العبد فى أقواله وأفعاله هو من عدله تعالى وقهره وإظهار الحجة عليه قال تعالى (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فالعبد ليس له مع الحق اختيار ولا قدرة على نفع ولا إضرار فان صرفه سيده فيما يرضى فلظهور اسمه الكريم وان صرفه فيما لا يرضى فلتصريف اسمه الحكيم أو لاظهار اسمه القهار أو المنتقم أو الجبار فالنواصى بيده والقلوب بين أصبعيه ولله در الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه حيث يقول فى بعض أدعيته اللهم ان حسناتى من عطائك وسيئاتى من قضائك فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمحو ذلك بذلك لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه الشكر ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه العذر لانك قلت وقولك الحق (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) (اللهم) لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ولو لا قضاؤك لكنت من الفائزين وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا برضاك أو أن تعصى إلا بقضائك إلهى ما أطعتك حتى رضيت ولا عصيتك حتى قضيت أطعتك بإرادتك ولك المنة على وعصيتك بقدرتك ولك الحجة على فبوجود حجتك وانقطاع حجتى إلا مارحمتنى وبفقرى اليك وغناك عنى إلا ما كفيتنى (اللهم) انى لم آت الذنب جرأة منى عليك ولا استخفافا بحقك لكن جرى بذلك قلمك ونفذ به حكمك ولا حول ولا قوة إلا بك والعذر اليك وأنت أرحم الراحمين (اللهم) ان سمعى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى بيدك لم تملكنى من ذلك شيئاً فاذا قضيت بشىء فكن أنت ولى واهدنى إلى أقوم سبيل ياخير من سئل وأكرم من أعطى يارحمن الدنيا والآخرة ارحم عبدا لا يملك دنيا ولا آخرة اه وهو الذى اختصره الشيخ فى هذه المناجاة بأحسن عبادة وأوجز لفظ فلله دره وهذا شأنه فى تهذيب طريق الشاذلية جزاه الله عن المسلمين خيرا ومثل هذه المناجاة وقعت من بعض الصالحين (روى) أن شاباً من العباد تعلق بأستار الكعبة

من أهل الدليل يقال له عالم والفرق بين العالم والعارف أن العالم دون ما يقول والعارف فوق ما يقول العالم يصف الطريق بالنعت والعارف يصفها بالعين لأنه سار معها وعرفها والعالم إنما نعتت له فقط العالم محجوب والعارف محبوب العالم من أهل اليمين والعارف من المقربين العالم من أهل البرهان والعارف من أهل العيان العالم من أهل الفرق والعارف من أهل الجمع العالم من أهل قوله تعالى (إياك نعبد) والعارف من أهل قوله تعالى (وإياك نستعين) العالم يدلك على العمل والعارف يخرجك عن شهود العمل العالم يحملك حمل التكليف والعارف بروحك بشهود التعريف العالم يدلك على محافظة الصلوات والعارف يدلك على ذكر الله مع الانفاس واللحظات العالم يدلك على الأسباب والعارف يدلك على مسبب الأسباب العالم يدلك على شهود الوسائط والعارف يدلك على محرك الوسائط العالم يحذرك من الوقوف مع الأغيار والعارف يحذرك من الوقوف مع الأنوار ويزج بك فى حضرة الجبار العالم يحذرك من الشرك الجلى والعارف يخلصك من الشرك الخفى العالم يعرفك بأحكام الله والعارف يعرفك بذات الله العالم يدلك على العمل لله والعارف يدلك على العمل بالله العالم يدلك على العمل خوفا وطمعا والعارف يدلك على العمل محبة وشكرا

(والحاصل) أن من لم يسعده الله بملاقاة العارف فلا شك أنه فى هوى نفسه تالف ولله در صاحب بداية السلوك حيث يقول :

ان لم تلاق عارفا فى مدتك ... لا عاش عمر عيشه كعيشتك

وحقيقة العارف هو الذى فنى عن نفسه وبقى بربه وكان غناه فى قلبه لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه والله تعالى أعلم بغيبه وهذا المقام الكريم لا يناله إلا من له حظ عظيم كما أبانه

وقال إلهى ان أطعتك فبفضلك ولك الحمد وإن عصيتك فبجهلى ولك الحجة على فبإثبات حجتك وانقطاع حجتى إلا ماغفرت لى فسمع هاتفاً يقول أنت عتيق من النار اه وقال ذو النون رضى الله عنه رأيت جارية والصبيان يرمونها بالحجارة فكففتهم عنها فنظرت إلى وقالت كأنها تعرفنى ياذا النون ماعلامة الصدق قلت صيام النهار وقيام الليل فقالت ياذا النون كيف يلذ النوم لمن علم حبيبه لاينام ثم بكت وقالت إلهى ان فكرت فى إحسانك إلى لم أبلغ كنهه بفكرى وإن ذكرت سترك على لم أقم فيه بشكرى فياعجباً لقلوب العارفين بك كيف لاتنفطر إجلالا لقدرك وإعظاماً لوصفك تباركت يامولانا ماأحلمك على من عصاك وما أفضلك على من لم تدع له شغلا بسواك ثم أنشدت :

ياحبيب القلوب أنت الحبيب ... أنت أنسى وأنت منى قريب
ياطبيباً بذكره يتداوى ... كل ذى سقم فنعم الطبيب
طلعت شمس من أحب بليل ... واستنارت فما تلاها غروب
ان شمس النهار تغرب بليل ... وشموس القلوب ليست تغيب
فاذا ما الظلام أسبل سترا ... فإلى ربها تحن القلوب

وإذا حنت القلوب إلى مولاها وانضمت اليه بعشقها وهواها كيف يكلها إلى غيره وهو قد تولاها وكيف لاينصرها وهو اليه قد آواها كما أبان ذلك فى المناجاة السابعة بقوله (إلهى كيف تكلنى) أى تحوجنى إلى غيرك (وقد تكفلت لى) بأمورى وشئونى كلها حيث قلت(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)وقلت(ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) (وكيف أضام) أى أظلم وتنتهك حرمتى (وأنت الناصر لى) فتنصرنى وتنصر لى وتنصر بى وقد قلت فى كتابك(الحكيم ان الله

ذلك بقوله : فهذه ميادين الأبطال ... ليست لكل جبان بطال

(قلت) الميادين جمع ميدان بالفتح والكسر وهو مجال الخيل استعير هنا للخروج من ضيق الأشباح إلى عالم الأرواح وهو فضاء الشهود ، والتنزه فى حضرة الملك المعبود لأن فيه تتسع دائرة العلوم وتجرى نتائج الفهوم فيه تجول الافكار فى عظمة الواحد القهار ، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع والجبان هو الخواف (يقول) رضى الله عنه هذه العلوم والمعارف التى تتجلى فى قلوب العارفين ، وتجول فى سعة رياضها أفكار المقربين ، هى ميادين الأبطال ، ومجارى أسرار الرجال ، لاينالها البطالون ، ولا يدخل فى هيجائها الخوافون ، بل ما نالها إلا أهل الحزم ، وماطلب جهادها إلا أولوا العزم ، وفى ذلك يقول الجيلى رضى الله عنه

وإياك جزعا لا يهولك أمرها ... فما نالها الا الشجاع المقارع

(وقال آخر)

أيها العاشق معنى حسننا ... مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضنى وروح فى العنا ... وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا ... فاذا ماشئت أد الثمنا

وفى التحقيق ماثم إلا سابقة التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثم) قرر ما تقدم وهو أن دخول الميدان لا يصلح للجبان فقال

هل يصلح الميدان للجبان ... او يكمل الزرع بلا ابان

(قلت) الابان هو الوقت يعنى أن ميادين القتال لا يدخلها الا أبطال الرجال فالجبان لايتركه الفزع أن يدخل الميدان (قال) شيخ شيخنا رضى الله عنه ثلاثة أصناف من الناس لاينالون من هذه الطريق شيئاً الخواف والمستحى والمتكبر وإذا

يدافع عن الذين آمنوا) وقلت وقولك الحق (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقلت و حكمك حق (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فانصرنا ياخير الناصرين كما نصرت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك من المقربين ياأرحم الراحمين (أم كيف أخيب) أى أحرم و أمنع من الخير (وأنت الحفى بى) أى المعتنى بأمورى أو الرفيق بى فى جميع أحوالى قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال وهو يتولى الصالحين فتولنا يامولانا واحفنا برعايتك وحفنا بعنايتك واجعلنا بك منتصرين وعليك متوكلين يا رب العالمين (ها أنا أتوسل بفقرى اليك) حتى من فقرى وافتقارى إذ لا نسبة لى منك سوى فقرى اليك فأنا فقير اليك من كل شىء حتى من فقرى فان كان الأغنياء قد قدموا بين أيديهم الأموال فأنا أقدم اليك فقرى فى جميع الأحوال وإن كان الأقوياء قد قدموا اليك صالح الأعمال فأنا أقدم اليك التضرع والابتهال :

مالى سوى فقرى اليك وسيلة فبالافتقار اليك ربى أضرع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة فلئن رددت فأى باب أقرع

وأى نسبة لفقر العبد من غنى مولاه كما قال (وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) لأنك غنى عن الانتفاع بالمنافع فاغننا بك عن الاحتياج إلى غيرك حتى ألقاك بك لا بغيرك إنك على كل شىء قدير (روى) أن شيخ أشياخنا القطب الجامع مولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه قال الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ياأبا الحسن بم تلقى الله قال بفقرى قال له والله لئن لقيت الله بفقرك لتلقاه بالصنم الأعظم هلا لقيته به وكأنه رضى الله عنه دله الزوال عن نفسه وعن كل ما ينسب اليها من فقر وغيره وقال الشيخ زروق رضى الله عنه ويجاب عن أبى الحسن بأنه أراد بفقره حتى من فقره المنسوب اليه وهو الزوال فاذا صح افتقاره من كل شىء فقد صح غناه بالله عن كل شىء وإذا صح غناه بالله فما يلقى الله الا بالله

شجع نفسه ودخل فى طريق الخصوص فلا يستعجل الفتح قبل ابانه لئلا يعاقب بحرمانه . فمن غرس شجراً أو زرع زرعا فلا يطمع أن يثمر قبل وقته كذلك شجرة المعرفة تنبت فى قلب المريد حين ملاقاته بالشيخ فلا تزال تنمو شيئاً فشيئاً حتى تثمر فى وقتها المعلوم لكن إن كان يحرسها ويخدم عليها ويسقيها طالت متناهية فى الخضرة والبهجة وأطعمت سريعا وإن فرط فيها أبطأت وربما ماتت وحرسها هو العزلة وعدم خلطة العوام وخدمتها هو الذكر والفكر وسقيها هو الجلوس بين يدى الأشياخ واستعمال الأحوال والواردات ونهاية إطعامها هو الطمأنينة بالله والتمكين فى المعرفة بالله والغنى بالله عن كل شىء فحينئذ يكون من الأبطال ويصلح لدخول الميدان فتربية الشيوخ إنما هى لهذه الشجرة التى هى شجرة المعرفة فما دام صاحبها يفتقر إلى من يسقيها له فلابد من مدد الشيخ فاذا أثمرت واشتدت عروقها استغنت عن ماء غيرها وبالله التوفيق ثم تعجب من انكار الناس مالم يحيطوا به علما فقال :

ما أنكر الناس لما لم يعرفوا ما أهجر الولاف لما لم يألفوا

(قلت) ما تعجبية مبتدأ بمعنى شىء والجملة بعدها خبر والولاف جمع والف من ألف الشىء إذا أولع به أى شىء عظيم صير الناس منكرين مالم يعرفوا وهاجرين مالم يألفوا تعجب رضى الله عنه من إسراع إنكار الناس على أهل هذه الطريق مع أنهم لامعرفة لهم بها ومن إسراعهم فى هجران أهلها لتعاطيهم أموراً لم يألفوها ولا غرابة فى ذلك إذ الانكار على الخصوص سنة ماضية فان ثلث القرآن كله فى الاخبار عن تكذيب الصادقين وكذلك انكار مالم يؤلف فانه هو السبب فى تكذيب الرسل قالوا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثرهم مقتدون قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فكل من أتى بخرق العوائد التى اعتادها أهل زمانه فلا بد من الانكار عليه سنة ماضية (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

قال الهروى رضى الله عنه فقر العامة ترك الدنيا وفقر الخاصة ترك الدنيا والآخرة وفقر خاصة الخاصة ترك الدنيا والآخرة والنفس اه وإظهار هذه الأمور بين يدى العليم الخبير عبودية فقط ولذلك قال (أم كيف أشكو اليك حالى وهو لا يخفى عليك) إذ محال أن يخفى عليك شىء فى الأرض ولا فى السماء وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فحسبى من سؤالى علمه بحالى (أم كيف أترجم اليك بمقالى) عما فى ضميرى (وهو) أى مقالى (منك برز) إذ لا موجد سواك غير أن مقام الربوبية يقتضى وظائف العبودية وهى إظهار الفاقة والاحتياج والتضرع باللسان والابتهال دون طلب دفع ماقدر أو جلب مالم يقدر كما قال الشيخ أبو الحسن ولا نسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك على كل شىء قدير (أم كيف تخيب آمالى) أى مطامعى وحوائجى (وهى وفدت عليك) أى نزلت بساحة كرمك وعلى ساحل بحر جودك وحطت الأحمال على باب فضلك والتجأت إلى حصن عزك وكيف تخيبون آمالى الطامعين وباب كرمكم مفتوح أم كيف يحرم قاصدكم وبحر فضلكم وإحسانكم ممنوح أم كيف يضام جاركم وجاه عزكم منيع أم كيف يخفر جواركم ونفوذ أمركم فى الأشياء سريع وأنشدوا :

أيضام عبد فى حماكم قد نزل   يا من لهم كل الأمانى والأمل

(أم كيف لا تحسن أحوالى) بل لا تكون إلا فى غاية الحسن والكمال (و) الحال أنها (بك قامت) إذ لا قيام للعبد إلا بالله ولا وجود له من ذاته بذاته وكل من كان بالله ومن الله وإلى الله فكيف يلحقه النقص والخلل ولذلك قال (واليك) أى قامت بقدرتك وانتهت إلى أمرك ومرادك فالأمور كلها أنت مبدؤها ومصدرها واليك منتهاها ومرجعها قال تعالى واليه

(قال فى لطائف المنن) واعلم أن الله تعالى ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على من أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم ولتحقيق الميراث فيهم ليؤذوا كما أوذى من قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم ولو كان من أتى بهدى أطبق الخلق على تصديقهم هو الكمال فى حقهم لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صدقه قوم هداهم الله بفضله وحرم من ذلك آخرون حجبهم الحق عن ذلك بعدله فانقسم العباد فى هذه الطائفة إلى معتقد ومنعقد ومصدق ومكذب وإنما يصدق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقه بهم والمعترف بتخصيص الله وعنايته فيهم قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكراهة الخلق أن يكون لأحد منهم شفوف فى منزلة واختصاص بمنة ألم تسمع قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ومن أين لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق فى أوليائه وشروق نوره فى قلوب أصفيائه انتهى المراد منه (قلت) واحتجاب الأولياء عن العامة لطف كبير من الله بأوليائه واعتناء عظيم منه بأسرار أحبائه فان إقبال الناس على الولى قبل التمكين فتنة كبيرة وانظر ما قال الشيخ ابن مشيش أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا اليك ولله در القائل

استتار الرجال فى كل أرض   تحت سوء الظنون قدر جليل
ما يضر الهلال فى حندس الليـــل سواد السحاب وهو جميل

وفيه أيضاً لطف كبير بعامة عباده إذ لو ظهر سرهم لعامة الناس لكان لكل من آذاهم حارب الله ورسوله لقوله عليه السلام فى الحديث القدسى يقول الله عز وجل من آذى لى ولياً فقد آذانى بالحرب فقد قيد الحديث بعد معرفتهم فأخفاهم الله لطفا بخلقه (وقد) ضرب بعضهم لهذا مثلا فقال مثل إذاية العامة لاخفياء أولياء الله كمثل الأعمى إذا رمى بعكازته

يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) وأنشدوا

أقبل علينا لا تخف فلنا الهـدى ولنا الجلال مع الجمال خذ الصفا
واقصـد حمانا ما أتانا مذنب إلا نجا لو كان من الذنوب على شفا

اللهم إنا قصدنا حماك خاضعين ولجنابك منتسبين وبحبل جوارك متمسكين وبعز جاهك مستعزين وبنصرك السريع منتصرين فانصرنا ولا تنصر علينا ياخير الناصرين حاشا عهدك الوافى ونصرك الكافى أن تخذل من دخل تحت جوارك أو تطرد من وقف ببابك ياخير من سئل ويا أكرم من أعطى ارحم عبداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا برحمتك ياأرحم الراحمين (إلهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى وما أرحمك بى مع قبيح فعلى) قلت هذه المناجاة الثامنة وهى تتميم لما قبلها لأن الحق إذا كان وكيلا لك وناصراً لك وحفياً بك فقد لطف بك وأنت لاتشعر فاللطف هو سوق المسار من حيث المضار أو سوق المنافع فى قالب الفجائع (والحاصل) أن اللطف هو جلب الخير جلبا لطيفاً لايعرفه إلا أهل البصائر فاللطف الجميل هو الذى يكون باطنه نعمة وظاهره نقمة باطنه جمال وظاهره جلال فالعارف بالله يرى نفسه مغمورا فى اللطف فى كل حال ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه فيما تقدم من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره وأما الجاهل بالله فلايشعر باللطف إلا إذا كان حسيا ظاهرا جليا ولذلك قال الشيخ فى هذه المناجاة تواضعا وتنزلا إلهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى حيث جهلت لطفك الخفى وطلبت لطفك الجلى ولو عاملنا الحق تعالى بمقتضى جهلنا لنزع لطفه الخفى عنا وتركنا مع مرادنا ولكنه سبحانه حليم فلم يعاملنا بمقتضى جهلنا فلطف بنا مع عظيم جهلنا ولذلك تعجب الشيخ من شدة لطف الله به مع عظيم جهله وهذا كما قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه إذا سألت الله العافية فاطلبها من حيث

على رجل صاحب البصر فأوجعه فانه يقوم اليه حتى إذا وجده أعمى كف عنه وعذره ولم يبق فى قلبه حرج عليه وربما أخذ بيده ودله على الطريق (وقد سأل) رجل إبراهيم بن أدهم على العمران فدله على المقبرة فضربه حتى شجه فلما قيل له هذا إبراهيم ابن أدهم فجعل الرجل يقبل يده ورجله ويقول له اعذرنى فانى لا أعرفك فقال له ابراهيم والله مارفعت يديك من ضربى الا وأنا أسأل لك المغفرة ثم دعاهم إلى كتاب الله ليحكم بينهم فقال

أليس قـد جبلت العقول على الذى جاء به التنزيل

(قلت) جبل على الشىء طبع عليه وألفه ولاشك أن العقول مجبولة على تصديق ماجاء به القرآن وهو قد جاء بالحقيقة والشريعة الا أن التشريع فيه كثير وذكر الحقيقة قليل لأن أهلها قليلون وإذا تأملت فى القرآن وجدته يشرع ثم يحقق يقول سبحانه افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا حتى يظن الجاهل أن الأمر بيد الخلق ثم يقول ولو شاء ربك مافعلوه ولو شاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين وماتشاؤن الا أن يشاء الله فقوم وقفوا مع ظاهر الشريعة فحجبوا عن الحقيقة وهم أهل الحجاب وقوم نفذوا إلى شهود الحقيقة وأنكروا الحكمة وهم أهل الجذب وقوم جمعوا بينهما وهم أهل الكمال فعلم الحقيقة هو علم الباطن وهو علم العالم الروحانى وعلم عالم المعانى الذى ينكره المنكر وليس ثم شىء غير هذا فثبت ان القرآن ورد بما أنكروا فقامت الحجة وتبينت المحجة وبالله التوفيق ثم ضرب مثلا للحقيقة والشريعة فى الحس فقال :

هل ظاهر الشرع مع الحقيقة الا كاصل الفرع فى الحديقة

(قلت) الشريعة عمل الجوارح والحقيقة معرفة البواطن فالشريعة ان تعبده والحقيقة ان تشهده فالشريعة من وظائف

العلم أنها لك عافية وقال أيضاً فى مرضه حين قال له إنسان أسأل الله لك العافية قال له ماأنا فيه هو العافية وقد سأل العافية أبو بكر رضى الله عنه فمات مسموما وسألها عمر رضى الله عنه فمات مطعونا وسألها عثمان رضى الله عنه فمات مذبوحا وسألها على رضى الله عنه فمات مقتولا اه فالعافية واللطف هو الرضى والتسليم وسكون القلب عند مجارى الاقدار والرحمة هى اللطف والمحبة والتقريب فالحق تعالى يريد أن يقرب عبده اليه ويطوى مسافة البعد بينه وبينه بما يسلط عليه من إذاية الخلق والفقر والأمراض وغير ذلك مما يؤلم النفس ثم ان العبد يفر منها ويسأل الله أن يبعده منها لأجل جهله وقبيح فعله ولذلك ورد فى بعض الأخبار يقول الله تعالى ياعبدى كيف أرحمك بدفع مابه أرحمك أو كما قال وهذا معنى قوله إلهى ما أرحمك بى مع قبيح فعلى وهو هروبى مما به رحمتنى ويحتمل أن يريد بقبيح الفعل الذنوب والمعاصى فانها توجب المقت والبعد فلو عاملنا بمقتضى فعلنا الذميم لأذاقنا من بأسه الأليم لكن رحمة الرحمن الرحيم غلبت عذابه الأليم (أوحى الله) تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام ياموسى خاطب المذنبين باللطف واللين وادعهم إلى بالقول الجميل ورغبهم فى النعيم المقيم ولا تغلظ عليهم فلو شئت أن أعجل عقوبتهم لما أمهلتهم طرفة عين وأعلمهم أنه من تاب إلى قبلته ومن تمادى أمهلته ومن عصانى عذبته ياموسى من ذا الذى قصدنى صادقاً فخيبته أو لجأ إلى فأسلمته أو سألنى فمنعته أو رجع إلى فطردته أو تاب إلى وما قبلته أو تضرع الى وما رحمته اه ولما أنزل الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال سيدنا على كرم الله وجهه ما معناه يارسول الله قال ياعلى من آخذه الله بذنبه فى الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه عليه فى الآخرة ومن عفاعنه فى الدنيا فهو أعز من أن يعاقبه فى الآخرة ومن ستره فى الدنيا فهو أجل من أن يفضحه فى الآخرة قال على فكانت عندى خيرا من الدنيا وما فيها وأنشدوا :

البشرية والحقيقة من وظائف الروحانية الشريعة قوت البشرية والحقيقة قوت الروحانية ومانقص من أحدهما يزاد فى الآخر فافهم ومامثل الشريعة الظاهرة مع الحقيقة الباطنة إلا كاصل شجرة فى بستان وهو الحديقة فأصل الشجرة المغروز فى الأرض مثل الحقيقة والفرع الظاهر على وجه الأرض مثل الشريعة فلا قيام للشريعة إلا بالحقيقة ولا ظهور للحقيقة إلا بالشريعة فمن نظر إلى الباطن ووحد الله وجدكل شىء قائماً بالله ولا فاعل سواه ومن نظر إلى العبد وجد له اختياراً فى الجملة يقوم اذا شاء ويجلس اذاشاء ويفعل ويترك باختياره فى الظاهر وعلى هذا وقع التكليف وهو الشريعة ويسمى الكسب عند المتكلمين فالتحقيق أن العبد مجبور لكن فى قالب الاختيار فمن نظر للجبر الباطنى سماه حقيقة ومن نظر لقالب الاختيار سماه شريعة (أو تقول) من نظر لعالم القدرة وجد الحقيقة محضة ومن نظر لعالم الحكمة وجد الشريعة محضة فالواجب على الإنسان أن تكون له عينان احداهما تنظر لعالم القدرة فيوحد الله والأخرى تنظر لعالم الحكمة فيتأدب مع الله وليس اسمه القادر بأولى من اسمه الحكيم فمن أهمل احداهما سقط من عين الله فمن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق لابطاله الحكمة ومن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق لقصور نظره عن شهود القدرة فلايخلو من شرك خفى وإنما لم يكفر لأنه يقر بوجود القدرة لكنه لم يعمل بما علم فهو كعالم غير عامل والله تعالى أعلم (تنبيه) قد يبلغ الولى إلى مقام فى الوصول يقال له افعل ماشئت فقد غفرت لك ومعنى ذلك أن الله تعالى يتولاه ويأخذه عن نفسه ويغطى وصفه بوصفه ونعته بنعته يكون محفوظا من شهود نفسه فيكون فعله كله بالله (وفى القوت) فى كتاب المحبة اذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب (وفى البخارى) وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ماشئتم فقد غفرت لكم (وفى) كتاب القصد للشاذلى يبلغ الولى مبلغا يقال

سبحان من أبدع الأشيا وقدرها ومن يجود على العاصى ويستره
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة ويغمر العبد إحسانا ويشكره

ولما كان اللطف يقتضى التهذيب والرحمة تقتضى التقريب تعجب الشيخ من شدة قرب الحق للعبد مع شدة بعد العبد عنه فقال فى المناجاة التاسعة (إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أرأفك بى فما الذى يحجبنى عنك) قلت قرب الحق من العبد قرب رحمة واجتباء وتقريب واصطفاء هذا فى حق الخواص وفى حق العوام هو قرب إحاطة وقدرة وعلم ومشيئة وتصريف وقهرية والمراد هنا هو الأول فان بعد العبد من ربه انما هو بسوء أدبه وإلا فالحق تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء ليس شيء أقرب اليه من شيء ولا شيء أبعد اليه من شيء وما بعد العبد من ربه إلا وهمه وسوء فعله ولذلك قال الشيخ تواضعاً وأدباً إلهى ما أقربك منى بلطفك ورأفتك وعلمك وإحاطتك وما أبعدنى عنك بوهمى وسوء أدبى أو ما أقربك منى بأوصاف الربوبية وما أبعدنى عنك بأوصاف العبودية فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة الشأن وأوصاف العبودية خسيسة القدر دنيئة المقدار فلا مناسبة بينهما فى القدر مع تلازمهما فى المحل بتحقيق الوحدة فيهما متلازمان فى القيام متضادان فى الأحكام والرأفة شدة الرحمة والعطف وذلك يقتضى شدة القرب والوصال وينفى وجود السوية والانفصال وهو الحجاب ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب بينه وبين مولاه مع شدة رحمته له وحباه إذ من تعطف عليك وآواك لا يمكن أن تلتفت عنه إلى سواه وفى الحكمة مكتوب ياعبدى قد أسجدت لك الكون بما فيه من الملك وأملاكه والملكوت وأملاكه فأنت أنا بما أيدتك وأنا أنت بما قلدتك فعش للأبد فمقامك لا يزاحمك فيه أحد ياعبدى خرقت لك الحجاب وفتحت لك الباب وأظهرت لك الأمر العجاب فابلغ قومك اللباب ولو قالوا ساحر أو كذاب فأنا قد وهبتك الأخلاق

له أصحبناك السلامة وأسقطنا عنك الملامة افعل ما شئت اه وليس هذا قولا باسقاط التكليف فادامت البشرية موجودة فلا بد من التكليف فاذا انهدمت البشرية وتخلصت الروحانية إلى مولاها سقط حينئذ التكليف فافهم (قال) فى نوادر الأصول من حظه من أهل التقريب الجلال والجمال وقد أقيم فى الهيبة والأنس قد غاب عن العقوبة ولكنه يخاف التحويل والهوى والسقوط لما ركب فى نفوس بنى آدم من الشهوات فهى أبدا تهوى بصاحبها إلى الإخلاد والبطء وانما يسكن خوف التحويل إذا خلص إلى الفرادنية وتحقق بالوحدانية لتلاشى الهوى منه والشهوة بكشف الغطاء ولا يذهب خوف ذلك وان سكن لبقاء خيال ذلك فى حق غير الأنبياء أما الأنبياء فلم يبق لهم ظل الهوى فبشروا بالنجاة فلم تضرهم البشرية لانهم لم يبق لهم نفوس فتسترق وتحرر إذا أمنت السقوط ومن بعدهم بقى لهم فى نفوسهم شيء فنعوا البشرية وأبهم عليهم الامر صنعا لهم لتكون نفوسهم منقمعة بخوف الزوال هذا هو الأصل فافهمه هذا بعد أن قرر أن الشوق وخوف القلق من حبه لا يذهب على المجذوب المحدث وان كان بينه وبين مولاه من الاسرار ما يسكن عنه خوف التحويل وانما يتوهم ذلك من وقف فى الجلال والجمال فسكن شوقه بلذة ما نال من القربة فانظره اه ثم ضرب مثلا آخر فقال

والشرع جار وصحيح العقل كحذوك النعل معاً بالنعل

(قلت) حاصل كلامه أن ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة كتطبيق النعل على النعل بحيث لا يفوت احدهما على الآخر كذلك الحقيقة الباطنة مع الشريعة الظاهرة متلازمتان لا تفوت إحداهما الأخرى فما ظهر على العبد من عمل الشريعة فانما هو مدد الحقيقة قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقال تعالى (وما تشاؤن إلا ان يشاء الله

فدعهم يقولون ان هذا إلا اختلاق ياعبدى قد جعلتك تقول للشىء كن فيكون وماعليك ان قالوا ساحر أومجنون أنت تشرب من رحيق الكوثر وهم يقولون ان هذا إلا سحر يؤثر عرجت بسرك إلى السماء وعلمتك خصائص الأسماء فأنت أمين خزائن التحقيق الدال لجمع الخلق على الطريق ياعبدى من طعن فى الوزير وسفه أمره فقد رد أمر الأمير وجهل قدره من أطاع الرسول فقد أطاع الله اه فالله تعالى بجوده وفضله إذا اصطفى عبدا من عباده قربه بفضله واجتباه لحضرة قدسه وصفاه من كثائف طبعه وحمى شخصه من رعونات نفسه فيصير من أهل قربه قدار تفع الحجاب عن عين قلبه فزجت روحه فى بحار الأحدية وغاب سره فى سبحات الألوهية فان كان ممن أريد الاقتداء به رد إلى شهود سر وجوده وقد كحلت عين قلبه بسر الحقيقة وكسيت ذاته وجودا معارا عليها وهو وجود الحق المفاض على جميع الممكنات فيرى ذاته المتوهمة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده هناك يصير العبد بالله ولله أمره بأمر الله حيث لم يبق فيه شائبة لسواه ولاشىء يحجبه عن الله فهذا الذى أحبه مولاه واصطفاه لحضرة قدسه واجتباه لمناجاته وأنسه فكان سمعه وبصره وناصره وحافظه فى منقلبه ومثواه هناك يصير عارفا به فى كل حال وخصوصا عند اختلاف الأحوال كما أشار إلى ذلك فى المناجاة العاشرة فقال (إلهى قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك منى أن تتعرف إلى كل شىء حتى لا أجهلك فى شىء) قلت إنما اختلفت آثار القدرة لتعرف عظمة القادر واختلافها يكون فى الأجسام كالعلويات والسفليات والجمادات والمائعات والنورانيات والظلمانيات والمائيات والناريات وكاختلافها فى الحيوانات كأجناس بنى آدم والأنعام والبهائم والطيور والسباع والوحوش والحشرات وباختلافها فى الأعراض كالبياض والسواد والحمرة والصفرة والزرقة والشهوبة وغير ذلك من الألوان لتعرف من ذلك سعة قدرته وعلمه وعظمة ذاته المقدسة وإنما تنقلات أطوارها

(أو تقول) ماظهر على العبد من عمل الحكمة فإنما هو من فعل القدرة فالقدرة باطنة والحكمة ظاهرة (وسأذكر) لك شيئا من بحر القدرة وشيئا من بحر الحكمة ليظهر لك الفرق بينهما مع اتحادهما محلا (فنقول) وبالله التوفيق بحر القدرة بحر زاخر وأمره قاهر ليس له أول ولا آخر، يظهر ويبطن، ويحرك ويسكن، ويقبض ويدفع، ويعطى ويمنع، ويخفض ويرفع بيده مقادير الأمور، وعلى قطبه دائرة الأفلاك تدور، وتطير إليه قلوب المشتاقين، وتعوم فى طرف لجته أرواح السائرين وتخوض فى وسط لججه أسرار الواصلين، ولا تعرف كنه عظمته قلوب العارفين، غاية منتهاها الدهش والحيرة ثم العكوف فى الحضرة.

(وأما) بحر الحكمة فهو أيضاً بحر زاخر، وأمره ظاهر، يظهر الأسباب، ويسدل الحجاب، يربط الأحكام بالعلل ويقرر الشرائع والملل، يغطى مابرز من عنصر القدرة بردائه، ويستر مايبدو من أسرار الربوبية بعز كبريائه، ينور الطريقة، ويصون الحقيقة، يظهر العبودية، ويبطن الحرية، من وقف معه كان محجوباً، ومن نفذ منه إلى بحر القدرة كان واصلا مجذوبا، ومن نظر إليهما معاً كان محبوباً، وبالعناية مصحوبا (واعلم) أن القدرة والحكمة كل واحدة تنادى على صاحبتها بلسان حالها أما القدرة فتقول للحكمة أنت تحت قهرى ومشيئتى لا تفعلى إلا ماأنشاء ولايصدر منك إلا ماأريد فان أردت خلافى رددتك وان سبقتينى أدركتك (وتقول) الحكمة للقدرة أنت تحت حكمتى وعند أمرى ونهى فان عصيتنى أدبتك وربما قتلتك ثم ان اتفق فعلهما كان ذلك الفعل طاعة وحقيقة نورانية وان اختلف فعلهما بأن أظهرت القدرة خلاف ماتريد الحكمة كان معصية وهى حقيقة ظلمانية فتبين ان الحقيقة لاتفارق الشريعة إذ لاقيام لها إلا بها والشريعة لاتخرج عن الحقيقة لانها سترلها ورداء يصونها (فان قلت) ظهور المعاصى والذنوب حقيقة بلاشريعة فأين التلازم الذى ذكرت

من شباب وكهولة وشيخوخة ومن مرض وصحة وفقر وغنى وعز وذل وسلب ورد ومنع وعطاء وقبض وبسط وجلال وجمال وحياة وموت إلى غير ذلك لتعرفه تعالى فى كل حالة من هذه الأطوار وعند اختلاف أجناس هذه الآثار حتى لا نجهله فى شىء منها فإن الحق تعالى قد تعرف لعباده فى أجناس مصنوعاته وفى اختلاف أحوال قدرته جهله من جهله وعرفه من عرفه فلا يسمى الإنسان عارفا حتى يعرف الله فى الأشياء كلها مع اختلاف آثارها وتنقلات أطوارها فيعرفه فى الذل كما يعرفه فى العز ويعرفه فى السلب كما يعرفه فى العطاء ويعرفه فى المرض كما يعرفه فى الصحة ويعرفه فى الجلال كما يعرفه فى الجمال إلى غير ذلك مما تقدم ويتلون مع كل لون ويتطور مع كل طور فالعارف هو الذى يتطور بجميع الأطوار ليقضى جميع الأوطار والتلون مع الأشياء هو الأدب معها والخضوع مع الحق فيها وأما من كان يعرف فى الجمال دون الجلال وفى العطاء دون المنع وفى العز دون الذل وفى الصحة دون المرض أو فى العافية دون المحنة أو فى الغنى دون الفاقة أو فى الرخاء دون الشدة فإنه كذاب وانظر إلى قول القائل * حبيبى ومحبوبى على كل حالة * وما أقبح الانسان يدعى الخصوصية والمعرفة ونفى السوى فاذا تعرف له الحق تعالى باسمه الجليل أنكره وهرب منه وهذه عادة الله تعالى فى عباده كل من ادعى خصوصية أو قوة اختبره فى الحين ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً فيفتضح المدعون ويثبت الصادقون وقد ذاق الشيخ رضى الله عنه هذا المعنى بعد أن كان يعرف فى البعض وينكر فى البعض فلما تحقق علم أن اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار إنما سرها ليعرف الحق بها فقال إلهى قد علمت أى تيقنت باختلاف الآثار أى آثار القدرة وتنقلات الأطوار أى الاعراض والاحوال أن مرادك منى أن تتعرف إلى فى كل شىء من اختلافات أجناس القدرة وتنقلات أطوارها حتى لا أجهلك فى شىء منها فى التنوير كل حالة زائلة لا محالة لأن مراد الحق أن ينقل

(قلت) النهى عن فعلها وتسميتها معاصى هو من جهة الشريعة فلولا الشريعة ما سميت معاصى وانظر ماقاله صاحب العينية

فان كنت فى حكم الشريعة عاصياً   فانى فى حكم الحقيقة طائع

فلولا الشريعة لم تتميز الطاعة من المعصية فالشريعة صادقة بالواجبات والمباحات والمحرمات فمهما صدر شىء من هذه الثلاثة فهو شريعة فثبت التلازم وهو معنى قول الناظم والشرع جار وصحيح العقل الخ وهو على حذف مضاف أى ومدرك صحيح العقل والمراد بالعقل عقل التخصيص المتقدم الذى اختص به الأنبياء وينتهى إليه عقل الأولياء لأنه هو الذى يدرك علم التحقيق لا مطلق العقل كما تقدم ويحتمل أن يريد الناظم إن ما أتى به الشرع كله موافق لإدراك العقول كما قال البوصيرى رضى الله عنه :

لم يمتحنا بما تعيا العقول به   حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

فسائل الشريعة كلها موافقة لما يقتضيه العقل فما حرم الله تعالى شيئاً إلا لحكمة وهى ما فيها من البعد عن الله وما أوجب شيئاً إلا لحكمة وهى كونه يقرب إلى الله ومسائل الفقه كلها لحكمة فنها ما أدركه الناس ومنها مالم يدركوه ويقولون فيه انه تعبد لكن هذا الاحتمال وإن كان ظاهر الناظم ليس فيه رد على المنكر لإثبات علم الحقيقة لأن هذا الأمر يثبته أهل الظاهر ويقررونه وسياق الكلام إنما هو فى الرد على أهل الحقائق فتأمله والله تعالى أعلم (ثم ضرب) أيضاً مثلا للشريعة الظاهرة مع الحقيقة الباطنة باليواقيت التى تكون فى البحر فقال :

ما مثل المعقول والمنقول   الا كدر زاخر مجهول
حتى إذا أخرجه الغواص   لم يكن للدر إذن خلاص

عبده فى الأطوار ويخالف عليه الآثار حتى يتعرف إليه فى كل حالة خاصة بتعرف خاص ومن أراد حالة واحدة لم يرد الكمال اه فالله تعالى إنما أراد من عباده معرفته قال تعالى (وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون) قال ابن عباس أى ليعرفون ومعرفته إنما تكون بتخالف الآثار وتنقلات الأطوار وذكر غيره فى تفسير قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أن احدى الجنتين معرفة الله وهى جنة المعارف والأخرى جنة الزخارف ومن دخل المعارف لم يشتق إلى شىء سواها وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شىء فيها قيل وما ذاك قال معرفة الله تعالى وقيل انه وجد حجر مكتوب بقلم القدرة من أحسن كل شىء ولم يعرف الله لم يحسن شيئاً حتى يعرف الله فاذا عرف الله فقد أحسن كل شىء ولم يغب عنه شىء اه ويكفى من عرف الله الراحة من كد الرزق وتعب الحرص وتشويش البال منه وتعلق الوهم به فانه لم يؤت أكثر الخلق إلا من الاهتمام به ولو قنع العبد لاستغنى الغنى الذى لا فقر بعده والتوكل على الذى لا يموت هو الغنى الأكبر الذى لا يلحقه فقر أبداً قال الفضيل رضى الله عنه لا ينبغى للعبد أن يثق بعافية ولا بغنى ولا بحالة تسره غير الله بينما العبد معافى تراه مبتلى وبينما العبد غنياً تراه فقيراً وبينما العبد ضاحكا تراه باكياً وبينما العبد مسرورا تراه حزينا وبينما العبد حياً وإذا به ميت تعس من وثق بغير الله أو ركن لشىء سوى الله انتهى .

(حكى) أن رجلا ضاق حاله من أجل المعيشة وطال به الكد والتعب فخرج هائما على وجهه ودخل الصحراء فوجد قصراً دارسا خرباً قد كشف عنه الريح الرمل وإذا بكوخ من الرخام فى حائط ذلك القصر وفيه مكتوب هذه الحكمة

لما رأيتك جالساً مستقبلا … أيقنت أنك للهموم قرين
ما لا يقدر لا يكون بحيلة … أبدا وما وهو كائن سيكون

وإنما خلاصه فى الكشف … عن الغطاء حيث لا يستخفى
فالصدف الظاهر ثم الدر … معقوله والجهل ذاك البحر

(قلت) المراد بالمعقول هنا هو علوم الحقائق العرفانية والأسرار الربانية وتسميتها معقولا مجاز لكنه قدم أن عقل التخصيص الذى هو للخواص يدرك علم الحقيقة فيسمى حينئذ ما أدركه معقولا بهذه النسبة وحاصل هذا المثال أن الروحانية التى هى محل علوم الحقائق مثلها كالدرة وهى الياقوتة الكبيرة والبشرية التى هى محل العلوم النقلية كالصدف لتلك الياقوتة والجهل الذى عم الناس وأحاط بهم كالبحر فمن دوخه بحر الجهالة لم يلتفت إلى در ولا صدف بل غرق فى بحر الجهالة وأتلف ومن أيقظه الله من دوخته ونبهه من غفلته غاص بفكره يمينا وشمالا فاستخرج ياقوتة سوداء مستورة فى صدفها لا يظهر منها إلا الصدف وهى نفسه فاذا قنع بالاعتناء بظاهرها ولم يذهب إلى من يخلصها ويكشف له عن باطنها بقى فقيراً على الدوام وإن أراد أن يخلصها بنفسه بقى متعوبا معها على الدوام وربما أفسدها وكذلك ان ذهب بها إلى غير عارف ماهر بتصقيل اليواقيت أفسدها له أيضا وإن ذهب بها إلى عارف ماهر غواص فى البحر عارف بتصقيل اليواقيت كشف له عنها فى أقرب ساعة فصار غنيا موسعا عليه ينفق منها كيف يشاء قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) قال فى الحكم فى تفسيرها لينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه ومن قدر عليه رزقه السائرون هذا حاصل كلام الناظم مع ما فى حمله عليه من التعسف لكن بهذا الحمل يجرى على نسق ما قبله ويمكن حمله على ظاهره فتكون الألفاظ كالصدف والمعانى كالدر والجهل بذلك كالبحر لكن هذا الأمر لا نزاع فيه بين أهل الظاهر وأهل الباطن والكلام إنما هو فى المعانى التى هى ضد المحسوسات وهو الذى

سيكون ما هو كائن فى وقته ... وأخو الجهالة متعب محزون
يجرى الحريص ولا ينال بحرصه ... شيئاً ويحظى عاجز ومهين
فدع الهموم وتعر من أثوابها ... ان كان عندك بالقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقاً ... فأخو الحقيقة شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه فى رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

ومن نظر إلى سعة كرم الله وبره ثم نظر إلى عجز نفسه وفقره طرح أحمال الهموم عن ظهره واكتنى بعلم مولاه ونظر كما أشار إلى ذلك فى المناجاة الحادية عشرة بقوله (إلهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك وكلما أيأستنى أوصافى أطمعتنى منتك) قلت العبد إذا نظر أوصاف نفسه اللئيمة وأفعالها الذميمة استحيى من الله أن يرفع اليه حاجة يطلبها وخرس لسانه عن النطق بها لأنه يرى من خساسة نفسه لآمتها ما لاتستحق بذلك الا العقوبة والطرد فاذا نظر إلى سعة كرم الله وجوده واحسانه وبره انطلق لسانه بالسؤال وطمع فيما له من سعة العطاء والنوال وقد تقدم قوله ان أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فانظر مامنه اليك وان أردت أن ينفتح لك باب الحزن فانظر ما منك اليه ولا شك أن من نظر نفسه بعين الانصاف لم يجدها أهلا لغير العقوبة اما من جهة الغفلة والتقصير وأما من قلة الوفا بالشكر والحمد ولهذا وردت فى بعض الأدعية اللهم افعل بنا ما أنت له أهل ولا تفعل بنا ما نحن أهله وقال بعض أهل التشديد من العباد لاينبغى للعبد أن يرى نفسه إلا شبه نجس ان جلس مع الداعين لم يرهم الامنعوا الاجابة من سببه ولو سجد على الجمر لم ير عمله أهلا للقبول ولو كانت نفسه فى غاية التزكية لم يرها أهلا لمدح ولا لثناء ومتى ماتمسح الناس بثيابه تبركا فانما يرى نفسه كالبكر المزفوفة لبعلها وهى مفتضة بفجور

شرحنا به (فقوله) مامثل المعقول والمنقول هو على حذف مضاف أى محل المعقول ومحل المنقول (وقوله) الأكدر زاخر يقرأ بالاضافة لزاخر على حذف مضاف أى كدر بحر زاخر (وقوله) مجهول نعت لدرلا لزاخر (وقوله) لم يكن للدر الخ معناه أن الدر حين يخرجه الغواص لم يكن مستخلصاً من صدفه وإنما خلاصه بالكشف عنه من عارف به كما تقدم بحيث يصير ظاهرا لايستخفى وباقى الكلام ظاهر ثم قال رحمه الله

وإنما المعقول فى شكل الحروف ... كما يكون الدر فى جوف الصدوف

(قلت) هذا البيت من تتمة ما قبله والمراد بالحروف رسوم البشرية الظاهرة وقد تقدم أن اصطلاح الصوفية يطلقون الحروف والرسوم والأشكال على صور الأكوان الحسية والمعنى وانما المعقول الذى هو المعانى اللطيفة فى شكل الرسوم كالدر فى الصدف (أو تقول) وإنما المعانى فى رسوم الأوانى كاليوقيت فى أصدافها فالأولى أصداف والمعانى يواقيت من وقف مع الحروف والأشكال وقنع بتحسين خطوطها وتزيين أشكالها فاته الاطلاع على جواهر العلوم ويواقيت الفهوم وبقى جاهلا مضيقاً عليه فى أرزاق العلوم ومقتراً عليه فى نتائج الفهوم ومن نفذ إلى مافى باطنها من الدرر والجواهر الحسان كان من الأغنياء أهل الشكر والإحسان ويحتمل أن يريد بالحروف معناها الأصلى وهى الألفاظ الدالة على المعانى والمراد بالمعقول علم الباطن فانه موجود فى القرآن لكنه باطنى خارج عن ظاهر ماتؤديه الحروف (قال) سيدنا على كرم الله وجهه ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً قالوا فالظاهر للنحاة والقراء والباطن للمفسرين وأصحاب المعانى والحد للفقهاء والعلماء والمطلع لأرباب الكشف والتحقق اه والمطلع بفتح اللام هو محل الاطلاع كان القرآن مشكاة يطلع منها على أسرار غيبيه

كلما طافوا بها وعظموا شأنها زاد حزنها من خوف الفضيحة (قلت) كل من تحقق زواله عن نفسه وبقاءه بربه فلا حرج عليه فى ثنائه ومدحه اذ ليس هو الممدوح وانما الممدوح من فضله عليك ممنوح وكل من مد يده للتقبيل ولم يرها يد الجليل كان القطع فى حقها من القليل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تكون يده يد الجليل حتى تتحقق خلافته فى الأرض ولا تتحقق الخلافة حتى يستولى على الوجود بأسره من عرشه الى فرشه ويصير فى قلبه كحلقة فى الارض فاذا صار هكذا كان خليفة الله فى أرضه ويده يد الملك فكل من بايعه انما بايع الله يد الله فوق أيديهم والله ذو الفضل العظيم وأنشدوا فى مثله :

قد استقام على المنهاج يسلكه ... ولم يزغ حائدا منه ولا عدلا
من حاله يعمر الدنيا بظاهره ... وقلبه فى أعالى الخلد قد نزلا
وأبصر الأمر يجرى فى مسالكه ... من أول النشء حتى شب واكتهلا
وناطقته البرايا وهى صامتة ... وميز الضد والأرواح والعللا
وأظهر الصورة العليا بصورتها ... الحسنى ومن قبل كانت ألبست ظللا

قال بعضهم اشتريت جارية سوداء فلما جن الليل وأردت أن أنام قالت يا مولاى أما تستحى مولاك لاينام وأنت تنام ثم قامت تصلى فانتبهت وهى ساجدة فسمعتها تقول فى سجودها بحق حبك لى لا تعذبنى فقلت لها غلطت قولى بحبى إياك لا تعذبنى فلما سلمت قالت يامولاى ما غلطت بل أصبت ولولا محبته لى ما أنامك وأقامنى فقلت اذهبى فأنت حرة لوجه الله قالت هذا العتق الأصغر وبقى العتق الأكبر اه وكان بعض الوالهين يقول فى بعض مناجاته إلهى لو أردت إهانتى ما وفقتنى لطاعتك ولو أردت فضيحتى ما سترتنى عند مخالفتك إلهى لولا ذنوبى ما خفت العذاب ولولا كرمك ما

تعالى وبالله التوفيق (ثم) ضرب مثلا آخر للعلم الظاهر والباطن فقال :

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن ... الا كجسم فيه روح ساكن

(قلت) ظاهر الشرع هو العلم الظاهر وهو العلم المنقول والعلم الباطن هو العلم الموهب (أو) تقول العلم الظاهر هو علم الحكمة والعلم الباطن هو علم القدرة أو تقول العلم الظاهر هو علم البشرية والعلم الباطن هو علم الروحانية (أو) تقول العلم الظاهر هو علم العبودية والعلم الباطن هو علم الربوبية فالاول علم الاوراق والثانى علم الاذواق وعلم الربوبية هو علم الفناء والبقاء والسكر والصحو والجمع وجمع الجمع وغير ذلك وهذا العلم لا يؤدى بالعبارة وانما يرمز اليه بالاشارة لأنه ذوقى لا علمى (فان قلت) علم الطريقة متعلق بالقلوب وهى باطنية فيكون لا يكون من الباطن (قلنا) لما كان يؤدى بالعبارة والعبارة تظهره وتوضحه صار من قبيل علم الظاهر وهو تصوف أهل الظاهر وأما تصوف أهل الباطن فلا يدرك بالعبارة وقد تقدم قول الشيخ اياك أن تطمع أن تحوزه من دفتر اوشعر أو ارجوزة وهذا هو علم الباطن عند المحققين (وقال) الشيخ عبد الوارث العلوم ثلاثة ظاهر وباطن وباطن الباطن كما أن الانسان له ظاهر وباطن وباطن الباطن اه فجعل علم الشريعة ظاهرا وعلم الطريقة باطنا وعلم الحقيقة باطن الباطن وهو حسن الا أن الجمهور حصروا العلم فى القسمين والأمر قريب (فمثال) العلم الظاهر مع العلم الباطن كجسم فيه روح كامن فالجسد لا يقوم بغير روح والروح لا تظهر من غير جسد واذا خلى الجسد من الروح كان ميتاً ولا عبرة به ولذلك كان من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق لان أعماله أشباح بلا أرواح واذا خلت الروح من الجسد بطنت ولم يظهر لها وجود ولذلك كان من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق لأنه تصير حقيقته عريانة بلا كسوة

رجوت الثواب اه ثم فسر الشيخ الأوصاف التى أيسته ان نظر اليها من منة الله ورحمته فقال فى المناجاة الثانية عشرة (إلهى من كانت محاسنه مساوى فكيف لاتكون مساويه مساوى ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لاتكون دعاويه دعاوى) قلت محاسن الإنسان لاتخلو من خلل ونقصان ولو لم يكن الا نسبتها لنفسه وفعله ورؤيتها من قوته وحوله لكان كافيا فى خللها ونقصها فتنقلب مساوى بعد أن كانت فى الصورة محاسن وإذا كانت محاسنه مساوى فكيف لاتكون مساويه مساوى وكذلك حقائق العبد وهى ماتحقق به من المقامات والمنازلات وأذواق العارفين ومواجيد المحبين لاتخلو من شوائب الدعوى ومسارقة الهوى لولا مسامحة المولى فاذا كانت حقائقه التى تحقق بها وذاقها لاتخلو من شوائب الدعوى فاذا نسبها لنفسه كانت كلها دعاوى فكيف لاتكون دعاويه الفارغة دعاوى فاذا علم العبد هذا استحيى من مولاه أن ينسب لنفسه شيئاً من المحاسن أو يثبت لها نوعا من الحقائق فربما يفضح على رؤس الخلائق ويكفى المرايب وجدان السلامة قال ذو النون رضى الله عنه الحياء من الله يقطع العبارة ويدقق الاشارة وقال السرى السقطى رضى الله عنه الحياء من الله يطرق القلب فاذا وجد فيه شيئاً من حب الدنيا رحل وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه يقول الله تعالى عبدى انك ما استحييت منى أنسى الناس عيوبك وأنسى بقاع الأرض ذنوبك وأمحو من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك بالحساب يوم القيامة اه وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم الحياء فقال الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر القبر والبلى وتترك أفضل زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء اه ووجد رجل نائم فى موضع مخوف كثير السباع والآفات ودابته حوله ترعى فقيل له انك فى موضع مخوف فقال انا نستحيى أن نخاف غير الله ثم رجع لنومه (وفى الحكمة) مكتوب من استحيى من الله وهو مطيع استحيى الله منه وهو مذنب وسئل الجنيد عن الحياء ما هو فقال

فيقتل عليها فان كان محقاً وغلبه السكر كان شهيدا وان كان مدعياً كان بعيد ومن الحضرة طريداً والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بجاه الحبيب مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم ومجل ثم ذكر أصل النزاع الذى بين أهل الظاهر والباطن فقال

لو عمل الناس على الانصاف ... لم ترين الناس من خلاف

(قلت) الانصاف هو الرجوع لقول الغير بعد وضوح دليله أو الاقرار بالحق بلا مكابرة فلو اتفق الناس على الانصاف وأقروا بالحق أينما ظهر من غير مراء ولا جدال لم يبق خلاف بين الناس إذ الطريق واضح والحق لائح والداعى قد أسمع ما التحير بعد هذا إلا من العمى كما قال البلخى لكن طباع النفوس لاترضى بحط الرؤس ومن كان رئيساً لا يرضى أن يصير مرؤساً وهذا سبب الخلاف والاختلاف بين الأمم فريق فى الجنة وفريق فى السعير واتفاق الناس كلهم على الحق خلاف الحكمة قال تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قيل للاختلاف وقيل للرحمة فالله يرحمنا وأحباءنا برحمته الخاصة والعامة آمين ثم ان الحق غريب وأهله غرباء فى كل زمان قال عليه السلام طوبى للغرباء وإلى هذا أشار بقوله

واعلم رعاك الله من صديق ... أن الورى حادوا عن التحقيق
إذ جهلوا النفوس والقلوبا ... وطلبوا مالم يكن مطلوبا
واشتغلوا بعالم الأبدان ... فالكل ناء منهم ودان
وأنكروا ما جهلوا وزعموا ... أن ليس بعد الجسم شىء يفهم

قلت ذكر رحمه الله أن الخلق حادوا أى أعرضوا عن طريق التحقيق التى هى علم الحقيقة فى عين الشريعة أو علم

شىء يتولد بين رؤية النعماء ورؤية التقصير (وقال) الفضيل علامة الشقاوة خمسة قلة الحياء وقسوة القلب وجمود العين والرغبة فى الدنيا وطول الأمل اه ثم على تقدير سلامة محاسنه من المساوى وتصفية حقائقه من الدعاوى فأمر المشيئة مبهم والسابقة والخاتمة غير معلوم أمرهما فلا يدرى ما يفعل الله به كما أبان ذلك فى المناجاة الثالثة عشرة بقوله (إلهى حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا الذى حال حالا ولا لذى مقال مقالا) قلت لاشك أن حكم الحق نافذ فى خلقه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وهذا هو الذى حرك قلوب العارفين فلم يطمئنوا بحال ولم يعتمدوا على عمل ولا مقال بل صاروا مضطرين إلى الله فى كل حال لأنهم قد علموا أن حكم الله نافذ كلمح البصر أو هو أقرب ومشيئته قاهرة لا يصرفها عن انفاذ مرادها صارف ولا تردها همة ولى ولا عارف ففى لحظة واحدة يقرب البعيد ويبعد القريب ويرفع الوضيع ويضع الرفيع ويعز الذليل ويذل العزيز ويغنى الفقير ويفقر الغنى ويبسط المقبوض ويقبض المبسوط ويمرض الصحيح ويصحح المريض فكيف يصح لعاقل أن يركن إلى حاله ومقامه أو يعتمد على علمه وأعماله أو يغتر ببسط لسانه ومقاله والله تعالى يقول (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون) قال بعضهم من أين للعبد ثبوت حال أو مقال وهو عين المقال فى الحال ذرة جلة جالت على معناها فلم تبغ منتهاها فوالله ما بلغ العبد شفعية معناها فأتى له بوترية معناها جوهرة رامت فلاحت وأومضت فغمضت وسكنت فتمكنت فبرزت من قعر بحر الغيب فغار منها القدر فأجناها فى سواد عينيها خيفة أن تنال أو تسم أو تعرف فلا كيف لها ولا أين ولا رحيم ولا عين ولا وصل ولا بين ومعنى قوله عين المقال فى الحال يعنى أن أمر العبد بين الكاف والنون فهو عين قول كن فى أسرع حال فالمراد بالمقال هو قول كن فيكون تصريف ذلك الأمر الحال وقوله ذرة جلة الخ الذرة النملة الصغيرة وجلة عظيمة أى

الربوبية فى عين العبودية وذكر أن سبب أعراضهم عن ذلك أربعة أمور .

(الأول) جهلهم بحال نفوسهم وقلوبهم فلم يدروا هل هى مريضة أو صحيحة وهل هى باقية على أصلها أو تغيرت ومن شعر بشىء أنكر وجود الطبيب ومن يردها إلى أصلها فبقى مريضاً على الدوام والتحق بمرتبة العوام .

(الثانى) انطماس بصيرتهم حتى اشتغلوا بطلب مالم يطلب منهم وفرطوا فيما طلب منهم فاشتغلوا بطلب الرزق المقسوم والحرص على الدنيا وجمعها واحتكارها وتركوا ما طلب منهم من حقوق مولاهم والتفكر فيما أولاهم فحادوا عن الطريق وأنكروا معالم التحقيق (وفى الخبر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لايدرك إلا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور وقال ابراهيم الخواص العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت

(الثالث) اشتغالهم بعالم الأشباح دون التعريج إلى عالم الأرواح فاشتغلوا بخدمة الحس وعلم الحس وعمل الحس وغفلوا عن علم القلوب وعمله وأنكروا ما يدل عليه فصارت خدمتهم حسية وعلومهم حسية رسمية وأعمالهم بدنية حرفية والحق من وراء ذلك كله وهذا كله بعد عن الوصول إلى التحقيق إلا بسابقة التوفيق فكل من اشتغل بخدمة الحس فهو بعيد فى حال قربه منقطع فى حال وصوله وهذا معنى قوله فالكل ناء منهم ودان أى فالكل منهم ناء أى بعيد وهو دان أى قريب (وفى) مناجاة الحكم إلهى ما أقربك منى وما أبعــدنى عنك الخ (الرابع) انكارهم لهذا المقام الذى جهلوا وهو علم التحقيق الذى هو الزوال ويسمى العالم الروحانى وزعموا أنه ليس شىء زائد على الأجسام الحسية وهم معذورون فى

ذرة صغيرة فى الحس عظيمة فى المعنى جالت بفكرها فى ادراك معناها فلم تبلغ منتهاها كناية عن عجائب صنعة البارى فى أصغر شيء فكيف بالانسان ولذلك قال فوالله ما بلغ العبد شفعية معناه وشفعية معنى العبد هى بشريته الظاهرة لأنها محل العبودية التى هى شفع باعتبار الربوبية ووترية معناه هى روحانيته لأنها واحدة وقوله جوهرة رامت المرادبالجوهرة هى الروح رامت أى قصدت الظهور فلاحت أى ظهرت فى هذا القالب البشرى وأومضت أى أشرقت أنوارها على ذلك القالب فغمضت أى استترت واحتجبت فلم يعلمها الا من وجدها ونفخها وسكنت فى قفصها فتمكنت فيه وقوله فبرزت من قعر بحر الغيب يشير الى أصل بروزها من بحر الجبروت فلما برزت الى عالم التكوين عالمة بأسرار الغيب وهى أسرار الملك غار منها القدر وخاف عليها أن تفشى أسرار الملك فأجناها أى أجنى عليها فى سواد عينها فحجبها عن تلك الأسرار خيفة أن تنال تلك الأسرار أو تظهر أو تعرف فلا كيف للروح ولا مكان ولا رحم لها بل هى درة يتيمة ولا عين لها تعرف ولا وصل لها بشيء ولا قطع لها عن شيء جل ربنا أن يتصل به شيء او يتصل هو بشيء والله أعلم وأنشدوا :

فالكل يطلب نعمى حيث ضل وما يحظى بنعمى سوى فرد بأفراد
مهلا علاك وعدمن حيث جئت وسل فى الدارئين غداعن ساكن الوادى
عساك تلقى خبيراً عالما بهم ينبيك عنهم ولم يلمم بميعاد

قال بعض الحكماء تالله ما ظفر بسعدى إلا من تاه فى أرض التقديس وتنزه عن الخسيس والنفيس فأصبح جسمه وروحه العصى ونفسه فرعون فكلامه صمت وصمته كلام ولسان حاله يخاطب جميع الآنام فلو عرضت عليه الشهادة فى باب الحجرة والموت داخلها على حسن الختام لترك الشهادة واختار الموت على أكمل التمام عملا على اليقين دون الشك والله

الانكار اذ لا يعرف البلد الا من وصلها

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وبالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق ثم هؤلاء الجهال لم يقنعوا بالانكار حتى كفروا من قال بشيء من ذلك كما قال :

وكفروا وزندقوا وبدعوا اذا دعاهم اللبيب الأورع

(قلت) هذا من الحرمان ، وعلامة الخذلان ، اذا دعاهم أحد الى التحقيق قالوا انه زنديق ، واذا خرق عوائد نفسه فى دواء قلبه قالوا انه صاحب بدعة وهذا كله حجاب وستر لأوليائه فاذا سمع المريد شيئاً من ذلك فليطب نفسا فتلك عناية به نعم ينبغى أن يحزم نفسه فى ستر السر الذى عنده فان أفشى شيئاً من ذلك فسيف الحلاج فوق رأسه ثم المنكر على الصوفية فى أقوالهم وأحوالهم ان كان ذلك من عدم فهمه فقد يعذر بجهله لضعف مدركه وضيق عطنه كما قال الحضرمى رضى الله عنه فى كتابه صدور المراتب ونيل المراغب ونصه بعد كلام (والجاحد) لمن يوحى اليه شيء من هذا الكلام وما يفهمه فهو معذور مسلم له حاله من باب الضعف والتقصير وهو مؤمن إيمان الخائفين ومن يفهم شيئاً من ذلك فهو لقوة إيمان واتساع دائرة ومشهده مشهد واسع سواء كان مورد نور أو ظلمة بحسب ما فى القوابل من الودائع الموضوعة على أى صفة كانت انتهى وان كان تعصبا وتزكية لنفسه وإرادة الترفع على غيره فهو هالك مثبور وعلامة الأولى الوقوف على حد ما يقع به التعبير من غير زيادة ولا تشنيع وعلامة الثانى التشنيع واتساع الدعوى والهروب من مواطن التحقق ومن رزقه الله التسليم فهو أولى (وقد) سئل النورى رحمه الله عن ابن العربى الحاتمى فقال الكلام كلام صوفى وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت الآية وكذلك قال ابن أبى زرعة فى شأنه أيضاً وفى ابن الفارض وذكر فيه كلام الناس من المنكرين وغيرهم وقال أن

خير وأبقى يا هذا ما أطيب عيش من دعى فأجاب ما أعز قدر من لازم الباب ما أخس قدر من أبعد عن الجنان ما أبخس قيمة من له على الغفلات انكباب إذا غلب الطبع فلا تنفع الحيلة ومن سبق له القضاء لم تنفعه الوسيلة فسبحان من يعطى ويمنع ويضر وينفع جذبت العناية سلمان الفارسي من أرض فارس ونودى بلال من بلاد الحبشة وأبو طالب على باب التحقيق وقد حرم التوفيق وقع الحكم ونفذ الأمر وسبقت المشيئة وجف القلم لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم اه وكما أن حكمه النافذ يهدم الاعتماد على الأحوال كذلك عدله القاهر يهدم الاعتماد على الأعمال كما أبان ذلك فى المناجاة الرابعة عشرة حيث قال (إلهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك) قلت لا ينبغى للعبد أن ينظر إلى شيء من طاعته وإن عظمت ولا أن يستحسن شيئاً من أحواله وان حسنت فالناقد بصير والرقيب على الضمائر خبير فكم من طاعة تعظم فى عين صاحبها كأمثال الجبال لا تساوى عند الله جناح بعوضة وكم من احوال تصفوا عند صاحبها وهى عند الله مدخولة وقد تقدم قوله لا كبيرة إذا قابلك فضله ولا صغيرة إذا واجهك عدله فمن قابله بفضله عادت كبائره صغائر ومن واجهه بعدله رجعت صغائره كبائر ولذلك قال هنا كم من طاعة بنيتها أى نميتها وكثرتها هدم اعتمادى عليها عدلك أى نظرى إلى عدلك فلما نظرت إلى عدلك تلاشت أعمالى واضمحلت أحوالى وكم من حالة شيدتها ورفعتها فلما نظرت إلى عدلك وشدة مناقشتك انهدمت وتلاشت بل أقالنى منها بأن زالت نسبتها عنى فضلك وهدايتك وتوفيقك فلم تبق لى طاعة ولا حال ورجع ذلك إلى الفاعل المختار الكبير المتعالى فالواجب على العبد أن ينسلخ من علمه وعمله وحاله ونفسه وروحه وحوله وقوته ويبقى فقيراً بين يدى سيده عبداً مملوكا لا يقدر على شيء قال بعضهم والله ما غاص فى بحر الفناء إلا من باع نفسه من الله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

يعترض على الكلام ويتركه القائل لاحتمال نوبته اه (قلت) وانكار أهل الظاهر على أهل الباطن لعدم فهم مقصودهم ولعدم الوصول إلى مقامهم ولذلك كان التسليم أولى بل هو نصف الولاية والله تعالى أعلم ثم ذكر سبب اعراضهم عمن دعاهم إلى الله فقال :

كل يرى أن ليس فوق فهمه   فهم ولا علم وراء علمه
محتجباً عن رؤية المراتب   عل يسمى عالما وطالب

(قلت) هذه سنة الله فى خلقه قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كل من كان فى مقام يرى أنه لا مقام فوق مقامه فان شوق إلى ما وراء ذلك أنكره وحكمة ذلك تمام الحكمة والكلمة التى سبقت له فى الأزل فان كان ممن سبق له شيء من هذه الخصوصية اذا شوقته تشوق وطلب فيوصله الله الى ما سبق له بخلاف ما اذا لم يسبق له شيء من ذلك اذا ذكرت له مراتب الرجال أنف وقال كان ذلك فيما مضى خوفا أن يسقط له جاهه ومرتبته عن عين الناس فباء بالخيبة والافلاس واحتجب عن مراتب الكمال وتخلف عن مقامات الرجال والعياذ بالله من مثل ذلك ودعواه أن لا فهم فوق فهمه ولا علم فوق علمه جهل عظيم فان فوق كل ذى علم عليم ومنتهى العلم الى الله العظيم كما أخبر تعالى فى كتابه الحكيم وقال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا واتساع دائرة العلوم وفتح مخازن الفهوم انما هى منح إلهية ومواهب اختصاصية لا تنال بكسب ولا احتيال وانما تنال بفضل الكبير المتعال مع حكمة صحبة الرجال والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وقوله) عل الخ لغة فى لعل أى انما أنكر لعله يسمى عالما وطالبا للعلم وهذه علامة الرياء أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ثم استبعد الناظم أن يصدر مثل هذا ممن له عقل كامل فقال

وأموالهم بأن لهم الجنة) كيف يخوض فى بحر الحقائق من لم يخلص علمه وعمله من الزيف وصيارفة الحق بالمحك المحمدى على الساحل يردون من لا يخلص هذا لمن وصل إلى ساحل ذلك البحر فكيف بمن ينكره ولا يصدق به أو يسير اليه منحرفا دون استقامة كما قيل :

ليس من بات قريراً عينه مثل من أصبح قعراً دارساً
ليس من أكرم بالوصل كمن ظل يهذى بلعل وعسى
ليس من ألبس أثواب التقى مثل الذى ألبس ثوباً دنساً
ليس من سير به مثل الذى بات يرعى الحمى مبتئساً
ليس من شاهد صبحاً واضحاً مثل الذى شاهد ليلا غاساً
ليس من بوىء روضات الحمى مثل الذى أسكن قفرا يابساً
ليس من أشبه غصنا يانعاً مثل من أشبه عودا يابساً

ثم ان عدم الاعتماد على العمل لا يقتضى ترك العمل بل يجب على العبد أن يداوم على العمل ولا يتكل عليه فان لم يقدر على مداومته بالفعل فبالمحبة والعزم كما بين ذلك فى المناجاة الخامسة عشرة بقوله (إلهى إنك تعلم وإن لم تدم الطاعة منى فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) قلت طاعة العبد لربه يجب أن تكون فعلا ومحبة وعزما فى كل لحظة ووقت فان لم يقدر على ذلك فليعزم على البر والتقوى وينو فعل الخيرات فنية المؤمن خير من عمله ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أى يعطيكم أفضل مما أخذ منكم من مال أو عمل وقال بعضهم الفعل الجزم هو وجود العمل والمحبة

هيهات هذا كله تقصير يأنفه الحاذق والنحرير

(قلت) النحرير هو الذى يحقق الأمور ويحررها يعنى أن القناعة بعز الناس ومدحهم مع فوات الحظ من الله بمعرفة الحقيقة لا يرضاها من كان صادقا نحريرا بل لا يرضاها الجاهل فضلا عن العالم (قال) فى الحكم استشرافك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك اه ثم حرض على النهوض إلى الله تعالى فقال :

فمن يرد موارد المواهب فكيف يرضى هذه الغياهب
فالعلم ما يلقى اليه حد بل ظاهر يخفى وخاف يبدو
والعلم لو كانت له نهاية يوقف عنـدها أو غاية
ما كان أذكى مرسل وأسمى قيل له قل رب زدنى علماً
فعش بما لديك ما حييت وجنب التعنيف والتعنيتا
والكل قد يعجبه الكلام فالزم هدى نفسك والسلام

(قلت) حاصل كلامه أن من أراد أن ينهل من موارد المواهب والأسرار وتشرق عليه شموس الأنوار فلا يرضى لنفسه الانكار على أولياء الله فيحارب بذلك مولاه ولا يحصر العلم فيما عنده وينكر أن يكون فوق علمه علم أو فوق حاله حال أو فوق مقامه مقام فلا يرضى بهذه المذاهب السخيفة إلا ذوو الهمم الضعيفة فالعلم لا يوجد اليه حد ينتهى اليه بل هو كالشموس والأقمار والنجوم لا يزال غاربا وطالعاً ومتوسطا مادام الدهر فعلوم العارفين كالشموس وعلوم السائرين كالأقمار وعلوم عامة

والعزم هو التوجه للعمل وكم من متوجه لم يلحق وكم من مجد لم يسبق لكن فى العزم ظهرت الحقائق وبه جاءت الشرائع وليس على العبد إلا القصد والجد والعزم وأما نفوذه فقد يقدر وقد لا يقدر والله غالب على أمره والمراد بالعزم القصد والنية هى توجه القلب للأمر المطلوب اه

واعلم أن متابعة العلم اختيارية ومتابعة الحال اضطرارية فما دام العبد معه بقية اختيار وجب عليه اتباع العلم وهو مقام السلوك فإن غلب الحال وجب اتباعه وهو مقام الجذب ومثل ذلك قضية الصديق حين أتى بماله كله فقال له الرسول عليه السلام ما تركت لأهلك فقال تركت لهم الله ورسوله ولم يلتفت لقوله صلى الله عليه وسلم فى حال التشريع لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما غلب الحال على العلم صار الحكم للحال فياله من مقام ما أعز شأنه وأرفع قدره عند المحققين فأنشدوا :

وحاشاهم من قادح فى طريقهم ومطلوبهم أسنى المطالب كلها
حباهم بتأييد وعز وعصمة فأكرم بأوصاف لهم ما أجلها

واعلم أن العازم على الخير فاعل والعازم على الوصول واصل وليس على العبد إلا الاجتهاد فإذا بذل مجهوده وأخلص مقصوده فهو والواصل سواء وكان شيخ شيخنا يقول من مات وهو فى الطريق أدركته الولاية بعد الموت على التحقيق اه وقال تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) وفى الحديث من مات فى طريق الحج فهو حاج ومن مات فى طريق الجهاد فهو مجاهد قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ومن مات فى طريق الله فهو شهيد) وفى الحديث من مات وهو يطلب العلم أى النافع ليس بينه وبين النبوة إلا درجة واحدة ومن توجه لأمر ولم يدركه فكأنما أدركه ولا بد فى مبادىء الأمور من الصبر والتحمل للمشاق وقمع النفس

أهل اليمين كالنجوم وهى فى الجميع تارة تظهر وتشرق بقوة الواردات وتارة تخفى بضعف الواردات ولا حد للعلوم والمعارف والأسرار فلو كان لها حد تنتهى إليه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى له (وقل رب زدنى علما) وهو سيد العارفين فدل على أن العلم لا نهاية له قال تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) واعلم أن جميع العلوم الرسمية كلها يبقى معها الافتقار إلى غيرها أو إلى الزيادة منها إلا علم الشهود إذا تحقق واطمأن العبد بالله فانه يحصل له الغنى الأكبر ولا يلتفت إلى علم آخر أبدا كمن عنده الفلوس أو الدراهم أو الذهب ثم وجد الاكسير فلا شك أنه يزهد فيما كان عنده ولا يلتفت إليه كذلك العارف لم تبق له حاجة إلى شىء إلا إلى مولاه قال سيدى عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه كنت أعرف أربعة عشر علما فلما أدركت الحقيقة سرطت ذلك كله ولم يبق لى إلا التفسير والحديث والمنطق اه فاذا حصل لك أيها المريد علم المعرفة فعش بما لديك منها ما حييت فهذه هى الحياة الطيبة التى لا يعقبها موت أبداً وجنب التعنيف والتعنيت فالتعنيف التغليظ فى الكلام والتعنيت المنازعة والمغالبة لأن هذه الحال من شأن الجهال فلا تبدى ما يفتح به عليك ولا تنكر ما لا ينتهى إليه علمك ولا تنازع من نازعك فللحقيقة رب يحميها وللطريقة نفس تصطفيها والنزاع لا يجلب إلا الشر فى الدنيا والنقص فى الدين وكلام القوم يعجب كل سامع له فلا يغرنك من الناس استحسانهم له حتى تطالبهم بحقائقه وتطمع فى سلوكهم عليه فان ذلك يتعبك ويفتح لك باب الدعوى والرعونة والشهوة فالزم إصلاح نفسك وهداها ولا تلتفت إلى ما سواها قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية (وقال) الفضيل رضى الله عنه هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذى رأى برأيه

عن الهوى والراحة ولذلك سمى الجهاد جهاداً والقاصد يطلب الباب بعد أن كان يطلب سواء السبيل فاذا وصل الباب أنتج له طلب الدخول فاذا دخل أنتج له الوصول فاذا وصل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وأنشدوا :

من فاته طلب الوصول ونيله منه فقل له ماالذى هو يطلب
حسب المحب فناؤه عما سوى محبوبه إن حاضر ومغيب

ثم إن عزم العبد على الطاعة ليس هو بيده حقيقة لكنه مأمور به شرعاوهو الذى نبه عليه فى المناجاة السادسة عشرة بقوله (إلهى كيف أعزم وأنت القاهر أم كيف لاأعزم وأنت الآمر) قلت محبة الطاعة والعزم عليها والعمل بها ليس إ هو من قدرة العبد وفعله فى الحقيقة وهو مأمور به من جهة الشريعة لتقوم الحجة وتظهر المحجة (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) إن الله لايظلم مثقال ذرة فمن نظر الى الباطن وجد العبد مجبوراً ومن نظر الى الظاهر وجده غير معذور فالواجب على الانسان وخصوصاً العارف أن ينظر بعين الحقيقة لبواطن الامور فيعذر الخلق لانهم مجبورون فى قوالب المختار وينظر بعين الشريعة لظواهر الامور فينفذ الحقوق ويقيم الحدود ستراً لسر الربوبية وإظهارا لوظائف العبودية لكن ذلك بلطف ولين قلبه يحن عليه وظاهره يغلظ عليه كالعبد يؤدب ابن سيده وهذا مضمن هذه المناجاة أى كيف أعزم على الطاعة وأعقد غليها وأنت القاهر لى فلا طاقة لى على فعلها وأنت تقهرنى عنها وهذه هى الحقيقة وكيف لاأعزم عليها وأنت الآمر لى بها فان لم أعزم عليها عذبتنى وهذه هى الشريعة فالواجب أن أعزم و تنظر ماتفعل فان وفقتنى للعمل فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة وإن لم توفقنى فأنت أهل العفو والمعذرة وأنت الفاعل المختار فالأمر أمرك والعبيد عبيدك ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ولو شاء ربك لهدى الناس قال الشطيبى رحمه الله أراد المؤلف أن يدل

فعليك بخويصة نفسك اه رزقنا الله العمل به الى الممات فى عافية دائمة وستر جميل آمين (هذا آخر الفصل الرابع) بحول الله وقوته يتلوه الفصل الخامس وبه الختام ختم الله لنا بالحسنى والمعرفة على التمام وحاصل هذا الفصل الانكار على بعض الفقراء تشبهوا بالفقر ولبسوا على الناس فأشار إلى الرد عليهم فى هذا الفصل فقال ﴿ الفصل الخامس فى فقراء العصر ومتشبهى الوقت ﴾ قال الشيخ زروق رضى الله عنه هذا الفصل فى مقابلة الذى قبله إذ ذاك فى الرد على أهل النقص من المتفقهة وهذا فى ذم المخلطين من المتفقرة وهو من أهم مايعرفه الصادق فى هذا الزمان ليحكم به على نفسه لاغير ذلك وذلك لما فى الوقت من الفساد والتخليط لاسيما وقد ورد أن فى صحف إبراهيم عليه السلام وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه ومعرفة الزمان وأهله أمر مهم فلابد من العلم به جملة وتفصيلا لأن من تعلم العلم لنفسه تنور ومن تعلم العلم للناس تحير ومن لاقى الناس بالنية أفلح ومن لاقاهم بالاعتراض خسر ولكل قوم حثالة وهؤلاء الذين يذكر أوصافهم بعدهم حثالة المتشبهين فارحمهم وعظمهم ونبههم وذكرهم وحذر الصادقين من فعلهم ثم ان تمادوا فلا تشتغل بهم ولا تغير إلا حيث يجب عليك التغيير بحكم الشروع فهو فى كل أمر بين متفق عليه تقدر على تغييره من غير أن يؤدى لمنكر آخر أعظم منه أو مثله وبالله التوفيق انتهى ثم افتتح بتغيير الطريق الذى كان عليها السلف الصالح فقال

اذا علمت كيف كان الحال والشيخ والتلميذ ثم حالوا
فاعلم بأن أهل هذا العصر قد شغلو بمحدثات الامر
اذا أحدثوا بينهم اصطلاحا لم أر للدين به صلاحا

المريدين على مقام الجمع بين الحقيقة والشريعة لأن عزم العبد مطلوب منه شريعة ونتيجته مسلوبة منه فى الحقيقة ولايثبت بينهما إلامن ثبته الله فلهذا تعجب الشيخ رحمه الله من تضاد الطالبين لأنه خارج عن مقدور البشر لكن لما كان الانسان نسخة الوجود وأشرف كل موجود أودع فيه من أسرار حكمته ما يؤلف بين الضدين ويجمع بين الكفؤين قال تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) فمن أظهر أثر البرزخية على جوارحه عمل أعمال الدنيا والآخرة ومن أظهر أثر البرزخية على قلبه جمع بين أعمال الآخرة ومشاهدة الحضرة وأشرق نورها عليه ومن أظهر أثر البرزخية على روحه جمع بين المشاهدة والمحبة ثم قال واعلم أن الأجسام تموت وتبعث وتنشر وكذلك النفوس والأرواح فأما موت الأجسام فهو عند الخروج من الدنيا وتبدل القصور بالقبور وأما موت النفوس فهى عند الخروج من الحظوظ وتبدلها بالحقوق وأما موت الارواح فهو رجوعها لمعالمها النورانى وصفحة الملأ الأعلى على الهاجس النفسانى فاذا لم يبق للنفس نظر إلا لله ولا للروح تعلق إلا بالله وفنى من لم يكن وبقى من لم يزل انجمع الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر وتعينت المشاهدة من كل وجهة وخوطب من سوى الحق بقوله تعالى كل شىء هالك إلا وجهه وحينئذ يهتف هاتف التجريد من مقام التفريد لمن الملك اليوم فلم يجبه من عوالم البشرية والصور الاثرية مجيب فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار اه والمراد منه مختصرا وإنما أمر الله تعالى بالطاعة والعزم عليها لأنها سبب الوصول اليه حسبما جعلها الحق تعالى حكمة وشريعة كما بين ذلك فى المناجاة السابعة عشرة بقوله (إلهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك) قلت التردد فى الآثار هو التردد بين إثباته ونفيه وهى حالة المستشرفين فاذا أثبته مستقلا كان فى حالة البعد وإذا نفاه كان فى حالة الجمع فطلب الجمع على الدوام بحيث لا يبقى له تردد فى نفيه واثباته بالله وهو مقام البقاء فاثبات الأثر بالنفس على الدوام هو بعد على الدوام

وصنفوا بينهم أحكاما أكثرها كانت لهم حراما
وانتهجوا مناهج منكوسة وارتكبوا طريقة معكوسة

(قلت) لما أخبر فى كتابه ماكان حال الصوفيه المحققين وما كان حال شيوخ التربية أخبرك هنا أن ذلك قد حال أى تغير ولم يبق على حاله فلا تغتر بمن يدعى حالة مع الله حتى تختبره فى حب الدنيا والميل اليها إن أردت أن تصحبه والا فلا عليك فحسن الظن بعباد الله ليس فوقه شىء من الخير وسوء الظن بعباد الله ليس فوقه شىء من الشر وماذا علينا اذا اعتقدنا أن الناس كلهم صالحون وأولياء لا والله لايزيدنا ذلك الا قربا من الحق مع المحافظة على رسوم الشريعة.

(وقد) قال الصحابى الجليل سيدى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من خادعنا فى الله انخدعنا له اه (وفى) الحديث المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم والغر بكسر الغين هو الذى يغتر لحسن ظنه ونيته والخب بفتح الخاء وكسرها هو الخداع قاله المنذرى والمؤمن يلتمس المعاذير يلتمس سبعين عذرا لاخيه المؤمن سيما أهل النسبة فالواجب تعظيم الجانب الحرمة لمن انتسب اليه فان كان كاذبا فعليه كذبه وادخال ألف رجل فى الولاية أفضل عند الله من اخراج ولى واحد منها والخلق عيال الله فمن مدح عياله أحبه ومن نقص عياله أبغضه (قال) فى النصيحة الكافية وأما الفقراء فيسلم لهم فى كل شىء لايقتضى العلم انكاره قال الشارح مالا يقتضى العلم انكاره على ضربين أحدهما ما يعرفه الناس ويعتقدونه كذلك فهذا لاينكره أحد على أحد (الثانى) ما يعتقدون قبحه ونقص المتصف به لعارض غلب عليه وهو الذى يحتاج إلى التنبيه به والتوصية بترك انكاره كترك الخوف ومجانبة الأسباب فان الناس ينقصون صاحب ذلك ويحملونه على العجز والكسل

وهو مقام أهل الحجاب من العوام ونفيه على الدوام هومقام أهل الجمع من أهل الفناء والجذب ونفيه ثم إثباته بالله هو مقام أهل البقاء قياما بوظائف الحكمة والقدرة وجمعاً بين الحقيقة والشريعة وهذه المناجاة إنما تليق بأهل الاستشراف ولوأراد الشيخ رضي الله عنه أن ينبه على مناجاة السائرين والواصلين والمتمكنين لقال بعدهذه المناجاة التي هي للسائرين إلهي تنزها في الأنوار يوجب قرب المسار فاجمعني اليك بفكرة توصلني اليك وهذه مناجاة الواصلين قبل الرسوخ والتمكين ثم يقول إلهي تنزهي في الاسرار يوجب وصل المسار فاجمعني اليك بنظرة تقيمني بين يديك وهذا غاية الجمع وهو تمكن النظرة ودوام شهود الحضرة ولايذوق هذا إلا من سبقت له الخدمة وتداركته عناية الجذبة فأصبح من الفائزين ولمحبوبه من الواصلين (وقد قيل) إذا أبغض الله عبداً والعياذ بالله طرده عن بابه وشغله عنه بمكابدة رفع حجابه وليس له طاقة على ذلك مالم يكن الله في عونه وهو معنى لاحول ولاقوة إلا بالله لكن العنين لا يدرك لذة الجماع والأعمى لا يدرك حب الساحات والبقاع قيل ان بعض المجموعين على الله أراد التستر عن مقامه فكان لايسئل عن شيء الاقال هو فقيل له لعلك تعني الله فسقط ميتاً ويسمى عندهم جمع الجمع وهو خاص بخواص الخواص وقيل بالأنبياء عليهم السلام وقيل بالرسل وقيل بنبينا (محمد) صلى الله عليه وسلم ولا يمكن الوصول الى هذا إلا برفع الهمة عن الكونين وخلع النعلين من الدارين قال بعضهم عرضت على الدنيا بزخرفها وزينتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنان بقصورها وحورها وحللها فأعرضت عنها فقيل لي لو وقفت مع الدنيا لحجبناك عن الآخرة ولو التفت الى الآخرة لحجبناك عنا فارض بنا عما سوانا وقسطك يأتيك من الدنيا والآخرة وقال آخر رأيت رجلا وضع سجادة على الماء ومضت بهفتلت في نفسي فاز الرجل وأنا لم أصلح للدنيا ولاللآخرة فسمعت هاتفاً يقول من لم يصلح للدنيا وللآخرة يصلح لنا قال الشطيبي ثم ان التردد في الآثار والنظر

ويتهمونه بالطمع والتشوف إلى مافي أيدي الناس وكلبس المرقعات فانهم يرون أن صاحبه اتخذه شبكة يصطاد به وجعله باباللسؤال ومسلكا للاغترار مع أنه قديكون كذلك وقدلا ، فالسلامة في التسليم فمن انتمى لطريق القوم وانتسب اليهم يسلمله حاله في مثل ذلك ثم قال في النصيحة وما وجب انكاره أنكر عليهم مع اعتقاد كمالهم قال الشارح لأن انتسابهم لجناب الحق مقتض لذلك يعظم المنتسب له ولو كان في نفس الأمر كاذبا قال في العدة لأن وجود انتسابه شاهد بتعظيمه للجناب الذي انتسب اليه في نظره ولذلك ماتعرض أحد قط لمنتسب بأذى الاأصابه منه ضرر لأن الحق سبحانه يغار لهتك جنابه إلا بأمر منه فإذا وقع المنتسب في أمر فيه حق من حقوق الله أقيم عليه الحق وحفظت حرمته في نسبته لحديث لاتلعنه فإنه يحب الله ورسوله الحديث اه ثم قال وبالجملة فالنسبة لها حق عظيم

رأى المجنون في البيداء كلباً فجر له من الاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه وقالوا لمأنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة إن عيني رأته مـــرة في حي ليلا

ثم قال في النصيحة اذلايبعد أن تكون للولي الهفوة والهفوات والزلة والزلات قال الشارح ويفهم من تعبيره بالمفرد المختوم بتاء الوحدة وبجمع القلة أن وقوع ذلك منهم نادر وذلك لأن الشيطان لاتسليطله على قلوبهم وإنما يطوف بها كالسارق (وقال) في كتاب الانتباه لاسبيل للشيطان الى دخول قلوب الأولياء التي هي معدن الأسرار ومظهر الأنوار فلا تحوم حولها الاسارقا والسارق إنمايقضي غرضه من الغافل والنائم وهم في مقام الانتباه واليقظة فاذا استشعروا شيئامن همزاته

اليه إنما لأهل الدليل المفتقرين للنظر اليه ليستدلوا به على صانعه وأما أهل الشهود فهم أغنياء عن الأثر لأن ظهور الحق عندهم أظهر من غيره بل لاوجود لغيره أصلاً وإلى هذا أشار فى المناجاة الثامنة عشرة بقوله (إلهى كيف يستدل عليك بماهو فى وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك) قلت قد تعجب الشيخ رضى الله عنه ممن يستدل على الله بنوره بعد كمال ظهوره فكيف يفتقر النور بعد ظهوره إلى دليل يدل على وجوده وكيف يحتاج إلى دليل من هو أظهر من كل دليل أم كيف يفتقر الى دليل من نصب الدليل ولله در القائل :

عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذى أشهدته كل شاهد

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشىء من سبق وجوده كل شىء اه

(قلت) فياعجبا كيف تكون الفروع أظهر من الأصول ولولا الأصول لم يكن للفروع حصول أم كيف تكون السواقى والأنهار الجارية من البحار أظهر من تلك البحار ومافاضت أنوار الملكوت إلا من بحار الجبروت لكن البصيرة العميا لاترى الشمس فى أفق السماء ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء قال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله فقال له أسحقك الله أتطلب مع العين أين وقال رجل للجنيد رضى الله عنه ياأبا القاسم هل رأيتم ربكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول اليه بقلوبكم فقال الجنيد رضى الله عنه أيها السائل ماكنا لنعبد ربا لانراه وماكنا بالذى تراه أعيننا فنشبهه وماكنا بالذى نجهله فلا ننزهه فقال له الرجل فكيف رأيتموه فقال له الكيفية معلومة فى حق البشر مجهولة فى حق الرب لن تراه الأبصار فى هذه الدار بمشاهدة العيان ولكن تعرفه القلوب بحقائق الإيمان ثم تترقى من المعرفة إلى الرؤية بمشاهدة نور الامتنان

رموه بشهب أدلة التوحيد فانقلب خائبا لمانع حماية الرحمن كما قال الله تعالى (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) والتعبير بالسلطان يدل على الغلبة والله أعلم اى لاغلبة لك عليهم فبان بهذا أنه وان رام القرب منهم فلاينال غرضه وان توصل إلى بعض الوسوسة فمحلها ظاهر القلب لاباطنه الذى هو محل المعرفة بالله ولايستقر لها أى للوسوسة قرار لثبوت يقظتهم وقوة نور بصائرهم فاذا استشعرها القلب كان كما أخبر الله عنهم بقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون فانظر لم ينف عنهم حكم الوسوسة ولكن أثبت لهم اليقظة المتضمنة نفى الاغواء الذى هو الاصرار كما هو وصف من ذكر من أهل الغفلة فى الاية الثالثة اهـ ثم قال فى النصيحة اذ الأولياء محفوظون والحفظ يجوز معه الوقوع فى المعصية أى بخلاف العصمة الا أنه لايجوز معه الاصرار ولايقتدى به فى مثلها وقد سئل الجنيد رضى الله عنه أيزنى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا وقال ابن عطاء الله رحمه الله ليت شعرى لو قيل له أتتعلق همة العارف بغير الله لقال لا ولا ينكر على الفقراء لامحرم مجمع على تحريمه ولايسلم لهم الافيما له صورة ليباح لهامن الأفعال انتهى كلام النصيحة وانما نقلته مع غيره لينزل عليه مايذكره الناظم من التشنيع على متفقرة وقته فقوله اذا علمت الخ أى اذا علمت أحوال الصوفية والشيوخ والتلامذة كيف كانت أحوالهم على ماوصفت لك فى كتابى علمت أن أهل العصر خرجوا عن طريقهم واشتغلوا ببدع محدثات فى أمور الدين فلا تقتديهم ونبههم بالتى هى أحسن ان قدرت والا فشأنك بنفسك ولا تنتقد فان البواطن لايعلم مافيها الاالله وليست كل بدعة محرمة فان فيها ماهو واجب وما هو محرم وما هو مكروه وما هو مباح فالبدعة المحرمة هى التى تنقض قاعدة من قواعد الشرع كتحليل حرام أوتحريم حلال وجل أحوال الصوفية انما هى بدع مستحسنة أومباحة كتعليق السبحة

فهو سبحانه مرئى بالحقائق القدسية منزه عن الصفات الحدثية مقدس بجماله منعوت بكماله متفضل على القلوب بمواهبه معروف بعدله منعوت بفضله اه فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه الخير ولزم صحبته حتى مات رحمة الله عليهما واعلم أن أهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع وبالشاهد على الغائب وأهل العيان صار الغيب عندهم شهادة والدليل عين المدلول فالقسم الأول أهل علم اليقين والثانى أهل عين اليقين أو حق اليقين القسم الأول عوام والثانى خواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو الحسن أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان قدسوا الحق فى ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه فهو معنى قول الشيخ هنا إلهى كيف يستدل عليك بما أى بالكون الذى هو فى وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك على تقدير وجوده من الظهور ماليس لك منى غبت عن البصائر والعيان حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك وذلك الدليل لا قيام له إلا بك محال أن يظهر فى الوجود غير نورك ومتى بعدت عن الأشياء التى قامت بك أى بقدرتك حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك لا مسافة بينك وبين خلقك ولا قطعة تقطعهم عنك إلا وجود الوهم وقاهرية الحجاب أعاذنا الله منه بمنه وكرمه وكيف تجوز عليه الغيبة وهو الرقيب القريب كما أبان ذلك فى المناجاة التاسعة عشر بقوله (إلهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل من حبك نصيبا) قلت الظاهر أن هذا اخبار بأن كل عين خلت من مراقبة الحق تعالى فهى عمياء وكل صفقة خلت من محبة الله فهى خاسرة ويكون العمى فى حقها معنويا فكأنها حيث لم تراقب الله تعالى ولم تستحى منه عمياء لأن الله سبحانه وتعالى يقول (ان الله كان عليكم رقيبا) وقال تعالى (وماتكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) فمن لم يعتقد هذا فهو كافر ومن اعتقده ولم يستحى من الله فهو جاهل أعمى البصيرة وقد قالوا ان الحياء جله من البصر ألا ترى أن الأعمى قليل الحياء فدل أن البصر الذى لم يراقب الله تعالى ولم يستحى منه ليس ببصر وانما هو عمى ويحتمل

والقيام للذكر جماعة وغير ذلك (وقوله) إذ أحدثوا بينهم اصطلاحا الخ ينظر فى هذه الاصطلاحات فان كانت لاتغير شيئا من قواعد الدين فلا اعتراض وإلا فليرشدهم برفق وقوله وصنفوا الخ أى صنفوا تصانيف فيما أحدثوا من البدع وأكثرها كانت حراما عند الصوفية وينظر فيها اليوم بميزان الشريعة كما تقدم (وقوله) وانتهجوا أى سلكوا مناهج وطرقا منكوسة أى غير مستقيمة وارتكبوا طريقة معكوسة مع طريق الصوفية فطريق الصوفية ترك الدنيا وأهلها وإيثار الزهد والخمول فكل من مال للدنيا وأهلها أو مال لحب الشهوة فقد عكس طريقهم وسلك طريقة منكوسة (وفى) بعض الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء يوم القيامة بأقوام معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا جىء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم فى النار قيل يارسول الله بين لنا هؤلاء حتى نعرفهم قال انهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون وهنا من الليل ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شىء من الحرام وفى روايةمن الدنيا وثبوا عليه وثبة الأسد على فريسته اه أعاذنا الله من النفاق ثم قال :

تالله قد كان طريقا قصداً والآن ما نلقى اليه واردا

(قلت) يريد أن طريق التصوف كان طريقا قاصدا أى مقصودا مسلوكا والآن لا تجد عليه واردا أى سالكا أو كان قاصد أى متوسطا معتدلا ليس فيه افراط ولا تفريط ثم جاء قوم أفرطوا وقوم فرطوا وخير الامور أوسطها ثم قال

فهذه طريقة قد درست وشجر أغصانها قد يبست

(قلت) معنى درست ذهبت واضمحلت ودروسها باندراس أهلها وشبهها بالشجر لانها أصل وفرع ومادة ويبس أغصانها يؤدى إلى عدم ثمرتها ولايكون إلا لما دخل على أصلها من الاختلاف أما من جهة المريد لعدم صدقه أو من جهة الشيخ لعدم

أن يريد بالعين عين البصيرة قال بعضهم إذا عصيت الله فاعصه بموضع لا يراك فمن لم يستحي من نظر الحق وبارز مولاه بأنواع المعاصي فقد عميت عين بصيرته وسئل بعضهم بم يستعين العبد على حفظ بصره فقال بعلمه بأن رؤية الحق تسبق بصره اه وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان والصفقة هي ما يشترى جملة وكنى بها عن حظ العبد وقسمته الأزلية فمن كان حظه من الله المقت والبعد فصفقته خاسرة نسئل الله العافية كان بعض السادات يبكي فقيل له لم هذا البكاء فقال له ليس بكائي من ذنوبي وعصياني لأن ذلك من صفة نفسي وإنما بكائي على أن كانت أقساما قسمت وحظوظا أجريت وكان حظي منها البعد اه وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء عليهم السلام يا عبدي أنا لك محب فبحق عليك كن لي محبا فمحبة الله لعبده تقريبه واجتباؤه لحضرته ومحبة العبد لله طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه والاستسلام لقهره فهذه أوائل المحبة وهي كسبية ونهايتها كشف الحجاب وفتح الباب والدخول مع الأحباب وهذه وهبية نتيجة الكسبية وإلى هذا المعنى أشارت رابعة العدوية في شعرها حيث قالت

أحبك حبين حب الهوى … وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى … فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له … فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي … ولكن لك الحمد في ذا وذاك

كما له ثم قال :

كانت ادن موارد شريفة … فاستبدلت مذاهبا سخيفة

(قلت) كانت طريق التصوف مشارب ومناهل شريفة من شرب منها شربة المحبة لا يظمأ بعدها أبدا كانت إذا شرب المريد من خمرة شيخه سكر وصحا وفنى عن أوصافه المذمومة وبقي بأوصاف محمودة فاستبدلت تلك الطريقة بمذاهب سخيفة أي قبيحة خسيسة يسلكها كل سخيف خسيس والخبر لا ينقطع إلى أن يأتي أمر الله وقال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) فقال :

قد أسست على صحيح العقل … وأسسها الآن بمحض الجهل

(قلت) كانت طريق التصوف مؤسسة على الكتاب والسنة وإلهامات العارفين الذين تنورت عقولهم وانصقلت مرآة قلوبهم فتجلى فيها ما كان حقا وزهق منها ما كان باطلا فكانت طريقتهم مبنية على التحقيق ثم صارت مؤسسة على الحدس والتخمين ومجرد التقليد بلا ذوق ولا وجدان فادعاها كل جاهل ولهان بحب الدنيا سكران نسئل الله العصمة مواطن الخذلان فقال :

يدعى الذي يمشي عليها سالك … وسالكوها اليوم حزب هالك

(قلت) السالك هو الذي يرى الخلق وتستدل بهم على الحق والمجذوب هو الذي يرى الحق ويستدل به على الخلق والسالك المجذوب هو الذي يرى الخلق بعين الجمع لا يحجبه خلق عن حق ولا حق عن خلق وقد تقدم في محله فكانت طريق القوم يسمى الذي دخل فيها سالكا أي سائرا إلى الله قال الناظم في زمانه وسالكوها اليوم حزب هالك لما رأى فيهم من الخلل ثم قال :

بها عاش القوم بخير عيشة … فصيرت بعدهم معيشة

(قلت) كانت طريق التصوف من دخل فيها حييت روحه بمعرفة الله وطابت حياته بذكر الله فعاش عيشة طيبة قال

فأشارت رضى الله عنها إلى أن محبة العبد لله على قسمين قسم ناشىء عن شهود الإحسان وقسم ناشىء عن شهود الجمال فأما الاول الذى هو ناشىء عن شهود الإحسان فلا شك أن العبد إذا نظر إلى إحسان الله تعالى وانعامه عليه بضروب النعم الحسية والمعنوية أحبه لا محالة لان القلوب مجبولة على حب من أحسنَ إليها وهذا هو المسمى بحب الهوى أى الميل وهو مكتسب لأن الانسان مغمور بإحسانات الله إليه وهو متمكن من النظر فيها فلا يزال يطالع نعمة بعد نعمة ومنة بعد منة وكل نعمة أعظم من التى قبلها فتعظم محبته لمولاه وبذلك يبلغ قصده ومناه وأما الثانى وهو الناشىء عن نعمة الجمال فان العبد إذا كشف الحجاب عن قلبه وزالت عنه الموانع والقواطع رأى جمال الحق وكماله وأشرقت أنوار الحضرة وسناها على قلبه والجمال محبوب بالطبع فانعقدت المحبة بينه وبين مولاه وانما خصصت رابعة رضى الله عنها الحب الناشىء عن شهود الجمال بالاهلية دون الأول وان كان أهلا للجميع لأن هذا منة الله لا كسب للعبد فيه والآخر فيه سبب وعمل العبد معلول وقولها فشغلى بذكرك عمن سواك من باب التعبير بالمسبب عن السبب والاصل فثمرته شغلى بذكرك الخ وقولها أيضا فكشفك للحجب حتى أراك من باب التعبير بالسبب عن المسبب عكس ما قبله والاصل فسببه ومنشؤه الحجاب حتى رأيتك بعين قلبي وقولها فلا الحمد الخ أخبار منها بأن الحبين معا منه وإليه فى الحقيقة لا كسب لها فى ذلك وادراك التفاوت بين ما تؤثره شربة المحبة الناشئة عن شهود الإحسان وما تؤثره شربة المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت الكمال وأن أثر الثانية أقوى من اثر الأولى بل لا نسبة بينهما ضرورى عند كل ذائق اهـ قاله الفاسى فى شرح الرائية فقول الشيخ رضى الله عنه لم تجعل له من حبك نصيبا يحتمل أن يكون من اضافة المصدر إلى الفاعل والمفعول والاول بلغ لان محبة الله لعبده أعظم لانها أصل محبة العبد لمولاه قال تعالى (يحبهم ويحبونه) فمن أعطاه الله تعالى من حبه المذكور

تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) فالحياة الطيبة هى الغنى بالله وقال السرى السقطى من عرف عاش ومن مال إلى الدنيا عاش والاحمق يغدو ويروح بلاش اهـ ثم صار عند قوم حرفة ومعيشة يتمعشون بها ويتخذونها شبكة يصطادون بها الدنيا والجاه والعياذ بالله ثم قال :

وكانت تضاهى الكوكب المنيرا والآن أضحت حائطا قصيرا

(قلت) كانت طريق القوم رفيعة القدر عالية الشأن تضاهى أى تشابه وتحاكى الكوكب المضىء فى الرفعة والاشراق لما يظهر على أهلها من شروق الانوار وابتهاج الاسرار فكان لا يدخلها ولا ينتسب إليها إلا الاخيار من الزهاد والعباد الذين علت همتهم وصلح قصدهم ونيتهم والآن صار ينسب إليها الاشرار والتجار فتجد فيها هذا قائد وهذا باشا وهذا حرسى وغير ذلك فنهم من يتخذها حصنا يتحصن بها من عواقب ظلمة يظن ذلك ينفعه بزعمه ومنهم من يتخذها حرفة فصارت كالحائط القصير يتخطاه القوى والضعيف وسبب ذلك عدم سقوطهم على شيخ التربية إذ لو وجدوه لامرهم بخرق عوائد أنفسهم فيفرون منه لكنهم انتسبوا للأموات ووجدوا راحة نفوسهم فبقوا مع عوائدهم فازداد حجابهم والعياذ بالله ثم قال :

إذ صار لا يعلم منها إلا أكلا ورقصا وغنى وسؤلا

(قلت) الحصر فى قوله لا يعلم منها الخ يقتضى أن الطريق الموجودة فى زمانه ليس فيها علم ولا حال ولا ذوق ولا معرفة ولا شهود وانما يعرف منها الاكل والرقص والغناء والسؤال (وقال) الشيخ عبد الوارث لم يبق منها إلا الأكل بلا صيام والرقص دون أحوال والتواجد بلا وجد والتملق لانفسهم وهواهم وسلاطينهم اهـ وانما كانت طريق القوم مقصودة لتهذيب

نصيباً فقد حازربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته نسئل الله منته ورحمته قال زيد بن أسلم رضى الله عنه ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقوله اصنع ما شئت فقد غفرت لك اه من ابن عباد ولما كانت نهاية المحبة الفناء فى المحبوب ونهاية الفناء البقاء وهو الرجوع إلى الأثر أشار إلى ذلك الشيخ فقال فى المناجاة الموفية عشرين (إلهى أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعنى اليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت عليك منها مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير) قلت الرجوع إلى الآثار هو النزول من عش الحضرة التى هى الإغراق فى بحر الوحدة والغيبة عن السوى بالكلية إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فينزلون إلى سماء الحقوق أدباً مع الربوبية وقياما بحقوق العبودية وإلى أرض الحظوظ أدباً مع الحكمة وإظهاراً لوظائف العبودية ومثال الأول وهو النزول إلى سماء الحقوق ما يلزم العبد من العبادات البدنية أو المالية مؤقته أو غير مؤقته ومثال الثانى وهو النزول إلى أرض الحظوظ ما تفتقر اليه البشرية من مأكل ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك من الأمور الحاجية وقد أمر الله تعالى بهما ليتميز سر الربوبية من سر العبودية أو ليظهر استغناء الربوبية بافتقار العبودية فطلب الشيخ رضى الله عنه أن يرده إليها بعد أن كان رحل عنها بهمته بكسوة الانوار وهى أنوار الشهود فيكون رجوعه إلى الأثر بالله غائبا عن حظه وهواه وقد كان قبل أن يرحل عنها يتعاطاها بنفسه بعد متعته وحظه فلما عرف الحق غاب عن نفسه فاذا رجع الى رسم بشريته رجع اليه بالله قد كساه أنوار الشهود عن الالتفات الى سواه وطلب أيضاً أن يكون رجوعه الى الآثار متلبسا بهداية الاستبصار وهى تحقيق المعرفة فى الاشياء التى يتعاطاها كانت عبادات أو عادات فلا يسرقه فيها طبع ولا حس بل يدخل فيها بالله ومن الله والى الله ويخرج منها كذلك وهو معنى قوله حتى أرجع اليك منها أي حتى تكون تلك الاشياء هى التى تردنى اليك حين تعرفك فيها وتشاهد

القلوب ورياضة النفوس والتخلص من أوصاف البشرية والتخلق بأخلاق الروحانية ومعرفة الشهود والادب مع الملك المعبود وقد يوجد فيها ما ذكره الناظم لكنه لم يكن مقصود وانما كان دواء ولعل الناظم تحقق ذلك من فقراء زمانه بأمارة والا فالتسليم لأهل النسبة أولى كما تقدم ثم قال

وكانت على الانصاف والنصيحة　　فهى على الاسراف والفضيحة

(قلت) كانت طريق القوم مبنية على الانصاف فكان أربابها ينصفون من أنفسهم ويرجعون الى الحق ويقبلونه من قائله كائنا من كان وكانوا يتناصحون ينصح بعضهم بعضاً وينصح جميع المسلمين كل من يلقاهم أرشدوه وعلى الله دلوه ثم صارت مبنية على الاسراف فى الكلام وفى كل شيء ترى أحدهم يتكلف الف كلمة يقضى فائدة واحدة وصارت فضيحة واذا نصح أحدهم عنف وغضب وجهه وأغلظ فى القول حتى يفضح من نصحه وقد قالوا من نصحك وحدك فقد نصحك ومن نصحك مع الناس فقد فضحك والله تعالى أعلم ثم قال

تعرف بالخلق والإيثار　　والآن بالحقد وبالإقتار

(قلت) كانت طريق القوم يعرف أهلها بالاخلاق الحسنة كالحلم والسخاء والإيثار وهو الإعطاء من الأقتار كما قال الشاعر

ليس العطاء من الفضول سماحة　　حتى تجود وما لديك قليل

وكان من أخلاقهم أيضاً التواضع وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق ثم تبدلت هذه الاخلاق بالحقد والحسد والكبر والبغض والغضب والقلق والشح والبخل والترفع وهو الإيثار فصار المنتسبون يبغض بعضهم بعضاً أو يحسد بعضهم

عظمتك ونور جبروتك فيها إذ الوجود كله مستمد من بحر جبروتك فالعارف يشرب من كل شيء ويتقوت من كل شيء يأخذ النصيب من كل شيء ولا ينقص من نوره شيء فتحصل أن كسوة الأنوار هي دخوله في العبادات وفي العادات بالله لا بنفسه وهداية الاستبصار هي معرفته في تلك الآثار التي نزل إليها ورجع لها وقوله كما دخلت إليك منها معناه أنه كان مع الأكوان وهي حاجبة له عن شهود المكون فلما عرف فيها كان دخوله على الله منها وهذا كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه :

الخلق نور وأنا رعيت فيهم   هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

وإذا دخل في الأشياء بالله وشهد فيها أنوار الإله قطعا كان مصون السر عن النظر إليها على أنها كونية مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها كانت عبادات أو أسبابا أو عادات لأن العارف غني بالله لا يفتقر إلى شيء سواه ولا يعتمد إلا على مولاه فإنه غني حميد سميع بصير على كل شيء قدير ثم إذا رجع العبد إلى الآثار فلابد أن يظهر على ظاهره أثر الذل والافتقار تحقيقاً لوظائف العبودية وقياما بآداب الربوبية كما أبان ذلك في المناجاة الواحدة والعشرين بقوله (إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك لا بغيرك فاهدني بنورك إليك وأقمني بصدق العبودية بين يديك) قلت هذا اعتراف منه رضي الله عنه بغاية الذل والانكسار وإظهار لشدة الفاقة والاضطرار والانطراح على باب مولاه في اظهار ذله وبث شكواه فلا شك أن الله سبحانه قد كساه حلة العز والافتخار وبهاه بين خلقه بالظهور والاشتهار حتى صار كلامه تحيي به القلوب والاسماع ويعظم به التأثير والانتفاع وذلك ثمرة من تذلل بين يدي العزيز الحكيم الغني الكريم كما قيل :

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة   فكم عزة قد نالها المرء بالذل

بعضا لتمكن حب الجاه والدنيا من قلوبهم نسأل الله السلامة من الجميع ثم قال :

وكانت أجل غبطة وخطه   والآن فهي بدعة وخاطه

(قلت) كانت طريق القوم أجل ما يغتبط أي يفرح بها وينافس فيها لأنها كانت طريق الوصول إلى الفناء الأكبر قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وكانت أجل خطة أي حرفة وأرفع رتبة إذ لا طريق أرفع منها فصارت بعد ذلك بدعة وتخليطا لقلة أهل الصفاء وبالله التوفيق ثم قال :

كانت على مجرد الصيام   والآن في مجرد الطعام

(قلت) كانت طريق التصرف مبنية على تصفية القلوب ورياضة النفوس بخرق عوائدها وتعكيس مألوفاتها فمن كان طبعه نهمة الطعام أمروه بالصيام ومن كان مولعا بالكلام أمروه بالصمت ومن كان مولعا بجمع الدنيا أمروه بالزهد ومن كان مبتلى بالجاه أمروه بالخمول وهكذا وليست طريقهم محصورة في الصيام ولا في غيره بل الشيخ كالطبيب يعامل كل واحد بما فيه دواء نفسه والسلام ثم قال :

وفي السماع كان غلق الباب   والآن عند جفن جواب

الجفنة هي القصعة الكبيرة والجوابي جمع جوبة وهي حفرة كالصهريج شبهت بها القصعة الكبيرة (قلت) قد تقدم أن السماع إنما هو رخصة ويشترط فيه الاخوان والزمان والمكان فإذا كان وقت السماع أغلقوا الباب لئلا يدخل معهم من ليس بأهله وتقدم أيضا أن الأكل ينبغي فيه فتح الباب ليدخل من يحتاج إلى الأكل وفي ذلك الدلالة على الكرم وسماحة النفس وغنى القلب وعدم الشح والحرص وقال الناظم في فقراء وقته انهم عكسوا الأمر ففتحوا الباب عند السماع ليجمعوا عليهم

(وقال آخر)

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضى لك المحبوب صح لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل

قال ذو النون المصرى رضى الله عنه ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه اهـ والحال الذى لايخفى على مولاه هو حال الضعف والافتقار والذل والانكسار وإنما يكون ظهور ذلك الحال بتحقيق المعرفة والوصال ولذلك وصله بقوله منك أطلب الوصول اليك فلا من غيرك ولا على يد غيرك ولا إلى غيرك بل أنت تتولى قبض أرواحنا إلى حضرتك بيدك وتحول بيننا وبين غيرك وهو معنى قوله وبك أستدل عليك لا بغيرك إذ لاوجود لغيرك معك على التحقيق وقد تقدم قول من قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لأدب الخدمة اهـ وكما لا دليل عليه غيره كذلك لاهادى اليه سواه كما قال فاهدنى بنورك اليك أى اهدنى بنور التوجه فى حالة سيرى اليك وبنور المواجهة بعد وصولى اليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك حتى تحقق بالوصول اليك فترجع إلى رسم العبودية فى عين شهود أنوار الربوبية والله ذو الفضل العظيم هناك تفيض العلوم اللدنية والأسرار الربانية كما أبان ذلك بقوله فى المناجاة الثانية والعشرين (إلهى علمنى من علمك المخزون وصنى بسر اسمك المصون) قلت العلم المخزون هو العلم الموهوب الذى يفيض على القلوب من حضرة علام الغيوب لاينال بحيلة ولا اكتساب ولا يؤخذ من دفتر ولا كتاب وإنما يعطى من حضرة الكمال مع صحبة الرجال أو بمحض الفضل والنوال وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله اهـ وهى أسرار

الناس وأغلقوها عند الطعام حرصاً وشحاً نعوذ بالله من ذلك ثم قال :

وقولنا الشيوخ والأكوان هم الذين سلفوا وبانوا
ماتوا ولم يتركوا من وارث إذ هؤلاء القوم كالبراغث

(قلت) قد تقدم أن الأرض لاتخلو ممن يقوم لله بحجته وراجع ماتقدم لنا عند قوله إن الذى سألت عنه مات (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وشبه هؤلاء بالبراغيث من وجوه أحدها ماهم عليه من الرقص والتطاير كالبراغيث الثانى ماهم فيه من الإذاية والتنغيص لمن جاوره تارة بالغيبة وتارة بغيرها الثالث خساسة همتهم باعتبار سكنى المواضع المزبلة ولاشتغال بالأكل دون غيره مع ظهورهم بالضعف والمسكنة انتهى .

(قلت) وقد تقدم مافى الرقص فى باب السماع محررا وتعظيم أهل النسبة مطلوب وحسن الظن واجب أو مندوب والتسليم وقاية والانقياد جناية وتأمل ماوقع لابن هارون من القراد حيث نقصه فى باطنه فسلبه من ساعته وفقد ما كان عنده من العلوم والأنوار حتى تاب إلى الله وذهب اليه وتحلل منه والقصة مذكورة فى طبقات الشعرانى وكذلك قصة الفقيه البلقينى مع بائع الحشيش حيث إعترض عليه بقلبه فقد علمه وحاله حتى تاب وأمره أن يجلس معه ويأتى بخبز ولحم حتى كل من اشترى الحشيش أطعمه الفقيه اللحم والخبز وهذا كله وبال الانكار على أهل النسبة والله تعالى أعلم ثم قال :

فكلما اليوم عليه الناس من مدعين الفقر فيه بأس

(قلت) هذه الكلية لا تسلم لها الصحة نقضيها وهى الجزئية السالبة وهو بعض ما عليه الناس من الفقر لا بأس به قال

الربوبية التي أخفاها الله عن خلقه ولم يطلع عليها إلا خواص أوليائه فاذا نطقوا بها مع غير أهلها ردوا عليهم وربما أباحوا دماؤهم ومنها الاطلاع على أسرار القدر وعجائب المغيبات ومنها الاطلاع على مفاتح العلوم ومخازن الفهوم فيستخرجون بنتائج أفكارهم من درر الحكم ويواقيت العلم ما تكل عنه الألسن وتعجز عن حمله العقول قال أبو بكر الواسطى فى قوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون) هم الذين رسخت أرواحهم فى غيب الغيب وفى سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا فى بحار العلوم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من ذخائر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب الإدراكات الوهبية فنطقوا بالحكمة البالغة والالفاظ السابغة أولئك حزب الله أولئك حزب الله أولئك حزب الله وقال بعض التابعين أسرار الله لا يبديها إلا لأمناء أوليائه من غير سماع ولا دراسة وكان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكان أكثر كلامه فى العقل الاكبر والاسم الاعظم وشعبه الاربع ودوائر الاولياء ومقامات الموقنين والاملاك المقربين وعلوم الأسرار وأمداد الأذكار ويوم المقادير وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشأن القبضة ورجال الغيب وعلوم الافراد وأخبار القيامة وهذا كله من العلم المخزون وأما المصون الذى طلب فهو صيانة من رؤية الاغيار أو الوقوف مع الانوار دون معرفة الواحد القهار واسمه المصون هو اسم الله الاعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى وسره هو ظهور تصرفه فيما طلب به والله تعالى أعلم ثم إذا تحقق الصون من الاغيار دخل القلب فى حضرة الاسرار وهى حضرة المقربين من السالكين والمجذوبين كما أبان ذلك فى المناجاة الثالثة والعشرين بقوله (إلهى حققنى بحقائق أهل القرب واسلك بى مسالك أهل الجذب) قلت الحقائق جمع حقيقة وهى إدراك معرفة الأشياء على ماهى عليه بالاصالة وحقائق أهل القرب هى علومهم ومعارفهم وأذواقهم

صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله (قال) المحققون من العلماء ان هذه الطائفة مؤلفة من ثلاث فرق أولياء وعلماء ومجاهدين فهؤلاء الفرق لا تنقطع حتى يأتى أمر الله وكأن الناظم لما رأى كثرة التخليط عمم الأمر (وقال) الشيخ عبد الوارث كل ما هم عليه من محدثات الامور ففيه باس أى عيب فالباس من غير همزة هو العيب وبالهمز هو الحديد انتهى لكن ما قاله فى تفسير الباس غير صحيح إذ الباس هو الحزم والشدة بهمز وبغير همز ثم ذكر العلة فقال :

إذ نقضوا الاصول والأركانا وصيروه فى الورى مهانا
وهدموا بنيانه المشيدا وصيروه مهملا ومخمدا

(قلت) نقض الاصول والأركان هو إهمالها والعمل باضدادها وأصول التصوف خمسة تقوى الله فى السر والعلانية واتباع السنة فى الاقوال والافعال والاعراض عن الخلق فى الاقبال والادبار والرضى من الله فى القليل والكثير والرجوع إلى الله فى السراء والضراء وهكذا قال الشيخ زروق فى بعض تآليفه وقال فى شرحه لهذا المحل وأما نقضهم الاصول فبإثبات ما ليس منها فى محلها كاستبدالهم الزهد بالحرص والورع بالطمع والتقوى بوقعة الربانية أى ما فيه رباوالاركان كالاصول مثل الجوع والسهر والصمت وكثرة الاعمال فنقضوا ذلك بوجود البطالة والكسل وجعلهم لكل ما اثبتوه تأويلا ووجها يرونه عين الهدى والصراط المستقيم نسئل الله العافية وانما صيروه مهانا أى الطريق بما أظهروا فيه من خلاف الحق الذى لا يعرف به احد إلا استخف بطريقه وهذا أمر واضح فى هذه الازمنة حتى لا يكاد أحد من المعترضين فى هذه الازمنة يعتقد أحدا بل ولا طريقة صحيحة ويحتج لذلك بأن فلانا المستظهر بكذا ظهر منه كذا وفلانا وقع منه كذا وهذا

وكشوفاتهم وأهل القرب المقربون سواء كانوا من أهل المراقبة الكاملة أو المشاهدة أو المكالمة فالقرب يتفاوت بتفاوت السير والتصفية فيكون أولا مراقبة ثم شهوداً ووصولا ثم محوا واضمحلالا ثم بقاء وتنزلا وهذا يكون بالمجاهدة والمكابدة وهو مقام أهل السلوك من المحبين ويكون جذباً وعناية وهو مقام أهل الجذب من المحبوبين وقد يكون أولا مجاهدة وآخراً جذباً وعناية وهو أعظم قدراً وأعم نفعاً وأنفع تربية وهو الذى أراد الشيخ رضى الله عنه لأنه طلب أولا التحقيق بحقائق أهل القرب وهم أهل التقرب حتى احبهم الله ثم طلب ثانياً سلوك أهل الجذب وهم المحبوبون الذين اجتباهم الله واختطف أرواحهم من شهود الأغيار إلى شهود الأنوار وقال تعالى (الله يجتبى اليه من يشاء) وهم المحبوبون ويهدى اليه من ينيب وهم المحبون فأراد الشيخ أن يكون جامعاً بين سلوك وجذب وهو أعظم من غيره وقال بعضهم أهل القرب هم أهل الحضرة المستغرقون فى الشهود لأن الله تعالى ليس فى حقه قرب ولا بعد وإنما ذلك فى حق العبد فمن رفع الحجاب عن عين قلبه وفاضت عليه أنوار قربه رمته المراقبة للشاهدة والمشاهدة للمكاشفة والمكاشفة للمعاينة والمعاينة للمسامرة والمحادثة والمكالمة وصار الحق أبداً جليسه وأنيسه فهذا هو التقريب للعبد بعد البعد وخرق جميع الحجب وهذا المقام هو الذى طلب الشيخ أبو الحسن بقوله وأقرب منى بقدرك قرباً تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه أهل المحبة والشوق على قسمين قوم اشتاقت نفوسهم على الغيبة فلا سكون لهم إلا باللقاء وقوم اشتاقت أرواحهم على الحضور والمعاينة والشهود فلا سكون لهم الا بالغوص فى بحر الأسرار وتنزل المعانى على قلوبهم وقال أبو يزيد رضى الله عنه لله رجال لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار لكنهم على الأرائك ينظرون وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأنهم معه أبداً والنبى صلى الله عليه وسلم

من أولئك فالله حسيب المغيرين والفاتحين الباب بأعمالهم وإلا فالمنكر لما يستحق الانكار معذور بل مأجور فاعرف ذلك انتهى كلامه (وقوله) وصير ورمخملا ومخمداً أى لما هدموا أصوله وضيعوا حقوقه صار عند الناس مخمولا لا يعرف ومخموداً لا يظهر لما أدخلوا فيه من التخليط والله تعالى أعلم ثم تمم أوصافه فقال

ونثروا الفروع والأصولا وجعلوا معلومها مجهولا

(قلت) النثر هو الطرح يعنى أنهم لم يأخذوا بأصل ولا فرع ولم يتمسكوا من الطريقة بشىء إلا بمجرد النسبة فصيروا ما كان معلوماً منها عند أهلها مجهولا عندهم حيث لم يعرفوه (وقال) الشيخ زروق معناه أنهم لم يأتوا فى الطريقة بأصل ولا فرع بل عملوا منها ببعض وتركوا بعضاً فاشتبهت أمورهم على من ينظر اليهم لأنه يجد من الطريقة شيئاً يدعوه للاعتقاد ويجد من مخالفتها أشياء تدعوه للانتقاد وهو من أعظم المصائب ثم قال

واحتسبوا فيها بغير حسبه وصيروها ضحكة ولعبه

(قلت) الاحتساب الأول من الحساب يعنى أنهم حسبوا من الصوفية من غير حسبة أى نية صادقة (وقال) الشيخ زروق معناه أنهم عدوا منها ليس بقربة واعتقدوا أنه قربة كالرقص ونحوه من توابع السماع والاجتماع وهو عين الضلال انتهى وفيه مقال عند أهل الذوق (وقال) الشيخ عبد الوارث أى نسبوا اليها من غير أن يظهر عليهم شىء من آثارها الدالة على صدق نسبتهم فصيروها بذلك ضحكة ولعبة وأما الطريقة فعلو شرفها وعلو مرتبتها باق ثم قال

وجعلوها للغنى مغرما وللفقير نهبة ومغنما

وسلم قال المرء مع من أحب وسأل جماعة من المشايخ الجنيد رضى الله عنه عن المحبة فبكى وقال كيف أصف عبداً ذاهباً عن نفسه متصلا بذكر ربه قائماً بأداء حقوقه ناظراً اليه بعين قلبه قد أحرق قلبه نار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وان تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله وهو بالله ولله ومع الله اه فقالوا ماعلى هذا مزيد ياتاج العارفين وهذا الوصف صادق بأهل السلوك والجذب والله تعالى أعلم ولا شك أن من بلغ هذا المقام ورسخت المحبة والمعرفة فى قلبه على التمام لم يبق له مع محبوبه تدبير ولا اختيار ولا تشوق ولا انتظار كما أبان ذلك فى المناجاة الرابعة والعشرين بقوله (إلهى اغننى بتدبيرك عن تدبيرى وباختيارك عن اختيارى وأوقفنى على مراكز اضطرارى) قلت الاستغناء بتدبير الله عن تدبير النفس وباختيار الحق عن اختيار العبد إنما يكون بعد الغيبة عن النفس بشهود مدبر الأمور والمتصرف فيها وهو الفاعل المختار الواحد القهار لأنه هو المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار وأما قبل الغيبة عنها بمعرفة سيرها فلا يتخلص العبد من كد التدبير وظلمة التكدير ولذلك طلب الشيخ أن يغيبه الله بمعرفته حتى تجتمع همومه وقصوده وارادته واختياراته فى هم واحد وهو شهود محبوبه كما قال القائل :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ راتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

فقوله اغننى بتدبيرك أى بشهود تدبيرك وشهود تدبيره لايكون إلا بعد معرفته كما تقدم وطلب أيضاً الوقوف على مراكز الاضطرار وهو التعزز فى مقام العبودية فى الظاهر على الدوام لأن العارف لايزول اضطراره ويكون مع غير

(قلت) لما لم تكن لهم نية صادقة فى طلب مولاهم صيروا طريقهم مغرما للغنى منهم يغرمونه وينصفونه أحب أم كره يتسببون له بأدنى شيء ويأخذون منه كرها وحياء مالا يعطيه طوعا وسخاء وصيروها للفقير منهم نهبة ومغنما أى ينتهب الفقير من الغنى ويغتنم ما يأخذ منه وليس قصده شيئاً آخر وهذه فى غاية خسة الهمة ثم قال :

وافتضحوا واصطلحوا لديها فصار ما كان لها عليها

(قلت) لما لم يتحقق لهم من الطريقة الا مجرد النسبة من غير عمل ولا صحبة لم تظهر عليهم نتيجة الطريقة فافتضحوا

من ادعى بما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان

(وقوله) وافتضحوا واصطلحوا أى على سكوت بعضهم عن بعضهم فلا يغير أحد على أحد وهذا سبب الهلاك قال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقال بعضهم ما زالت الصوفية بخير ما اختلفوا فاذا اتفقوا فلا خير فيهم وقد تقدم تأويله والكلام عليه عند قوله مذاهب الناس على اختلاف ومذهب القوم على ائتلاف (وقال) الشيخ عبد الوارث فى تفسيره قوله اصطلحوا أى أسكت عنى أسكت عنك لما روى عن بعض أمثالهم أنه أتى إلى قوم جاهلين فقال لهم أنا جبريل فأتاه ذوو العاهات والمرض فيمسح عليهم ويجدون لذلك راحة فأقبلوا عليه بأنفسهم وأموالهم فسمع به بعض أهل العقول فأتى اليه فقال إنى أريد أن أخلو بك فخلا به فقال له يا هذا ما وجدت على من تكذب الا على جبريل فقال ماضرك بكذبى اذهب أنت إلى قوم آخرين وقل أنا ميكائيل واتركنى والقوم الجاهلين هذا جزاء الجهلة ولو أنكر بعضهم على بعض لفر الناس عنهم وتنغصت عليهم دنياهم انتهى ثم قال :

الله قراره باطناً وقد تقدم هـذا ومركز الشيء محل استقراره الذى يركز فيه وهى هنا استعارة عن تحقق العبودية وهى أن يعرف قدره ولا يتعدى طوره فمن تخلص من ظلمة التدبير والاختيار ووقف على مراكز الاضطرار فقد تحرر من ذل نفسه وتطهر من شرك تخمينه وحدسه كما أبان ذلك فى المناجاة الخامسة والعشرين بقوله إلهى (أخرجنى من ذل نفسى) وهو ذلها لغير الله بالطمع والحرص اللذين هما بذرة شجرة الذل (وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى) قلت لعل المراد بالشك هنا خطور خصيم الفرق وهو الخصيم الظلمانى أو يريد بالشك خواطر الرزق التى لا تثبت وقال الشيخ ابن عباد رضى الله عنه الشك ضيق الصدر عند إحساس النفس بأمر مكروه يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منه إنما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول عن الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح بالرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى السخط والشك اه والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن مسبب الأسباب تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحلو له الهوى فيفزع إذ ذاك إلى الأسباب التى يتوصل بها إلى بغيته لا يرى غيرها فيشتبك من أجل ذلك فى حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذى يقذفه الحق تعالى فى قلبه فتطمئن بذلك نفسه وتسكن من الشره والطيش الذى أصابها وكلما قوى التوحيد فى قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتمحى من قلبه الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فاذا تطهر العبد من الشرك والشك تولاه الله بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه ياداود هل تدرى

لو علموا ماجهلوا ماصاروا حيث انتهوا ترمقهم أبصار

يعنى أنهم لو علموا من طريق الصوفية ما جهلوا منها مارمقتهم الأبصار حيث ما انتهوا وأينما ظهروا (قلت) وفيما قاله نظر لأن من خرق عوائد نفسه وخرج عن أبناء جنسه قطعاً ترشقه الأبصار ويكثر عليه الصياح والأضرار سنة ماضية فى حق الصادقين نعم من بقى من الفقراء أو المنتسبين معهم فى زيهم لم ينظر اليه أحد ولم يغير عليه أحد وهو دليل برودته فقد قالوا الداخل على الله منكور والخارج إلى الناس مبرور وقالوا أيضاً مدح العوام للخواص هجنة أى نقص فيهم وتسلط الناس على الأولياء فى بدايتهم سنة جارية وماذلك إلا لخروجهم عن عوائدهم وارتحالهم عن عالم حسهم والله تعالى أعلم ثم قال

لو لم يكن بعض لبعض عاكس ما لقبوا بعصبة الكساكس

(قلت) مذهب الصوفية الألفة والموافقة قلباً وقالباً فقلوبهم قلب واحد يحب بعضهم بعضاً ويخدم بعضهم بعضاً وقد تقدم شروط عقد الأخوة عن الغزالى فيما تقدم فالصوفية على قدم الصحابة قال تعالى فى حقهم أذلة على المؤمنين أى متعاطفين أذلاء على المؤمنين أعزة على الكافرين أى غالبين عليهم شدة وغلظة وقال فى الآية الأخرى أشداء على الكفار رحماء بينهم فكل من لم يكن على هذا المذهب فلا نصيب له فى طريق القوم وقال الناظم فى فقراء عصره أنهم متعاكسون بعضهم لبعض أى متنافرون كل واحد يعكس رأى صاحبه لشدة نفرة قلوبهم وذلك لبقاء حب الدنيا فى القلوب فلو خرج منها حب الدنيا لتطهرت وصفت وتعاطف بعضها على بعضها فلو لم يكونوا متعاكسين لا يجتمعون الا على حظ بطونهم ما سماهم الناس بعصبة الكساكس وصاروا يقال لهم الكساكسية (قلت) ولأجل هذه العلة كان بعض الشيوخ يمنع أصحابه من حضور

متى أتولاهم إذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك اه ويحتمل أن الشيخ إنما طلب طهارته من الشك والشرك عند نزول الدواهى الطوام لأنها مظنة الشكوك والاهام فلا يشك فى لطف الله عند نزول قدره ولا يتعلق بسبب ولا غيره فيكون إبراهيميا حنيفياً إذا ألقى فى نار الجلال وقال له الكون ألك حاجة فيقول له بلسان حاله أو مقاله أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فاذا قال له سله يقول له علمه بحالى يغنى عن سؤالى فلا جرم أن الله تعالى يقول لنار الجلال كونى على ولى بردا وسلاما فتنقلت جمالا محضاً فاذا تخلص العبد من الشك والشرك فى ذلك الوقت كان موحدا حقيقاً وإبراهيميا حنيفيا فلا يعتمد إلا على الله ولا يستنصر إلا به كما قال الشيخ (بك استنصر) لا بغيرك (فانصرنى وعليك أتوكل) أى أفوض أمورى كلها إليك (فلا تكلنى) أى تحوجنى إلى غيرك (وإياك أسئل) حوائجى كلها لا من غيرك (فلا تخيبنى) مما رجوت لأنك كريم تستحى أن ترد من رفع يديه إليك صفرين أى خائبتين (وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى) من فضلك العظيم (ولجنابك) أى حماك وحرمك (أنتسب فلا تبعدنى) من حماك وجوارك بسوء أدبى معك وأنت عفو حليم (وببابك أقف) وأتضرع وألزم تلك الباب وأقرع (فلا تطردنى) إذ ليس من شأن الكريم أن يطرد عن بابه العظيم أو يرد من أم بحر جوده العميم :

ونحن كلاب الدار طبعا ولم نزل　　نحب مواليها ونحرس بابها
إذ طردت يوما كلاب قبيلة　　فقومى كرام لاتهين كلابها

قال على بن هند الفاسى رضى الله عنه اجتهد فى أن لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرار ولا مقاما اه (وإذا) لزمت الباب أعطاك قبل الطلب ومنحك بلا سبب وإلى ذلك

الولائم وكان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه إذا عرض أحد على أصحابه فى حضور وليمة يشبعهم هو من طعامه قبل أن يحضروا الوليمة لئلا يظهر عليهم الشره والحرص فتنقص النسبة فهذا منه غيرة على النسبة أن تمتهن جزاه الله عن طريق القوم خيرا إلا إذا كانت حال غالبة فلا كلام على صاحبها والله تعالى أعلم ثم قال :

حق لمن كان عليهم منكرا　　إذ كل ما يبصر منهم منكرا

قوله حق يحتمل أن يكون خبرا عن مبتدأ مضمر أى الانكار حق وأن يكون مبتدأ حذف خبره أى حق لمن أنكر على الفقراء ثابت والاحسن أنه خبر عن مصدر من أن والفعل أى حق لمن كان منكرا على الفقراء أن يفعل ذلك كقولك حق لك أن تفعل كذا وكذا أى فعلك كذا وكذا حق (قلت) قد تقدم أنه لا ينكر على الفقير إلا ما كان محرما مجمعا على تحريمه ولا تأويل فيه وعلى تقدير التغيير يكون برفق ولين وإذا كان فيه حد أو أدب يكون المؤدب له كالعبد يؤدب ابن سيده ولا تسقط حرمة النسبة عنه بسبب ما صدر منه وهذا التغيير انما هو لمن هو مكلف به كقضاة العدل وأهل الحسبة الذين يتقون الله والا فالسلامة فى التسليم (وقد) قال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه المعترض على الفقراء كمن يدخل يده فى الغيران الغار الأول لا يجد فيه شيئا والثانى كذلك وقد يصادف لفعة تلدغه فيهلك من ساعته اه بالمعنى وهذا من الناظم تحامل وفيه تسلط على الجانب فالصواب حذفه ولا سيما العارف لا يرى إلا الكمال وللعارف وجوه من التأويلات والمحامل بل لا يقع بصره إلا على الكمال :

يكمل نقصان القبيح كماله　　فما ثم نقصان وما ثم باشع
وكل قبيح ان نسبت لحسنه　　أتتك معانى الحسن فيه تسارع

أشار فى المناجاة السادسة والعشرين بقوله (إلهى تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى) قلت رضا الله تعالى لا ينال بسبب ولا عمل ولا طلب وإنما هو منحة إلهية ومواهب اختصاصية يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم فقد تنزه وتقدس رضا الله تعالى أن تكون له علة منه لأنه قديم فكيف تكون له علة من غيره وهو الغنى الكريم ولذلك قال (أنت الغنى بذاتك عن أن يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عنى) فكما تنزه رضاه وسخطه أن تكون لهما علة أو سبب كذلك تنزهت ذاته المقدسة عن إيصال المنافع منه أو من غيره فكما أن ذاته المقدسة قديمة كذلك أوصافه المطهرة قديمة أزلية قال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه الرضى والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا به فى الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلماتها عليهم فأنى تنفع من ذلك الألوان المصفرة والأكمام المقصرة والاقدام المنتفخة اه ولكن جرت عادة الله تعالى وسنته أن من ظهرت عليه الطاعات والاحسان كان ذلك علامة الرضى والرضوان ومن ظهرت عليه المخالفة والعصيان كان ذلك علامة السخط والخسران وبهذا جاءت الشرائع والمرء يموت على ما عاش عليه والنادر لا حكم له والله تعالى أعلم وقد قال بعض العلماء فى قوله عليه السلام إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار إن الأول كثير بفضل الله والثانى نادر لا حكم له كسبقية رحمة الله غضبه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ومع هذا لم تزل الأكابر تخاف من السابقة أو الخاتمة إذ لا يدرى ما سبق به القضاء والقدر كما أشار اليه الشيخ فى المناجاة السابعة والعشرين بقوله (إلهى إن القضاء والقدر قد غلبنى) فكم أعزم على الطاعة والقضاء يغلبنى

رزقنا الله من حسن الظن به وبأوليائه وبسائر عباده الحظ الأوفر بمنه وكرمه آمين ثم هذه الكلية التى ذكرها لا تسلم له والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله :

عار لمن لم يرض العلوما ويعلم الموجود والمعدوما
ولم يكن فى بدئه فقيها وسائر الأحكام ما يدريها
والحد والاصول واللسانا والذكر والحديث والبرهانا
ولم يكن أحكم علم الحال ولا درى مقاصد الرجال
ولم ينزه صفة المعبود ولا درى مرتب الوجود
والنفس والعقل معاً والروحا ويدرى منه صدره المشروحا
وعلم سر الناسخ والمنسوخ أن يتعاطى رتبة الشيوخ

(قلت) قوله عار خبر مقدم وأن يتعاطى مبتدأ مؤخر أى تعاطى رتبة الشيوخ والتقدم للشيخوخة عار أى عيب من لم يرض العلوم بضم الراء أى يتمهر فيها حتى تصير طوع يده ليكون فى أموره على بينة من ربه ويعلم الموجود الحقيقى وهو الحق الواجب الوجود والمعدوم حقيقة وهو ما سوى الله ولم يكن فى ابتداء أمره فقيها إذ لا يحل لامرىء أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وهو أيضاً لا يدرى سائر الاحكام فلا يفرق بين ما يحل له ويحرم عليه فقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف وهو أيضاً لم يدر حدود الاشياء ورسومها وكأنه يشير الى فن المنطق ولم يدر أيضاً فى الاصول والمراد أصول الفقه كمعرفة الواجب والمندوب والمكروه والحرام والخاص والعام والمطلق والمقيد والقياس والإجماع وغير ذلك مما هو مقرر

وكم أفر من المعاصي والقدر يقحمني فلا حيلة لى إلا رجاء حولك وقوتك (وإن المرى بوثائق) أى بحبائل (الشهوة أسرتى) أى ربطني وحبسني عن النهوض إلى حضرتك والفوز بدخول جنتك (فكن أنت الناصر لى) دون واسطة من غيرك (حتى تنصرنى) على من يصدنى عنك (وتبصرنى) من تعلق بجنابي أو لاذ بسببي وهذا كما قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك ثم سأل الغنى الأكبر فقال (اغنني بفضلك حتى أستغنى بك عن طلبي) فإن العبد إذا تعمر قلبه بالله استغنى به حتى عن طلبه وربما دلهم الأدب على ترك الطلب وهذه هى السعادة العظمى والولاية الكبرى كما قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فالسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك وهذه نتيجة أنوار الولاية التى أشرقت فى قلوب العارفين وهذا معنى قوله (أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك) حتى ظهر الحق وزهق عنهم الباطل فعرفوك ووحدوك (وأنت الذى أزلت الأغيار من قلوب أحبائك) فلأنها بأنوار شهودك فأحبوك ولم يحبوا سواك لأنهم لم يشهدوه (وأنت المؤنس لهم) بحلاوة ذكرك وشهود نورك (حيث أوحشتهم العوالم) فلم يستأنسوا بشيء منها بل استوحشوا منها من حيث كونيتها واستأنسوا بصانعها والمنجلى فيها فأبدلهم الله الأنس به فى الخلوات والمجالسة معه فى الفلوات بحلاوة المشاهدة والمكالمة والمساررة والمناجاة وهذا هو النعيم المقيم والفوز العظيم قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما أنا أمشى فى البادية إذ لقيتنى امرأة فقالت من أنت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله غربة وكتب مطرف بن الشخير إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما وليكن أنسك الله وانقطاعك اليه فإن لله عباداً استأنسوا بالله فكانوا فى وحدتهم أشد استئناساً منهم مع الناس فى كثرتهم وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون اه (أنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم) أى أنت الذى هديتهم طريق الوصول إلى حضرتك حتى استبانت أى ظهرت لهم معالم أى علامات

فى فن علم الأصول ولم يدر أيضاً علم اللسان وهو العربية والتصريف واللغة وفن البيان ولم يدر أيضاً معانى الذكر أى القرآن العظيم ليتمكن من التدبير فيه ولم يدر أيضاً حديث النبى صلى الله عليه وسلم إذ التصوف مبنى على الكتاب والسنة والهامات العارفين (وقال) الجنيد رضى الله عنه علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة فمن لم يكتب الحديث ويجالس العلماء لا يقتدى به فى هذا الشأن اه ولم يعرف أيضا البرهان أى علم البرهان وهو علم العقائد التوحيدية وهو علم الكلام فتكون عنده العقائد برهانية ثم تصير بعد ذلك عيانية ولم يكن أيضا أحكم أى اتقن علم الحال والمقام بحيث يكون سلك طريق الأحوال ثم سكن فى المقامات وهذا هو المسمى بالسير فمقامات اليقين ينزل فيها الفقير أولا بالحال ثم تصير مقاماً.

(قال) فى الحكم حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الاحوال من التحقق فى مقامات الانزال فلا بد أن يكون سلك مقام الزهد حالا ثم مقاما وكذلك الورع والرضى والتسليم والمراقبة والمشاهدة وغير ذلك وهذا هو الذوق الصريح وأما من كان يأخذها من الكتب ويقلد فيها فلا تصح مشيخته وضرره أكثر من نفعه ولم يكن أيضاً درى مقاصد الرجال فى عباراتها واشاراتها ورموزها وألغازها ومقاصدهم هل إصلاح الظواهر أو البواطن أو هما معا ولم ينزه أيضا صفة المعبود عن الحدوث أو الحلول أو الاتحاد أو غير ذلك من النقائض ولادرى أيضا مراتب الوجود من الملك والملكوت والجبروت إذ الترقى إنما يكون فى هذه العوالم فيترقى من شهود الملك الى الملكوت الى الجبروت وقد تقدم تفسير هذه العوالم عند قوله وعلموا مراتب الوجود اه ولم يدر أيضا معنى النفس والعقل والقلب والروح والسر وقد تقدم لنا أن المحل واحد وهو الروح وهى التى تتطور إلى العقل وما بعده باعتبار المجاهدة والرياضة وقد تقدم بيان ذلك مرارا (ولم) يدر أيضا معنى الصدر المشروح وما علامة شرحه وعلامة شرحه ماقاله عليه السلام التجافى عن دار

التحقيق وهذا من الشيخ رضى الله عنه تعريض بالسؤال وهو أعظم من التصريح وكأنه يقول إلهى كما أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك وكما أزلت الأغيار من قلوب أحبائك حتى أحبوك وكما أنستهم حيث أوحشتهم العوالم وهديتهم حتى استبانت لهم المعالم فاشرق أنوار المعارف فى قلبى حتى أعرفك وأزل الأغيار من قلبى حتى أحبك وأنسنى بك حيث أوحشتنى العوالم واهدنى إلى طريق التحقيق حتى تتبين لى المعالم فأستغنى بك عن كل شىء وأجدك عند كل شىء كما قال (ماذا وجد من فقدك) ولو ملك الدنيا بحذافيرها فهو أفقر الفقراء كما قال الشاعر :

لكل شىء إذا فارقته عوض   وليس لله إن فارقت من عوض

قيل للشبلى أى الخسران أعظم قال من فاتته الجنة ودخل النار فلما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبنى بالبراهين والدعاوى إلا على شىء واحد قلت ذات يوم لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لى وأى خسارة أعظم من خسران لقائى أى شهودى ومعرفتى (وما الذى فقد من وجدك) لقد ملك الوجود بأسره واستغنى غنى لا فقر بعده آخر دهره (لقد خاب من رضى دونك بدلا) أى لقد خاب وخسر من أحب شيئاً دونك ورضيه بدلا بك وأنشدوا :

سهر العيون لغير وجهك باطل   وبكاؤهن لغير فقدك ضائع
أيظن أنى فيك مشترك الهوى   هيهات قد جمع الهوى بك جامع
بصرى وسمعى طائعان وإنما   أنا مبصر بك فى الحياة وسامع

(ولقد خسر من بغى عنك متحولا) أى ولقد خسر من أوقفته ببابك ثم طلب باب غيرك وتحول اليه والتجأ إلى غير جنابك فلا أخسر منه ولا أبخس صفقة صفقة من تجارته ترك باب الكريم والتجأ إلى باب العبد اللئيم فقوله متحولا مفعول

الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور اه ويرجع إلى اليقظة من الغفلة ورفع الهمة عن الدنيا وما فيها وإنما اشترطت معرفة الصدر المشروح لأن الشيخ يشترط فيه أن تكون له فراسة يطلع بها على أحوال البواطن فيعرف المشروح من المقبوض وفى بعض النسخ ولم يدر منه اى من نفسه وفى بعضها معنى وهى أحسن ولم يدر أيضاً سر الناسخ من المنسوخ فى الكتاب والسنة وهذا من شأن أهل التفسير وهو مقرر فى محله .

(ثم) هذا الذى ذكره الناظم لا تشترط منه شىء إلا علم الأحوال أو مايلزمه فى نفسه من العلم الضرورى وقد تقدم هذا المعنى مستوفياً عند قوله وعند ماقال بهذا الخطب قالوا جميعاً أنت شيخ الركب فراجعه ثم إن شئت وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق ثم قال :

يا عجبا من جاهل مبداه   فى رتبة الكون ومنتهاه

(قلت) مبدأ الإنسان فى رتبة الكون ومنتهاه التقدم له والتأخر عنه فجيش الأرواح سابق على الكون بعد طيه فهو أول الكون ومنتهاه فللإنسان شبه بالصمدانية الأزلية لأن فيه الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية فروحه أول الكون وتبقى بعد فنائه وهى ظاهرة بالإنسان إذ لا ظهور لها إلا به باطنة فيه وفيه سبع من صفات المعانى القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ولهذا قال عليه السلام كما فى البخارى إن الله خلق آدم على صورته وفى رواية غيره إن الله خلق آدم على صورة الرحمن أى على صفته فى الجملة وإن كانت أوصاف البارى عظيمة لا تشبه أوصاف العبد لكن لها شبه ونموذج فى الجملة (وقال) صاحب الرموز فى فتح الكنوز على قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه قد ظهر لى من سر هذا الحديث مايجب كشفه ويستحسن وصفه وهو أن الله سبحانه وضع هذه الروح فى هذه الجثة الجثمانية

لبغى بمعنى طلب وهو اسم مفعول بمعنى المصدر وعنك متعلق بالمصدر أى ولقد خسر من طلب تحولا عن جنابك العظيم وبابك الكريم (كيف يرجى سواك وأنت ماقطعت الإحسان) ولاتقطعه أبداً عن الانسان (أم كيف يطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان) بل امتنانك فائض على الأنام وهو واصل اليهم على الدوام عرفه العارفون وجحده الغافلون (يامن أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته) وذلك حين استوحشوا من مؤانسة غيره (فقاموا بين يديه متملقين) قلت التملق هو التلطف فى بث الشكوى والتودد بمسارة النجوى وفى الحديث إذا أحب الله عبداً قال للملائكة إذا دعا أخروا حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته فالتملق بين يدى الحبيب ومساررة القريب هى من أعظم الرغائب وأفضل المطالب لايعرفها إلا أهل الشوق والاشتياق كما قال الشاعر :

سفينة الحب فى بحر الهوى وقفت فامنن على بريح منك يجريها
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها
لا أوحش الله منكم من يحبكم وأنس الله دارا أنتم فيها

لطيفة لاهوتية مودعة فى كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته تعالى وربوبيته ووجه الاستدلال من عشرة أوجه (الأول) أن هذا الهيكل الانسانى لما كان مفتقراً إلى محرك ومدبر وهذا الروح يدبره ويحركه علمنا أن هذا العالم لابدله من محرك ومدبر (الثانى) لما كان مدبر الجسد واحدا علمنا أن هذا العالم واحد لاشريك له فى تدبيره وتقديره قال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (الثالث) لما كان لا تحرك هذا الجسد الا بتحرك الروح وإرادته علمنا أنه لايتحرك كائن بخير أوشر إلا بتحرك الله وأرادته وقدرته (الرابع) لما كان لايتحرك فى الجسد شىء الا بعلم الروح وشعورها لايخفى على الروح من حركات الجسد شىء علمنا أنه تعالى لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء (الخامس) لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شىء أقرب إلى الروح من شىء علمنا أنه تعالى قريب إلى كل شىء ليس شىء أقرب اليه من شىء ولا شىء أبعد اليه من شىء لا بمعنى قرب المسافة لأنه منزه عن ذلك (السادس) أنه لما كان الروح موجوداً قبل الجسد ويكون موجودا بعد عدمه علمنا أنه تعالى موجود قبل خلقه ويكون موجودا بعد عدمهم مازال ولايزال وتقدس عن الزوال (السابع) لما كان الروح فى الجسد لاتعرف له كيفية علمنا أنه تعالى مقدس عن الكيفية (الثامن) لما كان الروح فى الجسد لاتعرف له كيفية و لاأينية بل الروح موجود فى سائر الجسد ماخلا منه شىء فى الجسد كذلك الحق سبحانه موجود فى كل مكان وتنزه عن المكان والزمان (التاسع) لما كان الروح فى الجسد لايجس ولايحس ولايمس علمنا أنه تعالى منزه عن الحس والجس والمس (العاشر) لما كان الروح فى الجسد لايدرك بالبصر ولايمثل بالصور علمنا أنه لاتدركه الأبصار ولا يمثل الصور والآثار ولايشبه بالشموس والأقمار ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (تنبيه) قد اشتهر على ألسنة كثير من الصوفية أن من عرف نفسه عرف ربه حديث وليس كذلك وإنما هو من كلام معاذ الرازى حسبما نص عليه الحافظ البدر الزركشى والحافظ السيوطى فى الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة ونصه حديث من عرف نفسه عرف ربه قال النووى غير ثابت وقال السمعانى هو من كلام يحيى بن معاذ الرازى اه وكل فن يرجع فيه لاربابه والصوفية رضى الله عنهم لحسن ظنهم كثيراً مايتساهلون فى الأحاديث هكذا كما قال الشيخ سيدى مسلم فى كتابه وإنما تعجب الشيخ من الجهل بهذين الأمرين لأن هذين الموقفين هما أصل التوجه والمعاملة ومظهر التحقيق والمواصلة وبالله التوفيق ثم قال متمما لما تعجب منه

(يامن ألبس أولياءه) العارفين (ملابس هيبته) حتى هابهم كل شيء وخاف منهم كل شيء ولم يخافوا من شيء وفى الحديث من خاف الله خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه كل شيء وحيث ألبسهم لباس هيبته (فقاموا بعزته مستعزين) لما رفعوا همتهم عن الخلق أعزهم الله ولما رفعوا همتهم عن الدنيا أعزهم الخالق فإن الولى إذا أراد الله أن يرده إلى خلقه لينفع به عباده ألبسه حلتين حلة البهاء والجمال ليقبل الناس عليه بالمحبة والوصال فيغنيهم الله به وحلة الهيبة والجلال ليمتثل أمره ويجتنب نهيه إذا نهى وهاتان الحلتان يكساها عند الرسوخ والتمكين وإلى ذلك أشار بعض الشعراء والله أعلم بقوله :

إن عرفان ذى الجلال لعز   وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضاً بهاء   وعليهم من المحبة نور
فهنيئاً لمن عرفك إلهى   هو والله دهره مسرور

فلما كانوا لله وبالله ومع الله أعزهم الله وأعزهم من أعزهم قيل فى تفسير قوله تعالى (تعز من تشاء) قال بأن يكون لك بك معك بين يديك اه وسبب العز من الله هو ذكر الله كما قال (أنت الذاكر من قبل الذاكرين) أى أنت

وكيف يهدى وهو لم يهدى   لقد عدى ظلما وقد تعدى

(قلت) من لم يأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من اتبعه من لم يرب لم يربى من لم يهد بغيره لا يهدى غيره من لم يسلك الطريق لا يسلكها بغيره بل يتلف نفسه ومن تبعه لقد عدا أى جاوز الحد ظلما أى من جهة الظلم لقد تعدى طوره ولم يعرف قدره ثم قال :

من لم ينل مراتب الإراده   كيف يوطى للهدى سجاده

(قلت) من لم يحصل مراتب الارادة ويسلكها جذبا وسلوكا كيف يوطىء أى يبسط سجادة ويقعد عليها لهداية الناس فمن فعل ذلك فقد غر الناس من لم يصحب العارفين من أهل الكمال لا يغر بأولاد الرجال ثم قال :

(قلت) الجحر بتقديم الجيم هو الغار وقد تقدم أن الشيخ بمنزلة شيخ الركب فلا بد أن يكون عارفا بالمنازل والمناهل قد سلك الطريق وعرفها وعلم وعرها وسهلها وأما من كان لازما بيته قاعدا فى جحره كالفار فلا يمكن أن يدل على الطريق لأنه يتلف من تبعه قطعا (قال) فى بداية السلوك

أتكتفى بالوصف فى المسير   فالوصف لا يغنى عن الخبير

(قال) الشارح بعد كلام العلماء إنما نبهت على ما تصح به الوجهة الى الله لا عن السر الذى تمد منه الوجهة الذى لا يتصوروا الكشف عنه إلا لمن انفقأ الحجاب عن عين قلبه وكان له نصيب ميراث من فراسة نبيه صلى الله عليه وسلم فى أحوال صحبته فهذا العلم هو الذى لا يمكن التعبير عنه بالمقال ولا تصح الامر حتى يأمر وينهى ويعطى ويمنع ثم قال أرأيت لو أن رجلا أو رجالا وصفوا لك الطريق من دارك الى مكة وكتبوا لك كتاباً فيه جميع المنازل والمناهل والمواضع المخوفة والمأمونة ثم تهت أينفعك ذلك الكتاب وقد أحاط بك بحر السراب وانقطعت عن حى الاعراب بل تتيقن بالهلاك وكتابك فى يدك هذا فى الطريق الحسى فما بالك فى الطريق الباطنى المعنوى التى هى قليل خطارها كثير قطاعها اه بالمعنى ومن هذا المعنى قالوا إن الميت لا يربى لأن من مات لا يدل على الطريق بالفعل وقالوا أيضاً الثدى الميت لا يرضع الولد والله تعالى أعلم ثم قال :

أليس هذا كله محال   لم يستقم الشخص منه حال

الذاكر لهم من قبل أن يذكروك فلولا ذكرك اياهم ما ذكروك قال أبو يزيد رضى الله عنه غلطت فى بداية أمرى فى أربعة أشياء توهمت الى إنى اذكره واعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتبهت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته سبقت معرفتى ومحبته أقدم من محبتى وطلبه لى أولا حتى طلبته (وأنت البادىء بالإحسان من قبل توجه العابدين) فلما بدأتهم بالاحسان توجهوا اليك بالطاعة والاذعان (وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين) حل حكم الأزل أن يضاف إلى الأسباب والعلل (وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين) فقد وهبت لنا النعم وأمرتنا بالسخاء والكرم ووفقتنا لعطائها ووعدتنا بالنعيم الجزيل عليها فلله ما أعطى وله ما أخذ فاذا عرف العبد هذا لم تبق له وسيلة يتوسل بها الا فضل الله وكرمه وفى مناجاة الجنيد رضى الله عنه ياذا كر الذاكرين بما به ذكروه يابادىء العارفين بما فيه عرفوه ياموفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذى يشفع عندك إلا باذنك من ذا الذى يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ماوهبه له غاية فى ترفيعه لقدره واباته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب نهاية فى اكرامه له وتفضله عليه وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافا بين فيه

(قلت) الاشارة تعود الى التقدم الى الشيخوخة من غير استحقاق وذلك عند أهل الحق محال لم يستقم لمن تبعه حال بل ضرره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ثم قال

ياقاصدا علم الطريق السالف　　لا تقتدى بهذه الطوائف
مامنهم من علم المقصودا　　منه ولا الوارد والمورودا
لم يعرفوا حقيقة الطريقة　　فالقوم جهال على الحقيقة
فاحذرهم خشية يفتنوكا　　واترك سبيلا لم يزل متروكا

(قلت) هذا تحذير من متفقرة وقته يقول يا قاصدا علم طريق الصوفية المتقدمين المحققين لا تقتدى بهذه الطوائف الجهلة المبتدعين فليس منهم من علم المقصود من الدخول فى الطريق القوم ولا كيفية الورود أى المرور عليها ومرودها أى مشروبها هو اذا لاذوق عندهم ولا حال وانما الناس من عوام الجهال لم يعرفوا طريقة ولا حقيقة والجاهل لايقتدى به ولا يكون اماما أبدا قال تعالى (قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) والجاهل لابصيرة له (فان قلت) قد وجد كثير من الأولياء أميين وكانوا أئمة يقتدى بهم فى الباطن (قلت) مثل هؤلاء كانوا متعطشين إلى الله جادين فى طلب الحق فلما علم الله صدقهم دلهم على ولى من أوليائه فلما كشف الحجاب عنهم علمهم الله ما جهلوا فكانوا أعلم الناس بالله وقد قال بعضهم ما اتخذ الله وليا جاهلا الا علمه وغيرهم من فقراء الوقت لم يكن لهم ذلك فبقوا جاهلين ثم هذا الذى قاله الناظم ليس على التعميم اذلا تخلو الأرض من قائم لله بحجته وشيخ التربية لايخلو الزمن منه أبدا اذلا يمكن أن يكون القطب الا بعد التربية وهو لاتخلو الأرض منه كما هو مقرر عند أهل الفن والله تعالى أعلم ثم قال :

فان غدا الأمر عليك مشكلا　　وشئت ان تعلمه مفصلا
فسوف ألق لك قول الحاذق　　يفصل بين المدعى والصادق

يعنى إذا صار الأمر مشكلا عندك ولم تعلم الصادق من الكاذب والجاهل من العالم والمحقق من المدعى والسنى من المبتدع واغتررت لظهور الكرامات وكثرة الاتباع وكثرة الطعام ولم تدر بمن تقتدى فها أنا اخبرك والق اليك قول اللبيب

أن نعمه وعطاياه بعيدتان أن تكونا مشوبتين بالعلل اه قال ابن عباد رضى الله عنه ولما بين أنّ طلب الحق سابق على طلب العبد طلب منه أن يطلبه ليتحقق منه الطلب فقال فى المناجاة الثامنة والعشرين (إلهى اطلبنى برحمتك حتى أصل إليك) أى اطلبنى برحمتك الأزلية حتى أطلبك وأصل إليك فان الطلب سابق الوصول وهذه طريقة السلوك ثم أشار إلى طريق الجذب والعناية فقال (واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك) قلت ولو عكس لكان أحسن فيقول اطلبنى برحمتك حتى أقبل عليك واجذبنى بمنتك حتى أصل إليك فان الجذب هو الاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون والغالب أن يكون بعد التوجه والطلب والمجاهدة والتعب وقد يجذب أولا ثم يرد إلى السلوك والأول أكمل ثم إذا حصل طلب الرب لعبده حتى وصل إليه لا ينقطع عنه خوفه ورجاؤه كما أبان ذلك فى المناجاة التاسعة والعشرين بقوله (إلهى ان رجائى لا ينقطع عنك وإن عصيتك ان خوفى لا يزايلنى وإن أطعتك) قلت لما كانت السابقة مبهمة والخاتمة مجهولة كان العبد بين خوف ورجاء ولو بلغ ما بلغ فان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء والنواصى بيد قدرته تقودها حيث شاءت قال الشاعر :

حسبي الله توكلت عليه من نواصى الخلق طرا فى يديه

الحاذق يحكم بين المدعى والصادق ثم ذكر ذلك الفاصل فقال :

قول الفقير انى فقير فللظهور أبدا يشير

(قلت) قول الفقير أنا فقير للظهور ليس على إطلاقه بل فيه تفصيل (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه أما قول الفقير أنا فقير فهو إشارة للظهور كما قال وذلك محمود ومذموم بحسب قصده وهو على ثلاثة أوجه (أحدها) أن يقصد به التبرى مما كان عليه من الجهالة والعلى ليكون له عونا على عدم العود لما كان عليه وهذا أمر لا بأس به ان وقف على حده (الثانى) أن يقوله يستنجد به من عسى أن يرجو فيه خيراً أو عاصياً متمرداً أو متذكر يقظان أو مريدا متوجها ليكون له عوناً على البر والتقوى فهذا أيضاً لا بأس به ان لم يتعد به محله وعلامة صاحب هذين الوجهين أن يقول ذلك مع انكسار وتبرء واستغفار وحمد واستبشار (الثالث) أن يقول ذلك بقصد التبجح والاستتباع واظهار المزيد والتعزز بالنسبة والانتساب وطلب الرياسة وإشاعة الأمر فى العموم والتعرض لكل أحد والتعريض به وشاهد الحال لا يخفى الخ (قلت) وذم من هذا وصفه لا يخفى وهو الذى يفسر به الناظم والله تعالى أعلم ثم قال :

وبسطه وليس غير عارف سخافة ليست من المعارف
وقبضه وليس ذا إرادة فهو على غير طريق السادة

(قلت) الغالب على العارفين البسط فرحا بالله وبالوصول إليه والغالب على المريدين القبض لأنهم فى محل المجاهدة والمكابدة فإذا رأيت الفقير انبسط وانشرح من غير وارد قبل تحصيل المعرفة بالله فبسطه وانشراحه سخافة وحمق ليست من المعارف إذ لا يليق بحاله إلا القبض إذ لاحظ للنفس فيه وإذا رأيته مقبوضاً ولم تظهر عليه أحوال الارادة فاحذره فهو على غير طريق السادة المتقدمين ولا يلزم من الحذر الاستحقار فتعظيم النسبة مطلوب ثم قال :

وأخذه مما بأيدى الناس دون اضطرار فهو ذو افلاس

(قلت) أخذ المريد من أيدى الناس وسؤاله لهم من غير ضرورة تدل على إفلاسه وأنه فقير بطنه يريد جمع الدنيا اللهم إلا إن كان قصده إعانة شيخه أو فقير مثله فلا بأس به والحاصل أن الفقير لا يقبض لنفسه إلا ما كان مضطرا إليه وإن

ليس للهارب فى مهربه أبدا ملجأ إلا اليه

فكيف لايصح للعبد أن ينقطع خوفه ان أطاع أو يقل رجاؤه ان عصى وقد تقدم فى أول الكتاب أن خوف العارفين ورجاءهم ناشىء عن شهود صفة الجلال والجمال وهما لايتغيران فكذلك ما ينشأ عنهما ولذلك وصف الشيخ نفسه بهذه الحالة الشريفة وهى الاعتدال على الدوام ظهرت منه طاعة أو معصية وراجع ماتقدم وانظر عند قوله لاكبيرة إذا قابلك فضله الخ فاذا تحقق أن العبد لامهرب له فى حال عصيانه إلا وقوفه ببابه ولاسكون له فى حال طاعته إلا إلى كرمه وإحسانه علم أنه مدفوع اليه على كل حال وهذا معنى قوله (قد دفعتنى العوالم اليك) فهما ملت إلى شىء دفعتنى عنه أو ركنت اليه حركته على حتى تدفعنى اليك فما أرحمك بى مع عظيم جهلى وهذه علامة العناية من الله لعبده فمهما رآه وقف مع شىء أو ركن إلى شىء ولو كان طاعة شوشه عليه ورحله منه وقد تقدم أن من جملة العقوبة التى يعاقب بها المريد تركه وما يريد وقال شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه إذا رأيتم الفقير يقول الغواث والتشويش عليه من كل جهة فاعلموا أن الله تعالى يريد أن يسكنه عنده أو كلاما هذا معناه والحاصل أن الحق تعالى غيور لايحب قلب عبده أن يركن إلى

قبض شيئاً بلا ضرورة أخرجه عنه سريعاً والله تعالى أعلم ثم قال :

ولبسه ماكان ذا اشتهار فسره عار عن الأسرار

(قلت) ليس الفقير ما فيه الشهرة عند الناس ان كان باذن من شيخه فلا عليه فان الشيخ طبيب وان كان بغير إذن فلا يخلو من حظ فإن النفس تحب أن تعرف وقد قالوا خالفوا تعرفوا فلعلها تريد ميل القلوب فمن فعل ذلك فاحذره فان سره خال من الأسرار والعياذ بالله لأن الصادق لايحب أن يذكر ولا يظهر والشر لايكون إلا مدفوناً والله تعالى أعلم ثم قال

(قلت) الناس على ثلاثة أقسام قسم عوام لاتوجه لهم فهم يأكلون كل ما تبيحه الشريعة وقسم عارفون واصلون تحقق فناؤهم وبقاؤهم فهم يأخذون من يد القدرة فهؤلاء أيضا لا كلام عليهم وقسم مريدون متوجهون فهؤلاء ينبغى لهم أن لا يتعاطوا كل ما تشتهى نفوسهم بل ينبغى لهم مخالفتها فى ذلك إذلو لاميادين النفوس ماتحقق سير السائرين فاذا رأيت الفقير يأكل من سائر المآكل شهوات وشبهات ولا يتحاشى من شىء وهو دون انتهاء فى المعرفة فهو غير واصل لايأتى منه شىء ولا يحصل على طائل إلا أن يتوب والله تعالى أعلم ثم قال

وسمعه مواقع الألحـــان بغير موت النفس فهوعان

(قلت) قد تقدم الكلام على السماع وحاصله أن الفقير إذا حصل له الفناء فى الذات وعرف كيف يسمع فالسماع فى حقه مطلوب لما فيه من زيادة الخمرة فان النفس لما ماتت لاتميل الا الى الحضرة ولاتسمع إلا منها (قال) بعض من صح سماعه أنا لا أسمع من النغم إلا أنا أنا أو أنت أنت (وقال) الششترى أنا بالله أنطق ومن الله أسمع فمثل هذا يزيد بالسماع مالا يزيد بغيره ومن لم يبلغ هذا المقام فالسماع عليه مكروه أو حرام فمن رأيته يسمع الألحان ولم تمت نفسه فهو عان أى فى عناء وتعب لايزيده ذلك الا بعدا والله تعالى أعلم ثم قال

وحبه السماع لاتحاله بقية فيه من البطالة

(قلت) السماع إنما هو دواء ورخصة للضعفاء تقوية لحالهم فاذا حصل الشفاء استغنى عن الدواء فاذا رأيت الفقير

غيره وهذا من كرمه تعالى وإحسانه إلى عباده ولذلك قال (وقد أوقفنى على بكرمك عليك) قلت لما دفعته العوالم اليه لم يجد كريما سواه فأوقفه كرمه على بابه ولا ذبحنا به والكريم لا تتخطاه الآمال قيل معنى كرم الله إحسانه لعباده وقيل الذى لا يدع حاجتهم لغيره وقيل الذى يعطى قبل السؤال قال الجنيد الكريم الذى لا يحوج إلى السؤال وقال المحاسبى الذى لا يبالى من أعطى ولا كم أعطى وقيل أن من فهم كرم الله تعالى لم يجزع من سوء قضاء لأنه يرى المصيبة نعمة مستورة عن ادراك الخلق كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه ما أصابنى الله بمصيبة إلا رأيت الله فيها ثلاث نعم الأولى حيث لم تكن فى دينى الثانية حيث لم تكن أعظم مما وقعت الثالثة ان الخطايا تكفر بها فأنا أشكر الله عليها اه ولهذا قالوا ليس العجب ممن يلتذ بالنعيم انما العجب ممن يلتذ بالعذاب الأليم وذلك لا يكون إلا بخرق عادة النفس حتى تلتذ بما يتألم به الناس كما قال القائل

اريدك لا أريدك للثواب ولكنى أريدك للعقاب
وكل مآربى قد نلت منها سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

وقال آخر
إذا كانت الأقدار من مالك الملك فسيان عندى ما يسر وما يبكى

يحب السماع ويميل اليه على الدوام فاعلم أن فيه بقية من البطالة والبطالة ضد المجاهدة ومن لا مجاهدة له لا مشاهدة له ومن لا مشاهدة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له والله تعالى أعلم ثم قال

ورقصه فيه بغير وارد يسلبه عند فقير وارد

(قلت) قد تقدم الكلام على الرقص والتحرير فيه عند قوله فى السماع والرقص فيه دون سجم الحال الخ ما يغنى عن إعادته فرقص الفقير بغير وارد يسلبه عن الشعور بنفسه فهو غير وارد أى شارب من شراب القوم إلا أن يكون تواجدا أو مساعفة لمتواجد فلا بأس به ولا يعترض على صاحبه (أو تقول) رقص الفقير أو زعقه أو صراخه من غير وارد فهو بدعة غير وارد فى الشرع والله تعالى أعلم ثم قال

وأخذه الخلع بغير الخلع بعد عن الحق بعين الجمع

(قلت) قد تقدم الكلام على الخلع فاذا رأيت الفقير يأخذ ما خلع عنه من الثياب عند ورود الأحوال بعد أن طرحها عنه فهو عائد إلى صدقته كالكلب يعود فى قيئه فهو بعيد عن الحق بعين الجمع أى حيث يظن الجمع يعنى أنه بعيد من حيث يظن القرب ففيه جهل مركب والله تعالى اعلم ثم قال

وحطه الرأس بغير جرم على أخيه غير فعل القوم

(قلت) قد تقدم أن حط الرأس عند فعل مالا ينبغى ليس من شأن الصوفية ولا عمل عليه فإذا فعله الفقير فقد أخطأ إذ ليس نص من الشارع فهو قريب من البدعة ثم قال

وقد ذكرنا حكم الاستغفار أعنى القيام ليس عرفاً جارى

(قلت) قد تقدم أيضاً حكم الاستغفار وأنه لم يجر به عرف (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه هذه الثلاثة يعنى أخذ الخلع وحط الرأس والقيام للاستغفار ليس من مطلب الطريقة ولا من موجبات الحقيقة ولا من أحكام الشريعة وان كان لها وجه من التأويل فتركها أولى والتسليم للعامل بها لازم لمحل الاشتباه والله أعلم اه ثم قال

وميله للعرب والأعاجم علة نفس وهو فيه آثم

(قلت) من شأن الفقير فى بداية الفرار من الناس والاستيحاش منهم حتى يتمكن الحضور فيه على التمام وحينئذ لا بأس أن يخالطهم بجسمه ويفارقهم بقلبه وأما ميله للناس وحب مخالطتهم فهو دليل على إفلاسه إذ الاستئناس بالناس من علامة الافلاس

والحاصل أن المحبة اذا قويت غيبت المحب عن الآلام وإلا فهى ناقصة ومنشؤ المحبة شهود الكرم كما تقدم ومن وقف بباب كرم مولاه لا يخيب أمله ومناه كما أبان ذلك فى المناجاة الموفية ثلاثين بقوله (إلهى كيف أخيب وأنت أملى) أى محل طمعى ورجائى والكريم لا يخيب آمال الطامعين وهو أكرم الأكرمين (أم كيف أهان وعليك متكلى) وقد قلت فى كتابك العزيز (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه ومن كنت كافية وناصره لا يهان أبداً (حكى) أن بعض الأولياء ولدت له بنية فى آخر عمره وماتت أمها وحضرته الوفاة فقال له رجل أوصنى عليها أكفلها قال لا ولكن اذا أنامت فاحملها الى حرم الله ودعها فى الحجر وأمض ودعها فى كفالة الله فلما مات فعل الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد فرأتها أم الخليفة وهى تطوف فأمرت بحملها لها فتبنتها وربتها حتى بلغت وزوجتها لابن الوزير وأصدقتها عشرين ألف دينار فانظر حال من توكل على كفالة مولاه وآوى الى حصن رعايته وحماه وأنشدوا

أيحسن بى فى داركم ونزولكم   أوجه يوما للعبد رجائيا
يحق لمثلى أن يعود لمثلكم   وأن أتركن جمع العباد ورائيا

(وقال) بعضهم من خالط الناس داراهم راآهم ومن راآهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا ولله در الشيخ الحضرمى حيث قال

عش خامل الذكر بين الناس وارض به   فهو أسلم للدنيا وللدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانته   ولم يزل بين تحريك وتسكين

(وقال) بعضهم من خالط الناس وظن السلامة من الاثم فقد رام المحال كمن خالط النار بالحطب وظن سلامته من الاحتراق ثم قال

سفره ان لم يكن اليه   منه فلا حقيقة لديه

(قلت) سفر المريد أن كان بالله لله فانيا عن نفسه خاليا من حظوظه فهو فى غاية الكمال وان كان بالنفس للنفس فهو فى غاية النقصان وجلوس هذا أفضل من سفره وان كان بنفسه لله فهو متوسط وسفره أفضل من جلوسه ليتحقق كماله فتحصل ان السفر على ثلاثة أقسام سفر بالله الى الله وسفر بالنفس للنفس وسفر بالنفس لله فالاول محمود قطعا والثالث ملحق به والثانى مذموم قطعا ومنطوق الناظم هو الثانى والثالث ومفهومه هو القسم الأول لكن الثالث ملحق بالأول كما تقدم خلافا لظاهر الناظم والله تعالى أعلم ثم قال

وان اشار للمرام الأول   وجهل العقل فعنه فاعدل

(قلت) لعله أراد بالمراد الأول عالم القدرة وأراد بالعقل عالم الحكمة فإنها من مدركات العقل فاذا أشار المريد الى الحقيقة الاولية وجهل ما أدركه العقل من الاكوان التى وقع بها التجلى فاعدل عنه لأنه ان كان مجذوبا فهو ناقص وان كان مدعيا فهو ساقط فالاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته فلا بد من اثبات الواسطة والموسوط ونفى عالم الحكمة يؤدى للزندقة لابطال الاحكام والله تعالى اعلم (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه اشارته للمرام الأول تنبيه على من قال بقول الفلاسفة من اعتبار العقل الاول ويسمونه الفعال وهو مذهب فاسد خارج عن حدود المعقولات لما تضمنه من قدم العالم والقول بحوادث لا أول لها واليه أشار بقوله جهل العقل اعنى جهل حقيقته حتى سماه بغير اسمه وحكم له حكمه اه ثم قال

أو قال بالظهور والحلول   فبدعة يقدح فى الاصول

(قلت) مراده بالظهور ظهور الذات العالية لبصر الحس حتى تدرك بالبصر الحسى وقد قال تعالى (لا تدركه الابصار وانما تدركه البصيرة) فاذا انفتحت وقوى نورها استدلت على البصر فصار الحكم لها فالبصر لا يرى الا الحس والبصيرة

(وحكى) أن رجلا كانت له امرأة حاملة وأراد سفراً فلما خرج لسفره قال اللهم انى استودعك ما فى بطن هذه المرأة ثم غاب فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له انها ماتت وهى حامل فلما كان الليل خرج إلى المقابر فرأى نوراً فتبعه فاذا هو فى قبرها فنبش عليها فاذا بالصبي يرضع فى ثديها فهتف به هاتف يا هذا انك قد استودعتنا الولد فوجدته أما انك لو استودعتنا أمه لو جدتهما جميعاً اه من التنوير فما ألطفه سبحانه بمن استرعاه وما أحفظه لمن دخل حماه اللهم اجعلنا ممن تحصن بك فكفيته وممن استرعاك فى تركته فرعيته يا أرحم الراحمين ولا شك أن من دخل تحت خفارة العزيز كان عزيزاً بالله ذليلا له واليه أشار فى المناجاة الحادية والثلاثين بقوله (إلهى كيف أستعز وفى الذلة أركزتنى) أى كيف أستعز عليك وأنت فى ذل العبودية أركزتنى أى أقررتنى وأقمتنى (أم كيف لا أستعز واليك نسبتنى) أى كيف لا أستعز فى قلبى وروحى وسرى واليك نسبتنى لما أودعت فى قلبى من سر الخصوصية ونور المعرفة وقوة الحرية فقلت يا عبدى ويا ولىي ولا شك أن هذه النسبة توجب الافتخار على الوجود والتيه على كل موجود فذل العارف يرجع الى ظاهره عبودية وعزه يرجع الى باطنه حرية بما شهد من أنوار الربوبية والتيه أشار بقوله :

لا ترى الا المعنى وقد يتلطف الحس فيصير كأنه معنى فيكون ما تراه البصيرة فى معد العيان وهو محل الشهود اذ الحس لا يفارق المعنى وأما الحلول فمعناه اثبات السوى وحلول الألوهية فيه وهو كفر صراح فمن ادعى شيئاً من الظهور أو الحلول فارفضه فقد أتى ببدعة تقدح فى أصول إيمانه والعياذ بالله من الزلل ثم قال

وقوله أنا الذى أهواه　　قبل الغنى عنه فما أقصاه

(قلت) اذا قال الفقير أنا من أهوى ومن أهوى أنا قبل تحقق فنائه فما أبعده عن الصواب واذا تحقق فناؤه فلا يقول ذلك الا مع من يصدقه فى حاله والا تعرض لقتله ثم قال

أو يدعى فى علمه اللدنى　　بلا تقى فذاك غير سنى

(قلت) متى ادعى الفقير أن له علما لدنياً ولم تظهر عليه تقوى ولا مجاهدة ولا رياضة وانما ذاك خرافات لا طائل تحتها ومن ادعى ذلك فهو غير سنى قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) فمن لا تقوى له يعلمه الله شيئاً ولله در القائل

شكوت الى وكيع سوء حفظى　　فأرشدنى الى ترك المعاصى

وقال اعلم بأن العلم فضل　　وفضل الله لا يؤتاه عاصى

والمراد بوكيع المحدث الضابط من أشياخ الامام البخارى وفى الحكم أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته اه ثم قال

وحكمه ان كان فوق الحال　　فذاك مقطوع عن الرجال

(قلت) ينبغى للفقير أن يكون حاله فوق مقاله وقدمه أكبر من صيته فاذا كان يدعى مراتب الرجال ويحكم على نفسه بها قبل وصوله اليها بشهادة أهل الفن فهو مقطوع عنهم والعياذ بالله من الدعوى ثم قال

أو قال أنا الشيخ فاتبعونى　　بغير علم فهو ذو جنون

(قلت) الفقير لا يدعى الشيخوخة حتى يأذن له شيخه فاذا اذن له فلا بأس أن يعرف بنفسه لقصد الاتباع له وأما اذا لم يؤذن له أو لم يكن له شيخ وقال فاتبعونى فهو أحمق مجنون سواء كان له علم أم لا اذ من لا شيخ له لا علم له بطريق السير أصلا ومن لا علم له فهو جاهل والجاهل يقود الجاهل كالأعمى يقود الأعمى إلى أين المصير وان لم يأذن

نحن ان كنا به تهنا دلالا على سائر الحرائر والعبيد
وان نحن جعنا الينا عطل ذلنا ذل اليهود

قال بعضهم رأيت ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم ونظرت فى عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم اه وقال الشبلى رضى الله عنه لقد ذللت حتى عز فى ذلى كل ذى ذل وعززت حتى ما تعزز أحد الا بى ومن به تعززت ثم ان الفقر أخو الذل ولذلك قرنه به فى المناجاة الثانية والثلاثين فقال (إلهى كيف لا أفتقر اليك وأنت الذى فى الفقر أقمتنى) لأن أنفاسى بيدك فأنا فقير اليك فى كل لحظة فى إيجادى وامدادى قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) وهذا هو الفقر إلى نعمة الايجاد ثم قال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وهذا هو الفقر إلى نعمة الامداد (أم كيف أفتقر إلى غيرك وأنت الذى بجودك أغنيتنى) حيث كفيتنى ما أهمنى وتكفلت لى برزقى وما تقوم به بنيتى وأغنيتنى بمعرفتك حتى لا أحتاج إلى غيرك وفى الحديث ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس أى الروح وغناها انما يكون بربها (أنت الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شىء) بما أظهرت له من نور جلالك وجمالك فصار مسبحاً بحمدك وساجداً لك (فما جهلك شىء) فالكل عارف بك ومقر لك بالربوبية اما طوعا ظاهراً وباطنا واما باطنا فقط لتظهر حكمتك (وأنت الذى تعرف إلى فى كل شىء) من اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار (فرأيتك ظاهراً فى كل شىء) بنورك الازلى الذى أفنى وجود كل شىء (فأنت الظاهر لكل شىء) وأنت الباطن لكل شىء وفى الحديث اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء وقد تقدمت أقسام

له شيخه فهو ذو دعوى ومبتلى بهوى والهوى شعبة من الجنون والله تعالى أعلم ثم قال :

أو قال صوفى أنا ولما يدر حدود النفس فهو أعمى

(قلت) اذا قال الفقير أنا صوفى ولم يفرق بين حدود النفس وحدود العقل والقلب والروح والسر فهو أعمى (أو تقول) لم يفرق بين الروحانية والبشرية فهو أعمى عن طريق الخصوصية (أو تقول) لم يعرف ما فيه ضرر نفسه فينكف عنه وما فيه نفعها فيبادر اليه ولا شك أن من كان هكذا فهو أعمى عن طريق السير اذ السير إنما هو فعل ما يقتل النفوس وترك ما تحيا به ومن لم يعرف ما ينفعه وما يضره فلا بصيرة له فهو أعمى وهذا أقرب لشرح النظم والله تعالى أعلم ثم قال :

وحبه القوم بلا اتباع ليس له فيه من انتفاع

(قلت) محبة القوم فيها خير كثير من أحب قوماً حشر معهم لكن لاينتفع بها فى طريق التصفية والتهذيب الا باتباع ما أشاروا اليه به وأما الحرمة والبركة فتحصل بحول الله عمل بعملهم أو لم يعمل للحديث والله تعالى أعلم ثم قال :

وفعله مافى عموم الشرع يمنعه النص ففعل بدعى

(قلت) فعل ما يمنعه النص فى عموم الشريعة حرام الا لضرورة فان الضرورات تبيح المحظورات فان فعل الفقير شيئاً من ذلك فهو بدعى واما مالم يرد نص فى تحريمه ولا تحليله فإن فعله بنية القربة فهو بدعة أيضاً لتغييره أحكام الشريعة وإن فعله استراحة للنفس أو جلباً لحال أو لداء مرض أصابه فهو مطلوب فقد سئل الجنيد عن السماع فقال كل مايجمع العبد بالله فهو مباح اه وبيت الناظم فيه تقديم وتأخير أى وفعل الفقير ما يمنه النص فى عموم الشرع بدعى والله تعالى أعلم ثم قال :

وإن تشيخ بغير اذن من شيخه باء بكل غبن

الظهور مستوفاة فى أول الكتاب وعبر هنا بعبارة لم تتقدم فقال)يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كم صارت العوالم غيباً فى عرشه)قلت أشار إلى تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)وقوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن) فذكر أن استواء الحق تعالى على العرش إنما هو برحمانيته فهو مغمور فى رحمانية الحق حتى صار غيباً فى رحمانيته إذ لا نسبة له معها ورحمانية الحق تعالى وصف قائم بذاته والصفة لازمة للموصوف فاذا غاب العرش وانطوى وجوده فى رحمانيته غابت العوالم كلها لأنها فى جوف العرش كحلقة فى الأرض وهو محيط بها كما أحاطت الرحمانية بالعرش فلا نسبة له معها ثم فسر ذلك فقال (محقت الآثار بالآثار) فالآثار الأولى هى العوالم والآثار الثانية هى العرش فقد امتحقت الأكوان كلها فى عظمة العرش حتى صارت كالعدم (ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار) قلت المراد بالأغيار هو العرش وما احتوى عليه من الآثار أو تقول هو كل ما دخل عالم التكوين من العرف إلى الفرش أو ما فرض وجوده خارجا عن العرش وأفلاك الأنوار هى أنوار الذات والصفات فاذا امتحقت الأغيار وهى الآثار بأنوار عظمة الذات بقيت الأنوار وانفرد بالوجود الواحد القهار فأنوار الصفات هى أنوار الذات وأنوار الذات هى أنوار الصفات والله تعالى أعلم (يا من احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار) قلت السرادقات فى اللغة هى الأسوار المحيطة بالدار وهى هنا كناية عن الحجب القهرية وهى حجب العزة التى احتجب الحق تعالى بها عن عباده مع شدة ظهوره ومرجعها إلى دوائر الحس والوهم والغفلة والأكنة التى على القلوب وتنحصر فى خمسة أمور

(قلت) الفقير إذا تشيخ أى صير نفسه شيخا وتقدم لمرتبة الشيوخية من غير إذن من شيخه فقد باء أى رجع بكل غبن وخسارة إذ لو رآه شيخه أهلا لها لقدمه لها وأما انتقاله عنه إلى غيره فهو أقبح وهو إفساد لبذرة الإرادة وهذا فى حق شيخ التربية وأما غيره فلا يضره الانتقال عنه إذا المريض إذا لم يشف على يد طبيب انتقل إلى غيره وهذا أى انتقال المريد لم يذكره الناظم وتقدم فى محله والله تعالى أعلم ثم قال :

فهـــذه وشبهها موانع   وهى على الطريق كالقواطع
هل هى إلا علل فى الفقر   جالدها كل جليد صقر

(قلت) الإشارة تعود إلى كل ما قدمه من الفصل إلى هنا من مساوى متفقرة الوقت يعنى أن هذه الأمور التى قدمنا وشبهها هى فى طريق القوم موانع تمنع المريد من الوصول إلى مقصوده وهى على طريق التصوف كاللصوص والقطاع وما هى أيضاً إلا علل فى طريق الفقر فمن جاهدها وجالدها فهو كالصقر أى البازى فى الشجاعة والزعامة والمجالدة هى المضاربة بالسيوف والرجل الجليد هو الصبار أى جالد هذه العلل وصرفها عن نفسه صبار شجاع زعيم يفوز بالخير الجسيم والله تعالى أعلم ثم قال :

حتى إذ جدلها صريعة   لم يتوقع بعدها وقيعة

(قلت) التجديل هو الصراع والاسقاط يعنى أن الفقير إذا غلب نفسه وجاهدها حتى غلبها وصرعها وقتلها أمن حينئذ من غوائلها ولم يتوقع منها بعد ذلك وقيعة ولا فتنة البتة وبالله التوفيق ثم قال :

يا صاح لا يفتنك الزمان   فها لديك الشرح والبيان

(قلت) لما نصحك وحذرك قال لك يا صاحبى لا يفتنك الزمان وأهله فقد شرحت لك أحوال الناس وبينتها حتى تركتك على بينة تعرف منها الصادق والكاذب فلا تغتر حتى يأكلك من والاك ولا تسىء الظن حتى تسد باب الرحمة

الاول) حب الدنيا الذى زرعه الحق تعالى بقهره فى قلوب الناس حتى انصرفت اليها الهمم وتاهت فيها العقول وتظلمت الصور خيالها القلوب واشتبكت فيها الفكر فلا تنصرف الى غيرها وبهذا احتجب جل العباد الا من عصم الله

(الثانى) ارتباط الاسباب مع مسبباتها والعوائد مع ماتعودت بها كتوقف أمر الرزق على حركة السبب النبات على وجود الأمطار وغير ذلك من ارتباط الاسباب فظن الجهال أنها لاتنفك عن مسبباتها فحجبوا بها عن مسبب الاسباب والحكيم العليم يرزق من غير أسباب ويعطى بلا حساب وبهذا احتجب كثير من الناس فوقفوا مع الاسباب و حجبوا عن شهود رب الارباب الا من نفذت بصيرته من ذوى الالباب

(الثالث) الوقوف مع ظاهر الشريعة ترغيباً وترهيباً علما وعملا فقوم وقفوا مع الترغيب فانكبوا على العمل طلبا للجزاء وهم العباد وقوم وقفوا مع الترهيب فغلب عليهم الخوف وهم الزهاد وقوم وقفوا مع ترغيب العلم فاشتغلوا بعلم الرسوم والحروف وتركوا علم اليقين والخشية والمعرفة وهم علماء الظاهر فحجبوا بالعلم عن المعلوم وهى معرفة الحى القيوم

(الرابع) الوقوف مع حلاوة الطاعات ولذيذ المناجاة وهى سموم قاتلة لمن وقف معها وهى لأهل المراقبة وبها احتجب كثير من العباد والزهاد وقد تظهر لهم خوارق وكرامات حسية فتزيدهم حجابا عن الله

(الخامس) ظهور أثر القدرة على هذه التجليات واتصافها بأوصاف العبودية كالفقر والذل والجهل والمرض والموت وغير ذلك من أوصاف البشرية التى سترت سر الخصوصية وبهذا احتجب بعض المستشرفين على الفناء فى الذات فرجعوا من حيث جاؤا والله قاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فهذه سرادقات العز التى احتجب الحق تعالى بها فان العزيز هو الذى لا يترقى إليه وهم طمعا تقديره ولا يسمو إلى صمدانيته فهم قصدا إلى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول فى بحار عظمته وحار الألباب فى إدراك نعمته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مولاك وابتغ بين ذلك سبيلا والله تعالى أعلم ثم قال :

فالحق لايعرف بالرجال والعين لاتصلح بالمحال

(قلت) هذا مثل مشهور وهو أن الحق لايعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق أى باتباعه فمن عرف الحق بالرجال أصبح فى غاية الضلال اعرف الحق تعرف أهله (وقد) قال على كرم الله وجهه لو عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وسلم لما عبدته ولكن الله عرفنى بنفسه فعرفته ثم عرفت محمدا بالله فانظر هذا المقام الذى لم يحجبه عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم (وقوله) والعين لا تصلح بالمحال أى ماشاهدته العين وتحققته لم يتطرق إليه محال ولا ريب فليس الخبر كالعيان فلا تغتر بالسماع حتى ترى بعينك وتتحق وحينئذ تقدم أو تأخر وفى بعض النسخ والعين لا تصلح بالكحل بالكاف ولعل معناه أن العين الكحلاء غنية عن الكحل فهى جميلة لاتحتاج إلى أن يصلحها الكحل فكذلك الحق معروف لايتوقف على معرفة الرجال بل معرفة الرجال متوقفة على معرفة الحق والله تعالى أعلم ثم قال :

والحق فى كل الأمور أولى لو رآه الباطل لاضمحلا

(قلت) لاشك أن متابعة الحق والأخذ به فى كل الأمور أولى ومتى جاء الحق زهق الباطل واضمحل قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)إذ الباطل لايقوم للحق أصلا قيل لسهل رضى الله عنه من أين تأكل قال من عند الله قال أينزل عليك من السماء قال لولم تكن الأرض له لأنزله من السماء قال أنتم لايقوم أحدلكم بحجة فقال الحق لا يقوم له شىء اه وقيل المسؤل حاتم والله تعالى أعلم ثم قال

وإذ علمت سنن الأقوام اذن فهاك القوس والمرامى

(قلت) السنن بالفتح الطريق وبالضم جمع سنة يقول لما أخبرتك بسنن الصوفية فقد أعطيتك أقواسهم وكشفت لك عن مبلغ مرامهم حيث تنتهى سهامهم فلا تغتر بحبال سحرة فرعون وأعصيتهم الباطلة وتدع الميل إلى عصى موسى التى

لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اه (يا من تجلى بكمال بهائه) أى حسنه وجماله (فتحققت عظمته الأسرار) أى أسرار العارفين فدام سرورهم وحبورهم إلى يوم الدين ثم تتصل نضرتهم بنظرتهم إلى رب العالمين وأنشدوا :

سروری بکم أضحى يجل عن الوصف — وقربى منكم بالمودة والعطف
وأنتم معى حيث استقل بى الهوى — فلى بكم شغل عن الدانى والإلف
سويداء قلبى أصبحت حرماً لكم — تطوف بها الأسرار من عالم اللطف
رسائل ما بين المحبين أصبحت — تجل عن التعريف والرسم والعرف
رسائل جاءتنا بريا جنابكم — عوارف عرف فاق عن كل شذا عرف

(كيف تخفى) عن بصائر العارفين (وأنت الظاهر) وحدك لا ظاهر معك قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) فالحق هو الظاهر لكن لا تدركه أبصار المخلوقين ولا يرى الحادث القديم ولا يرى الحق إلا الحق فاذا فنى الخلق الحادث وبقى القديم رأى القديم القديم وعرف الحق الحق فمادمت لم يغط الحق تعالى وصفك بوصفه ونعتك بنعته لا تطمع فى شهوده ومعرفته مع شدة ظهور نوره (ام كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر) الذى لا يخفى عليه ولا يغيب عنه شىء وهو المحيط بكل شىء (والله الموفق) إلى سواء الطريق والموصل إلى عين التحقيق (وبه أستعين) فانه القوى المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا (محمد) المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما دائماً إلى يوم الدين (نجز ماقصدنا جمعه) بحول الله وقوته فان وافق الحق والصواب فالمنة لله العلى الكريم وإلا فالعبد محل

هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وكذلك المتشبهة مع سادات الصوفية قاله الشيخ عبد الوارث ثم قال :

هذا هو الطريق فاقصد جله — فقد جمعنا لك منه جمله

يعنى أن ما ذكرته فى كتابى هذا هو أساس الطريق فابن عليه يستقم بنيانك وارفض ماسواه تفلح فاقصد العمل بما فيه أو جله فقد جمعت لك من سنن القوم جملة صالحة وبالله التوفيق ثم قال :

وقد ذكرنا كلما اشترطنا — وها على آخره أتينا

(قلت) أخبر رحمه الله أنه أتى على ما شرطه فى أول كتابه من بيان سنن الفقير وقد أتى على آخره وذكر جميع فصوله الخمسة فجزاه الله عن المسلمين خيراً وفى أمثاله قال القائل :

جزى الله الرجال جزاء خير — فى كل ما أظهروا لنا وأبدوا
لقد عظمت فضائلهم علينا — لما للمؤمنين هدوا وأهدوا

ثم ختم كتابه بالدعاء فقال : وفقنا الله إلى التوفيق — وقادنا لقادة التحقيق

(قلت) التوفيق هو خلق القوة على الطاعة وقادة التحقيق هم العارفون بالله نسأل من الله التوفيق وأن يسوقه إلى شيوخ التحقيق إذ بذلك يكمل التوفيق وبالله التوفيق ثم ختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل دعاؤه ويقبل على كتابه فقال :

وبعد هذا فصلاة الله — تترى على الهادى العظيم الجاه
ماغردت ورقاء فى الأغصان — وحن مشتاق إلى الأوطان

(قلت) تترى أى يتبع بعضها بعضا والتغريد الصياح بصوت حنين والورقاء بالمد الحمامة ذات النقط فى ريشها (وقوله) لعظيم الجاه أشار به إلى حديث عنه صلى الله عليه وسلم توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم (و) فى حديث آخر مكتوب

الخطأ والتقصير ولاسيما مع الباع القاصر والعلم القصير (وأقول) كما قال الشيخ خليل واعتذر لذوى الألباب من التقصير الواقع فى هذا الكتاب وأسئل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بعين الرضا والصواب فما كان من نقص كملوه وما كان من خطأ صلحوه فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات وكما قال ابن مالك فى التسهيل أعاذنا الله من حاسد يسد باب الأنصاف ويصد عن جميل الأوصاف وألهمنا شكراً يقتضى توالى الآلاء ويقضى بالقضاء اللاؤاء أى الشدة وكما قال فى حرز الأمانى * فياعاطر الأنفاس أحسن تأولا * وأنا أسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه أو طالعه أو حصل شيئاً منه أو سمعه أو عمل بما فيه وأن يكسوه جلباب القبول ويبلغ محصله كل مطلوب ومأمول بجاه خير الأنام مولانا (محمد) الشفيع المقبول صلى الله وسلم علية وعلى آله وأصحابه وعترته وأحزابه أهل المحبة والوصول وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وافق الفراغ من تبييضه عشية يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى سنة إحدى وعشرة ومائتين وألف وابتداء جمعه فى شهر المحرم الحرام من ذلك العام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا (محمد) النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم

(انتهى كتاب إيقاظ الهمم فى شرح الحكم والفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ويليه متن الحكم)

تحت ساق العرش من اشتاق إلى رحمتى رحمته ومن سألنى أعطيته ومن توسل إلى بمحمد صلى الله عليه وسلم لم أخيبه اللهم توسلنا اليك بجاه حبيبك مولانا (محمد) صلى الله عليه وسلم أن تمتع أسرارنا بمعرفتك وتنزه أفكارنا فى رياض قدسك وأن تحفظ قلوبنا من الميل إلى غيرك نحن وأحباؤنا ومن تعلق بنا آمين ثم أبدهذه الصلاة بشيئين أحدهما فان والآخر باق فالأول تغريد الحمام فى الأغصان والثانى حنين المشتاق إلى الأوطان فان الأرواح تحن إلى أوطانها على الدوام ولو بعد الحمام ولو اتصلت بالنعيم الروحانى المقيم فلا بد أن يبقى معها الاشتياق إلى الترقى والنظر أبداً والفرق بين الشوق والاشتياق ان الشوق يزول بالملاقاة بخلاف الاشتياق فلا يزول بالوصول وإلى ذلك أشار ابن الفارض بقوله

وما بين شوق واشتياق فنيت فى تول بحظوة أو تجل بحضرة

ثم ختم بالحمد كما بدأ ليكون الكتاب مكتنفاً بالحمد فيعظم خطره ويرفع قدره فقال :

والحمد لله الذى ختمنا بحمده كما به بدأنا

(قلت) حمداً لله على توفيقه لحمد الله فى البداية والنهاية وذلك من علامة بلوغ الأمل والمرام وقد تقدم الكلام عليه فى أول الكتاب فلا نعيده (والحمد لله) الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا (محمد) وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين (هذا آخر) التعليق المبارك نسأل الله سبحانه أن يتقبله بأحسن قبول وأن يبلغ به من طالعه أو سمعه كل مقصد ومأمول بجاه الحبيب الأعظم والرسول الأفخم سيدنا ومولانا (محمد) سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولى النزاهة والفضل والكرم (ووافق) من الفراغ من تبييضه عشية يوم الخميس أوسط شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومائتين والف وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) خاتم النبيين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

متن الحكم العطائية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الشيخ) الامام المحقق أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى * من علامة الاعتماد على العمل. نقصان الرجاء عند وجود الزلل * إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية . وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العلية * سوابق الهمم لاتخرق أسوار الأقدار * أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لاتقم به لنفسك * اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك . دليل على انطماس البصيرة منك * لايكن تأخر أمد الاعطاء مع الإلحاح فى الدعاء موجباً ليأسك . فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك. وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريده * لا يشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه. لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك * إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك . فانه ما فتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها اليه وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك * تنوعت أجناس الأعمال * لتنوع واردات الأحوال * الأعمال صور قائمة * وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها * ادفن وجودك فى أرض الخمول . فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه * ما نفع القلب شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة * كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته . أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته . أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته . أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه . فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار. وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار . مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى أظهر كل شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الذى ظهر لكل شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الظاهر قبل وجود كل شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد الذى ليس معه شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أقرب اليك من كل شىء * كيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ما كان وجود كل شىء * ياعجباً كيف يظهر الوجود فى العدم . أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم * ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه . إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس . لاتطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها . فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج . ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك. ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر طلبك منه اتهام له . وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه ما من نفس

تبديه الاوله قدر فيك يمضيه لاتترقب فروغ الأغيار فانذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيماهو مقيمك فيه لاتستغرب وقوع الاكدار مادمت فى هـذا الدار فانها ما أبرزت الا ماهو مستحق وصفها وواجب نعتها ماتوقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك من علامات النجاح فى النهايات الرجـوع إلى الله فى البدايات من أشرقت بدايته أشرقت نهايته ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عـدم الوصول اليه وإلا فتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه * لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه * اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لالشىء دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * تشوفك إلى مابطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ماحجب عنك عن الغيوب * الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر اليه إذ لو حجبه شىء لستره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصراً وكل حاصر لشىء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده * أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً * أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى عـلم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه * شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشـهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لاعدمك ولا جودك * كان الله ولا شىء معه وهو الآن على ماعليـه كان لاتتعدنية همتك إلى غيره فالكريم لاتتخطاه الآمال * لاترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفـع غيره ماكان هو له واضعا من لايستطيع أن يرجع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً * ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا احسنا وهل أسدى اليك الا مننا * العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب مالا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار الآية * لاترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل اليـه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وأن الى ربك المنتهى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسـلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فافهم قوله عليـه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر ان كنت ذافهم * لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله * ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك * ماقل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب ، حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق فى مقامات الانزال * لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجودغيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز * من علامات موت القلب عـدم الحزن على مافاتك من الموافقات وترك الندم على مافعلته من وجود الزلات * لايعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه * لاصغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله * لاعمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده * إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا

أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار ، وليحررك من رق الآثار . أوردك عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك ، الأنوار مطايا القلوب والأسرار . النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا اراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار ، النور له الكشف ، والبصيرة لها الحكم ، والقلب له الاقبال والادبار * لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم ، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها * وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها ، مابسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع * ماقادرك شيء مثل الوهم ، أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع * من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان ، من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها ، خف من وجود إحسانه اليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لايعلمون من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الابعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لايدرى ولو لم يكن إلا أن يخليك وماتريد ، إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الامداد ، فلا تستحقرن مامنحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين ، فلولا وارد ماكان ورد ، قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ، قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد من رأيته مجيبا عن كل ماسئل ومعبراً عن كل ماشهد وذاكراً كل ماعلم ، فاستدل بذلك على وجود جهله ، إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لاتسع ما يريد أن يعطيهم ، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا ، إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك ، متى رزقك الطاعة والغنى به عنها ، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة ، خير ما تطلب منه ماهو طالبه منك ، الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار ، ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده ، الرجاء ماقارنه عمل ، والا فهو أمنية ، مطلب العارفين من الله تعالى الصدق فى العبودية ، والقيام بحقوق الربوبية ، بسطك كى لايبقيك مع القبض ، وقبضك كى لايتركك مع البسط ، وأخرجك عنهما كى لاتكون لشيء دونه ، العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب فى البسط الا قليل . البسط تأخذ النفس منها حظها بوجود الفرح ، والقبض لاحظ للنفس فيه ، ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك ، متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء ، الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها ، ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلاتستعزن بعز يفنى الطى الحقيق أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك ، العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله احسان ، جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه بسيئة ، كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا ، كفى العاملين جزاء ماهو فاتحه على قلوبهم فى طاعته ، وماهو مورده عليهم من وجود مؤانسته ، من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه ، فما قام بحق أوصافه متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك ، إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه ، ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول

وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما ، نعمة الايجاد ونعمه الامداد أنعم عليك أولا بالايجاد ثانيا بتوالى الامداد ، فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكورات لك ثم خفى عليك منها والفاقة الذاتية لاترفعها العوارض ، خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، وترد فيه الى وجود ذلتك ، متى أوحشك من خلقه ،فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به ، متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك ، العارف لايزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره ، أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السرائر بأنوار أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل : ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليست تغيب

ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك،فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ، لايخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك ، سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى إظهار العبودية،لاتطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك ، متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره ،فقد أعظم المنة عليك ، أليس كل من ثبت تخليصه كمل تخليصه ، لا يستحقر الورد الا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى مايعتنى به مالا يخلف وجوده، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ماهو طالبه منك مما هو مطلبك منه ، وورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار ، الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به ، إنما يستوحش العباد والزهاد عن كل شيء لغيبتهم عن الله فى كل شيء فلو شهدوه فى كل شيء لم يستوحشوا من شيء ، أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكنوناته وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته ، علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم مافيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم الصلاة طهورة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب ، الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك فقلل إعدادها وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها متى طلبت عوضاً على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفى المريب وجدان السلامة ، لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلا ، يكفى من الجزاء لك على العمل إن كان له قابلا ، إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك ، لانهاية لمذامك أن أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك ، كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً منك أن تدعى ماليس لك مما للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ، ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب ، ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار ، لو أنك لا تصل اليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليه . لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته ، الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك ، ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلى مولاك الكريم ، خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك اليه لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لا شيء معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه ، لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود الصفات ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته ، أظهر كل شيء لأنه الباطن

وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر أباح لك أن تنظر ما فى المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ، ولم يقل انظروا السموات والأرض ، قل انظروا ماذا فيها فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الإجرام ، الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته ، الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ، المؤمن إذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه ، أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، إذا أطلق الثناء عليه ولست بأهل فأثن عليه بما هو له أهل ، الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق ، متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك ، إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك ، إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهدما منه اليك وإذا أردت أن ينفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه ، ربما أفادك فى ليل القبض مالم تستفده فى إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، مطالع الأنوار القلوب والأسرار نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه ، ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر احلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار ، سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصلهم اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد ، من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً لجر الوبال اليه ، حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعات باطن خفى ومداواة ما يخفى صعب علاجه ، ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك ، استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك ، دليل على عدم صدقك فى عبوديتك ، غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود إقباله اليك ، من عرف الحق شهده فى كل شيء ومن فنى به غاب عن كل شيء ، ومن أحبه من يؤثر عليه شيئاً ، إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك ، وإنما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظم نوره ، لا يكن طلبك تسبباً للعطاء منه فيقل فهمك عنه ، ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياماً بحقوق الربوبية , كيف يكون طلبك اللاحق سبباً لعطائه السابق جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل عنايته فيك لا لشيء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ، لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا محض الافضال وعظيم النوال ، علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية ، فقال يختص برحمته من يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الأذل، فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين ، الا المشيئه يستند كل شيء لأن وقوع مالم يشأ الحق محال ولا تستند هى إلى شيء، ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته ،وإنما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وإنما ينبه من يمكن منه الاهمال أورود الفاقات عياد المريدين ، العيد الوقت الذى يعود على الناس بالمسرة والسرور ، ربما وجدت من المزيد فى الفاقات مالم تجده فى الصوم والصلاة ، الفاقات بسط المواهب ، ان أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك انما الصدقات للفقراء ، تحقق أوصافك يمدك بأوصافه ، وتحقق بذلك يمدك بعزه وتحقق بعزك يمدك بقدرته ، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته ربما رزق الكرامة من تكمل له الاستقامة ، من علامات إقامة الحق لك فى الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج ، من عبر من بساط إحسانه أصمته الاساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساءه ، تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير . كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه يبرز ، من أذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الحق عبارته وجليت اليهم إشارته ، ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار ، عباراتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد ، فالأول حال المساكين ، والثانى حال أرباب المسكنة والمحققين ، العبارة

قوة لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل ، ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك يلتبس إلا على صاحب البصيرة لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها فى قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه ، لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فإن كنت كذلك فخذ ما وافق العلم ، ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته ، فكيف لا يستحى أن يرفعها إلى خليقته اذا التبس عليك أمران ، أنظر أيهما أثقل على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقاً من علامات اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات ، قيد الطاعات بأعيان الأوقات كى لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الأقات كى لا تبق لك حصة الاختيار . علم قلة نهوض العباد الى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليها بسلاسل الإيجاب ؛ عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل ؛ أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك لا دخول جنته من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته . فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدرا ، ربما وردت الظلمة عليك ليعرفك قدر ما من به عليك ، من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرف بوجود فقدانها ، لا تدهشك واردات النعم بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال ، لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، كما لا يحب العمل المشترك لايحب القلب المشترك ، العمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه ، أنوار أذن لها فى الوصول وأنوار أذن لها فى الدخول ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت ، فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار ؛ لا تستبطىء من النوال ولكن استبطىء من نفسك وجود الاقبال ، حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه ، ما فاتك من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له ، ما أحببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون عبدا لغيره ، لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فإنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك لايزيد فى عزه إقبال من أقبل ولا ينقص من عزه ادبار من أدبر وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء ، قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه والا فمن أين أنت ووجود قربه ، الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة وبعد الوعى يكون البيان ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الوارد يأتى من حضرة قهار لأجل ذلك لايصادمه شيء الا دمغه ، بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كيف يحتجب الحق بشيء والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد منها وجود الأثمار لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك فى الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء تطلعك إلى غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به النعم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم ما تجده القلوب من الهموم والاحزان فلأجل ما منعت من وجود العيان من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه ان أردت أن لا تعزل فلا تتولى ولاتدوم لك ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك إليها ظاهرا نهاك عنها باطنا إنما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها علم أنك لاتقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها العلم النافع الذى ينبسط فى الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه ، خير علم ما كانت الخشية معه العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعلتك متى آلمك عدم اقبال الناس عليك أو توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علم فصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الاذى انما

أجرى الاذى على أيديهم كى تكون ساكنا اليهم ان أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء اذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده ، جعله لك عدوا ليحوشك به اليك وحرك عليك النفس لتديم اقبالك عليه ، من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة ، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فانت المتكبر ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ماصنع ، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع التواضع الحقيق هو ما كانا ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف المؤمن يشغله الشاغل لله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا ليس المحب الذى يرجو من محبوبه عوضاً أو يطلب منه غرضا فان المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ، لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهره تنطوى عليك أصداف مكنوناته وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك الكائن فى الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور فى هيكل ذاته ؛ أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية انما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت فى الأفق وليست منه ، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك اليك ، ولكنه وارد عليك دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود أوصافه على وجود ذاته اذمحال أن يقوم الوصف بنفسه فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ثم يردهم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين (فان (١) مراد السالكين شهود الاشياء لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله والسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو) لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقية وهذا فى تدلية لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا فى غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء الا فى شهادة الملك وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك أنوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه فكان ذاكراً وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذى استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدى وبنوره يقتدى ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر أشهدك من قبل أن استشهدك فنطقت بالهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر أكرمك ثلاث كرامات جعلك ذاكراً له ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكوراً عنده ليتم نعمته عليك رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة ؛ الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه الفكرة سير القلب فى ميادين الأغيار . الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا إضاءة له الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لأرباب الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار (ومما كتب به إلى بعض اخوانه) أما بعد فان البدايات مجلاة النهايات ، وإن من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته والمشتغل به هو الذى أحببته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه فان من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى قد أشرق نوره وظهرت تباشيره فصرف عن هذه

(١) ما بين الدوائر موجود بنسخة خطية ساقط من شرحى ابن عباد والشرقاوى فليحرر

للدار مغضيا وأعرض عنها موليا ؛ فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا بل أنهض الهمة فيها الى الله وصار فيها مستعينا به في القدوم عليه. فما زالت مطية عزمه لايقر قرارها دائما تسيارها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم ، اليها يأوون وفيها يسكنون ، فان نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين ؛ فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة ؛ بل دخلوا في ذلك بالله ولله من الله وإلى الله ؛ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري إلى حولك وقوتك اذا أدخلتني واستسلامي وانقيادي اليك اذا أخرجتني واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني وينصربي ولاينصر علي ينصرني على شهود نفسي ويفنيني عن دائرة حسي (ومما كتب الى بعضهم) ان كانت عين القلب تنظر الى أن الله واحد في منته فالشريعة تقتضي أنه لابد من شكر خليقته ؛ وان الناس في ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين اما اعتقادا نشركه جلي واما استنادا لشركة خفي وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب بشهود مسبب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير أنه غريق الأنوار ومطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناءه على بقائه وغيبته على حضوره وأكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلاجمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولافناؤه عن بقائه يصده ولابقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت : والله لا أشكر الا الله دلها أبو بكر على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى أن اشكر لي ولوالديك وقال صلوات الله وسلامه عليه لايشكر الله من لايشكر الناس وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم يشهد الاالواحد القهار (وقال رضي الله عنه لماسئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به أم أمر لغيره منه مشرب ونصيب فأجاب أن) قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالشهود فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس معرفة غيره كمعرفته وليس قرة عين كقرة عينه وإنما قلنا ان قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده لأنه قد اشار إلى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة اذ هو صلوات الله وسلامه عليه لاتقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام ويأمربه من سواه بقوله أعبد الله كأنك تراه ومحال ان يراه ويشهد معه سواه فان قال قائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من عين وبارزة من عين منة الله فكيف لايفرح بها وكيف لاتكون قرة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فاعلم ان الآية قد أومأت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذقال فبذلك فليفرحوا ماقال فبذلك فافرح يامحمد قل لهم فليفرحوا بالإحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال في الآية الأخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام فرح بالمنن لامن حيث مهديها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وفرح بالمنن من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ماشغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر الى الله عما سواه والجمع عليه فلايشهد إلا إياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياداود قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا والله تعالى يجعل فرحنا وايا كم به والرضى منه وان يجعلنا من أهل الفهم عنه وأن لايجعلنا من الغافلين وأن يسلك بنا مسلك المتقين بمنه وكرمه (وقال رضي الله عنه في مناجاته) إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرا في فقري إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولا في جهلي الهي ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء الهي مني مايليق بلؤمي ومنك مايليق بكرمك الهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي الهي كيف

تكلني إلى نفسي وقدتوكلت لي وكيف أضام وأنت الناصر لي أم كيف أخيب وأنت الحفي بي هاأنا أتوسل اليك بفقري اليك وكيف أتوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك أم كيف أشكوا اليك حالي وهو لايخفى عليك أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز اليك أم كيف تخيب آمالي وهي قد وفدت اليك أم كيف لاتحسن أحوالي وبك قامت اليك إلهي ما ألطفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي الهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك الهي ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك الهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن إلي في كل شيء حتى لا أجهلك في شيء إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني أوصافي أطمعتني منتك الهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لاتكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي الهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك الهي أنت تعلم وان لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما الهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لاأعزم وأنت الآمر الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك الهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لاتراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً الهي أمرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع اليك منها كما دخلت اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك · وهذا حالي لايخفى عليك منك أطلب الوصول اليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك اليك وأقمني بصدق العبودية من يديك إلهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون الهي حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب الهي اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك لي عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري الهي أخرجني من ذل نفسي. وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي. بك انتصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني وإياك أسأل فلا تخيبني وفي فضلك أرغب فلاتحرمني ولجنابك أنتسب فلا تبعدني وببابك أقف فلا تطردني الهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني أنت الغني بذاتك عن أن يصل اليك النفع فكيف لاتكون غنيا عني، الهي ان القضا والقدر غلبني وان الهوى بوثائق الشهوة أسرني فكن أنت النصير لي حتى تنصرني وتنصربي، واغنني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الاغيار من قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا الى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذي فقدمن وجدك لقدخاب من رضي دونك بدلا ولقدخسر من بغى عنك متحولا الهي كيف يرجى سواك وأنت ماقطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان يامن اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين ويامن ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادىء بالإحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين الهي اطلبني برحمتك حتى أصل اليك واجذبني بمنك حتى أقبل عليك الهي ان رجائي لاينقطع عنك وان عصيتك كما أن خوفي لايزايلني وان أطعتك الهي قددفعتني العوالم اليك وقد أوقفني علمي بكرمك عليك الهي كيف اخيب وانت املي، ام كيف اهان وعليك متكلي الهي كيف استعز وأنت في الذلة اركزتني ام كيف استعز واليك نسبتني ام كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني انت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت الي في كل شيء فرأيتك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الأنوار يامن احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يامن تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار كيف تخفى وانت الرقيب الحاضر والله الموفق؟

خطأ وصواب الجزء الأول

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥	٧	مود	موجود
٦٥	٢٣	كساب	كسحاب
٦٥	٢٩	وغبر	وغير
٦٦	٤	والاكفاء	والاكتفاء
٦٦	١٩	الشاغر	الشاعر
٦٦	٢١	يتم	يهتم
٦٦	٣٠	شجر	شجرة
٦٧	٧	فتيصحب	فيصطحب
٦٧	١٤	أجبه	أحبه
٦٧	٢٢	بالربد	بالزبد
٦٨	٤	لم يطق	لم يطق
٦٨	١٤	البقين	اليقين
٦٨	١٩	نهوفى حق	نهوحق
٦٩	١٩	قصور	مقصور
٧٢	١٤	ولاتحب	ولاتحب
٧٣	١٤	الرجغى	الرجعى
٧٤	٢	علم	عين
٧٥	٣	تقع	تقطع
٧٥	٧	العالمية	العالية
٧٥	١٥	محبولة	مجبولة
٧٥	٢٠	لثم	لثيم
٧٥	٢٥	جعلت	جهلت
٧٦	١	الشيوخة	الشيخوخة
٧٦	٦	كوجده	وجده
٧٦	١٦	المربد	المريد
٧٦	١٩	وتزين	وتزيين
٧٦	٢٢	الوجدان	الواجدين
٧٦	٢٦	فىلك	فىذلك
٧٦	٢٩	وطننت	وظننت
٧٧	٣	ولأكثر	ولاكثر
٧٧	٦	وتكون	ويكون
٧٧	٨	بأسرة	بأسره
٧٧	١٤	الى	التى
٧٧	١٩	عاقل	غافل
٧٧	١٩	ذكر	ذاكر
٧٨	٦	تتعبد	فتعبد
٧٨	١٠	الثلاثة	لثلاثة
٧٩	٧	والأعتمد	والأعتماد
٧٩	٩	قال الحسن	لأبى الحسن
٧٩	٩	فى اليوم	فى النوم
٧٩	٩	بدلها	بذلها
٨٠	١٦	عفلتك	غفلتك
٨٠	١٦	بوجه ماء فى	بوجه ماء وفى
٨٠	٢٣	والانهيار	والأنهار
٨٠		رققة	رقيقة
٨١	٢١	طربقية	طريقته
٨١	٢٤	النجريد	التجريد
٨١	٢٥	فأفرهم	فأقرهم
٨١	٢٥	النجريد	التجريد
٨٢	٨	الساس	السادس
٨٣	١٦	ولى	إلى
٨٣	٢٩	وتكير	وتكبير
٨٤	٢	ليجمعهم وليروهم	ليجمعهم عليه وليروهم
٨٤	٦	لهما أن لا	له أن لا
٨٤	٨	دكر	ذكر
٨٤	٩	رؤبة	رؤية
٨٤	١٨	فبت	فليت
٨٤	٢٢	والنجريد	والتجريد
٨٥	٤	لايفف	لايقف
٨٨	٢٧	اختنار	اختبار
٨٩	٣	ولايحذره	ومايحذره
٨٩	٢٥	فمن أصف	فمن اتصف
٩٠	١١	مصرفون	مصروفون
٩١	٥	الواضلين	الواصلين
٩١	٨	القصيرى	القشيرى
٩١	٣١	كالنحور	كالنحو
٩٢	٢١	النجيبى	التجيبى
٩٣	١٢	الاغناء	الاعتناء
٩٣	١٦	أقنك	أقتك
٩٣	٢٤	وبأخذ	ويأخذ
٩٣	٣١	والنابعين	والتابعين
٩٤	٢٣	بثبت	يثبت
٩٥	١	أله يلوهم	أن الوهم
٩٥	٤	الخير	الخبر
٩٦	٩	أربد	أريد
٩٦	١١	عنى	عن
٩٦	١١	عنها	عنا
٩٦	١٣	المعربى	المغربى
٩٦	٢٥	الفضل	الفصل
٩٦	٣٠	النصرف	التصوف
٩٧	١٢	هو	وهو
٩٧	٢٢	لوتعلم	لونعلم
٩٧	٢٥	فيه النجم	فيه فهو النجم
٩٨	٧	اليمن	اليمين
٩٨	٣٠	الأقنداء	الأقتداء
٩٩	١٤	فلما رأيت دخلت	فلما دخلت رأيت
١٠٢	٢	الوجب	الواجب
١٠٣	١٣	وبدل	وبذل
١٠٤	٢٠	مشاكا	مشاركا
١٠٤	٢٩	أيدبهم	أيديهم
١٠٧	١٤	فله	فيه

رقم الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠٧	٢٨	وإلى عاقبة	وإلى الله عاقبة
١٠٩	٩	الحدمة	الخدمة
١٠٩	١٠	متفاوقين	متفاوتين
١١١	٤	آخره	آخر
١١١	١٥	فنجيب	فتجيب
١١١	١٩	معيراً	معبراً
١١١	٢٤	الله وأنفعهم	الله أحبهم وأنفعهم
١١١	٢٨	الملون	الملكوت
١١٢	١٦	العابدين سيدنا	العابدين بن سيدنا
١١٣	٢	لطنفة	لطيفة
١١٣	٦	مزبته	مزيته
١١٣	٩	يجاربهم	يجازيهم
١١٣	١٦	أحنى	أخنى
١١٣	١٨	الأحبار	الأخبار
١١٣	٢٠	والزين	والزاى
١١٣	٢٢	بانفافه	بانفاقه
١١٣	٢٤	العارض	الفارض
١١٣	٢٨	يستطيع	يسطع
١١٥	٢	الشقارة	الشقاوة
١١٧	٣	قبض	قيض
١١٧	١٠	على فان	على شىء فان
١١٨	٣	غرص	غرض
١١٨	٤	ماذا	وماذا
١١٨	١٦	سرة	سره
١١٨	٢١	سألنى	سألتنى
١١٩	٥	الدات	الذات
١١٩	١١	فتحقت	فتحققت
١١٩	١٤	وسطت	وسطعت
١٢٠	١٥	تحرق	تحرك
١٢٠	١٥	قوين	قوت
١٢٠	٢٦	هاجر	هجر
١٢١	٣	إليه إشارته	إليه من إشارته
١٢١	٤	فنائه	فناؤه
١٢١	٥	قال	فقال
١٢١	٨	أمالهم	آمالهم
١٢١	٢٢	الطب	الطلب
١٢١	٢٢	كله صدق	كله فى صدق
١٢١	٣١	فرقنين	فرقتين
١٢٢	١	يقبض	يقيض
١٢٢	٣	الطب	الطلب
١٢٢	٨	الخير	الخبر
١٢٢	٢٨	وهم إلا	وهو إلا
١٢٣	٩	ويتحقق	وبتحقق
١٢٣	٢٤	وأفرت	وأقرت
١٢٤	٨	لنكون	لتكون
١٢٤	١٥	الليل	بالليل
١٢٧	١	أجمتى	أجمعنى
١٢٧	١٩	واللراحة	اللوامة
١٢٧	٣٠	قالوا	قال
١٢٨	٢	منك	منعك
١٢٨	٧	فنك	فمنعك
١٢٨	٢٣	والبلدى	والتليدى
١٢٨	٢٦	فبهم	فيهم
١٢٩	٢	العلماء	العطاء
١٢٩	١٣	فاحتاجوا	فاجتاحوا
١٢٦	٢٤	والصفا	والصفات
١٢٩	٢٦	ان كتساب	إن اكتساب
١٢٩	٢٧	أعم	أى
١٢٩	٢٧	وشقاء	وشفاء
١٣١	١	وباظنها	وباطنها
١٣١	١٠	وحظواظها	وحظوظها
١٣١	١٣	والنفصية	والنصفية
١٣١	١٤	بحلاف	بخلاف
١٣١	١٦	ظاهرها وباطنها	ظاهرها جص وباطنها
١٣٤	٦	لاقوة	لاقوه
١٣٥	٣	وتحلية	وتخليه
١٣٥	٧	الخق	الخلق
١٣٥	٨	الخق	الخلق
١٣٥	٢٨	وليوتها	وليوتها
١٣٦	٢٧	ويخرق	ويحرق
١٣٦	٣	كلنة	كلية
١٣٨	٤	لغيم	نعيم
١٣٨	١٧	والتنعم	والتنعم
١٣٨	١٥	عبده	عبده
١٣٨	٢١	مر	من
١٣٨	٢٤	جنابة	جناية
١٣٨	٢٨	أعماله	أعمال
١٤٠	١	أولاد	وأولاد
١٤٠	٢٤	ما فكيين	مالكيين
١٤٠	٢٤	بربقة	بربقة
١٤١	٢٢	ورى	روى
١٤١	٢٦	الخواظر	الخواطر
١٤٤	٢٧	أناحت	أناخت
١٤٥	٨	أو بنعمة	أو لا بنعمه
١٤٥	٢٦	وابتطع	وانقطع
٤٦	٢٦	ولو بلغ	ولو بلغ ما بلغ
١٤٨	١٥	وتكنى	وتكتنى
١٤٨	٢٦	للموارد	للمراد
١٤٨	٢٩	تترجها	فتوجها
١٥١	١	وكل كناية	وكل ذلك كناية
١٥١	٤	مخاظباً	مخاطباً
١٥١	٨	لايحدس	لايحرس
١٥١	٢٧	ولاص	ولاض
١٥١	٢٩	كما صار	كما سار
١٥١	٣١	ظهروه	ظهوره
١٥٢	٥	أشرت	أشرقت

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٢	١٨	ويتعير	ويتغير
١٥٢	١٩	السلام	الإسلام
١٥١	٢٤	مرتد	مريد
١٥٤	١٨	الا	إلى
١٥٢	٢	الخصوصتة	الخصوصية
١٥٧	١٢	والخلفاء	والخفاء
١٥٨	٢	الأعيار	الأغيار
١٥٨	١٣	واعتمادو	اعتمادك
١٥٩	١١	طهورها	ظهورها
١٥٩	٢٦	اشرار	الأشرار
١٥٩	١٧	لايفتدى	لايقتدى
١٦٠	٢	مر	من
١٦٠	٥	فح	فهو
١٦٠	٢٧	مايعنيه	مايعينه
١٦١	١٣	وتنعشق	وتتعشق
١٦٢	٢١	سغفت	شغفت
١٦٣	١٣	التخلية	التحليه

رقم الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٣	١٥	فح	ثم
١٦٣	١٧	تطغى	تعطى
١٦٣	١٨	تحسيها	تحسبها
١٦٣	٢١	كالقال	كما قال
١٦٣	٣٠	بوقتك	بوقفك
١٦٥	٢٣	خلفه كان	خلفه ومن كان
١٦٥	٢٤	المتقدمون	المتقدمين
١٦٥	٢٥	أو اعمل	أو عمل
١٦٥	٢٩	المريريد	المريد
١٦٦	١١	العباد	العبادة
١٦٦	١٩	فتشتهم	فتشتهم
١٦٦	٢٠	قابل	قال بل
١٦٩	٢	الححاب	الحجاب
١٩٦	٦	ربوبيكم	ربوبيتكم
١٦٩	١٥	ثلث	قلت
١٦٩	٢٢	من ذلك	من دلك
١٦٩	٢٢	ومن ذلك	ومن دلك

رقم الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٩	٣٣	والانحياس	والانحياش
١٦٩	٢٨	أضدادها	بأضدادها
١٦٩	٢٩	بشربتك	بشربتك
١٦٩	٢٩	خضرته	حضرته
١٧٢	٢	ظهر	طهر
١٧٣	١٨	وبينهما	بينهما
١٧٣	١٩	طلى	على
١٧٤	١٢	المتكوت	الملكوت
١٧٦	١٣	فسيسر	فسيسر
١٧٦	٢٥	عن العمل	من العمل
١٧٧	١	بعطاه	يعطاه
١٧٧	١١	فقلت	فعلت
١٧٧	٢٠	الن	من
١٧٧	٢٤	بقوى	يقوى
١٧٨	١٥	ولاينتار	ولايتناهى
١٧٨	١٨	وسنين	وستين
١٧٨	١٨	نصفها	ونصفها
١٧٨	٢٤	الفشاء	الشفاء

خطأ وصواب الجزء الثاني

رقم الصيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢٦	بأودية	بأدوية
٥	١٢	خضر	الخضر
٥	٢٣	نوزها	نورها
٦	١	الجريهاءا	الحرية إذا
٦	٤	مر	من

رقم الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	١٩	نسبت	نسيت
٦	٢٢	بفراط	بقراط
٦	٣٠	الزجال	الرجال
٧	٢	تقظم	فدم
٩	٢٦	لقصلح	لتصلح

رقم الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١٩	وفيع	وبيع
١٠	٢٢	التنوبة	التنويه
١١	٢٢	اقنده	اقتده
١١	٢٤	دكرى	ذكرى
١٢	١٨	غابة	غاية


Bibliotheca Alexandrina
0412625